



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والتاريخ

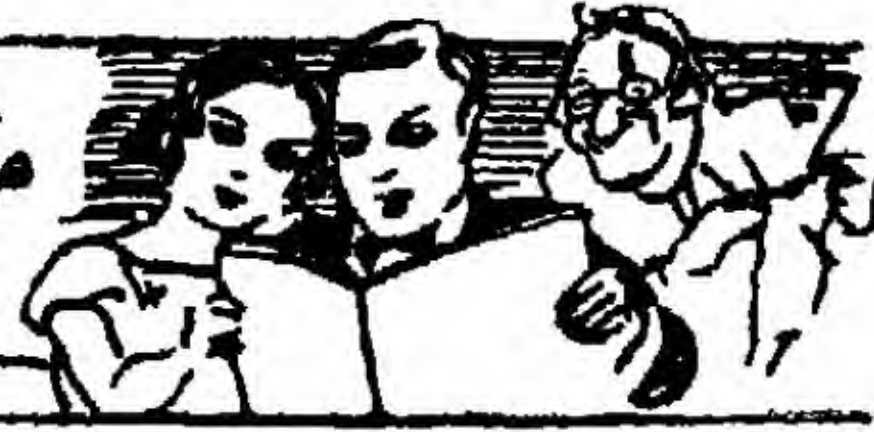
تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — ١٥ يولية سنة ١٩٣٩

العدد ٦٠

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٦٧٤	ماذا رأى فاسيل ؟ ...
٦٨٢	الذكرى الخالدة ...
٦٩٢	السفينة السوداء ...
٦٩٦	جيلة ممثل ...
٦٩٩	حاجة في نفس يعقوب ...
٧٠٢	هندي ...
٧١٠	الرجوع إلى القرية ...
٧١٣	عمروس البحر ...
	للرحومة الملكة ماري ملكة رومانيا
	أقصوبة مصرية ...
	عن الانجليزية ...
	» » ...
	أقصوبة مصرية ...
	» » ...
	واقعية ...
	للكاتب الدانمركي « أندرسن » ...
	بقلم الأستاذ سعد حسين سعد
	بقلم الأديب م. عبدالقادر المازني
	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار
	بقلم الأديب مصطفى صبحي ...
	بقلم الأديب من العرب علي ...
	بقلم الأنسة جميلة العلايلي ...
	بقلم الأنسة نعيمة الغربي ...
	بقلم الأديب كمال الحريري ...

لكن لا الفرو ولا القماش
استطاع أن يحميهم من تلك
الزوبعة الثلجية

كان الجميع زهاء اثني
عشر جندياً ، من بينهم
أربعة رجال ملتحمون وشاب
حديث السن ، يحرس
بضعة أسرى جالسين في أسمال
رثة حول جرات النار الأخيرة

وعليهم ذلة محزنة. كانوا جالسين القرفصاء ورؤوسهم
ناكسة على ركبهم ، قد أخفوا وجوههم الأجنبية
من الثلج كما أخفوها من نظرات الآخرين التي كان
ملؤها مزيجاً من الشفقة والاحتقار ؛ وكانت أيديهم
العارية مشققة واردة من الصقيع ، وأجسامهم تنفض
في تشنجات ، إما من البرد أو الحزن أو الخوف —
أو منها جميعاً !

لم يلق حراسهم إليهم بالاً ، وإنما جعلوا يتحدثون
في جل قصيرة خيل إليهم أن الريح تمزقها ، إلى رفيقهم
الشاب الوحيد الذي وقف متكئاً على بندقيته كما يتكئ
الرعاة على عصيهم . كان فتى صغيراً في الثامنة عشرة
أو التاسعة عشرة تقريباً . وكان يحدق في دجى الليل
بنظرة حادة تبدو في عينيه الخضراوين الواسعتين ،
وفيما حوله تتراقص ندف الثلج ثم تسكن على فرو
قبعته وعلى أهدابه الطويلة ، مما جعله يمر بيده من
وقت لآخر على وجهه

قال رجل من أكبرهم سناً :

« فاسيل ، إن النار آخذة في الانطفاء. وسنموت

من البرد قبل انقضاء هذه الليلة اللعينة »

ودمدم آخر قائلاً : كان علينا ألا نضل الطريق

مَاذَا رَأَى قَاسِيُكَ ؟

لِلرَّحْمَةِ مَا رَى مَلِكَةً رُومَانِيَا
بَعَثَ الْإِسْنَادَ سَعْدَ حُسَيْنٍ نَعْدُ

كان الوقت ليلاً وكان البرد قارساً والريح
تمصف بشدة فوق السهل ، والنجوم تبدو صغيرة
وهي تومض على علو شاهق في السماء كأنما قد تباعدت
ما استطاعت من البرد الجاثم على الأرض . وكان
الثلج الكثيف المغطى للسهول من شدة البياض
بمحيط كان يعكس بعض الضوء . ومن حين لآخر
تثير الريح السطح الثلجي النائم وتطارده على هيئة
سحاب صغير يطير في الهواء ملتصقاً بالخلاص منها
ليلة كثيفة ساقطة النواحي ، من تلك الليالي
التي يخال المرء فيها أشباحاً هائمة . وكلما خفت عواء
الريح سمع صوت مشؤوم يهدر من آن لآخر خلال
الظلمة ، صوت بعيد يحمل في موجاته دوى
الحرب . وعلى مقربة من الطريق الذي يلوح حتى
في الليل نكط ضعيف أسود حيث تلوث فيه بياض
الثلج بالأقدام الكثيرة جلس جمع من الجنود
يرتجفون حول نار كادت تنخبو

وكانما اصطلحت عليهم هوج الرياح فراحت
ترميهم بأكوام الثلج كما تتراعى الأمواج الزبدة على
إحدى الصخور . فشد الجنود بنيقاتهم إلى ما فوق
أذانهم وأنزلوا قلائدهم حتى غطت جباههم .

وهبت نفحة من الريح هيجت موجة عظيمة
من الثلج فولوها ظهورهم يتقون بها هجومها
قال أحدهم : ليلة ذئاب
وقال ثان : ليلة شياطين
وقال ثالث : « ليلة أموات »
ثم عاد سكرتو يقول : « فاسيل ، سنتجمد
إن لم نجد خشباً »
فأجاب فاسيل وهو معتمد بندقيته كمصى الراعى :
أين يمكن العثور على خشب في هذا القفر ؟
فقال بيتر باسكا : إن رجلك فتيتان ، ومع ذلك
فالليل ليس حالك الظلمة ...
فقال شخص من الجانب الآخر : أجل ، ليس
حالك الظلمة بسبب الثلج !
وكرر آخر وهو يئن : هذه ليلة شياطين !
فعاد بيتر باسكا يقول : فاسيل ! إن رجلك
فتيتان ...
فرفع سكرتو عينيه . وكان يحاول إشعال لفافة
تبغ . ثم قال : نعم . نعم . إن رجلك فتيتان فلماذا
لا تذهب للبحث عن بعض من الخشب ؟
فاحتج فاسيل قائلاً : إني هنا لحراسة الأسرى .
وضرب قدميه إحداها في الأخرى دون أن ينتقل
من مكانه !
فصاح سكرتو : إن كلباً يمكنه حراستهم . وفوق
ذلك فإني هنا لأمر !
فضحك أحدهم ضحكة خشنّة وقال : لسوف تزهى
امراتك المجوز بمفاخرك
— دع امرأتى وشأنها . لقد كانت صغيرة
في أيامها ، وها هي ذى قد أنجبت لى أطفالاً كثيرين
معظمهم صبيان

فعاد الأول يقول : لم نأت ذلك عن قصد .
وكان هذا هو قائد تلك الثلة الصغيرة من الجنود
المنوطة بأولئك الأسرى ، وكان يدعى أندريه سكرتو ،
وهو جاف الطبع ، ينقاد إليه الآخرون على كره منهم
قال : كيف يمكن الإنسان أن يقطع أية
مسافة وقدماء متجمدتان حتى ولو لم يكن معه سوى
الأسرى ؟ كان علينا أن نبلغ القرية قبل الليل ، لكننا
وأأسفا لم نفعل . وقد نصبح قليلاً من كثير إذا
بقينا هكذا حتى الصباح ، ولن يكون هذا ذنبنا
ولا نقمة الله

فسأل أحدهم : ذنب من إذن ؟
فقال رجل مسنّ يدعى بيتر باسكا : ذنب
الحرب
فقدم سكرتو : الحرب ، الحرب ! إن الحرب
تأتى كالصيف القاحل أو كالفيضان الجارف عند
ما يكون النبات صغيراً
فقال آخرو وهو يحاول عبثاً إذكاء النار الخامدة :
إن هؤلاء الأعداء الألمان هم أعوان الشيطان !
فقال سكرتو : ألا فليتنجبهم الشيطان إذن !
ثم بصق في البحر توكيداً لكلماته
فأجبه فاسيل إليهم بوجهه الصغير المثلج ثم
قال : إني أرثى لهؤلاء الأسرى
فارتفعت أصوات كثيرة محتجة : ترثى لهؤلاء
الكلاب الأجانب !
فأوضح فاسيل : لهم حديثو السن بعيدون
عن وطنهم

— ونحن ، أين نحن إذن ؟
— نحن لم نزل في الأراضي الرومانية !
— إذا كنا كذلك فليس هذا ذنبهم !

— وأين هم ؟

فهز سكرتو كتفيه ورفع يديه في ابتهال . ثم قال في غموض : الله وحده يعلم نهاية هذه الحرب .. وهؤلاء الألمان

فقال أحدهم : هم يعرفون كيف يقاتلون
وردد صوت من الظلام : هم أعوان الشيطان
فقال آخر : لا فائدة لنا من هذا

فقال سكرتو في سخرية : بل من مدافعهم !
وكان أثناء ذلك يحاول أن يشعل بالزند لفافة تبخر طبة
فسألهم فاسيل : ألا تسمعونها الآن أيضاً ؟
فقالت عدة أصوات معاً : سحقاً لها !

وأعقب ذلك صمت شامل لم يكن يقطعه سوى
عواء الرياح في الليل

وبدأ بيتر الكلام وكان ملحاحاً : فاسيل ، إن
رجليك فتيتان والخشب لا بد موجود في مكان ما ؛
ثم إن الليلة ليست حالكة الظلام

فأمن سكرتو على ذلك قائلاً : إن لم نجد شيئاً
نشعله فسنهلك جميعاً قبل الصباح . احمل بندقيتك
يا فاسيل وامض للبحث . أقل شيء يكفيني

فهز فاسيل كتفيه قائلاً : ليكن ما شئت ثم
احتمل بندقيته على ظهره دون أن يبدى اعتراضاً
آخر ، ومضى لطبته يخوض الثلوج الكثيفة الوعاء
في خطوات جامدة لا يبالي في أي طريق ذهب ،
إذ لم يكن يدري في الواقع أين يجد الوقود ... فالوقت
ليل ، والسهل أجرد . وليس ثمة أكواخ ولا أشجار
ولا أسوجة ولا أي شيء ... بل ولا أثر خشبية
فاذا يستطيع أن يجد ... ؟ فاستسلم للمقدور وراح
يخبط في غياهب الليل المترامية

وينما كان يدب في الظلام صرت به أفكار

كثيرة مضطربة ، ورأى رؤى سعيدة لا تمت
للحرب أو الشتاء بصلة . رأى وادياً خصيباً يخترقه
طريق طويل مترب يؤدي إلى قرية اختفى نصفها
بين أشجار الفاكهة ، وكان الوقت عند الغروب
وقد عاد قطيع من الثيران خلال الطريق يتبعه شاب
يمشي الهوينى وييده عود أخضر .. كان يصفر لحناً
شجياً هادئاً لا يفتأ يردده مرة بعد أخرى

حاول فاسيل على غير وعى أن يصفر اللحن
لكن شفثيه كانتا مشقتين من الصقيع فلم يخرج
منهما سوى بضعة نفثات سحرية رنت في الظلمة
غير أن الشاب لم يزل يسير الهوينى ، والوقت
مغيب والثيران تثير غباراً يعفر يديه ووجهه ...

كان الطريق طويلاً ، لكن لم يكن هناك داع
للمجلة فلم يحفل بالوقت أحد لا الشاب ولا الدواب ...
وعند ما بلغت الثيران الرمادية الرزينة القرية
مال كل منها إلى مقره ... وأخذ القطيع يتناقص
بينما كان الشاب يسير ، وهو لا يزال يصفر أغنيته
ويلوح بالعود في الهواء

وكان هناك بضعة أطفال صغار وطائفة من
الخنازير الداكنة تنكت في الأرض ، فلما مر الشاب
والثيران جرت وتفرقت في كل جهة ... وكانت
الخنازير ذات ذيول قصيرة جمدة ، وحركاتها في طفراتها
جامدة مضحكة . وكان الأطفال صخابين نصف
عارين لا تكاد تغطيهم قمصانهم البالية .

وأمام كل منزل تقريباً تكونت كومة عظيمة من
القرع ، وتدلّت على طنف البيوت قلائد طويلة من
نبات أرجواني اللون ، وانتشر غبار خفيف فوق
القرية ، وسرى فيها كسل الرضى ، وخيم عليها جميعاً
السلام ...

الذى يرى هناك ؟ فقد وقفت ثلاثة أطيان عجاف جنباً إلى جنب ... ثلاثة هياكل عظمية منزعلة قائمة في غموض خلال الليل

نفخ قلبه ، وتبللت راحته بمرق فجأى : ما هذه يا ترى ؟ ما أروع وحشة الليل ! ومع ذلك لماذا يفزع ؟ فالأشباح أشباح - قلما تؤذى - وشر منها حقاً ملاقاته ألمانى حي ! غير أنه في تلك اللحظة أيضاً لم يكن على يقين : هل الأفضل أن يكون أحد الألمان ؟ تغلب فاسيل على إحجامه بمسقة ، وخطا نحو الأطيان الثلاثة التى كانت واقفة بغير حراك ، وهو يدنو منها ... لم تكن إلا ثلاثة صلبان ! ثلاثة صلبان خشبية منزعلة قد أثرت فيها الأنواء ! ثلاثة قبور مهجورة !

فرسم فاسيل علامة الصليب بوحى الغريزة ... وصلى وهو يلهم صلاة على أرواح الموتى . وقف يتفرس في هذه الدمي الكثيفة ، وقد دار رأسه : هل هي قبور جند ؟ أم قبور نساء ؟ أو لعلها قبور أطفال صغار ... أطفال صغار ماتوا جوعاً وبرداً ؟ فبدأت الحرب كثير من الأطفال مات جوعاً وبرداً .

وعندئذ أدرك ، وقد أجفل ، أن الصلبان مصنوعة من الخشب ... من الخشب الثقيل ! أو لم يرسل في هذا الليل ليبحث عن خشب ؟ ...

لبث واقفاً أمام الصلبان الثلاثة كمن يحقد في كنز استكشف على غير انتظار ، ولا يجرؤ أن يأخذه . كان الخشب يغريه ، لكنه لم يجرؤ أن يلمس الصلبان ، ولم يشأ في الوقت نفسه أن يبرح !

واستبد به إغواء شديد : لم لا ينتزع أحد هذه الصلبان ، ويعود به لإطعام النار الخامدة التى تركها ! فالأموات هم أموات مهما يكن من الأمر ! ونومهم

عثرت قدما فاسيل في شيء فسقط على ركبتيه سقطه لينه إذ كان الثلج عميقاً ؛ غير أن تلك الرؤى السعيدة لم تلبث أن اختفت وعاد كما كان وحيداً يرتعد في الليل ، على حين أقبلت أصوات المدافع البعيدة ترجى إليه الحقيقة وتؤكد لها .

قال مدموماً : « الخشب ، الخشب ! إني لأعجب كيف أجد خشباً في هذا القفر اللعين ! يا لها من ليلة ! فالريح تمزق كالسيات ، والثلج الذى تقذف به في وجهي يحز كالإبر . فأين قدر لي أن أجد الخشب ! » ثم وقف وطفق يضرب جانبيه بيديه الخدرتين . ولما كان سيره اعتسافاً فإنه لم يلزم الطريق ، بل جعل يتخبط في الظلام . ولم يستطع أن ييصر كثيراً ، لكنه كان يتبين من حين لآخر هنا وهناك بقاعاً قائمة حيث يخف الثلج فوقها ، وربى غير محدودة الشكل وركاماً من الحجارة وحصاناً ميتاً وكوماً من القش العفن ... وهذه جميعاً ربما كانت تنطوى في وحشة الليل على معنى مخوف ، فكل شيء جائز في زمن الحرب

فارتجف وقام أمامه ثانية خيال القرية الهنيئة ، وعاد يرى كومة القرع البرتقالى ، ومن وراء أحد الأسوجة أرسلت فتاة صوتها العذب بالأغنية التى كان الشاب يصفرها . فصرخ فاسيل مقصياً تلك الرؤى السعيدة : « لكن لا بد أن أجد خشباً ! الآخرون يتجمدون ولا يمكن أن أمضى سواد الليل جائلاً » عاد ينعم النظر حوله فلاح له الخط القاتم من الطريق المعبد غير بعيد . وبدأ له من الأسهل أن يمشى فوقه فيعم شطره في بطء وعناء ، إذ كانت الأرض وعثاء ، وكان في حالة إعياء ، وقدماء باردتان بدرجة مخيفة ، وفجأة جمد في مكانه وأجفل : ما ذاك

من العمق بحيث لا يسمعون ما يجري فوق رؤوسهم !
والحمد لله على أنهم ينامون هذا النوم العميق؛ وإلا من
كان يمكن أن يمر بفكره مثل هذا الخطر !

فتقدم بضع خطوات وألقى يده على أول صليب،
وعندئذ استولت عليه كزازة نفسية عظيمة - كلا !
إن مثل هذا العمل انتهاك حرمة. إن الأموات يجب
احترامهم ، بل ويجب احترامهم أكثر من الأحياء .
سيقابل هذا العمل بالاستهجان من الله والإنسان .
إن الأموات لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ولكنهم
تحت رحمة من يمر بهم - لهذا وجب احترام القبر
كهيكل الكنيسة ... كان من المستحيل حقاً أن
يضع يديه على الصليب الذي هو آخر هدية لعزير
طواه الفناء

وارتفع صوت الإغواء ثانية في نفس فاسيل .
فالأموات هم أموات ، وقد زالت آلامهم بينا هناك
رجال يتجمدون لنفاد الخشب، رجال شجعان يؤدون
واجبهم . إن انتهاب الأموات ولا شك خير من ترك
الأحياء يموتون وهم الجنود البواسل الذين يذودون
عن وطنهم ! ولو قدر الموتي على الكلام لصاحوا به
أن يأخذ صليبانهم - جميع صليبانهم ! ليصطلي بها
حماة الوطن الشجعان الذين يموتون من البرد ...
وفي حركة سريعة أمسك فاسيل بأول صليب
وحاول أن ينزعه من الأرض المتجمدة ... لكن
الصليب قاوم - قاوم كأنه شجرة راسخة عميقة
الجذور ، كأنه مخلوق حي يحمي حرماً مقدساً . فغلى
الدم في عروق فاسيل ، إذ نهبت فيه المقاومة عزيزة
النضال الكامنة في كل رجل . وانقلب الصليب
العنيد خصماً له يجب أن يغلبه .

وعندئذ جرى فوق ذلك السهل المقفر الصراع ،
بينما كانت الريح تموى عواء غليفاً والشاب ينازل
الصليب الخشبي ! وأبدى الصليب مقاومة تكاد
تكون بشرية ، واستقتل الشاب في المراك كأنه
بإزاء عدو يجب قهره ؛ فلف ذراعيه حول الصليب
وجعل يجذبه ويدفعه ويهزه والنصب العنيد لا يلين .
فجرى المرق غزيراً على وجه فاسيل وكان قد ألقى
قلنسوته وألقى البندقية عن ظهره ، فاستمر يناضل
ويناضل بكل قواه في إصرار مشوب بالقت

وعلى حين فجأة أذعن الصليب فهوى فاسيل
معه إلى الأرض حيث بقى ممدداً فوق خصمه
الصريع - خصمه الذي لم يكن سوى صليب
خشبي ! - وجعل فاسيل يلهث بمض الوقت
وما برح ضوء الحركة في عينيه ، والريح تموى حوله
وتلطم وجهه بقذائف من الثلج ... لكنه انتصر !
لقد استأصل الصليب ووجد خشباً لنار الأحياء ..
وفي هذا كل مبتغاه ...

كانت النار قد خبت حتى الجرات فقد خمدت
نخدمها الحديث وجلس حولها الأسرى والأسرى
في استسلام صامت كأنهم أكوام من الملابس القديمة
الملقاة ، لا يميزهم في تلك الليلة الأليمة بعضهم عن
البعض إلا اختلاف بسيط في الهيئة

وسمع خلال الظلمة صوت ضعيف لشخص
يقترّب منهم ، ولم يمكن تبين شيء منه أول الأمر .
وعلى حين فجأة تراءى فاسيل أمامهم يجر خلفه
شيئاً ثقيلاً أسود كالشبح

خشب !

ارتفعت صيحة فرح من حلقة الجمع الجالسين

حول الرماد ورنّت أصواتهم البجوحة تحيي عودة فاسيل ، ونهض بوحى الغريزة عدد منهم يبحث عن الزند بأصابع خدرة لا تكاد تطيع

لم يقل فاسيل شيئاً . كان يلهث . كانت عودته خلال الليل أشبه بمعركة - معركة مع الريح والثلج والبرد - وبالأخص مع ضميره . لهذا لم يقل شيئاً ، وإنما طرح الصليب الثقيل بحركة ختامية عند أقدام هؤلاء الذين كانوا بانتظاره ...

كان سكرتو أول من أدرك حقيقة الوقود الذي أتى به فاسيل

فأفلتت من شفتيه شبه لعنة وغمغم : « هذا صليب صليب ... صليب ! »

وقام آخرون لفحص الخشب المنتظر ، فارتفعت منهم صيحات مختلفة .

رفع الأسرى وجوههم وحدقوا بعيون منكسرة في المتكلمين ؛ لكن فاسيل كان صامتاً قد أضناه التعب فتهالك على الثلج .

صاح سكرتو : « صليب ! كيف يجرو أن يأتي بصليب ! » .

فنامر أحدهم قائلاً : « ولكنه خشب ونحن نرجف من البرد »

— فلتكن مشيئة الله . ولكن لا يمكن أن نحرق صليباً !

— هذا انتهاك

— لو فعلنا لجلت علينا لعنة الله !

— والأموات أيضاً !

— لكننا نرجف من البرد ، وإن الأموات

أموات ...

— ما الذي يفيد الأموات لو تجمدنا ؟

— الوطن في حاجة إلينا للدفاع عنه

— يوجد أموات كثيرون جداً بدون صلبان !

— يا للمار ! منذ الذي يجرو أن يحرق صليباً ؟

وسرعان ما تصاعدت الصيحات من الجميع

ما عدا فاسيل والأسرى فكانوا صامتين . واستحوذ

على فاسيل حياء وإعياء وامتلاء صدره حقناً . ما ذا

كان يمكنه أن يفعل ! لم يجد شيئاً آخر ...

وارتفعت أصوات الرجال واحتدم بينهم النزاع .

وكانت الريح تمصف بعنف وتعلو على الأصوات

البشرية الضئيلة

صاح سكرتو في غضب : « لن أسمع بذلك !

أهون عندي أن نهلك جميعاً من البرد من أن نحرق

صليب المسيح ! »

لم يترشح الرجل المعجوز عن موقفه وألقى عليه

زملاؤه نظرة فيها تحفز وسخط ، وتكاثف الثلج

التساقط عليه ، وعلت سحنته الدميعة زرقة من

شدة البرد فجعل يضرب قدميه المتجمدتين في الأرض

ويصفق يديه ويضرب بهما جانبيه وهو يحاول عبثاً

التغلب على الصقيع . ونظراً لأنه كان رئيس الفرقة

فلم يمكن الإقناع ولا التهديد أن يحوله عن رأيه :

« أهون على أن نموت وأن تجمد دماؤنا من أن

تقترب لهم إحراق شارة المسيح المقدسة ! »

وساد الصمت تلك الجماعة المذبذبة التي كادت

تتجمد . كانوا مكدسين ناكسي الرؤوس حول

الرماد البارد ، عدو إلى جانب عدو يقاسون ويتعذبون

بعد أن فشلت كل محاولة — ولكنهم بعد رجال

والله موجود عليم بأهوال ليل الشتاء !

وكان فاسيل قد انتحى جانباً ورقد معتمداً

رأسه فوق الصليب الذي بذل جهداً عظيماً في حمله

من مسافة بعيدة . ونفر عنه النوم فأخذ يفكر في مشا كل الحياة بالرغم من أن البرد قد خدر مداركه التي لم تكن قط بهذه الحدة

لماذا الحرب؟ لماذا تتعذب ونقاصى البرد ونضجى بينا العيش خفض — لماذا؟ لماذا؟ لماذا اجتوتنا رحمة السماء؟ لماذا الرموز والخرافات والمصيبات التي ليس لها معنى واضح ولا منفعة حقيقية؟ لماذا العداء بين الأمم؟ لماذا الموت والفظائع من كل نوع؟ لماذا؟ لماذا؟

وزجرت الريح حوله ، وكان من آن لآخر يرفع يده وقد تحجرت من البرد ليمسح الحاج من على عينيه

لماذا يتعاقب الشتاء والصيف؟ لماذا البعد والحنين والأمور التي تذهب ولا تعود؟ لماذا؟ لماذا؟ لم يستطع فاسيل أن يفهم

ونصب جسمه حتى قعد ؛ لماذا الليل حالك الظلمة؟ ما معنى كل ذلك؟

آه ! هنالك ، كان يلوح ضوء خافت؟ هل الفجر أقبل؟ هل تلك الليلة القاتلة أوشكت على الانتهاء؟ راقب فاسيل بانتباه ذلك الضوء الذي خيل إليه أنه يراه إلى اليمين على البعد (هل هو الفجر؟ هل أتى أخيراً؟ لكنه لم ينتشر ، بل أخذ يتحرك) أجل كان يتحرك ! كان يقترب . . . كان يتجه نحوه !

ولما أشرق الصباح وحاول فاسيل أن يقص ما قد رأى ، كان من الصعب على الآخرين أن يصدقوا قصته تصديقاً تاماً؛ بيد أن هؤلاء الآخرين كانوا ناعمين وكان فاسيل وحده مستيقظاً ! لكن هكذا شأن الانسان : لا يصدق إلا بالعيان ...

أما الذي رآه فاسيل فكان صورة آتية في ثبات نحوه على الثلج ، صورة ناصعة ملتفة في غلالة من النور . وكانت الصورة هي النور نفسه ، وكانت من شدة البهاء والإشراق بحيث لم يدر فاسيل لم لم توقظ الآخرين من نومهم

وتخلف في أعقاب الصورة أثر طويل من الضياء طريق من الجلال عليه آثار أقدام مقدسة ... فهو يسوع الذي كان مقبلاً نحوه فاسيل ...

أتى من جوف الليل . كانت صورته من الروعة والجلال بحيث تهالك فاسيل على ركبتيه يمزق قلنسوته من فوق رأسه وتشديداه الخدرتان إحداها الأخرى لقد نسي أوصابه وعذابه ، نسي الشكوك والأسئلة التي ساورتها وبهتت نفسه . وجعل ينظر خلال الظلمة ، وامتلاً كيانه بذهول لا يوصف فقد كان رجل النور قادماً نحوه ، نحو فاسيل الجندي الذي سرق صليب الموتى !

لكن ما هذا الذي كان يحمله يسوع على كتفيه؟ هذا الشيء الأسود الثقيل الضخم إنه صليبه ! حتى المسيح يحمل صليبه؟ لماذا؟ لماذا؟ ...

كم يسير بخفة فوق الحاج ، والصليب على كتفيه يبدو كأنه بغير وزن ، مع أن كتفى فاسيل ما زالوا تحسان الثقل الذي آذاها

لم تقف الصورة المضيئة أمام الجندي الشاب وإنما صرت بعينيه ومضة خاطفة من الرحمة الملائكية واجتاز المسيح في تودة البقعة التي كان فاسيل راكماً فيها ويم شطر حلقة الجنود الناعمين فخطا بينهم . ورأى فاسيل بعيني رأسه ، رأى المسيح يلقى صليبه على الجرات فيندلع منها شواظ رائع أخذ

أنت الأمرى ذوى الوجوه الشاحبة كان يبرق
في عيونهم إحساس غريب أشبه بالفرح ...
وصاح سكرتو ينادى فاسيل بصوت فيه تهديد
ووعيد : هل خالف أوامرهم ؟ هل أحرق الصليب
بينما كان رئيسه نائماً ؟

ولكن ، لا ! هنالك الصليب راقداً أشبه بميت
مبسوط الذراعين ، وإلى جانبه جثا فاسيل على الثلج
مشبك الذراعين ، يحرق في الشمس الطالمة ...
فرسم سكرتو علامة الصليب

ثم هتف : « فاسيل ! فاسيل ! ماذا ترى في وجه
الشمس ؟ »

فأجبه إليه فاسيل ، كان في عينيه ضياء عجيب ،
لكنه لم يجب ، ولم يعرف سكرتو أية رؤيا كان فاسيل
يتبعها نظره وهو يحرق في وجه الشمس الطالمة .

سحر حسين سحر

يا كل جوانب الصليب حتى صار الصليب نفسه شعلة
هاثلة من النور !

لقد جاء المسيح بصليبه ، جاء به ليوقد منه ناراً
لكيلا يهلك من البرد حماة الوطن البواسل !

ولم يذكر فاسيل بما حصل بعد ذلك إلا قليلاً
فقد زحف على ركبتيه نحو الشعلة المقدسة ... وسقط
منشياً عليه بجانب الشواظ المنقذ ...

تبلى الصباح واستيقظ النائمون واحداً بعد
الآخر . يا للعجب ! إن الجمرات التي كانت في أول
الليل خامدة باردة غدت الآن حمراء حامية يشع منها
وهج مبارك ، وهج من الشدة وقوة الإنماش بحيث
لم يعد برد الشتاء سوى طيف خفيف أدبر وولى

أخذ كل رجل يشوب تدريجياً من دولة الأحلام
وهو يشعر أن شيئاً عجيباً قد حدث ، فقد كان جسمه
دافئاً وروحه تفيض بجذل لم يستطع تفسيره . حتى

المجموعة الاولى للرواية ١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
العصر لموسيه ، والأديسة لوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

نباع مجموعات الرسالة مجلدة بالثمانية الاثني

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

ثم أصلحت له سترته
وتناولت وجهه بين يديها
وطبعت على فمه قبلة وقالت :
— تستطيع الآن أن

تخرج

بيد أن «كاملاً» لم يخرج
بل تناول زوجه بين ذراعيه
وضمها إلى صدره بحنان عظيم

الذكرى الثالثة

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ م. عَبْدُ الْفَادِرِ الْمَارِئِي

— هل تؤمن بالشياطين يا كامل ؟

فنحى كامل الصحيفة عن وجهه ودقق النظر
قليلاً في وجه زوجه ثم ابتسم وعاد يطالع في الصحيفة
دون أن ينطق بلفظ

فانتظت تحية من صمته وحدجته بنظرة فاحصة
ثم قالت بحدة :

— إن لي ساعة أتكلم فيها وأطرق شتى
الموضوعات وأنت ساكت لا تكلف نفسك غير
الابتسام فإذا دهاك ... هل قطع لسانك ؟

فلم يفه كامل بكلمة أيضاً بل راح يتابع قراءته
في صمت وسكون . فانتفضت تحية واقفة واختطففت
الصحيفة من يده وهي تقول :

— يجب أن تعرف أن من أبسط قواعد اللياقة
أن ترد على محدثك

فتجههم وجه كامل ثم نهض واختطف طربوشه
من فوق المنضدة وهم بالخروج ، فأسرعت إليه تحية
وأمسكت يده وبسمت في وجهه وهي تقول :

— هل أغضبتك يا كامل ؟

ثم قال بعد أن رد لها قبلتها

— هل يروق لك أن تشاهدى السينما اليوم ..
فابتسمت تحية وقالت :

— إنى لا أرفض لك طلباً يا كامل
ليس يغضبني أن تأمرني يا كامل فأنت رجلى
و ... حياتى

فابتسم كامل بإشراق وقال :

— يحببني فيك يا تحية لباقتك وجمال ألفاظك .
فازدادت به تحية التصاقاً وقالت :

— لقد أسعدتني يا كامل وصنعت كل ما يرضيني
ويقر عيني ، وكنت دائماً مثال الرجل الكامل
والزوج المطوف . ولقد استطعت أن تفتح ذلك
الصندوق المغلق وتتمتع بما فيه ، فحبي لك يا كامل
هو صدى عطفك ورعايتك ، وهو صدى حنانك
وحديثك عليّ فأنت صاحب الفضل ...

ثم ألقت برأسها إلى الخلف في تدلل وعطفت
تقول :

— والمرأة يسعدنا في الحياة شيئان :

— أنت تكثرين اليوم من الحديث عن الشياطين

فماذا هناك . . . هل صادقت شيطاناً . . . ؟

— ربما . . .

ثم أفلتت من بين ذراعيه برشاقة وخفة ،

وركضت إلى مخدعها . . . فتابعها كامل بنظراته حتى

اختفت . . . ثم ابتسم في نفسه ابتسامة الرضى

والشكر !

وقف كامل قبالة النافذة يتسلى بالنظر إلى الطريق

حتى تعود زوجته

وطالت وقفته ولم تعد « تحية » ولم يكن من

عاداتها الإبطاء أو التلكؤ فخطر له أن يستحسها تخف

إليها وهو ينادى ويتصنع الغضب :

— تحية . . . ألا تنوين الخروج . . . ما هذا

الإبطاء ؟

ولم يكذباً باب الحجرة حتى وقف مشدوهاً ..

كانت تحية واقفة وسط الحجرة وفي يدها ورقة

تقرأ فيها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة .

وكانت مصفرة الوجه بادية الإعياء ، تتطلع بين كل

لحظة وأخرى إلى فراشها الذى رقد فيه طفل حديث

الولادة

واستطاع كامل أن يتكلم فقال :

— ما هذا ؟

فأفادت تحية على صوته والتفت إليه ببطء

وأطالت النظر في وجهه ثم حولت وجهها عنه فلم

يطلق كامل صيراً فماد يسأل باهفة :

— قلت ما هذا . . .

قلب الرجل ورعايته . . .

وقد فزت بهما معاً . . . فماذا أطلب بعد ذلك ؟

فأنحني عليها كامل وقبلها ثم قال :

— تطلبين يا تحية أن يديم الله بيننا الحب

والوفاق ؟

فتشبثت به كطفلة وقالت :

— نعم يا كامل . . . هذا ما أطلبه دائماً

فاشدد كامل في احتضانها وقال وهو يلثم قفاها :

— إني سعيد

فقلت تحية على الفور :

— ليس أسعد منى . . . ولكن . . .

فسألها كامل بلهفة :

— ولكن ماذا يا تحية . . .

فتطلعت تحية إلى عينيها ، وأطالت فيهما النظر.

ثم قالت :

« لست أدري يا كامل ، ولكنى واجفة القلب

ونفسي تحدثنى . . . ولكن لا . . . إنه الشيطان

الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . . . ولكنه

شيطان بارع ، فقد استطاع أن يدخل فى روع تحية

وهى التى لا تؤمن بكلام الشياطين بأننا نحن

الشياطين . . . »

فضحك كامل وقال :

— وهم ؟

فقلت « تحية » وهى تضحك :

— ملائكة يا حبيبى !

فقال كامل :

فقلت تحية دون أن تنظر إليه :

— ابنك

نخطأ إليها وهو يقول بجزع :

— ابني ... مستحيل

فارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وقالت :

— هل عودتك تحية الكذب ؟

— لا ولكن مستحيل أن يكون هذا ابني ...

من أين جاء ؟

— إنه هدية نخذ واقرأ

ودفعت إليه بالورقة التي كانت في يدها وأسرعت بالخروج من الحجرة، فنشر كامل الرسالة وراح يقرأ :
سيدى :

إن هذه مفاجأة لم تخطر لك على بال؛ ولعلها الأولى من نوعها ... وهى أيضاً جرأة، أو إن شئت فقل إنها مغامرة جريئة . وأصبح من هذا وذاك فهو عدل وإنصاف، وقد تدعوه انتقاماً ولكنه انتقام فيه رحمة ... قد تخسر بسببه كثيراً وقد لا تخسر شيئاً والواقع أنك ستكسب ابناً ...

ولا أظن أنه يزعمك كثيراً يا سيدى أن تنظر فى وجه ابنك فإنه يشبهك كثيراً بل هو صورة طبق الأصل منك .

سيدى : اسمح لى أن أعيد على مسامحك بعض ما تعرف أو بعض ما تناسيته وتجاهلته . ولست ألوّمك، وكنت لا أحب إزعاجك ولكن الظروف القاسية والأيام المصيبة هى التى أوحى إلى بهذا الذى صنعت ، وهى التى اضطرتنى أن أبعث إليك بطفلك وتمرّة جرى وجرمك فى سكون وسلام .

واسمح لى ياسيدى أيضاً أن أرتد إلى الماضى قليلاً لأنشر أمامك بعضه فقد تلتمس لى العذر كما التمسته لك، وقد تشفق علىّ كما أشفتك عليك وعملت على إخفاء سرّك وتلافى ما قد ينتج من الكشف عنه وإذاعته . نشأت فقيرة، ولم يكن الفقر يضيرنى فقد كنت غنية بكرامتى وشرفى . ولقد انحدرت من سلالة كريمة أتى الفقر عليها ، واستطعت فى حياة أبى أن أنال قسطاً من التعليم ، ولكن الأيام قست على بعد موته، والأيام أكثر قسوة على الفقير، فالحاجة ذلة والخصاصة ضربة . ولما اشتد بى السغب لم يكن بد من العمل لكسب قوتى وقوت أُمى المريضة، فالتمت طرق العمل فسدت فى وجهى منافذه ... ثم ساقتنى الأقدار إليك فأشبعتنى بعد جوع وخلعت على رداء عطفك وكرمك فتوردت بعد اصفرار ، وأحسست الحياة تدب فى جسمى مرة أخرى ؛ فلعلت إذ ذاك الفقر وما يجره على الناس من شرور .

واستطبت الحياة فى بيتك . وكانت زوجك ، عافاها الله ، دأمة الرعاية لى والمطف علىّ . وكانت كريمة فى معاملتى فلم أشهد منها قسوة ، ولم أسمع منها كلمة نائية، فحفظت لها الجميل وشكرتها فى نفسى وتفانيت فى خدمتها ورعايتها . وكنت فى كل يوم أشهد منك ضرباً جديداً من ضروب الرعاية ولونا جديداً من ألوان المطف والحنان فاستطعت أن أشعر أُنّى فى بيتى وبين أهلى ، وتيقظ قلبى فأحببتكما ، وأخلصت لكما .

وفى يوم سافرت سيدتى إلى الأسكندرية لتعود أُمها المريضة وكان قلبى كان يحدثنى بما سيحدث لى

إليك ورأيت أن خير طريقة هي أن أهدى إليك
طفلك تفعل به ما تشاء

(فاعتزمت التسلل إلى بيتكم وفي غفلة منكم
أدخل من باب الخدم وأترك لكم الطفل)

فتستطيع يا سيدي أن تعلن بنوته وتسهر عليه
وترعاه فهو ولدك وأحق برعايتك وعطفك ، وليس
دخيلاً عليك كما قد تتوهم لأول وهلة ، وتستطيع
كذلك أن ترسله إلى ملجأ أو إلى الجحيم فليست
أبالي ولن أكون أكثر عطفاً عليه منك

ولقد تحملت يا سيدي نصف الجرم فتحمل
أنت نصفه الآخر . تحمل مسؤولية عمك وادفع
ثمن جرمك واحمد الله على الستر

وحسبي أني فقدت مكاني في الهيئة الاجتماعية
كفتاة شريفة؛ وحسبي كذلك أني سأقضي حياتي
الباقية محرومة مما حله الله فليست أعرف رجلاً
يطبق امرأة فسدت ، فالرجال يا سيدي لا يفتفرون
جرم المرأة ولا يسمعون لإصلاح ما أفسدوا ؛ ولن
أصلح أنا الكون أو أغير شيئاً في طبيعة البشر
فحسبي هذا ...

ولست أستطيع أن أسى لرزقي ومي طفلي
وقد لا تقبل سيدي أو تستكثر على نفسها أن
تبنى ابن خادمة ولكنه ابنك أيضاً . فابذل يا سيدي
المستحيل في سبيل إقناعها ودعها تبنيها ، ولا تحرم
هذا الطفل البريء من أبويه معاً ، ويكفي أني حرمته .
وليس لهذا الطفل الذي جئنا به إلى الدنيا من ذنب ،
فلا تقض عليه باليتم والتشرد وكن حكيماً يغفر الله لك
وادع لي يا سيدي بالرحمة فما أشد حاجتي إليها

فقد فكرت في السفر إلى بلدي لأقضي مع أهلي
المدة التي تقضيها سيدي في سفرها ولكنك تشبثت بي
والححت عليّ في البقاء وازددت رعاية لي وعطفاً عليّ
فرأيت إرضاء لك أن أظل في خدمتك حتى تعود
زوجك ...

وفي اليوم الموعد أو في يوم الجريمة كما أحب
أن أسميه عدت إلى بيتك متأخراً ، وكنت ثملاً ...
فاشتهيت امرأة ولم تجد أمامك غيري ، فتفرت منك
وحذرتك العاقبة ، ولكنك لم تستمع لي . والواقع
يا سيدي كنت كأنك تضرب في قلعة محطمة لا تقوى
على المقاومة . لم أكن محصنة يا سيدي فسرت مني
في لحظة أعز ما أملك وأثمن ما كنت أتحملي به

وراحت السكره مع الصباح

وهالك ما صنعت

وكنت أنتظر أن تشفق عليّ وتنظر في أمري
بحكمة وتمقل ، ولكنك تسرعت فبادرت بطردى
من البيت في غير شفقة ولا رحمة ولا حتى ترضية ،
فقد كان كل همك أن تبعد عن نفسك ذلك
الكابوس الذي يحجم على صدرك ويضيق أنفاسك
وعلى الرغم مما حل بي كنت أتشبث بالشرف
الضائع والكرامة المهيضة والعزة المفقودة فرحت
أكافح في الحياة وأتستر على نفسي جهد الطاقة حتى
أذن لي الله فوضعت

ولقد حرت في أمري بعد هذا يا سيدي . أين
أجني طفلي ... وكيف أربيّه إذا استطعت أن أخفيه
وأنا الفقيرة المدممة ، ولم أجد وسيلة غير الالتجاء

وسامحني فوالله ما أردت بك شرآ ولا رمت انتقاماً وإنما هو الفقر وهي الحاجة ثم هي الحكمة التي تقضى بذلك خادمته (بسيمة)

انتهى كامل من تلاوة الرسالة فطواها ثم عاد فنشرها أمام عينيه مرة أخرى وراح يقرأها بشيء من القأنى حتى إذا أتى على آخرها تقدم من الفراش بخطى متثددة وكانت تلوح على وجهه آيات الجزع والمرارة ، ولم يستطع أن يطيل النظر في وجه ابنه الذي علا بكأؤه في تلك اللحظة فدار كامل على عقبه بسرعة وهم بالخروج من الحجرة ؛ فإذا بتحية تدخل وهي تقول :

— ألم تسمع بكاء الطفل ؟

ثم تقدمت من الفراش وحملت الطفل وأسرعت بالخروج فهالك كامل على مقعد وغاب في لجة الفكر لقد كانت حقاً مفاجأة لم تخطر له في بال ، بل لم يكن يظن قط أن هذه الخادم الريفية التي كشفت عن نفسها بوضوح في هذه الرسالة تستطيع أن تدرك كل هذا وتستطيع أن تطمنه هذه الطمننة التي أصابته في الصميم

إنه أجرم ... هو لا ينكر هذا ... الآن على الأقل . ولكن هناك ما يقلقه أكثر من كل هذا فإنه يستطيع أن يتخلص من هذا الابن بأية وسيلة . نعم ... هذا مستطاع ... وإنما زوجه ... هو يخشى أن يفقدها . وليس من شك عنده في أنه فقد ثقته به . ولكن ... هل يمكن أن تغتفر له ... ؟ هذا مستحيل . فالمرأة تغتفر للرجل كل شيء وتنسى له كل إساءة ... إلا الخيانة

بيد أنه لم يخنها ، فقد كان ثملاً وحدث ما حدث في ساعة كان فيها في غيبوبة لا يبى ما يصنع ولا يستطيع أن يتمالك زمام نفسه ... ولكنها غدت خيانة في نظر زوجه - سواء أ كانت عمداً وبقصد ، أم سهواً وبلا سابق تدبير - فالجرم في الحادثة وإن اختلفت طرق إتيانه واحد . ولن يشفع له سكره أمام امرأته فهو جرم آخر طالما ردت عنه ...

وأحس كامل بالدماء تغلى في عروقه فنهض عن كرسيه وخرج من الحجرة وهو مطأطئ الرأس ، يتعثر في مشيئته تعثر الملتاث

ودخل حجرة الاستقبال فالتقى زوجه جالسة والطفل على ركبتيها يغط في نوم عميق . وكانت تحية هادئة هدوءاً عجيباً ؛ ولم يكن يظهر على وجهها ما يشى بما في نفسها . وكان سكونها هذا يزيد في اضطراب كامل . فلو أنها ثارت وأرعدت وتوعدت لاستطاع أن ينفس عن نفسه بعض ما تمنى وقد يسعفه الخيال بما يهدى من تأثرتها ، ثم إنه شهد ما أذهله ، فلو كانت غيرها لحاولت قتل هذا الطفل بدلاً من الحنو عليه ونهنته . ولقد كان يعتقد أنه يفهم زوجه جيداً . أما الآن فإنه لم يعد يفهم شيئاً من تصرفاتها ...

— فما هذا يا تحية ؟

نطق كامل بهذه الكلمات دون وعى فنظرت إليه تحية نظرة هادئة ثم قالت بعد لحظة :

— ماذا ... هل كلمتني ؟

فاضطرب كامل وهو يقول :

— كنت أظنك ستقذفين بهذا الطفل من

النافذة ...

— إني مسرورة إذ ألحظ على وجهك دلائل
الحجل، ومذهولة إذ أشهد في عينيك آيات الغضب.
تري أينما أحق بالغضب ... ومع ذلك لماذا نتحدث
في هذا ، فلتغضب ولتخرج عيناك فإذا بهم ...
هل تظن أن لك في نفسى تلك المسكنة القديمة ...
وهل تحسب أنى إذ أراك تغضب أنهم بأمرك كما
كنت أفعل قبلاً ...؟ لا يا كامل ، لقد انتهى كل
شيء ولست آسفة ، فوالله لا آسف على فراق من
يخوننى ويعيث بكرامتى
فهتف كامل دون وعى :
— تحية ...

— مالك مدهولاً ... ألم تتوقع ذلك ... هل
زين لك عقلك أنى أقنع بمخادع ... برجل غادر
ماتت في نفسه الفضيلة ... هل تظن ذلك ...؟
ليس هاهنا مكانى يا كامل ولكن هاهنا مكان تلك
الخدام التى استهوتك فاستعصت بها عن زوجك ...
هنا مكان بسيمة تلك الفتاة التى شردها وكانت فى
خدمتك وفى كنفك وتحت رعايتك ... تلك التى
قضيت عليها بالموت وقذفت بها إلى الشارع ...
اذهب إليها وادعها لبيتك
وكأنما وخز كامل بسكين فوقف وهو يصيح :

— أتزوج بسيمة ...

فقاطعتة تحية بقولها :

— وما الذى يمنعك ... هل تأنف من تزوجها
الآن ... ولماذا لم تأنف من القضاء عليها ... لماذا
لم ترفع عن مجرد النظر إليها والتفكير فيها ؟
فقال كامل بإعياء :

فتأملت تحية فى زوجها برهة ثم قالت :
— أقذف به من النافذة ... وما الداعى ...
ما ذنب طفل برىء لا حول له ولا قوة ... وما الذى
يزعجنى منه حتى أقدم على هذا العمل ... ؟
فتطلع كامل إليها باستغراب وقال :
— لست أفهمك يا تحية
فابتسمت تحية بمرارة وقالت :
— وهل من الضرورى أن تفهمنى ...
ألا يحسن أن تسكت ... ألا تحجل يا كامل ...
كيف تتكلم ... وبأى وجه ... ونهدت نهدة
عميقة ثم استطردت :

— لقد فنيت فى حبك يا كامل وأخلصت لك
فماذا كانت النتيجة ... وبماذا جازيتنى ... مالك
ساكتا ... سأقول لك ... قابلات حبي وإخلاصى
لك بهذا الجرم وجازيتنى بالخيانة ووصمتنى بالعار
وهبطت بى إلى الحضيض ... كان هذا جزائى وكم
وودت لو مت قبل أن أشهد هذه الخاتمة
ويا ليتها كانت فتاة لها مكانة ... أية مكانة ...
إذن لالتصت لك العذر .. ولكنها خادم .. ما أكبر
الفرق بين كامل الذى عرفته وكامل الذى أعرفه
الآن ...

فانتفض كامل واقفاً وقال :

— تحية ... أرجوك

فقال تحية بغضب :

— اسكت

فانحط كامل على كرسية وقد اتقد وجهه .
وعطفت تحية تقول :

النافذة . هذه هي الرحمة كما تفهمها وهكذا تستطيع أن تقدر الأشياء .

فرجع كامل إلى مقعده ، وتهالك عليه دون أن ينطق بلفظ . فقد أخرجته زوجه حتى أنه لم يستطع المقاومة ، أو حتى الدفاع عن نفسه دفاعاً مشرفاً ، وهو المحامي اللبق .

لقد أخذ على غرة منه ، ولكنه لا يستطيع أن يسكت ؛ فالمقاومة واجبة . ولكن ما الفائدة ؟ إنه لو فعل ذلك يفقد زوجه ، وهو أحرص ما يكون عليها ! ... إذن ! فوسيلته الوحيدة هي الاعتذار ، وهو يعلم جيداً أن تحية طيبة القلب رقيقة المشاعر ؛ وليس من شك في أنها ستصفح إذا أحسن الاعتذار ورفع رأسه ، وتحول بأنظاره إلى زوجه فألقاها . تدقق فيه النظر . فتصاعد الدم إلى رأسه ، وسرت البرودة في مفاصله ، واهتز قليلاً وهو يقول :

— لو كنت شربت دناً من الخمر لما شعرت بما أشعر به الآن !

فأخفت تحية ابتسامة كادت ترسم على شفيتها وهمت بالكلام ، ولكن كاملاً سبقها إليه فقال :

— إنى أقدر شعورك يا تحية وأستطيع كذلك أن أقدر مبلغ ما سيبته لك من الألم . ولست ألوئك على ما قلت لي فإنه صدى هذا الألم ورد فعل ما فوجئت به وكانت تحية تستمع إليه في سكون ، فاستطرد كامل وقد اطمانت نفسه قليلاً :

— لقد أجمرت يا تحية وصنعت ما سيظل وصمة في جبيني إلى الأبد ، ولكنه جرم لم يسبقه تفكير ولم أتعده . ولقد عاشت هذه الخادمة بيننا شهوراً

— أقسم لك يا تحية أنى لم أخنك ولم أفكر قط في خداعك ... أنت تعرفين ذلك

— إنى لا أتحدث الآن عن الخيانة والخداع فقد فرغت منهما ولا تتوقع منى يا كامل أن أثق بكلامك فقد ضاعت هذه الثقة وتلاشت

إنى أراك لأول مرة وإنى أتأمل في هذا الرجل الذى استطاع أن يخدعنى عاماً كاملاً ... لقد غررت بي وكذبت علىّ ولست أستطيع أن تعاود هذا مرة أخرى فأنا الآن مبصرة وإنى سعيدة بما تكشفته فيك ... وهى أيضاً تجربة .

وكان كامل ما يزال واقفاً فاقرب من زوجه وهو يقول :

— إسمى يا تحية ... لقد قلت ما فيه الكفاية ويكفينى الآن تبكيت ضميرى فلا تزيد فى آلامى . فنظرت إليه تحية باستغراب وقالت :

— ضميرك ... أين هو ... أين كان وقت الجريمة ولماذا لم يكتك ساعة الخيانة وفى ساعات الكذب والنفاق ... أين هذا الضمير الذى تتحدث عنه ... لا يا كامل ... أنت واهم فليس لك ضمير — أرجوك يا تحية أن تكفى فإنى لا أتحمل زيادة — أنت لا تتحمل الكلام فإذا أقول أنا ..

وماذا تقول تلك الضحية المسكينة ... تلك الفتاة المشردة ... كيف احتملت هى الجريمة ... هل عنيت بها ... هل فكرت فى مساعدتها والأخذ بيدها حتى تستطيع أن تنهض على قدميها مرة أخرى وتواجه الحياة من جديد ... لم تفكر فى شيء من هذا وكان أول ما فكرت فيه أن تقذف بالطفل « بابنك » من

— قلت ذلك أنا أيضاً ولكنى لما خرجت إلى الحياة عرفت أن المرأة سر غواية الرجل — يا سلام !

— نعم ... هذا حق لا سبيل إلى الجدل فيه — وكنت أستثنى من هذا الحكم بعض الرجال ، ولكنى شهدت ممن ظننتهم ملائكة ورسل هداية وفضيلة ما لا كنت أستطيع أن أشهده من شيطان ...

وسكنت لحظة عادت بعدها تقول :

— لست أنكر يا كامل أنك أسعدتني وقد قلت لك ذلك من ساعة ، ولست أنكر أنى أحببتك ... ولكنك أضعت يا كامل فى لحظة ما ادخرته فى عام ، وهدمت ما بنيت فى عام الخطوبة وعام الزواج ، بل خلعت شجرة الحب التى كانت آخذة فى النمو والتفرع من جذورها ... نعم ... قضيت على هذا الحب الذى كان مفخرتى ومفخرتك

وكنت أحب أن أنصفك كما طلبت منى منذ لحظة ، وكنت أود أن ألتص لك العذر ؛ ولكن كيف أستطيع ذلك ... إنى آسفة يا كامل إذ أقول لك إنى لا أحس نحوك الآن بحب ، ولكنى لست أكرهك ولست ألعنك . وكنت أحب أن أنسى لك هذه الخطيئة ولكن قلبى يقف حائلاً بينى وبينك . إنى أصرحك بكل هذا لأنى لا أحب الخداع وأربأ بنفسى عن الخداع والغش . وكنت أستطيع أن أخدعك وألعب بك كما يلعب الطفل بالكرة ، وأظنك تدرك أن المرأة إذا قصدت التفرير ، وإذا شاءت الانتقام

(٣)

عديدة فلم تستهونى مرة ولم تخطر لى على بال ، ولكنه الظرف السيئ ... وحكمة القدر . بل هذا ما قدره الله لى وما كتبه على جبينى قبل أن أولد وأخرج إلى الحياة . الأقدار هى التى تسيرنا يا تحية وما نحن إلا دمي تتحرك فى الاتجاه الذى تريده لنا وترسمه لخطواتنا . ولو استطعنا أن ندفع عن أنفسنا الشرور لفعلنا ، ولكننا لا نفكر فى دفعها عنا إلا بعد أن نحترق بنارها ونتلظى فى سعيها لأننا ضعفاء وإن أغرقتنا القوة التى نتوهمها فى أنفسنا . ولو تأملنا قليلاً لأدركنا أنها قوة الشيطان الذى يركبنا فيسوقنا إلى الضلال

فقلت تحية :

— إنى لا أستسيغ هذه الفلسفة ودعنى بربك من الأقدار التى يعتذر بها كل من تركبه الغواية . إنى لا أنكر يد القدر فقد جمعتنى بك — تحية ... كوني منصفة

فمادت تحية تقول :

— لما كنت فى المدرسة سمعت مرة مدرسة تقول : لا أمان للرجل ... فاحذرنه فقال كامل :

— وسمعت أنا مثل هذا القول عن المرأة ... فى المدرسة أيضاً

فقلت تحية تكمل كلامها :

— وقلت لنفسى يومئذ ... لاحق لهذه المدرسة أن تقول هذا وقلت لعلها مخطئة أو لعل حادثاً ما أحفظ قلبها على الرجل

— ليس يعنيني حبك الآن يا كامل فجنبي
إن شئت ، واكرهني إن شئت ، بل اصنع ما تجده
خيراً لك وما قد يعوضك عن حبي وعن قلبي .
وحب غيري إذا أردت فلن ألومك ولن أحقد
عليك . وابحث عن قلب آخر يحنو عليك ويسعدك
ولكن ، لئن فقدت في زوجك حبها وقلبها فلن
تفقد رعايتها وعطفها .

كانت الصدمة شديدة الوقع على نفسي وعلى قلبي
فلا تستغرب أن يحدث هذا كله . ليست لي تجارب
في الحياة ولم أحب غيرك . ولو كان الأمر على عكس
ذلك لخفت على نفسي الصدمة ولكني كنت فتاة
غريبة ساذجة وضعت أمل فيك وكرست حياتي
لك ورضت نفسي على حبك والوفاء لك . . . كنت
مجنونة بك تائهة في خضم عاطفتي لا يعلاً قلبي
سوى حبك ولا يخطر ببالى سواك ، ورسمت لك في
نفسي صورة تغاير صور البشر ورعيتك بكل
ما أستطيع أن أراك به ووهبتك كل ما تستطيع
امرأة أن تهبه لرجل ووضعت فيك ثقتي . . . كانت
هذه سيرتي معك فهل تستغرب بعد الذي حدث
إذا تلاشت كل هذه الصور وانتسخت العاطفة
وحدث الصد

قد أعود فأحبك وقد لا أحبك أبداً

فوقف كامل واقترب من زوجته وقال :

— إني في حاجة إلى العطف يا تحية ، ولو كنت
تحسين ما أعانيه من آلام لأشفقت على بل لأحجمت
عن كل ما قلت . . . إني أمل يا تحية في المستقبل ،

لا يستطيع أى رجل على وجه الأرض أن يقف
أمامها أو يسد عليها طريقها . كنت أستطيع الانتقام
منك يا كامل ، وكان يسهل على أن أغشك وأخذعك
وأسود عيشك ، وأقلب سعادتك جحماً ، وأريك
قرص الشمس في حلقة الظلام ، ولكني أحببتك
يوماً ، وسعدت بقربك زمناً ، ولم تصنع معي في طول
تلك المدة التي قضيتها معك ما أنكره فيك .

كنت نعم الزوج ونعم الرفيق ، ومثال الرجل
الكامل — ولو كان على غش — فأنا أحفظ لك
الجميل الذي أحب أن أردده لك في ساعة بأسك حتى
لا أكون مدينة لك بشيء .

لقد انحدرت يا كامل من سلالة طيبة وتأصل
في عائلتي الكرم وامتزجت بنفوسهم الطيبة وامتلات
قلوبهم بشتى العواطف السامية النبيلة ولست أحب
أن أخرج على عائلتي في هذا وأشد عنهم في حب
الفضيلة والخير .

وستكون حياتي معك يا كامل حياة امرأة
تجد في ذكرى حبها سلوى لها وبلسا لجراحها وتجد
في رعاية طفل زوجها إيفاء لدين عليها — في عنقها —
وكثير من الناس يسعدهم قدرتهم على رد الجميل
في وقت الشدة والبأس وأنا منهم .

وكان كامل يعجب من هذا الحديث الطويل
ولم يشأ أن يقاطع امرأته ويسد عليها طريق الفضفضة .
فلما سكنت وطالت فترة الصمت بينهما لم يجد مفرأ
من الكلام فقال :

— هل تشكين في حبي لك يا تحية ؟

أن يكون كاملاً ... ليس في كمال أييه ولكن من
ضرب آخر سادله عليه وأرشدته إليه، وسأبث في نفسه
نزعة أمه، وأقصد نفسي فقد صرت أمه

تعال يا كامل وقبل ولدك .. وأقسم لهذا الملاك
بأنك ستجعل نفسك وحياتك لخدمته وتربيته

فقام كامل وانحنى على الطفل وطبع على جبينه
قبلة أبوة تفيض بالمطف والحنان. ثم لما هم بالارتداد
عنه قالت تحية :

— خذ أيضاً قبلة أمه ... منه

فابتسم كامل وأطاع .

م . عبد القادر المازني

وآمل في استطاعتي التكفير عن خطيئتي وسأكون
لك كما تحبين وترضين .

— أستطيع أن أفهم هذا ولكن ليس الآن ...

المستقبل بيننا يا كامل ، ولن أقاوم نفسي في حبك
إذا كان لحبي لك رجعة .

وسكتت برهة ثم قالت :

— سأبنى هذا الطفل وسأرعاها ؛ وسيكون

كولدي وفلة كبدى . ولست أريد من هذا تبكيتك

أو تذكريك بجريمتك دائماً فليست هذه طريقي

ولكنه سيكون لي أنا الذكري الخالدة ... ذكري

خيانة زوجي لي

فجلس كامل وهو يقول :

— ما أطيبك يا تحية وما أكرمك

— لست أعد هذا كرمًا وليس هو من الطيبة

في شيء، ولكن الحكمة كما قالت بسيمة تقضى بذلك.

ثم إنى أريد من هذا الطريق أن أفي لك بوعدى ..

هذا كل ما هنالك

فقفز كامل وهو يقول :

— دعيني أقبلك يا تحية

فأشارت إليه بيدها وهي تقول :

— لست أحب قبلاتك الآن يا كامل فاحفظها

لولدك ... وبهذه المناسبة ماذا نسميه ؟

— نعم ... ماذا نسميه ... فهمى ... على ...

أى اسم

فقال تحية :

— إنى لا أتنازل عن تسميته بكامل، فإني أريد

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عاجل النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يغني القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً
وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

وثنائه ١٢ قرشاً خلافاً لأجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

وكانت تعمل نفسها بذلك .
ولكن لما انقضى العام بعد العام
وكاد يجف عودها ولم يثمر
دب في نفسها ديب اليأس
وظلت في وحدتها تعاني ألماً
الحفي . وكانت في بعض الأحيان
تأنس بالوحدة لتستمتع بلذة
هذا الألم . ولكنها في أحيان

أخرى تهرب إلى الضجيج والزحام من آلام الوحدة
وكان ملجؤها الأول في الحالات الأخيرة في الحفلات
الراقصة فيها لا يسمع القلب مناجاة نفسه

وكان زوجها يسر من مرافقتها إلى تلك الحفلات
لأنه يحب أن يراها سعيدة . وكانت تقدر له هذا
الشعور نحوها وتتمنى له لو تستطيع أن تخلي له قلبها
من كل حب لولا أن حب السسل كان مائلاً فراغ
هذا القلب .

والأطفال إن لم يوجدوا فهم معان . ولا بد لتعلق
القلب أن يكون بشيء ملموس . ولا بد لكل إنسان
من تعليق قلبه بإنسان أو بشيء آخر . ولكن «لينا»
كانت ترى من حولها من الرجال بلداء وما يحيط بها
من الأشياء لا يطاق . فبعد أن جالت جولة في ميدان
الطراد انتهى بها المطاف إلى حب نفسها ، وأخذت
تعامل نفسها كأنها تعامل طفلاً مدلاً فهي تهدي
إلى نفسها الهدايا من الجواهر إلى الأزاهير .

وكانت تجلس الساعات الطوال أمام المراة تبادل
وجهها النظرات ، وتقبل صفحة المراة حيث يرسم
ثغرها . وبودها لو تستطيع تقبيل خدها في المراة .
وكانت تناجي نفسها بأعذب الكلمات وتفزع عندما

السِّفِينِ السَّوْدَاءُ

عَنْ الْأَنْجَلِيَّةِ
بَهْلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ النَّشَارِ

كانت تحب الأطفال حباً ملك عليها قلبها فلم
تر صغيراً إلا ووجدت من نفسها دافعاً قوياً إلى حمله
بين يديها ومداعبته . وكانت تعلو ثغرها عند ذلك
ابتسامة مؤلة

وكانت «لينا» على الرغم من سعادتها الزوجية
لما بينها وبين قرينها من الحب المتبادل تشعر بأنها
تمسة لأنها لم ترزق قط مولوداً يملأ منزلها مرحاً
وسروراً . وكانت تتمنى لو أنها فقيرة معدمة تتوسد
التراب وتأكل خبز الصدقات على أن يكون بجانبها
طفل ينظر إليها نظرة أحن من نظرات الملائكة
وكانت تفكر في ذلك تفكيراً يستغرق الساعات
الطوال ولحظها في هذه الأثناء معقود بنقطة لا تتغير
من أرجاء الغرفة . ولقد يحسبها من رآها على هذه
الحال تمثالاً لولا أن لونها الدائم التبدل يدل على أنها
مستغرقة في التفكير . لكنها كانت حريصة على
الآطلاع زوجها على اشتغالها وعلى وجهة تفكيرها،
فهي أمامه تضحك وتلعب وتقترح التثز والتلهي
وترغم أنها سعيدة . وكانت تدعى أنها لا تميل
إلى النسل ولا تبالي أن تقضى بقية العمر كما هي الآن
ولقد كان صواحبها يقلن لها في السنوات الأولى
من الزواج إنها سترزق بالأبناء في الوقت المناسب .

تسمع بعض الأصوات ، ثم تفكر في أيام الدراسة وفي الأشهر الأولى من عهد الزواج فتحس بحاجة قوية للبكاء .

وكانت نتيجة هذا التطور في عهود حبها أنها رأت جسامة الفروق بين طفولتها اللاهية وبين شبابها الحزين ، فبدأت نفسها المعشوقة تخاف من نفسها العاشقة

وبدأت كذلك تشعر أنها بعد ازدواج نفسها صارت أكثر وحدة وأشد وحشة ، ولجأت من حب نفسها إلى حب زوجها فوجدت فيه ذلك المذهب الذي لا ينسى واجبه والذي يفهمها حق الفهم ويمطف عليها أبلغ المطف

ولكنه بعد مدة لم يعد يستطيع التفرغ لها فقد كان محامياً واشتغل أخيراً بالسياسة وسمى لترشيح نفسه للعضوية في مجلس النواب ، وكان لذلك كثيراً ما يتخلف عن منزله أسبوعاً أو أسبوعين . وكان الزوجان في ذلك الوقت يقيمان في مغنى صيفي مجاور للبحر ؛ وقد أنست الزوجة بالسكنى في هذا المكان طلباً للوحدة فيه وفراراً مما تشعر به في المدينة من الإغراء ، وكان الهواء الخالص في ذلك المصيف يهدئ من أعصابها ، ولكن مشغول البال بخاطر واحد لا يمكن أن يستريح سواء أقام في جوار البحر أو في ذروة الجبل

وكان لا يزورها في هذا المغنى إنسان ولا تزور إنساناً ، ولولا زوجها الذي يأتي بين فترات انقطاعه لكانت من هذا المسكن في وحدة كاملة واعتادت أن تقضى أوقاتها في هذه الوحدة

جالسة في حديقة المنزل وفي يدها كتاب تمر بنظرها فوق سطوره ولا تقرأ شيئاً منه أو ماشية في الأدغال المجاورة تقطع الوقت الذي لا تشعر بمروره أو جالسة شاردة الذهن في خواطرها وأمانها . وكانت ترى بين حين وحين سفينة سوداء فيها صياد شاب تقمى أن يكون الابن الذي ترزقه مخلوقاً على مثاله . وكانت تطرب إلى الصوت الذي يحدته مجدافه في الماء ، لكنها إلى جانب هذا الطرب كانت تشعر بشيء من الخوف وتسرع بالعودة إلى منزلها كأنما رؤية هذا الصياد الفرد تضيق عليها سرور الوحدة

وكانت كثيراً ما تفكر في معيشته فتقول : إن صياداً وزوجته لا يكاد رزقهما المحدود يكفيهما ؛ ولكن إذا كان بينهما ابن صغير فقطعة من الخبز عندها ألد من مادة ، والكوخ الضيق أرحب بهما من ملكوت السماء ... ثم تذكر حظها وتنهد . وكانت في كل ليل يتلو رؤية الصياد تصاب بالأرق وتشتد عليها وطأة الهم حتى تكاد تلقى بكل أثاث المنزل من النافذة في البحر لتكون حياتها بسيطة كحياة الصيادين . وكانت تشعر في هذا الحين كأن إنساناً ينتظرها أو أنها على موعد فهي لذلك تتربص وهي لا تعرف مدى ترقبها ، ولا من هو الطيف الذي تنعكس أحلامها عليه

وكان شعورها جلياً صريحاً فهي تدرك كنهه وإن كانت تجهل سببه . وكانت تدرك أن ذلك الإنسان الذي يصوره لها الشعور مرتبط بها من عهد بعيد وأنها قضت كل هذا العمر في انتظاره وكانت في ساعات وحدتها تخاطبه بأعذب الجمل

الصياد ، وقد أعجبها صوته الرخيم الذى لم تسمع مثله قبل الآن ، والذى دلت عدوبته على انسجامه مع حسن منظره .

وكانت توازن بين هذا المنظر وبين الرجل الذى تتوهمه وتشعر بأنها مرتبطة به من سالف السنين فلا تجد فى الموازنة إلا انطباقاً ؛ فخرجت من الباب الذى خرج منه باحثة عنه وقضت فى البحث طول النهار فلم تجده وكانت تسائل نفسها : هل يعود ؟ وتجب على هذا السؤال بأنه لا يمكن أن يعود بعد طردها إياه عند ما طلب إليها العفو . وكانت تنجل كلما فكرت فى لقائه مرة أخرى لشعورها بأنها ستلقاه ، وستعتمد إليه لأنه ليس غريباً عنها ولأن لقاءه كان هو الموعد المنتظر .

وفيا هي تفكر على هذا النحو إذ سمعت صوت مجذافيه فى الماء وهو يمر بسفينته أمام المغنى فأطلت من النافذة ورأته يقف لحظة لينظر إلى الحديقة ، وأحست بأن السنة تصيح فى قلبها بصوت مفرح : « هذا هو ! هذا هو ! »

ووقع نظره عليها فحدق فيها ، وكأنه هو الآخر كان يحلم بها مثل حلمها به . وكان يشعر بضعة مكانته وسمو مكانتها فلم يجرؤ على مطالبتها بأن تحبه ولكنه تشجع فطلب إليها أن تصفح عنه .

وجرت بينهما جمل قصيرة يسمع الناس مثلها كل يوم ولكن «لينا» تبينت فى لهجة هذه الكلمات حباً خالصاً وهوى مشبوباً ، ونسيت فى هذه اللحظة كل الماضى بل نسيت الحاضر أيضاً .

وسكت كلاهما ، ولكن نظراتهما كانت أبلغ

وأرقها ، وتخال أنها تسمع من فيه السحر الحلال . وأى ضرر فى التماهى فى حبه ؟ أليس شخصاً خفياً يحبها سرّاً فما يشمر بحبه إنسان ؟

وسواء قضت ليلها ناعسة الطرف ، أو مؤرقة ، فقد كانت تقوم فى الصباح مبكرة ، فتسقى أزاهير الحديقة ، وتتمهد حديث النبت منها كأنه مولود جديد . وتهش إلى الفراش الطائر . ثم تجلس فى الظلال بين الألوان الزاهية ، والروائح العطرة ...

وفى يوم من هذه الأيام ، سمعت طلقة عيار نارى . ثم وقع تحت قدمها عصفور مصاب بهذه الطلقة . ففزعت ووقفت فى مكانها ، وقد امتقع لونها ... وبعد لحظة جرى نحوها كلب من كلاب الصيد فاخطف المصفور وظهر على الأثر ذلك الصياد صاحب السفينة السوداء . فلما رآها رفع قبعته محيياً ، وهم بأن ينطق بكلمات الاعتذار ... ولكن ألفاظه اختنقت ... فنظرت إليه نظرة طويلة دون أن تتحرك . ومشى نحوها الشاب وقال : « إننى آسف ياسيدتى ! لأننى ما كنت أحسب هذا المغنى معموراً . وقد كنت أصطاد فى الأدغال المجاورة فأصابته طلقتى طائراً هنا ، ولولا اعتقادى أن المكان خال لما دخلته . ولو كنت أستطيع عقاب نفسى على إزعاجك لعاقبتها ... »

فلم تجبه «لينا» ! ولكنها أشارت إلى باب الحديقة ... فأحسنى الرجل رأسه ومشى نحو الباب ! فلما وصل إليه التفت مرة أخرى وأحسنى رأسه ... وكانت فى هذه الأثناء قد عادت إلى الجلوس ، وتظاهرت بأنها تقرأ ، ولكن نظرها لم يرتفع عن

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من دوائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زغالي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

في الخطاب من كل بيان . وقرأت في عينيه تضرعه
في الاعتذار فقالت : « لقد عفوت عنك »
ثم ذهبت بعد ذلك منهوكة القوى فألقت نفسها
على السرير .

وبعد تلك الليلة كانت السفينة السوداء تأتي
كل يوم إلى المنزل فتزل لنا لاستقبال الصياد في
الحديقة وتترك يدها البيضاء بين كفيه وتغره قبلها
كيف يشاء . ولم تعد بشيء آخر ولكنها سمحت له
بأن يؤمل أنه قد يجوز في المستقبل أن ...

وفي أحد الأيام وصل الزوج بعد غيبة طويلة .
وكان مهتاجاً مشغول القلب والذهن لأن الوزراء
سيزورونه في المساء في مغناه وسيكون للوليمة التي
سيقيمها لهم شأن عظيم يدنو به من مجلس النواب
وجرى الاستعداد للحفلة على ساق وقدم .

وأضيئت المصابيح على شاطئ البحر وعلى جوانب
الحديقة . وجاء الوزراء واشتركت لنا في الجزء الأول
من الحفلة ... فلما دب ديب الخمر في بدنها وأبدان
الزوار غادرت المغنى إلى الشاطئ وركبت في السفينة
السوداء مع الصياد للتنزه ساعة أو بعض ساعة
تاركة زوجها والزوار ...

ولما عادت إلى المنزل كانت أضواء الحفلة قد
خمدت وأوشك الصباح أن يبرغ . وكان الزوج
نائماً يحلم بأنه صار عضواً في البرلمان

فنامت لنا وهي تحلم بالسفينة السوداء وبمولود
جميل ستضعه بعد تسعة أشهر

عبد اللطيف النشار

طريق العمل والكسب ؟ هل
نسيت أن شهرتك اكتسحت
أمامك بعض الضحايا من زملاء ؟
ألا ترى أندريا لا يجد شركة
يتعاقد معها بعد أن اختاروك
مكانه »

— لا ينبغي أن يئس، فانا
لن أبقى بأمرى كما ساعة واحدة،
وهأنذا قد انتهيت من هذا

حِيلَ مِثْلُكَ

عَنْ الْأَنْجَلِيَّةِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُصْطَفَى صُبْحِي

« الفلم » وسأعود فوراً إلى بلادى .

— أود من صميم قلبي أن تكتب لك السلامة
في عودتك !

— ماذا تعنى بذلك يا كلارك ؟ هل أنا فى خطر ؟
— نعم يا صديقى . إن قلبي يتمزق بين أن
أصارك بالواقع وبين أن يفاجئك الخطر ...

— ما هذا الذى تقول ؟ زدنى بربك إيضاحاً
عندئذ تبسط كلارك فى الحديث فقال : « أنت
يا البر فورس لا تعرف أمريكا ولا تفهم الأمريكيين
على حقيقتهم ، فالحياة عندنا غيرها عندكم . هناك الوداعة
واحترام القانون والتزام حدود النظام ، أما هنا
فنحن قبائل وعشائر متناثرة امتزجت بحكم الضرورة
وخرجت من ظهورها ذرايات وسلالات ليست
متجانسة ولا منسجمة . احترام القانون هنا غير
متغلغل فى نفوس الناس ، والأخذ بالتأثيرات دائمة
الأقوام التى تنشأ من الدم الممزج ؛ والغرائز الهمجية
التي عاش بها الإنسان الأول مازال محتدمة فى أفئدتنا
لم تفلح فى حكمها وتهذيبها الأنظمة الحديثة التى
تواضع عليها المتحضرون ، وغريمك أندريا يحقد عليك
ويتربص بك وقد سلط عليك عصاية الفهد »

وقف ألبر فورس كرام أمام المنضدة ونشر
فوقها إحدى المجلات الأمريكية وشاعت فى وجهه
ابتسامة وهو يرى صورته تملأ الصحيفة وتمثله فى أحد
مواقفه التمثيلية وقد كتب تحتها : « الممثل الأشهر
البر فورس كرام الذى تنطبع صورته فى كل الأذهان ،
ويقلده فى زيه وهندامه أكثر الشبان ، ننشر صورته
بمناسبة استدعائه من إنجلترا ليشارك فى تمثيل إحدى
الروايات الكبرى بعد أن أخفق فى القيام بهذا
الدور كثير من أساطين الفن المحليين »

التفت الممثل إلى صديقه كلارك الذى نزل
بضيافته فى أمريكا وقال : « النجاح والشهرة شيئان
ما أعجبهما ! يقاسى المرء الشدائد والأهوال حتى يظفر
بهما حتى إذا نال منهما ما أراد وجدهما لا شيء ...
كسراب كاذب أو كفقاعات الماء ، لها انتفاخ وبريق
ورواء ، لكن ماذا بداخلها ؟ لا شيء ... »

ولم يجبه صاحبه على الفور لأنه كان واجماً مشغول
البال وكانت أصابعه ترتعش على ركبته ؛ على أنه تكلم
أخيراً فقال : « البر فورس ! ! ماذا كنت تقول ؟
ليست الشهرة شيئاً ! كيف هذا يا صديقى وهى التى
حملتك على جناحها من بلادك إلى هنا ومهدت لك

— عصابة الفهد ؟

— نعم . هي عصابة مروعة سفاكة ، لا تنجو من بطشها ضخمة . فإذا حكمت على أحد بالموت . فإنه يموت أنظر ! ها هو ذا إنذار منهم وصلني صباح اليوم ، وفيه يقولون إنك تفارق الحياة حالما تبرح هذه الدار !

— عجباً ! لكنى لا أرى حولى شيئاً مريباً .
فأين هؤلاء الأشقياء ؟

— هم حول الدار بالمرصاد . وقد رأيت بعضهم يحومون .

— وإذا استدعيت البوليس لحراستى ...

— فى هذه الحالة يطلقون عليك النار وأنت بين حراسك .

وبان التفكير على وجه الممثل ومشى إلى النافذة ونظر من وراء الزجاج . فلمح صعلوكاً يتسكع عند الباب ، وآخر عند عمود النور ، وثالثاً يطل من شرفة بيت مقابل ؛ فعاد إلى صديقه مقطب الجبين ، وحك ذقنه بأامله ، وجأة أبرقت عيناه ، وأشرقت ملامحه ، وقال :

« إسمع يا كلارك ! أظن أنى اهدت إلى حيلة طريفة أنجو بها ... كلا ! ليس الآن ... ستعرف كل شيء فيما بعد ؛ إذ لو شرحت لك خطتى لاعتبروك شريكى وحلت عليك نقيمتهم ... »

وذهب الممثل إلى غرفة « التلفون » وأمسك بالساعة ، وأدار القرص عدة دورات ، واتصل بمدير أعماله مستر توم هول ، ودار بينهما حديث طويل لم يسممه أحد . على أنه رجع إلى كلارك وهو يقول :

« بعد ثلاثة أيام تودعنى وأسافر » .

انقضى يومان والبيت ساكن كالقبر

وانقض المعارف والأصدقاء عن الدار التي تحاصرها
(عصابة الفهد ١)

وأقام الرجلان فى وحشة ... لكنهما تناولا الطعام فى موعده ، وبقي كلارك فى وجومه وخشيته والمثل فى بهجته ومرحه ... واستمرت (عصابة الفهد) فى مرابضها تترقب !

أقبل اليوم الثالث ! وانزوى الصباح ليفسح مكاناً للظهيرة . ثم أقبل الأصيل ...

وعندما غربت الشمس دق جرس « التلفون » وهب الممثل بسرعة وأمسك الساعة ، واشتبك فى حديث جديد مع مدير أعماله ... ثم عاد إلى صاحبه كلارك وهو يكاد يرقص طرباً وقال :

« تصور يا كلارك ! إنى سأصرف من لدنك فى مدى نصف ساعة ، وربما فى أقل ... ولا بأس أن تعلم الآن أنى سأزل السلم بعد عشرين دقيقة ، وأفتح الباب ، وأستقبل من يجى من الناس ... وعليك يا صديق أن تودعنى الآن ... وفى هذه الغرفة ... ! »

وبعد دقائق وضع الممثل قبعته على رأسه ، وهبط الدرج إلى الطابق الأرضى ، وفتح الباب بيده وعلى مصراعيه ! ...

وانكش كلارك فى موضعه وكله آذان مرهفة وارتجفت أوصاله وهو يسمع صوت الباب الكبير يفتح وجلبة كبيرة وأصواتاً مختلطة كثيرة فى الطابق الأرضى ثم صوت الباب نفسه يغلق ثانية ؛ ثم انتهى كل شيء وعاد الصمت والسكون يشملان البيت . ودخل الغرفة رجل طويل القامة ضخم الجثة وخطا إلى كلارك فى ثبات وهو يقول : « ليلة سعيدة يا سيدى »
(٤)

ثم دفع لكل منهم نفقاته وعوض ما ضاع من وقتهم وجهدهم وصرفهم في الحال فخرجوا إلى الطريق وخرج هو بينهم فكان منظرهم كتلاميذ مدرسة ينطلقون من قاعات الدرس إلى الشارع عند الانصراف يمشون زرافات ووحداً في جهات متفرقة ونواح مختلفة على أنهم جميعاً في هيئة واحدة وزى واحد ...

ولا شك أن عصاة الفهد قد أسقط في يدها واختلط عليها الأمر ولم تدر من من هؤلاء المقصود بالوت . ولا جرم أنهم وقعوا في حيرة كبيرة ولم يجسروا على قتل هذه الطائفة من الشبان جملة واحدة ... وهكذا مر البرفورس من بينهم وهم مشدوهون مندهلون لا يحركون ساكناً . كنت أحسب الإنجليز قد استسلموا للحياة الوداعة وجهلوا المغامرات فإذا هم رجال حرب كما هم رجال سلام

مصطفى صبحي

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جوتة الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً

إسمح لي أن أقدم إليك نفسي فأنا توم هول «
— مستر توم هول مدير أعمال الممثل البرفورس ؟
— نعم ، أنا هو يا سيدي
— صرحاً بك ... لكن أين مستر البرفورس وكيف خرج وماذا أصابه ؟

— هو الآن في طريقه إلى بلاده دون أن تسقط من رأسه شعرة واحدة ؛ وإنها لحيلة عجيبة في بابها التي لجأ إليها صديقك الذكي . تصور يا سيدي أنه منذ ثلاثة أيام اتصل بي تليفونياً وشرح لي موقفه واقترح أن أعلن في الصحف عن شبان يلحقون بالعمل في شركة التمثيل بأجرباهظ واشترط في الإعلان أن يكونوا جميعاً في مثل قامته وزيه وهندامه ولهم مثل شاريه وشعره وبالاختصار لا بد أن يكونوا صورة طبق الأصل منه ، وحدد هذه الساعة لاستقبالهم في مكنتي . فلما نشرت الصحف ذلك وأقبل الموعد تقاطر إلى المكنت مئات من الشبان قد لبسوا مثل ثيابه وبدوا في مثل قامته وحركاته ؛ وصدقني يا سيدي أنهم أدهشوني ولم أزد كيف أفضل بعضهم على بعض . غير أنني بعد فحص دقيق أخذت منهم عشرين شاباً لا يفترون عن ألبر فورس في شيء . واتصلت به تليفونيا وأطلعته على ما قد تم ، فدعاني معهم في الحال إلى هنا فوضعت هؤلاء العشرين في ثلاث سيارات وجئت بهم إلى هنا ونزلنا جميعاً من السيارات في وقت واحد ودخلنا البيت في اللحظة التي فتحت فيها الباب على سعته

ومن السهل أن تدرك بعد ذلك ما حدث ، فقد استقبلهم صديقك وهو يكاد لا يصدق ما يرى ، على أنه ابتسم لهم ورحب بهم واعتذر لهم عن الشركة زاعماً أنها قد شغلت الوظيفة الحالية هذا الصباح ،

حَاجَتِي فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَرَبِ عَزَّ الْعَرَبُ عَلَيَّ

باله ، أو تغنى بموشح وموال
أو حتى صاح : « يا ليل »
وقد يبدو هذا عجيباً ،
وهو في الحق عجيب في غير
مصر ، فمصر بحمد الله مكنظة
بهذا الصنف من الموسيقيين ،
أو أدعياء الموسيقى على الأصح ،
ومذهبهم في هذا أن ليس من

الواجب الحتمى أن يلم الموسيقى بأى لون من ألوانها
أو يتعرف ناحية من ثقافتها ، أو أن يتفهم حتى
مذهباً من مذاهبها ؛ وبحسبه أن يحشر فيها حشراً ،
فإذا هو بماله وثروته شيخ من شيوخها ، يعقد له
فيها لواء ، ويقام له تمثال ، ويزين صدرها بصورة
الفوتوغرافية والمائية والزيتية ، وهدمت دارها إن لم
تتسع لما ينفخ الشيطان به صدره من ألوان الهذيان
وإذن فصاحبنا يعقوب موسيقى ، وموسيقى
من الطراز الأول ، أليس جاهلاً بفنون الموسيقى ؟
ثم أليس هو موفور الجاه موفور الثراء ؟ وما دخل
العلم في حياة الموسيقى وهي أشد ما تكون حاجة
إلى المال ، وأهل العلم في هذا الفن مفاليك منغمورون ؟
ثم أليس المال يبني الدور ويبتاع الآلات الموسيقية
من عود وكمان وناي وقانون ودف وطبلة وضمار
وصاجات ، وكذلك كتب الموسيقى . وإذا كانت
الدار مشيدة وفيها آلات الموسيقى على اختلاف
أنواعها ، وفيها أيضاً كتب في الموسيقى للعلمي
وأشباهه من العلماء ، فما الذى يعجز الموسيقى أن
تذاع ؟ وماذا يقعد بها أن تنتشر ؟

أنا أميل لمذهب صاحبنا يعقوب رضى الموسيقيون

يعقوب الذى تقصد إليه غير نبي الله يعقوب
أبي يوسف عليهما السلام . وإنما هو رجل موسيقى
عاش إلى مستهل القرن العشرين في مصر ، واتخذ
من مناعمها ومسارها رفاهية ورغداً

أقبلت عليه الدنيا ، وتوافرت المناعم ؛ وكلما زهد
فيها وتواضع لها ، تراحت عليه بخيراتها ، وأقضت
مضجعه ببركاتها ... فإذا رغب في سكون النفس
وطمأنينتها نزل عما أفاض الله عليه من خير إلى
المحتاجين والمحرومين والسائلين وذوى المتربة من فقراء
الدنيا ...

ولكن الأيام مجنونة وهي به مشغوفة ؛ فما إن
ينزل عن مصرافها حتى تزيده منها وتغمره فيها ؛
حتى ألفت نفسه الجشع ، واستولى عليها الحرص ،
وملكها الشح

هنالك هدأت نائرة الأيام أن بلغت بتلك النفس
المتواضعة أسباب الجشع ومناحي الصلف وتصعير
الخد ، وألقت به في تيار الحوادث يتقاذفها وتتقاذفه
فتكاد تفرقه

هو رجل موسيقى كما أسلفنا ، وإن لم يشتهر له
دور ، أو يتداول له لحن ، أو يعرف عنه أنه عزف

فزينوا للمؤرخ نهز الفرصة واقتناصها وصاحبنا يتأبى
ويتصنع العفة ، حتى إذا خضع لسلطان التواضع
نزل على رغبة صحبه وشيعته احتراماً لجمع الكلمة ،
وغلبة الرأى ، ونفخ المؤرخ بدرة من المال يستعين بها
على رأب الصدع ونفقات الطبع

استخار المؤرخ ربه فأخاره ، واستمانه فأعانه ؛
وشرع يمهّد للتأريخ ببحوث فنية فى الموسيقى
آدابها وفلسفتها وتاريخها وتطوراتها حتى قطع فى ذلك
شوطاً بعيداً تقع الغلة وشقى الأوار .

ولكن العلم دائماً ظالم جبار ، يستهوى أهله ،
ويتملك مشاعرهم ويستحوذ عليهم ، ثم يبطش بهم
ويهلكهم ...

وكذلك كان شأن المؤرخ ، استهواه البحث
فأشبع منه نهمته ، وأغفل غير عامد صاحبه يعقوب
إلى حين .

يا غلبة السماء ، ويا تقمة الأرض ، ما هذا
الذى يقترفه المؤرخ ؟ أيطنى العلم فينسيه شخصية
شيخ الموسيقى ؟ ما العلم ؟ ما البحث ؟ ما الفلسفة ؟
أمام باني البناء ، ورافع اللواء ، ومقيم الحيطان ،
ومشتري العيدان ؟

— الويل لك أيها المؤرخ ، كيف لم تستخدم
علمك وتستعبد مواهبك فى وصفي والإشادة
بذكركى ؟ أعجميت عن صورتى ؟

— رفقا أيها الفنان ، سيأتى الوقت الذى
أنصفك فيه ، وأشيد بذكرك فى مجاله ، متى فرغت
من حق العلم وتقصيه

— علم ! وهل للعلم حق يتناول إلى عظمتى ؟
وأى علم هذا الذى لم يلمك مفاخرى ، ويوحى إليك

أم غضبوا ، فلقد طالت عليهم العصر وما ابتنوا
للموسيقى كوخاً ، ولا شيدوا لها عشا

ليخفف العلم الفقير إن أراد الجهل الغنى أن يخفيه .
وليخرس العلماء المدققون إن شاء الجهلاء المثرون
أن تقطع ألسنتهم ، فالدنيا للمال ، والحياة لأصحاب
المال ، وعند الله أجر العلماء ، وهو أجر لا يغنى فإنه
لا يتجاوز بضع صفحات فيما يسمونه التاريخ

وفى التاريخ صحف مدخولة ، وحوادث مدسوسة
ومفاخر مزورة ، ومآثر مرتجلة تسجلها الرشا ،
وتدونها الولاثم ، ويسطرها البذل الوضيع ، ويجبرها
المطاء المسف ؛ ووسيلة هذا كله ميسورة لصاحبنا
يعقوب ، موفرة له لا تثقله ولا تشق عليه

وأراد صاحبنا أن يطمئن أيضاً إلى هذه الناحية
من التاريخ ، فأسدى إلى أحد المؤرخين يدأ هزيلة
عدها له مكرمة وأثبتها له حسنى

وانقضى يوم وبعض يوم ولما يهضم المؤرخ
المضغطة ، وإذا بصاحبنا تحف به شيعه من مموى
الحق ، مزينى الباطل ، كسالى فارغين ، تكنى إحدى
الولاثم لخراب ذممهم ويبيع ضمائرهم

واختل الجميع بالمؤرخ ، وتناوب الرهط المتمطل
ذكر مآثر الموسيقى يعقوب ، فهذا ينوه بأياديه
على الفن ويذكر فى هذا قصصاً ، وذلك يعدد توضحياته
فى الموسيقى ويرتجل لذلك حوادث ، وهذا يسهب
فى مواهبه الموسيقية ويخترع لذلك روايات ، وذلك
يطيل فى عبقريته الفنية ، ويصطنع فى ذلك خرافات .
وهكذا تناوبوا المفاخر والمآثر ، وصاحبنا يستغفر الله
مخجل التواضع ، وكلما تصنع التعفف عن المدح
والزهد فى الثناء زادوا الكيل حتى أصبح حمل بعير
هناك نبئت فكرة تاريخ هذا المبقرى المتفرد ،

وبدأ له شهيق أغرق الشيعة في دموع الكذب والنفاق
ما بك يا سيدنا؟ أنفسنا الفدا إن أجدت
فقال في تيه المكظوم وعبرة المختنق:

ضحيت بشبابي وأرقت ماء حياتي ، واستجديت
كرم الناس وسخاءهم للفنون وخدمتها والموسيقى ،
ونهبستها ، فكان أن أهمل شأني ، وغمط قدري ،
وأغفلت حتى صورتي . وها أنتم أولاء ترون أنني
وإن لم أبذل في هذا المجهود من مالي درهماً أو ديناراً
رغم ما أفاض الله به عليّ من الثراء والنعم ، فإني
توسلت بجمامي للشحاذة واستعنت بحيلي للاستجداء
فجمعت للموسيقى ما جمعت ، وهيأت لها ما هيأت
ثم سحت عيناء وخنفته العبرة فاحتبس صوته ..

يا للدول

هلمت قلوب الشيعة وانخلعت أفئدة الرهط ...
أيكي السيد وما يزال المؤرخ يتنسم روح الحياة ؟
الموت ... الموت ... أهون المقاب موته وتحريق
مخلفاته

وانتهوا في ذلك إلى قرار ما كاد يحيف لمابه
حتى كان نافذاً ، هنالك قاموا إلى آثار المؤرخ
فخرقوها وإلى مؤلفاته فزقوها ، وظنوا أنهم بذلك
يطمئنون وتسكن أفئدتهم ويستريحون ، ولكن
عزة العلم تأتي الاستكانة والخضوع ، وكرامته ترفض
المذلة والخضوع ، فسجلت تاريخ يعقوب وجعلته
في الموسيقيين مثلاً . ووالله ما تخطى المؤرخ الحق
ولا تعدى الصواب ولا خان أمانة العلم

هذا العرب

ما ترى؟ ما نفحتك المال لتنصر العلم وتؤدي أمانته
وتغفل أمري وتنسى مكانتي؟ خسي العلم وخسي
أهلوه ...

— أيها الفنان ، حذار عاقبة الطغيان ، فلئن
جنت الدنيا بك اليوم فبسمت لك وترامت عليك
لقد تكشر لك غداً وتنقلب عليك ، والأيام قلب
والزمن غدار

— أترى هذا طغياناً أيها المؤرخ؟ شهد الله
ما أسمع منك إلا خرفاً . ما كان هذا طغياناً وإنما
هو وفاء للنفس ولا لوم أن يكون الإنسان لنفسه وفيها ،
ومن الوفاء للنفس أن يؤثرها صاحبها بالمعظمة كلها ،
ويختصها بالإجلال أجمعه ، فإذا استطاع أن ينصب
لها في كل حي تمثالاً ويقيم لها في كل منفذ نصباً ،
وقصر في ذلك كان قصوره كفرأ وجريمته نكراً
والمعجب العاجب أنك تجهل هذا وتدعي العلم ؛
وأعجب منه أن يتحرك لسانك بين شديك ، ثم
يرميني بالطغيان ، يا خجلة الحياء ، يا ضيعة الأدب
— أيها اليقن ! إن لم يكن هذا الذي تقترف
طغياناً وعنتاً ، فما هو الطغيان والعنت إذن ؟ لقد
جاوزت المدى ، وأسرفت في ...

— يميناً لأقطعن مقولك ، وأخرسن لسانك ،
وأحطمن قلمك . فما ترفع بعد اليوم صوتاً ، ولا
تخط حرفاً .

هنالك ملك الغضب صاحبنا يعقوب نثار خوارا
زعزع جوانب المكان ، وفزعت الشيعة . فجاءوا
يهرعون إليه ، ينههون من غربه ، ويطفئون نار
غضبه ، حتى إذا سكن هأججه ، وهدأ فأثره ، تباكي

التي تجزى بالشر ...

وإذا حدثتها تدرك وراء
ذلك كله ظمأ لا تنفع له غلة ،
يحدوها ارتياد المجهول ، تتلمس
فيه قبض الريح - فتتألم لها ،
وتخالجك نزعة من الإشفاق
عليها ، ولكنك تكبر فيها الألم
الكبير الساجي ، وتباركه كأنك
صهرت معها في بودقته .

هَيْكَلِيَّة

أَقْصُوصٌ مُصَرِّةٌ
بِقَلَمِ الْآنِسَةِ جَمِيلَةِ الْعَلَائِلِ

تعذب نفسها وتشقيها ، وفي يدها خلاصها !
وكانى بها واحداً من أولئك الشهداء الذين أبوا إلا أن
يعيشوا شهداء ، ويقضوا شهداء ؛ معمودين في سبيل
غاية ، وتحقيق أمل بعيد ...

لنا كان من العسير أن يفهمها أى رجل ؛
وكذلك من العسير أن تحب أى رجل ، لأنها تتعالى
عن التجارة بالحب أو تكلفه .

عاشت العشرين من عمرها بل أكثر بمنحة حالة
تنتقل بين الأرض والسماء . عذاب لا ينتهى ، وظمأ
لا تنفع غلته . هى مشبوبة القلب ، تخلق ولكن
سرعان ما تجتذبها الأرض فتجثم على صفائها منتفضة
الأوصال ، بادية الأشاجع ، ناحية متبرمة ...

ثم تدوى فى أذنيها أناشيد الرجاء ، ويخجلجها
الحنين إلى المجهول النأى ، إلى الغامض الذى لا يفسر ،
ولا يسقط عنه قناع . فتضرب الهواء بجناحيها ،
ويخلق عقلها ، وهونور ونار ، محموماً محموماً فى السماء .
غير أن الجناحين جبالاً من صلصال مهين ...

لها الله ... لها الله ...

تنشد حياة الروح مجردة من المادة ...

بأى عقل تطلب ذلك ؟ ...

على وجهها معانى وجوه كثيرة تحمل من الكآبة
مسحة بادية ، ويروعك هذا الجرى المتواصل وراء
الفاظها التي تحتبس وراء شفيتها كما همت بأن تتكلم
هامت بدنيا بجهولة غير محدودة ، تتبرم بدنياها
وتنشد فى أحلامها ما عجزت عن تحقيقه فى يقظة
العيش ، وهذا من وعى الغريزة الفكرية .

تعيش فى دنيا فنية ابتكرتها لنفسها اعتقاداً منها أن
الفن مفزع الإنسانية فى مختلف أدوارها ومنجاتها من
شرور الدنيا وسطوة الأقدار - والدين الوضعى كما قال
«جوركى» أول مظهر فنى ابتدعته القرية البشرية -
ابتدعته بعد أن راعتها تفاهة الحياة وسطوة العدم ؛
لذا خلقت لها دنيا ثانية ، تنعم فى أجوائها بفكرة
الخلود ، وصفاء العيش الهنىء بعد أن أمعت بها صفعاً
قسمة الموت ، وسلطنة السلطان فى أيدي القدر

وهى فى مفزعها هذا تحاول تلمس الروح السرمدى
بأصابعها العشر ، وهى ليست شاعرة أو فنانة فحسب
بل هى راهبة ، لا تنفع بنشد الطائنة والصفاء
فى هيكل واحد ... ولكنها تنتقل من دير إلى دير
تجر وراءها أثقالاً من الشجن ، وكأنها تخشى أن
تهوى ثانية إلى عالم الماديات والحب الضائع ، والحسنة

وقد أبت الطبيعة عليها ذلك بعد أن لقحت
إنسانيتها السامية بغرائز ترابية في حماتها تتوالد جراثيم
اللذة ... لذة الجسد ولذة القلب !

ثم ترجو الحب الروحي البعيد عن الماديات . فهل
نسيت أن القلب البشرى يتفجر دماً يغذى معين
البهيمية في نفوسنا . . . وأن هذا الخافق المتنفل
ملول مضطرب متقلب كصفحة الماء ؟ !

يحرق ما يعبد ليعود ثانية إلى عبادة ما يحرق !
ثم تثور غرائزها بغير حق ولا داع ! محاولة
الترفع على ما منيت به من ضعف متمنية أن تكون
أسمى من امرأة !

امرأة بما يصطخب في قلبها من تيارات فائرة ،
وينابيع صافية ساجية ، ولو أنها أخذت الحياة
كما هي وفاقاً لناموسها الأزلي ، فتكون إنسية آدمية
قبل كل شيء . ثم تسبح بعد ذلك كما يحلو لها
في أخيلتها ، وتعيش بأنوثتها ... لها دفء الجسد ،
وطراوته وجاذبيته ... ولها أيضاً قداسة الروح وسحرها
أبسط الأشجار ظللاً وأعلاها رءوساً هي تلك

التي تنور جذورها بعيداً في جوف الأرض
أجل لو أنها أخذت الحياة كما هي لما تنكرت
لها الأشياء في وجهها وهي جامحة تجرى وراء تحقيق
مثل عليا

الجبل عال ، والشقة بعيدة إلى القمة ، والقمة
تغطيها الثلوج ... ولو كتب لها الوصول إليها فهناك
البرد القارس الذي يحولها إلى كائن ثان يتجمد على
مهل . وهناك الدوار ، وهناك التجرد من حالة
للدخول في حالة أخرى لا تعرف كنهها تماماً ، ولكن
أين مظاهرها موت الغرائز الدافئة !

لقد أرهفت حسها تحت مؤثرات مجهولة حتى

من نفسها ، ومن هنا انبعث عذابها الدائم وانطلق
تبرمها بالناس فتحولت الحياة في ناظرها إلى كائن
بغيفض وهي حمة المحاسن وافرة الرواء . وغالباً يلبس
هذا المرض فئدة من الشعراء فيحيلهم شكاة متبرمين
بالحياة الدنيا يتلمسون بلا طائل السعادة في المجهول
فيما ضنت به الأرض عليهم

ولطالما حاولت أن تكون فتاة تعيش على
الأرض التي جبلت من طينتها ، وحاولت أن تخطط
ذهب روحها بشيء من النحاس ليصلب عوده ويقوى
على احتمال ما يرتطم به من الماديات لعلها أنه لو لم يخطط
الذهب بالنحاس في الجنيه لتلاشى بين أصابعنا

على أنها لم توفق في محاولتها لأن الخيال ملك
ذهنها وزج بها في مفاوز موحشة لا حد لها ... مع
أنها في مستقبل الشباب ولها من هذا الشباب وسامته
وعبقته ولم تأبه لزهرة هذا الشباب أن تصوح تحت
رياح الصحراء ... كل من يعرفها ويلبس روحها
يحار في تفهمها ولا يدري باعث تبرمها من الحياة !
أمن وحدة روحها ؟

أم من خيبة حب ؟
أم من غرام بلا أمل ؟
أم من حرمان بعد متعة طاغية ؟
لا هذا ولا ذاك ...

ولو أنها كانت كذلك لما أدى ذلك إلى قنوطها
الجاثم على صدرها في عنف غير لين ... ثم إن الأمل
الذي سعدت به في ماضيها يظل يعاودها من حين
إلى حين مهما قست الأيام عليها

ولو شاءت العبت بالحياة والرجال لها ن عليها
الأمر لأنها محبوبة مغربة مرغوب فيها ... ولكنها
تريد أن تكون همزة الوصل بين الإيمان والحب والسر

كبرت روحها دون جسمها وأثقل قدميها حمل رأسها
فتألمت حتى بكت

وهي لا تدري أن الأرواح تحوّم حوالها وأن
العيون تترصدها ...

وكل الرجال تخافها بقدر ما ترغب فيها وتحبها
عدا ذلك الرجل الذي حاول أن يتقرب إليها فصدته
في كبرياء وأنفة ...

تولد من حبّه الوليد مقت شديد ... ففكر
في التفرير بها لكي تحبه فإذا استسلمت له انتقم
لرجولته المهانة ...

إنما الفتاة ذكية حساسة ومثلها لا يهبط إلى
الحضيض ...

وقف الرجل في طريقها متأهباً لكفاح وهو
على يقين من أن النصر حليفه ... وكيف يشك
في قدرته وقد حبته الطبيعة قدرة الرجولة السارمة
وهي امرأة ضعيفة لينة

إنما كيف السبيل إليها ؟

هذه هي المشكلة ؟ ...

رجولة تحارب أنوثة

الرجولة تحارب بمقلها

والأنوثة تحارب بقلبها

تري لأيهما الغلبة ...

في مقدور الشيطان أن يدخل إلى المابدليوسوس

في الصدور ... ولكن ليس في مقدوره أن يزعم
الإيمان الثابت ...

كان الرجل شيطانا ... والمرأة مؤمنة ...

والحرب ستقوم بينهما ...

تري لأيهما الغلبة

مهنة الرجل التمثيل وهو يجيد عمله كفنان حاذق

المفقود خلف العدم ... راغبة في أن تشاهد دخان
نفسها وهي تحترق في بطن لتسجل شجوها في سطور
وترسمها في خطوط وظلال ، ثم تصورها في نغم
والحنان ، شاعرة بأنها تغتسل بالآلم وتتطهر بالحرمان
وهي بهذا وذاك كلمة الخلود على شفقي الأزل

وأخيراً سجنّت نفسها ، ومحبسها شبكة وشائجها
من نسج روحها وهي روح طفت عليها لذة الآلم
حتى ألفتها فعدت بهجة الدنيا في عينيها أحلاماً
زائفة ، ولم يشفع أنها ما زالت في عمر الزهرة التي
خرجت من برعمها تستقبل النور

وسجانها حس مرهف فيه شجذت غمراره
الحزن فصار دقيقاً يؤثر فيه عبر التناغم

آدمية حائرة ، وفيلسوفة شاعرة ... هذه هي
الهندية الساحرة

الورد في عينيها إذا لم يرتعش للنسيم شوك على
غصن !!

وتفريد البلب في سمعها إذا لم يطرب له الكون
الحزين ، ترتيلة الفناء !

وفي سبيل إيمانها وعقيدتها تشد إلى العذاب
مسلمة جسدها الثعباني المتيقظ إلى مسامير الموت الحادة
كل معنى من معانيها مأساة ، وكل لفظ من
ألفاظها جرح يدمى ، وفي كل جرح من جروحها
إنسانية تنتحب

وليس ألما لصيبة حلت بها ... إنما تتألم
بإحساس قلوب جميع المتوجعين المظلومين المفجوعين
المحرومين ... ترى مآسى الإنسانية كلها من وراء
عينيها ، ويا ويحها من إحساسها وألمعتها ...

ودعا الفتاة عن طريق صديقة لها لتحضر رواية
ستمثل على مسرح الأوبرا ...

أجاد تمثيل دوره وقد كان بطل المسرحية ...
حتى خيل إلى الفتاة وهي تتأمله عن كذب أنه خلق
ليكون زاهداً وأنه يتحرك ويتكلم على المسرح في
غير كلفة ...

يفعل الفن بالنفوس ما لا يفعله سلطان القدر
وهمست صاحبها في أذنها ... ألا يجدر بنا أن
نهني البطل والبطل؟ لقد أجادا

فوافقت الفتاة راضية ...

وذهبا خلسة ...

ابتسم الرجل الفنان ... إذ بدأ نصره يبدو

ولكنه لم يكده يحملق في وجه الفتاة الحالم الهادي

حتى خشع أمام العبقرية المسجونة ...

وشكرها في تأدب على تشجيعها وأكد لها

أنه بفضل هذا التشجيع سيبلغ قمة الفن عما قريب

فنان زاهد ...

كان هذا الخاطر شاغل ذهن الفتاة على أثر

مشاهدة الممثل البارع ...

أيمكن أن يكون قلبه عفا بريئاً طاهراً أيّما

حقاً ...

لا بد ... لا بد ... إنه لم يتكلف الصناعة

مطلقاً ... ولكن ألا يحتمل أن يكون مجرد تمثيل؟

ولكن ما الذي يعنيه ... ليكن زاهداً أو غير زاهد

بهذه الهواجس المتناقضة المتباينة شغلت نفسها

حتى دعته الصديقة لزيارتها ولقيته هناك فتحدثا

حديثاً طبيعياً لا كلفة فيه ولا حذر وقد تلاشى كل

ما كان يحفره إلى الهجوم، وشعر أنه أمام قوة هائلة

قادرة على تحطيمه ...

أخيراً قال :

— يا آنستي أمامك سبيلان لا ثالث لهما : إما

إلى الموت أو الانقطاع عن العالم ، وإما أن تسلمى

رأسك إلى مبضع الجراح يزيل ما يثقله من أورام

الآلم وطفيليات العدم ...

أنت في إبان شبابك وحرام أن تكون الدنيا

في خاطرك وباصرتك متشحة بأكفان الموتى

فنظرت إليه صامتة وهزت كتفها في بطاء

ثم غمغمت :

— ليكن ... إن في الموت بداية حياة أخرى

على أى حال ...

فابتسم في مرارة قائلاً :

— أعرف أن النبوع اتخذ كمينه فيك ...

لكن تنفسي ... تنفسي لينطلق حسك

قالت : من أدراك أني أختنق ... الزهر يتنفس

أبدأ أمام النسيم ... لكن أين من يشم العبير العاطر

فيفهمه ؟ أين ؟ أين ؟ ...

وأحس الرجل أنه شد إليها بجبل متين فارتعد

لخذلانه وأطرق برأسه واجماً .

بينما انسحبت الفتاة في سكون ...

ظنها ستعود ... ولكنها غابت ...

سأل صديقتها ... فخرجت تبحث عنها في المنزل

فلم تجدها ...

خرجت دون استئذان ولا نحية ...

وتتمت الصديقة : ظبي نافر . فلزم الرجل الصمت

الحزين ولم يتكلم ...

قالت الصديقة : ماذا جرى ... أتفكر فيها ؟

قال : أجل ...

قالت : ولكنك تعبت بالقلوب وهي فتاة حذرة

بيننا راح الرجل يناجيه بروحه ، ولكنه يخاف
أن يقتل الرقاد في عينها فتفزع من نومها بتأثير من
مغناطيسية روحه التي تسربت إليها ولكنه مرغماً
يفكر فيها ويتخيلها في ثيابها السود ككاهنة لإله
جرت عليه تقاليد هذا العصر المادي ذيل الفناء .
ويتخيل نفسه شيطاناً غير متأثم يحاول أن
يخرجها من صومعتها العاجية إلى النوص في أحوال
هذا العالم

شد ما هي عظيمة في وحشة روحها !
وشد ما هي فاتنة بنفورها !
وشد ما هو صغير بفلسفته الجافة !
إن مثله ومثلها لا يجتمعان في صعيد واحد ،
وإذا اجتمعا فللنضال ، إذ يحاول كل منهما أن يخضع
صاحبه لاعتناق عقيدته .

وسأله نفسه :
أين الحقيقة في روع كل منا ؟
ومن منا على صواب في نظرتة إلى الحياة ؟
هي تأبى إلا أن تكون معلقة من شعرها بين
الأرض والسماء ، وهو غائص بأقدامه في جوف
الأرض ...

كل منهما يمت إلى دنيا صاحبه ، وأى العالمين
يجب أن يستقرا فيه ؟ ...

إن الحقيقة تبدو لهما كالشعاع من بعيد ولكن
تترأى لكل منهما على صورة مخالفة للأخرى ، إنها
مركزة هناك أحياناً ، وتجرى أمامهما آناً .

وهب أنهما قطعا الليالي الطوال جرياً وراءها
فهل يمكن أن يأخذا غير قبض الريح ؟
يشعر بأنه يقضى حياته متخبطاً في الظلام رغم
تساويل مباحج الحياة ...

تخطف القلب وتدع صاحبه صريعاً
قال : حسبته أن ينعم بالخلود في قلبها ...
وعادت . فابتسم الرجل وانطلق وجهه ...
قالت صديقتها : كذبت عليك .
وأعقبت الفتاة : هيه ماذا تقول بعد أن قلت ،
إما إلى الموت أو أسلم نفسي لبضع الجراح ؟
قال : وما زلت أقول ذلك
فابتسمت على مضض قائلة : إلى الموت ياسيدي
إلى الفناء ، لكن لأخلد الآخرين ! .

سأفنى نفسي في ذات الإنسانية كلها موزعة
قطرات دمي ونور روحي وصفاء ذهني على كل بائس
محروم ، إلى هذا الموت سأذهب
ولكن لأخلد من هم بالخلود أولى وأجدر .

فقال الرجل بصوت الهاجع : تغريدك يا آنستي
يشير مكان النفس وينزع كل خاطر من كمينه ،
وأناشيدك مادية فاخرة تقدمينها للسابلة ولكنها
تحمل عصارة روحك ...

وأولئك السابلة العابرون يسلمونها إلى الفناء
البطيء المباكر لينعموا بهذا التوقيع المروع ، أترك
غرائك الفطرية تقدك ولكن أحسنى تلجيمها .

هنا انتصبت الفتاة ، وقد تلون وجهها بظلال
الأم مستأذنة ، ثم انصرفت بعد أن ألقت عليه ابتسامة
موشاة بالقلق .

ولما خلت إلى نفسها انمحي من ذهنها كل خاطر
عدا كلمة الرجل « أترك غرائك الفطرية تقدك ،
ولكن أحسنى تلجيمها »
حكمة لها معناها .

ما ضرها لو تمتعت بالحياة وخافت الله ! ...
وقضت الليل تفكر في هذا المصير ...

لكنه الآن يشعر أن جميع عواطفه التي صرت
بقلبه نسمات عابرة بددتها أعاصير الزمن ... عدا المرأة
التي أحبها منذ سنين وبادلتها الحب صرفاً ثم ماتت
شهيدة بيد مجرم أثيم ...

تذكر هذه المرأة فتألم في حرارة ثم تلاشى هذا
الطيف وراء الدخان المتصاعد من أنفاسه اللامرئية
ثم عاد يتكون حتى جسم طيف الفتاة فأحس بالدفء
يلبس جسمه البارد وشعر بأطراف أناملها السحرية
تمر برقة النسيم العاطر على شعره فتبت في كيانه
حيوية الانتعاش المحبب ...

اقترب منه الطيف في شبه نور انبثق من وراء
الأفق ... حتى واجهه ...

الحيوية تشع من عينيها والتوثب قائم على
شفقتها وحرارة روحها تهب من طيات كلماتها الغامضة
المهمة التي ما تكاد تخرج من صدرها حتى تلتوى
بين شفقتها فتبدو كظل مموج أكسب جسمها
حرارة الجسد الإغريقي

ووقف الطيف أمامه صامتاً فأحس الرجل بأن
الرغبة تلبست جسمه وانسرح بروحه في ذلك المعنى
الذي لا يدرك وتلك الروح الوالهة الظمأى التي لم تنهل
بعد من موارد الحياة ولذا نذها ولاح له شغفها الذي
لم يسأم يطل عليه من وراء كل جانحة فيها ...

كل ما فيها يقظ متوثب للعراك وللعناق وللغناء
في الجوهر الأسمى نور الحياة الذي يسمونه الحب
وطاب له أن يراها أمامه تمسك له المشعل
مشعل الحب والأمل مجتازاً بأحلامه مراحل جديدة
يسمع خلالها صوتاً منشداً أناشيد الأمل وأهازيج
النبطة يشدو الحنين وفي يمينها قيثارة ذهبية توقع
عليها لحناً بغير كلام ...

فهل يمكن أن يجتاز الظلام إلى عالم النور من
عاش في بطن أمه وهي ظلام في ظلام وخرج منها
يدب في الظلام وسوف يدخل القبر في الظلام !
فأحس برغبة جامحة للتصوف واستسلم بكليته
إلى المجهول وأنكر ذكاء العقل البشري واقتدار القوة
الإنسانية

وتصور هواجسه هذه تطرقها في محرابها وهي
بين يدي الله ...

فارتد عنها متمنياً غفوة تنسيه ما هو فيه راجياً
لها نوماً هادئاً ويقظة فرحة تطالع النور معها بجبينها
العالي ونفسها القانعة قائلاً لنفسه : هنيئاً لها ما هي
فيه ... وويلي مما أنا فيه

وكلانا أضحوكة في فم الزمن وألعوبة في يد القدر
وما كاد يتنفس لينام حتى أحس بضوء الفجر
الوردي يلمس روحه بعد أن أكسب ظلمة الليل وهج
الحريق

فتتنفس الصعداء وتتم :
تري أينما يكسب نفس صاحبه وهج نفسه ؟

في الواقع لم يتعمد الرجل أن يحبها ولكنه منذ
رآها لم يعد يملك رد تفكيره عنها وراح يشعر أن
تفكيره فيها نوع من الابتهاال أو الإيحاء الساجي
الوديع ...

وانزوى على نفسه في صومعته تاركاً كل شيء
في الوجود - عداها - شاعراً أنها هي دنياه
الحافلة بمباهج الوجود، وأن أحلامه وأمانيه تعمقت
روحها وأحس عن يقين بأن حبه صادر من معين
خصب يفور بماطفة صادقة حلوة

لطالما أحب أو هكذا خيل إليه ...

نشيد جديد كلماته دم وأعصاب، وجرسه نبض
قلب الهندية المدوى

وذاك اللحن يدوى ويصمت ويرتفع ويهبط
وينكمش وتنفرج أساريره

وطنى عليه الخيال حتى ظنها حقيقة ملموسة
فاقترب منها وما كاد يعد يده ليصافح اليد الناعمة
العاذلة حتى جرت من أمامه ولحها تجري لاهثة تبني
الأم للذة وتسى للذة ولتتألم، وتراى إليه صوت القمر
يدوى منغماً في شبه حذر :

(إجربى... إجربى... يا فتاة سيكون في أوجه
الرحلة أوج مجدك ومنها تصلين إلى القمة فترسلين
إلى الإنسانية أشعة النور وتكونين أنت الشعاع
المذاب في قلب الوجود)

وانتبه بعد إغفاءة لا يدري مداها نخيل إليه أنه
ولد من جديد

تمنى لو يلقاها... ولكنه لا يريد أن يراها. المرء
لا يكتب شيئاً على الرمل ساعة هبوب الأعصار وهو
لا يريد أن يراها خوفاً من أن تحرقه، وإذا احترق
فسيكون احتراقه بدون لهب لأنها ليست امرأة
عادية تقنع بمادة الحياة

هي امرأة تمر بالبرودة ناراً لافحة وتمر بالنار برودة
مثلجة

مزيج عجيب من الحس المرهف والجمود المطلق

جاءها ليزورها مع صديقتها - في الواقع جاءها
ليدفن روحه طى روحها فوجدتها جالسة في معبدها
وهي غرفة جمعت فيها ينابيع الفنون

قيثار اضطجع على مخدع وثير من ريش النعام
كأنه حبيب استند إلى صدر ناعم وسنان، وفي ناحية

أخرى مكتب متواضع ثنارت عليه أوراق احتفظت
بخواطرها من النسيان، وبالقرب منها صور رمزية
رسمتها في مواقيت مليئة بالحسن النوع. دخلا عليها
وهي عاكفة على رسم زهرة تليه بألوانها الزاهية يحوم
حولها فراش

ونظر الرجل إلى الصديقة كأنه يقول لها :
أنظري لقد جذب الرسم نفسها من حيث لا تدري
ونظرت إليه الصديقة بمعنى : أن لها على كل شيء
طابع الصدق والصراحة. وقف الرجل يتأمل الرسم
ثم مد يده في بطء وطمس الزهرة بالقلم الأسود
وراح يدمدم : الآن... لن تفزع الفراشة الوادعة
وهي تدوم حوالى الورد الناعمة وتحوم، ورسم
بيده وهو لا يدري كيف رسم - لأنه لا يجيد فن
الرسم وإن كان يحبه - رسم زهرة (التوليب
السوداء) التي إذا أطبقت أكامها على الفراشة
الحائمة حجبت عن عينيها وضح النهار وأوقعتها على
رحيق لا تفيق منه أبداً

ونظر إليها مترقباً ما تقوله فلم تتكلم، وتلهت عنه
بمخاطبة صديقتها :

فاغتاض إذ كان يريد أن تعاتبه وتغضب،
فلما خرجت صديقتها لشأن لها اقترب منها مشيراً
إلى الرسم بطرف إصبعه قائلاً :

- ما رأيك فيما فعلت ؟

قالت - فهمت ما تعنيه

قال - أريد أن أفهم ما عنيته

قالت - حسبك أن أفهمك

قال - وأنا أريد أن أفهمك ؟

قالت - لن تفهمنى إلا إذا فنيت في وهذا
لن يحدث أبداً

فتغابى وتمم : وما ذنبى حتى أموت ؟
فابتسمت قائلة : إنك ستتحيا إنما على صورة
أبهى وأروع ، سيموت كيانك وتخلد روحك
فقال فى حدة : هندية — هندية — هندية
كيف ولدتك أمك المصرية ؟

قالت — ولم أسميتنى كذلك ؟
قال — إنك تفهمين فلماذا تسألين ؟
قالت — آه ... معك الحق ... أجل أنا هندية
أومن بخلود الروح وأميل إلى أن يموت حبيبى من
أجلى لأعيش من أجله
فاحتد قائلاً : هذا فظيع ، فظيع جداً ، هذه
أنانية لا تتفق مع ابنة الإنسانية

قالت — أبداً ... إذا مات الإنسان فى سبيل
الحق والشرف والصدق عاش على ضوء هذه الفضائل
خالداً بخلود الأجيال ، راسماً على جبين الزمن نجماً
لا يخبو أبداً ...

قال — وهل الحب يستحق الموت ؟ وإذا عجز
الحب عن تخليد الإنسان أيسهل على الإنسان تخليد
الحب ؟ لا أظن

قالت — لو فهمت الحب صحيحاً لعرفت أنه
مكيف المثل العليا وخالق الفضائل السامية ...
إنه كلمة الله الصريحة التى نطق بها يوم خلق الضميرين
الخالدين ... (هو — هى) ...

قال — إنك تبالغين فى تعزيز الحب ... مع
أن أصل البلاء منه

قالت — كل فساد خلعت عليه لباس الحب
كذباً لا ينتمى للحب الأكيد بصلة ، اسمع ،

إنكم تموتون فى اليوم أكثر من مرة ... تموتون
بالكذب والخداع وأنتم لا تدرون ... ومن يموت
فى سبيل الكذب يكون أشبه بالوقود ... ينتهى
بانهاء اللب

أما من يموت فى سبيل الصدق فيكون أشبه بالنور
يتلشى فى الأفق ولكنه يضىء الكون للعالمين ...
فلماذا لا تتخير الحياة العليا ؟ فقال مستخفاً : النهاية
مرسومة منذ الأزل. فقالت : حسن ... لكن لماذا
لا يذهب المرء إلى نهايته راضياً مطمئناً على شفته
بسمة الإيمان بدل أن يذهب قلقاً خائفاً فى عينيه دمة
الكفر. كانت تتكلم بصوت عميق ... عميق ...
فيه حرارة الإيمان الأكيد

نفث شع الرجل وقال : إرفعيني إلى سمائك إن كانت
لك سماء لم أتعرفها بعد ، ولن أحاول أن أنزلك إلى أرضى
أيتها الهندية المجنحة . وقبض على يدها فى احترام
مردفاً : صفاء عينيك ونقاء روحك أسكبهما
فى بساتك ونظراتك « دائماً » لتعاودنى ذكرى هذه
الساعات العاصرة بالإيمان الحلو الرطيب ولكى تردنى
إلى كثير من أحلام الحماسة الأولى ...

وانحنى فى خشوع مقبلاً طرف رداءها متمماً
والدموع تراود عينيه ...

إنى أفعل ذلك طاهراً متطهراً من كل شائبة ،
فبذلك جدير بهذا التقديس حتى من أمثال الأبالسة ..
فأطرقت ملياً مفكرة ... ثم رفعت إليه بصرها
وقد فاضت دموعها قائلة : أيها الشيطان الشقى ...
سأحبك لأهديك ... وأقتلك لأخلدك

الإلهية أرادت فوق ذلك أن
تسبغ عليها كل نعمها فخبثها
بصوت غرد جميل إذا سمعته
حسبته سجع الحمام أو شذو
العندليب

ويتوسط تلك القرية الهادئة
عين ماء يستقى منها أهلها
تظللها شجرة توت ضخمة

السحج إلى القريّة أقصوصة واقعية بقلم الأنيسة نعيمة المغرب

هذه القصة يا قارئ ليست من نسج الخيال
ومبتكرات القريحة بل قصة واقعية حدثت في إحدى
قرى الشام . ولم يزل أهالي تلك القرية والقرى
المجاورة يتحدثون بها ويروونها بحزن وكآبة
لكل زائر غريب

هناك على هضبة مرتفعة تقوم قرية صغيرة
تطل على سهل فسيح أفرغت عليه الطبيعة أجمل
حللها السندسية وأرق غلاتها المبرقشة الزاهية .
وقد نثرت بيوت تلك القرية على منحدرات الهضبة
نثراً بديعاً حتى يخال الناظر لأول وهلة أن تلك
البيوت إنما ترحف رويداً رويداً إلى أحضان ذلك
السهل . وفي ذروة هذه القرية الهادئة يقوم بيت
صغير يشرف على ذلك السهل الفاتن طليت جدرانه
بلون أسمر داكن . ولكنه لم يستطع إخفاء ما قرضت
منه نيوب السنين وهشمته يد الخصاص والعدم

في ذلك البيت الحفير نشأت بطلة قصتنا (وطفاء)
وقد نعمت جدرانها بمشاهدة طفولتها المرحّة ورنين
ضحكاتها الموسيقية . ولم تتجاوز طور الحداثة وتستقبل
عهد الشباب حتى أخذ جمالها الفطري يبدو بصورة
تخلب الأبواب ، فكانت ممشوقة القامة ذات وجه
جميل وعينين تفيضان سحراً وعذوبة ، وكأن العناية

باسقة الأغصان ممتدة الفروع آخذها صبايا القرية
محلاً لاجتماعهن وسمرهن . وعندما تنهض ذكاء من
مرقدها تجر ذيلها الذهبي وترسل نورها المنعش إلى
حجراتهن الضيقة ، يحملن الجرار على أكتافهن
المكتنزة ويسرعن إلى العين ملثها من مأها العذب
النير . فهناك يحلو لهن الحديث والسمر ، وتفيض
تخيلتهن الخصبية بأحاديث فاتنة من أحاديث الصبا
والشباب . أو يشدون غناء ساحراً تسيل من نبراته
الركة والعذوبة والحنين . وكثيراً ما يرقصن رقصهن
القروي الفاتن فيؤلفن حلقة ويتشابكن بالأيدي
ويتمايلن بأثوابهن الفضفاضة وقدودهن السمهرية
تمايل الأغصان اللدنة حركها نسيم السحر . وكانت
وطفاء واسطة عقدهن بحكم ما وهبت من ليونة
في الجسم وخفة في الحركة ، فضلاً عن ذلك الصوت
الشجي الذي كانت بتموجاته الموسيقية تحدوهم إلى
الإيمان في الرقص بوجوه تطفح بالبشر والسعادة ،
وتفيض بالابتسامات المشرقة العذاب

وكان معظم أولئك القرويات يجئن المدينة القريبة
لتصريف حاصلاتهن من أثمار ولبان فيمتلك
مشاعرهن ويشير إعجابهن ما يشاهدنه فيها من سحر

وجمال . فتيات بملابس زاهية خلاصة حسرن عن صدورهن وصبغن وجوههن بمختلف الألوان . وصر كبات تجري وحدها بواسطة أشباح غير منظورة أو بواسطة طائفة من السحرة والجان . وصناديق خشبية حبس المغنون أنفسهم فيها عن الأعين وأرسلوا منها أجمل الأغاني وأعذب الألحان . وقصور شاهقة في الهواء . تتلأأ فيها مصاييح الكهرباء فتخالها قطعة هبطت من السماء . وغير ذلك من المشاهد الرائعة التي يرتد عنها الطرف ويقصر عن وصفها اللسان

وبجانب تلك العين وفي ظل شجرة التوت كانت تلك الفتيات الطروبات يتبارين في وصف سحر المدينة ومفاتها . وكانت وطفاء قلما تشترك معهن في أحاديثهن عن المدينة بل كانت تطرق برأسها وتنوص في لجج الأحلام . كأنها تفكر في حقارة قريتها وما يحيط بها من عيش زرى وحياة متجهممة عابسة وتقارن بينها وبين جمال المدينة ومناظرها المغرية وحياتها البراقة الضاحكة فتود لو تهجر القرية وتقطع صلتها بتلك المناظر الكامدة الموحشة وتفارق هذه الصور التي اعتادت مشاهدتها صباح مساء

أقبل الشتاء بقارس برده وقد لمس بأصابه الخسنة شجرة التوت فتناثرت أوراقها وتجردت أفنانها . وأقفر العيون من أليفاتها اللواتي هجرنها وقد قبعن في زوايا بيوتهن بجانب مواقد النار يصطلين بلهيبها الوردى ودقها الجميل . وخلت أزقة القرية من أصوات الفتيات ورنين ضحكتهن وهن غاديات رائحات . وأشد ما أوحش القرية غياب (وطفاء) ذلك الببلب الضداح الذي كان يشدو بصوته السحري متنقلاً من غصن إلى غصن ومن فنن إلى فنن . فيملاً

جو القرية طرباً وسروراً . ومن كان يظن أن اسم وطفاء أصبح بغيضاً إلى أهل القرية إذا ذكر في مجالسهم تقطبت أساريرهم وتجهمت وجوههم وتمتمت شفاهم بعبارات خافتة مبهمة قد تكون عبارات لعنة وازدراء أو رحمة ورناء ؟ وقد كان أكثر السكان اهتماماً بخبر وطفاء الفتيات اللواتي كن يتحدثن عن غيابها ، ويتها مسن بما سمعنه من أن أحد شباب القرية نزل المدينة فرآها ترقص في أحد مسارحها بتياب شفافة وقد صبغت وجهها بمختلف الأصباغ ووزعت ابتسامتها المشرقة على الجمهور الذي كان يسمعها كلمات المديح والإطراء وينثر عليها الرياحين والورود انزلقت وطفاء في حياة المدينة الصاخبة واستهواها بريقها الساطع وجوها المغمم بالفتنة والسحر . وملككت أعنة القلوب بصوتها الشجي المطرب ورقصها الفاتن الرشيق ، وأصبحت درة ساطعة اجتذبت بروعتها لب الجماهير وألهبت أكفهم وحناجرهم بالتصفيق والهتاف

لشد ما أخطأت المسكينة فيما اختارته لنفسها من الفوص في خضم المدينة الزاخر ، والاندفاع في آذيه المتلاطم ، ولشد ما أخطأت مذ آثرت هذا الجو المملوء بالرياء واللق على جو قريتها الهادئ وحياتها الطيبة ونسيمها العليل . وغاب عنها أن الجمال ظل زائل ، وأن الشهرة التي نالتها مثيلاتها رسم حائل ، والوردة الغضة العطرة ، التي زينت الحسناء بها صدرها سرعان ما تزوى فتتناثر وريقاتها وتدوسها الأقدام ، وأن الشجرة الوارفة الظلال التي تثمر ثمرأ شهياً يتلذذ المترفون بطعمه ويزينون به مواعدهم الأنيقة قد يطرأ عليها الجفاف فتجثها فأس البستاني من أصولها وتقذف بها في النار ،

وهكذا كان شأن وطفاء التي سحرتها بهارج المدينة فقد اجتواها الجمهور وملّوها حسب عادته وأعرض عنها إلى غانية سواها ظهرت حديثاً على المسارح كانت أوفر جمالاً وأنضر شباباً ، وأشد فتنة وإغراء ولما شعرت القروية المخدوعة بأفول نجمها وارفضاها المعجبين من حولها ورأت نفسها وحيدة منبوذة تتقاذفها اللجج وتلعب بها الأهواء عاودها الحنين إلى قريتها وأخذت تستعيد ذكريات حلوة عن ذلك الماضي البعيد عند ما كانت تنعم بحياة هادئة ساذجة فتمنت لو ترجع إلى قريتها وترتوي من مائها العذب وتتفياً شجرة القوت ذات الأغصان الباسقة والظل المديد ، ولم تلبث أن أصبحت هذه التخيلات حقيقة واقعة فأعدت عدتها وارتدت ثوبها الأحمر القروي الذي احتفظت به كأثر محبوب وأسرعت تغذ السير إلى قريتها وموطن أسرتها

تراجعت الشمس بوجه أصفر خزين أمام كتائب الظلام ، واستترت وراء الأفق لتلم شعنها وتميد الكرة والوثوب ، وتجمعت سحب كثيفة تنذر بعاصفة هوجاء فسربلت السماء بغشاء قائم مهيب ، وأخذت الرياح تعصف بشدة ، وتملأ الفضاء بعويلها الرهيب ، وقد اختلط صوتها بعواء ذئاب عضها الجوع فخرجت من أوجارها . لتبحث عن فريسة تطفى سغبها وتعلل بها صغارها . في ذلك الحين كانت وطفاء قد عجزت عن مواصلة السير وبلغ الإعياء والجوع من جسدها ونفسها مبلغهما وقد رأت من بعد طلائع قريتها كما تبدو بارقة الأمل في ظلام الحيرة الدامس فخرت على الأرض وجعلت تتراقص أمام عينها خيالات براقة من صور الحداثة وتمر أمام

بصرها المترجرج أطياف ترنو إليها بعطف وحنان ، ثم تغيب في الأفق البعيد ، وجسم لها الخيال سرباً من الفتيات الحسنان يضربن على الدفوف ويشدون الأغاريد . وقد عصبن رؤوسهن بعصائب زاهية مختلفة الألوان وحلن معاصمهن وأجياذهن بأساور وعقود تجتذب بسنناتها العيون والأبصار . وتمنطقن بمناطق ذهبية ذات بريق ولألاء . وقد انبرت من بينهن فتاة ذات شعر أسود حالك وقوام لدن ممشوق فأخذت ترقص وتشدو بصوت عذب حنون ، أغرودة تطفح بالحزن وتفيض بالشجون ، حتى إن الرياح الثائرة كفت عن ثورتها وأنصتت بسكون إلى رقيق شجوه وعذب نغماته . وأطل القمر من خلال السجف يرنو بلحظه الساجي ويصيحخ بسمعه إلى رقة كلماته وآهاته ، وتمايلت أغصان الشجر طرباً تهامس عن سحر هذا الصوت وحلو نبراته . ثم لم تلبث تلك الأشباح الراقصة أن ارتفعت في الفضاء شيئاً فشيئاً فينأى طيفها وتختفي بين طيات الغمام . وبينما كانت وطفاء بين الحلم واليقظة تتبع تلك الأشباح وتودعها بالنظر الباكي الحزين شعرت به مهمة خافتة بالقرب منها فأغمضت عينيها واستسلمت إلى غيبوبة حلوة هائلة

وفي اليوم التالي حمل فتيات القرية سلاهن وقصدن المدينة القريبة فإذا بهن يلحجن بقايا جثة آدمية نهشتها الذئاب وتبعثرت أشلاؤها هنا وهناك ولم يسلم من عبث الضواري الجائعة سوى ثوب أحمر ورأس جميل بشعره الأسود وعينييه الساجيتين . وقد افتر ثغره عن ابتسامة عذبة وتطلع بيأس وحنين إلى جهة ... القرية

نعمة المفري

« دمشق »

عروس البحر

لِلْكَاتِبِ الدَائِمِ كَيْ " اندرسين "
 يَفْتَلِمُ الْأَدِيبَ كَمَا لَلْجَرِيرِ

ولقد كان يزين صدر كل
صدقة أو محارة لؤلؤة كريمة
أو مرجانة يقيمة ، تكفي واحدة
منها لو ازدان بها تاج مملكة
أرضية ، لأن تدر على خزائنها
الذهب ...

لقد تامل ملك هذا القصر
المعجب منذ من طويل ، وكانت
أمه المعجوز تدير شئون المنزل .

وهي امرأة حكمة ورأى ، ليس عليها من مأخذ
إلا تعصبها لمراقبة أصلها ونبل محبتها الذي خولها
من دون أفراد الأسرة جميعها أن تزين ذنبها السمكي
بائني عشر عقداً فريداً ، بينما بقية أفراد العائلة المالكة
لا يزدان ذنبهم بغير عشرة عقود فقط . وفيما عدا هذا
المأخذ وهذه الميزة كانت الأم المعجوز من أعطف
الأسرة على الأميرات الست بنات ابنها عرائس الماء
الجميلات . لقد كن ستاً ، مامنهن إلا حسناء فتانة ،
ولكن الصغيرة منهن ، كانت أجملهن قدراً وأشدهن
سحراً وفتنة ، ذات بشرة ناعمة ناضرة كأنها ورقة
وردة ، وعينين زرقاوين صافيتين تحكيان ماء بحيرة
زرقاء عميقة ، إلا أنها كبقية أخواتها كانت لا تسمى
على رجلين إنسانيتين ، إنما ينتهي جسمها بذنب سمكي
لقد كان هؤلاء العرائس الجميلات يمرحن ويلهون
أكثر النهار في باحة القصر ، حيث الجدر كانت
تنبت أزاهير يانعة رائعة هي أبدأ في تموج وترجرج
وكانت نوافذ القصر العنبرية الندية مفتوحة غالباً ،
فكان السمك لا يفتأ يروح ويدو من البحر إلى
غرف القصر وأبهائه كما تلج وتخرج عندنا أمراب
السنونو من الغرف حين نفتحها لهواء الربيع ، وكانت
(٦)

... هناك . . . هناك في عرض البحر المحيط
كان الماء يحكي في زرقته المشربة بالخضرة لون ورق
الأعرج ، ويشبه في صفائه وشفافته ذوب البلور .
ولسكنه كان بعيد الغور بحيث لا تبلغ قرارته مرساة
مهما طالت . . . وهناك كان يسكن شعب الماء . . .
ويجب ألا يذهب بنا الظن ، مع ذاك ، إلى أن
ليس هناك في تلك المملكة المائية غير الرمال العارية
البيضاء اكلا . إنه لينبت فيها أشجار سحرية عجيبة ،
ونباتات جدُّ لينة ملساء لطيفة الجس ، حتى أنها
لترتعش ككائنات حية لأدنى حسنة من حسات
الماء ، أولسة من لمسات الموج ... ومن خلل هذه
الأفنان ، وفجوات هذه الأغصان المائية ، كانت أنواع
السمك صغيرها وكبيرها ، تحوم وتدور حول هذه
الأشجار ، كما تحلق وترفرف عندنا عصافير الشجر
وطيور الدوح سواء بسواء ...

في غور المحيط كان يقوم قصر ملك الدأماء :
جدرانه من نفيس الدر والمرجان ، وشبابيكه من
عبق المنبر وشذى الند ، وسقفه من ثمين الصدف
وغالي الدر . . . وكان السقف يفلق وينفتح حسب
حركة الماء واتجاه الموج ...

صغار السمك تسبح بين أيدي الأميرات وتترك
المرائس الست يداعبنهن دون خوف . ولقد أحيط
قصر ملك البحر ببستان أنيق وسيع يانع الشجر
رائع الزهر ذى أزاهير ملونة مبرقشة فيها الأحمر
الأرجواني واللازوردي الداكن والأخضر الفاتح
ومن خلال الشجر كان يلتصع الثمر كقناديل الذهب
ويتوهج الورق مثل مشاعل مضيئة ذات ألوان
وشيات مختلفة . أما الأرض فقد كانت مغطاة
برمل أزرق أملس ناعم
كل شيء هناك في الأعماق كان غارقاً في أضواء
زرقاء ساحرة عجيبة ، حتى ليظن أن المكان في الهواء
الطلق ، من تحته سماء ومن فوقه سماء زرقاء أيضاً
وفي أوقات الصحو الجميلة ، كان يطل قرص
الشمس على مملكة البحر فيظهر كزهرة كبيرة
أرجوانية ، يتألق ويسطع حول كأسها أمواج من
أضواء وأنوار

لقد كان لكل واحدة من عرائس البحر الست
أميرات القصر مكان في بستان القصر الواسع ،
اختارته لنفسها تزرع فيه وفق ذوقها ورغبتها ،
فاختارت واحدة منهن لقطعة أزاهيرها شكل حوت
« البالين » ، وأحبت أخرى أن يكون شكل قطعة
أزاهيرها يشبه عروساً من عرائس الماء . أما الأميرة
عروس البحر الصغيرة فقد نسقت قطعة حديقتها
وأزهارها مدورة على شكل قرص الشمس ولم ترصمها
إلا بأزهار حمراء مشتعلة مثل الشمس

لقد كانت عروس الماء الصغيرة بنتاً غريبة
الطبع ميالة إلى الهدوء والتفكير ، بينما بقية أخواتها
كن يلهون ويلعبن بالماب وأشياء متباينة يهديها
البحر إليهن من غرق الساكنين . لم تكن هذه

— إنك حين تبلغين الخامسة عشرة يا بنيتي ،
سيكون لك الحق أن تعتلي سطح الماء وتصعدى
إلى وجه البحر وتجلسي على صخوره اللس الناعمة
وتبصرى السفائن الكبيرة والدوارع العظيمة التي
تخطر على سطحه في ضوء القمر . نعم وستنعمين
حينذاك بمشاهدة المدن والأمصار والغابات والبساتين
التي تتوقين لرؤيتها . كانت الأميرة البكر ستكمل
سنيها الخمس عشرة بعد عام ، وكل من الأميرات
الست تكبر أختها بسنة واحدة . وإذن فستمضي

وأقن مشهد ليعينها التمدد في ضوء القمر على بساط الرمل الأبيض الناعم بجانب بحر هادئ صاف ، ومشاهدة الساحل الواسع ، وقد احتضن المدينة الكبرى التي كانت أضواؤها ومصايبها تلعب في حلك الليل كثات من النجوم الزواهر ، ثم الإصغاء إلى عزف الموسيقى الشجي ، ودوى العربات ولغط الجماهير ، وأخيراً تأمل الأبراج الشام والقباب الباذخة يتردد في جنباتها قرع نواقيس الكنائس المشيدة ...

كانت عروس الماء الصغيرة ، تصني لسرد مشاهدات أختها في شغف ، ومنذ ذلك لم تنقطع عن الجلوس إلى نافذتها المفتوحة على عجائب البحر ومناظره ، ولم تفتر عن التفكير في هذه المدينة العجيبة ذات الضوضاء المرتفعة والمصاييح المتوهجة التي لا تعد .

بعد مرور سنة جاء دور الأخت الثانية للصمود إلى سطح البحر والسياسة فيه حيث يطيب لها الانتقال ولقد صعدت إلى سطح الدأماء في الوقت الذي كانت الشمس تميل للغروب ...

وحينئذ رأت من مشاهد الروعة والفتنة والنور ما لم تره سابقاً في حقيقة أو تنصوره في وهم وخيال . كانت تقص على أخواتها :

لقد كانت السماء بأجمعها قطعة من ذهب ، وقطع السحاب مموجة بألوان من الحمرة والبنفسج زاهية رائعة ليس في الإمكان وصفها ولا تصويرها . ولقد كان يخلق فوق رأسي ويرفرف ، ولكن في سرعة تفوق سرعة السحب المطرزة الفارقة في ألوان الطيف ، سرب من الأوز المائي كان يطير فوق الماء في نفث

على عروس الماء الصغيرة أصغر أخواتها خمس سنين حتى تستطيع بعدها الصعود إلى وجه البحر واكتشاف عجائب اليابسة . ولكننا أذن للأميرة البكر أن تصف لأخواتها ما جذب عينها وسحر فؤادها من مشاهد ومراء غريبة تشاهدها في اليابسة لأول مرة من صمودها . وذلك أن الجدة لم تقل كل شيء لحفيداتها اللاتي كن ينتظرن بنافذ الصبر أن يعرفن كل شيء عن اليابسة ولم يكن أكثر ولوعاً بالمعرفة وتشوقاً للاطلاع من عروس الماء الصغيرة ، ومع ذاك كانت نوبة سياحتها إلى الأعلى آخر أخواتها ...

وغالباً ، حين يسدل ستار الظلام ، كانت الصغيرة تظل مرتفقة قاعدة نافذتها المفتوحة ، تتعلم بمشاهدة لازورد الماء الداكن حيث الأسماك المختلفة الحجم ما تنى عن الطواف والحومان ، محرك أذناها أورا قصة بزعانها ... كانت العروس الصغيرة تبصر القمر ، والنجوم من خلل أطباق الماء مصفارة كابية الوجه مطموسة الأثر ، ولكنها كانت تلوح أكبر حجماً مما تبدو لأعيننا . وفي بعض الأحيان ، كان يُخيل للفتاة ، أن سحابة من السحب تحجبها عن عينها ، فتعلم حينذاك بأن صوت « البالين » يمر فوق رأسها ، أو أن هناك على سطح البحر سفينة مشحونة بالأموال والرجال تمخر في الدأماء أو تنصور أن هناك في الأسفل منها ، عروساً للماء صغيرة كانت تمد يديها البيضاءوين إليها في لهفة واشتياق .

وأخيراً أقبل اليوم الذي بلغت فيه الأميرة عروس البحر الكبرى أعوامها الخامسة عشر ، والذي تستطيع بعده أن تصعد لسطح البحر . وفي عودتها كانت حافظتها تحتزن لأخواتها ألف شيء ومشهد يستحق الذكر . ولكن كان أحب شيء إليها

أمواج هائلة كالجبال في لون اللؤلؤ اللامع وبريق الماس الوضاء ، على أشكال مختلفة جبارة الحجم ، في حين أن قطائع السفن والمراكب كانت تفر منها وتتجنبها هولاً وفزعاً

ظلت عروس الماء متربعة على إحداها تداعب خصائل شعورها الطويلة المغدودة نسائم البحر . وفي المساء تغطي أديم السماء بقطع السحب السود ، وأخذ البرق يلتمع والرعد يقصف من آفاق السماء ، وارتدت الأجواء والسماء والدأماء طيلساناً أسود مهيباً من الظلمة ، فريعت السفائن والمراكب وطوت شرعها ولجأت إلى الساحل ، إلا عروس الماء فقد لبثت هادئة على ظهر البحر تنظر في اطمئنان وثبات جأش إلى زجاجة الأواذي وقصف الرعد وثرثرة الطبيعة

وفي الغالب كان عرائس البحر يأخذ بعضهم في المساء أيدي بعض ويخرجن معاً إلى وجه البحر . لقد كان لهن صوت شجي حنون أشجى وأطرب من الأصوات التي تطلقها حناجرنا على الأرض . وحينما تزار عواصف البحر وتصطبغ أمواجه الهوج فتضطرب السفائن إلى الإخلاق إلى موانئها ، كان العرائس الخمس يحمن حول السفائن ويسبحن تجاهها متغنيات بأصواتهن الحلوة الموسيقية على جمال وفتنة هوى البحر وحفره وأغواره ودواراته ، داعيات الملاحين إلى النزول إليها دون خوف . ولكن الملاحين لم يكونوا يفقهون لهذه الأرائيم معنى لأنهم كانوا يظنونها عويل الرياح أو زجاجة العاصفة

حين كان العرائس الخمس يصعدن هكذا إلى وجه البحر كل واحدة يدها بيد أختها كانت أختهن

المكان الذي كانت تغوص فيه عروس النهار في جوف البحر . لقد أردت أن أسبح صوب قرص الشمس الغريق ، ولكن الشمس توارت وتوارى بعدها كل ما في السحب من ألوان زاهية متموجة وما على سطح البحر من أطيايف ملتهبة متوهجة

بعد سنة جاء دور الأميرة الثالثة للصعود إلى سطح البحر . وبما أنها كانت شجاعة القلب جسورة فقد امتطت غارب تيار نهر كبير يصب في البحر . وهناك أبصرت أكماماً ممرعة بعاطر النبت ، وتلاعاً مستورة بناضج الأعناب . فوقفت تصنى لغناء الطير وترجيع المصافير ، ولكن أشعة الشمس كانت من التضرم وشدة الحرارة بحيث كان عليها كل فترة أن تغوص في الماء كي تبرد من لافح حرها وجهها الحمران . ولقد شاهدت في حمام بحرى على الساحل طائفة من صغار الأطفال ينغمرون في الماء ، فأحبت أن تلهو معهم وتشترك وإياهم في اللعب والسباحة ، لولا أنهم فزعوا منها ولاذوا بالفرار . وحينئذ أقبل حيوان أسود اللون - وكان كلباً لم تعرفه وتبصر مثله عروس الماء في حياتها - أخذ يصيح وراءها صياحاً شديداً مزعجاً حتى أخافها وألجأها إلى الاحتماء في أعراف الموج .

لم يكن عند عروس الماء الرابعة شجاعة كافية لهذا ظلت في وسط البحار المنعزلة عن الناس فقصت على أخواتها أن المناظر هناك كانت أيضاً أروع وأبدع وأزف اليوم الذي تستطيع فيه الأميرة الخامسة من عرائس البحر أن تصعد إلى وجهه ، وبما أنها ولدت في قر الشتاء لهذا كانت شهيذة لمناظر أخرى . كان سطح البحر الواسع غارقاً في خضرة لازوردية زاهية ، وفي كل جهة ؛ كانت تطفو وتراقص

سبحت عروس الماء الصغيرة حتى حدود نوافذ «صالون»^(١) السفينة وفي كل مرة ترفعها فيها موجة كانت تبصر إلى الصالون من خلال زجاج النافذة الشفاف فتشاهد جماعة من الرجال في هيئة الزينة وتحضير «التواليت»^(٢)»

وكان أول من استرعى اهتمامها فتى رائع الحسن مليح الوجه أسود العينين في السابعة عشرة من سنتيه . ولقد كان هذا اليوم ذكرى يوم ميلاده ، لهذا فإن رهط المجتمعين كان محتفلاً والحفلة مقامة لميد ميلاده . وكان حين يظهر شخص الفتى بين الجمع ، تطلق تحفياً به مئات من السهام النارية في الفضاء فتضيئه وتجعله كأنه في وضوح النهار . لقد ذعرت عروس الماء أولاً لهذا النور الوهاج فغطت رأسها في الماء ؛ ولكنها ظهرت ثانية ، نخيل لها حينئذ بأن جميع شهب السماء ونجوم الفلك تساقط وتهاوى على البحر . أبداً لم تبصر عيناها شيئاً لهذه الأضواء الساطعة الباهرة ، ولا مثيلاً لها تيك الشمس المتوهجة الدائرة ، ولا نظيراً لتلك الأسماك النارية الخطارة التي جعلت عنان السماء الزرقاء مسبحاً لها وبحراً ، كل هذه المشاهد الألفة الوهاجة كانت تنعكس على صفحة البحر وتكرر على أديمه آلافاً من الأشعة والأضواء . آه لشدة ما كان منظر الأمير الفتى رائعاً جذاباً . إنه ليسلم على كل شخص ويحييه بينما ألحان الموسيقى الشجية تملأ أذن الليل .

وتقدم الليل وعروس الماء الصغيرة لم تستطع

(١) ، (٢) ليعذرنا القاري في استعمال هاتين الكلمتين وإن كبر الأمر على مجئنا اللغوي المتكبر

عروس الماء الصغيرة تظل وحدها تتبعهن نظراً حزيناً متوسلاً مشوقاً وتكاد تتفجر من مآقيها دموع الحزن لولا أن نعمة تذرّاف الدموع كانت من النعم المحرومة إياها منها عرائس البحر وذلك ما كان يزيد نار حزنهن اضطراباً . لقد كانت تناجي نفسها في أسى ولوعة :

— أوه ! متى أبلغ الخامسة عشرة من عمري !
إني لأحس أني سأعشق العالم الأرضي وسأهيم بمن يسكنه من الرجال ...
وأخيراً ... بلغت أعوامها الخمسة عشر . فقالت لها جدتها :

— حسن ، ها أنت ذى حرة طليقة فتعالى أجملك وأزينك كما فعلت بأخواتك وفعلت وضعت على رأسها إكليلاً من زنبق اللؤلؤ كل ورقة منه كانت نصف لؤلؤة مكفونة ، ثم ناطت بذنبها المياس ثمانى أصداف لؤلؤية ومرجانية رمزاً لعراقه أصلها . وقالت عروس الماء الصغيرة لجدتها :

— إلى الملتقى . ثم عرجت إلى سطح البحر في خفة فقاعة الصابون . كانت الشمس على وشك الغروب حين أبرزت العروس الصغيرة رأسها من غمر الماء . ولكن السحب كانت مغمورة بلون الورد والذهب . وفي وسط سماء باهتة كانت نجمة المساء تلمع في أبهة وروعة . وقريباً منها شاهدت عروس الماء سفينة كبيرة تتأرجح على أعراف الموج وقد استراح الملاحون عليها يصغون لعزف الموسيقى ولحن النشيد اللذين أخذوا يترددان من أطرافها . ولما كان الليل قد بسط جناحه فقد أضيئت في السفينة مئات من المشاغل مختلفة الألوان والحجوم حتى لكنت تحسبها جميع أعلام دول الأرض ترفرف في الهواء

الاصطدام بقطع السفينة المحطمة وأخشابها المتكسرة العائمة . ثم هبط الليل فأصبحت الظلمة من الكثافة بحيث لم تعد تبصر شيئاً . اللهم إلا ما يلتمع من حين لآخر من سنا البرق فيظهر الفتاة على ما يحدث هناك في الشاطئ . وقبل كل شيء بدا لها أن تفتش عن الأمير الفتى الجميل . فأبصرته في نفس الوقت الذي انشقت فيه السفينة إلى شطرين وهوت في أعماق البحر . لقد كانت جد مرتاحة مسرورة حين خطر لها أن الأمير الجميل سوف ينزل إليها في موطنها البحري ، ولكنها سرعان ما ذكرت أن جنس البشر الأرضي لا يقدر على العيش داخل الماء . وإذن فلا بد أن يصل إلى قصر أبيها في أعماق البحر ميتاً أو أوه ، ولكن لا ، إنها لا تريد أن يموت أو يمسه سوء . وهكذا تناست فجأة كل خطر كان يحيط بها بسبب الاصطدام بقطع السفينة العائمة ، فقفزت بنفسها إلى البحر سابحة بين بقايا السفينة وأخشابها . . . وأخيراً لحقت بالأمير المليح ، فإذا هو هامد فاقد لشعوره لا مقاومة فيه ولا حراك . كانت يدها ورجلاه كقطع من جليد ، وعيناه مغمضتين غمضة الموت ، ولقد كان على وشك الهلاك لو لم تداركه عروس الماء الصغيرة التي أسندت رأسه إلى صدرها الناهد ، تاركة جسمها يعوم على هوى الأمواج .

وفي الصباح هدأت ثورة العاصفة ، ولكن لم يبق من السفينة الفريقة أى أثر أو دليل . ثم ظهرت الشمس وراء البحر حمراء وهاجة ، وكأنها بحاراتها قد أعادت الحياة والدماء إلى خدى الأمير الجميل ! ولكن عينيه ظلتا مغمضتين . قبلت عروس البحر الصغيرة جبينه الوضاء ، وربت بشعره الأنيث

أن تنتزع نظراتها من السفينة الجذابة ولا من الأمير الجميل . على أن المصاييح اللألاء قد انطفأت أنوارها والسهام النارية الوهاجة انقطع طعنها أديم السماء . ولكن ما زال يتردد الآن في أعماق البحر وعلى حواشيه زجج الأمواج وصخب اللجج . لقد امتطت عروس الماء الصغيرة صدور الأمواج وراحت تتأرجح عليها ، بصورة كانت تستطيع معها من حين لآخر أن تلقى نظرة من نوافذ السفينة وكواها على من فيها من الركاب . ولكن فجأة أخذت قطع جسيمة من السحب تتراكم في ميدان السماء ، بينما سنا البرق بدأ يلتمع ويومض في حاشية الأفق البعيد . ثم تضخمت الأمواج وعلت كالجبال منذرة بهبوب العاصفة العاتية . وراح الملاحون يطوون الشرع المنصوبة وقتذاك ويخففونها ولكن السفينة كانت تدور كالدوامة بسرعة هائلة وسط هذا البحر اللجج المزبد واللجج تعلو وتعلو كأنها جبال هائلة سود تريد أن تسحق السفينة إلا أن السفينة اللدنة الميساء ، كانت تنفوس في بطون الأثباج ، كي تعود وترتق بعد لحظة قم الأمواج العالية . ولقد وجدت عروس الماء الصغيرة في ارتكاض السفينة وتأرجحها في أحضان الموج منظرًا مسلياً جذاباً ، ولم يكن ذلك رأى الملاحين المذعورين . فلقد كانت السفينة تعول وتئن لأن أخشابها الرقيقة كانت هدفًا لضدمات الأمواج الطاغية العنيفة التي كانت تحرق بها من كل مكان . وأخيراً تكسرت ساريتها الكبيرة مثل جذع شجرة خاوية هرمة ، ثم مالت السفينة من جهة بينما أخذ الماء يستولى عليها وتتدفق لوجه إليها من كل مكان . حينئذ فقط شعرت عروس البحر بالخطر وأدركت هوله . فلقد كان عليها هي نفسها أن تتجنب

الكستنائى . وحينئذ بدا لها أنه يشبه كل الشبه التمثال المرمى الذى أقامته هناك فى حديقة أبيها وأولعت به الولوع كله، فقبلت الأمير ثانية ، وودت من كل قلبها لو أفاق من غشيته .

وألقت نظرة على ما حولها ، فإذا بها تشاهد البر فسيحاً رائعاً ، وجبالاً شماء زرقاء مستورة القمم بتيجان الثلج الملتصع الأبيض ؛ وعلى طول الساحل تمتد غابة كثيفة لفاء يبدو بجانبها بناية ضخمة . لم تدر أهي كنيسة أو دير ! ولقد كان يحتاط هذه الكنيسة حديقة غناء شجراء من شجر الليمون والبرتقال ، وأمام بابها تنتصب شجرة من النخيل . ولقد كان البحر ينتهى هناك بخليج هادى عميق ، تحتاطه حصى لماعة جميلة ورمال ناعمة صفراء بهيجة . فسبحت عروس الماء إلى ذلك الخليج حاملة على صدرها الأمير الجميل المغشى عليه . ثم أنامته على الرمل الأملس واضعة رأسه أعلى من جسمه ، ومديره وجهه صوب الشمس . وأخذت نواقيس الكنيسة الكبرى البيضاء تتجاوب أرائنها فى الفضاء ، فبرز فى حديقة الكنيسة سرب من غيد حسان ، وحين مشاهدتهن توارت عروسنا الصغيرة خلف صخرة بارزة هناك ، وقد سترت صدرها ورأسها بزبد البحر كيلا يبصرها أحد . ومن مخبئها راحت ترقب الكواعب الحسان ، وفجأة اقتربت منهن فتاة من الأمير النائم ، فبدا على وجهها الذعر أولاً ، ولكن خوفها لم يلبث طويلاً ، فقد نادى رفيقاتها إليها ، وعندئذ رأت عروس الماء أن الأمير قد أفاق من غشيته وراح يتنسم فى سرور إلى من التف حوله من الفتيات . ولكن لم يجد على العروس الصغيرة بابتسامة واحدة . . . إنه ليجهل

أنها هي التى أنقذت حياته من الفرق . عند هذا شعرت عروس البحر بالأسى يرمض حشاها ، ونار الغيرة تكوى أضالعها . . . وحين حملته إلى الكنيسة الكبرى ، انغمرت عروس الماء فى أعماق البحر جدً مبتئسة حزينة ، وأخذت طريقها إلى قصر أبيها لقد كان من عادتها السهوم والتفكير والجد فى تصرفاتها . أما الآن فقد تضاعفت هذه الخصال فيها ، وأخذ أخواتها يسألنها عما شاهدته فوق البحر ، ولكنها لم تقص عليهن شيئاً

كانت تصعد فى الصباح إلى المكان الذى تركت عنده أميرها الجميل الغائب . فكانت تشاهد نضوج فاكهة البستان وقطافها ، ثم تبصر ذوبان الثلوج وانحدارها إلى بطون الأودية . ولكن الأمير الجميل حبيبها الفاتن لم تره أبداً ويا للأسف . فلا تعود فى كل مرة إلا وقد تضاعف أساها وتزايد شجهاها . فتكون سلوتها عند أحزانها أن تظل فى بستان قصرها المعجيب الرائع ، جالسة بجانب التمثال المرمى ، تحيطه بذراعيها وتلم بشفتيها جسمه الذى يشبه الأمير الحبيب كل الشبه

وفى النهاية لم تستطع أن تحتفظ بنسرها ، فأنهته إلى واحدة من أخواتها ، وهذه بطبيعة الحال أطلعت عليه أخواتها الأربع . إلا أنها أخذت عليهن موثقاً أن يكتمنه عن جميع عرائس البحر . فكتم السر فعلاً ، إلا عن عروسين من خلص الصديقات ، كانت واحدة منهن تعرف الأمير ورأته سابقاً على السفينة ، ثم إنها كانت تعلم فى أى مملكة من الأرض يقيم

قال الأميرات الأخوات لأختهن عروس البحر الصغيرة :

إن في نفس عروس البحر عدة أشياء تتوق إلى الاستعلام عنها ، ولكن أخواتها ما كن يعلمن كل شيء . وحينئذ كانت تسأل جدتها التي كانت قد خبرت الشيء الكثير عن العالم « العلوى » كما كانت تطلق على الدنيا التي توجد فوق الماء . وكثيراً ما كانت العروس الصغيرة تسأل جدتها : — حينما لا يموت الناس غرقاً أيحيون دائماً أم أنهم يموتون كما نموت نحن ساكني البحر ؟ فكانت جدتها يجيبها :

— إن الموت شيء لا مفر منه أيضاً عندهم ، ثم إن حياتهم أقصر من حياتنا إذ بإمكاننا أن نعيش ثلاثمائة سنة . ولكن حين ينتهي أجلنا لا نتحول مع الأسف إلى أكثر من رُغاء من الزبد يطفو على وجه البحر ، وليس لنا قبر يضم جسدنا بجوار من أحببناهم كثيراً في حياتنا ، ولا روح خالدة لنا لأنه لن يكون لنا معاد ولا حياة ثانية ، فثلثنا كمثل هذا القصب البحري والعواسج التي إن قُطع شيء منها فلن يعود . أما الرجال هناك فعلى العكس منا ، إنهم يملكون أرواحاً خالدة باقية تنبعث ثانية حين يصبح جسدنا رماً فتخرج حينذاك إلى السماء المضيئة وتعيش سعيدة بين جماعات النجوم اللوامع . قالت عروس الماء وقد أثر فيها حديث جدتها :

— آه . لم كنا نحن عرائس الماء لا نملك أرواحاً خالدة لا تفنى ؟ إني لأتنازل راضية عن الثلاثمائة السنة التي سأعيشها كي أنعم يوماً واحداً بين هذه المخلوقات البشرية ، وكى أنال حظي من الخلود بعد ذلك في عليا السموات . فأجابتها جدتها : — لا تفكري في أمثال هذه الخواطر يا صغيرتي إننا هنا أكثر سعادة وأرغد عيشاً منهم هناك

تعالى معنا يا أختاه . ثم عقدت كل واحدة منهن يدها في يد أختها وصعدت إلى وجه البحر كشريط من « الريان » تماماً أمام قصر الأمير . والآن قد عرفت عروس الماء الصغيرة منزل الأمير ، فقد كانت تتردد دائماً إليه في الصباح وفي المساء ، وتتقدم بجرأة المستهام إلى أمكنة أبعد مما وصلت إليها أخواتها بل إنها تشجعت مرة فامتطت القناة الصغيرة ، حتى بلغت أسفل الشرفة المرمية البيضاء التي كانت تلقى على سطح البحر ظلها الطويل . وهناك لبثت تحت ضوء القمر تتأمل الأمير وقد ظن نفسه وحيداً ... كانت تراه غالباً يترده في الماء على ظهر زورق خفيف ، فكانت ترقبه وقت ذاك من خلال العواسج والقصب البحري .

ومرات عديدة حينما ينسدل ستار الليل ويسهر الصيادون على غوارب مراكبهم يصطلون النار ، كانت عروس البحر الصغيرة تسمهم يقولون مئات من الأحاديث الجميلة عن الأمير الفتى ، فكانت تسر وتزجي حين تفكر في أنها هي وحدها التي نجت حياته حين كانت تتقاذفه اللجج . وتذكر أيضاً كيف أسندت رأسه الجميل إلى صدرها المشوق وطبعت على جبينه قبلة مشتعلة ... ولكنه هو لا يدري من هذا شيئاً ، حتى إنه لا يستطيع أيضاً أن يفكر في وجودها وراحت عروس البحر شيئاً فشيئاً تهيم بعالم اليابسة ورجاله وتود وتمنى أن تندمج بأهله . لقد كان يخيل إليها أنه أكبر من عالمها ما دام يُستطاع الخور في عباب البحر على ظهر السفائن والارتقاء إلى قمم جباله الشم التي تظعن في صدور الغيوم كما يُستطاع الإطلال من هناك على بلاد عجيبة وغابات شجراء لفاء وحقول واسعة منبسطة .

— لا ريب أنه هو الأمير الذي يمر الآن فوق
 بأبواق صيده وعدة قنصه ... هو الذي أغرته وأحبه
 أكثر من أبي وأمي ، هو الذي تتوجه صوبه جميع
 أفكارى وهواجسى وبه وحده أعلق حبي وقلبي .
 إنى لأخطر بكل شيء عزيز في سبيل إحرازه
 وفي نفس الوقت إحراز الروح الخالدة . سأذهب إلى
 عرافة البحر بينما أخواتى يرقصن ويهزجن في القصر
 نعم إنها طالما أفزعتنى ، ولكنها ربما تقدر على أن
 تولينى نصيحة أو مساعدة . وحينئذ انطلقت عروس
 الماء الصغيرة من بستانها الأنيق متوجهة جهة الدوار
 البحرى الهائل الذى تسكن خلفه العرافة . أبدأ
 لم تطرق قدماها هذا الطريق المرعب ، فليس هناك
 زهور ولا حشائش بحرية . إنما هناك الرمل العارى
 الذى يمتد حتى الدوار البحرى الذى يرغب فيه الماء
 ويفور ويصخب ويشور كأنما هو منقذ من فوهة
 طاحون هائل جارفاً إلى الأعماق كل ما يقع تحت
 متناوله من عرائس وأسماك ، ولم يكن لعروس
 البحر الصغيرة مندوحة ، كي تصل إلى منزل العرافة
 من عبور هذا الدوار الهائل ثم المشى طويلاً خلال
 مسافة واسعة من الزبد الفائر الجارف الذى يحدته
 هذا الدوار ، وإلى الوراء فى وسط غابة غريبة بحرية
 كان يوجد منزل العرافة . لقد كانت كل أشجار
 الغابة وجميع أدواحها مؤلفة من أخطبوطات بحرية
 وهى كائنات حيوانية نباتية تشبه أفاعى ذات مائة
 رأس تنبت من الأرض ، وأما أغصان هذه الأشجار
 فكانت فى هيئة أذرع جبارة طويلة لزجة ذات أصابع
 طويلة ملساء كالبلور ، ومن جذور ، حتى قمم هذه
 الأشجار الهائلة كان كل مفصل منها ومقطع فى حركة
 وارتجاج . لقد كانت تزدرد كل شيء يوقعه سوء حظه
 (٧)

— ومع كل هذا سيكون نصيبى الموت
 والتلاشى يوماً ما حين أغدو قطعة من الزبد تطفو
 على البحر دون أن تستطيع سماع موسيقى الأمواج
 ولا رؤية الأزاهير الأرجة الجميلة ، ولا مشاهدة
 الشمس الساطعة . آه يا جدتي العزيزة ، ألا أستطيع
 عمل شيء فى سبيل الحصول على روح خالدة ؟ فقالت
 لها جدتها :

كلا يا صغيرتى ، إلا أن يتدله بحبك رجل من
 هناك ، فتصبحى أعز عليه من أمه وأغلى من أبيه .
 فإذا اختص بك وتعلق بحسبك قلبه وفكره ، وإذا
 ذهب هو بنفسه إلى الكنيسة عاقداً يده بيدك كما
 يحلف أمام الراهب يمين الإخلاص والمحبة الأبدية لك ،
 حينئذ فقط تمزج روحه الباقية بروحك الفانية
 فتتالين قسطاً من سعادة خلود الروح . ولكن هذا
 يا بنيتى لن يتأتى لك بحال ، لأن ذنبنا الذى نعتبره
 نحن هنا فى البحر من أثمن الحلى وأبدع الزينة
 الطبيعية يجدونه هناك مشوهاً للجمال وقذى فى العين ؛
 وكى تروقيهم وتعجبهم ، ينبئ لك أن تستبدلى بذنبك
 أوصالاً يدعونها رجلين . فتأوهت الفتاة فى التبايع
 وهى تنظر أسوانة إلى ذنبها السمكى . فقالت الجدة :

— ومع ذاك لم الحزن والتشكى ؟ إنما جد
 سعداء ما دام أماننا ثلاثمائة عام من الحياة وهذا يكفى
 وبعد أيام أخذت عروس الماء تفكر فى العالم
 العلوى . لم تكن تستطيع أن تنسى وجه الأمير
 الجميل ولا أن تطرد من ذهنها أسمى حرمانها الروح
 الخالدة مثل روحه . لهذا خرجت من لدن جدتها
 ذات يوم ، وتوجهت إلى بستانها الصغير . وما كادت
 تبلغه وتطل من نافذته حتى طرق مسامعها دوى
 أبواق صيد . وعندئذ فكرت

بين أطرافها الجبارة . حينئذ تلتف حوله ولا تدعه أبداً . لم تستطع عروس البحر الصغيرة أن تتقدم أكثر مما تقدمت . فلقد كان قلبها يخفق رعباً وفزعاً وهمت بالعودة لولا أنها أعادت الفكر في الأمير الجليل وفي الروح الباقية فتشجعت . ربطت حول رأسها غداًرها الطويلة كيلا تستطيع الأخطبوطات أن تتلفها وتتشبث بها ، ثم عقدت يديها على صدرها وقذفت بنفسها إلى ما بين الأخطبوطات فانزلت على الماء كما تنزل سمكة رشيقة، وعبثاً حاولت الأخطبوطات وقفها أو جذبها إليها بأرجلها الكريهة المرة اللدنة

وبلغت أخيراً بقعة واسعة لزجة زلقة ، حيث شاهدت أفاعى بحرية جبارة تتحوى وتتلوى على ظهورها وبطنونها الكريهة الصفراء المبرقشة . وفي وسط هذه البقعة ، كان يوجد بيت مشيد بمظام وهياكل وجثث الفرق في البحر . ولقد كان هذا هو بيت العرافة الساحرة . لقد كانت هذه العرافة تطعم من فمها الكريه الواسع ضفدعاً بحرياً بشعاً كما كانت أيضاً تدعو الثمايين والأفاعى الهائلة بلفظ « أفراخي » ساعحة لها بأن تلتف وتتجمع على صدرها . قالت العرافة حين أبصرت الفتاة :

— إنى أعلم جيداً ما ترغبين منى ، ومع علمى بأن ما تريدنه ضرب من الحماقة ، أوافق عليه . إنك تريدن أن تعتاضى من ذنبك أطرافاً كأطراف البشر ، كي يتدله بك الأمير ، فتمكنى من الحصول على روح خالدة . وفى أثناء تكلم العرافة هكذا ، كانت تنطلق من شدقها ضحكة هائلة مرعبة سقطت لاهتزازها على الأرض الثمايين والصفادع الواحد بجانب الآخر . ثم استأنفت الساحرة قولها :

— لقد جئت فى وقت ملائم لأنه لو طلعت عليك شمس الغد لما استطعت أن أساعدك حتى مرور سنة على الأقل ... لسوف أركب لك شراكاً تحمليه إلى الأرض قبل انبلاج الفجر ، وسوف تجلسين على الشاطئ وتجرعينه هناك . وحينئذ يسقط عنك ذنبك السمكى وينقلب إلى ما يسميه الرجال هناك رجلين جميلتين . ولكن هذا سوف تتحملين فى سبيله صنوفاً من الأوجاع ، حتى لتظنين نفسك من الألم قد تشترين شطرين شطرين بسيف قاطع . ولكن سوف يعلن كل من يراك أنك أجمل وأفتن مخلوقة وقعت عليها عينه . ثم إنك سوف تحافظين على مشيتك المتموجة المتأودة التى ستحسدك عليها أرشق الراقصات هناك ، وكل خطوة تخطيها ستؤلمك كما يؤلمك المشى على سكاكين مرهفة . إنك إن ترضى بكل هذه الاختبارات والآلام ، أساعدك كما تشائين . فأجابت العروس الصغيرة بصوت مرتجف وهى تفكر فى لقيا الأمير ونشوة الحصول على روح خالدة :

— رضيت

قالت العرافة :

— واذكرى أيضاً أنك منذ الحين الذى تشككين فيه بشكل فتاة بشرية لن تستطيعى أبداً أن تعودى عروساً للماء ، ولا أن تنزلى إلى أعماق الماء بين أخواتك وأهلك فتبصرى قصر أيبك . ولئن لم تكتسبى محبة الأمير وتشغفيه حباً لدرجة أن ينسى لأجلك أباه وأمه ويرتبط معك روحاً وجسداً كما يرتبط الأزواج المحبون اليتيمون بعضهم ببعض ، إن لم تحصلى على هذا فتق أنك لن تحرزى أبداً روحاً خالدة . أما إذا تزوج الأمير واحدة من جنسه ولم يحفل بك فسوف تتحطمين

وتنقلبين إلى رُغاء طائش من الزبد على البحر
فقلت عروس البحر الصغيرة وقد امتقع وجهها
امتقاع وجوه الموتى :

— إنى لأرضى بكل ما ذكرت

قالت العرافة :

— وإذن فيلزم أن تدفنى لى شيئاً . وما أطلبه
سوف يكلفك غالباً وعزيزاً . إنك لتنعمين بصوت
ساحر شجى ما سمعت بمثل عذوبته ورنينه أذن
عروس بحر . وبه تستطيعين بسهولة أسر قلب
الأمير . وعلى هذا فستمجنينى إياه لأنى أود أن أحوز
أحسن ما عندك من منح إلهية ، فى مقابل الشراب
الذى سأصنعه لك والذى سأمرج فى تركيبه شيئاً
من خالص دى كى يزداد فعله .

قالت عروس البحر الصغيرة :

— ولكن إذا سلبتنى صوتى البديع فماذا يبقى

لى بعد ذاك ؟

قالت الساحرة :

— قدك الأهيف ومشيتك الراقصة المتموجة
ثم عيناك الساحرتان الناعستان . وذلك كاف لأن
يسبى قلب الأمير . ولكن ماذا ؟ أراك تفقدين
شجاعتك ؟ هيا مدى لسانك كى أستله ثمن تحضير
شرابك السحرى

قالت عروس البحر الصغيرة :

— ليكن ما تشائين

فوضعت العرافة قدراً على النار لإنضاج هذا الشراب
العجيب ، ثم قالت :

— إن النظافة تجب فى مثل هذه الأشربة .

قالت هذا وطفقت تدلك القدر بشعبان هائل عقده
على يديها كحزمة أو مساحة . ثم إنها حفرت فى

صدرها ثغرة راح يندفق منها دمها عزيزاً فى القدر ؛
فأخذ الدخان المتصاعد من القدر أشكالاً وتهاويل
سحرية . . . ولم تكن تغفل العرافة لحظة عن إلقاء
عقار جديد أو دواء غريب فى القدر . وحين بلغ
الركب الجهنمى درجة الغليان ، راحت تنبث لنشيشه
زجرات كزجرات التماسيح . . . وأخيراً أصبح
الشراب مضيئاً شفافاً كالماء ، قالت العرافة :

هاك هو . . . ثم . . . ثم اجتثت لسان عروس
البحر الصغيرة التى أصبحت بعد ذلك لا تستطيع
نطق حرف ولا ترجيع لحن . ثم قالت العرافة :

— إذا حاولت الأخطبوطات أن تتعلق بك
وتقبض عليك حين اجتيازك الغابة المخيفة ، فما عليك
إلا أن تلقى عليها قطرة من هذا الشراب ، فإذا
أرجلها وأيديها تتمزق وتطير فى عرض البحر . . .
لكن لم تكن عروس البحر محتاجة إلى شيء
من هذا ، لأن الأخطبوطات الهائلة تقهقرت
مذعورة حين أبصرت هذا الشراب الساحر الذى
كان يلتمع ويضيء فى يد عروس الماء كما يضيء
البدر فى غيب الليل . . . وهكذا عبرت عروس
البحر فى رشاقة الغابة فالمستنقع البوبى فالدوار
المزبد الهائل . . .

ولاح لها بعد ذلك قصر أبيها وقد انطفأت
أنواره وغرق كل من فيه فى بحر من نوم عميق .
ولما لم تستطع وهى خرساء أن تلجه ، اكتفت
وقلبها يكاد يتصدع ألماً وهى تنادر قصر أبيها إلى
الأبد أن ترسل من يديها قبلاً مشوقة حارة إلى كل
واحدة من أخواتها ، ثم رقت إلى سطح البحر
الأزرق الداكن

لم تكن الشمس أشرقت بعد حين شاهدت

قصر الأمير وجازت سلاله المرمية بجانب البحر تحت ضوء القمر . هناك تجرعت الدواء المرعب السكريه فدارت بها الأرض ، وأجست كأن جسمها الرقيق ينشطر بسيف ماض إلى شطرين ، ثم أخذتها غاشية الألم فغابت عن الوجود ... وحين بدت تباشير الصباح تنبهت من إغمائها شاعرة بالآلام لا توصف ، فإذا الأمير منتصب أمامها يرمقها بعينيه الحوراوين الساحرتين . وأغضت الفتاة حياءً فإذا بها ترى نفسها بغير ذنب وإذا مكان الذنب ساقان بيضاوان غضتان ناعمتان تتمنهما لنفسها كل فتاة ... وحين شاهدت نفسها عارية أمامه لا يستر جسمها الفاتن غلالة أسبلت على قدها المياس غداؤها الطويلة الغزيرة ...

وسألها الأمير : من هي ؟ وكيف جاءت إلى هذا المكان ؟ فأثبتت فيه نظرات من عينين زرقاوين فانتين هادئتين ولم تحر جواباً لأنها كانت خرساء . فتناول الأمير يدها وقادها إلى قصره كما تكهنت سابقاً بذلك العرافة . وفي الطريق كانت عروس الماء تُحس كل خطوة تخطوها كأنها تدوس على سكاكين ونصال حادة ولكنها كانت تتحمل هذه الأوجاع في استسلام وجلد . ولما بلغت مع الأمير القصر كانت تمشي إلى جانبه في رشاقة فقاعة الصابون . فأعجب هو وكل من في القصر لهذه المشية الراقصة المتموجة

وألبت عروس الماء الصغيرة ثوباً قشيباً من الحرير فبدت في أبهاء القصر أجمل وأفن غادة فيه لولا أنها كانت خرساء لا تستطيع نطقاً ولا غناء .

وذات ليلة ، تقدمت جوقة من مغنيات قصر

الأمير ، ففتنين أمامه أعذب ما يكون الغناء . وتفوقت واحدة منهن على زميلاتها فيه ، فصفق لها الأمير وهتف باسمها وابتم في وجهها . وحينئذ بدا حزن صامت مؤلم على عروس البحر ، حين ذكرت أنها لو كانت تمتلك حنجرتها الشجية الآن لأزرت بكل المغنيات وأخجلتهن بحنو صوتها . بعد ذلك أخذن المغنيات ، في رقصات رشقات مثيرات ترافقها نغمات شجيات من الموسيقى . وعند هذا لم تملك عروس الماء نفسها ، فأنخرطت في سلكهن وحملت جسمها على أطراف أصابعها الدقيقة ، ثم انزلت على بلاط القاعة ترقص رقصات لم ترقص مثلها راقصة . وكانت كل حركة منها ولفته تبرز تقاسيم ساقها الجميلتين ، بينما عيناها توحيان إلى القلوب من المعاني الصامته ما لا تفصح عنه لغة الغناء . كل من حضر هذه الحفلة ملكته الدهشة وأسرته الإعجاب برقصاتها المدهشة المتأودة ، خصوصاً الأمير . ولقد استمرت عروس البحر الصغيرة في دورات رقصاتها رغم أن كل خطوة أو لفته كانت تسبب لها آلاماً لا تطاق ...

وأذن لها الأمير أن تظل دائماً بقربه وسمح لها أن ترقد بجانب باب غرفة نومه على وسادة الديباج والمخمل . ولكن ذكرى أخواتها وقصرها البحري العجيب ، ما كانت تبارح ذهنها . ففي ذات ليلة ، ظهر أخواتها عرائس البحر على وجه الدأماء ، وهن متعاقبات الأيدي وسابحات يرددن نشيداً مؤلماً مشجياً . فنادت هن عروس البحر الصغيرة بكلمات لا تبين ، وكانت إذذاك واقفة في شرفة قصر الأمير وعرفنها أخواتها بعد جهد ، فرحن يحدثنها ويثثنها لوعة النوى وجوى الفرقة ...

وحملته على صدرى فوق أعراف الموج إلى دير الغابة !
و ذات يوم أذيع أن الأمير عزم أن يتزوج
أميرة فاتنة حسناء هي بنت ملك مجاور لأبيه ، وأن
الفتى سيبحر إلى عروسه في سرب رائع فاخر من
الزوارق ورهط ممتاز من الحاشية والأتباع

وحين استقل الأمير السفينة التي كانت تحمله
إلى بلاد عروسه وخطيبته ، أخذ يخاطب عروس
الماء الصغيرة التي أبي إلا أن تصحبه في سفرته ،
فكان يقول لها :

— كيف لا تفزعين يا حسناء الخرساء من
ركوب البحر ؟

فكانت عروس البحر تبسم في وجهه حزينة
أسوانة ، لأنها تعلم أن ليس أحد على وجه اليابسة
يبرها أو يضاهيها في السباحة والعموم

وفي صبيحة صافية جميلة رست سفينة الأمير
في ميناء بلاد الملك الذي سيصاهره الأمير فكان
لخبر قدوم الأمير لخطبة الأميرة احتفالات شائعة
رائعة ، ومهرجانات حماسية قرعت فيها نواقيس
الكنايس وصدحت ألحان الموسيقى وسرت معالم
الزينة والابتهاج في كل محل . ولكن الأميرة
العروس لم تكن إذ ذاك في المدينة . إذ كان أبوها
الملك أرسلها منذ زمن إلى دير على شاطئ البحر
لهذيب نفسها وتنوير روحها بضياء الدين والمعرفة .
وكانت عروس البحر الصغيرة خلال ذلك تتشوق
إلى رؤية جمال هذه الأميرة الفاتنة ... وأخيراً
وصلت الأميرة إلى المدينة ، وحين أبصرتها عروس
الماء اعترفت لنفسها بأنها لم تر في حياتها أجمل منها
ولا أشد سحراً وجاذبية . وحين أبصرها الأمير
الجميل طوقها بذراعيه وهتف في ابتهاج :

ومن ذلك الحين كن يترددن إلى أمام شرفة قصر
الأمير في أكثر الليالي ، وذات مرة شاهدت عروس
الماء جدتها العجوز التي لم تصعد منذ سنين إلى سطح
البحر . وفي مرة أخرى شاهدت أباها ملك البحر
قد صعد إلى وجه الماء بتاجه النفيس ...

كان حب الأمير يزداد يوماً عن يوم ، ولكنه
كان حب إعجاب وإشفاق فقط . فلم يدر له في خلده
مرة أن يتخذ منها أميرة لقصره . مع أنه كان ينبغي
لها أن تكون امرأته الشرعية ، كي تمنح نعمة الروح
الخالدة . أما في اليوم الذي يقترب الأمير بغادة غيرها ،
فإنها لن تكون يومذاك ويا للأسف غير رغاء من
الزبد الفاشي على وجه البحر . وكانت عينها تقولان
للأمير حين يضمها إلى صدره ويقبلها في جبينها :

— ولكن ألا تؤثرني يا سيدي على كل غادة
في قصرك ؟ فكان يجيبها :

— أوه نعم ، إنى لأفضلك على كل فتاة ، لأن
قلبك أطهر ولأنك أخلص لي حباً ، ثم إنك تشبهين
كاعباً حسناء شاهدتها فيما سلف من أيامي ، ولكني
لن أكل عيني برؤيتها يوماً . لقد كنت ذات يوم
على سطح سفينة مشرفة على الغرق ، فقدفتني
الأمواج إلى شاطئ البحر بقرب كنيسة كانت
تلميذاتها غيدا حسناً ، فأنقذتني من الغرق
أفتاهن سناً وأملجهن وجهاً . ومع أني لم أرها
إلا مرتين فقط ، فإنه لم يتصب قلبي سواها من الغيد
الأماليد . ولكنك أنت تشبهينها وتكاد صورتك
أن تطمس صورتها من صفحة قلبي . إنها تخص
الكنيسة ، وقد نذرت نفسها لها ، لهذا فإن حظاً
حسناً قادك إلى هنا في قصرى فلن نفترق أبداً .
فكانت عروس الماء حين تسمع هذا القول تفكر :
— آه ، إنه لا يدرى بأني أنا التي نجيت حياته

— آه إنك أنت بنفسك التي أنقذت حياتي حين كنت مصطرباً بين الأمواج بجثة لا حراك فيها ! ثم قال لعروس الماء :

— إن سعادتي ببقيا التي طالما بحثت عنها لا يعدلها سعادة . ألا فافرحي لي وانشرحي يا فتاتي ، لأنك تحبينني أكثر مما يحبني شخص في هذا العالم . فأهوت عروس البحر على يديه قبلهما وقلبا يتصدع الماء ونفسها تسيل حشرات . لأنها استيقنت أن مساء يوم الزواج سوف لا يبقى من جسمها الفاتن إلا رغاء من الزبد يطفو على وجه البحر

وفي مساء يوم الزواج ركب العروسان الفتيان زورقاً رائع الزينة للنزهة ، فقصفت عند ركبهما أصوات المدافع ودوت أبواق الجند ، ثم خرج زورق العروسين يتخطر على أديم الماء ، وقد نصب في وسطه سرادق ملوكي أرجواني مذهب الحاشية فرشت أرضه بالوسائد والنضائد الوثيرة التي كان ينام عليها الأمير والأميرة تحت جناح ليل معتدل الهواء وفوق سطح بحر هادي الريح . وحين هبط الليل أشعلت على ظهر السفينة الملوكية مئات من المشاعل الملونة ، بينما أخذ ربانوها يرقصون ويقصفون على نخب أميرهم الهاني رقص الحبور والطرب . فكانت عروس البحر وهي على ظهر السفينة تفكر في أول مرة من حياتها صعدت فيها إلى سطح البحر وكيف أن هذا المنظر بذاته اجتذب نظرها وفتن لها ، وحينئذ اندمجت مع الراقصين والراقصات على ظهر السفينة ، وطفقت ترقص وتتأود كما يترقص « السنونو » في أجوائه فصفق لها جميع الموجودين . أبدأ لم تتقن الرقص وتتفنن في أساليبه تفننها هذه المرة . لقد كانت يخيل إليها أن قدمها الطريتين الصغيرتين تتمزقان وتتقطعان بمرهفات النصال ، ولكن آلام نفسها كانت من المראה والجسامة بحيث لم تشعر معها

بالآلام جسدية . لقد كانت تتيقن جيداً أنها تشاهد الآن لآخر مرة ذاك الذي هجرت من أجله أهلها وفارقت موطنها ونزلت مختارة في سبيل اللحاق به عن جمال صوتها النادر . هي آخر ليلة تنسم فيها نفس الهواء الذي يتنسمه الأمير ، وتتملي بمشاهدة السماء المزدانة بالزواهر والشهب . إن ليلاً سرمدياً خالداً من غير حلم ، طويلاً من غير يقظة أو حسر ينتظرها هناك على وجه البحر حين تنقلب رغاء طائشاً لأنها لم تستطع أن تقترن بالأمير الحبيب فتنال معه نعمة الروح السرمدية الأبدية

كل شيء على ظهر سفينة الأمير كان يمثل السرور والسعادة ... ومضى نصف الليل وعروس الماء الصغيرة ترقص وتغني ولكن مأتم الحزن كان يعمل وينوح في قلبها الحزين . لقد كان الأمير في تلك الساعة غارقاً في لذة عناق زوجته ، والأميرة تداعب خصلات شعره الرخو الحالك ، ثم ... ثم تشابكت منهما الأيدي وتلاقت الشفاه فغرقا تحت السرادق في خلوة وجلوة ما أحلاها لأنها جلوة العرس ...

وحينئذ غمر سكون الليل وسجو البحر جو السفينة فما كان متيقظاً عليها إلا ربان الإدارة والدفة وإلا عروس البحر المرزأة وقد أسندت ذراعها على « درابزين » السفينة وأخذت ترقب تبليج الفجر وصبغه وجه الأفق بلونه الوردى اللازوردي ، وقد علمت أن أول شعاع من أشعة شمس هذا النهار سيكون في إشراقه هلاكها وتلاشيها من الوجود ونجاة أبصرت على أعراف الموج أخواتها الخمس وقد امتنعت وجوههن وتجردن من شعورهن الطويلة فقلن لها :

— لقد أعطينا شعورنا الطويلة للعرافة الساحرة كي ترق لك فتخف لمساعدتك وتؤجل موتك هذه

ثم قذفت بنفسها من أعلى السفينة إلى أعماق البحر حيث شعرت بأن جسمها يذوب وينحل إلى قطع من زبد البحر

في عين اللحظة ، ارتفعت الشمس عن الأفق فداعت أشعتها الدافئة وجه البحر المورور... ولكن عروس الماء أحست بأنها لم تمت حتى الآن... لقد أبصرت توهج الشمس واتلاقها ، وتراعى لعينيها السماء كأنها كائنات لا تحصى ذات جمال لا يوصف: جمال نوراني شفاف . حتى كانت عروس البحر تميز خلال أجسام هذه المخلوقات بياض شراع السفينة واحمرار شفق الأفق . لقد كان لأصوات هذه الكائنات الجميلة السحرية رنات أين منها رنات الثالث والثاني ، بل كانت عذوبة حناجرها من الرقة والحنو واللطافة بحيث لا يتسنى لأذن بشرية سماعها ولا عين إنسانية رؤية أشكالها النورانية. لقد كانت هذه المخلوقات المعجبية ترف وترف في الهواء دون أجنحة للطيران . بل كانت تخلق فيه بخفة أجسامها ولدونتها. ولكن المدهش أن عروس البحر شاهدت نفسها هي أيضاً ذات جسم مثل هذه الأجسام الشفافة النورانية وترف ينهن في جو السماء دون جناح . سألت مستفهمة :

— ولكن إلى أين أسير ؟ فإذا صوتها الأخرس يرن ويشجي كهذه الأصوات السماوية التي أبدأ لن تستطيع نقلها إلى آذاننا موسيقى أرضية . فأجابت عروس الماء أصوات أخرى حولها :

— إنك عندنا نحن عرائس الهواء والأجواء .. إن عروس البحر لا تملك روحاً خالدة ولا تستطيع الحصول على واحدة إلا أن تكتسب محبة رجل من الأرض اليابسة . وإذن فحياتها السرمدية الخالدة تتعلق بإرادة الآخرين

الليلة ... ورضيت الكاهنة بعد لأي فأعطتنا مدية هي هذه، وأنت ترين كم هي حادة رهيفة... يجب عليك يا أختنا العزيزة أن تعززيها قبل انفلاق الصبح في قلب الأمير، وحين يسيل دمه تحت قدميك، سوف تلتصق رجلاك وتكونان لك ذنباً سمكياً ، وحينئذ تعودين عروساً للبحر كما كنت وتنعمين في الموج وتعيشين ثلاثمائة سنة قبل أن تفنى وتصيرى زبداً عائماً على البحر... إن الأمر خطيراً يا أختاه ، فيجب أن يقضى الأمير قبيل شروق الشمس ، ولم يبق لذلك غير لحظات . إن جدتنا العزيزة ألح عليها الحزن حتى أسقط شعورها البيضاء ، كما سقطت شعورنا الجميلة كما ترين تحت مقص الكاهنة الشرهة القاسية لأجلك ... اقتلى الأمير وأسرعى بحياتنا عليك... انظري ، لقد اصطبغ وجه الأفق بوهج الشفق الأحمر ، وما هي إلا هنيهات حتى تبرز الشمس وأنت تعلمين أن هلاكك في إشرافها . قلن ذلك ، ثم تهتد العرائس أميرات البحر تنهدات حارة ، وغطسن في غمر الأثباح ...

وحصرت عروس البحر الصغيرة ستار الخيمة الحمراء ، فإذا الأمير والأُميرة نائمان ، وقد أراحت الأُميرة رأسها على صدر الأمير . واقتربت عروس البحر منهما ، ثم انحنى على الشاب واقتطفت من جبينه قبلة هبانة والهبة ، ثم علق نظرها بالسماء حيث موكب عروس النهار بدأ في الارتفاع . ونظرت إلى المديّة، ثم عادت فنظرت إلى الأمير. فإذا به يردد في أحلامه اسم زوجه الأُميرة ، الشخص الوحيد الذي تهجس به أحلامه وتتناغى أمانيه . لقد كانت السكين ترتجف وتلتمع بين يدي عروس الماء ، ولكنها سرعان ما قذفتها إلى عرض البحر... ونظرت مرة أخيرة بعينيها الغائمتين إلى الأمير الناعم الحالم

وهنا رفعت عروس البحر في دهشة وحيرة عينيها
إلى السماء شاكرة، فتحدت على خديها دموع الحمد
والاعتراف . وكانت أولى دموع عرفتها في حياتها .
كانت الحياة والحركة على شاطئ البحر في ذلك
الحين تموج وتنبت فشاهدت عروس البحر حبيبها
الأمير وعروسه يبحثان عنها في كل مكان ... ثم
ينظران في حسرة إلى البحر كأنما عرفا أمر إلقاء
نفسها في أحضانه ...

وذون أن تراها عين بشرية طبعت على جبين
الأمير قبلة مغلصة حارة . ثم تبلج وجهها وأضاء ،
وانقذت مع زميلاتها عرائس الأجواء في غمرة
أمواج الضياء ، ترف وإياهن في مملكة الهواء ...
كمال الحبري

أما نحن عرائس الأجواء فكذلك لانملك روحاً
باقية ولكننا نستطيع أن نحوزها بأعمالنا الصالحات
الباقيات . إننا نظير دوماً إلى البلاد الاستوائية
ذات الإقليم الحار المشتعل المزهرق للأنفاس فننقل
إلى مكانه البرودة والطرارة ، وننشر في رجب
أجوائهم عطوراً منعشة مؤرججة ، كي تخفف
وطأة الإقليم عن سكانه ، وننفس هناك هواءهم
المحتبس المخنوق الحار ... وبعد قضاء ثلاثمائة سنة
في مثل هذه الأعمال التي نأخذ أنفسنا نحن عرائس
الجو بإنجازها لسكان الأقاليم الحارة نحظى بروح خالدة
ونشارك في سعادة الخلود مع بني البشر ، وأنت الأخرى
يا عروس البحر الصغيرة المخلصة ، لقد جهدت في فعل
الخير وتأملت في سبيله المآ تستحقين معه بعد مضي
ثلاثمائة عام أن تعيشي وتنعمي بروح خالدة أبدية ...

بنك مصر

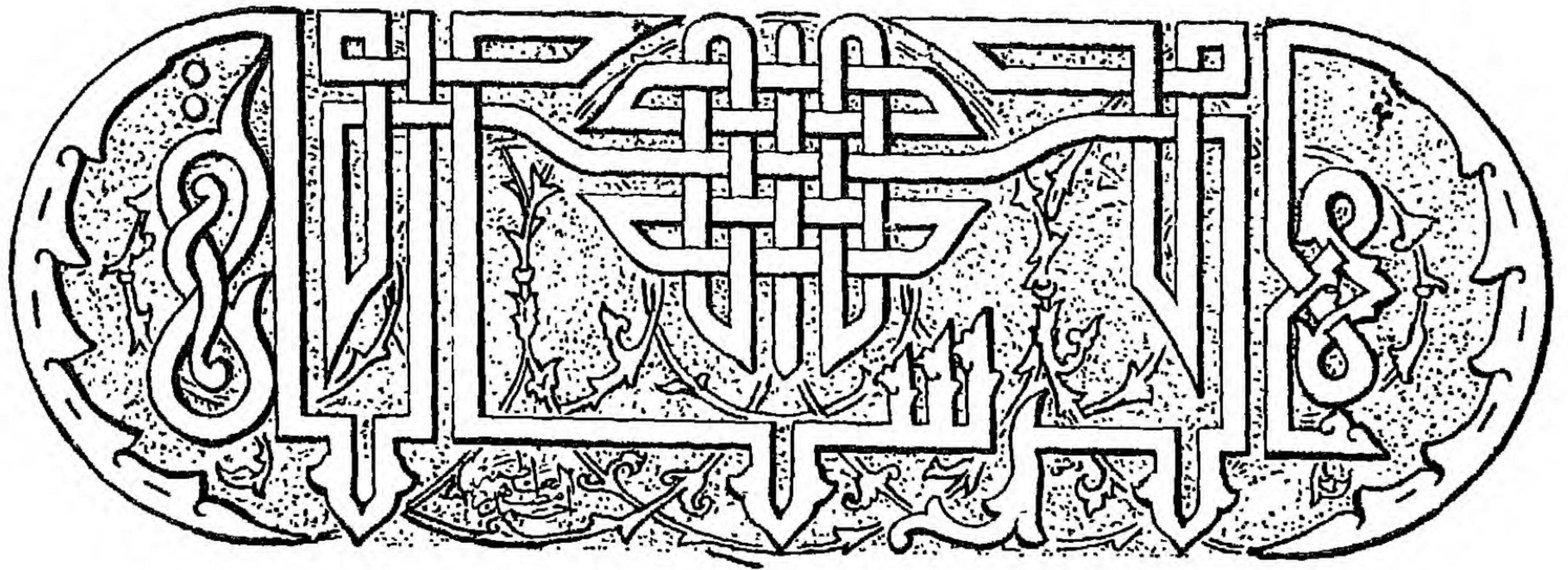
أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتقيم دعائم الاستقلال الاقتصادي

تكتبوا ... النصر لبلدكم

عاملوه ... وعاملوا شرفاً



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الْفَرِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجَلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النُّشْءِ اسْكَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصُدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجْلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتران الداخلي سنون قرناً ، والخارجي ما يساري جيزا مصرى ، وللبورد العربية بنضم ٢٠٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الأستاذ
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدوني رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفقه والادب

تصدر مؤقنا في أول كل شهر وفي نصف

العدد ٦١ ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ - أول أغسطس سنة ١٩٣٩ السنة الثالثة

من لحن الحنظل



فهرس العسدى

٧٣٠	آدم آخر	أخصومة مصرية	بقلم الأستاذ رضوان شهاب
٧٢٩	السن الكبير	»	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ
٧٢٥	العينة	للقصى الروس أنطون تشيكوف	بقلم الأستاذ فخرى شهاب السيدى
٧٥٠	وكت أريد قتلها	عن الإنجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى
٧٦٢	أغرب من اليال	»	بقلم السيد ناصر عزيز مصور
٧٦٨	سوء تفاه	لكاتب القرامى أندريه موروا	بقلم الأديب محمود الرضى
٧٧٨	مستحيل	عن الإنجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحليم الدار

آدم أخيراً

اقصصة مصرية بقلم الاستاذ رضوان شرتال

إلى الانكاف في قرارة نفسه ،
فأطلق للقاطرة عنانها غير
عابئ بالشارت الحمر ، وغير
حاسب لمداهمات القتش حساباً ،
وراح يحدق دون ما وعى إلى
الصراط الحديدي اللعاع وقد
خيل إليه لأول وهلة أنه ثعبان
من ثعابين الفجر ، فاجأه

الصقيع وتركه جثّة باردة في مستحجم العجلات
الطائشة المربدة

ولقد انقضت خمس عشرة سنة والثعبان ما يزال
في مرمح العجلات ، يمتد كلما استقام الشارع أمامه
ويستطيل كلما صار إلى منعطف . والعم إبراهيم لا يزال
منذ خمس عشرة سنة يجري وراءه وهو لتعاقب الليل
والنهار ، كأنما ينهب الأرض في سبيل لا حد له
ولا نهاية .

هذا ما كان يرأود نخيلة صاحبنا في ذلك الصباح
الكئيب لدى هذا التصور الغريب . ولعله كان محققاً
فيما قد خيل إليه أنه رأى

أو لم يكن الثعبان الأرقط أول من استدرج
قدميه إلى هذا المصير ؟

أو لم يطوح بالإنسانية الأولى في قديم الزمان
فأودى بها من نخائل الجنة إلى جرداء الأرض يوم
كانت الأرض لا تزال نطفة من جهنم ؟

غير أن الجد آدم كان أوفر حظاً وأبعد آخرة
من حفيده إبراهيم ، فلقد رضى الله عنه في آخر

ودوى مرمار بائع التذاكر معلناً أولى قاطرات
الصباح ، فانقضت يد العم إبراهيم على المقود النحاسي
الباهت ، واندفعت القاطرة تسابق سيول الأمطار
المتدفقة على حضيض الشارع المقفر !

كان الفجر قد انبثق منذ برهة ؛ غير أن الظلام
وقد التجأ إلى ظلال الأبنية ومنعطفات الأزقة ،
كان لا يزال يصارع ذرات النور التي كانت تنفثها
في الفضاء الأغبر جوانب الأفق !

واطمأن العم إبراهيم إلى قاطرته الجاحجة في صراطها
السوى ، فأفلت المقود وتناول من جيبه اللعبة
السوداء حيث كان يدّخر لفائف التبغ تحضير
أنامله في ساعات الفراغ . وأشعل منها واحدة وعاد
إلى شأنه بعد أن مكّن الصابئة الملتفة حول
طربوشه الأسود وجبينه وأذنيه . فقد كان الصقيع
على أشد ما يكون في تلك الصبيحة الفارسة من آذار
وأرياح الفجر ما تكل من صراع القاطرة العنيدة ،
وقد راحت تمنن في فلوها المولولة شاقة سبيلها
في صميم الدغش على ضوء مصباحها الهادي

وكأنما آنس العم إبراهيم من كآبته الزمنية ميلاً

الأمر فأعاد من رساوس الثعبان وأعاد إليه فردوسه
الضائع !

ويرجع صاحبنا إلى ذكريات سحيقة لم تستطع
كأس العرق فيما مضى أن تمحو أشباحها من مخيلته
وأن تذر على وجهها بعض الرماد . بل إن كأس العرق
الناصع كانت أقرب ما تكون في ذهنيته إلى جو
تلك الليلة القمرية من ليالى الربيع

فلقد كان ذلك في ليلة مقمرة من ليالى الربيع
وفي جنة من جنان سيداء ، عند ما قدر على إبراهيم
أن يضيع إلى الأبد فردوسه وحواءه

ليلة أنصع من براعم الليمون وأتق من فضة
القمر وأندى من حشائش الجنة . غير أن الثعبان
الأزلى أبى إلا أن ينفث فيها سمّه الناقع ، وإذا
فضة القمر نجيع ، وإذا الجنة بلقع أجرد

وها هي ذى الذكرى الأليمة قد طفت على سحنة
السم إبراهيم الكثيية المنقبضة . فلندعه يسر بقاطرته
مستعرضاً سراكب أيامه الخاليات ، وقد أخذت
تتابع أسهم عينيه ، على زجاج القاطرة الوشوم برذاذ
الأمطار النهمرة

فتيح إبراهيم عينيه الوجود وهو لا يعرف له أمّا
ولا يعرف له أباً . فقد انتزع الأثبان من أحضانها
وطرحها لرحمة الصدف في إحدى ليالى كانون العاتية
عند بوابة بستان الحاج أبي سليم
ويشأ ربك أن يحمل الرحمة في قلب هذا الحاج

فيحتضن اللقيط ويثبته ، ويذهب في العتاية به كل
مذهب هارفاً على قدميه آخر ما أبقتة الشيخوخة
في قلبه الذابل

وينشأ إبراهيم وبترعرع وهو لا يعرف من
حنان الأم ورحمة الأب غير رحمة الغريب وعطفه
ورغم هذه الرحمة وهذا العطف ، كانت العشرون
سنة التي قضاها إبراهيم في كنف وليه الحاج سبعة
من الآلام والمشاق والمتاعب

فمن ذلة اللقيط وسخرية الرفاق في مدرسة الحى
ومن شر الأستاذ وشر قضيب الرمان ، إلى حياة
في البيت مضطربة ، ليس فيها دفء لقلبه الصغير
ولا طمأنينة

وإلى ذلك ليال باردة سوداء كان يقضيها وحيداً
إلى قرب الموقد في الكوخ الوحش . وكان عليه
أن يحيا فيه الليل كله ، يحرس البستان من شر
أبناء الحرام

وعند الفجر صقيع يفل حديد المسار ، وأرياح
حارقة لا تبق ولا تذر ، وجليد يشل الساقية ، ومر
بين ذلك يودى بكفيه في مخاوض الماء ، يغسل
قطاف الليمون المتراكم على مقربة منه ؛ ويرقه بهدوء
ذلك إلى الصناديق الخشبية المصوفة هنا وهناك أمام
بوابة البستان العتيقة

وفي الربيع ، والصيف ، والخريف وحدة قاسية
تغمر فضاء نفسه ، وهو يعمل أبداً « في البستان
المقفر ، ما بين سقي الطاعم وتوزيع الأغصان
المجدبة ، واستئصال طفيلي الحشائش ، أو ساعياً

وكان أمراً مقصياً . وإن أمون لعل مقربة منه ،

وإن عيشته لراضية

وهكذا شعر ابرهيم للمرة الأولى منذ أن فتح

عينيه للوجود ببصيص من الأمل المشرق يخترق ظلمة

حياته ، وبشعاع من السعادة يتلمس كآبة نفسه ويبعث

الدفء في زواياها الرطبة

وللمرة الأولى أيضاً شعر بالطهارة الخالصة تغمر

فضاء قلبه وتطاني على وحدته القاسية

وتناسى ابرهيم آلام أيامه ولياليه الخاليات

غير أن الثعبان الثعبان الأزلي أبي إلا أن

يفاجئهما في إحدى الليالي وهما في الخلوة الأولى من أيام

الغرام المدودات . وقد انقضى الهزيع الثاني من الليل

ورقد منزل البيك على نهود عرائس الشجر المضخخة

بعبير زهر الليمون . وقد هدا الليل إلا من صفير

الريح ونجوى الحبيبين

وعبثاً حاولت أمون أن تتمتع ، وعبثاً حاول

ابرهيم أن يرتدع ، وكأنما بنحور التراب المنبثق من رحم

الأرض ، وكأنما نفخ الهواء المضطرب ، وكأنما فضة

القمر السحري قد تواطأت على العائرين في تلك الليلة

الحلال ، وراحت تلهب مشاعرهما بلهث الشهوة

الجراء .

وكان لا بد لآدم أن يقاسم حواء تفاحتها المحرمة

ففعل ومضى في سبيله تاركاً حبه الفتى النضر ، أشلاء

ممزقة على حضيض البستان بين أكوام البراعم

المحتضرة ضحايا النسيم الأرعس اللين

وكان لا بد للربيع أن يتقضى فاتقضى وغمره

وراء أجمام البقلة يبتغيها طعاماً للعشاء

غير أن حادثاً ما لبث أن لوى السبيل أمام وجه

ابرهيم وانتزعه من أقبية هذه الحياة ذات الوتيرة

الواحدة

كان ذلك ليلة أبصرت عيناه للمرة الأولى أمون

الفاتنة خادمة البيك . فقد استدعاه هذا ليطلب

الحضور في عرس ابنه البكر . ولطالما سمع البيك

عن ابرهيم وعن صوته السحري الجميل

وغنى ابرهيم في تلك الليلة . وكان غناؤه أحسن

ما يكون في آذان السامعين . وكان أحسن في أذن

أمون منه في أي أذن أخرى . فلقد سربلها وتغلغل

في أعماق أعماقها مستبيحاً كل ما خفي فيها من طلسم

وما ووري فيها من دفين

ولم يخف على ابرهيم في تلك الليلة الزاخرة من

أمرها شيء ، ولعلها أدركت هي من أمره كل شيء

أيضاً . ولقد كانت تلك اللحظة الشاردة في مجاهل

الصدف ملتحق سبل في صراط حياة الاثنين ، ملتحق

سبل لم يمكن فيه إلا ما تدوم النظرة الخاطفة وأختها ،

ليصيرا بعد ذلك إلى حيث كانت تستحكما سياط

حبهما الوليد

وكان مظاهر النعمة السبغة على منزل البيك

ما لبثت أن استهوت ابرهيم . وإن الحب لكافر أعشى .

ففي إحدى الأماسي غادر منزل وليه على ألا يعود

إليه ، وعبثاً حاول الحاج أبو سليم أن يستقطر الرحمة

من قلب ربيبه المقوق ، وعبثاً حاولت شيخوخته

المقدمة أن تستدر منه بعض الحنان

النسيان ، وصرّ العفيف وغمره النسيان أيضاً .
وها هو ذا الخريف قد بدت طلائعه وأخذت أرياحه
النهائية تعصف في أرجاء البستان ، وتبعث بخضرته
الذابلة المصفرة ، هشيماً إلى هوة العدم

كلا ! لم تذهب محاولات ابراهيم كلها أدراج
الرياح . فقد عثر على أمون أخيراً . وكان ذلك في
ليلة حالكه من ليالي الشتاء . وكان اليأس قد طنى
في قلبه كأشد ما يكون ، وقنط من العثور على ضالته
فراح ينشد عزاءه بين كأس من المرق وأحضان
بنت هوى

وتشاء الصدفة التي جمعت بينهما للمرة الأولى
أن تجتمع بينهما مرة ثانية . وكانت بنت الهوى المخفارة
لهذه الليلة أمون العائرة

لم يصدق ابراهيم ما رأت عيناه . وخيّل إليه
أنها رؤيا كالرؤى الأخر التي بانت تلاحقه منذ اقترف
خطيئته تلك الكبرى . ولكن سرعان ما أرجعته
إلى الحقيقة المؤلمة قهقهة أمون وقد راحت تتلوى عارية
على فراشها المضمخ ، وتنفت طبيها الفواح في أرجاء
الغرفة المابقة بوهج القنديل الأحمر

إنها أمون بعينها . وأطرق ابراهيم تباً خافض
الجنّاح ، مثقل القلب .

— نعم أمون بعينها يا ابراهيم ! ولكن شتان
ما بيني وبينها أيضاً ! أليس كذلك ؟

وانفرجت شفتاها القرمزيتان عن ابتسامة
ساخرة منكرة . وامتد ساعدها إلى المنضدة بقرب
السريّر وتناولت المرآة . وزاحت تسرح أنظارها

ولقد دبّ الخريف إلى قلب ابراهيم أيضاً ،
فها هو ذا حبه القديم جثة صفراء باردة ، وما هي
إلا أن تهب الأرياح وتذروه هشيماً إلى هوة العدم أيضاً
أما أمون العائرة ! وأنى لها أن يعصف الخريف
بما قد أثمر الربيع في أحشائها ، فقد هرعت إلى ابراهيم
تستحلفه باسم غرامهما وتتوسل إليه أن يقاسمها
ضراء حملها كما قاسمها السراء . إلا أنه سرعان
ما تنصّل من الأمر وجحد كل ما كان بينها وبينه
منتحلاً لذلك شتى الأعذار

أوليس من الممكن أن يكون أحد أنجال
البيك قد أنشب معوله في هذه الأرض المشاع ؟
ولم يحمل وحده تبعه الأمر وهو البستاني الملق
الذي لا يملك شروى تقيّر ، وما دام البيك في
سعة من النعمة يستطيع أن يحل هذه المشكلة
التي قد يكون لأحد أنجاله أصعب في عقدها

غير أن شيئاً لم يكن قط في حسابان ابراهيم .
فقد أوى في مساء أحد الأيام إلى المنزل وسمع في
عائلة البيك همساً ، وإذا استفسر من أحد الخدم ،
أخبره هذا أن أمون قد هربت في المساء نفسه
إلى حيث لا يعلم أحد

وانقضّ النبأ على ابراهيم كالصاعقة ، وأدرك
غور الهوة التي قذف بأمون إلى أعماقها . ولقد قضى

في أرجاء جسدها المنسجم اللعوب .

— أنت على حق يا إبراهيم ! ولعلها المرة الوحيدة .
أجل ! لقد تغيرت كثيراً عما قبل ... فما قد
أصبحت أنهد صدرأ ... وأثقل ردفاً .. وأدق حاجباً ..
وألح هدباً وأزهى شفة ... وأشهى للوصال ...
وما هو ذا الذهب يشع في أناملي ، وساعدي وأذني ،
ومن قبل كنت لا أعهد غير الحلى الزجاجية التي
كنت تنفخني بها من حين لآخر ... ها ... ها ...
ها ... ها . ألا تذكر ؟ ... أما روائح البصل والثوم
فقد استبدلتها بهذه الطيوب الشهية ... أو لا يتفتح
قلبك لها ؟ قل لي بربك ... ولكن ما بالك صامتاً
لا تتكلم ؟ قل ، لا تستح ... قل ما يبدو لك ...
حدثنا عن صيداء ، وعن لياليها القمرية ... في أيام
الربيع ... وعن زهر الليمون ... والنسيم العليل ...
والمستقبل الزاهر الجميل ... أو عن « العرزال »^(١)
الذي ستبنيه في شجرة الشمس ... لعروسك ...
فقد سمعت حقاً أنك ستزوج عما قريب ... أصبح
ما يقولون ؟ أو حدثنا عن البيك وزوجته أو عن نجله .
أو لا ترى أنه نادم على ما قد فعل بي ؟ .. ها ! ها !
ها ! ها ! ولكن ما بالك ؟ حقاً لقد أصبحت غريب
الأنوار يا إبراهيم ... تعال داعبني على الأقل ...
وإلا فلأى شيء أتيت ؟

— لأى شيء أتيت ؟

ونهض إبراهيم كن مسته جنه ، وأهوى بكفه
على وجه أمون بصغمة رادعة أليمة !

(١) العرزال بيت يصنع من الأغصان والورق ويبنى

في الشجر .

— جئت لأتمتع بمراى هذه الدمعة تتحدر من
مقلتك ، أعرفت لماذا أتيت ؟

صدمة عنيفة أعقبها زوبعة جامحة ، زاخرة بشتى
المواطف وشتى الأهواء .

وكانت أمون تنتفض على فراشها حتى القدمين
وقد أنهمرت الدموع من عينيها كأشد ما يكون ،
وتوالت الشهقات من صدرها مجفلة ... متقطعة ،
لاهثة ...

واقترب منها إبراهيم وعانقت ذراعاه جسدها وراح
يتلقت بشفتيه المستغفرتين حجب الدموع المتحدرة
على وجنتيها وعنقها وصدرها والكفتين .

— عفوك يا أمون . لم أستطع أن أفعل غير ما
فعلت . إنى ما أزال أحبك : أحبك أقصى ما يستطيع
رجل أن يحب امرأة . ستة أشهر يا أمون طفت
بها المشارق والمغارب أبحث عنك في كل زاوية وفي
كل مخبأ حتى كانت هذه الليلة السعيدة ... أنا مخطئ
يا أمون ، ولكن أو تعرفين من البشر من لم يخطئ ؟
وقديماً أخطأ الحاج أبو سليم في رحمة لي ، وكان عليه
أن يدعني عند الساقية حتى تجيء الزوبعة وتنزعني
جثة باردة من قبضة الوجود . وأنت ؟ ألم تخطئ ؟
ولقد نال كل منا نصيبه من العذاب . ولقد طهرتك
دموعك وطهرتني ، فبهما ندخل طاهرين إلى جنتنا
المنيرة ، ولنغمرنا الأيام بعد ذلك ، ولنطونا في
غياهب النسيان ! إنفخني لي يا أمون ، فقد مضى
زمن طويل لم أر فيه أسنانك اللؤلؤية !

وابدعت أمون وغمرتها سكينه حادة عميقة
وكان هذه الموجة العاطفية التي اجتاحتها منذ

حين ، ما لبثت أن لمست في قلبها الحد الأقصى ،
وإذا بها ترتد فجأة على أعتابها وتبعث فكرة صارخة :
لقد حطم هذا الفتى كبرياءها في المرة الأولى . وما هو
ذا قد أجهز عليها مرة ثانية ، وقد يبعث بها مرة ثالثة
ورابعة ، ولكن لن يحطمها إلى الأبد

لا ! لن تعود إليه ! لقد بدأت قصتهما في تلك
الليلة من ليالي الربيع وانتهت هناك ويجب أن ينتهي
كل شيء بينهما . فليالي الشتاء قد نسخت ليالي
الربيع ، ودفنت معالمها في ثلوج النسيان . لا ! لن
تعود إليه ! بل سوف تسحق كبرياءه وتجعله عبداً لها
أجل ! سوف تفرق قداسة حبه في لجة حبها
الدنس الأثيم ، وتبعث بشعبان شهوتها ساعياً في كل
أرجاء جسده ينهش العافية الزدهرة والشباب الغض
وينفث سمه في معاله الخضر حتى تستحيل إلى قاع
صفصف ، ثم تلفظه بعد ذلك بعيداً إلى حضيض
الشارع هيكلاً منهكاً قدراً ينهشه الجوع ويلذعه
البرد ...

وكانما هذه الفكرة الجهنمية ما لبثت أن طفت على
كل مشاعر أمّون ، فإذا بها تنقلب فجأة إلى حيث
كانت في مجونها الساخر وعبثها المستهتر

وتعلمت من ذراعي إبراهيم وشفتيه ، وانقلبت
إلى أقصى الفراش تتمرغ على حشيتها الوثيرة الدافئة
وتبعث النداء إلى جسد إبراهيم سامتاً صارخاً ، وبكل
ما يستطيع نهدها المريح وبطنها الخافق وهدبها
الرمش ، وبكل ما تستطيع الطيوب المنبعثة من
جسدها الشهي اللعوب

وكأمره الأولى حاول إبراهيم أن يردع . ولكن
سرعان ما أسدلت على بصيرته السجف فهوى على
فراش أمّون ، والتحم الشقيان في وصال عاسف
طويل ...

— تمال يا حبيبي ... واجملني قطعة منك ،
تمال ... ولينتظر عند الباب عشاق الآخرون
— ماذا تقولين ؟ ... عشاقك ؟
— أجل ! أولاً تسمعون وراء الباب يحتضنهم
ها ! ها ! ها ! ها ! ولكن .. إبراهيم ، ما أمابك ؟
— ستكونين لي وحدي ... لي وحدي ...
لي ...

— كلا ! لن أكون لك ...
وجنّ إبراهيم . وحاولت أمّون أن تستغيث ،
إلا أن يمتدح كانت أسرع إلى فيها . وأطبق بالأخرى
على عنقها ، وراح يخنق أنفاسها المستغيثة الهلعة .
— سوف لا يتمتعون بعد الآن ... عشاقك
الآخرون ...

ولما نزع إبراهيم كفه كانت الحشرة الأخيرة
تنبعث من أعماق أمّون ، وكأنها هنيم ربح صرصر
عاتية ! ...

وفجأة قرع الباب ! وبأسرع من لح البصر
هرع إبراهيم إلى النافذة فتسلّقها وهبط إلى الشارع
المقفر وتغلغل في الظلمة حيث اختفت أشباح الأبنية
ومداخل الأزقة الحالكة .

« ها قد كفرت عن خطيئتي » ثم لتدخل راضية مرضية إلى قدس أقداس الطهارة !

وراح ابراهيم يجد في طلب هذه اللحظة الغالية في أول صفوف القتال ، وفي مخاطر التجسس ، وفي كل ما يستشعر عنده الخطر . لكنه ظل أبعد ما يكون عن الفلاح أيضاً . فقد انتهت الحرب ، وعاد ابراهيم كما ذهب .

وأخيراً ، ولما أعياء الأمر ، استسلم لشبهة الأيام علماً توفيق إلى ما لم تقو عليه الحيل الأخرى

ولقد كانت الأيام أرفق الجميع به فاستطاعت في فترة من الزمن يسيرة أن تخرس في سمعه صراخ ضميره المشوش ، وأن تهديه إلى الصراط المستقيم ! أجل فلقد أوصله الصبر والهدوء اللذان فرضهما عليه استسلامه ، إلى حقيقة منطقية كانت حتى تلك اللحظة ضائعة في ظلمة مصيبتته

هذه الحقيقة هي أن العلم ابراهيم يرى كل البراءة مما قد آتهم به نفسه

لا ، ليس هو الذي جحد غيماً مضى ولبه الحاج أباسليم ، ولا هو الذي قذف بأهوان المائرة إلى هوة العدم !

كلا ! إنما هو شخصية وليدة ، شاء القدر أن يجعلها آخر حافة من سلسلة تلك الحياة الطائشة !

أما المجرم الحقيقي ، فهو ابراهيم القديم ، ابراهيم الفتى العاشق المجنون ، ابراهيم الذي ما يزال ألوم له من ظله ومن الثوب الذي يرتديه ، والذي ما يزال حياً يعيش في هيكله ، ويسير بقدميه ، ويلبس بيديه ،

والفاطرة ما تزال جاحجة في صراطها السوى ، وأرياح الفجر ما تزداد إلا صخباً . وسيول الأمطار ما تزال تتدافع على حضيض الشارع المقفر واللفافة الرابعة أوشكت أن تنتهي ، وما هي إلا أن تلحق بأخواتها الراحلات ...

خمس وعشرون سنة مرت على هذه الفاجعة ، وكأنها كانت البارحة ، وكأنها منذ لحظة . فكثيراً ما فاجأت ذكرها مخيلة العلم ابراهيم . فأقضت عليه مضجعه أو عكّرت عليه صفوساعة هادئة أو أيقظت في مشاعره الراقدة إلى حين ذكرى الشباب المقوق الحائن المجرم .

ولسكن حاول في خلال السنوات الأول أن يدفع عن نفسه شر هذه الرؤى . فراح يعاقر الخمر ويستعيض عن دنياه بدنياً أخرى من ضباب الحشيش والأفيون . غير أنه ظل أبعد ما يكون عن الفلاح . فكأنما الله قد حتم على عبده أن يجعل شبح أمون أبداً أمام عينيه ، يصطحبه أينما حلّق ، وحيثما حلّ ، وأني آججه ...

في ذلك الحين اندلعت نيران الحرب الكبرى . وخيل إلى ابراهيم أن أبواب الفرج تفتحت أخيراً أمامه ! وبين جماهير الألوف من الوجوه المقطبة والوجهة والدامسة السائرة في موكب الرديف الزاحف إلى الجبهة ... كان وجه ابراهيم الوجه الوحيد الذي تهلل للواقعة واستبشر خيراً !

ها قد دنت اللحظة الرهيبة المنتظرة حين تبث كبرياء ابراهيم لهمس في أذن ضميره كلمة الخنازير :

ويتنفس بصدرة ويحس بمشاعره

ابراهيم ! تلك الجبلية من الطين المعجونة بنزير الإثم
والتي قد حدرتها صروف الزمن حتى الدرك الأسفل
من بهيميتها ، وإذا هي هيكل من الرجس ، وإذا هي
سجن مظلم ، لا ترجع جدرانها الصماء صدى للرحمة
المستغنية ولا للانسانية المستجيبة

وهكذا شمر ابراهيم بوطاة هذا السجن وأضحي
هدفه الأوحده أن يحطم جدرانها ، وطلق نفسه
السجينة نحو مهابط الطمانينة
أجل ! يجب أن يسحق هذه الطينة المعجونة
بنزير الإثم ويردها إلى رحم الأرض فتياً من التراب ،
ولكن عن غير السبيل الذي سلكه فيما مضى يوم
طلب الانتحار مكلاً بالفار تحت راية الاستشهاد
فقد كان يومئذ لا يزال قريب المهد بالفاجعة ،
والذكرى وقتئذ كانت على أشدها ما يكون وطاة في
قلبه القانط

أما الآن فلم يعد له قلب . أو قل إن الأيام
قد استنزفت من قلبه هذا آخر نقطة من رحيق الشفقة
والرحمة .

وهل بلغ به الجبن أن يجرع كأس العذاب جرعة
واحدة ، والعمر أمامه طويل بأصباحه وأمسائه
وأيامه ولياليه ؟

ومل بلغ به الجبن أن يتجنب الألم ، والألم كان
أول ما شهدته عيناه . وحياته كلها كانت سلسلة
من الآلام !

ولم لا يجعل الآخرة جحيماً أيضاً ؟ لا بأس
ولكن هذا كفارة عن تلك الليلة من النعم
وراح ألم ابراهيم يقدم نفسه قرباناً على مذبح
الألم ، واندأ جسده بين قضبان القاطرة الفاشمة ،
ذلك الصراط القفر الذي يشق سبيله في صميم الحياة
اليومية الصاخبة .

خمس عشرة سنة كانت حقاً أشد هولاً من
الجحيم وأطول من صراط الحشر . ولقد قضاها
ألم ابراهيم شجاعاً رابط الجأش ، رغم التناقضات
الآلمية التي حتمتها عليه مأساة حياته

.....
جبارة هوجاء

إلا لحشرة المذاب ، وألم ابراهيم بين دس يسكن
مرغماً مع جسده العائر ، ومرغماً يقهقه مع نفسه
السكري ، وهو فوق ذلك وفوة هذه الحياة النفسية
الاضطربة ، هادئ مطمئن إليهاراض عنها كل الرضى
خمس عشرة سنة كانت نفياً مؤبداً على هامش
الحياة ! ولقد قضاها ألم ابراهيم صابراً أمام مفقوده
النحاسي الباهت ، ليقود الحياة نفسها في كل صباح
وفي كل مساء ، وهو كأنما لا يقود غير نفسه النائمة
إلى مستقر من الحياة بعيد .

خمس عشرة سنة ، كانت صحراء من الضجر ،
تفمرها الوحدة ويكتنفها الصمت !

أو ليس هذا السبيل الصراط الأوحده الذي
لا بد أن يقوده يوماً ما إلى الرفأ الأبدى ؟

في بصيرته المذاهلة كل إدراك ويقين بما يحيط به ، غير
أن وميض الصراط الحديدي ما لبث أن أرجعه
إلى الحقيقة ، وإذا القاطرة على قيد كرتين أو أدنى
من نهاية الخط . وبأسرع من لمح البصر ، أهوى
بكفه على المقود النحاسي فشل حركة القاطرة ،
وإذا بالعم ابراهيم يترنح وقد زعزعت السدنة . . .
وخرت على الأرض جثة هامدة !

وفي مؤخرة القاطرة كانت صفارة بائع التذاكر
تلعلع بين عويل الريح وصخب المطر معلناً آخر الرحلة !
رضوانه شهال

والقاطرة ما تزال جارية في صرامها الأسوي ،
وأرياح الفجر ما تزال تداد إلا سنباً ، وسيول الأمطار
ما تزال تتدافع على حضيض الشارع المقفر
أما اللقائف فلم يبق منها في العلبة السوداء غير
فتيت مبثر

ونجاة استولى على العم ابراهيم ذهول غريب
وأحس برعشة هادئة حلوة تدب في أرجاء جسده ،
وشعر كأنما نور مشرق ساطع قد أخذ يبدد دغش
العصباح ، وكأنما الغضاء قد عجز بأجنحة بيضاء ذات
رفيف ...

وانقل لسانه أمام هذه الرؤيا : ضاع

ليلي المريضة في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلي بين القاهرة
وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ،
ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع
وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق .

يقع في ثلاثة أجزاء
وثمان الجزء ١٢ قرشاً
ويطلب من المكتبات الشهيرة في انبلاد العربية

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالاثمان الاربعة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون
قرشاً في الخارج عن كل مجلد

الإنجليز الذين سقطوا قتلى
في المعركة المشؤومة التي انتهت
باحتلال مصر؟ كيف يعيش أهل
هذه البلدة... ألا يسرون...
ألا يلهون... ألا يقصفون؟...
هنا وأسفاه قضى عليه أن
يقم إلى أجل غير مسمى لا يعلم
مداه إلا الله! ...

التل الكبير

أقصوصة مختصرة
بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

وعلى تقافة البلدة تبين له لأول وهلة أن السكنى
فيها من أشق الأمور، وبدأ له أن أصحاب البيوت
يتوجسون خيفة من الأعراب ويسيثون بهم الظنون.
نعم سر لذلك سروراً خفياً، واستبشر به خيراً،
وحسبه دليلاً محسوساً على وجود أثر لجواء في هذا
المنق الغريب، ولكنه تعب طويلاً قبل أن يهتدي
إلى مالك قبله بعد أن أخذ عليه الموائيق بالاستقامة
ومجانبة الرب... .

وفي اليوم الأول لاستلامه العمل وقع له حادث
«حكوى» كان له أثر عظيم في حياته. فقد أدخل
إلى حجرة يوجد بها أربعة موظفين، وحلّس إلى
مكتب صغير رث الحياة؛ ومضى يقلب عينيه
في الوجوه الغريبة، وهو يمانى وحنّة وارتياباً
ولم يدعه واحد منهم يستريح... فتدبّر منه ورعى
على مكتبه ملفاً يعنف، وأمره أن يفسخ منه شذوذه
على وجه السرعة! وبوغت الشاب بباضة شديدة،
واستاء من عمل الرجل ولهفته... فأتى إليه نظيره
تأفف وازدراء. وكان فيمّا يتباحث الموظفون من
العينين صغيرهما، محمود بن الناصر، وشيخ بن
الكراميه، وكان سالم ما يزال ممسكاً بروايه المستهزئة
فقال له بتجده غريب:

كم هي كثيفة متفجرة بلدة التل الكبير! ...
لا أضلّ أنها تطيب للإنسان إلا إذا كان من أبنائها
الذين لم تقع أعينهم على غيرها من البلدان، ولكن
ما كان أثقل وطأتها على سالم صابر الشاب المترف
الندلل الذي عاش خمسة وعشرين عاماً في القاهرة
ذات الأنوار والسرور والحدائق؛ وهو ما كان
يرضى بهجراً للملاهي وسباق الخيل وموائد القمار
والعصايات... لولا أنه ذاق مر العطلة سبعة أعوام
بعد حصوله على البكالوريا. فكان ينبغي له أن يفرح
لفوزه بوظيفة كاتب بأمورية الأوقاف، وأن يحمل
سيفاً... راعياً... وهي أول مرة يحملها ووجهته غير
الأسكندرية - ويمم شطر التل الكبير.

وقد وجّه وانقبض صدره لتنتارة الأولى، وفاق
ما رآه جميع ما تصوّر خياله المترف من السوء
والوحشة... أحمقاً أن البلدة تتلخص في هذا الطريق
المتوي الذي ينتظم حركه البوليس ودار الطاقى
وبقاعة غريخ وبقاعة مانولى؟... أهذه البيوت القاعة
على الجانبين التي تبسّط في ألوان جدرانها الباهتة
وأولادها المتوارية كأنه كنزات القديعة هي تيز بيوت
البلدة المنيّة نارية السكنى الموظفين؟... أحمقاً أن
أعمل من أعمى من الناصح الذي يقوم به مقبرة اليهود

حذر بعد أن يلتقي نظارة خائفة على الطريق ونوافذ
الدور المغلقة .

ثم ثبت له بعد قليل أن دكان مانولى يستطيع أن
يقدم له ما هو أطيب من الجبن والأوتار، وذلك أنه كان
مطمئناً إلى مجلسه عصر يوم، وإذا به ينتبه من سهوة
على صوت رقيق يحادث، مانولى، والتفت بسرعة
إلى مصدر الصوت فاستقرت عيناه على امرأة كانت
مافوفة بملاءة سوداء لا تخفى مقاطع جسمها
المتلى، وعلى وجهها برقع أسود تبدو منه عينا
واسعتان في هالتين من كل، وخدان محمران يذكران
بحدود عرائس الموالد، وكانت هيئتها لا تدل
على الصون أو الكرامة فأحس بارتياح وهمس بفرح:
وأخيراً! ولكن ما السبيل إلى مغازلة مثل هذه
المرأة؟ كيف يتقرب الإنسان إلى حسان التل
الكبير؟ وكيف يمكن اقتفاء أثرهن والبلد من الصغر
والزمت كأنه عين ترى أو يد تقبض على الأعناق؟
وفتح الله

يلتهم المرأة بعينه

— خذ بالك يا مونولى ...

فهز الخواجة رأسه بمكر وقال :

— هذه زبونة قديمة لا تحتاج إلى توصية من

غريب مثلك !

ونظرت إليه المرأة بدهشة وقالت :

— غريب !

ثم أردفت وكأنها تنشد :

— يا ناس دنا غريب والغربة كيدانى !

فقفز قلبه في صدره والتهب دمه بالأمل وقال لها :

— أنا غريب حقاً ! ولكن ليست الغربة بشر

ما ابتليت به ! ...

— استرد ملفك فلن أنسخ منه شيئاً ...

وأحدث قوله موجة اضطراب عنيفة مرت

من عيني الرجل المحتلجتين إلى الرؤوس المنكبة على
الأوراق فارتفعت في دهشة وحدثت أعينها في وجه
الشاب الناضب ثم تبادلت نظرات عجب وشماتة وجدت
مرة أخرى عليه ثم ارتدت إلى انكبابها !

ولم ينبس الرجل بكلمة ولا بدا على وجهه أى
أثر للانفعال سوى اختلاج العينين، واسترد ملفه
في هدوء وعاد به إلى مكتبه

ولم يقنع سالم بما قال فأردف بصوت متهدج :

— قبل كل شيء ينبغي أن تتعلم كيف تخاطب

الناس بأدب

ولم يمره الرجل أدنى التفات ولازم الصمت

كأنه أصم أبكم !

وعلم سالم بعد ذلك أن ذلك الرجل هو الكاتب
الأول في الأمورية وأنه يدعى أحمد علوان وقد ظن
أن ما حدث سيكون حتماً فصل الخطاب بينهما،
ولكن خاب ظنه، فقد اعتذر الرجل وأكد له
أنه لم يقصد المساس بكرامته بتاتا، ومال إلى محادثته
بداع وبلاداع وأبدى له المودة والعطف، وتقبل الشاب
ذلك منه بقبول حسن في الظاهر، ولكن قلبه لم يرحم
إليه قط . وتنوى الحادث وكادت تعفر آثاره،
وانحصر هم سالم في مسألة واحدة هي كيف يمضى وقت
فراغه الطويل؟ كان الوقت يمر ثقيلًا كأنه محمول على
سلحفاة عرجاء، وكان المكان أجذب من أن يعمده
بتسليية تخفف عنه أهوال الملل، فرمى به اليأس إلى بقالة
مانولى وجعلها مجلسه المختار يأوى إليه ما بين العصر
والمساء، وربما ألح عليه الضيق فيبتاع زجاجة أوتار
صغيرة وقطعة من الجبن الرومى ويمضى يرشف في

المجذب . لا تعد بلا شك جميلة ، ولكنها صراحة خفيفة ... بل هي امرأة وكفى ... ترى هل تعود ؟ لقد أيقظت قلبه وخياله وإحساسه فينبغي أن تعود وإلا تركته لشمر الليالي وألم السهاد ... والتفت إلى مانولى وسأله باهتمام :

— هل تعود يا ترى ؟

فرجع الرجل حاجبيه الغليظين وقال :

— سئلى ماشئت عن جبن عن زبد عن سردين .

ومع ذلك أسألك أنا ... لماذا لا تأتى ؟

نعم لماذا لا تأتى ؟ .. وداخله شيء من الاطمئنان

ولكنه لم يجد فتيلاً فى تهدئة الجزع المستولى على

أعصابه . كان لا يفتأ ينظر إلى السماء يستصرخ

الظلماء ويضرع إلى الليل العزيز ...

وكان مانولى يراقبه بعينين ساخرتين فى هدوء

وعدم اكتراث ويلقى نظرة فاحصة — بين الحين

والحين — على الطريق الذى أخذ يشمله الظلام ،

وقد قال بعد فترة انتظار وهو يشير بيده :

— أنظر !

فنظر بسرعة ثم نهى بارتياح عميق حين رأى

شبهاً أسود يدنو منه فى خفة

كل شيء نائم والظلام يخفيه عن عيني البلدة

الثابتين ، وهناك باب خلف البيت يقع فى الطريق

الزراعى ، فجعل هدفه إليه وتبعته المرأة فى سكون

وفى صباح اليوم الثانى استطاع أن يذهب إلى

المأمورية كمادة ولكنه كان مصدوع الرأس منهوك

القوى فجلس إلى مكتبه جامداً لا يبدى حراكاً ،

وافتقدت عيناه علوان أفندى فلم يجده فارتاح إلى غيابه

واطمان إلى مخوده ، ولكنه لم يلبث أن لاحظ أن

زملاءه فى الحجرة يرمقونه بنظرة غريبة تدل على

فسأله بإنكار :

— وهل هناك ما هو شر من الغربة ؟

— هل يشكو (الجدى) من الغربة إذا وجد إلى

جانبه (معزاه) ؟ ...

فنظرت المرأة إلى مانولى وقالت ضاحكة :

— دونك ومانولى فإنه كالعزاة سواء بسواء .

ولكن مانولى قال لها بفيض :

— هو عاوز معزة مش مانولى . أنت لازم يفهم

أنا فاهمة يا مانولى ! ولكن أكلما جئتك طالبة

جيبناً تعطينى رجلاً ؟

فانتبه الشاب إلى قولها وسأل بتهمك :

— أبيع لك رجلاً إذا ؟

فقلت على الفور وهى تلحظه بنجبت :

— صدقت ! ولكنه يبيع أحياناً خنازير !

وضحك الشاب وهم بالرد عليها ... ولكن

سمعت حركة فى الطريق . فأدار رأسه ... وتحركت

المرأة انخس أن تفلت من بين يديه . فقال همساً :

— ألا تنتظرين ؟

فسأله وهى تسوى برقمها :

— ماذا تريد ؟

— أنسيت الجدى والمعزاة ؟ !

— قل لى : أين زريبتك ؟

— إنتظري حتى يسترنا الظلام !

— أنا لا أنتظر أبداً .

— إنتظري مرة ... الصبر طيب !

وبدا على المرأة الجد فقالت وهى تسير :

— إنتظري أنت ... سأعود !

هل تعود حقاً ؟ ... إنها أعجوبة فى التل الكبير

هى سفيرة دولة الأنس الماصرة بالقاهرة فى هذا البلد

الإنكار والدهشة، فأحس بأن في الجو شيئاً، ترى ما عسى أن يكون؟ .. وبلغت به المضايقة والاستياء أن همّ بسؤالهم ولكنه عدل عن ذلك في اللحظة الأخيرة، وفتح دفتراً وانكب عليه متظاهراً بالاهتمام ولكنه لم يعمل شيئاً، كان فكره لا ينفك متعلقاً بتلك الجماعة الغريبة الحساسة، ولم يترك في هدوء، فدخل إليه كاتب المستخدمين وقال له :

— سالم أفندي !

فرفع رأسه إليه وسأله :

— نعم ؟

— أحقاً ما يقولون ؟

— وماذا يقولون ؟

— ألا تعلم !

— لا أعلم لي بشيء ... خير ؟

فتردد الرجل لحظة ثم سأله بصوت خافت :

— ماذا صنعت بالأمس ؟

فاضطرب قلبه ، واشتد به الدهول ، ولكنه تظاهر بالاستهانة . وقال بدهشة متكلفة :

— الأمس ! كان كأول أمس وككل أماسي

مثلاً ونوماً ! ...

فهمز الرجل رأسه آسفاً وقال :

— كلا يا سالم أفندي ! ليس التل الكبير بالذي

يحفظ سرّاً أو يقستر على فضيحة ، وليست هذه

الأمورية بالتي تتساهل في أمثال هذه المفوات .

— أي فضيحة ؟

— امرأة الأمس !

— أي امرأة ؟ .. ومن قال لك هذا ؟

— حامد أفندي !

وقام الشاب بسرعة عنيفة وذهب إلى مكتب كاتب الحسابات وسأله بغضب :

— ما هذا الذي تقوله يا حامد أفندي ؟

— فقال الرجل بخوف :

— أنا لم أفتر عليك كذباً ... هذا ما سمعت طه أفندي يقوله ...

وتحول الشاب حاتقاً إلى كاتب المخازن ، وكان الرجل يستمع إلى الحديث فقال :

— معذرة يا سالم أفندي أنا لم أقل ما قلت لأشنع بك ولكني سمعت وكيل الأمورية يتحدث حضرة الأمور في هذا الشأن صباح اليوم فأشفقت عليك من عواقبه وكشفت الزملاء بما ساورني . أنا آسف جداً يا سالم أفندي . أنت شاب أحدث منا سنّاً ولكن كان ينبغي أن تأخذ حذرك ... فهذه الهفوة تعد هنا جرعة لا تغتفر !

فكاد سالم أن يجن من الغضب والحرق ، وعاد إلى مكتبه لا تبصر عيناه من الغيظ . وقال وهو لا يدرى :

— أنا لا يهمني ... فليفعلوا بما يشاؤون !

وجلس ساعماً قلقاً يسأل نفسه : كيف اشهر أمره وكيف ذاعت فضيحته ؟ ... كان الطلام شاملاً ... والليل ستاراً كثيفاً ... والطريق خالياً ، وكان يتقدمها بعدة أمتار ، وأتيا البيت من باب الخلفي ، فهو على يقين من أن عينا لم تره ، وقد غادرت المرأة البيت في منتصف الليل والندى غارقة في نوم عميق .. فمن أي منفذ تسربت الفضيحة على هذا الوجه المزري ؟ ومن الذي سمى بها إلى الأوفين وأزوساء ؟ ..

وأما به ... أتستدبر على صوت سرور فيقول

«سلام عليكم»، ورأى علوان أفندى يدخل الحجرة
مهرولاً. كان قلبه لا يرتاح إليه، أما اليوم فهو يسير به
الظنون ولا يستطيع أن ينظر إلى وجهه من شدة
المقت :

وتظاهر الرجل بالأسف وهو يقول :

سالم أفندى . الوكيل يريد أن تقابله . ما هذه
الحكاية التي يتحدثون بها ؟. إني أعجب لهؤلاء الناس
الذين يضمنون أنوفهم في كل شيء ... ، أهفوة
شباب ؟ ... فلتكن ؛ ولكنها ليست بالشرك والله
لا يغفر لمن يشرك به ، ولكنه عن وجل يغفر
ما دون ذلك ... أعوذ بالله ...

ولم يرض سالم أن يشمت به إنسان ؛ فتظاهر
بالاستهانة وصار بخطوات ثابتة إلى مكتب الوكيل ،
وإن كان قلبه يخفق بشدة وعنف ، ولم يمهله الرجل
فابتدعه قائلاً :

— ما هذا الفعل الشائن يا سالم أفندى ؟

فقال بصوت منخفض :

— لم أفعل شيئاً شائئاً .

— ما فائدة الإنكار ؟.. لقد شاهدوك بأعينهم
وأنت تسوق الفاجرة إلى بيتك ، ولا أخالك تجهل
أن هذا المنكر يكفي لفصل أى موظف من خدمة
المأمورية ...

— من هم الذين شاهدوني يا بك ؟

— أنت هنا لتجيب لا لتسأل .

— أليس من حق أن أعرف ؟

— كلا ... أنا واثق من المعلومات والمصادر

على السواء .

— ولكن ...

— لا لكن ألبتة ... وينبغي أن تعلم أن خطاباً
من أربعة أسطر يكفي لفصلك .

واضطر الشاب إلى الصمت قهراً ، وداخله
الخوف ، ولاح له شبح اليأس بهمم بخنق مستقبله
الشاحب ويرده إلى المطلة البائسة التي لم يخلص منها
إلا بشق الأنفس .

وعاد الوكيل يقول وهو يحدق في عينيه :

— ولكن المأمور لا يرغب في البطش بمستقبل
شباب في مستقبل العمر ، وهو يرى رأياً عسى أن
ينقذ الموقف .

قتسمت عينا الشاب الحائرتان ولم ينبس بكلمة
فاستطرد الرجل :

— أطلب النقل إلى مأمورية قنا .

— قنا !

— نعم . وينبغي أن تطلب النقل بنفسك لأنه
لا يستطيع أن يطلب تفكك بغير ذكر الأسباب .
وهذا يضر بك ، فاذا كر في طلبك أنك اتفقت مع
على علوان الكاتب بمأمورية قنا على تبادل النقل ...
وعلينا الباقي ...

على علوان ! لقد دوت كلمة (علوان) في أذنه
كالرماس . هل يكون علوان هذا المنق في قنا
أخا الكاتب الأول ؟ ... إنه يشعر شعوراً قوياً بأن
هذه هي الحقيقة . ترى هل أتى هذا الرأي عفواً ،
أم بعد تدبير بليد ؟ هل يفسر هذا ذبوع فضيحة
الغريب ؟ بل إنه يظن أنه يفسر وقوعها واحتدم
الغليظ في قلبه وتجمعت في صدره ثورة جامحة ولكن
الخوف أحكم صمام مرجله . فألجم لسانه ، ولبث
صامتاً واجماً ...

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

واستثقل الوكيل هذا الصمت . فقال بلمجة

تهديد :

— مالك لا تتكلم ؟ الظاهر أنه لا يهمك حقاً

أن نفعل ما نشاء !

وسرت في جسمه رعدة خوف ودهشة ، وذكر

أنه نطق بهذه العبارة : « أنا لا يهمنى فليفعلوا

ما يشاؤون » تحت تأثير الغضب ، هل نقلت إلى

الوكيل . إن لهجته ونظرة تدلان على ذلك

وخرج عن الصمت وقال بذل :

— سأكتب الطلب ...

وغادر الحجرة ، وعاد إلى مكتبه محزوناً مغيطاً

وكان الزملاء يشتغلون في صمت ، فألقى عليهم نظرة

نارية وتساءل : ترى من من هؤلاء الذى نقل

عبارة بسرعة البرق إلى الوكيل ؟ من هو هذا الثعبان

ليسحق رأسه ؟ ودنا منه علوان أفندى وهو يتظاهر

بالإشفاق وفتح فيه هاماً بالكلام ، ولكنه أشار

إليه بأصبعه بحركة عصبية وانفجر قائلاً :

— من فضلك لا تكلمنى ! ... لا أريد أن

يكلمنى أحد منكم ... سأترك دياركم وعزائى أنى

لا أترك بها ما يستحق الأسف عليها ... بلد ملعون

وأناس ملعونون !

هل يمكن أن يقع كل ذلك مصادفة ...

كلا ... إنه يستشف وراء الرياء الناعم تدييراً نذلاً

ويشعر شعوراً قوياً بأن ذلك الزميل الجهنمى

علوان أفندى دبر فائق التدبير ، وأنه انتقم لنفسه

منه شر انتقام ، أما هو فقد وقع بسهولة ، ولم يقاوم

الإغراء ، فراح شحبة للزملاء ولهذا البلد العجيب !

يجيب محزوناً

الفينيشيا

للقصصى الروسى أنطون تشيكوف
بقلم الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

ساعى البريد ولا بنت إحدى
الصديقات ، بل كانت سيدة
جميلة شابة عليها لباس أنيق
من طراز قديم ، وكان منظرها
ينم عن طيبة نفس وحسن
أخلاق . كانت القادمة شاحبة
الوجه ، وأنفاسها ثقيلة كمن
نزل من عدة طوابق عالية ،
وقد ابتدرتها « باشا » قائلة :

— ماذا تريدين ؟

غير أن السيدة لم تحر جواباً بل دخلت المكان
ونفضت أناته بنظرة فضول ؛ وكان مظهرها ينم عن
ألم فى نفسها ، وقد مضت عليها فترة أعدت فيها
نفسها للكلام ، فجلست ثم سألت أخيراً رافعة عينها
المحمرتين من البكاء قائلة :

— هل هنا زوجى ؟

فأجابها « باشا » :

— زوج من ؟

وكان قد استولى عليها خوف مباغت بردت
له يداها ورجلاها ، ثم كررت سؤالها قائلة فى
انفعال بئس :

— زوج من ؟

— زوجى أنا « نيقولا بيترويتش كولباكو »

— لا أيتها السيدة ، إني ... إني لم أعرف

زوجاً !

ثم مضت فترة صمت بينهما كانت السيدة خلالها
تجفف ما كان بعينها من دموع بمنديل كان بيدها
وكانت « باشا » واقفة لا تجسر على الخلو تنظر
إلى الزائرة فى ذعر وقلق شديدين ! ثم إن السيدة
(٣)

كل ذلك مما غبر عليه الزمان البعيد ، فقد
كانت هى يومئذ أنضر وأصغر ، وكان عشيقها
« نيقولا بيترويتش كولباكو » فى زيارتها بدارها
فى الريف ؛ وكان الجو حاراً مشبعاً بالرطوبة

وكان « كولباكو » قد انتهى من غدائه
وشرب زجاجة كاملة من شراب الموانى الردىء
فلم يكن فى حالة من صحة الإدراك جيدة ، وكانت
السامة وقلق البال قد استحوذا عليه وعلى صاحبه
فقد كانا ينتظران مقدم المساء اللطيف البارد
ليخرجا للنزهة

وفجأة دق جرس الباب ، وكان « كولباكو »
قد بقى فى قميصه ، فقام من مقعده وتساءل (بنظره)
عن القادم فأجابته صاحبه وكان اسمها « باشا » قائلة :

— ربما كان هذا ساعى البريد ، أو بنت إحدى

الصديقات

غير أن « كولباكو » لم يبال (ساعى البريد)
أو (بنت إحدى الصديقات) المزعومين وإنما تناول
(سترته) وذهب إلى الغرفة المجاورة بينما كانت
« باشا » ذاهبة لفتح الباب

وما كان أشد دهشتها حين لم تجد الطارق

سألت « باشا » في صوت هادئ وقد علت شفيتها
بسمة فضول قائلة :

— إذا فقد ذكرت أن زوجي ليس هنا ؟

— لا أفهم قصدك !

فنظرت السيدة إليها في احتقار وهزل ، وغمغمت
قائلة : « إنك امرأة سوقية لا خلاق لها ، نعم ...
نعم إنك لسافلة حقاً ، وإني لسعيدة إذ أصك وجهك
بهذا الآن ! » فشمرت « باشا » بأنها لم تحسن
السلوك قط إزاء هذه السيدة وأنها لا بد أن تكون
قد آلتها بشيء وضيع ارتكبته . فحجبت من خديها
المصبوغين بصباغ أحمر ومن أنفها الذي كان يعلوه
الوشم ، ومن القصّة^(١) المتموجة مرحاً على
جبينها ، وقد رأت أنها لو كانت نحيفة الجسم ،
بلا صباغ ومسحوق وقصة لسهل عليها إخفاء كونها
امرأة « رديئة » ، ولقابلتها مقابلة الند للند ولجروئت
على الجلوس على كرسي في جانب المنضدة الآخر ،
وقد أعادت السيدة هذا السؤال :

— وأين زوجي ؟ ثم استأنفت قائلة : « على
أنه لا بأس من وجوده هنا ، أو من عدم وجوده
— سيان — وغاية ما هنالك أنه قد اكتشف
لديه اختلاس ، وأنهم الآن يبحثون عنه
لإلقاء القبض عليه ، وتبعة ذلك كله إنما تقع عليك
وحدك ! »

ثم إن السيدة قامت فمشت في الغرفة وقد اشتد
هياجها ، وكانت « باشا » ترقبها في دهشة واستغراب

(١) القصبة : خصلة الشعر المقصودة بشكل خاص تعلو
الجبهة وتعدل على الجبين

فما كانت تستطيع أن تفهم شيئاً من كل ذلك .
ثم قالت السيدة :

— سيجدون اليوم وسيقبضون عليه ! وإني
لأعرف مَنْ ذا الذي قاده إلى ذلك كله ، ذلك هو
أنت ... أيتها السوقية الفبيحة ! أنت أيتها المخلوق
السافل ! ... وكانت أمارات وجهها تعبر عما في
نفسها من شعور نحو « باشا » بل كان منظرها
يدل على أنها كانت تود أن لو بصقت في وجهها ،
ثم أردفت :

— إني ضعيفة ، أسمع من أيتها الفضلة ؟ إني
عاجزة لا حيلة لي وأنت أشد مني قوة ؛ غير أن هنالك
من سيعنى بأطفالي . إن الله بكل شيء بصير !
إنه عدل وسيجزيك على ما أنزلت من دمي ، وعلى
ما حرمتني من نوم ليالٍ طويلة بما تستحقين !
وسيجيء الوقت الذي فيه تذكريني . ثم إن
السكون العميق خيم تارة أخرى طويلاً ، وكانت
السيدة تخطر في الغرفة بينا كانت « باشا » تطيل
فيها النظر غير فاهمة شيئاً ، وكانت تتوقع — في كل
لحظة — حدوث شيء مخوف . هنالك بدأت « باشا »
الكلام قائلة :

— إني لا أعرف شيئاً عن كل هذا
أيتها السيدة ! قالت ذلك وأجهشت بالبكاء المر من
قلب كسير . فردت عليها السيدة تقول :

= إنك لتكذبين ، إني لأعرف كل شيء ،
لقد عرفتك من أمد بعيد ، وقد جاءني أنه لم يمض
يوم واحد من الشهور الأربعة الباردة لم يقضه
زوجي معك !

— نعم ، وأى شيء فى ذلك ؟ أى شيء تفكرين ؟
إن هنا لك جمهرة تجمىء إلى وتخرج للزيارات معى ،
وما كنت التي أجبرتهم على المجيء إلى وإنما هم يأتون
بمحض رغبتهم

— أقول لك إنهم قد اكتشفوا اختلاسا
لديه ؛ لقد اختلس من دائرته من أجلك أنت ، من
أجل امرأة مثلك قارف ذنبه ؛ فأصنى إلى . ثم إن
السيدة قامت — قبل إتمام كلامها — فوقفت أمام
« پاشا » واستأنفت ما قطعت قائلة :

— لست يا هذه من صاحبات المبادئ فإن
من دأبك إيذاء غيرك وذلك كل بغيتك التي تريدن !
إلا أنى لا أستطيع أن أصدق أنك امرأة أضمت
كل شيء حتى ومضات الإنسانية الأخيرة . إن عنده
— يا هذه — زوجا وبنين ؛ فلو أنهم حكموا عليه
بالإبعاد إلى سيبيريا فإنى والأطفال سنموت حتماً
من الجوع ؛ حاولى أن تتفهمنى هذا ، غير أن هناك
طريقاً ما تزال أمامنا تنقذنا من البؤس والحطة ،
فلو أنى اهتديت إلى « تسعمائة روبل » اليوم فإنه
لن يحاكم ... تسعمائة فقط !

فسألها « پاشا » فى هدوء :

— تسعمائة روبل فقط ؟ إنى لا أعرف عن هذا
البلغ شيئاً

— إنى لا أستجدى منك تسعمائة روبل ،
فليس لديك أنت نقود ، ولا أنا بحاجة إلى نقودك ،
وإنما أسأل عن شيء يختلف عن ذلك تمام الاختلاف ،
فقد اعتاد الرجال إعطاء أمثالك من الفتيات حلياً ،
فأعبدى إلى ما كان أعطاك زوجى

فصرخت « پاشا » وقد أدركت قصد السيدة :

— ما أعطانى شيئاً من حلى ، أيتها السيدة !
— فأين هى النقود إذا ؟ لقد بذرت نقوده
وتقودى وتقود آخرين غيرنا ، فأصنى إلى ، لقد أفرطت
إذ نمتك بكثير مما لا يليق ولكنى أستغفرك . إنه
لا شك فى أنك تكرهيننى ، إنى أدرى ، غير أنك
إن كنت رحيمة فحاولى أن تقفى موقفى ؛ أتصرع
إليك أن تعيدى لى الأشياء !

هنا هزت « پاشا » كتفها وقالت :

— حسن ، سأفعل ما أردت فى سرور ، ولكن
هل ترين الله سيعاقبنى إن كانت هذه الحلى هدايا
قدمها — هو — لى ؟ فأرجو أن تصدقينى ... إنك
على حق ... وأوشكت أن تمضى فى الكلام لولا
أنها استدركت وقالت :

— لقد جاءنى مرة بهاتين الحليتين اللتين أعيدتهما
إليك الآن فى سرور إن رضيت

قالت ذلك وفتحت خزانة ثياب وسلمت إلى
ضيفتها سواراً وخاتماً صغيراً فيه فص أحمر . فثارت
السيدة ، وقالت وقد تبجهم وجهها وظهرت عليه آثار
الاستياء :

— ما هذا الذى تعطينى ؟ إنى لا أسألك
صدقة ولا إحساناً ، بل أسألك عن أشياء ليست
ملك يمينك ، أغريت زوجى — ذلك المخلوق الناعس
البائس فسلبته إياها ، أنت التي تعرفين كيف تكون
الاستفادة فى مثل هذه الأحوال . لقد كنت يوم
الخميس البارح ، يوم رأيتك مع زوجى فى الشارع
متحلية بأئمن الخواتم والدبابيس وما أريدك أن تمثلى
لنفعتى دور حمل وديع ! إنى لأسألك آخر مرة :
هل ستعيدين لى تلك الحلى أم لا ؟

لم أجن منه مالا ؟ بل إنه ليس فينا — نحن جماعة القيان — من لها حبيب غني غير « موتجا » وأما نحن الأخريات فإننا نقاسى صرارة الجوع نصف أعمارنا ! إن نيقولا بيترويتش فتى أنيق لطيف المعشر وذلك ما دعانى إلى قبوله صديقا . إننا قل أن نكون مدققات في اختيارنا الصحاب !

— إنى لا أسألك غير تلك الحلى . أعيدتها إلى . إنى أستصرخك وأضع نفسى أمامك ، وإن شئت فسألتى بنفسى على قدميك ، فأرجوك ... أرجوك » فصرخت « باشا » رعبا واستنكارا وشعرت أن هذه السيدة الحسنة التى كانت تتكلم بلهجة البطلة على المسرح على استعداد للانحناء على قدميها بكل ما أوتيت من ملكات الفخر والنبيل لتذل نفسها أمامها ، ولتذلها — هى أيضا — بذلك . ثم إنها قالت للسيدة وهى تجفف دموعها فى صوت مبحوح :

— حسن ، سأعطيك الحلى ، وأرجو ألا تظنين أنها من زوجك نيقولا بيترويتش وإنما كنت أخذتها من أخيار آخرين . وفتحت « باشا » الخزانة تارة أخرى وأعطت للسيدة دبوسا ماسيا وبضعة خواتم وعقود قائلة :

— خذى هذا أيضا ، وهذا ، إنها ليست من زوجك ! خذنها جميعا واجعلى بها من نفسك غنية من الغنيات — قالت كل ذلك متأثرة بما رأت من محاولة السيدة الانحناء على قدميها ! ثم قالت تستأنف كلامها : « وإذا كنت فى مثل هذا اللطف فعليك أن تحتفظى بزواجك خالصا لنفسك ، وتعملى على ذلك فما أنا التى دعتة إليها ، وإنما هو الذى جاء »

فساء كلامها « باشا » فأجابتها قائلة : — ما أسخفك ! أؤكد لك أن زوجك نيقولا بيترويتش ما أعطانى سوى هذا السوار وهذا الخاتم . وشىء آخر هو الكمك الذى كان يأتينى به ! فاستضحكت السيدة فى صوت متهدج وقالت : — الكمك ؟ إن أطفاله فى الدار لا شىء عندهم يطعمونه ، وأنت هنا يولم لك على الكمك ؟ إذا فانت مصرة على عدم إعادة الحلى ؟

غير أنها لم تقلق من « باشا » جوابا فجلست على كرسى مريح هزاز وأثبتت نظرها فى نقطة واحدة وظلت تفكر ثم قالت وكأنها تخاطب نفسها :

— ما العمل ؟ إذا لم أستطع الحصول على هذا المبلغ من المال فإننا حينئذ من الهالكين أنا وهو والأطفال معنا ، أقتل هذه المخلوقة الفظة أم ترى أن من الخير أن أركع أمامها ؟ . ثم إن السيدة وضعت المنديل على وجهها وأخذت فى الانتحاب ! ثم وجهت خطابها إلى « باشا » قائلة فى حيرة :

— أتوسل إليك ، لقد هدمت كيائنا ، أنلفت زوجى ، وخربت حياته فأتقديه ، إنى أدري أنك لا تعطينى عليه ، ولكن فكرى فى صبيته الصغير ما ذنب هؤلاء الأطهار فى تحمل الشقاء ؟

ففكرت « باشا » ، وخيل إليها أن أولئك الصغير الآن على قارعة من قوارع الطرق يتضورون جوعا وأن أمهم معهم تشاركهم فى العويل ! فقالت تسائل السيدة فى حنو وضعف ظاهرين :

— وماذا أستطيع أن أعمل يا أيتها السيدة العزيزة ؟ لقد قلت إننى وحش وإنى قضيت على نيقولا بيترويتش ، ولكنى أقسم لك ، وأشهد الله على أنى

بنظرة احتقار بينا كانت يدها المرتجفتان تشيران إليها
بالابتعاد عنه

آه . لقد أوشكت أن ترى نفسها عند قدميها ،
وعند قدمي من ؟ عند قدميك أنت ؟ ويلاء !
آه ... يا إلهي !

ثم إنه أسرع فارتدى ثيابه وخرج من الدار
متجنباً أن تمس « پاشا » يديه !

فلما خرج طرحت « پاشا » نفسها فوق كرسي
وأخذت تبكي في صوت رفيع . لقد كانت آسفة
لأنها أعطت حليها

ولقد كان منظرآ بشماً كريهاً ذلك الذي
شاهدته ! إنها قد تذكرت الآن كيف أن أحد
التجار كان قد غلبها من ثلاث سنوات لغير ما سبب
فأجهشت بالبكاء أكثر من ذي قبل ! ...

(بغداد) فخرى شراب السعيدى

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف موتة الاولانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثنها ١٥ قرشا

فنظرت السيدة من خلال دموعها إلى تلك الحلى
المنثورة على المنضدة وقالت: « ليست هذه كل الحلى .
إن قيمة كل هذا لا تعدل خمسمائة روبل ! » فذهبت
« پاشا » إلى خزانها بسرعة ورمت لها بساعة
ذهبية ، وعلبة سكاثر وزرين مما تُزرَّ به الأكام ،
وما إلى ذلك من أشياء ، ثم قالت وقد تأثر صوتها
بقوة عزم ظاهرة : « إني لا أملك غير ما ترين شيئاً
وإنك تستطيعين التأكد بنفسك ! »

فتحسرت السيدة وجمعت تلك الحلى ووضعتها
في منديلها وخرجت لا تنبس بينت شفة ، بل
إنها لم تحن رأسها تحية توديع ! وهناك فُتح الباب
الموصل إلى الغرفة المجاورة وظهر نيقولا كولبا كو
وكان شاحب الوجه ، يهز رأسه في حركة عصبية
كأنه قد جرّع جرعة من شراب مر المذاق ، وكانت
الدموع تترقق في عينيه ، فابتدرته « پاشا » قائلة :
— ما هي تلك الأشياء التي زُعم أنك قدّمت
إليّ ؟ وإذا كان يحق لي أن أسأل فتى كان هذا ؟
فأجابها كولبا كوهازاً رأسه :

— أشياء ؟ إنما هذا هديان يا إلهي ! أتراها
قد انتجبت أمامك ؟ وأذلت نفسها ؟
فصرخت « پاشا » :

— إني أسألك عن تلك الهدايا التي يقال إنك
قد قدّمت إليّ ، ما هي ؟

— إلهي ! تلك النقية النبيلة الفخور تكاد
ترتبي على قدمي هذه المخلوقة ؟ إنما جاءت بها إلى هنا
أعمالي ! أنا الذي أقررت ذلك !

ثم إنه أسند رأسه إلى يديه وأنّ قائلاً :
لا ... لن أغتفر لنفسى ذلك ، اغربى (أيها
الوحش عن وجهي) قال ذلك ورمي « پاشا »

وكنتم أبرد قسماً

عن الانجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

قطرات الدواء وقفت يدي وبقيت جامدة لا تتحرك ، فقد خطرت لي فكرة ملهبة سريعة أشبه بضوء البرق الخاطف ومثله في بساطته . لنفرض أنني أخطأت في عدد قطرات الدواء العنبري واستمر السائل ينصب في الملعقة حتى يغمرها ، أو لنفرض أنني تناولت عن خطأ

غير مقصود زجاجة أخرى تشبه في منظرها زجاجة الدواء ، ولكنها تحتوي مادة سامة . أليس ذلك ما يحدث بعض الأحيان فتنتشر الصحف خبره تحت عنوان : « أم تخطئ فتناول السم بدل الدواء ، ويؤدي خطأها إلى قتل طفلها »

بمثل هذه السهولة يمكن أن ينتهي كل شيء ! أيعبد ذلك جريمة ؟ لا ! فما أنا إن فعلت إلا مؤدية واجباً تحتمه الشفقة الإنسانية إذ أنقذ طفلة مشوهة كسيحة عديمة الحول من حمل حياة مقضى عليها بالشقاء والتعاسة ! فما يخرج عملي عن أنه القتل باسم الرحمة والشفقة !

وإذ تدور هذه الأفكار في رأسي يدب في أذني صوت ابني يناديني من الطابق الأرضي : « أمه ! أنت في الطابق الثاني ؟ » . وابني كريستوف طفل في السادسة من عمره قوى البنية قوى الصوت فأجيبته في صوت آلي :

— نعم يا كريستوف

وبهذه الكلمات المسموعة مرت النوبة الجنونية التي أغرقتني في صوت غير مسموع بارتكاب جريمة القتل . فعدت إلى الدواء أعد القطرات التي أفرغها منه في الملعقة في عناية وحذر . وذهبت والدواء

« نسع هذه الأيام الحديث من قتل الشفقة وهناك فريق من الناس ينشرون الدعاوة لهذا النوع من القتل ، ولكن هل كان لأي إنسان في أي وقت أن يتولى ما هو من حق الله وحده ؟ هنا قصة مثيرة عن أم كادت تحت حكم الاغراء القاسي أن تقتل ابنتها ولكن ... »

بينما كنت أعد الدواء لابنتي الطفلة خطرت لي على حين فجأة فكرة القتل للشفقة وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساء وكان اليوم مطيراً قابضاً ، وكان الطبيب قد أمرني أن أسقي طفلي في الساعة الخامسة من مساء كل يوم عشر قطرات من الدواء الذي وصفه لها ، ونزولاً على هذا الأمر تناولت الزجاجة وشرعت أعد القطرات التي أصبها منها في الملعقة

« واحدة ... اثنتان ... ثلاث ... »

على هذه الحال كل مساء في الساعة الخامسة ويجب أن أستمر على ذلك الأسابيع والأشهر والسنوات ، كل ذلك لأبقى على الأنفاس الضعيفة التي يرددها صدر طفلة مشوهة كسيحة — إنها حياة مظلمة أشبه بهذا اليوم المطير القابض وهي مثله محرومة من ضياء الشمس

نحت تأثير هذا التفكير الظلم وبينما أنا أعد

صوتاً مألوفاً لي هو صوت مفتاح الباب الخارجى ،
وخطوات زوجى السريعة وصوته الطروب يدعونى :
— أنت فى الطابق الثانى يا آن ؟
فأجبتہ :

— سأزول بعد دقائق قليلة يا فيليب !
ثم أحكت غطاء الطفلة وسويت وسائدها ،
وكانت يداى مضطربتين . ثم هبطت إلى الطابق
الأول ، وبعد فترة وجيزة جلسنا إلى مائدة العشاء ،
واشتغل كريستوف ولولا بحديث لعبهما ، وشرع
فيليب يحدثنى عن حوادث اليوم ويعلق على الأخبار
الرياضية ... لقد كنا دائماً مثلاً وسطاً للأمرأة العادية
المتعة بنعمة الصحة التامة . بل لعلنا كنا فوق المثل
العادى كما كنا شديدى النشاط . فقد كان الناس
يقولون عنى وعن فيليب إننا نتقدم دائماً إلى الأمام ،
لا نبالى شيئاً ، وكنا نضحك من هذا الكلام
ولا نندم على شيء !

لقد نشأت أنا وفيليب معاً ، ثم غدونا متحابين ،
وكنا نشترك فى الرحلات الخلوية ، وفى جماعات
السباحة ، والألعاب الرياضية ، وكنا نركب السكك
الحديدية الجميلة اللتوية ، وفى المنحنيات الخطرة يتعلق
كل منا بالآخر ضاحكين مستبشرين ، وكنا أكثر
من أى رفيقين غيرنا اندفاعاً فى الرياضة واللعب ،
والرقص ، ثم ابتاع فيليب سيارته فكان يسرع بها
أكثر من غيره من الرفاق .

وكان رفاقنا يطلبون منه دائماً أن يكون أشد
حذراً فى قيادة السيارة ، فكان فيليب يضحك ويقول :
« بحذر ! سنعرف الحذر بعد مائة سنة ، أما الآن

فإننا نمتع أنفسنا بأقصى ما نستطيع »
وإنى لأسأل نفسى دائماً ماذا كنا نفعل لو أننا

فى يدى إلى مهد الطفلة فنظرت إلى وجهها الشاحب
المجرد من كل معنى

أهذه هى طفلى ! هذه القطعة العاجزة التى تنبض
بها الحياة ، كتلة مشوهة من الجسم اللتوى . هذه
هى طفلى !

لقد أصدرت أعلى الهيئات الطبية قرارها النهائى
فى أمر هذه الطفلة العاجزة وهو :

« أنها لن تستطيع المشى يا مستر شلتون ، ولن
تكون أبداً طفلة طبيعية »

وما زال نذير هذا القرار يزعجنى ويقض مضجعى
وعبثاً بكيت هذا الحظ التعس . وكنت أسأل القدرة
الإلهية فى صمت : لم هذا ؟ لقد كان طفلاى الآخرين
مثلين جيلين للصحة الكاملة . كان كريستوف صبيلاً
طبيعياً عنيداً . وكانت لولا صبية جميلة محبوبة فى
الرابعة من عمرها ، فلم تزل هذا المصاب بالطفلة الثالثة ؟
لماذا ؟ أليس تمت من علاج ، أما هناك من أمل ؟
لقد كان الجواب القاطع على هذا التساؤل :
أن لا أمل على الإطلاق ... فليس فى قدرة أى مخلوق
أن يعمل شيئاً حيال هذا المصاب . عندئذ طرأ فجأة
ذلك الحل الذى يلح بارتكاب جريمة القتل ، القتل
الرحيم الذى يخلص الفتاة من شقاءها ويخلصنى
من آلامى .

لا يكلفنى هذا الحل إلا أن أزيد بمض قطرات
من الدواء على القدر المعين ، أو أن أخطئ فى تناول
الزجاجة الثانية !

وسمعت فى الطابق الأول باباً يفتح ، ثم يعلق
فى غير عناية . فيدل ذلك على أن كريستوف و(لولا)
قد انتهيا من لعبهما خارج البيت . ولم يلبث الجو
الداخلى أن ملئ بضحكتهما وصخبهما ؛ ثم سمعت

— إن هذا الجو يناسبني جداً ، وأنا لا أشكو
أبداً من الشتاء
وذهبت أنا وفيليب إلى الحفلة في سيارتنا وكانت
سيارتان أخريان قد تقدمتا ، فقال فيليب :
— فلنسرع لنلحق بهما

فقلت مبتهجة :

— نعم لنلحق بهما ولنتقدمهما
ولم تمض فترة قصيرة حتى رأينا السيارتين
المتقدمتين ثم أدركناهما فصاح فيليب ونحن نمر بهما
وتركهما وراءنا :

— انظري ما تثيره سيارتنا في الجو من غبار
ثم قال نفوراً :
— إني أراهن على أننا سنصل قبلهما بوقت
طويل وسنـ ...

وفجأة انزلت السيارة على الجليد واضطربت
حركتها ثم دوى الجو بصوت صدمة قوية
وأصيب فيليب برضوض خفيفة أما أنا فلم يظهر
أننى قد أصبت بأى أذى ، وقلت لفيليب مؤكداً :
— كن واثقاً أننى لم أشعر إلا برجة خفيفة
وبشئ من الخوف وليس هناك ما يدعو إلى الاهتمام
ولكن فيليب كان شديد الخوف شديد الندم
وكان يقول من حين إلى حين :

— لا أستطيع أن أسامح نفسي يا آن ، لقد
كان جنوناً مطلقاً منى أن أعرض لخطر القيادة
السريعة الطائشة لغير داع إلا أننى كنت أريد مجرد
التظاهر ... لا أستطيع أن أسامح نفسي .

فكنت أحاول أن أخفف من أثر الحادث فأقول :
— ليس فيما حدث ما يدعو إلى الندم مطلقاً ،

اطلعنا في تلك الأيام السعيدة على ما يحجب لنا المستقبل .
وقد نشأ كريستوف ولدنا الأول شبه والده
في جسمه القوى وفي تفوقه السريع في الألعاب
الرياضية ، وكانت (لولا) المجددة الشعر أصغر من أخيها
بعامين شديدة الحرص على مجاراته في حركاته .

وكان فيليب يعمل موظفاً في محل تجارى
ولم يكن يربح كثيراً ولكننا نعيش عيشة حسنة
جداً ، وكانت دارنا بسيطة في مظهرها ولكنها
كانت مريحة وكانت من النوع الذى يلائم حياتنا
الطروب المرحه

وكان انتظارنا طفلاً ثالثاً أمراً يدعونا إلى
التفكير في الاقتصاد على أننا لم نكثر لهذا الأمر .
فقد رحب فيليب بالخبر ترحيباً قلبياً وقال :

— هذا حسن جداً وسنرتب أنفسنا بحيث
نوسع مكاناً للغريب الصغير

ودعيت أنا وفيليب إلى إحدى الحفلات ، وكان
ميزان الحرارة ثابتاً على خط الجليد ، وكانت الشوارع
منظّاة بالثلج فحذرتنى مسز فيرجسون جارتى من
الخروج في تلك الليلة قائلة : « إنك حامل يا مسز
شيلتون ويجب عليك أن تحترسى »

فضحكت وقلت : إننى لا أحب أن أكون
من القعيدات يستدفئن على الكراسى
فقلت السيدة :

— ولكن فى مثل هذا الجو ...

فقاطعتها قائلة :

— إنه طقس جميل جداً وأنا أحب البرد .
وأنت ما رأيك فى نفسك يا فيليب ؟
فقال مبتسماً :

فكل إنسان معرض للحوادث الطارئة ؛ فلا يزجك هذا الأمر .

وعندما ولدت ابنتنا كنت قد نسيت الحادث نسياناً تاماً ، وكان أول ما شعرت به بعد الوضع أن هناك شيئاً غير طبيعي ، وجاءني هذا الشعور من أن الممرضة كانت ترفض باستمرار أن تريني الطفل الجديد وقد كان فيليب هو الذي أجابني عندما فتحت عيني وسألت عن المولود . فقال لي :

— إنها نائمة

وكان فيليب جالساً إلى جانبي وكنت لا أزال تحت تأثير المخدر فلم ألاحظ أن هناك شيئاً غير طبيعي ، وقلت :

— إذن هي فتاة

فهز فيليب رأسه إيجاباً
فقلت :

— إذن ليكن اسمها جاتيت

ولم ألبث أن وقفت تدريجاً وفي ثان على الحقيقة ، فقد أخبروني أول الأمر أن الطفلة مريضة قليلاً ، ثم قالوا بعد ذلك إنها قد نقلت إلى مصحة خاصة لتكون تحت إشراف بعض الاختصاصيين . فلما عادت إلى قواي علمت الحقيقة . لقد ولدت الطفلة مشوهة ، وجلست يوماً في مكتب طبيب اختصاصي كبير في أمراض الأطفال فسمعت رأيه الأخير في قوله :

— إنها لن تستطيع أن تمشي ولن تكون أبداً

فتاة طبيعية

على أنني لم ألبث مع الزمن أن استسلمت للواقع ولأن فيليب ما زال مثالاً يلوم نفسه ويعنفها ألف مرة ومرة ، وقد أصبح رجلاً مقهوراً معذباً ، وكان

ذلك من الأسباب التي زادت الحمل الملقى على عاتقي فقد كنت أحب زوجي حباً شديداً ، وكان تأله يدمي قلبي ، وأصبح الهيكل الصغير المحزن الراقد في المهد شبحاً عابساً خفيفاً ملأ البيت صمتاً وتجهماً . وأثقل نفس فيليب ونفسي ، وخيل إلي أن لا أمل هناك في تغير هذه الحال إلى أن كان ذلك المساء المطير المقبض وخطرت لي فكرة التخلص في سهولة من حياة الطفلة ، فكانت هذه الفكرة هي الحل الوحيد للمشكلة التي اعترضت طريق حياتنا

ولازمتني هذه الفكرة ملازمة غريبة . فقد كنت أتبع أوامر الطبيب في دقة وحذر شديدين ، وإذا خرجت أنا وفيليب من البيت لأمر ما تركنا في غرفة الصغيرة من يلزمها ويعنى بها ، وإذا هي بكت في المساء أسرع عند سماع صيححتها الأولى فتركت فراشي وحنوت عليها أنظر ما بها . وعلى الرغم من ذلك كانت فكرة القتل للشفقة تملأ رأسي ولا تفارقني ليل نهار . وإذا كنت بين أصحابي أو في غرفة الجلوس مع أفراد أسرتي وجدتنني على حين فجأة أفكر في طفلي المريضة وفي العمل الوحيد الذي يضع حداً لآلامها . وفي بعض الأحيان كان يبدو لي أن هذه الفكرة غير معقولة وخيالية . ولكنني إذا انفردت بالطفلة ورأيت وجهها الصغير المتعب الشاحب وأعضائها العاجزة المشوهة بدا لي أن فكرة القضاء على هذه الحياة المحزنة فكرة تتفق مع الحق والعدل ، فكانت تستحوذ على جميع مشاعري وتدفع يدي المضطربتين إلى التنفيذ

وإني لأعلم يقيناً أن ملازمة هذه الفكرة لرأسي لم تكن نتيجة اضطراب نفسي . بل إني لأعترف مخلصاً أنني لم أكن واقعة تحت تأثير عصبي ، بل

كنت امرأة عملية اتخذت وجهة نظر هادئة واقعية في موقف تعيس . إذ أية فائدة تجنيها ابنتي المريضة المشوهة من الحياة ؟ والحياة على أحسن التقديرات جهاد مر ومنافسة حادة مندفعة لا يفلح فيها غير الأصالح . فإذا تستطيع أن تفعل في الحياة فتاة مريضة مشوهة عاجزة؟! وهل يمكن أن تكون هذه مخلوقة إلا عبثاً على الآخرين تثقل عواتقهم ، دون أن تشترك في شيء من نعم الحياة ، فهي قعيدة تسترعى الشفقة والعطف . تنتظر انتظاراً موحماً أن يجيئها الموت وكلما طالت بها الحياة ازدادت آلامها ومتاعبها ؟ أليس من الإنسانية ومما هو أقرب إلى العدل أن يضع الإنسان حداً لهذا الانتظار المؤلم وأن يخلص ذلك الجسم العاجز من السلاسل المتعبة التي تربطه بالحياة المحرقة ؟

مثل هذه الأفكار هي التي كانت تساورني فأخذت بها نفسي سرّاً يوماً بعد يوم وأنا أفكر في الجريمة التي لا إثم فيها ، الجريمة التي لن تكون إلا عملاً من أعمال الشفقة والرحمة . ولم يكن الكتمان من طبيعتي فكان فيليب دائماً موضع سرى ، أفضى إليه بكل مشكلة تواجهني وبكل قضية حيوية أفكر فيها . ولكنني لم أجسر أن أحدث زوجي بهذه المسألة الجديدة المتصلة بقضية الحياة والموت

وفي ذات مرة عرضت لهذا الموضوع عرضاً غير مباشر إذ قلت :

— إنني لأشعر أحياناً أنه كان خيراً لطفلتنا لو أنها ماتت . إذ أية فائدة هناك من إطالة حياة مريضة كهذه ؟

فنظر فيليب إلى نظرة عطف وإشفاق وقال :

— إنه لفظيح يا آن أن تعيشي مقيدة بملازمة

طفلة مشوهة عاجزة وأنت المملوءة حياة وقوة قلت :

— إن مخاوفي ليست من أجل نفسي ولسكن من أجلها .

فقال :

— لم أقل لك من قبل يا آن إنني كثيراً ما ذهبت إلى المستشفيات ومصحات الأطفال لأبحث عما إذا كان هناك كشف حديث يفيد في علاجها ، ولكنني لم أعثر على شيء من هذا القبيل ، ومن المحتمل أننا لو كنا أغنياء ...

فقاطعتني في شيء من العبوس :

هذا هو الموضوع ، فلو أننا على الأقل كنا أغنياء لاستطعنا أن نحيطها بأسباب العناية ... وإنني لأفكر دائماً في المستقبل : مستقبلها هي ...

فتهد زوجي وقال :

— وكذلك أنا... ولكن ليس هناك ما يمكن عمله .

ولقد وددت لو قلت له :

— هناك شيء أستطيع أن أعمله ، ولسوف أعمله يوماً ما

ولكن هذه الكلمات لم تخرج من بين شفتي نعم سيأتى اليوم الذى فيه أعمل هذا العمل ، وقد خيل إلى أحياناً أن هذا اليوم قد دنا ، وذلك عندما كانت تمرض الفتاة وتبكي وتئن أنيناً موحماً مستمراً . ففى مثل هذه الحالات كنت وأنا أغسل الطفلة العاجزة وأسمع أنينها أشعر بأن الخيط الفاصل بين الفكرة والتنفيذ قد أصبح دقيقاً جداً ، وعلى الرغم من ذلك بقى هذا الخيط الدقيق الفاصل قائماً وكان بعض الأحيان أقوى ، فى منع يدي من العمل ،

من جميع الآراء التي تساورني ومن العزيمة التي تدفعني إلى التنفيذ

وبلغت جانبيت السنة الثانية من عمرها ، وكان نموها الطبيعي بطيئاً جداً . كذلك خيل إلى أنها لا تنمو مطلقاً من الناحية العقلية ، فلم يبد منها أى دليل على الذكاء مثل الذى بدا من كريستوف ولولا حتى فى السنة الأولى من حياتهما . فقد كانت الطفلة كتلة مشوهة من الحياة لها عينان لا معنى فى نظراتهما ووجه لا يستطيع أن يتبين فيه الإنسان أى أثر من آثار الحيوية ولها أعضاء عاجزة معدومة النفع فهي مجموعة فيها حياة تدعو إلى الشفقة المزوجة بالألم . وحتى ولداى الصغيران كانا ينظران إليها بين الرأفة والحنو

وكان من النادر أن يقترب كريستوف ولولا من أختها ، وإذا كانا يشعران بأن كل شئ حولها غير عادى فقد كانا يمران بالفرقة على أطراف أصابعهما ويلقيان عليها نظرة عطف خاطفة ثم يسرعان إلى حيث يلعبان .

وفى ذات مساء تركت الطفلين وحدهما فى البيت فترة قصيرة من الوقت ، فلما عدت وجدت كريستوف فى الطابق العلوى وعند ما سمع حركة دخولى إلى البيت صاح بي :

— أنا هنا مع جانبيت . لقد كانت تبكى فهزرت مهدها فسكتت

واستمر الطفل يرقص فى غرفة أخته المريضة ، ثم صاح مبتهجاً على حين فجأة يقول :

— أسرعى يا أمى بالصعود ، وتعالى انظرى ، إنها تبسم يا أمى

وإذا دخلت الغرفة أشار إلى أخته وقال : (أنظرى)

وحقاً رأيت لأول مرة دلائل الانتباه بادية على وجه الطفلة . فكانت محدقة فى كريستوف وعلى فمها ابتسامة هى أولى ابتسامات الطفولة العذبة وكان كريستوف مبتهجاً فكان ينقلب فى الهواء ويحرك أذنيه ويديه حركات بهلوانية ، وكانت عينا الطفلة الصغيرة تتبعان حركاته والابتسامة ملازمة فمها وقد أسرت هذه الابتسامة قلب كريستوف ، وأصبحت ملاعبة جانبيت أهم تسلياته من ذلك اليوم وكان يقول لى فى كبرياء :

« أنظرى كيف أحملها على الابتسام »

ثم تضىء عيناها ويريق الانتصار ويبدأ سلسلة من ألعابه البهلوانية ويقول :

« أنا الوحيد الذى يستطيع أن يضحكها »

وأصبحت جانبيت من ذلك التاريخ فى حاية كريستوف فإذا هى بكت لاعبها فى أناته وفى غير فخر حتى يرضيها ، وإن هى امتنعت عن تناول الدواء أو الطعام استطاع أن يحملها على تناولها ، وكان يقول مفاخراً :

« إننى أستطيع أن أجعلها تعمل أى شئ أريده »
والواقع أن جانبيت كانت تطيع كريستوف فى كل ما يأمرها به

وكان يحضر لها اللعب وعرائس من الورق وقطعا من السكر الخالص فإذا عاد من المدرسة دخل مباشرة إلى غرفتها وقال :

« إليك يا جانبيت أنظرى ما أحضرته لك »

وكان يسره أن يشرح لها فائدة كل لعبة من هذه اللعب ويقول لى فى لهجة التوكيد :

« إنها تفهم ، تفهم كل شئ أقوله لها »

ولقد شعرت ، حيال ما رأيت من عناية

وكنت أردد صدى هذه الكلمات، منهدة تنهداً عميقاً . نعم مسكينة هذه النفس الصغيرة التعيسة ، لماذا خرجت إلى هذا العالم ؟ ولأى غرض كان مجيئك ؟

على أننى لم ألبث أن تلقيت الجواب سريعاً على هذا السؤال

أحييت أنا وفيليب أمسية أحد أيام السبت . وكان الجو دافئاً ، فتعشنا عشاء بارداً فى الحديقة الخلفية وكان ضيوفنا مرحين مبتهجين ، وعند منتصف الليل بلغ الابتهاج غايته ، وإذ لم أكن متعودة كثرة الشرب فقد شعرت بالنشوة بعد كأسين من الكوكتيل . وحوالى منتصف الليل بدأت جانيت تبكى ...

وكنا قد سمحنا لكريستوف ولولا أن يسهرنا قليلاً فى هذه الليلة ، وبعد أن انصرفا إلى فراشهما بوقت غير طويل سمعنا بكاء جانيت ، فلم نهتم به أول الأمر ، فقد كان من المألوف أن تستيقظ فتبكى قليلاً ثم تسكت وتعود إلى النوم ، ولكن بكاءها هذه الليلة استمر أكثر من المألوف وازداد ارتفاعاً ، ثم صرخت صرخة موجهة حملتني على الإسراع إلى داخل البيت وصعود السلم وثباً ، فسمعتها تصيح منادية باسم أخيها : كريستوف ! كريستوف !

وشعر عقلى المضطرب بشيء من الخطر ، ولكننى لم أستطع تبينه ، فأسرعت داخلية إلى غرفة النوم ، وهناك وقفت جامدة من الرعب ، فقد كانت عينا جانيت محذقتين يباب الغرفة التى ينام فيها كريستوف ولولا ، وكان الدخان مندفعاً من ذلك الباب ، فقد كان هناك شيء يلهب على مقربة من سريرى الطفلين النائمين ، وجلبت صرخاتى المتوالية كل من فى الدار ،

كريستوف بأخته وإخلاصه لها ، بالجل من موقفي منها ، ولكن عقيدتى فى أن الموت كان خيراً لها من الحياة ما زالت متمكنة من نفسى وكان الأصدقاء يسألوننى فى عجلة من باب أداء الواجب :

« كيف حال الطفلة ؟ »

فكان جوابى القصير :

— على ما كانت عليه

وكنت أزيد على ذلك فى سرى :

— وستبقى على ذلك دائماً قعيدة عاجزة

وبلغت جانيت السنة الثالثة قبل أن تنطق بكلمة

واحدة وكانت أول كلمة نطقت بها وأول اسم ذكرته هو « كريستوف »

فازداد كريستوف كبرياء وقال :

— أنظرى كيف أعلمها الكلام ، قولى يا جانيت ما هو اسمى ؟

فتكرر الطفلة قولها :

— كريستوف !

وإذا نطقت بهذا الاسم أشرق وجهها وأبرقت

عينها

هذه هى العلامات التدريجية البطيئة التى كانت

تم عن التقدم الطبيعى فى حالة الطفلة . ولكن

الحنة بقيت على حالها ، وكنت آخذها ميمى فى الطريق

للتروض فترقد فى عربتها كتلة جامدة هادئة ،

وكنت كلما نظرت إليها تولانى الخوف من مستقبلها .

كنت أسائل نفسى ماذا يكون إذا هى كبرت

وأدركت أنها ليست مثل غيرها من الفتيات ؟

وكان الناس يتمتمون إذا ما رأوها :

— مسكينة هذه النفس الصغيرة !

والوائد والأسونة ويمهد إلى لولا بدهانها وتزينها .
وكانت لولا غير مهتمة أول الأمر بحركات
أخيها ، ولكنها لم تلبث بحكم مجاراتها له أن تعمل
تحت إشرافه في مساعدته بصنع العرائس وخيط
الملابس ، وقطع الصور . وكانا في أثناء عودتهما
إلى البيت بعد انصرافهما من المدرسة يلتقطان بعض
الأزهار فيجعل كريستوف منها باقة يقدمها إلى جانيت
وهو ينحني أمامها محيياً في صورة تمثيلية ظريفة .
ولم تكن جانيت لتسر بشيء مثل سرورها بهذه
الباقة من الزهر . ولما أدرك الطفلان ذلك كانا
يقتصدان كل ما يستطيعان من نقودهما القليلة ليشتريا
لها بعض الأزهار من حانوت الزهار إذا لم يجدا شيئاً
منها في طريقهما .

وكما تنمو الزهرة في حرارة الشمس إذا عني
بأمرها عناية كافية فكذلك كان شأن ابنتي الشاحبة
المریضة ، إذ بدأت تنمو وتقوى رويداً وتبدو عليها
معالم الحياة . واختفت من وجهها نظرة الخمول ،
والعباوة التي كانت تغشيه وحلت محلها عذوبة جذابة
وأصبح وجهها الرقيق بما فيه من عيني زرقاوين
فتانتين أشبه بصورة رائمة يحيط بها إطار من حلقات
الشعر الجمعد فلم يكن الإنسان ليمالك نفسه من النظر
إليه مأخوذاً ، وكان تقوس شفيتها البديع ومظهر
الآلم البادي في عينيها الجميلتين مما يبعث العطف
إلى قلب الناظر إليها ويملاؤه حباً لها وحنناً عليها ،
وقد طهر هذا المنظر نفسي مما كان يداخلها من
الشعور بالمرارة والحنق . وكان ما في عينيها من معنى
الصبر والاحتمال يوحى إلى النفس برسالة سماوية
أشعرتني بالخجل الشديد كلما ذكرت فلسفتي الجاحدة

فاستطاعوا اختطاف الصغيرين من وسط الغرفة الملهبة
فقال فيليب وهو يرتجف :

ماذا كان يحدث لو لم تستيقظ جانيت وتبكي .
إنها الصدفة السعيدة وحدها التي أبقتها
ولكنني أنا التي رأيت صورة الجزع مرسومة
على وجه الطفلة ومعنى الفرع ينطق من عينيها
المحدثين في الغرفة الملهبة ، أنا التي رأيت ذلك
أعرف أن صرخاتها لم تكن مجرد مصادفة . فهي
قد أحست بالخطر يدنو من كريستوف ، فصرخت
تطلب النجدة إلى أن نجأ حبيبها كريستوف من
الخطر .

هذا هو الجواب على سؤال . فإن بعض الذين
يقضى عليهم سوء الحظ بالعجز والقعود عن الحركة
تبقى أرواحهم حرة طليقة ، وهذه الأرواح تستطيع
أن تضطلع ببعض أعمال البطولة والشجاعة ذات
الفائدة العظمى . لقد قضى على طفلتنا بأن نحيا
حياة المرض والعجز ولكنها أنقذت حياة أخويها
بالغ كريستوف في عرفان الجميل الذي أولته
إياه أخته ، ونشرت الصحف المحلية خبر الحادث ،
فأحضر هذه الصحف إلى البيت وأطلع جانيت على
الصور وما حوّلها من تعليق ، وأخذ يشرح لها في أناة
معنى ما كان يقرأه بصوت مرتفع ويقول لي مؤكداً :
— إنها تفهم وهي مدركة أنها قد أنقذت
حياتنا ، انظري إليها كيف يطفح وجهها بالسعادة !
قوى هذا الحادث روابط الصداقة بين كريستوف
وجانيت ، فضاعف جهده في إرضائها والعناية بها
وحملها على الابتسام والشعور بالسعادة ، وكان
يقضى الساعات في الغرفة الصغيرة فوق السطح
في صنع اللعب التي يقدمها لها فكان يصنع الكراسي

التي كنت أناجي بها نفسي في أيامها الأولى.

أحسست حيال ذلك بأن نفسي تفيض بماطفة رقيقة قانعة جددت شبابي الروحي . ولم يغب عني أن ضعف جانيت وضرورة اعتمادها على غيرها هما اللذان حركا عوامل الرحمة والمحبة وكرم المعاملة في نفسي كريستوف ولولا . ولقد كان كريستوف في سنواته الأولى صعب المراس لا يسهل ترويضه وكانت طبيعته صلبة أنانية ، فلم يغب عني الآن أن ابنتنا الصغيرة كان لها الفضل الأكبر في تهذيب هذه الطباع وتحويلها إلى خلق رقيق وديع

ولما التحق كريستوف بالمدرسة الثانوية تحدث إلينا عن مطامعه في لهجة مازحة قصد بها إلى إخفاء ما وراءها من انفعال فقال :

— أريد أن أبحث معكما في أمر يتصل بي وبمستقبلي

فقال أبوه في لهجة ساخرة بعض الشيء :

— أسمعنا قصتك !

فأجاب كريستوف :

— حسن ... لقد فكرت — منذ زمن بعيد — في أنني راغب في أن أكون طبيباً : لأنني ما كدت أتبين حالة جانيت حتى استقر رأيي على أن أصبح يوماً ما طبيباً — وطبيباً ماهراً — وإنني عند ذلك أستطيع أن أشفئها .. فالذي أريد أن أحدثكما فيه هو هذا ... وأنا عالم طبعا أن ماليتك محدودة يا أبي ولكنني فكرت في أننا نستطيع نحن الثلاثة أن نجد طريقاً ما لتحقيق هذه الغاية «

فأجابه أبوه :

— إذا كنت قد اعترمت أن تدرس الطب ،

فصمم على عزيمتك يا بني ، وسنجد طريقاً لتنفقات تعليمك . فهناك دائماً طريق مفتوحة لمن يبحث قال الفتى :

— هذا بديع جداً يا أبي

وهكذا وجهنا جهداً أنا وفيليب وكريستوف إلى توفير الأسباب التي تمكن كريستوف من درس الطب . فحصل كريستوف على عمل يشتغل به بعد انصرافه من المدرسة ، وكذلك حصل فيليب على عمل إضافي ، أما أنا فوضعت نظاماً جديداً للنفقات المنزلية ، وبذلك حققنا أمنية كريستوف في درس الطب .

وأصبح كريستوف في الثامنة عشرة من عمره على استعداد لدخول مدرسة الطب ، وكان حاد الرغبة في تحصيل العلم حتى لقد أدهشنا أن ينقلب الغلام الشاكس الميال إلى اللعب إلى فتى شديد الانكباب على الدرس ملتهب الرغبة في تحقيق مطامعه العلمية ، وإذا أنت لاحظته عن كثب تبين لك ما في نفسه من إصرار على الوصول إلى هدف وضعه نصب عينيه ولا يريد عنه تحولاً

ولقد قال لي مرة :

— إنه ليصعب على يا أمي أن أنتظر حتى أصبح طبيباً لأستطيع عمل شيء لجانيت . على أنني مقتنع بأنني قادر على أن أساعد في تخفيف متاعبها ، فلقد كنت دائماً قادراً على أن أعمل لها شيئاً ، فكنت أول من حملها على الابتسام وأول من علمها الكلام ودرّبها على فهم ما يقع تحت حسنها . وسأشفيها !

وكانت جانيت قد بلغت الثانية عشرة عند ما دخل كريستوف مدرسة الطب ، ولما كانت قد ازدادت رقة وضعفاً فقد كانت تضطر أحياناً للبقاء في فراشها

عدة أيام ، وكان كريستوف في هذه الحال يسهر عليها في لهفة شديدة . وكان يقول لها مازحاً :

— اسمي يا زرقاء العينين . إنك لن تبقى مريضة إلى أن أصبح طبيباً . فلقد قضت الظروف بأن أكون طبيبك منذ عهد طويل ، فأنا لا أريد منك أن تناصري منافسى

فسأله جانيت في صوتها الرقيق :

— وكم أمامك من الزمن حتى تصبح طبيباً ؟

— عدة سنوات ، ولكنها ليست طويلة بقدر ما يتوهم الإنسان ، فإن الوقت يطير

فابتسمت جانيت وقالت :

— سأجهد في أن أبقى قوية إلى ذلك الحين يا كريستوف . وأنت تعلم أنني سأجهد في عمل أى شيء يرضيك

فقال أخوها :

— يالك من فتاة طيبة ... وأنا من أجلك سأبذل جهداً مضاعفاً لآتئى من الدرس على عجل

وإذا كان كريستوف قد أظهر قدرة فائقة في الدرس وإذا كان قد حصل على درجات أعلى بكثير من درجات رفاقه فإن الفضل في ذلك لا يعود إلى ذكاء خارق ، ولكن إلى اعتقاده أنه متى أتم درس الطب سيصبح قادراً على تطبيق علمه على حالة أخته ، وإلى خوفه من أن نجى معرفته وقدرته على شفائها متأخرتين عن الوقت المناسب

وكانت جانيت تسير في طريق الانحلال ، وكنا كلنا نعلم ذلك وقد قال الأطباء إن قلبها لا بد أن يقف في أى لحظة من اللحظات . وكانت الفتاة تجلس إلى جانبى خاملة ساكنة بينما أعزف لها على البيان أو أقرأ لها قطعة ما

بصوت مرتفع ، وكانت تسند رأسها المتثقل إلى ركبتي . وكان كريستوف وحده هو الذى يستطيع أن يضحكها ويبعث بمعنى السعادة إلى عينيها ، إذ كان لا يزال قادراً على تمثيل بعض الألعاب البهلوانية ، فإذا رآها متعبة أمرع بتمثيل بعض هذه الأدوار . وكانت تقضى النهار كله في انتظار عودته إلى البيت

أما (لولا) فكانت أشد تحفظاً ، وكان لها كثير من الأصدقاء الذين كانوا يجتمعون في بيتنا ، وكانوا جميعاً يحبون جانيت ويتحدثون عنها ، ومع ذلك فقد كانت وسط هذا الجمع الطروب تبدو وحيدة متحفظة وقد شعرت بأن جانيت كانت تبغض - على نوع ما - ما يدون نحوها من شفقتهم الظاهرة . ولم تكن (لولا) ولا أصحابها بأهل لتلك الرفقة البهيجة التي كان يخلقها كريستوف بينه وبين جانيت بأسلوبه الطليق البسيط

وقد نظرت جانيت إلى مرة بعد انصراف فريق من أصدقاء « لولا » وقالت :

— لم يشفقون علىّ يا أمى ؟ أذلك لأنى لست كفيرة ؟ إنهم جميعاً ينظرون إلىّ بعين الشفقة . فقلت في حيرة :

— قد يظن بعضهم أنك غير سعيدة .

فبدت الحيرة في عينيها وقالت :

— ولكننى سعيدة ، ولم لا أكون سعيدة ؟ وإنه ليخيل لي أحياناً من الأسلوب الذى يعاملنى به الجميع أنني أميرة صغيرة مدللة .

ثم فكرت قليلاً وعادت فقالت :

— أظن أن هناك نقصاً في ناحية ما من نواحي حياتى ، ولكن هناك مقابل ذلك أشياء كثيرة

تعوضني من ذلك النقص ، فإني لأعلم ما تحمل لي
قلوب الجميع من العطف وأشعر باستعداد الجميع
لمساعدتي في كل ما أريد .

ثم أضافت إلى هذه الكلمات إحدى خطراتها
التي تم عن الفلسفة والشعور الدقيق والتي طالما
أدهشتني بها فقالت :

— إن بعض الناس يقضون حياتهم، وقد تكون
طويلة، دون أن يقفوا على مواطن الشفقة والحنان.
أما أنا فقد رأيت دائماً الشفقة وروح المساعدة ...
ونعمت بذلك .

فقلت :

— إن تبين ذلك لا يغيب عن الناس ... ولكن
في نفوسهم خوفاً طبيعياً من الضعف ...
فأجابت جانيت في بساطة :

— أنا لا أشعر مطلقاً بشيء من الخوف ،
ولا أفهم معنى الخوف . فإن الشفقة موجودة دائماً
في الحياة ؛ ثم إنني لا أخاف الموت ، وإنني لأعرف
أنني لست قوية ، وربما مت قريباً جداً ، ولكنني
عندما أفكر في الموت لا أشعر بشيء من الخوف ،
وفكرتي عن الموت أنه نوم مريح غير متقطع .

إنقبض صدري عند سماع هذه الكلمات ،
وأحسست بأن الموت غير بعيد عنها . فطوقتها بساعدي
في حركة عصبية لا إرادة لي فيها ، فمال جسمها
على جسدي وكان ضعيفاً بارداً ... وكان عزيزاً عليّ
وبعد أشهر من هذا الحديث كررت قولها :

— لا أحب أن أراك غير سعيدة يا أمي فأنت
تعلمين أنني لا أخاف الموت ...

فحاولت عبثاً أن أحبس الدمع وأن أبتسم وأنشجع
فأكون على الأقل في مثل شجاعة ابنتي الصغيرة .
ولكن الموت كان قريباً ، وكنت أفزع من اقترابه
ووقف كريستوف إلى جانبي ، وقد طفحت
عيناه بمعنى الألم ، ولكن صوته كان قوياً ، يمه عن
الشجاعة وهو يقول لأخته :

— أنظري إلى يا جاني ... إنه لا يزال أمامي
عالمان قبل أن أنتهي من الدرس ، ولقد وعدتني
بأن تبقى قوية إلى ذلك الحين فلتحرصي على وعدك .
ويجب أن تتعلق بالحياة أيتها الفتاة الشجاعة .

وكانت جانيت تلفظ أنفاسها الأخيرة وهو يلفظ
من خلال الدموع المنهمرة قوله : « يجب أن تتعلق
بالحياة أيتها الفتاة الشجاعة »

وصاح كريستوف باسم أخته الحبيبة « جانيت »
فتمثل في هذه الصيحة كل ما حمل قلبه الكسير
لصاحبة هذا الاسم المحبوب من الحب والحنان
وحاولت الفتاة المحتضرة أن تفتح جفניה لتتأمل
إلى أخيها المحبوب ونطقت باسمه « كريستوف »
ومرت على شفيتها ابتسامة سريعة تشبه ابتسامتها
الأولى التي أثارت عواطف أخيها الصغير . ثم أطبقت
عينها وتهدت في ضعف وسكنت حركتها
فطوقني كريستوف بساعديه وهو يفر زفرات
شديدة ويقول : « لماذا تموت ؟ لماذا ؟ »

وبعد عامين من موت جانيت أصبح كريستوف
الدكتور شلتون ، فما كان أشد فرحنا وافتخارنا
بذلك . لقد كانت سعادتنا أكبر من أن يصفها
الكلام ، وقد قال فيليب :

موضع احترام وصفاته وإعجابهم وموضع ثقة مرضاهم
وشكرهم

وإني لأعلم أن نجاح كريستوف يتصل اتصالاً
شديداً بحبه الشديد لأخته . فإن روح البطولة التي
تمثلت فيها قد أوحى إليه بأن يعنى بأمر الأطفال
التمساء فدفعته بذلك إلى أن يصبح طبيباً ممتازاً
في تخفيف آلام الطفولة المعبدة

لقد ماتت طفلي الرقيقة ، ولكن قصة حياتها
القصيرة كانت أقوى من أية موعظة تلقى من على
النابر في تقرير حق كل إنسان في أن يعيش وسواء
كانت الخيوط من التراب أم من الذهب وسواء
أكانت خالصة أم معقدة ، فإن لكل نفس الحق
في أن تنسج حظها إلى أن تم حياة الثوب كله
عبد الحميد محمدى

-- إنه لما يفخر به الإنسان أن يكون له ابن
كهذا

وامتلأت عيناي بالدموع : دموع السعادة
والشكر

وأولنا ولية عشاء احتفالاً بنجاح كريستوف
الذى كان أشد المجتهدين ابتهاجاً . ولكن بعد أن
انصرف المدعوون وجدته واقفاً وحده في الغرفة
التي لفظت فيها جانباً أنفاسها الأخيرة . وكانت
عيناه مبللتين بالدموع

فلما رآنى أمسك بيدي وقال :

— تعالى معى يا أحمى غداً إلى المقبرة ، فإنى
أريد أن أضع زهوراً ندية على قبر جانبى ، فأنت
تعلمين أنها كانت دائماً تحب الأزهار ، وأنا أريد
أن تشترك معنا في احتفالنا

وعندنا من المقبرة مثقل القلب . وقال كريستوف
مشهداً :

— لو أنها عاشت بضع سنوات أخرى ! نعم
قد لا أكون قادراً على أن أعمل لها شيئاً كبيراً
ولكننى كنت أستطيع على الأقل أن أسهل عليها
الحياة وأجعلها أكثر احتمالاً ، على أننى سأمضى
في الدرس فإنى أريد أن أختص بعلاج الأطفال
الضعفاء ، وسأكرس حياتى لهذا الغرض

وأبرقت عيناه وهو يقول :

— إننى جيت فى جانبى سأكرس حياتى لمساعدة
الأطفال الضعفاء ، وإنى لأشعر أنها ستعرف ذلك
وتفهمه على نوع ما

وفى أقل من خمس سنوات ارتفعت سمعة
كريستوف وأصبح الدكتور كريستوف شلتون

ظهر مديناً

فرعون الصغير

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ

محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة

وثمن النسخة ٨ قروش

هنالك شئ لما وجدتُ إليه
سبيلاً...

وفضلاً عن ذلك ، فقد
أنذرت بترك المدينة أو التفضل
للإقامة في السجن !

وعلى ذلك سافرت إلى
(جامل) المدينة الصغيرة
الناعسة جنوبى كاليفورنيا -

والتي تبعد عن الساحل قرابة الثمانين ميلاً . وما وُطئت
قدمى أرضها حتى ندمت على القدوم إليها إذ وجدتنى
منهوك القوى شريداً . فأخذت أهتم على وجهى
فى الطرقات باحثاً عن محسن يُلقمنى بمض الطعام ،
وقد وجدت المحسن أخيراً ؛ وكان ذلك الشرطى
الذى ألقى القبض علىّ !

قادنى الشرطى إلى بناء خشبى صغير ، يدل
مظهره على قدمه ؛ وأخذنا نرتقى سلماً خشبياً ثن
ألواح كلاً اعتلها أقدامنا ، وما انتهينا منه حتى
دلفنا إلى غرفة صغيرة كان أثاثها منصّة وكرسين !
متشرد آخر أيها القاضى ! ... فاه الشرطى
بهذه الكلمات للشخص الوحيد الذى كانت تحويه
تلك الغرفة . ثم أردف : لقد تبينت فى مشيته تلكوا
فاعتقلته !

نظرت إلى الحاكم بفضول ، فوجدته قصير
القامة ، يدل عيابه على حنان كامن فى ثنايا قلبه ! ...
رفع الحاكم رأسه إني ، وكان نصف مستيقظ . فقال
بتراخ : حسن ! هل لك أن تدافع عن نفسك قبل
أن تسجنى عشرة أيام ؟ ...

اغرب من الخيال !

عن الانجليزىة
بِقَم السَّيِّد ناصِر عَزِيْزٍ مُنْصَوِّرٍ

[قصة تخيلية مؤلة - تجارب مذهلة -
ولها ملامح مثيرة - تقرأ جميعها فى كلمات معدودة -
طريقان للمعيشة ! ...]

أذهلنى ما كنتُ أكابد من شدّة التعب وألم
الطوى عمّا يحرق بى ، عند ما ألقى الشرطى القبضَ
علىّ لتشردى ... حتى لقد هان عندى الذهاب
إلى السجن فعلى أى حال سأصيب هنالك بعض
الطعام !

تراجمت الأفكار فى رأسى ... وتصورتُ بمرارة
أنى فى الوقت الذى حملتُ فيه نفسى على سلوك طريق
الصواب يكون السجن موئلى ! ... آه لو كنتُ
قد صنعتُ بالبقاء فى (انكلترا الجديدة) ؛ إذا لأمنتُ
شرّ المتاعب ولعشت طوال حياتى سعيداً . ولكنى
لم أرد ذلك ... أردتُ أن أعمل ، ولما لم أجد إليه
فى محلى سبيلاً شرعتُ فى الذهاب إلى (كاليفورنيا)
يحدونى أمل العثور على شغل صريح هنالك ، وقد
كنت صغير السن وأعزب .

سافرتُ إلى كاليفورنيا جاهلاً أن فيها من
المتشردين أمثالى من تفصّ بهم الأزقة . فلما وصلتُ
إليها لستُ هذه الحقيقة المؤلة ، ووجدتُ لديهم
قوانين صارمة جسداً تجاه المتشردين ، بحيث لو كان

شغلاً فإذا تُراني فاعلاً؟ هذا ما كان يقض مضجعي
ولكن الأمور لم تلبث أن تغيرت تغيراً تاماً فتغير بذلك
مجرى حياتي !

كان ذلك في صباح اليوم الثامن من دخولي
السجن ... إذ أبصرت ترحزح باب غرفتي ، ثم
أبصرت الشرطي يدخل كالثلج زاعقاً في وجهي
أن أخرج ! وفي ثانية واحدة كنتُ يجانبه متعجباً
لتلك الثورة التي تجلت في نبرته ، وأشد تعجباً لامتناع
وجهه ! ترى أتكون فاجعة ؟ نظرت إليه وسألته
باستغراب : ماذا دهي ؟ ... ما الأمر ؟ ... فكان
جوابه أن جذبني بعنف ... ثم دفعني إلى الشارع
الرئيسي المغبر ، ذلك الشارع الذي كان خلوة من
الناس في هذا الوقت من الغرابة حقاً ! وبأصبعه
المرتبعة أشار نحو الجبال الكائنة خلفنا . وقال بصوت
أجش :

— ذلك هو السبب !

نظرتُ إلى الجهة التي أشار إليها ، فلم أقدر
على تمييز شيء سوى سحابة قائمة معلقة في السماء .
التفتُ إليه وأخبرته بما رأيت . فكان جوابه :

— ليس ما رأيته سحابة ، وإنما هو دخان سببه
حريق في الغابة !

واقعد صرّح جوال الغابة بأنه أعظم وأفظع
حريق شوهد إلى الآن !

— هل في ذلك خطر على أحد؟ فنظر إلى بفرابة
وقال :

— لقد نسيت أنك من الشرق ... إذا فاعلم
أنه إذا كان هنالك ما هو أشد رهبة وأعظم هولاً من

وأمام هذا الإنصاف الذي أولانيه القاضي
لم أتمالك من الابتسام ... ولم يلبث هو نفسه أن ابتسم
لابتسامي ، ولم يبد عليه أنه يزدريني رغم تشردى .
ولقد تبينت فيه من الحنو والعطف ما خفف بعض
مابي من حزن ، وما جعلني أجد الحياة أقل
صرارة !

لم يكن لدى ما أقوله ! فصحبني الشرطي
إلى السجن وهو بناء خشبي فسيح ، ذو زوج
من الغرف المألوفة تناسبها تلك الأقفال الكبيرة
المعلقة بها ، والتي لا يستغرق كسرها أكثر من
دقائق ثلاث !

قال الشرطي بعد ولوجي السجن : هاتان
سنتان لم يشرفنا خلالها سوى اثنين ... لقد كانا
في حالة سكر شديد أفقدنا الصواب ! وأنت ...
أرجو ألا تفكر في الهرب . فإنك ستنتقل إلى محل
غير هذا بعد بضعة أيام ...

حقاً ! ما أشد غرابة طريقة هؤلاء الناس
في معاملة المسجونين ! هذا ما خطر لي بعد ذهاب
الشرطي عني وبقائي وحيداً . تراءى لي موقفهم
نحوي فوجدتهم قد أنصفوني في قضيتي ... لقد
وفروا لي الطعام والمأوى ... وبفضلهم أدبت الراحة
في أنحاء جسمي وأخذتُ في تحسّن مستمر .
أما ذهني فكانت تزدحم فيه الأفكار الطائشة ، حتى
أقد ارتبّت في إمكاني المحافظة على الشرف والاستقامة
الذين قطعتمُ على نفسي عهداً أن أتمسك بهما ! لقد
أشرفت على نهاية اعتقالي ، ولم أكن أنتظر أن أجد لي

لا تطلق ، والطريق لم تزل طويلة ... وقفنا السيارة
وفي دقيقة أخليناها ، وأخذنا نسرع في اتجاه
مصدر النار !

وقفنا من النار عن كذب فوجدنا حوالى خمسين
رجلاً يحاولون مكافحتها عبثاً ، كما تراءى لى ...
تلك النار التى كان قطرها يقارب ربع الميل ، تزجر
فى زحفها بجانب الجبل قاصدة الحقول الترامية
القرية !

طأنت نفسى قليلاً إذ توهمت أن لا خطر من
النار . فقد أجلتُ الطرف أمامى فلم أجد ما يمكن
أن يكون صالحاً للاشتعال سوى أعشاب ونباتات
غاية لا يعدو ارتفاعها خمسة أقدام ؛ ولكنى
لم ألبث أن أدركت مدى ذلك الخطر عندما صوبت
نظري نحو الرجال . فرأيت نظراتهم التائهة الوائبة ،
واستلقاء بعضهم على بعض إعياء حاملين أكياس
البارود المبتلة ! ثم إن حرارة الغابة المشتعلة أخذت
تتعاظم حتى أصبحت أعلى ما يمكن أن تكون !

رجعتُ بذاكرتى إلى ما قبل سنين معدودة !
فتجسم لى ذلك الحريق الذى شب آنذاك فى (جريفين
پارك) بلوس أنجلس ، والذى ذهب ضحيته عشرون
رجلاً غريباً أثناء اجتماعهم هناك ... وأدركت حينئذ
كيف يكون الموت ، رغم أن تلك النار لم يتجاوز
ارتفاعها أربعة أقدام !

إنهيت من خواطرى فإذا بى أبصر شخصاً
قادمًا وهو يلهث ، وقد بدا الإيهام جلياً على قسبات
وجهه ، ومن حوله كيس البارود المبتل يتأرجح ،
ويضرب جانبيه !

الجحيم ، فذلك هو حريق الغابة فى الجبال حول هذه
المحلات ، سيفاً ، فى مثل هذه الرياح المانية ! وذلك
ما هو حال بنا الآن ! ...

وبتر حديثه فجأة ، وبمد هنية قال بتصميم :
— ليس من اللائق أن نواصل الكلام هنا ...
يجب علينا أن نكون بجانب الحريق فى أسرع
وقت ... وعلينا فى الوقت نفسه إيقاف من نراه
فى الطريق ، هيا بنا ...

ولكننى لبثت فى مكانى جامداً ولم أتحرك . فإن
لهجته الآمرة لم تعجبني ، فصرخت فى وجهه :
— لماذا يجب أن أذهب ... أنا لست من هذه
الأطراف ! ؟

وكان جوابه أن ثبت على وجهى عينيه المتقدتين
ثم سحب مسدساً من الجراب المتدلى إلى جانبه .
وقال بسماحة :

— إذا أبيت الذهاب بإرادتك ذهبت تحت ضغط
المسدس . فاختر ما تريد ، واعلم أن مئآت الأنفوس
حياتهم فى خطر ! !

طفت على نفسى حينئذ موجة جارفة من الخجل
فأجبتته بسرعة :

— عفواً . هيا بنا !

— هذا أكثر مما أردته . ثم أرجع المسدس
إلى جرابه ، وأخذنا نسير بخطى واسعة إلى سيارة
قديمة . وبصوت آمر قال : إقفز إليها ! وفى لحظة
واحدة كنا نسابق الريح !

مررت ساعة ... سلكنا أثناءها طرقاً صخرية
ملتوية ... وفجأة شعرت بأن حرارة الحريق أصبحت

بالقرب مني . تكلمت فأصغيتُ إليها ... وتمنيت
ألا أحظى برؤية مثل تلك الصورة الحزينة ثانية !
كان هذا البيت وحديقة الخضراوات الصغيرة
المحيطة به ، كل ما تملكه تلك البائسة من حطام
الدنيا ! اقتربت منها النار وأخذت تتأجج بعنف
لحظة ... ثم اكتسحتها كاللهوم ، وبعد دقائق ...
كان الرماد الأسود ، ورائحة الخضراوات المحترقة ،
كل ما خلفته !

مرت ساعة أخرى ألهمت النار خلالها
ثلاثة بيوت أخرى ، وما يقارب الفدان من
الخضراوات !
ثم ... لم يبق سوى بضعة مئات من الiardات
إلى حيث تقوم مجموعة بيوت المزارعين والأبنية
الكائنة على الشوارع المتقاطعة ، ولم يبق هنالك
أمل بنسبة واحد في الألف لصد النار عنها !

بعد الشدة يأتي الفرج ! هذا ما أخذت أتمتع به
حينما أبصرت ما يقارب أربعة وعشرين سيارة كبيرة
تقدم نحونا تارقة كالسهم ، ولما حاذت الشوارع
المتقاطعة وقفت جميعها دفعة واحدة . فأحدثت أصواتاً
شديدة ؛ ثم قفز منها ما يقارب مائتي رجل بملابسهم
الرسمية ...

جنود من (كامب هكلنج) شكراً لله ! صرخ
الرجل الواقف بجواري ، فسألته بلهفة :

— ألم يفت الأوان ؟

— بلى ، إذا استطعنا إخماد النار قبل أن تتعاضد .
ونجاة ! أضافت قوى الطبيعة مع الرجال

أنعمت النظر في ذلك الرجل فهيفته ، وكذلك
عرفه الشرطي الذي كان بجانبني ، وفي لحظة استلقينا
على الأرض لثلا يرانا !

كان القادم هو القاضي بعينه ... ولم نكن نجسر
على إنقاذه تاركين باقي الرجال يكافحون النار الجائفة
لإخمادها ، وتطهير الأرض منها إبقاء لحياتهم !
وكانت رغبتنا إطفاء اللهب بأسرع وقت (أولاً) ،
الابتهاال إلى الله أن يبعث إلينا بإمدادات أخرى
(ثانياً) !!

أخذت سحب الدخان تهاجمنا فتسيل من أعيننا
دموعاً كثيرة حتى أني لم أعد أقدر على النظر إلا
بصعوبة ، أما قلبي فكانت ضرباته القوية تصل مسمي
كلما لثت في التنفس ! ومع هذا الإنهاك الشديد
لم يكن أحداً يجسر على التوقف عن العمل لحظة
واحدة حتى أننا كنا نتناول الماء بسرعة ونحن نلهث !

خذلنا النار بلا رحمة ولا شفقة ، وأجبرتنا على
التقهقر ، وامتزجت فرقة الشملة بأنفاس الرجال
المبهورة ، وأصواتهم المبحوحة ، يتخلل ذلك أنين
مؤلم ، صادر ممن وهنت قواهم أو لفحتهم ألسنة النارا
وعلى ذلك ... تراجعنا ، وأخلينا السبيل للنار تلهم
بما شاءت ! وبعد الظهر وصلت النار لأول بيت من
بيوت المزارعين المتناثرة هناك ؛ ففرع الناس وأسرعوا
في الخروج من دورهم لا يلوون على شيء ! وقد
كنت متشاعلاً عما حولي بالآلام المبرحة التي حدثت
في معدتي من جراء تعرضها للنار طوال هذه المدة .
ونجاة ! أبصرت امرأة ممتقعة الوجه ، مضطربة
الأعضاء ؛ تخرج من الدار التي جاورها اللهب ، وتقف

وأفقت من نشوتي على صوتها الملائكي وهي تقول
بمرح : أنا زوجة القاضي . عليك بالهدوء والراحة
فقط وستكون جيداً بعد يوم أو يومين على الأكثر
وسيحضر زوجي حالاً لرؤيتك .

وما انقضت دقائق معدودة حتى وُلجَ غرفتي
القاضي وجلس على طرف سريري ثم سألني : هل
تشعر بتقدم حسن ؟ ثم أضاف : في الخارج لم يزل
الشرطي بصحبة بعض الأولاد يستطلعون ويفتشون
عن الأشخاص الذين سبوا الحريق

انتصبت مصعوقاً وقلت : « الأشخاص الذين
سبوا ؟ هل تعني أن هنالك حقاً بعض السفلة ممن
سوّلت لهم أنفسهم إضرار تلك النار عمداً ؟ ولكن
لماذا ؟ » أجاب بجفاء : لأن الحكومة تدفع ثلاثة
دولارات في اليوم لكل متطوع في إطفاء الحريق !
لذلك ، فمن لم يجد له شغلاً ، وأراد الحصول على عمل
ليعيش فما عليه إلا أن يضرم النار ثم يتعاون لإطفائه !
وليست هذه أول مرة يلوذ فيها بعضهم للمعيشة بهذه
الطريقة ؛ ولقد أبصرت أخيراً أشخاصاً ممن لا يرتاح
إليهم ، يحومون حول هذا المحل ، ومن المحتمل جداً
أنهم مسبوا هذا الحريق ، ومع ذلك فإنهم لم يتوقعوا
بالطبع أن تأخذ النار ذلك المجرى ، بل كل ما أرادوا
هو أن تبقى النار مضطربة بهدوء ما يقارب الأسبوع
أو أكثر . وتوقف القاضي لحظة ثم قال : هذا هو
الطريق الوحيد لمعيشتك إذا لم تقدر أن تجد لك شغلاً
وما سمعت كلامه الأخير حتى صحت في وجهه بغضب :
— ماذا تعني ؟ أعتقد أنني سافل إلى الدرجة
التي أعمد فيها إلى إضرار النار ؟

لا يطاق النار الطاغية عند حدها ، فقد أصبح الهواء
مضاداً لألسنة النار فدبت العزيمة في قلوب الجنود
فقدفوا بأنفسهم في معمعة النيران يكافحونها بجنون
ويسمون في تطهير الأرض الكائنة أمام بيوت
الزارعين . ولم تلبث أن تبعنهم بحماس شديد
لإخماد النار التي أخذت في تلك اللحظة تزار زئيراً
خفيفاً !

وأمام عزيمتنا الجبارة تحاذلت ألسنة النار
وما لبثت أن خبت ، ولكن بعد أن لم يبق في إمكان
أحدنا المقاومة لحظة واحدة ... وهكذا في ظرف
نصف ساعة فاز الجنود أخيراً ورجحت كفهم !

أُتِ إلى (جامل) بنفس السيارة التي رجع
بها القاضي ... وفي الطريق قال لي القاضي برقة :
« يجب أن تأتي إلى داري أيها الصغير ... لقد
استرقتُ إليك النظر اليوم ، فوجدتك قمت بعمل
تشكر عليه ... ولن تبقى في السجن لحظة أخرى
بعد الآن ! »

لقد غمرني السرور لدعوة القاضي ... فقد
كنت أشعر بضعف بالغ وبتفكك في جميع أعضائي ،
وكان وجهي شبيهاً بوجه مريض متالم . ولم أسبر
غور ما أنا فيه من هزال إلا بعد نزولي من السيارة ،
فقد شعرت فجأة بطنين في أذني ... ثم أخذت أضواء
السما تنضاء أمام ناظري حتى زالت !

ثبت إلى رشدي في غرفة واسعة مريحة على
صوت نسائي رقيق كتغريد العندليب ، ولما فتحت
عيني أبصرت أجمل وجه وقع عليه نظري حتى الآن !

— كلا ... ولكن الإنسان عند ما يجد نفسه
متشرداً لا قدرة له على جلب قوته إبقاء لحياته عن
طريق الشغل ... تنبتُ في رأسه كمية من الأفكار
الجنونية وقد ينساق وراءها مرغماً ! أما أنت ...
فخاشى أن أكون قد فكرتُ لحظة واحدة في
إمكان انسياقك مع تيار تلك الأفكار ... لأننى
أعتقد أنك ما خلقت إلا لتكون مثال الرجل
المدنى العاقل ، وإننى لسرور بإخبارك أننى وجدتُ
عملاً لك

— حسن ... إن عملك هذا ليس أكثر من
شغل بسيط عند صاحب المخزن الذى تحتنا وهو
رجل كبير السن تعمل عنده ، وكما ترى إن هذا
خير من لا شئ !

— سأنزل عند رغبتك ، وربما أمكننى الصعود
إليك دائماً بارتقائى السلم من محلى ! حقاً ؛ إن هذا
المحل سيخلق منى خير مدنى مجد فى (جامل) !

وقد بت جاهلاً مقدار ما حزر الحاكم مما أضمرته
قبل أن تفقدنى النار صوابى ... ولكنى لاحظت
أنه لما أنحنى ليصاحفنى ، شد على يدي بقوة !

ناصر عزيز منصور

(بغداد)

فأجبت به بحماسة وحرارة :
— ذلك أعظم ما أسمعه ... وإننى أود لو علمت
كيف أعبر لك عن شكرى !

سبدي

سبدي

لا تخش على مستنداتك

لا تخشى على مجوهراتك

اودعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهى فى الحفظ والأمان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

شيخ قعدت به السن العالية
عن العمل يعاني آلام المرض
القاسي الذي حطم جسمه والذي
عزى على الأطباء علاجه حتى
أصبح هو من برئه يائساً مسكيناً
منزويماً في عقر داره يتحمل
بؤس الحياة بنفس راضية وقلب
صبور ، وحيداً يقاسى جوى
الوحدة البرح في غير تبرم أو تملل

كان هذا الشيخ في ربيع حياته من الرجال الرسميين
لدى الدول الأخرى مقرباً إلى الدوق « دى بروجلي »
اختلط بالعظماء من رجال الإمبراطورية الثانية ،
وعرفهم عن قرب وتسامر معهم وساهم بقدر كبير
في تأسيس الجمهورية الثالثة . وعاصر جاليفيه والمركز
« دى لو » وكان أولها صديقاً فرنسياً لولى عهد
انجلترا من النصف الأخير من القرن التاسع عشر .
وأنت إذ يتحدث إليك هذا الرجل عن المؤرخ
العظيم « تيرس » يملك عليك حسك وشعورك ،
ولا يفتر عن موازنته بمن عاصروه من الرجال فلم
يجد منهم من يدانيه في علم أو بيزه في ميزة .
وهو يجيد الحديث عن رجال هذا العصر أيما إجادة
مثل الوزير الكبير « ماكهون » وجرل جريفي
الرئيس الثالث للجمهورية الفرنسية الثالثة ، فهو
لا يكاد يبتدىء بسيرتهم وما قاموا به من الأعمال
العظيمة خلال النصف الأخير من القرن الغابر
حتى يدخل بك في تحليل شخصياتهم الفذة سلس
التعبير في قوة بيان رائعة ، ساحر اللمحة شديد التأثير
في غير مشقة ... !

وأشهد أني لم أر شيخاً أوفر جالاً ولا أوفى
نشاطاً مثل هذا الشيخ الجليل ! وقص على جدى

من روائع الأدب الفرنسي

سُوء تفكيرهم
للكاتب الفرنسي أندريه مورو
بهلم الأديب محمود المصطفى

عند ما كنت في العشرين من سنى حياتي كنت
أرود كثيراً على شيخ هرم كريم النفس كان لجدى
صديقاً حميماً وافر الإخلاص لصداقته وثيق الصلة
بصحبه . كان هذا الشيخ الجليل يدعى
« م . نيفيل » وليس من السهل أن يجد شاب
في مقتبل العمر مثلي أى لذة في حضرة هذا الشيخ
الكريم الذي قارب الثمانين ، بل لا يستطيع أن
يأخذ بأطراف الحديث الذي اعتاده بين أصدقائه
وأترابه من الشباب . وأنا أحرص الناس على هذا
النوع من الحديث الذي أرى فيه لذة لا تعدلها
لذة وغبطة دونها كل غبطة ، وهو حديث النساء .
على أني مع ذلك كنت لا أسبى إلى هذا الرجل
لشيء في نفسي كنت أستشعره نحوه من شفقة
أو مصلحة مادية ، وإنما كنت أنشد صحبته لجمال
سحنته ووقار جلسته وشدة ذكائه وقوة حجته ،
وسعة اطلاعه وتجاريبه في الحياة ومنطقه في تحليل
الأشياء ، وإدراكه الصادق في تتبع الحوادث
مع مزاج من التفكه البريء والتظرف المحتشم ،
والمزاج الرقيق . وليت شعري من ذا الذي يجد مثل
هذا النوع من الناس ولا يسمى إليه

فيا قص علي من أمر هذا الشيخ أنه كان معبود النساء في عصره يتودد إليه النساء الرفيعات في الهيئة الاجتماعية إذ ذاك ويجهدن أن يبلن الخطوة عنده . وذات الحظ منهن هي التي تستطيع أن تجره إلى شبا كها . وكانت تلك التي لا يخلصها بحبه وإعزازة تعتقد أنها دميعة الخلقة ثقيلة الظل غير محتملة ؛ وسرعان ما تياس من الحياة وتجنح إلى العزلة والأنزواء !

وهكذا يمتاز كل عصر برجل لا يقاربه أحد في نباهة صيته ولا يساويه في شدة نبوغه وقوة سحره ، يكاد يستأثر بكل عظمة ومجد ؛ وذلك لأن من ورائه امرأة وافرة الحسن بارعة الجمال تحفره إلى الأعمال الخارقة وتلهمه النبوغ والعظمة ... ! فثلاً كان يمتاز القرن الثامن عشر بالمرشال العظيم الدوق ريشيليو والتاسع عشر باللورد بيرون في إنجلترا ونصفه الأخير بأدمون نيفيل في فرنسا بطل هذه القصة

كان الرجل لا يشغل وظيفة حينما تعرفت به . وكان يسكن باريس في شارع « داستورج » في بيت قائم وسط فناء وسيع تحيط به التحف الفنية الثمينة التي أحضرها معه من مختلف البلدان والممالك خلال تجواله متنقلاً في وظائفه التي تقلب فيها . وهو كلف بالفنون الرفيعة كلفاً عظيماً . لذلك ترى بيته وكأنه دار للعاديات والتحف الفنية الخالدة والصور الرائعة الجميلة . فتجد عند مدخل البهو الكبير الأرائك الهندية المزركشة بالطنافس المطرزة بخيوط الذهب والأغطية الصينية البديعة . وترى على النوافذ تلك الستائر الخزيرية مرسوما عليها آيات من فن التطريز الرائع ، مخملة في حواشها بقطع من القطيفة

السميكة ترفرف على أطرافها قطع من الحرير الصافي في لون أزرق جميل . وفي وسط هذا البهو العظيم تجد منضدة ذهبية بديعة الصنع عليها صف من الصور الشمسية لغادات فانتات في أزياء من تلك الأزياء التي كانت شائعة في منتصف القرن التاسع عشر ، تحيط بهذه الصور إطارات مطعمة بالأحجار الكريمة ذات الألوان الجميلة

أخذت ذات مرة إحدى هذه الصور الضاحكة وسألته أن يقص علي قصة صورة هذه الحسناء التي طالما استرعت بصرى بجملها وروائها من خلال زجاجها ! ولكن ما كدت أنتهى من سؤالى حتى قطع علي سبيل الحديث وهو مقطب الجبين سام الوجه تبدو على محياه دلائل التأثر العميق كمن نابه خطب جلل ، وبعد هنيهة عاوده الكلام في صوت متهدج ولسان متلثم وقال لي : « آه ! ليتك تسدل على قصة هذه الصورة حجاب الماضي وستار النسيان ! وقد حرصت أشد الحرص على إنكاره وتناسيه طيلة نصف قرن تقريباً . هذه الصورة لما راها بأفولفنا التي ملكت علي قلبي وكان بيني وبينها علاقة وثيقة وهوى عذرى حيناً من الدهر — ثم أشار إلى صورة أخرى قائلاً : وتلك صورة السيدة « بارشتسر » نعم كانت معرفتي بها أيام كانت المرأة تلعب دوراً عظيم الخطر جليل الأثر من وراء ستار كثيف في السياسة الإنجليزية

دعاني ذات ليلة رقيقة النسيم قد أشرق القمر في سماءها فاخفتت النجوم في أرجائها ليملي علي فصلاً من وصيته المكتوبة فجلست إلى مكتبه واتكأ هو علي كتبه أماني كاسف الوجه مشرد الفكر ، ومع ذلك كان يمللي علي « جملاً مترنمة

في منطق سليم ، وكان يحسدني في فترات الراحة القصيرة في رزاة فائقة وسلاسة بالغة عما كان يأتيه وهو في ميمة الصبا وصرح الشباب مع النساء في مختلف الأيهام التي كانت تتردد عليها الطبقة المتسيطرة والهيئات الرسمية لمختلف الدول . وحدث أن طال الحديث وتشعبت أطرافه حتى لم نعد نشعر بمرور الساعات فنظرت في ساعتى خفية ومن غير قصد فوجدتها قد جاوزت الثامنة فأظهرت دهشتى لفوات الوقت سريعاً هكذا وصحت قائلاً : « الآن يجب أن أرحل لأنى على موعد العشاء في بهو آل كليرمنت دى سافوا » فنظر إلى فى دهشة واستغرب باديين وعطف على قليلاً ليتسمع ما سأفوه به وقال لى : « عند من ستتناول عشاءك هذه الليلة ؟ » فأعدت على مسمعه اسم الأسرة فقال : « السيدة هنرى كليرمنت ؟ » فقلت : « نعم هى بعينها أسرة آل كليرمنت دى فويورج سانت هونوريه » فقال : « أنا لا أعرف أين تسكن هذه الأسرة الكبيرة ... أما زالت هذه السيدة جميلة كمهدى بها وهى شابة فى ريمان الصبا ... ؟ » فسألته وقد أبدت دهشتى من هذا السؤال : « من هى تلك التى تقصدها ؟ » فقال : « أقصد السيدة دى كليرمنت » فقلت منعياً : « هى كما تعلم يا سيدى الوزير قد قاربت السبعين من عمرها ومع ذلك لم تزل عليها مسحة من الجمال ولعة من أثر الشباب الناضر ... » فقال : « أليست كذلك كما أظنها وأتصورها فى خاطرى ؟ » قال ذلك وقد انتشر على محياه البشر والسرور وظهر لى كمن يستعرض أمامه ذكريات الماضى الحلوة وتذكاراته السعيدة مع تلك المرأة الحسنة ، وبعد ذلك

عاوده الكلام وقال لى : « أليست تشابه السيدة تينج فى جمال الخلقة وبراعة القيمات ؟ » فقلت : « ربما تكون كذلك ... ولكن السن كما تعلم لها أثر كبير فى ذلك » فقال منغمماً : « أجل ، فأنا لا أكاد أتصورها فى خاطرى وهى امرأة عجوز . ويضرب على جدأ تميزها حين أراها . فصفا لى كيف آلت إلى ما هى عليه الآن من الكبر » فقلت له : « كيف أصف لك جمال هذه المرأة وهى ما زالت تحتفظ بمحور عينيها الساجيتين وبقوامها البديع وروائها الوسيم ورشاقها الساحرة ، وهى ما فتئت شديدة الجاذبية لبقعة الحديث حلوة العشر . لم أرفيا رأيت من النساء جمالاً كجمال هذه المرأة العجوز ولا خفة نخفة هذه السيدة العطوف ... ! وأنت فيما أظن أعرف منى بهذا النوع الساحر من النساء . وأتذكر أنك حدثتني عنه حينما كانت مدام « دى بورتال » موضع حديثنا ... فقال لى بلهجة الأسف النادم : لقد شاء الحظ فأصبحت فى أخريات أيامها أسعد جدّاً وأوفر هناء مما كانت عليه وهى عذراء طاهرة . كانت يوم عرفتها جميلة فتانة ، ولكن كانت عليها تلك السمّة التى يطبعها الشقاء على الوجوه العزوفة وترسمها الفاقة على هيئتها الصبورة ... ! أتم الجملة الأخيرة وصمت مرة واحدة وقال لى : أظنك تريد أن تذهب لموعده فقد أخذنا من وقتك فترة طويلة ، والآن فلتذهب وإلى اللقاء القريب ... ! فذهبت بعد ما أخذت منه موعداً ليقص على قصته مع هذه المرأة الحسنة ...

تناولت طعام العشاء هذه الليلة عند أسرة آل كليرمنت . ولقد أكثر السيد هنرى كليرمنت

الحديث معي حتى لم يترك لي الفرصة للتحدث مع امرأته فضايقني بذلك كثيراً...!

والسيد كليرمنت هذا رجل من رجال الأعمال الكبيرة يملك مصانع كثيرة في شرق فرنسا لصناعة آلات الحياكة والدراجات بأنواعها ، ويملك بذلك ثروة طائلة ، ويقطن هنري كليرمنت في باريس طوال عمره ، وهو كاف بالصناعة والفن كلفاً عظيماً يدير مصانعه أكبر الفنانين من المهندسين والخبراء . لذلك ازداد الإنتاج زيادة عظيمة ونال من وراء ذلك ثروة لا بأس بها . وهو يملك علاوة على ذلك قصراً فاخراً في « نورين » ومنزلاً صغيراً في « ميدى » ، ويختار جيلاً يسبح عليه كل عام في البحر الأبيض . كانت السيدة كليرمنت أثناء حديثي مع زوجها منتبذة مكاناً قصياً من البهو تقوم بواجب المجاملة للمدعوين والمدعوات من ضيوفها وكانت تتحدث أغلب وقتها مع ابنتها الصغيرة ، وكنت ألح على محياها السام تلك السخرية المريرة التي تلازمها دائماً...!

وبعد ما انفض الضيوف من حول مائدة العشاء استويت على كنبه صغيرة بجانب الموقد في عزلة من الجمع وقرباً من ربة الدار . ولقد كنت لفتياتها قريباً ملازماً وصاحباً مخلصاً . وكنت ألقت نظرها باهتمامي لها وكثرة مداعباتي البريئة لأطفالها فاستقدمتني لأجلس بجانبها فاغتنبت لذلك أيما اغتباط ، وبعد بضع كلمات فارغة قلت لها : « لقد أمضيت عصر هذا اليوم عند رجل كريم أضمر له في قلبي كل عطف ومحبة وأظهر له كل إعجاب ومودة . ولقد تحدثت إليك حديثاً ملؤه الإعجاب بك والإطراء لك ا » فقالت وهي دهشة ساهمة : « من هو هذا الذي يتحدث عني بهذا اللسان ؟ » فقلت « هو السيد

أدمون نيفيل يا سيدتي وإخالك لا تجهلينه فهو هذا السفير الذي كان صديقاً حميماً لادوارد السابع ... » فلم أكد أنتهي من اسم هذا الرجل حتى أشرق وجهها كأنما دنا من النار فتورد ، وإذا هي تظهر اهتماماً كبيراً وسروراً عظيماً لهذا الحديث المفاجئ فقطعت على كلامي قائلة : « نيفيل ... ! وأأسفاه ... كيف حدثك عني ... ؟ وما الذي قاله عني ... ؟ لم أره ... » ثم توقفت لحظة كمن يبحث في ثنايا ذاكرته ... منذ أربعين سنة خلت ... فقلت معقبة : « نعم لقد قال لي هو أيضاً ذلك ... ! » فقالت : « وهل قص عليك ما كان من أمر قصتنا ؟ » فقلت : « كلا يا سيدتي ... وإنما لا أخفي عليك أن لهجته وهيئة حديثه القصير جعلتني أشد فضولاً وأكثر ميلاً لمعرفة هذه القصة التي تبدو لي أنها مشبعة ... ! »

وبجأة ألقت بنظرها إلى الأمام فإذا بها تبصر زوجها منهمكاً في حديث مع وزير المالية . وقد انعقد هناك في أقصى البهو جماعة من الرجال يتناقشون في ضوضاء وجلبة حتى ذهلوا عن التدخين . والتفتت إلى السيدة كليرمنت وقالت لي : « أنا لا أدري لماذا أستعمل كلمة « قصة » وليس في واقع الأمر أي نوع من القصص . وليت شعري ما الذي آل إليه السيد نيفيل بعد ذلك ، كنت أطمع في مقابلته أو رؤيته على الأقل في أبياء باريس ولكنني علمت بإحاليته إلى المعاش وأنه ملازم داره طيلة يومه وليله لا يكاد يرحمها إلا متريضاً في حديثه الخاصة ؛ وقيل لي بعد ذلك بمدة قصيرة إنه أصيب بمرض لا أعلم نوعه ولا مبلغ خطورته عليه فخرنت له أيما حزن ... والآن انقطعت أخباره عني « كيف حاله الآن ... ؟ »

والغرام فبات وأصبح وكأنه ورقة من أوراق الشجر
انزعجت عاصفة من بستان ثم ألقتها في صحراء جرداء
لا حياة فيها ولا خضرة ... ١.

فألححت عليه أن يقص على قصته مع السيدة
كليرمنت دي ساذي وهالك ما قصه على هذا الشيخ قال:
« كنت وأنا في ربيع عمري من يسمونه «معبود
النساء» لأنني كنت موفقاً في كل مغامراتي مهن
في هذا العصر . ما أخطرها من كلمة بل وما أروعها !
أستطيع أن أقولها اليوم في غير اختيال ولا عجب ،
وذلك لأنني قد توج رأسي المشيب وأصبحت أتوقع
الموت في كل لحظة ومع ذلك لا أدعي أنني سبرت
غورهن ووقفت على دخيلة أمرهن ... !

اضطرتني ظروف مناصبي أن أعيش متجولاً
في أكبر عواصم أوروبا حيث كنت أتصل في كل
منها بأجل النساء اللاتي بلغن حداً كبيراً من الصيت
والذكاء ولنن حظاً عظيماً من سحر الكلام ورشاقة
القوام وأناقة الحديث . وكان كل ما يعينني من
شؤون الحياة مغازلة النساء وهواية الجياد وإتقان
مهنتي ! وحينما كنت في السويد والنمسا والروسيا
هامت بي كثيرات من فتيات هذه البلاد .
وقد كن يأتين الكثير من النرق والخفة والرعونة
عسى أن أقع في حبالهن فأحبهن أو أميل إليهن
فأتزوجهن ، وكان كل هذا في غرام ظاهر وميل
بري خلاف ما تراه اليوم من نساء هذا العصر
اللاتي يلعبن دورهن قصد المسادة وأغراض الحياة
الوضيعة .

كنت في الثامنة عشرة من عمري حينما كنت
سكرتيراً أول في سفارة « قيينا » حيث التقيت

فأجبتها بلهجة ملؤها التأثر والألم : « نعم
ياسيدي هو مريض أشد المرض وقد بلغ به مرضه
حداً خطيراً حتى صرح له طبيبه الخاص بأنه ربما
استطاع أن يعيش شهرين أو ثلاثة على أكثر
تقدير ... ! »

فقلت بلهجة خانتها العبرات وأرهقها الأمل :
« ما أشد حزني وأعظم ألي ... لهني عليه ... !
مسكين أنت يا نيفيل ... ! ما كان أجمل خلقتة وأخلب
حديثه وأمتع جلسته ... ! أنا لا أعلم من أخباره
شيئاً وهذا ما يؤلني أشد الألم » . ثم وجهت إلى
بقية حديثها والتفتت إلى وقالت : ألق بالك إلى ... !
ثم ترددت قليلاً ولما تم جلستها ، ثم عاودت الكلام
واستطردت قائلة : « ربما نسي نيفيل كل ذكرياتنا
بعد ما أصابنا من مشقات الفراق وروعات البين
الآلمية ... ولا أدري كيف يكون تأثير رسالة مني
إليه ، وإنما أناشدك على أي حال أن تتعرف شعوره
نحوي وهو في هذه السن اليائسة وأت إلى بعد ذلك
لتقول لي ما دار بينكما من حديث . والآن اسمح لي
أن أقوم بواجب المجاملة نحو ضيوفي »

وفي اليوم التالي قابلت السيد نيفل وقصصت
عليه حديث السيدة كليرمنت . وأشهد أنني لأول مرة
أرى شيخاً وقوراً فأتراً قد أثر فيه هذا الحديث حتى
ملك عليه حسه وشعوره وهز من نفسه فاستولى
على قلبه وروحه نفاه وقار الشيخوخة فانهلت مدامعه
ومدامي وخرس لساننا برهة غير قصيرة لا بد أن
نارت خلالها في نفسه أحاديث المني البعيدة ووساوس
الأحلام الغابرة فتخيل أيام شبابه وعظمته بين النساء
واستعرض تلك الذكريات العذبة ذكريات الصبا
والشباب أيام كان يغالب الدهر في ميادين الحب

عرضاً في أسرة نمساوية وهي من آل الكونت برايتزج بفتاة فرنسية حسنة قد أتت من باريس لتعليم بنات الكونتس اللغة الفرنسية وآداب الموسيقى وأصولها . كانت تسكن هذه الأسرة الريف الفرنسي الجميل فذهبت إليهم مدعواً لأقضى رَدْحاً من الزمن ورغبة في تبديل الهواء وإراحة النفس والجسم من أعباء الحياة الحضرية

و ذات ليلة عند ما انتظمت مائدة العشاء واستوينا جميعاً حولها وجلست هذه المعلمة بين فتياتها الجميلتين كالزهرة الكبيرة تحيط بها صفار الورود نظرت إليها فشعرت نحوها بشعور خفي في نفسى وإعجاب دخیل في صدرى وأحسست بانجذاب شديد وبلاذة قوية كلما رفعت بصرى إليها . وكانت من دون الجالسات — وكن كثيرات — مثار إعجابى ومحل إجلالى ، وكانت الحين بعد الحين تسترعى عيني بسحرها وتستهوئ قلبى بظرفها ، وأغلب الظن أنها كانت واقفة على حقيقة تأثيرها في النفوس وسحرها في القلوب فلم تكن متكلفة ولا متأنقة وإنما كانت خلاصة في غير كلفة وفتانة في غير صلف ولا عجب ، كانت ساذجة كالطفل ، ولم أر فيمن رأيت من النساء أجمل من هذه الفتاة ... !

وكانت ربة الدار كونتس نمساوية نابهة الصيت في مجتمعات « فيينا » بجمال شعرها الذهبي ورشاقة قدها الغض ، قد انطبع على هيئة أولادها سمة جمالها وخلاصة قدها وسحر صوتها . وحدث بعد ما تشتت القوم بعد العشاء أن عزمتم على التحدث معهما فنجحت في مسعاهى ... فإذا بي بجوارها وجهاً لوجه ... أنستنى هذه الحسنة في لحظة واحدة كل ما كان لي

من خيالات واستهوائى بنضارة وجهها الوسيم وخبثتى بطبيعة خلقها الساذج وبجمال هيئتها الفاتن ! كانت تدعى « بياتريس دى فاديج » وما كان أحب إلى من هذا الاسم الجميل ! كنت أعرف جدتها المركيزة « دى فاديج » إذ كانت تنحدر من سلالة أسرة كريمة فاضلة كانت تقطن بيكاردى وكانت فقيرة الحال اضطرتها ظروف الحياة إلى انتجاع الرزق من الطريق الشريفة المستقيمة وكانت علاوة على ذلك تتجلى بحلية الأدب والعلم والشرف ! طلبت في اليوم التالى من الكونتس « براتيدج » أن أصطحب أولادها في نزهة على ظهور الجياد فقبلت في كياسة وظرف . فخرجت بصحبة « بياتريس » ولشد ما أعجبت بركوها الخليل فهى كما رأيت تجيد هذا النوع من الرياضة لإجادة تامة في رشاقة فائقة وخفة ساحرة . كنت متأنقاً متكلفاً في الأناقة أحاول أن أعجبها فأوقعها في شراكى وخيلى إلى أنى ظفرت بذلك أيعاظر ! وبعد قليل ترجلنا ، وجلسنا على عشب الغابة تبادل حلو الحديث عن هذه البلاد الساحرة التى اشتركنا في حبها . كانت « فينا » في هذا المصر جنة من جنات الله قد لانت فيها العادات والتقاليد بعض اللين ، وأصبح الحب فضيلة في كل مكان يتذوقه الفقير والغنى على السواء ، وكانت الصحف في ذاك الوقت تدعو جهراً إلى تبادل الحب بين الجنسين على أفواه الطرق وفي المنزهات العامة في غير خشية ولا وجل ... ! وذلك لأن ملك البلاد إمبراطور شاب وإمبراطورة فتاة لم تناهض السابعة عشرة من سنها السعيدة ! فسرعان ما لبي الشبان والفتيات هذه الدعوة التى صادفت هوى

آراها فذهبت إلى الهيكل الإمبراطوري لأسمع الصلاة والدعاء في ذلك اليوم المقدس . كان هذا الهيكل قطعة من قصر « برايتزج » حيث كانت ترتل الكونتس بعض الأناشيد الدينية وكان حرس من الرجال الأشداء واقفين حول المذبح لابسين قلنسوات كبيرة عالية . وكنت الحين بعد الحين ألح وجه الأنسة « فاو لجز » ثم أغرق في بحر لجى من التأمل العميق . ظلت ملازمة فتاتها وقتاً طويلاً وخشيت إن أنا بادرتها بالكلام أن تهرب منى معتذرة . فانهزت ذات مرة فرصة وجودها وحيدة فعرضت عليها أن تذهب منى إلى حفلة موسيقية يقيمها بعض السراة من الأقرباء فاعتذرت إلى « قائلة إنها لا تستطيع أن تظهر منى على مسرح المجتمع — زاد ذلك في اعتقادي أن المرأة لا زالت ضعيفة مقصورة الجناح مهضومة الحقوق ... !

ولما قوض الصيف خيامه واستدبر أيامه وأقبل الشتاء وتوجت ثلوجه أرض « قينا » استطعت أن أراها وأتبادل معها مختلف الأحاديث البريئة . كانت تجيد اللعب على الثلج بمهارة فائقة ، وتمسح بالزلاق عليه بهيئة رائعة فأثارت إعجاب الحاضرين من مشاهديها . وقد قصت على تاريخ تمرينها وفضل نجاحها في هذه اللعبة ، وكيف كانت تروض نفسها عليها على بركة بضواحي « أميان » كانت تتجمد في الشتاء .. ! فهاجت ذكرياتنا لهذه البلاد الفاتنة الجميلة ! كنا نسير في طريق من الجليد المتجمد فتركنتي أسند قدما الرخص التمايل فنعمت بذلك وطبت نفساً ، واسترجعت أملاً كان ضئيلاً وعاودنى رجاء كان بصيصاً ... !

وبُحْتُ لها ذات يوم بأنى أملك في مكان قصي

كبيراً في نفوسهم فاتوا في سبيل مطارحة الحب على هذه الهيئة كل نزق ورعونة ... ! وقالت لى الأنسة « بياتريس » إنها لا تقدم على هذا النوع من الطيش بل تراه وهي على بعد منه ، وتشاهده وهي في منجاة منه ... ! ولكنها تعجب بالإمبراطورة الفتاة أشد إعجاب لدمها الأسباني الطاهر ، ورشاقها الساحرة . وكانت الموسيقى في جميع أرجاء « فينا » تنفج الأرض بعبير أنفاسها الشجية وتخضل الجو بجميل ألحانها السامية ، وهذا العمرى أبلغ دليل على نقاء طوية هذا الشعب النبيل وحسه الرهيف وذوقه الجميل ... ! وأمضينا على هذا النحو أياماً سعيدة كلها غبطة وسرور مازالت مطبوعة في ذاكرتي ومرسومة في ذهني أجمل بها أخريات أيامي وأزين بها جيد ساعاتي كلما نزلت بي وافدة أو ألم بي مصاب !

أقبل الشتاء فأصبحت كآنى واحد من أفراد الأسرة في قصر برايتزج ، ورفعت الكلفة بينى وبينهم ولم يعد للرسميات موضع بيننا حتى قيل عني في فينا كلها إنى عشيق الكونتس والحقيقة كانت غير ذلك فقد كنت عشيق معلمة أولادها وعلى الرغم من وثاقة العلاقة بيننا وسرعة الصلة بين قلبينا لم يفمر هذه الرابطة أى سعادة وذلك يبدو غريباً لرجل اعتاد الظفر في حبه والسعادة في غرامه — هذا لأن فى القصر جيشاً كبيراً من الخدم والحاشية حتى شق علينا أن نلتقى فى هذا الجمع من الحاشية ، وإذا حاولت أن آخذ منها موعداً للنزهة خارج القصر أبت أو اعتذرت بحجة هذه العيون الساهرة .

وفى اليوم نفسه وكان يوم الأحد لم أظفر بإقناعها لتتريض منى على إحدى الرُبى الخصرة حيث الطبيعة تنفى بأنغام يهوفن الشجية . والكنى رغبت فى أن

من المدينة وفي مأمن من الأنظار بيتاً صغيراً أنيقاً يقع في كذا... فشخصت ببصرها إلى وقالت وعلى وجهها طابع العفاف المهن: «أنا لست ممن تعتقد فيهن الخفة والطيش فيسقطن من على هامتهن وليس لهن بعد ذلك من صعود». فرجعت إلى نفسي ندمان آسفاً على ما أبدت من خسة ودناءة أمام هذه المرأة الطاهرة...! فعادت عليها الكرة لأصلح من خطيئتي السابقة بأن أصحبها في زهرة بريئة بالقصر فأبت أيضاً مستكبرة وقاومت بأنفة نسائية سامية، وهذا مما جعلني لأشك مرة واحدة في إخلاصها وطهارتها...!

ولقد عودت نفسي أن تسلك بي أقصى المسالك في الأمل والرجاء. مرت بضعة أسابيع كنت أرى خلالها «بياتريس» تجول هي وفتاتها خلال ممشى الحديقة يتريضن في هدوء ويستنشقن عبيرها في دعة... ففكرت في نفسي هنيئة في حبي مع تلك الفتاة فانهيت إلى أنها هي المرأة الوحيدة التي تستطيع أن تكون لي زوجاً. وقد يبدو لك ذلك غريباً فتذهب مذاهب شتى من التفكير ولا سيما وأنت شاب في قوة الصبا وحرارة الشباب!

جال في خاطري مختلف المواجهس والآمال فتصورت أن بياتريس ربما لا تقبل يدي فتعتذر بأن ذلك في حكم المستحيل إذ كيف تظهر أمام مجتمع الهيئات الرسمية والدبلوماسية وقد عرفها القوم معلمة لفتيات الكونتس. ولكنني تغلبت أخيراً على هذه العقبة بأن طلب (إذا ما رضيت) نقل من السلك السياسي إلى وظيفة أخرى في بلد آخر ولا سيما وأنا غني وافر الثروة ولي نفوذ ليس باليسير في وزارة الخارجية.

ونهاية الأمر صممت في غير تردد أن أقوم بنفسى وبغير ما أكلف رسولاً من الأهل أو الأصدقاء (وذلك على غير ما درج عليه القوم في هذا العصر) بأن أبدى لهذه الفتاة التي ملكت على حواسي وقلبي رغبتى في الزواج منها. فانهزت أول فرصة عند ملاقاتها وفاتحتها بالأمر في صراحة ظاهرة...! ولم أكأكد أنتهى من كلامي حتى علا حياها الدهش والتأثر وطلبت مني أن أمهلها وقتاً لتفكر في هذا الأمر الخطير

وأذكر أنا أيضاً مبلغ تأثري وخرج موقفي في هذه اللحظة وأنا واقف إزاءها أنتظر ما كان يحبثه لي القدر ويستره عني الغيب...!

استحال على في هذه الفترة من الانتظار أن أقوم بأى عمل أو أن أقابل زائراً، وظلت عيناى شاخصتين طيلة النهار إلى باب غرفتي أنتظر قدوم الرسول ينبئني بحظى! ولكنه لم يأت بعد. فقلت لنفسي: لم هذا الجزع وعلام هذا الجزع؟ وكيف تقدم الفتاة على الرفض أو القبول دون أن تسترشد برأى أبويها فهي لا بد أنها كتبت لها وأنها منتظرة رسالتهم في هذا الصدد! وبعد ذلك بأيام قلائل بعثت إلى بكلمة مختصرة جافة فاترة إذ قالت فيها: «أشكرك على عاطفتك نحوى، ولكني لا أستطيع قبول اقتراحك...». حاولت أن أراها بعد ذلك فعملت أنها غادرت أمرة (برايتزج) إلى فرنسا!

لا تسلم يا بنى عما صرت إليه من شقاء النفس وجحيم القلب ووخز الضمير...! فلأول مرة في حياتي صادفت المرأة التي سماها «شاتوبريان» سيليفد Sylphide هي التي يتمناها كل رجل لتكون له شريكة في حياته. وقد أكون خادعاً نفسي بالأحلام

ثانية...!» فحكيت له ما دار بيني وبينها بشأنه فقال بلهجة المهتم: «آه! وكيف حدثتك عنى وما الذى قالته لك فى أمر قصتى معها؟» فقلت: «هى تقول إنها لم ترك منذ أربعين سنة خلت! وطلبت أن أتعرف مبلغ عاطفتك نحوها الآن... فقال: «قل لها إنها لا زالت كما هى على حالتها منذ ١٢ يناير عام ١٨٦١ بجانب لهيب الموقد فى ردهة قصر برايتنبرج».

فى اليوم التالى ذهبت لزيارة السيدة كليرمنت دى ساذى لأخبرها بذلك فأصغت إلى منصتة دون أن تقطع على الحديث، ولما فرغت من حديثى قالت: ربه... ما أغرب الحياة... فقلت: أجل ما أغربها! حقاً أنا لم يدر فى خاطرى أن رجلاً كهذا الرجل يستطيع أن يبقى على ذكرى حب فتاة مخلصاً وفيما هذه الحقبة من الزمن ولا يعتوره أى نسيان أو يشوبه أى إهمال!..

أما أستطيع فى غير إخراج أن أسألك أنت أيضاً يا سيدتى عما كان يخالجتك من شعور نحو «أدمون نيفيل» فى عام ١٨٦٠؟ أما كنت تضمين له الحب كما أضمره لك فى السر والعلن...؟ فصاحت صيحة كلهادلال وهيام وتضرج وجهها قليلاً وقالت: أما أنا فكنت أحبه حباً يقرب من الجنون...! وبعد ما فكرت قليلاً عادت مبتسمة قائلة: ولم أزل أحبه حتى الساعة! فقلت: ولماذا رفضت اقتراح زواجه بك إذ ذاك؟ فقالت: لأنى كنت لا أظن لحظة واحدة أن اقتراحه هذا فيه شيء من الجد بل كنت أعتقد أنه يهزأ بى ويستدرجنى لأكون له خلية لا شريكة...! وما زاد فى اعتقادى هذا أنه عند ما جاء إلينا فى قصر برايتنبرج قال لى الكونت برايتنبرج

ومدساً عليها الرأى بالخيال... ولكن من يدرى لعل الخيال والوهم كانا ولا يزالان أقوى عضداً وأبقى أثراً على مشاعر الإنسان وحسه حتى لا تجرؤ الحقيقة على محوه ولا الواقع على إزالته. وعلى ذلك فالمرأة التى اصطفتها من دون أترابها قد أفلتت من يدي إلى غير رجعة!

أصبحت بعد ذلك وليس لى أمل غير التمتع بالذكورى العزيزة ردحاً من الزمن، وأضحت إقامتى فى (فيننا) غير محتملة تشبى فى نفسى الهمم وتهيج فى صدرى اليأس فطلبت نقلى إلى بلد آخر أيا كان. فكان أن أرسلت سفيراً لبلادى فى روسيا حيث طبيعة المناخ واختلاف البيئة والاجتماع وماريا يافلوفا التى رأيت صورتها منذ قليل، كل ذلك صوغ لى جواباً مختلف كثيراً عن ذلك الجو الذى اعتدته فى فيننا فى سالف أيامى!

وبعد ذلك بسنوات قليلة سمعت أنها تزوجت هنرى كليرمنت فكان وقع الخبر على مسامى شديداً وأثره فى نفسى بليغاً لأنى علمت أنها تزوجته لماله وجاهه ليس غير فأضربت عن الزواج لسببها وأصبحت عنه غروفاً كارهاً

وأخيراً نجحت فى تحاشيها، فلم أعد أحاول مقابلتها أو أمنى النفس برؤيتها وهانذا قد بررت بمهدى وصمدت فى عزمى، وأود أن تخبرنى بحالها وما كانت عليه بالأمس عند ما قابلتها؟ فوصفت له حالها بكل ما أوتيت من بيان واستطعت أن أصور فى خاطره صورة هذه المعجوز الحسناء...!

فأجابنى قائلاً: «أجل هى كما وصفت ذات عينيّن صافيتين يفيض منهما الحنان والركة، ولكنه حنان كثرته طبيعة القدر فيها...! أريد مع ذلك أن أراها

ينكم وسبب شقاء حياتي ، وتقديس النزاء الأخير
لحيبك الأول ... ! »

فلم ترد عليّ وغرقت في تفكير عميق مؤثر
ثم قالت : « أنا لست على رأيك ! دع هذا الوجه
الوقور يعُب الموت هادئاً مطمئناً وأترك تذكّار
حياته مطبوعاً على خاطره ليكون له في آخرته عزاء
وساوى ... فلا ترجع صديقك وقل له : إني
آلم له أشد الألم ، وأعتذر له بأنني لا أبرح البيت
إلا نادراً ، وربما أستطيع أن أزوره في الأسبوع
القبل ... ! »

ولكن لم يكد يأتي هذا الأسبوع حتى زارته
النية في غيبة عن حبيبته الأولى التي لم تستطع
أن تراه إلى الأبد ... ! محمود المصطفى

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
العصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجرة البريد

« حذار من هذا الرجل الخطير ... ! » هذا فضلاً
عن علمي بشهرته في مغازلة النساء والعبث بقلوبهن
في كل مكان . ولما فاتحني برغبته في الاقتران بي وسلك
تلك الطريقة الشاذة التي لم يألّفها مجتمع ذلك
العصر . كما تعلم يا صديقي في مثل هذه الأحوال
كان يجب عليه أن يكلف وسيطاً بينه وبين
أبويّ صاحبي الشأن في مثل هذه الظروف كما
تقضى به التقاليد إذ ذاك . وأغلب الظن أنه قام
بهذه الخطة اعتقاداً منه أنني ربما تأثرت وخجلت
فأقبل طلبه في غير تردد ولا تفكير ! واأسفاه ... !
قد جاءت النتيجة على غير ما أراد إذ لم ترق في نظري
هذه الخطة وحسبته هازئاً عابثاً ... ! فاعتذرت له
في غير ندم ... ! وبعد ذلك بسنوات قليلة شاءت
إرادة الله أن أقترن بزوجي « كليرمنت دي ساذي »
وبالنطبع ليس من اللياقة أن أحدثك عنه وإنما أترك
لبصيرتك النافذة لتحكم له أو عليه وأنت الذي طالما
بذلت اهتمامك بدراسة النفس البشرية !

ثم عرجت إلى قصة نيفيل قائلة : « مسكين
نيفيل ! لهنّ عليك ما أقسى الحظ ... ! ألم يتزوج
إلى الآن بسببي ... حقاً إن الحياة ظالمة غير عادلة
قاسية غير راحمة ... ! ففي لحظة واحدة من الخطأ
وسوء التفاهم قضى القدر على رجل كريم وشاب
بريء أن يظل في شقاء مقيم مدة ستين عاماً ! »

ولما انتهت قلت لها : « لقد كلّفني السيد نيفيل
أن أدعوك إلى زيارته وأظنك لا ترفضين رؤيته
وقد قارب النهاية : ... ! وكم يكون جميلاً إذا جئت
فأصلحت في ساعاته الأخيرة سوء التفاهم الذي فرق

مَسْتَحْبَبُكَ

عن الانجليزية
بسم الاستاذ عبد اللطيف النشار

التي تركت فيها مع دون وحده
في سرقة المنزل. وقد تركتني
وأني وجدنا مجاملة له لأنني كنت
مخطوبة إليه

وفي الليلة التي أتحدث عنها
كانت الطيور تغني وكان الجو
ربيعاً جميلاً، وكان كل شيء
يتنفس بعير الحب. وكان

الفكر في جو كهذا لا يمر به شيء سوى أن موسم
الورد سيكون في هذا العام من خير المواسم
وقلت لدون إنني سأسافر من كرينبرج قريباً
فسألني عن المكان الذي أريده

قلت : لورندا . فأبدى دهشة وسألني هل
سأكون في ضيافة أسرة ويلسكنسون، فقلت : كلا
ولكني سأبحث عن عمل أكتسب منه

قال : « كيف ؟ لقد آن أن تزوج فإن ستيفنس
سيحال إلى الماش في شهر يوليو وسأعين في وظيفته
رئيساً للشركة ، وفي الخريف يكون زواجنا »

فقلت : « هل تعني ما تقول ؟ »
قال : « الأمر يتوقف على رغبتك أنت »
وأمسك بيدي في رفق فلم أستطع الجواب وقال :
« لقد تكلمت مع أبيك في ذلك ليلة أمس وهو
موافق كل الموافقة على زواجنا في الخريف »

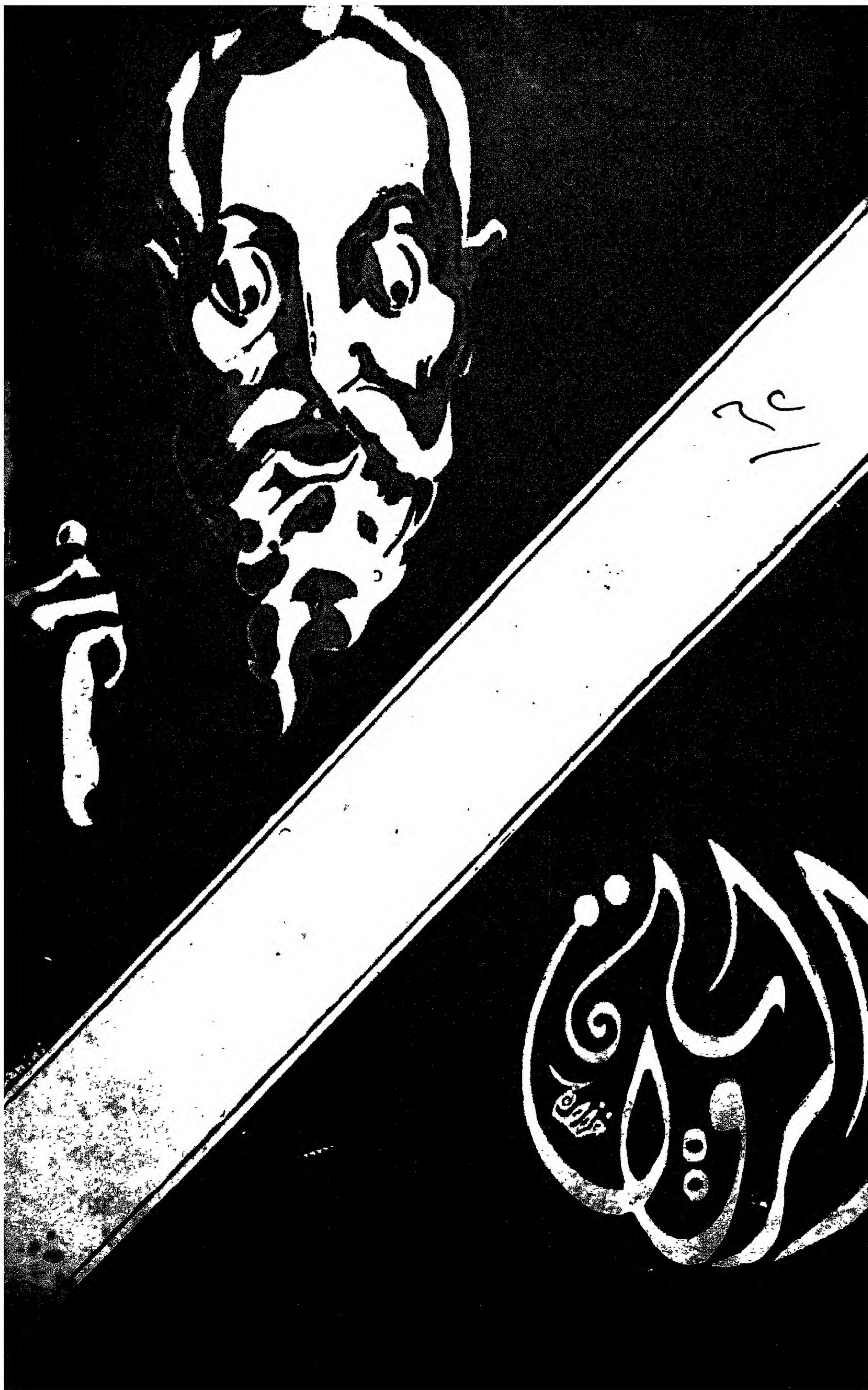
قلت وأنا أصر به ضاحكة : « ربما وافقتك أبي
ما دام الأمر كله دأراً بينك وبينه وأنا كالمسلة
بينكما . لكنني تجاوزت سن الثمانية وولدت من
الراحة بالسكينة التي تشاهيها فلو أن تزوج بناء على اختيار

غيري »

إذا قال لك أي إنسان إن الخصومات العائلية
الدموية قد تلاشت في عهد المدنية الحديثة فأرسله
إلى لأقنعه بخطئه فإني نشأت في جو كله مشاغبات
وخصومات ومشاكل ، ولكن كل الفرق بين
حالتنا الآن وحالة الأسر في عهد مونتاجو
وكابوليت هو أن اللسان يستعمل الآن بدلاً من
السيف

وليس في كرينبرج من يستطيع ألا يتصور أن
الذي يحب أسرة ديكسون يجب أن يكره أسرة فولر
والعكس بالعكس ، أما وقد سافرت من كرينبرج
والحمد لله فإني أضحك من هؤلاء ومن هؤلاء ، وقد
كان « دون » خطيبي يضحك على الدوام من تلك
الخصومات أو هو على الأقل يقول لي ذلك الآن

ودون هذا من النوع الهادي الذي لا يستطيع
أن تعرف ماذا يحول بنفسه إلا إذا انفل وذاك
لا يحدث إلا نادراً ، ولقد كنت أظنه من المرونة
والتيان بحيث يستطيع أن يعمل كل عمل يكلف
به ، وكان يظن أنني أيضاً شديدة الحياء والتجمل
: أنني لا أجد منه حجة عن القيام بكل عمل أكلف به
زويداً دوري التحقيق في هذه القصة منذ الليلة



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرآة

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد ٦٢ ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٩ السنة الثالثة

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة		
٧٨٦	القبلة عند التدوير	أقصوصة مصرية
٧٩٧	مال بلا عمل	عن الانجليزية
٨٠٣	حادث والترشنانف	للقصصى الفرنسى موباسان
٨٠٨	« آما » و « فينايا كا »	للشاعر الهندى طاغور
٨١٠	خشية الاتهام	عن الانجليزية
٨١٣	الفرماء الثلاثة	للكاتب الانجليزى توماس هاردى
٨٢١	آخر ليالى غرناطة	أقصوصة شرقية
٨٢٨	مديق جديد	عن مجلة « تروستورى »
٨٣٢	نفسه	للقصصى الكيبراسكندر دوماى الأب
٨٣٦	الصغير	للكاتب الفرنسى جى دى موباسان
		بقلم الأستاذ يوسف جوهى ...
		بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى ...
		بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
		بقلم الأستاذ غفرى شهاب السعيدى
		بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار
		بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
		بقلم الأديب محمد سعيد عامر ...
		بقلم الأديب عثمانويل بطرس ابراهيم
		بقلم الأديب عبد المنعم مراد ...
		بقلم الأديب السيد عبد الزاوى

مغيظ ! إنه يحس أن كبده
منتفخة بالغيظ كالإسفنجة ،
متهراة من الكمد المستديم .
لو مست هذه الكبد أصبع ،
أو رميت بنواة تمره لسقط
ميتاً ! ...

فكيف لا يرى هذا الخادم
الغبى الانتفاخ الناجم عن تورم
كبده ! ...

القبلة عند الغدير

أقصوصة مصرة
بقلم الأستاذ يوسف جوهري

وأتم ارتداء ملابسه ، ونظر إلى وجهه في المرآة
وهم أن يبصق على الصورة التي بدت له فيها . لكنه
خشى أن يراه خادمه ، فرد لعابه إلى جوفه ، وهو
يقاوم شهوة تقديم هذه التحية الصباحية لحياه
في المرآة . وأخذ ينظر إلى هذا « المحيا » كما ينظر الغريم
إلى غريمه ! كان الغيظ قد طفح على سحنته ، وألقى
الفتنة والشغب بين معارف وجهه حتى بدت كأنها
طغمة متخاصمة .

أدهشه هذا المنظر ! ولم يتمالك أن ضحك
ضحكة جوفاء صفراء ! أعبت الغيظ بوجهه كل هذا
العبث ؟ وتألفت في عينه دمة وهو يضحك ...

وجلس إلى المائدة ينتظر ما يعده عثمان من شاي
ولبن لإفطاره . ودخل الخادم فإذا بسيده يعقد
« الفوطة » من وسطها ويجذبها من طرفيها .
وتراجع . وقد أذهله أن سيده يلعب كما يلعب الأطفال
ويعقد « الفوطة » .

وأفاق « فوزي » لنفسه وبه خجل أن يكون
خادمه قد رآه . ثم اطمان إلى أنه وإن يكن قد رآه
فإنه لن يعرف ما يعنيه بعقد الفوطة وجذبها من
طرفيها ، وكان « فوزي » يتصور وهو يصنع ذلك

رفع وهو يرتدى ملابس الخروج في الساعة
الخامسة من الصباح « الفائلة » عن أعلى الجانب
الأيمن من بطنه ، ونادى خادمه ، وسأله وهو يشير
إلى ذلك المكان قائلاً : « يا عثمان ... أترى هنا
ورماً ؟ »

فأخذ الخادم النوبي يحدق في بطن سيده متعجباً
ثم هن رأسه سلباً

وكان الفتى ينتظر جواباً غير هذا ، فطلب إلى
عثمان أن يدقق الفحص ، ويقارن الجانب الأيمن
بالأيسر من البطن وينتبه هل هما متساويان في
الارتفاع والانخفاض ؟

فصدع الخادم بالأمر ، ومضي يلتمس بطن سيده
بعينه من جديد ، ثم ومض في عينيه بريق الانتصار
أن نظرت الأولى لم تخطئ . لا ورم هناك . وهن
وجهه الأسود بالنقى بأكثر إصرار ! ...

وكانه لم يكن يعجب فوزي أن لا ورم هناك
فاستجمع قواه وصفع الخادم على قفاه

كيف لا يكون هناك ورم ! إن الكبد يقع
في الجانب الأيمن من أعلى البطن . ولطالما سمع أن
الغيظ (يورم) الكبد . وهو مغيظ . مغيظ .

أن « رقة » رئيسه في هذه الحية ، وإن الفوطة تخنقه شيئاً فشيئاً وتوشك أن تريحه منه .

وعرف أنها « أحلام » ، وأن لا خلاص له من رئيسه ، وأن هذا الرئيس سيعيش وسيهلكه وشيكاً بتصرفاته التي تجرعه من الغيظ والكمد ما سيأتي على البقية الباقية من « كبده » ...

كان فوزى يعمل بفرع شركة من شركات التأمين على الحياة . وكان مقياس كفاءة الموظف عند الخواجة «عجان» وكيل الفرع قدرته على إغراء الناس بالتأمين على حياتهم . وكان معجباً بفوزى لفصاحته وذلاقة لسانه وقدرته على « السبك » . وكانت مصيبة الفتى ناشئة من هذا الإعجاب . فما يكاد الخواجة عجان يسمع عن رجل موسر في الريف أو تاجر معروف حتى يبعث بفوزى إليه يعرض عليه فوائد التأمين ومزاياه .

والزبون المتلكي في دفع الأقساط ليس له إلا فوزى يحاوره ويداوره ويتعقبه ويحاصره ويسترضيه ويهدده حتى يؤثر راحة البال ويدفع « المتأخر » صاغراً . فإذا ما عاد فوزى غير موفق فالويل له . فإن الخواجة يهدر ويزجر ويشتم ويلعن ويهدد بالويل والثبور . فإن أشفق الفتى من نتيجة منتظرة وأبى أن يذهب اعتبر «عجان» ذلك عصياناً يقابله بعصيان أشد هولاً ونكراً لأنه العصيان عن دفع المرتب آخر الأسبوع لذلك لم يكن فوزى يعرف للراحة طعماً . إن مشاكل «عجان» لا حصر لها . لقد عمل في الليلة الماضية حتى منتصف الليل وأتمم العمليات الحسابية وسوى الدفاتر بأمل أن يظفر في اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، بالراحة . فيدور في المدينة باحثاً عن النسيم العليل والقوام الرشيق ، وكان يعنى نفسه بنعاس عميق بعد

الظهر عقب الجلوس إلى فرخة سمينة وزجاجة من النبيذ ، وهي أشياء ظل يحلم بها من زمن بعيد . لكن أحلامه انتهت كما كانت تنتهي دائماً إلى هذه الحية القوية . فقد دخل عليه الخواجة «عجان» يتقدمه كرشه ، وأخذ يسأله عن الصحة والأحوال ويتمنى له أطيب التمنيات ، فعلم أنها مقدمات التكليف بمهمة ثقيلة مضنية يجب أن يذهب إليها في الصباح ، فلا نسيم عليل ولا قوام رشيق ، ولا فرخة سمينة ولا خمر ولا كأس ، وإنما هو الشقاء الأبدى في رحاب الخواجة «عجان» . إنه يريد أن يستغل كل قطرة من وقته ومن عافيته ، وأحس أن ما بقي من كبده المتلظية في مرجل الغيظ — قد طاب

ولم تكذبه ظنونه فقد حدثه الخواجة عجان وهو يرت على كتفه ويبتسم له ابتسامة مبطنة بالتهديد أن عليه أن يستيقظ في الصباح في الساعة الخامسة ويركب السيارة الوحيدة التي تذهب بعد الخامسة بقليل إلى قرية «السلام» . فإن هناك رجالاً غنياً كتب إليه أنه يريد أن يؤمن على حياته وحياة ابنته والمسافة إلى «السلام» ست ساعات فقط ، وعليه أن يكون السابق إلى توضيب الزبون فقد يكون مندوب الشركة الأخرى على علم فنخطف الصفقة . كان فوزى يعلم أن المعارضة لا تجدى فترحم على تمنياته التي تخطرت في رأسه ، ولم يحاول أن يتنصل من الذهاب ، بل حاول أن يتخلص من عجان ويظفر بساعات من النوم بين الساعة الأولى والخامسة من الصباح

كان فوزى وهو يذني شفتيه من فنجان اللبن يقول لنفسه : أوجد من هو أشقى منه ؟ عمل بلا انقطاع ولا راحة بأجر هزيل ! وكان يحس أن جنبه يكاد ينفجر

عن فلذات كبده تتطير كرشاش الماء حتى تضرب الحائط ...

وإذا (عثمان) يدنو منه ويضع أمامه علبة من الورق فيسأله عما تحوى . فينبهه أنها علبة (الكربونات) ألم يحدثه عن انتفاخ بطنه ؟ إن الكربونات يا سيدى أكيدة المفعول ... إنها تزيل الانتفاخ ...

وتصاعد غيظ فوزى . وقذف الخادم بفنجان اللبن الساخن ... ونهض عن المائدة . ما حاجته إلى اللبن المغلى ؟ إن جوفه يغلى ويقذف اللحم . ليست لديه الرغبة فى أن يبلى شفتيه المحترقتين بما يزيد حرقتهما وهو ينظف بالفرشاة طربوشه الذى حال لونه من كثرة التجوال تحت الشمس المحرقة ، أسف كثيراً لما أصاب خادمه ... ماذا جنى ؟ إنه لم يكن يقصد النكتة ... من كان يدرى أن الانتفاخ ليس سببه الأكل وإنما سببه الغيظ ؟ إن الخواجه عجان هو الأحق بهذا السائل الحار يسقط فوق رأسه الأصلع ومر وهو خارج بعثمان ، فمسح يديه على قفاه مصالحاً : « مترعلش . حقك على . أصلى زهقان من نفسى يا عثمان ! ... »

فأزاح الابتسام شفتى الخادم الأمين عن أسنانه البيضاء :

— أبداً يا سيدى ، أنا مش زعلان ده أنا أترقيت . زمان كنت بتضربنى بقرازة الخبر ، ودلوقت باللبن الحليب . مين يطول ده ؟ أى داعيه لى ... كانت الله يرحمها دائماً تقول : « روح يا عثمان ربنا يبيض وشك ... » ربنا استجاب دعاها . بس يا سيدى اعمل معروف تانى مرة لما تحب تضربنى باللبن تطول بالك لما يبرد شويه ...

وخرج فوزى وقد أضاء قلبه قليلاً تصافيه مع خادمه

ووجد فوزى نفسه فى السيارة الكبيرة الذهبية إلى قرية «السلامة». وأخذ يجيل عينيه فى الجالسين : وهم فصلة ذاهبون مع المقاول لحفر ترعة ، وبعض نسوة زرن أولياء الله الصالحين فى المدينة ثم بكرن عائداً إلى قراهن وفى سلالهن أقماغ السكر وكساوى الشيت والحلاوة الطحينية ... وهؤلاء الحزينات الساهيات لابد أنهن كن بالأمس فى المحكمة الشرعية سعيماً وراء حكم نفقة أو تفرقة . وهؤلاء المصبوغات الكفوف بالحناء كن فى المدينة يخترن جهاز عروس ؛ وإلا فما هذا الصندوق المدهون باللون الأحمر الصارخ ؟ وما هذه المرأة ذات الإطار البديع من الخشب الذى تصنع منه صناديق السكر والصابون ؟ وضحك فوزى فى نفسه ، فإن الخواجة عجان لم ينس أن يوصيه بالتحدث إلى المسافرين معه عن التأمين وفوائده ومتانة الشركة ونشاطها فى بودابست وبلغراد وروما ! ...

وكانت السيارة تمضى فى طريق ردىء مملوء بالأخاديد . فكانت ترتفع وتنخفض ومعها معدة الفتى وأمتعته وكبده ... ورائحة البنزين والشحم المحترق تنبعث من آلاتها الرديئة مختلطة بعثير الطريق تنفذ إلى رئتيه . وشمس الصيف قد أخذت تتسلق السماء وتضرب صاج السيارة وتحيل داخلها شعلة من جحيم

عليه أن يحتمل كل هذا ساعات أخرى . وللخواجة أن يستمتع براحة يوم الأحد . إنه يدرى ماذا يصنع عجان يوم الأحد . إنه يتحرر من (بذلته)

وقد يكون جلفاً وقد يكون هازلاً. وقد تكون حياته لا تساوى شيئاً لأنه بقية من بقايا الأفيون (والمزول) والأُنكلستوما والصفراء. وما ابنته هذه التي تريد أن تؤمن على حياتها ا فلاحه لا تعرف كيف تخط الألف! تظن أن الحياة تحد شمالاً بترعة الناحية، وجنوباً بمقام سيدي «عز الرجال» حامي القرية وشرقاً بنقطة البوايس مقر الحاكم ذي الدبورتين، وغرباً بالبندر أو عاصمة المديرية حيث محكمة الجنائيات التي يرسل إليها الأشقياء الذين يحرقون زراعات القمح ويقلمون القطن ويسمون المواشي ويزهقون الأرواح...

ونزل فوزى أفندي قرية السلاهيبي، وأخذ الناس يختفون من طريقه، فإن في يده حافظة مملوءة بالأوراق، فإن لم يكن محضر محكمة مختلطة يحمل ضمن أوراقه هذه تنبيهاً بنزع الملكية فهو على الأقل محضر محكمة أهلية لديه أوامر بالحجز التحفظي، أو بيع المحصول من أجل كميالة تدخلها فوائد ربوية محررة لأمر وإذن أحد تجار القماش من كسوة الشتاء أو أحد تجار السماد من أجل حياة الأرض! وهو على أي الحالين يريد مرشداً يده على المدين المسكين. ومن يرضى أن يكون هذا النذير المشؤوم؟

ووصل أخيراً إلى دار الشيخ «توكل» فإذا بها دار نائية عن القرية مبنية في وسط حقول صاحبها، جميلة رائقة المنظر وإن لم تكن ذات شرفات، فإن نوافذها الواسعة المطلة على بستان تمايل فيه أشجار النخيل مدهونة بلون أخضر لطيف لا يملوه الغبار، وسورها الزهر بالجير الأبيض تطل منه أوراق كرمه باسقة

ويجلس في (براندة) منزله بسروره الدبلان الفضفاض الذي صاحبه من دمشق. يجلس متنمراً ينتظر قدوم صينية «الكبيبة» من الفرن، وزجاجة الزيت الزحلاوي جالسة إلى جواره، وحوله ابنه الخائب «نايف» الذي لم يفلح في المدارس قط. وبنته «نجفة» التي ورثت عنه بدائته المفرطة ودمه الثقيل الذي ينفر منها الخاطبين؛ وزوجه... وزوجه «سارة» المهزولة المعروقة التي لم يزر السرور وجهها قط، المعجوز المتصايبة التي تزيل الشعر عن حاجبيها وتركه فوق شفها العليا وتحت إبطيها، وتصر مع ذلك على لبس (السواريه) ... تلك المرأة التي لم يفهم حديثها قط، وإن كان يفهم من نظراتها القاسية أنها تستكثر عليه راتبه!

أخطربال هؤلاء الناس السعداء، أخطر ببالهم رائحة البنزين، ورائحة القرويين، ورائحة روث البهائم الذي يجف ويشور مع التراب؟ أكانت تنطبق الأرض على السماء لو أجلت هذه الرحلة إلى يوم الإثنين؟ لكن فلتكن مشيئة الخواجة «عجان» مادام هو الذي يستطيع أن يرفع الرتب. ويخفضه ويعطيه ويمنعه.

وأغمض الفتى عينيه. فإنه سيفتحهما عندما يصل على قذى كثير: العثير المتطاير تحت حوافر الساعة، والأطفال الذين يرضع الذباب للأوساخ المتركمة على وجوههم، وقهوة القرية يجلس عليها آدميون صفر الوجوه يشربون جميعاً من «جوزة» واحدة، وأبامهم أقداح بها سائل أسود يسمونه الشاي... سيفتحها أيضاً على سحنة أخينا الذي يريد أن يؤمن على حياته.

وفتح الباب ... ولم يكن فوزى يتوقع قط أن يكون ملبي طرقاته هذا الذى رأى ! كان يتوقع أن يطالعه وجه فلاح يطل شعر صدره من خلال جلبابه المفتوح أو خادماً محزومة الوسط بحبل من التيل مبللة الثياب بالماء لأنها تدير (الطلمبة) أو بالعرق لأنها تجرش الفول على الرحى ، أو على الأكثر فتاة صغيرة بطرحة تخفى تحتها منديلاً اسطمبولياً مشغولاً (بالأوية) ملوثة اليدين من (تلزيق الجلبة)

لم ير شيئاً من هذا ، وإنما رأى فتاة حضرية فى يدها كتاب وعلى فيها ابتسامة وعلى وجهها (تواليت) متقن ...

ولما علمت (الآنسة) ما يريد وضعت له كرسيّاً فى ظل تكمية العنب وأدارت كتفها وسارت قليلاً ، ثم صعدت الدرجات القليلة الموصلة إلى باب الدار . فوجد فوزى الفرصة ليلتقط أنفاسه ويحفف عرقه ، ويغمر قوامها اللدن الرشيق بنظراته ، فإذا ثوبها الحريرى أنيق محكم التفصيل ينم قماشه الخفيف عن ظهر لا ككل الظهور ...

وعادت تقول له : « لقد سألت عن أبى الآن بالتليفون ، فقد سافر إلى المدينة هذا الصباح ؛ لكنى لم أجده حيث كنت أظن . ولست أدري إن كان فى وسعك أن تنتظر بضع ساعات ؟ ... »

فنظر الفتى فى ساعته ... أیظل ست ساعات فى السيارة ويأتى إلى هذا المكان السحيق ليظفر بهذه النتيجة السارة ؟ أيعود إلى الخواجة عجان بخفى حنين ؟ إنه إن فعل لغضب ونقر وقذف من عينيه الشرر ، ولرماه بأنه ركب السيارة ثم نزل على مسافة خمس دقائق من المدينة فى أقرب حقل من حقول البطيخ

حيث أكل واحدة مثلجة بندى الليل ثم تجشأ ثم استأنف الرقاد تحت فىء جميزة أو شجرة توت . وإن زعمه الذهاب إلى السلاهيـب كذبة سمجة جزاؤها أيام خمسة تخصم من مرتبه ... وتفصّد جبينه عرقاً من هول ما يتوقع . وسأل الفتاة كوب ماء

فصفقت « سماح » فى طلب الماء . وجاءت خادم صغيرة بقلة خيل إليه أنها تضحك من فرط ما هى دقيقة ورقيقة ونظيفة ، وشرب ، وملأت « سماح » الكوب مرة أخرى وأخذت تشرب . وكان الماء البارد العذب قد رطب جوفه وخفف من خفقان قلبه اللاهث الذى أذهله حسن الفتاة ، فوجد المرأة لينظر إلى نحرها الناصع وهى ترشف الماء . لكانه يراه وهو ينسكب من فيها الصغير ويترقق فى هذه القصبة التى إن كانت عند الناس بـلعوماً فهى عندها قطعة من البلور الشفاف ...

ولم يفهما تعلق عينيه برقبته . لطالما رأت الناس يحملقون فى هذه الرقبة . لقد كانت مرة فى حفلة ساهرة فى القاهرة حيث تقيم ، فجاءها أستاذ معمم من أساتذة آخر الزمن ، وكان قد شرب أكثر مما يجب ، وكان يمسك فى يده اليمنى كأساً من الوسكى وفى يده اليسرى عمامته ؛ وكان شعره مصففاً عند الحلاق ومعطراً . جاءها هذا الشيخ وهمس فى أذنها قائلاً : يا غانية ... إن رقبتك تشبه « كوزاً » من الفضة ... ذكرت هذا ... وذكرت أنهم حدثوها أنه شيخ فريد فى بابيه وأنهم يسمونه « الشيخ موريس شيقالييه » فضحكت . وكانت خلية الفؤاد تهفو للضحك

وأحبت أن تملل ضحكها فسألته : « إنك تنظر

إلى كأنك رأيتني من قبل ، وكأنك تفتش في ذاكرتك عن المناسبة التي رأيتني فيها ... أنكون قد تقابلنا في القاهرة ؟ ... »

فعلم أنها فتاة مأكرة وأنه (ملبوخ لا محالة) وبحث عن صوته فلم يجده . وأخيراً استطاع أن يقول : « كنت أود أن أقابل والدك ... »

ولم تتركه يتم كلامه وقالت : « قلت لك إنك تستطيع أن تنتظره . تكون مشكوراً لو بقيت فاني لا أجد من أحاده في القرية ، ووالدتي مريضة بالنقرس لا تفارق سريرها ، ولا يفارق النعاس جفنيها . وهذه الخادم الصغيرة قد سمعت كل أغانيها ومواويلها وحفظتها وسئمتها . أما خدامتنا الكبيرات فإن حديثهن يفزعني فانهن لا يحسن الكلام إلا عن السحر وعن الجنية التي تسكن ساقيتنا البحرية ، والمارد الذي يتجول على شطى التربة طول الليل ، وعويس شيخ المنسر . أما هذا الكلب « حاتم » المربوط عند الباب فبالرغم من أنه يحسن السهر في الليل ويجيد استقبال اللصوص ولا يعبأ بالجنية ولا المارد ولا الشق عويس ، إلا أنه بكل أسف لا يجيد محادثة السيدات ولا يحترمن كثيراً . وكأن أثوابي لا تعجبه أو لا تريح أعصابه فإنه يحب أن ينالها بأسنانه . إنه كلب فلاح ... أوه نسيت أنك ضيفي ... يا زهرة كوب شربات ... »

ولم تجب الخادم فانطلقت إلى الداخل تعدو؛ ووجد فوزى الفرصة مرة أخرى ليملاً عينيه من قوامها اللدن المشوق . وارتفع ثوبها عن ساقها قليلاً وهي تقفز الدرجات ، فأحس أن ريقه يجف وينضب من حلقه ويصعب ابتلاعه ، وأن ضربات مطرقة تتردد في صدره ، وأن مقدمات إغماء تتمشى في جسده

لما أتت الخادمة بالشربات أخذ يزدريها بصعوبة وهو يحس أن معدته قد أغلقت وأنه لن يجوع أو يعطش فيما بعد بل يكفيه للرى والشبع أن ينظر إلى وجه « سماح »

وجعلت كرسيها أمام كرسيه وأخذت تحادثه ونظر في ساعته ، ففطن إلى أنه بقي كثيراً ، وأن الزمن لم يمر في حياته من قبل بهذه السرعة ، وقام يستأذن ، وقالت له عند الباب : « أترك الأوراق التي تريد أن تتركها وتعال يوم الخميس فتجد أبي ونبت في الأمر . أنت آت ؟ »

وعادت إلى كرسيها ثانية ، وكان كرسيها طويلاً من القماش فتمددت فيه ، وفتحت كتابها الذي نسيته وحاولت أن تقرأ فلم تفلح ، وألقت كتابها على صدرها وأثرت أن تحلم ...

أخذت أفكارها تجرى وراء مندوب شركة التأمين على الحياة . سيسير طويلاً تحت الشمس المحرقة سيراً حثيثاً حتى يدرك السيارة الكبيرة العائدة إلى المدينة ، وحينما يعود إلى أن يذهب ! أهو حقاً أعزب كما فهمت منه ؟ وأين يسهر ؟ وكيف يعيش ؟

لقد تحدثت إليه ومست هذه المسائل مسأ خفيفاً وحكت له عن حياتها في القاهرة ، لكنها لم تعرف منه أكثر من أنه فتى متعب صارم لا تعرف البهجة طريقاً إلى قلبه . إن يديه اليابستين الثابتتين يبدو عليهما أنهما مستا الأشواك كثيراً ولم تمسا الورود قط . لقد ريت في القاهرة في بيت أخيها الطبيب وتعلمت في « الميردى ديو » ومارست حياة اجتماعية كاملة باشتراك الجنس من الوسط ولقيت شباباً كثيرين يعدون من الصفوة كما يفرق

أخذتها وهي في كرسياها طويلة أم قصيرة ؟ ... لقد استيقظت على نباح حاتم ، فإذا بالشمس قد أشاحت عن القرية مسلماً إليها إلى مساكنها الصامتة الراسية الحزين . لقد قامت إلى سريرها لتكمل ما عليها من نعاس وأحلام تملأها صورة مندوب شركة التأمين على الحياة

في منتصف تلك الليلة كان فوزي جالساً في حانة من حانات المدينة وكأسه أمامه ملاءة ينظر إليها دون أن تسمها شفتاه كأنه يذيق فيها أفكاره وهمومه . لقد ركب معه من (السلاهيبة) صديق قديم عزيز من أصدقاء المدرسة لم يلقه منذ بعيد وأنبأه هذا الصديق أنه أصبح وارثاً ، وأن ضيعته في القرية المجاورة ... وأخذ فوزي يتحدث عما أتى به إلى هذه الناحية ، وأخذ يطرق جمال ابنة الشيخ (توكل) إطرأً شديداً وصديقه يصنى له مبتسماً ثم ينبئه أن الشيخ توكل عمه ، وأن (سماحاً) خطيبته منذ الطفولة ، ويفضى إليه بما يغيظه من هذه الفتاة التي أفقدتها القاهرة رزائها وأفسدت خيالها الذي يصبو للحياة العاصمة . ومن يدري لعل عدم ميلها إليه يرجع إلى أن قلبها معلق هناك ... قد تكون نسيت حب ابن عمها الشديد لها ، وداسست تقاليد الأسرة التي تحتم زواج بناتها من بنينا حتى لا تتمزق الأرض التي ظلت من قديم وحدة لا تتجزأ ولا تدخلها قدم غريب فلا يجوز أن يفكر فوزي في سماح وقد خطبتها التقاليد لصديقه القديم « مصطفى » ورفعتها مائة فدان ترثها ، درجات عدة عن الحضيض الذي تنوى فيه الجنينات الستة التي يتقاضاها كل شهر ... فما لعين سماح تتبعه ؟ إنه لم يخلفهما في القرية .

الأطفال في أشبار من الماء ، كان هؤلاء يفرقون تحت نظراتها ويرتكون ويفقدون ذلقتهم إذ يجردهم حسنهم مما يزعمون لأنفسهم من تأثير وشخصية . كم أحرزت من انتصارات وعبثت بقلوب . كانت لذتها في الحياة أن تعبث بالرجال ، ولم تعد قط رجلاً تضحك منه ، ولم تكن تلقى عناء في ذلك . كان يكفي أن تلقى نظراتها في عيني رجل وسرعان ما يبدو أمامها لاهتاً مبهوراً الأنفاس . وسرعان ما ترى الرماد يرين على جذوة الشجاعة والذكاء المتقدمة في عينيه وتبدل نظراته إلى نظرات غيبية بليدة بلهاء ترجو وتتوسل وتسلم القياد ...

لكن هذا الفتى الفقير ! لقد جمعت كل أنوثتها الفاتكة في عينها وعرضتها عليه ، لكن عينيه لم تطرفا ، ووجهه لم يمتقع وكبرياؤه لم تفارقه ! أهو فتى فظ ؟ لكن عينيه المتكبرتين فيهما نعمة ورفق وخيال ، وصوته القوى فيه حلاوة وليونة ونعمة محزنة ، ووجهه الجميل النبيل ينبئ عن جرأة قلب وشهامة نفس .. !

وإذا ذكرت وجهه علت فيها ابتسامة . يجب أن يذل هذا الوجه لها ويتصبب لهفة وهياماً وتنو جهته المرتفعة وتجري نظراته تحت قدميها ... ! يجب أن تضحك منه كما ضحكت من إخوان له من قبل .

لقد طلبت إليه أن يأتي يوم الخميس وهي تبيت في نفسها أموراً ثلاثة : فإنها تعلم أن أباهما ذاهب إلى القاهرة يوم الخميس ، وأنها ستعدل عن إلحاحها في الذهاب معه مفضلة البقاء إلى جوار أمها المريضة ، ولن تقول له إن مندوب شركة التأمين آت .

أكانت تلك الإغفاءة الموشاة بالأحلام التي

لم يعترض فوزى عند ما طلب إليه الخواجه عجمان ليلة الخميس أن يذهب إلى السلاهيبي في الصباح لإتمام الصفقة. وانصرف عجمان إلى بيته وهو معجب بقدرته على إملاء أوامر على مرءوسيه، وراح يسدل بسترته على كرشه برفق وحنان متمنياً لنفسه رعاية الله وحفظه فإنه من غير شك أكفاً وكيل لدى شركة التأمين ...

فهم فوزى لما أبرقت أسارير خادمه عند ما علم أنه ذاهب إلى السلاهيبي ولا يعود عند الظهر - أن عثماناً يحب، وفي استطاعته أن يغلّق الشقة ويذهب إلى محبوبته (نظيرة) في طرف البلد ... حتى قلوب الخدم تخفق للحسن ... هذه القلوب التي أنهكها الانحناء لمسح (البلاط) والتسليق لتنظيف السقف! أهو الهيام الذي يذيع التطلق والابتسام في قسبات عثمان؟ أهى القبل العذبة من فم (نظيرة) هى التي تجلو أسنانه فتسفر عن هذه الضحكة المتألقة البيضاء؟ ليته كان الخادم السعيد ولم يكن السيد المنكود! لو أن (سماحاً) له كما أن (نظيرة) لعثمان! لكن أى خيال بعيد لو علم الشيخ توكل أن هذا الموظف الحقير يفكر في ابنته لأطلق عليه كلبه (حاتم) ينزع عنه بأنياه هذه السترة التي خرج بها من الدنيا ... ماله وهذه الأمانى الجوفاء والأحلام الضائعة؟ ليس الغرام في كل صورة إلا حماقة أبدية لم تنعق في رأس إنسان إلا أوردته موارد الهلكة والبوار

ظل يدير هذه الخواطر في رأسه والسيارة تطوى به الطريق إلى السلاهيبي. لم يكن باله هذه المرة إلى السيارة ترتفع وتنخفض وتخض أمعاءه وكبدته. ولقد استحالَت نظرتَه الشزراء إلى وجوه الفلاحين إلى نظرة حنون مشفقة صافية ... وهو

وإنما هاما معه تسبقانه أينما ذهب وتنظران إليه أينما ولى وجهه بكل جمالها وسعتهما وسحرهما. ماذا تكن له هاتان العينان؟ وماذا يرافق جمالها ويذوب من سوادها العميق؟ أهو ابتسام أم سخرية أم حنان أم إعجاب أم كبرياء؟ أما من خلاص من هاتين العينين!.. إن كان لا مفر منهما فماذا تعنى بهذه النظرات! أهى له أم عليه؟ ..

أكانت جادة في سؤالها إياه إن كان قد رآها من قبل؟ أراها حقاً! أين يا ترى؟ وأخذ يحث ذاكرته حتى هدته إلى أنه رآها في أحلامه. ليست صورتها إلا الصورة التي صاغها خياله من أمانيه. حقاً لقد رآها من قبل ...

وتسلل إلى أذنيه من جديد صوتها وهى تكلمه عند الباب: « تعال يوم الخميس؟ تعال! أنت آت؟ » لكان نعمة خاصة تشعشع هذه الكلمات وتسقيها عذوبة تميزها عن سائر ما تحدثت به إليه. لكانها تعنى أنها بانتظاره في شوق!.. ثم كان يزجر خياله ويرى لهب الحقيقة يلحق هذه الأمانى بالسنه ساخرة من النار

كان يعتبر الحانة فيما سلف دار الإسعاف والعلاج فيها يحمده ألمه، ويسكر ما يصرخ في كبده من جراح. فما له الآن لا يكثر بكأسه ولا يشربها ويؤثر أن يفكر ويتأمل ويتعذب؟ لكانه يخشى أن تراه « سماحاً » وقد ثمل فتحتقره وتضحك منه وهو يشعل سيجارة من الناحية التي كان ينبئ أن يضعها في فمه، ويضع زر طربوشه في مقدمة رأسه مثل هؤلاء السكارى الذين « يدندنون » زاعمين أنهم يغنون وغادر فوزى مجلسه والكأس لم تمس شفثيه!

وجلست إزاءه في كرسيها الطويل وأراحت رأسها على ساعديها المتشابكتين فأخذ الذراعان العاريتان المحيطان بشعرها الفاحم يتكلمان عن فتنة مضنية مذيبة ، ويكونان مع الساعدين المتعاقدين إطاراً ساحراً لصورة ساحرة من فن سحري لا يعرفه هذا العالم

لقد جلست هذه الجلسة ذات مرة أمام فتي قاهرى فسقط عند ركبتيها هامساً : « الرحمة فوق العدل » . فلهذا الشاب لا يريم من مكانه ولا يتململ ولا يعبر وجهه عن الهزيمة بل يظل ساكناً كأنه قد من ثلج

وتهدت بعمق وهى تتأهب فقام صدرها الناهد ثم رقد من تحت ثوبها المشجر ثم قعد كأنه كوكبة من الأزهار تنحني مع النسيم ثم تقوم قالت له : « لعل من المؤلم لك أن تأتي مرة ثالثة ... » وتريثت عن تنمة الحديث لعله يقاطعها قائلاً : إن من يراها لا يعرف التعب أو الألم لكنه لم يفعل . فأحنقها هذا وقالت له : « أترك العقد وستجده في المرة الآتية موقماً عليه . إن أبي لا ينقض لي رأياً » ... فترك العقد واستأذن للانصراف ومضى ...

ووجدت سماح نفسها وحيدة مرة أخرى وعقد الحزن والتفكير ما بين حاجبيها . لقد انتهى اللقاء الذى مهدت له وظلت تحلم به . ها هو رجل لا يطيق الجلوس مع آنسة جميلة . كانت تظن أنه سيسقط من إغرائها في بئر ، وأنها ستضحك منه كثيراً هى ولداتها عند ما تعود إلى القاهرة وتقص عليهن قصة (آخر تغفيل) ؛ فقد كانت ترى أن كل الشبان مغفلون يعبث بهم . والآن تتواضع في مقدراتها ويكفيها

لا يغمض عينيه اتقاء الغبار ، وإنما هو يغمضهما ليحلم ويفرق في خياله كل الكائنات بنظرة حب شاملة . حتى (الجوزة) التى يكره أن يراها تمر بأفواه كل الجالسين ليست في رأيه إلا مرمار الخيال يقبله كل رجل قبله تسكر وتخدّر . وليس حلاق القرية إلا فيلسوفاً « محلياً » لا أخف من يده في إجراء الموسيقى . أما الأطفال القذرون فليسوا إلا ملائكة متنكرين في أسمال . إنها قطعة صابون تعيد إليهم صباحة وجوههم الحنطية التى ذهبها الشمس ... إن كل شيء جميل ... فإنه يرى من وراء كل شيء ابتسامة سماح المتخطرة على شفيتها المختالة في وجنتيها الراقصة في عينها تسبغ على الوجود جمالاً وفتنة وضياء . حتى « عجائناً » الذى يحمل له في قلبه بغضاً لا حد له أصبح مرضياً عنه . فليست لكرشه الهائل وحقيبة الدهن المتدلية تحت ذقنه سماحتها التقليدية ... الآن يلحظ فيها فوزى شيئاً من الظرف والفكاهة ، وأن الصحة والعافية المكتظة في وجنتي ابنته نجفة تستحق التحية . حتى امرأته سارة يرضى أن يقول لها في خياله : « إذهبي يا امرأة مغفورة لك خطاياك اللفظية بسبب إتقانك (للكيبية)

قالت له سماح وهى تفتح الباب : « أوه ، لقد نسيت أنك آت يوم الخميس ... لقد سافر والدى اليوم ... هل لك في كوبة من (الشربات) ... » ودخلت تجري ، وأخذ يفكر وهو يحدق في ساقها : أحقاً نسيت أن تخبر أباه ؟ ! أحقاً نسيت أنه آت ؟ أهو كم مهمل إلى هذا الحد ؟ أم أن هذه الفتاة التى تم حركاتها عن إتقانها (للثنس) قد اشتاقت إلى اللعبة وهى في الريف فأرادت أن تجعل منه كرة تلعب بها وتلهو

ثوباً للعاجزين . لم تكن عادلة يوم طمعت أن يذل لها، ولا يوم اكتفت باعترافه بحسنها وشففه به .. إنها الآن تود لو يمكنها من أن تحبه وإنها لترضى أن تذل له ! ...

عادت سماح إلى القاهرة لكنها لم تجد لمسات المدينة طعماً . ولم تكن بما يحوم حولها من فتيان ، ولم تجد الدعوات إلى الحفلات، ولم تصنع لتوسلات طاقات الزهر النضير التي تهدي إليها ... كانت تؤثر أن تذهب في اليوم الثالث من كل شهر إلى القرية لأنها كانت تعلم أن فوزى يأتي ليأخذ قسط التأمين ، وحاولت أن تفتح قلبه الحصين غير أنها لم تظفر إلا بصداقته .

وقالت له مرة وهي تصطاد السمك من الغدير المجاور للمنزل : « انظر ! ما أجمل الماء الرائق . إن الإنسان يستطيع أن يرى فيه وجهه ؟ » فقال : « لعله أول نوع من المرايا اهتدى إليه الإنسان » قالت : « أتظن أن الماء كان مرآة أمنا حواء ؟ » قال : « نعم » قالت : « إن هناك نوعاً أقدم من المرايا نعرفه نحن معشر النساء . يحيل إلى أن حواء أول ما رأت صورتها رأتها في عيني آدم صدفة وهي تتأمل وجهه » قال ضاحكاً : « حقاً قد تكون المرأة الأولى للمرأة الأولى » قالت : « وللرأة الأخيرة . إن المرأة في كل زمان ومكان تحب أن ترى صورتها في عيني الرجل الذي تحبه لأنها إذ تنطبع على عينيه تنطبع على قلبه . ليتني أرى صورتي في عينيك كما أحس صورتك في قلبي ! حديق في عيني . أترى صورتك ؟ ... » قال : « إن عينيك مخضلتان بالدموع » قالت : « إن هذا النوع من المرايا يكون أشد إبانة حين يغسل بالدموع .

منه أن يعترف بجهاها ويشغف به . لقد رضيت أن لا تصنع به شيئاً لأنها على ما يبدو لا تستطيع أن تصنع به شيئاً

أما هو فقد أدهشته إرادته التي دفعت به إلى الخارج وأعجبته . فقد أحس في أعماقه وهو ينظر إلى ذراعيها وصدرها بعواء ذئب جائع . ذئب كاد يفلت منه وينقض على سماح وليكن ما يكون . فليقاصها على هذه النظرات التي ترشق بها فؤاده . لقد فهم وأدرك في اللحظة الحاسمة أن هذا الحب لا جدوى منه وأنه لن ينتهي إلا إلى ملهاة إن كانت سماح تريد أن تسخر منه، وإلى مأساة إن كانت جادة . أليس هياماً بلا أمل ؟ في الطريق خاطب صديق ومئات من الأفدنة وأب يذود عن التقاليد . . . وهو ما سلامته ! وظيفة بستة جنهات !..

عندما عاد في الخميس التالي كان السهاد والصراع مع الأماني قد أحاله شخصاً ذا إرادة جبارة تستمد قواها من اليأس

وجلس قليلاً ، ثم طلب العقد فجاءت له بالعقد والقسط الأول لعل هذا يرضيه ويسره . لكنه طواها في جيبه واستأذن ومضى ... وهي تلح عليه أن يبقى .

ووجدت نفسها وحيدة مرة أخرى . لقد جربت منه نظراتها وتهداتها ، ودنت منه لتسكبه بمطرها، ورفعت إلى وجهه شفتين تحتلج عليهما قبلة حائرة متلهفة طالبة إليه أن يبقى . فلم يصنع ولم يفكر في اقتطاف تلك القبلة التي نضجت وأوشكت أن تسقط على كتفه .

أي فتى هذا ! ... إنه يملك الشجاعة والوسامة والفضيلة . لم تر من قبل هذه القوى مجتمعة . رأت الشجاعة مع القحة، والوسامة مع التخنث، والفضيلة

انظر ... » وأدنت عينيها من عينيها بأهدابها الطويلة ، فكأن إطار هذه المرأة سيوف مسلوطة وكان النسيم يغني إذ ذاك لحناً خافتاً وانياً حالماً يقبل أهدابها . ورأى فوزى كأن على شفتي سماح أمواجاً متلاطمة من القبل فلم يملك حواسه وهوى بقمه في هذه الأمواج يسبح فيها ويعب منها . وجمعها بين ذراعيه ... لقد أفلت منه حبه الجارف ؛ وأحس أنه بحاجة لأت يضع فتاته بين جوانحه ... ليت قطرات دمها تنزل ضيفة في قطرات دمه ... ليت كيانه كله يدخل في إهابه لكن وجه الخاطب الحزين (مصطفى) صرّ في خياله فجأة فبدأ أمام نفسه كجندى انتصر في كل المارك واحتمل المكاره والمهالك والجراح . ثم خان في اللحظة الأخيرة .. أجل .. في اللحظة الأخيرة فإن أياماً سبعة قد بقيت على الزفاف ... وأفلت من ذراعي سماح ومضى يعدو ... إن التكفير الوحيد أن يحتجب عنها إلى الأبد

لكنه رآها في الليل تفرع بابه، وعلم أنها آتية تعلنه أنها لن ترضى بالزواج كما هددته من قبل . وكان قد شرب كؤوساً فراراً من همه . وأوحت إليه هذه الكؤوس أن يبدو أمامها ثملاً جداً ويوهمها أن بمخدعه امرأة ... حتى تكبره ... لعل كرهها إياه يصرفها عنه ويصون لها مستقبلها

ودخلت عليه ساجحة العينين في الدموع وهرعت إلى صدره . لكنه دفعها عنه بغلظة وهو ينفخ في وجهها نفساً مخموراً كريهاً . ثم استدار إلى باب مخدعه وتحدث وهو يغلقه إلى المرأة الموهومة النائمة في سريره طالباً إليها أن تتدثر لئلا يؤذيها الهواء وفرت سماح وهي تجهش بالبكاء . وتم زفافها بعد أيام .

في ليلة الزفاف جلس فوزى في الحان يفكر أمام

يوسف مبرور
الحامى

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بألوانها الزينة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

شأنى فى ذلك شأن بقية مستخدمى
هذه الشركة الذين خرجوا من
عملهم لإفلاس الشركة . ولقد
كنت أعلم ما ستقوله أى متى
عرفت هذا الخبر المزعج ، وسينظر
إلى إخوتى الأطفال بعين السخرية
فلا يزجرهم إلا ما ينهال عليهم
من شتائم أى المحنقة الجازعة

فقد كانت الجنيهاات الثلاثة التى أتقاضاها أجراً
أسبوعياً عن عملى هى التى تقيم أود هذه العائلة
الصغيرة . فضياع هذا المبلغ من أيدينا ...

لم يكن هناك ما يدعو إلى إسراعى فى العودة
إلى بيتى فسرت فى الطرقات أتسكع وسط رواد
الحوانيت بعد ظهر يوم السبت . وكنت أحمل فى
حافضة نقودى تسعة جنيهاات هى أجر الأسبوع
الآخر وأجر أسبوعين مكافأة . ومن كان يحمل
مثل هذا المبلغ لا يكتفى بالنظر إلى ما تحوى واجهات
الحوانيت ويمض أنامله أسفاً لعدم استطاعته ابتياع
شئ منها . على أن تسعة جنيهااتى لم يكن شأنها معى
شأنها مع غيرى من الفتيات السعيدات اللواتى
يندفعن غير مباليات إلى داخل الحوانيت

فبعد جولة فى الطرقات قصدت إلى بيت «إرما»
وهى فتاة كانت تشتغل فيما مضى كاتبة فى بعض
البيوت التجارية ، وقد أخرجت هى الأخرى من
عملها من قبل ستة أسابيع . ولم يكن يبدو عليها
القلق للحصول على عمل جديد فهى لا تفتقل من
وكالة تخدم إلى أخرى حيث تسأل عن اسمها ونسبها
وحيث تقيسها الأعين الجامدة من رأسها إلى قدمها ..

أعرب من الخيال

مالك عليك ...

عن الانجليزية
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدى

أنحنت «إرما» على المائدة الصغيرة التى مازالت
تحمل بقايا القهوة التى شربناها معاً كأنها تريد أن
تفضى إلى بسر من الأسرار وقالت :

— اسمى يا «سبو» إن الأمر أبسط مما تتصورين
فكل ما عليك أن تفعل هو ...

فقلت فى لهجة مضطربة :

— لا أستطيع ، فالواقع أن ما تطلبينه
مستحيل ، أقصد أنه ... أنه عمل غير شريف :

قالت «إرما» :

— هل لك أن تقولى لى أى شئ فيه يخالف
الشرف ؟ أيمكن أن يقبض عليك أحد بسبب ذلك ؟
إنه تصرف فى حدود القانون

ففكرت قليلاً وقلت :

— قد يكون هذا العمل فى حدود القانون
ولكن ...

فقاطعتنى إرما بقولها :

— ولكن ... ماذا ؟ أفضلين أن تعودى
إلى بيتك فتخبرى أمك أنك فقدت مركزك ؟

— نعم إننى كنت فى هذه المرة عاطلة من العمل
فقد تركت نهائياً مركزى فى شركة ... الصناعية

فلقد كانت « إرما » فتاة لعوباً وهو الوصف الذى لا ينطبق عليها سواء ، ولقد كانت تحاول أن تغرينى باحتذاء مثالها . فمضت تقول :

— إنك جذابة النظرات يا « سو » وأنت قادرة بما وهبك الله من حسن أن تربحى حوالى عشرة شلنات كل مساء

فقلت مصرة على الرفض :

— أنا لا أستطيع

قالت إرما :

— لا تستطيعين ماذا ؟

— لا أستطيع أن أتصيد الرجال ، وأن أخرج

مع رجل لم أقدم له من قبل

قالت صاحبتى :

— أتريدى أن تقولى إنك لم تفعل ذلك فيما

مضى وأنت من فتيات لندن مولداً ونشأة ؟ أظن

إذن أن لك كثيراً من الأصدقاء الفتيان فما بك من

حاجة إلى السعى للبحث عن غيرهم

قلت :

— أنا لا أعرف كثيراً من الفتيان

قالت إرما :

— اسمى يا « سو » إن كل ما عليك أن تعمله

هو أن تقفى أمام باب من أبواب دور السينما ، ويحسن

أن تكون من الدور التى لا يقل أجر الدخول إليها

عن شلنين ، وهناك تتظاهرين بأن صديقك الشاب

قد أدخل بموعده معك . فماذا يحدث ؟ هناك دائماً

كثيرون من الرجال يبحثون عن فتيات يدخلن

معهم ، فانظرى إلى أحدهم بعين مغرية ، فلا يلبث

أن يقول لك : « أنجبين أن تدخلى ؟ » فتقولين :

« لا مانع عندى من الدخول » وأظنك توافقينى

على أن ليس فى ذلك ما يدعو إلى القبض عليك ؟

ثم تدخلين مع الرجل . وعليك كما قلت أن تحملى

معك نصف التذكرة ، حتى إذا مضت خمس دقائق

على ابتداء السينما ، تستأذنين من صاحبك فى الذهاب

إلى غرفة الزينة ، ثم تخرجين وتخبين فتاة الصندوق

أنك قد ابتعت التذكرة منذ لحظة وأنك تشعرين

بالتعب وتريدى الانصراف وأخذ ثمن التذكرة؛ فتتغير

الفتاة إلى رقم التذكرة ، وبعد أن تتأكد من أنك

دخلت منذ برهة قصيرة ترد إليك الثمن ؛ وقد يصل

فى بعض دور السينما إلى خمسة شلنات ، فإذا كررت

هذه العملية فى ثلاث أو أربع من دور السينما كل

ليلة أمكنك أن تحصلى على مثل الذى أحصل عليه

كل ليلة

سمعت هذه الكلمات فقهقهت على حين فجأة لأن

ما قالته إرما كان فى نظرى أشبه بالزاح . ثم قالت

إرما :

— وأنا أفعل ذلك فى أمسيات أيام السبت أيضاً .

فإذا أردت أن ترى بعينيك عمل خبيرة فى هذا فتعالى

معى وقفى على مقربة منى وانظرى ما أصنع

بعد عشر دقائق كنت واقفة فى ظل مدخل من

مداخل دور السينما الكبيرة أرقب إرما التى وقفت

على مقربة من شباك التذاكر تنظر إلى ساعتها نظرة

القلق الذى فرغ صبره مقبلة حاجبها الجليلين .

ولم تلبث أن أفلتت حافظلة يدها فسقطت على الأرض ،

فالتقطها رجل كان واقفاً على مقربة منها ، ووقف

الإثنان يتكلمان بضع لحظات . ونجح مشروعها

نجاحاً تاماً فقد تأبط الرجل ساعدها وقصداً إلى

شباك التذاكر ثم دخلا معاً الدار ، فنظرت إرما

إلى من وراء كتفها والتقى ناظراناً فكانت عينها

تقول :

— ألا ترين أن الأمر بسيط لا شيء من الصعوبة فيه ؟

وبعد خمس عشرة دقيقة عادت إرما إلى وفي قبضتها جملة قطع من العملة الفضية ، وقالت :

— خمسة شلنات ! فامض بنا الآن من هنا

وقلت في أثناء الطريق :

— ولكن ماذا يعمل الرجل حين يتأكد أنك

لن تعودى ؟

— ماذا عساه يستطيع أن يفعل ؟ سينظر حوله

مفتشاً ثم يستقر في مكانه متمتعاً بمشاهدة الفلم . والحق

ياسو أنني لم أشهد السينما منذ عهد طويل ، ويحسن

أن أشهد إحدى الزوايات في ليلة من ليالى فراغى

وقهقهت إرما واشتركت معها في القهقهة فقد

كان الأمر غريباً حقاً ، وأى شيء يفعله الناس

للتخلص من العمل ؟

عند ذلك ذكرت موقفى ، ذكرت العمل الذى

خرجت منه ، ولا يزال أُمَامى أن أواجه أُمى بالخبر ،

وسيقع ذلك من نفسها موقعاً شديداً ، ولو أمكننى

فقط أن أقول لها : إن أُمَامى عملاً آخر فلا تجزى

يا أُمى ، ولكن الحقيقة أن ليس أُمَامى من عمل جديد

إلا إذا أنا — بطبيعة الحال — أصغيت لما تملى على

« إرما » من إغراء

ذكرت قول إرما : « الأمر أبسط مما تتصورين »

فقلت في نفسى : « لم لا ؟ لم لا ؟ إن الإنسان

لا يموت إلا مرة واحدة »

تمشينا أنا وإرما ، ثم أخذتني إلى دار من دور

السينما الكبيرة فى جى آخر ، وهناك تركتني واقفة

فى أحد الأركان .

فشعرت كأننى إحدى العرائس الشمع التى توضع

فى واجهات الحوانيت ، واقفة جامدة منبوذة ،

تنعكس على وجهى أشعة المصابيح والأضواء الساطعة

ولعلى كنت منبوذة حقاً كما هى لى .

لقد نصحت لى إرما بأن أقع على فريسة بأسرع

ما أستطيع وأن أركز كل قوى لاجتذابه ، ولكن

خيل إلى أن عيني قد فقدت قوة الأبصار .

ومرة اقترب منى رجل وقال :

— ليلة لطيفة يا بنيتى

وكانت بدين الجسم أصلع الرأس يمضغ بقايا

سيجار قديم ، فهزرت كتفى وانتقلت من موقفى ،

ورجوت لو إن إرما لم تكن ترقب موقفى .

ثم أبصرت ذلك الفتى الذى يرتدى معطفاً

أصفر وقبعة عريضة ، وكان واقفاً بجوار الجدار

على إحدى قدميه ثم على القدم الأخرى . وكانت

أعقاب السجائر الملقاة تحت قدميه تدل على أنه قضى

وقتاً طويلاً فى موقفه هذا . وكان ينظر إلى نظرة

المستطلع ولكن فى غير وقاحة الرجل البدين . فقلت

فى نفسى : لعل صاحب المعطف الأصفر يصلح لأن

يكون الفريسة المطلوبة . ولقد كان يبدو لى أنه أسلم من

من بقية الرجال الواقفين حولى . وكان واضحاً

أن بعضهم ينتظر فتيات على ميماد ، وكان البعض

الآخر واقفاً لمجرد التطلع أو فى انتظار المصادفة التى

تسوق إليهم فتاة ما ، كما خبرتني إرما من قبل ...

فاقتربت قليلاً من صاحب المعطف الأصفر متظاهرة

بأننى أنظر الصور الفوتوغرافية لمناظر العرض المقبل .

وقد ذكرنى صاحب المعطف الأصفر بجرو صغير

أخذته أنا وأُمى إلى بيتنا فى إحدى ليالى الشتاء .

فأويناه وأطعمناه ، فقد كانت عينا الرجل أشبه بعيني

ذلك الجرو ولهما لونهما .

وفي وقت واحد قلت أنا وصاحب المعطف
الأصفر :

— وبعد ؟

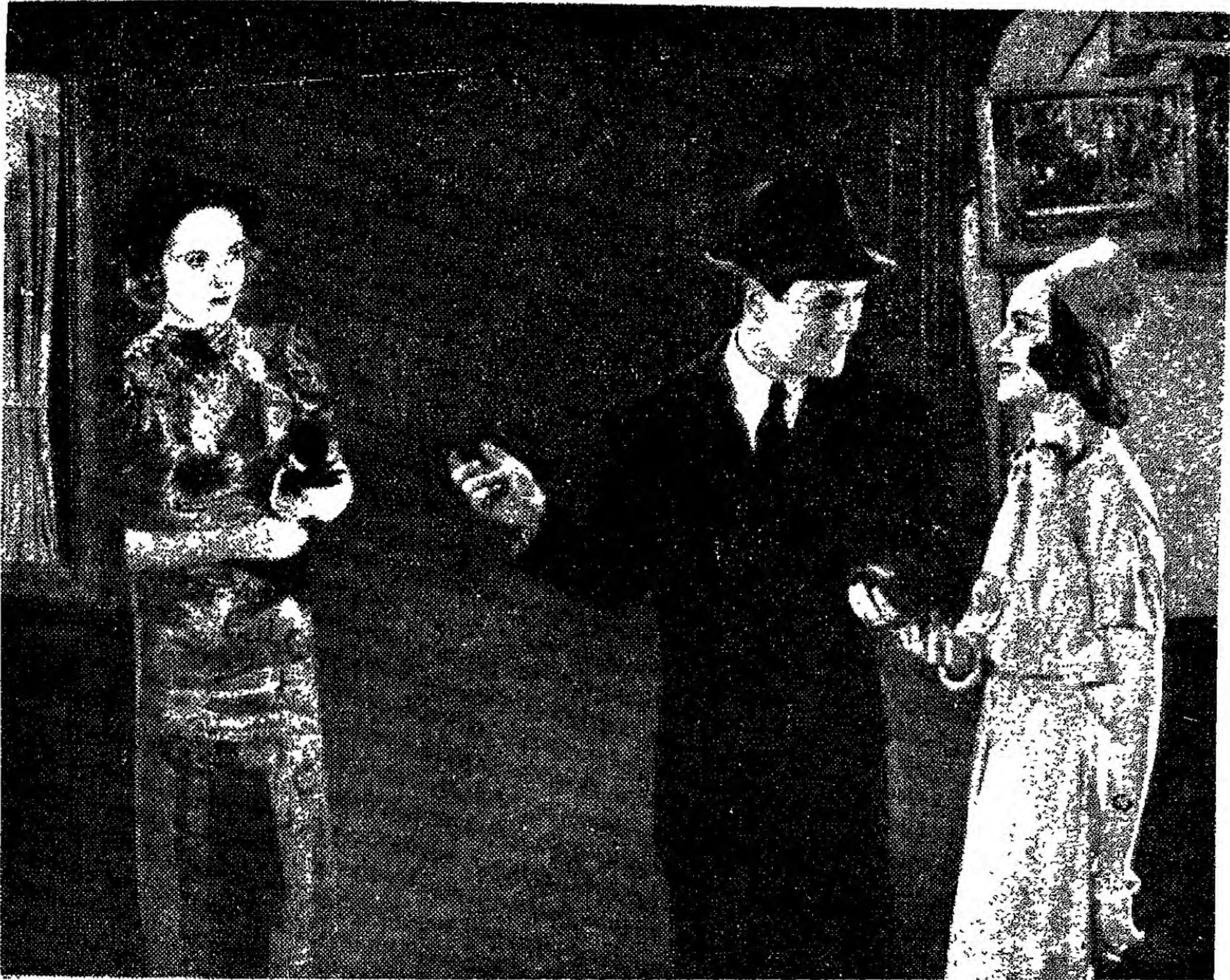
وأحس الرجل بشيء من الخجل فاعتذر
فقلت مبتهجة :

— يخيل إلى أن رواية الليلة جميلة جداً ؟

وهنا أفلت حافظة نقودي فسقطت على الأرض
فالتقطها صاحب المعطف الأصفر وقدمها إلى في حذر
شديد وهو يقول :

— أليست هذه الحافظة لك أم ترينني مخطئاً ؟
قلت :

— بلى هي لي



أجاب الرجل :

— نعم يلوح لي ذلك

وبدأت أظن أنني قد وقعت على رجل في انتظار
فتاة غيرة، فحاولت أن أبتعد عنه ، ولكنه قال على
حين فجأة :

— إن لندن بلد عجيب ، فهل لا ترين ذلك ؟

إنه بلد عجيب واسع فارغ

وأحسست أن الدم الحار قد ملأ وجهي وعنتي
وأنا أقول له :

— أعندك ... ساعة .. ؟

فأجاب الرجل في لهفة شديدة :

— الساعة الآن السابعة والرابع

فوقفت صامتة وأحدثت في الأرض بضع

لحظات

صالة العرض أخبرني الفتى أن أمه ماتت منذ شهر ،
وأنه حضر لمشاهدة لندن ، وأن ليس لديه ما يمنع
عودته إلى المزرعة التي يملكها ، لو أن فيها من
ينتظره ليؤنسه

ثم قال في شيء من الحزن :
— ولكنني لا أعجب الفتيات فهن ينفرن مني .
فسألته :

— « وهل رأيتني أنفر منك ؟ »
فضغط الفتى ساعدي في لطف فغل الصديق وقال :
— أما إلى الآن فلا ...

ووجدنا كرسيين في مؤخرة الصالة وقد احتفظت
بنصفي التذكريتين وجلست ساكنة أحاول النظر
إلى الرواية ولكنني لم أشعر بشيء غير ملامسة كتف
زميلي لكتفي

وبدت صفحة وجهه في الظلام غائرة حزينة ،
وذكرت أن أمه قد ماتت منذ عهد قريب ، وأنه
منبوذ من الفتيات ، حتى لقد نسيت أنني أنا الأخرى
منبوذة ، ورأيتني أدعك شيئاً في يدي . فذكرت
نصفي التذكريتين ، فلت نحوه وقلت مسرعة :

— أأأذن لي بأن أتغيب بضع لحظات ؟
وبدأت أتسرب في خفة . فقال :
— لا تنسى الكرسي في الصف قبل الأخير !
واجترت الردهة مسرعة أكاد أجري ، ولم أجد
أية صموبة في استرداد ثمن التذكرة !

فسألتنى إرما :
— أراك قطعت وقتاً طويلاً في جملة على الدخول
معك .

وفتحت كفي المبللة بالمرق . فقالت إرما :
— نصف كرون ؟

وأقبل فريق من رواد السينما فكادوا يدفعونني
بالناكب فلت جانباً ، وقلت وأنا أسوى قبعتي التي
حرفتها حركة المتدافمين :

— أنا لا أرى لندن فارغة كما تتوهم ؛ غير أنني
لا أستطيع بالطبع إلا أن أشعر بالضجر ، فإنه يبدو
أن صديقي لن يحضر

فقال صاحب المعطف الأصفر : إن الرجل الذي
يتخلي عنك يجب أن يسحق رأسه
فقلت :

— إنك على ما أرى رجل رقيق حريص على
مواعيدك ...
قال الرجل :

— أنا لست على ميعاد ، ولكنني واقف هنا
لأنني أقيم في الفندق القائم في الجانب الآخر من
الشارع ، وأنا من أبردين

ويدل الأسلوب الذي ألقى به عبارته على أنه
لا يرى بلده كبيراً مثل لندن ولا فارغاً مثلها . ثم قال :
— غير أنني على كل حال لا أعجب الفتيات
فقلت :

— إن أية فتاة تنفر من مصاحبتك تستحق
تخطيم رأسها

فابتسم الرجل ، ولم يكن حسن المنظر ، ولكن عينيّه
وأسنانه كانت جميلة . ولم يلبث أن قال :

— إنني أسألك إذا كنت تجهين أن تشهدي
هذه الرواية مني ؟
قلت :

— لا مانع عندي يا مستر ...
— لك أن تدعيني « بيل »
وفي أثناء اجتيازنا الردهة القصيرة الموصلة إلى

قلت :

— نعم ... نعم نصف كرون

وصحبتني إرما إلى إحدى المحطات الأرضية لأعود
أنا إلى بيتي ، ولتستأنف هي مغامراتها الليلية في حي
آخر ...

وقالت إرما متضجرة ونحن ننتظر القطار :

— عجبا ! أنقف هنا الليل كله ؟

أما أنا فقد ارتسمت في مخيلتي صورة العينين
اللتين تشبهان عيني الجرو الضال، ومنظر ذلك الشعر
الذي لا يستقر راقداً على الرغم من استعمال زيت
الشعر. وذكرت أنني أول فتاة لم يخف منها، فتركي
لي دون أن أعود إليه ستكون الضربة الأخيرة التي
تصيبه ... والفتى لا يزال حزينا لموت أمه ... وكل
الناس ...

وقبل أن أفكر في شيء آخر تركت إرما مسرعة

فصاحت بي :

— إلى أين ؟

قلت :

— سأتكلم بالهاتفون واذهي أنت

وصعدت الدرج جارية ، ولم ألبث أن اجتزت
الشارع عائدة إلى دار السينما

ووضعت نصف الكرون أمام فتاة الصندوق

وقلت :

— تذكرة واحدة من فضلك

وقد دهشت الفتاة ... وخيل إلي أنها تسخر بي
في نفسها ولكنني لم أبال شيئا

وتسللت في خفة إلى مقعدي في وسط الصف

الثاني في مؤخرة الصالة

وشعرت بيده تلمس ساعدي كأنما أراد أن يتحقق

أنني أنا نفسي الجالسة إلى جانبه وقال :

— يا لله ... لقد جزعت عليك

قلت :

— صه فاني أريد أن أشهد التمثيل

وبدلاً من أن أربح نصف كرون أضعت ستة

بنسات أجرة للترام ... فيالها من بلاهة ! !

ولكن لم يكن في وسمي أن أتجامل على أي

إنسان على تلك الصورة . فذلك عمل دنيء حقير ،
وبخاصة مع إنسان ينظر إليك كأنك جون كروفورد
ومارلين ديتريش متمزجتين في شخص واحد ، ثم هو
لا يزال ينظر إليك هذه النظرة ...

ومنذ شهر وأنا ألتقي ببيل كل ليلة، وقد حصلت

على عمل جديد ، ولكنه وقتي . فستصبح أبردين
هي المكان المحبب لأمي ولأخوتي الصغار ولي أنا على

وجه أخص

عبد الحميد حمدي

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جوتة الاطاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

—

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً

حارب الترشنا

للفضلى الفرنسى مؤبسان
بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى

وتريتهم وتنشئهم ؟ لقد عقد
قروضا قبل ذهابه ، ترك لهم بها
قليلاً من المال ، ولكن ذلك المال
لن يكفيهم طويلاً ، وكانت هذه
النتيجة المحزنة تدفعه إلى البكاء
كلما فكر فيها !

وشعر في بدء الحرب بضعف
في ساقيه كاد يؤدي به إلى السقوط
في الميدان إعياء لولا علمه بأن

كل جندي في الجيش سيبدأ آتئذ جثته بقدميه ،
وقف شعره لسماع أزيز الرصاص المدوي من كل جانب
ولقد مضت عليه شهور عدة ، وهو يحيا في جو
من الرعب والفرع !

وكانت فرقته تتقدم نحو نورمانديا ، وكلفت
يوماً مع كتيبة أخرى صغيرة بكشف طرف من البلاد
فأروا الصجراء هادئة ، ولم يكن هناك ما يدل على
مقاومة مدبرة . ولكن لم يكده هؤلاء الروسيون
ينزلون وادياً ذا حفر عميقة ، حتى أوقفهم طلقات
عنيفة وألقت عشرين جندياً صرعى ، وبرزت على
حين غرة كتيبة من المتطوعين الفرنسيين من غابة
صغيرة وتقدموا بخفة وجية وحراهم على البنادق !
ظل والترشنا أول الأمر ساكناً ، وبلغ به
الدهول حداً لم يفكر فيه حتى في الحرب . ثم شعر
برغبة جامحة في الفرار ، ولكنه ذكر أنه لا يسبق
السلحفاة في العدو ، ورأى الفرنسيين الضامرين
الذين كانوا يقفزون كقطيع من المعزى ، وكادوا
يصلون إليه ، فخار في أمره وحانت منه التفاتة
فرأى أمامه على بعد خطوات ست هوة واسعة
ملأى بالأعشاب ومنظاة بالأوراق الجافة ، فألقى

كان والترشنا ضخم الجثة ثقيل الخطى ،
يشكو وربما في قدميه يعوقه عن المشي ويمنعه من
الحركة ، وكان رضى الخلق ، يؤثر الهدوء ويميل
إلى الراحة ، يحب أن يكر في المنام ويتأخر في القيام
وأن يأكل بهدوء وببطء ويتخير أطيب الطعام ،
ويشرب الجمعة في مصانعها . يكره التقتيل ويماف
منظر الدماء ، ويغض بقله وغريزته وسائلها وآلاتها
من المدافع والبنادق والمسدسات والسيوف . ويزداد
بغضه للحراب لأنه يرى ضخامة جثته فيدرك
عجزه عن الحركات السريعة التي تتطلبها هذه الأسلحة .
وكان أباً لأطفال أربعة يحبهم أعمق الحب وأشدّه ...
لذلك كله كان يعد نفسه أشقى الناس وأتس رجل
على وجه الأرض منذ وطئ الأراضى الفرنسية جندياً
في الجيش الألماني الفاتح . فابتعد عن أولاده وعن
زوجته الشجراء الجميلة وحرّم عطفها وحنوها وقبلاتها
وجفا سمادته وهجر راحته .

ولما هبط الليل بظلامه ، تمدد على الثرى متلفعاً
بشيابه إلى جانب رفاقه الذين كان يعملو شخيرهم ،
وراح يطيل التفكير في أهله الذين تركهم ، وبالمخاطر
التي تربص به ، وحدث نفسه قائلاً : لو قدر لي أن
أموت فمن لأطفالي من بعدى ؟ من يقوم بأودهم

بنفسه فيها ضامًا رجله غير ناظر إلى بُعد غورها ، قفز كما يقفز المرء إلى النهر من جسر منخفض فهو فيهما واستقر جسمه فوق أشواك العوسج الحاد التي تركت في وجهه ويديه جراحًا تسيل منها الدماء ، وجلس عليها كما يجلس على سرير من الأحجار .

ورفع عينيه ، فرأى السماء من خلال الكوة التي أحدثها سقوطه ، وخشى أن تشي به هذه الكوة فزحف بحذر يجرّ رجله حتى بلغ أقصى الهوة مستظلًا بسقفها المؤلف من الأغصان المتشابكة وبذل كل ما تبقى لديه من جهود لابتعد عن ميدان القتال ونهض ، ثم جلس القرفصاء مرة أخرى كالأرنب وسط الأعشاب الطويلة الجافة .

وظل حينًا من الدهر يصنى إلى أزيز الرصاص ودوى المدافع وصيحات الجنود وأنات الجرحى ثم بدأت الأصوات تخفت والأنات تضعف ، حتى انقطعت وساد السكون والهدوء .

وعلى حين غرة رأى أمامه شيئًا يتحرك ، فخالط قلبه ذعر وهلع ، ولم يكن ذلك إلا عصفورًا صغيرًا حط على غصن . فاضطربت من حركته الأوراق الجافة ، وظل قلب والترشّاف ساعة كاملة يضرب ضربات حادة قوية سريعة متتابعة .

أقبل الليل وأقبل معه ظلامه الذي ملأ الهوة ! وراح الجندي المسكين يفكر : ماذا يجدر به أن يعمل الآن ؟ ما هي الخاتمة التي تنتظره ؟ أيلتحق بفرقه ؟ ولكن كيف يلتحق بها ... ومن أين ؟ إنه إن فعل ذلك عاود حياة الخوف والقلق الرهيبة ، حياة الدعر والهلع ، حياة المتاعب والآلام التي قاساها منذ بدء الحرب ! ... كلا ! إنه لا يجد في نفسه الشجاعة على معاودتها ، ولا يحس القوة الكافية لتحمل عناء

السير واقتحام الأخطار كل لحظة .

ولكن ماذا يجدر به أن يعمل الآن ؟ ليس بوسعه أن يبقى في هذه الهوة مختبئًا حتى نهاية الحرب ؛ ولو لم يكن من الواجب عليه أن يأكل لما حفل بالبقاء فيها ، ولكن يجب أن يأكل وأن يأكل كل يوم .

وألقى نفسه وحيداً بسلاحه وبزّته ، في أرض العدو ، بعيداً عن رفاقه الذين يستطيعون الدفاع عنه فسرت في جسمه قشعريرة رهيبة . وصاح فجأة يحدث نفسه : « ليتنى أؤخذ أسيراً » وأجس برغبة جامحة في أن يكون أسيراً لدى الفرنسيين ... وهل هناك أهنأ من حياة الأسر ؟ سيتخلص من آلامه وسيقدم له طعام ومأوى ، وسيغدو بئامن من أزيز الرصاص وصليل الطلّبي ، ولن يعرف فؤاده الوجع أو الدعر ، سيضمه سجن محروس حراسة جيدة . أسير ؟ ياله من حلم عذب باسم !

ووطن العزم على تسليم نفسه ونهض ينفذ هذا العزم دون تردد ولا إحجام .

ولكنه عاد إلى هدوئه ووجومه ، ووثبت إلى ذهنه أفكار محزنة وخالطت نفسه مخاوف جديدة : إلى أين يذهب لتسليم نفسه ؟ وكيف يسلمها ؟ وأى السبل يسلك ؟ وازدحمت في رأسه صور الموت الرهيبة ...

إنه إن سار وحده ، وعلى رأسه قبعته المعروفة ، فسيكون عرضة لأخطار داهية هائلة ، إذ ماذا بوسعه أن يعمل إذا التقى في طريقة بفلاحين ؟ إن هؤلاء لا يرون بروسيا ضالاً أغزل إلا ويذبجونه كما يذبجون الكلاب القاتمة ! سيمثلون به بمعاولهم ومناجلهم ومساحيهم ، وسيحيلونه إلى (كبة) من اللحم

أو عجيبة تدفعهم شراسة الغلوب النائر الحائق
وإذا قدر له أن يلتقى بالتطوعين الفدائيين
فإن هؤلاء المستبسلين الحائقين الذين لا يعترفون
بقانون أو نظام سيمصوبون عليه بنادقهم قصد
التسلي والمزاح والتمتع بسرور ساعة ، وسيكون
رأسه الملقى أمامهم موضوعاً لضحكهم. وتصور نفسه
إذ ذاك مسنداً إلى حائط ، وأمامه اثنتا عشرة بندقية
كأن فوهات الصغيرة المستديرة السوداء تبادلها النظر
وإذا التقى بالجيش الفرنسي نفسه سيظنه أفراد
الطليعة مستكشفاً جريئاً كراً ، وسيرمونه بالرصاص.
وتصور نفسه واقفاً وسط الحقل مصغياً إلى أزيز
الرصاص الذى يوجهه إليه الجنود من خنادقهم
منحط القوى مثقب الجسم كالمصفاة. وهوى جالساً كرة
أخرى إذ لم يجد من ورطته مخرجاً .

وكان الليل الصامت الكالح قد شمل الأرض
ولفها بظلامه . وبقي والترشلاف هادئاً صامتاً يرتجف
جسمه لكل صوت خافت ولكل همس ضعيف .
وأحدث أرنب بجانبه حركة خفيفة فطار له شعاعاً .
وصاحت بوم فتمزق شغاف قلبه وخالط نفسه
فزع ألم له أشد من ألم الجراح . . . وفتح عينيه
المتمورتين محاولاً أن يرى فى الظلام ، وكان يخيل
إليه فى كل لحظة أنه يسمع أصوات مسير بالقرب منه
وقضى ساعات قلقاً مضطرباً ، ثم بدت لعينيه
السماء النيرة من خلال كوة سقفه فشعر براحة
كبيرة ، وتراخت أعضاؤه وسكن فؤاده ، وأغمض
عينيه وغاب فى نوم عميق !

ولما استيقظ رأى الشمس قد أوشكت أن تبلغ
منتصف السماء ، فأدرك أن الوقت ظهر ، ولم يكن
يمكر سكون الحقول وهدوءها الحزين أى صوت
أو همس ، وأحس بالجوع الشديد ينهك جسمه ،

فتثأب - وتحلب فيه عندما تخيل « الأكارع »
الجيدة التى تقدم للجنود ، وأخذت معدته تؤله آلاماً
شديدة . ولما نهض وسار بضع خطوات ، شعر
بضعف ساقيه فجلس يفكر ، وظل ساعتين أو ثلاثاً
يوازن الأفكار فى رأسه ولا يستقر على خطة معينة ،
وكان مغلوباً على أمره يائساً تتقاذفه أكثر الأفكار
تناقضاً !

وخطرت له أخيراً فكرة بدت له منطقية وممكنة
التطبيق : ذلك أن يرقب الفلاحين ، وعندما يرى
فلاحاً سائراً بمفرده أعزل من السلاح ومن أدوات
الزراعة الخطرة يركض أمامه ، ويلقى بنفسه بين يديه
مشيراً له بالتسليم .

ألقى بقبعته جانباً ، كي لا تشى به ذروتها وأظهر
رأسه من الكوة يحذر كثير فلم يبد لعينيه إنسان .
ورأى فى الناحية اليسرى عند أقصى أشجار الشارع
قصرأ كبيراً ذا أبراج ، وظل ينتظر حتى المساء ،
متألماً ضجرأ ، ولم ير إلا أسراب الغربان ، ولم يسمع
إلا قرقرة أحشائه . ولما لفه الليل تمدد فى أعماق
نخبته ونام نوماً متقطعاً مليئاً بالأحلام الزعجة وأحس
بالكابوس يحتم على صدره. لقد كان ينام نوم الجائعين.
ولما انبلج الفجر ، راح يتربص من جديد ، ولكن
البیداء ظلت يباباً كالأمس وعاوده خوف جديد ،
الخوف من أن يقضى جوعاً ، وتخيل نفسه ممدداً
فى أعماق نخبته على ظهره مغمض العينين ، تدنو
من جثته الفانية كل أنواع الحشرات تلتهمه من
كل جانب وتنساب متغلغلة فى ثيابه لتتال من لحمه
البارد ، وغراب كبير يفقأ عينيه بمتقاربه الحاد فأحس
بالجنون وخاف أن يغى عليه من الضعف فلا يطيق السير
وصمم آتئذ على أن يقصد القرية مسرعاً ، وعزم
على مقاومة كل ما يعترضه دون خوف أو وجل ،

ولكن ثلاثة من الفلاحين بدوا له ذاهبين إلى الحقل متنكبين مساحيهم فغار في مخبئه . ولما أظلم عليه الليل خرج من الهوة على مهل وسلك طريقه محني الظهر واجب القلب قاصداً القصر البعيد ، وفضل دخوله على دخول القرية التي بدت له مخيفة كأنها غار مليء نموراً . وكانت نوافذ القصر السفلي مضادة وإحداها مفتوحة تفوح منها رائحة الشواء رائحة تأخذ طريقها من الأنف إلى البطن دون أن يعترضها شيء ، فتشجع ولهث وجذبت الرائحة دون أن يستطيع مدافعتها ، وصبت في أعصابه جراءة المستميت ، فدنا على حين غرّة من النافذة حتى بدت من الداخل قبعته بوضوح ، وكان في الغرفة ثمانية من الخدم حول مائدة يتناولون طعام العشاء ، فأبصرته خادمة ففترت فاهها ، وأهوت الكأس من يدها ، وجحظت عيناها . فنظروا جميعاً إلى ما وراء النافذة وظلوا شاخصين مخافة هجوم العدو

يا إلهنا ... لقد هاجم البروسيون الحصن ... وكانت صيحة واحدة خرجت من ثمانية أفواه في وقت واحد . صرخة رهيبة هائلة ... صرخة الذعر أعقبتها وثبة عنيفة صارخة وتدافع واختلاط ثم انهزموا مأخوذون مشدوهين وابتعدوا الباب الداخلي ...

تساقطت الكراسي ورمى الرجال النساء ، وصروا عليهن ، وفي ثائنتين اثنتين أضحي المكان خلاً مهجوراً ، وفيه المائدة المملأة بالأطعمة أمام عيني والترشناف الذي دهش مما يرى وهو قائم في شباك . وبعد تردد ثوان معدودة تسور الحائط ، وأقبل على الصّحاف ، وكان يرتجف من جوعه كالمحموم ، ولكن عماء خوف شلّ حركته ، فراح يصني . وبدا البيت كأنه يهتز ويرتجف : أبواب تغلق ،

خطوات سريعة تنتقل على السقف الخشبي . أرهف البروسي القلق أذنيه إلى هذه الأصوات المختلطة ، ثم سمع هدّة مبهمّة كأن أجساماً هوت من الطابق العلوي ثم انقطع كل صوت ووقفت كل حركة وغدا القصر صامتاً كالقبر ! ...

جلس والترشناف أمام صحن لم تمدّ إليه يدٌ وراح يأكل ويأكل بلقم كبيرة كأنه خشي أن يقبض عليه قبل إنهاء طعامه ، وكان يلقي باللّقم بكتا يديه إلى فيه المفتوح كالغار ، وكانت تنزل قطع اللحم واحدة بعد أخرى إلى معدته . فينتفخ بعلومه أثناء مرورها ، وكان أحياناً يتوقف عن الطعام خائفاً أن ينفجر بطنه الذي كان يشبه أنبوباً ممتلئاً ، ويتناول زجاجة البيرة يصب منها في حلقه يغسل زوره كما يغسل مجرى مسدود . أفرغ كل الصّحاف وجميع الزجاجات ثم سكر من الطعام والشراب فتتممر واحمر وجهه وراح يشهق : مضطرب التفكير زفر الفم . وفكّ أزرار بذلته ليتنفس . ولم يكن بوسعه أن يسير خطوة واحدة فأغمض عينيه وتبلدت أفكاره ، ووضع ذراعيه على المائدة وألقى برأسه عليها وفقد حسّه تدريجياً ... ! !

كان الهلال الشاحب يلقي نوره الضئيل على هام الأشجار ، وكان ذلك وقت السّحر البارد ، وكانت الظلال تتمدد في الحرج كثيرة صامتة ، وفي بعض الأحيان كان ينمكس شعاع من أشعة القمر على قطعة حديد أو زجاج ... وكان القصر الصامت جائماً في الظلام لا يضي فيه إلا نافذتان في الردهة !

وفجأة شق السكون صوت عاصف صائحاً : إلى الأمام ... إجموا يا أبناءى . وفي لحظة واحدة تحطمت الأبواب والنوافذ أمام هذا السيل الآتي

من الرجال الذي هم محطاً كل شيء ، وتواثبوا إلى المطبخ حيث يرقد والترشناف بهدوء ، وصوبوا إلى صدره خمسين بندقية ، وألقوه أرضاً ودحرجوه ، وأمسكوا به وقيّدوه من قدميه إلى رأسه وكان يلهث دهشاً . وازداد بلادة فما يفهم مما يحيط به شيئاً ، وتحمل الضربات من أعقاب البنادق مجنوناً من الخوف والرعب ! وجاءه أقبل ضابط ضخّم منزيّن الصدر بالأشرطة والشارات ، فوضع قدمه على صدره وصاح به : أنت أسيرى . سلم نفسك . فلم يسمع البروسى من كل ذلك إلا هذه الكلمة الوحيدة : أسير ! وأجاب بالألمانية مضطرباً : نعم . نعم . . .

فأنهضوه وأوثقوه بالكرسى وفحصه باهتمام كبير هؤلاء المنتصرون عليه الذين كانوا يلهثون كالحيتان ! وجلس منهم كثيرون تملكهم الدهشة وأضنام التعب . وراح والترشناف يضحك واثقاً أنه أصبح أسيراً ! ودخل جندى آخر وأعلن قائلاً : — سيدى الكولونيل ، لقد فرّ الأعداء . ويُظن أن أكثرهم قد جرح . . . لا تزال سادة الموقف ! . . .

فصرخ الضابط الضخم وهو يمسح وجهه قائلاً : « لقد انتصرنا » . . . وراح يخطط في مفكرة صغيرة : « بعد نضال مستميت اضطر البروسيون إلى الهرب حاملين موتاهم وجرحاهم الذين قدّروا بعد المعركة بخمسين رجلاً ، وتبقى كثير منهم بين أيدينا أسرى ! »

وتكلم الجندى الشاب مرة أخرى قائلاً :

— بيم تأمرنى يا سيدى الكولونيل ؟

فأجاب الكولونيل :

— سنحزم أمتعنا ونرحل قبل أن نهاجم ثانية

بمدفعية أقوى وأكبر . . .

وأعطى الأمر بالرحيل .

فتهيأت الفرقة فى الظلام بين جدران القصر ، وبدأت السير بحيلة بالترشناف إحاطة السوار بالعصم ، وأمسك به ستة محاربين أشداء ومسدساتهم فى أيديهم ، وأرسلت طلائع لكشف الطريق ، وتقدم أفراد الفرقة بحذر مستريحين بين آونة وأخرى وبلغوا عند شروق الشمس — مقر نائب بوليس بلدة روش ويزل — التى قام حرسها الأهلى بهذه الحملة العسكرية !

كانت الجموع المحتشدة الهائجة تنتظر ، ولما بُصروا بقبعة السجين تعالت من كل الجهات صيحات هائلة ، ورفعت النساء أذرعهن وبكى الكهول من الفرح ، وقذف أحد الجذود البروسى بمكازه . . . وجرح أنف أحد قائديه ، وكان الكولونيل يزجر قائلاً :

— إسهرُوا على سلامة الأسير !

وبلغوا السجن الذى كان مفتوح الأبواب ، ودفع والترشناف إليه طليقاً من القيود ، ووقف مائتاً رجل مسلحون يحرسون السجن ، وكاد البروسى يجن فرحاً ، وبالرغم من علائم التضمة التى كانت تضايقه أخذ يرقص جذلاً رافعاً ذراعيه وساقيه . وكان يصيح صيحات حادة إلى أن سقط إعياء إلى جانب الحائط . . . لقد سُجن ونجا من آلامه !

وفى تلك اللحظة استرد الأعداء قصر شامبينييه بعد ست ساعات فقط من احتلاله ، وأبلغ الكولونيل « راتبييه » هذا الحادث إلى رئيس الحرس الأهلى فى « روش ويزل » فأنعم عليه بوسام جديد ! وهكذا انتصر الفرنسيون ! . . .

نابى الطنطاوى

« دمشق »

حقاً ... مثله في ذلك مثل
البحر حين يغيب فيه غمرين
الأنهار . ولكنك لن تموتى
هذه الليلة في هذا المكان .
إبحثى لك عن مرقد قد طهره
(شيقا) ناء عن كل الأهل
المصطنعين بعيد عن الجيرة ،
ثم اسبحى فى (الكنج)

المقدس ثلاثاً فى اليوم . هنالك تطرق أذنك - وأنت
ترتلين اسم الله - آخر دقات جرس المساء ؛ فلعل ذلك
الموت وحده ينظر إليك بعين العطف نظرة الأب
إلى طفله النائم ما تزال عيناه رطبة بالدموع ؛ دعيه
يحملك فى صمته الفسيحة كما يحمل (الكنج) زهرة
ساقطة فى مجراه فيفسلها مما يعلق بها من أدران
يرفعها إلى البحر هدية سنوية !

آما - ولكن ولدى ...

فيناياكا - إني آمرك ثانية ألا تذكره
بينت شقة ! وألقى بنفسك تارة أخرى بين ذراعى
الوالد يا بنيّتى مثل وليد حديث عهد برّحم (النسيان)
أمك الثانية

آما - لقد أصبح العالم عندي خيلاً . إني أسمع
كلماتك ولكنى ما أستطيع أن أدخلها قلبي ، فغادرنى
أيها الأب ... أتركنى وحدى ... لا تحاول
أن تمسكنى بروابط حبك ، فإن روابطه هذه قد
حترتها دماء زوجى !

فيناياكا - واحسرتاه ! إن الزهرة التى تسقط
من غصنها لا ترجع إليه أبداً ! كيف تستطيعين
تسمينه (زوجاً) ، وهو إنما اختطفك قسراً من
(جيفاكى) خطيبك الشرعى ؟ لن تبرح تلك الليلة

“آما و فيناياكا”

للشاعر الهندي «طاعور»
بقلم الأستاذ فخرى شهاب السعيدى

(ميدان خرب قد أسبل عليه ظلام الليل الحالك
أستاره . « آما » تلقى أباه « فيناياكا » ...)

آما - أبت !

فيناياكا - أيتها الفاجرة ! يا قليلة الحياء ...
أدعيني (أبك ؟) ... أنت التى لم تفرى من الزوج
المسلم ... ؟

آما - ولو أنك اغتلت زوجى ، فأنت لا تزال
أبى ؛ وإني لأحبس دمع ترملى أن يحل غضب الله
عليك ؛ وبما أنا قد التقينا فى ميدان الحرب هذا بعد
سنى الفرقة فدعنى أبحثنى على قدميك ثم أستأذن
فى الانصراف الأخير

فيناياكا - وإلى أين تذهبين يا (آما) ؟ إن
الشجرة التى بنيت عشك الأثيم عليها قد تجذعت ،
فإلى أين ستلجئين ؟

آما - إن لى ولداً

فيناياكا - انبذيه ! لا تلقى نظرة حب على ثمرة
خطيئة كفر عنها بالدم ففكرى إلى أين ستذهبين ؟
آما - إن أبواب الموت المفتحة لأوسع على
من حب الوالد

فيناياكا - إن الموت ليمحو الذنوب بابتلاعها .

الذى هو أعظم من كل شيء وأطهر من كل شيء ،
حتى أنه تغلب على نفرة دمنا الموروثة من المسلم !
(تدخل « راما » أم « آما »)

آما — أماء ! ما كنت أحسبني أن سأراك
ثانية ! دعيني أعفّر وجهي في تراب قدميك

راما — لا تمسني يداك الفجستان

آما — إنني في مثل طهرك

راما — لمن أسلمت شرفك ؟

آما — لزوجي

راما — (زوجك) ؟ أمسلم زوج برهمية ؟

آما — ليس من حق أن تهزئي بي ، وإنني
لفخور بأن أقول إنني ما امتهنت زوجي ، ولو أنه
كان من المسلمين . إن الفردوس التي وعدتها على
على ولائك لزوجك ستنتظر ابنتك التي كانت زوجة
حقاً .

راما — أنت زوج حقاً ؟

آما — أجل !

راما — فهل تدرين كيف تموتين بعزم وإقدام ؟

آما — أجل أعرف

راما — إذأ فلتوقد لك « نار الإحراق » أنظري
هناك يشوى جثمان زوجك

آما — جيفا كي ؟

راما — أجل جيفا كي ، لقد كان زوجك
تربطك به أقدس المهود وأقواها . إن نيران الزواج
المخمدة قد أضرمتها الله اليوم في هيئة نار الموت
الجائمة ؛ وأن حفلة العرس المعطلة ستستأنف الآن
فييناياكا — لا تصني إلى شيء من ذلك يا ولدي ،

مخيلتي . لقد كنا جلوساً في حفلة العرس ترتقب
مطلع العروس (الزوج) علينا بشوق منتظرين
دنو ساعة السعد تلك ، وإنا لنفي هذا إذ ظهر لنا من
بميد تألق المشاعل ، وسمعنا جلبة الزفاف تملأ الفضاء
فعلت منا الأصوات ابتهاجاً ، وتجاوبت رنات
المحار من أيدي النسوة فرحاً . ثم إن موكباً من
المحفات دخل عرصه الدار ، ولكن بينا كان بعضنا
يسائل بعضاً قائلين أين (جيفا كي) إذ باغتتنا رجال
مسلحون من تلك المحفات كالزوبعة وانزعوك
من بيننا قبل أن نفهم شيئاً عن حقيقة الحال . ثم
قدم (جيفا كي) ليخبرنا بما كان من أمره مع أحد
نبلاء المسلمين من بلاط (فيجاپور) الذي كان قطع
الطريق وألقى عليه القبض ... في تلك الليلة ذاتها
أقسمنا — أنا و (جيفا كي) — بنار الزواج المقدسة
أن تكون لذلك الوغد منا الموته الحمراء !

وبعد الانتظار الطويل نتحرر اليوم من عهدنا
الأقدس هذه الليلة وأن روح (جيفا كي) الذي
استشهد في الميدان لتطلبناك زوجاً شرعية له

آما — أبت ، ربما أكون خارجة على شعائر
بيتك ولكني ما أزال طاهرة الذيل ، نقية الجيب .
لقد أحببته فولدت له ابناً ، ومازلت أذكر تلك الليلة
التي استلمت فيها رسالتين سريتين إحداهما منك
والأخرى من أمي وقد جاء في رسالتك هذا : (إنني
مرسل لك المدينة فاقتليه !) وجاء في رسالة أمي قولها :
(إنني أبعث لك السم لإنهاء حياتك !) ولو كانت
القوة الرجسة قد عبثت بي لأطعت أمركما على وجهيه ،
ولكن جسمي ما كان يخضع إلا لداعي الحب ، الحب

وإنما يتدفق من معين لا ينضب ! هات ابنك عندي
وسنجيا سوية يا ابنتي

راما - إلى أين تذهبين ؟ عودي ! أيها الجند
اثبتوا في إخلاصكم لسيدكم (جيفاكى) وقوموا
بآخر واجب مقدس له عليكم .

آما - أبتاه !

فيناياكا - أطلقوها أيها الجند فإنها ابنتي .

الجند - إنها أرملة سيدنا .

فيناياكا - إن زوجها وإن كان مسلماً غير أنه
كان صلباً في عقيدته .

راما - أيها الجند راقبوا هذا الشيخ .

آما - آتحدأك يا أمى وآتحداكم أيها الجند !
لأننى سأنال حريتي بفضل الموت والحب ! ...

فخرى شهاب المعبرى

بل عودي إلى ابنك .. إلى عشك الذى خيمت عليه
الأحزان . إن واجبي قد أنجز فى نهاية القسوة ولم
يبق لك من شىء تصنعين . وأنت أيتها الزوج
إن الكمد لا يغنى شيئاً . فلو أن الفضن الذى انتزع
من نبتتنا قسراً قد ذوى لكنت أطعمته النيران ،
غير أنه قد نشر عروق الحياة فى تربة جديدة فهو ينتج
الثمر ويخرج الزهر . دعها - غير نادمة - تطع قوانين
من كان فيهم حبها . وهلم - أيتها الزوج - فقد حان
الوقت لنفصم كل علاقاتنا بالعالم ، ونمضى الباقى من
عمرنا فى عزلة معبد حجاج آمين

راما - إني مستعدة . غير أن علينا أن نسحق
فى الترب كل نابتة من ذنب أو عار مما جاء من أرض
حياتنا . إن عار البنت يزرى بشرف أمها . . . إن
العار المنكر سيسغم النار المتقدة فى هذه الليلة ويبعث
ذكر امرأة صادقة ترف فوق رماد ابنتي

آما - إنك حين توحدين بينى وبين شخص
غريب لم يكن زوجى بالموت ستستزلين عليك اللعنة
بتدنيسك حرمة إله الموت الأبدى

راما - أضرموا النار أيها الجند ، أحيطوا بالفتاة

آما - أبتاه !

فيناياكا - لا تخافى ؛ واحسرتاه يا بنيةتى ! على
أنك تستنجدين أباك لينقذك من يدى أمك !

آما - أبتاه !

فيناياكا - تعالى إلى يا ولدى الحبيبة ، فهذه
الشرائع التى ترين ليست سوى نتاج عنجهية الإنسان
تتلاطم تلاطم الأمواج على صخرة الغرض السماوى ،
فحب الأب يشبه مزن الله . إنه لا يبدى حكماً

ظهر حديثاً

فرعون الصـغير

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ

محمود تيمور

يطلب من مكاتب القطر الشهيرة

ومن النسخة ٨ قروش

خَشِينَا الْهَفْلَ

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

ولكنها اضطرت في اليوم التالي
إلى الخروج لشراء بعض لوازم
الثياب .
وخرجت على عجل لتعود سريعاً
وقبل خروجها أعطت زوجها
كتاباً ليتسلى بتصفحه ريثما تعود .
وأعدت له الدواء على منضدة بجانب
السرير وودعته وهي تقبله .

وكان الحانوت الذي ذهبت إليه شديد الزحام ،
به نساء من جميع الأعمار والأحجام والطبقات .
وكانت روزينا منحنية لتشاهد السلع في أحد
الأدراج ذات الأغشية الزجاجية حينما أحست بيد
في داخل قفاز تلمس عنقها فنظرت إلى أقرب امرأة
منها ، ووجدت عجوزاً في ثياب الحداد تبدو عليها
علامات الفقر والحزن ، وعلى معطفها آثار الغبار من
القدم . وخطر خاطر فجأى بذهن روزينا فوضعت يدها
على عنقها لتستوثق من أن العقد لا يزال به ولكن
ما أهول الأمر ! إن العقد لم يكن به .

ونظرت إلى العجوز التي كانت بجوارها فوجدتها
تمشي نحو الباب ، فأسرعت نحوها وتشبثت بثيابها ،
وقالت بصوت منخفض ولكن مع صرامة في الطلب :
« هاتي العقد فلا فائدة في الادعاء بأنك بريئة . إنني
واثقة من أنك أخذت عقدي اللؤلؤي »

قالت العجوز بصوت يشبه البكاء : « ما الذي
تعنين ؟ إنني لا أعرف شيئاً عن عقدك » فأصرت
روزينا على لهجتها وقالت بصوت أعلى من صوتها
الأول : « إنني شعرت بيدك وهي تأخذه من عنقي »
قالت العجوز : « هذه أكذوبة فإني لم آخذ

أهدى « تومي دايسون » إلى زوجته « روزينا »
عقداً من اللؤلؤ

وكانت روزينا قد أشارت له من قبل إلى أن
أحسن هدية تهدي إليها بمناسبة عيد ميلادها هي عقد
لؤلؤي يعتبر الحصول عليه نوعاً من الادخار لأنه
يحتفظ بقيمته فضلاً عن استعماله للزينة

وكان زواجهما منذ عام ، وكان الزوج متفانياً في
حب زوجته ولا يتخير لها غير الأفضل من كل شيء
ونظرت روزينا في قوائم الأسعار (الكتالوجات)
التي يصدرها تجار المجوهرات فعرفت أن قيمة العقد
تتراوح بين ثمانمائة جنيه وألف جنيه ، ولكنها كانت
تزدان به كلما خرجت إلى السوق وتبتسم كلما نصح
زوجها لها بتركه في المنزل خشية سرقة منها وهي
في السوق . ولكنه كان رغم هذا الابتسام يتنبأ
بفقدته في يوم من الأيام ويكرر من نصحه لها فتجيبه
متحدية : « إن كل النساء يترين بعقود اللؤلؤ
ولا أرى لهنداي وسماً بغير هذا العقد

وفي يوم من الأيام غاب تومي عن عمله في أجازة
مرضية لأصابته بنوع خفيف من الحمى . وكان
أشهى شيء إلى نفس روزينا أن تلتزم المنزل
مدة وجوده فيه لتسليه وتمينه على تحمل المرض .

عقدك » فقالت روزينا : « لا معنى للمكابرة هنا
فإني سأدعو البوليس لاعتقالك وتفتيشك »

ووضعت المعجوز منديلها على عينيها وبكت بكاء
الطفل الصغير وقالت : « أتوسل إليك ألا تفعل !
إنني غير سارقة ولكنني في حالة فقر شديد ، وكان
الإغراء فجائياً لم أستطع مقاومته »

ثم أخرجت من حقيبة يدها عقداً لؤلؤياً وسلمته
إلى روزينا ، فأظهرت روزينا عطفاً شديداً على المعجوز
وأعطتها كل ما معها من النقود ثم أطلقت سراحها
وعادت إلى المنزل وهي تقول : « لقد كاد يضيع
العقد ويجب أن أكون في المستقبل أشد حرصاً
وأن أنصاع إلى نصائح توى . إنني حين أخبره

بما حدث اليوم سيحبيني بقوله : « لقد كنت دائماً
أحذرك من ذلك »

وكان توى لا يزال نائماً في فراشه وفي يده لفافة
من التبغ فلما رآها قال : « أشكرك يا عزيزتي
أشكرك على سماع نصيحتي اليوم »

قالت روزينا : « ما الذي تعنيه ؟ » فقال :
« لماذا ؟ ألا تذكرين ؟ » ثم أشار إلى المنضدة وقال :
« ... على تركك العقد اللؤلؤي هنا فقد رأيته بعد
نزولك »

وهكذا كان العقد الآخر الذي حصلت عليه
روزينا غير عقدها ، وقد سلمته لها المعجوز خشية
الانتهام ...
عبد اللطيف النشار

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

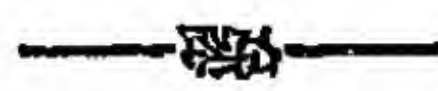
هو أول كتاب في اللغة العربية عالج النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يعني القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً
وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط
وتمنه ١٢ قرشاً خلافاً أجره البريد

يرتبط من إدارة الرسالة

ليلي المريضة في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلي بين القاهرة
وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ،
ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع
وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق .



يقع في ثلاثة أجزاء
وعمن الجزء ١٢ قرشاً
ويرتبط من المكتبات الشهيرة في البلاد العربية

الغزلاء الثلاثة

للكاتب الانجليزي توماس هاردي
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

هذا الكوخ وأسرته ، كانوا
كثيراً ما يألون لما يصيبهم
هنا في هذه العزلة فما يجدون
شيئاً ينفسون به عن أنفسهم
سوى أن يتشكوا لذعات البرد
وآلام الصدر ، ثم هم يتمنون
أن يستطيعوا فيعيشوا هناك
في السهل إلى جانب النهر

لقد كانت أمسية يوم ٢٨ مايو سنة — ١٨ ليلة
تثير في القلوب الرحمة والشفقة ؛ فالأمطار تهطل
مدراراً تصفع جوانب الجدران وتتدفق من فوق
المنحدرات ؛ والأعاصير تهب عاتية وتصفر صغيراً
ينخلع له القلب ؛ وقطعان الضأن والماعز تقف في
العراء لا تجد من دون ذلك سترأ ؛ والراعي فينيل
يندب حظه التمس في ليلة هي ليلة تعميد ابنته الثانية
وميلادها في وقت معاً ، وأصدقاؤه يتوافدون عليه
زمرأ زمراً يلبنون دعوته

لا ضير ، فالضيوف قد بلغوا المسكان قبل أن
يبيت الغيث بأول قطراته ، واجتمعوا في بهو الدار
لا يستشعرون مما وراء الجدران من شيء . وفي البهو
شموع كثيرة متناثرة في أنحائه ، ثم الموقد وقد
تأججت فيه نار ترسل « بين الحين والحين » فرقات
هينة ضعيفة كأنها ضحكات من به رجفة

تسعة عشر يضمهم البهو بين جدرانهم : خمس
نساء تزين في أبهى حلل وجلسن في هدوء على
كراسي بإزاء حائط ، وجماعة من الأطفال ، وأربعة
رجال بينهم شارلي جاك النجار ، وإليجانو كاتب
البئعة ، وجون يتشر بائع اللبن وجون الراعي ... ثم فتى

ما يزال الريف الإنجليزي يتسم بسبات لا تستطيع
يد الدهر أن تعبت بها إلا قليلاً قليلاً : فتلك هي
المراعي من الكلا والحشائش التي كانت منذ زمان
ما تبرح تغطي مساحات واسعة في الجنوب والجنوب
الغربي من الجزيرة ، وتتناثر في ثناياها أكواخ منعزلة
ياوى إليها الرعاة ، هي مساكنهم لا يجدون عنها
متحولاً ...

ومنذ خمسين سنة خلت كان في صميم الريف
الجنوبي كوخ يبعد عن المدينة بمسافة خمسة أميال
فقط ؛ ذلك هو كوخ (هابر كروستيرز) . ولم
تكن هذه المسافة ضئيلة والطريق مُعورٍ صعب يرقى
في حزن من الأرض تغطيه الثلوج والأوحال شتاء ؛
فإذا هبت نسيم الربيع والصيف بدا وسط جمال
يجذب إليه الفلاسفة والشعراء والفكرين ممن يحلو
لهم أن يستمتعوا بجمال الطبيعة عن كثب

ولقد شُيد (هابر كروستيرز) على نَشْر من
الأرض ليكون قبلة الغادي والرائح ، لا يستجن
من تقلبات الأرض بجنة ؛ غير أن الرياح وهي تسفحه
كلما هبت هوجاء شديدة ، والأمطار وهي تصدمه
كلما انهلت متدفقة هتانة ، لم تكن بأقسى عليه منهما
في بطن الأرض ؛ ولكن الراعي فينيل — صاحب

وفتاة يجلسان في زاوية يرقبان ما يكون في لذة وشغف ، ورجل عند الخمسين يضطرب بين القوم في إثر خطيبته الشابة . وشمل المكان سرور ونشوة فانطلقت كل نفس على سجيته تلمس الطرب واللذة في كل ما ترى

لقد تزوج الراعي فينيل من فتاة ذات ثراء هي ابنة جون بيتشر الذي يعيش في الوادي ، صحبت معها خمسين جنبها ادخرتها لتسد بها خلة إن هي عرضت ، وهي فتاة مدبرة مارست أخلاق الناس ، فهي تعلم أن القوم — في مثل هذا الحفل — ينقسمون إلى شطرين : القوم الجالوس وهم يجدون في أنفسهم الميل إلى الشراب يجددون به نشاطاً يستلّه طوله البقاء في مكان واحد ؛ والذين يتراقصون وهم إن زعوا عن الشراب حيناً فإن نفوسهم تهفو نحو الطعام ... ولقد كان يفرع السيدة فينيل أن ترى نهم القوم في الشراب والطعام ، فأوحت إلى الموسيقيين أن تكون أشواط الرقص قصيرة تتخللها فترات من الحديث والغناء ، تريد أن تشغل القوم عن أن يندفعوا في الطريق الآخر وزوجها قد سيطرت عليه حمى الكرم

وكان العازف على القيثارة صديقاً عند الثانية عشرة من عمره فيه الرشاقة والخفة يعزف على قيثارته في مهارة وإتقان ... وابتدأ الصبي يعزف أول لحن عند الساعة مساء وبرفته إليجانو كاتب البيعة وكان قد صحب نايه الحبيب إلى نفسه ، وابتدأت أشواط الرقص قصيرة والسيدة فينيل لا تنأى عن الموسيقيين إلا ريث تنفلت إليهم ... غير أن الصبي وإليجا اندفعا لا يلتقيان بالآ إلى أمر السيدة .

وقد نفح أوليفر جيلز — أحد الراقصين — الصبي بقطعة ذهبية ليندفع في العزف فيستطيع هو أن يظفر بدقائق يقضيها بين يدي صاحبتة ؛ وهال ربة الدار ما رأت فانطلقت تمسك بذراع الصبي وتسد طرف الناي بيدها الأخرى فما أمسكا ... وخشيت رغباً الأمر إن هي اندفعت على غلوائها ، فانتحت مكاناً قصياً يتعاورها الأسي واليأس ... ثم سرت حميماً اللحن في نفوس القوم فاهتزت أعطافهم وماج البهو بالناس ساعة من زمان

وينتلك الحوادث الجميلة تعاقب في قلب الدار كانت حادثة أخرى تنسج خيوطها في ضمير الليل على بضع خطوات ، فعلى حين كانت السيدة يزعمها أن ترتفع نغمات الموسيقى في جنون النشوة كان شبح يسرى نحو التل في غير أناة ولا مهل ويقرب من المنزل رويداً رويداً

هذا هو البدر يتكبد السماء لا تستطيع السحب المتكاثفة أن تمنع ضوءه أن يكشف عن رجل يدب الطريق وقد جاوز سن الشباب والنشاط ، غير أنه ما يزال متمسكاً قوى العضل طوالاً ، يرتدى لباساً وحذاء عاتت فيهما يد الأيام

لقد بلغ هذا الساري المنزل والمطر يتدفق في شدة وعنف ، فعرّج على زريبة خاوية عند طرف حديقة الدار ... عرّج عليها يلتمس فيها ملجأ ، وحين اطأ ن به المكان سمع رنات الموسيقى تتصاعد شجية من قلب المنزل فتختلط نغماتها بصوت قطرات المطر وهي تتساقط على أوراق الكرنب ، وعلى خلايا النحل المرصوفة على حيد الطريق ... ثم خفت الصوت ، وساد المكان صمت رهيب ، فهب الرجل من مكانه يذف صوب الباب ، وهم يريد

غير أنى سأبذل جهد الطاقة لأكون أحسن حالاً»
 قالت الزوجة : « أفأنت من قريب ؟ » قال :
 « لا ، إن قريتي في الشمال » قالت : « لقد تحدثت
 إلى لهجتك بذلك ، فأنا الأخرى من الشمال » ، ثم
 راح يدفع عن نفسه سيل الأسئلة الذي حاولت
 أن تمطره به الزوجة ، ثم انطلق في حديثه « ... غير
 أن شيئاً واحداً يبعث في روح السرور ... ذلك
 أن أجده قليلاً من التبغ ، فأنا لم أطعمه منذ
 زمان » فقال له الراعي : « لا ضير ، فأنا أملاً لك
 غليونك » فقال له الغريب : « إنني لا أجده بدءاً
 من أن أسألك غليوناً أيضاً ، لأن غليونى سقط
 وأنا في طريقي إلى هنا » فلأله الراعي غليوناً وناولوه
 إياه وهو يقول : « إذن أعطني كيس تبغك لأملأه
 لك » فأخذ الرجل يفتش في جيوبه في اهتمام فقال
 له الراعي : « لعله فقد هو الآخر ! » قال الغريب :
 « إنني أخشى ذلك » ثم أشعل غليونه من شمة
 إلى جانبه ، وراح يدخن في صمت لا يريد أن يعكره
 بحديث وقد علقت عيناه بالبخار المتصاعد من رجلية
 المبتلئين ...

وانشغل القوم عن هذا الغريب حين اندفعوا
 في جدال عنيف لا يتناول إلا اللحن الذي يعزف
 للرقصة القادمة ، وحين أجمعوا أمرهم على لحن هموا
 يريدون شيئاً لولا أن طارقاً دق الباب . وسمع الغريب
 الأول صوت الطرقات وهو إلى جانب الموقد فراح
 يبعث في نار الموقد كأن شيئاً لا يعنيه ، وارتفع صوت
 الراعي الأجش من أقصى المكان : « ادخل ! »
 ودلف غريب آخر ...

لقد كان هذا الغريب يختلف عن الأول اختلافاً

أن يطرقه . تلبث ريثما ينظر من خلال ثغرة الباب
 ليرى وليتخذ لنفسه دريئة يدفع بها سيل الأسئلة
 التي خالها ستصوب إليه من كل ناحية .

وظلّ في مكانه زماناً ينظر من خلال الثغرة
 فلا يرى شيئاً ، وينظر إلى وراء فلا يستشف إنساناً
 ثم طرق الباب في هوادة والقوم يتحدثون بعد ساعة
 من رقص وسماع ... وصاح رب الدار « ادخل ! »
 ففتح الرجل الباب في رفق وتقدم خطوة ، وراح
 الراعي يحرق في الضيف ، فإذا رجل أسمر اللون
 يرخي طرف قبعته على وجهه غير أن عينيه تبدوان
 واسمتين حادتين تنفضان المكان نفصاً سريعاً ، ثم
 ارتسمت على وجهه سمات البشر فرفع قبعته عن
 شعر جمعدكت ، وقال في صوت أجش : يا رفاقي ،
 إن المطر يتدفق في غير رفق ولا هوادة ، فدخلت
 لألتمس الراحة والاستجمام هنا . فأجابه الراعي : « لا بأس
 فأنت ذو حظ عظيم لأن القدر ساقك في ساعة
 جميلة لا تكون في السنة إلا مرة واحدة » قال الرجل :
 « وماذا عسى أن تكون هذه الساعة ؟ » فأجابه
 الراعي : « هي عيد ميلاد ابنتي »

وانطلق الرجل صوب الموقد ، وهو يقول :
 « سأخذ مكاني بإزاء الموقد لأن ملابسي قد بللتها
 الأمطار » ، والأبصار من حوله ترمقه بنظرات
 فيها الشك والريبة . وأفسحت السيدة فينيل للطارق
 مكاناً فجلس إلى جانب الموقد وأرسل يديه ورجليه
 في غير تحرّج ، ثم أخذ يتحدث إلى السيدة فينيل
 في صراحة حين رأى عينها تحدقان في حذاءه البالي :
 « نعم ، لقد تمزق حذائي وأنا لا أجده فضلة من مال
 فلقد عرّكتني الفاقة في أيامي الأخيرة فما استطعت
 إلا أن ألتقط ما أجده من اللباس ملقى على الطريق ،

الزوجة في فتور: «نعم، وإن عمله ليتطلب مجهوداً كبيراً... وفي الحق إنني لا أستطيع أن أعد غيره لأن شيئاً من العسل لم يبق لدينا» فقال الغريب الثاني بعد أن أتى على صباغة كانت في غور القدح: «إنني أغرم بهذا الرحيق المخمر كما أحب أن أنطلق إلى كل الكنيسة في أيام الآحاد، وكما أهوى أن أسد خلة الموز أنى عرضت (ورن صوت الغريب الأول ها، ها، ها)»

وبدا أثر هذا الشراب على الغريب الثاني فتمطى على كرسيه ونشر ذراعيه ورجليه وهو يقول: «نعم، نعم! لقد كان عليّ أن أكون الآن في كاستربردج غير أن الطرحال بيني وبين بغيتي ثم دفعني إلى داركم لأجد هنا لذة» قال الراعي: «أنتقيم هناك» قال: «لا، ولكنني سأملك قليلاً» قال الراعي: «لعلك في تجارة!» قالت الزوجة: «لا، فأنا أرى على السيد أثر الثراء» قال الغريب: «لا، لست غنياً كما تقولين يا سيدتي، فأنا أعمل جهد الطاقة، وإذا بلغت كاستربردج عند منتصف الليل فسأبدأ عملي عند ابتسام الصبح» قالت الزوجة: «مسكين! فأنت تبدو غير ذلك» قال الغريب: «لا جرم، فتلك طبيعة عملي، ولا بد أن أنطلق الآن إلى حيث يناديني عملي، فهل لي أن أطلب إليكم قدحاً آخر من الشراب قبل أن أبدأ السير؟» فأجابته الزوجة: «هاك قليلاً». فرفض الرجل قائلاً: «لا، فأنا لا أريد أن يفض هذا المنع مما لمست في أول الأمر من عطف وكرم» قال الراعي: «نعم، فنحن لا نحفل هذا الحفل كل يوم» ثم انطلق إلى مكان مظلم تحت السلايم ليلاً القدح من برميل هناك، وانطلقت الزوجة على أثره تحذره في مأمن من كل أذن: «لماذا

يتنأ، فهو يبدو حقيراً، وفي سمات وجهه أنه أفاق صرح يكبر الأول بسنوات، أبيض الشعر، كث الحاجبين، يتدلى شعر سالفه على خديه، فيه القوة والنشاط. وحين دخل خلع معطفه عن سترة رمادية أنيقة وراح ينفذ عن قبعته قطرات الماء العالقة بها وهو يقول: «لا بد، يا صحابتي، أن أجد مأوى أو ينفذ الماء إلى جسمي قبل أن أبلغ كاستربردج» فقال له الراعي: «خذ قسطك من الراحة يا سيدي في اطمئنان»

لم يكن الراعي فينيل كزاً شحيحاً؛ غير أن الغرباء كانوا يبعثون في نفوس القوم شيئاً من الاشمزاز والضيق في ساعات اللهو والطرب، وإن الأطفال والنساء لينفرون منهم خشية أن يصيب ملابسهم الزاهية المتأنقة بعض البلل فيطغى من جمالها

خلع الغريب الثاني معطفه وقبعته ثم جلس في أقصى النضد، هناك إلى جانب الأول، بعد أن حيا كل منهما صاحبه بإيماء بسيطة. وحين اطمأن الثاني في مكانه ناوله الأول قدحاً كبيراً من الرحيق زينتها نقوش كثيرة بينها الكلمات:

لا سرور ولا طرب

إلا أن أكون أنا

فتناولوه وراح يشرب في شراهة فزعت لها زوجة الراعي وهي تعجب من جرأة هذا الرجل غير أن هذا الغريب التفت إلى الراعي يقول: «لقد كنت أعلم ذلك، فأنا حين ألفت خلايا النحل لدى باب الحديقة حدثتني نفسي بأنه حيث يوجد النحل يوجد العسل، وحيث يوجد العسل يوجد هذا الرحيق؛ ولكنه ما كان يجول بخاطرى أن أستمتع بمثل هذا الرحيق في سني شيخوختي» ثم علّ بعد نهل، فأجابه الراعي: «أفيسرك ذلك؟» فقاطعهما

تفعل ذلك وهو قد شرب قدحاً كبيراً يكفى رجالاً
كثيرين فما قنع ، وهو غريب لا تعرفه ، ولعمري
فأنا أستشعر له الكراهية والمقت « قال الراعى فى
رفق : « وماذا يضيرنا إن حبونا به قدح آخر فى عيد
تعميد ابنتنا ، ثم هو ضيفنا يا عزيزتي . والليل ليل
قر والسما قد فتحت أبوابها بماء منهمر » قالت
فى غيظ : « ولكن من عساه أن يكون هو فيجلس
إلينا فى غير تخرج ؟ » قال : « لست أدري وسأسأله »
وبينا كان الغريب الثانى يرتشف هذا الرحيق
الز ، كان الراعى يسأله عن أشياء وهو صامت
لا يجيب ؛ فاندفع الغريب الأول يقول : « إنه
لا يضيرنى أن يعرف كل إنسان صنعى ، فأنا صانع
عجلات » . قال الغريب الثانى : « وأنا لا يضيرنى
أيضاً لو أن الحدس يرقى إلى عملى » . وقال شارلى
جاك النجار : « إنك تستطيع أن تنبئ عن صنعة
الرجل إن أنت دقت النظر فى أصابعه ويديه ، فهذه
أصابعى فيها آثار المسامير واضحة جليلة » . وأخذ
الغريب الأول يختلس النظرات إلى أصابعه وهو
يداعب غليونه ، والغريب الثانى يجيب النجار :
« حقاً ، غير أن صنعى لا يبدو أثرها على بقدر
ما يبدو على زبائنى » وبدأ حديث الغريب الثانى أحجية
لا يستطيع العقل أن يكشف عنها

وضاقت السيدة فينيل بهذا الجدل ذرعاً فانطلقت
تلتمس فى الموسيقى ترفيهاً ، ولكن المغنى كان مكدوداً
وقد نسى الصبى أول مقاطع اللحن ، غير أن الغريب
الثانى رفه عنهم حين طلب إليهم أن يغنيهم هو ، ثم
ابتدأ يردد فى صوت شجى :

إن صنعى نادرة

يا أيها الرعاة البسطاء

إن صنعى هى مما يرى العين
لأن زبائنى أوثقهم فى قرن وأرقى بهم إلى أعلى
ثم أدفعهم إلى البلاد النائية
لقد كانت الحجرة فى صمت عميق والصوت
يرن فى أرجائها عذباً حتى بلغ المقطع الأخير فراقه
فيه الغريب الأول فى نغم موسيقى جميل ، ولكن
أبصار القوم كانت قد تعلقت بالرجل وقد استولت
عليهم الدهشة : أكان الرجل يغنى فى سنى شبابه
فهو يردد أغنية قديمة ، أم هو قد صنع هذا الصوت
لساعته ؟ واضطربت الفكرة فى رءوس الناس جميعاً
سوى الغريب الأول ، فلقد قال فى هدوء : « لحن
آخر أيها السيد ! » فاندفع الرجل يغنى :

إن آلاتى هى مما يعرف الناس

يا أيها الرعاة البسطاء

إن آلاتى هى مما يعرف الإنسان
هى حبل صغير من القنب ، وعصا تتذبذب .

تلك آلاتى التى أحتاج

وانجلى الشك ، فلقد كان هذا جواب اللحن
الأول . وراح الجمع يتساءلون فى همس : « أوه ،
إنه ... سيكون غداً فى سجن كاستربريج ، إنه
لص غنم ، إنه هو صانع الساعات الفقير الذى كان
يعيش فى شوتسفورد ، هو تيموثى سومرس الذى
كانت أسرته تعيش فى شظف فاغتصب - رآه
الضحى - شاة بعد أن غلب الراعى وزوجته وابنه
على أمرهم . والآن لقد هفأ نحو هذه الناحية ليجترم
هنا مثل ما اقترف هناك ... »

وأحس الغريب الثانى الممسات تضطرب حواليه
فما أعارها التفاته ، ثم انطوى على الغريب الأول
يحده لأنه كان يشاركه مراحه وأغنياته ، وشخصت

الشجر ، وإلا صوت نفثات الدخان ينفخها الرجل الجالس إلى جانب المدفأة .

وتصرمت ساعة من زمان ثم دوى في الجو صوت طلق نارى ، ارتفع من ناحية المدينة ، فهب الغريب الثانى من مكانه صائحاً : « يا لله » وصاح جماعة : « ما هذا ؟ » فقال الغريب الثانى : « إن سجيناً قد فر ، وليس سوى ذلك ! وإننى أخشى أن يكون هو الرجل الذى كان هنا منذ دقائق ! » قال الراعى فى أناة : « لا ريب فهو ... هو الرجل الذى اضطرب حين رآك وسمع أغنيتك » ، وانطلق كل واحد يعلق على كلام الراعى غير أن طلقاً آخر ربط على قلوبهم فألقى بهم فى قرارة صمت عميق .

وتكررت الطلقات فانتفض الغريب الثانى من مكانه يسأل فى صوت أجش : « هل هناك شرطى ؟ إذا كان هنا واحد فليقدم خطوة إلى الأمام ! » فتقدم الرجل ذو الخمسين وهو يرتعد ويقول : « أنا يا سيدى ! » قال : « إذن فانطلق على آثار المجرم القار ... انطلق أنت وبعض زملائك وعدّ به إلى هنا فهو ما يزال قريباً منا » قال المعجوز : « سأفعل يا سيدى بعد أن أحضر هراوتى » قال الغريب الثانى : « هراوتك ؟ إذن سيفر المجرم فلا نستطيع أن نعثر عليه ! » قال المعجوز : « ولكنى لا أستطيع أن أتقصص الجانى دون أن أصحب عصاى وهى كل سلاحى » قال الغريب الثانى وهو يحدث القوم : « الآن وأنا جندى من جنود الملك ، آمركم جميعاً أن تصحبونا ، نعم فليقم معنا كل من يستطيع الذهاب باسم القانون »

وهب الجميع يطلبون الطريدة ، وفى أيديهم المصاييح ، خيفة أن يندس فى غمار الظلام فيفلقهم

الأبصار إلى الرجل وهو يهيم أن يغنى لحناً ثالثاً غير أن دقائق خافتة اخترقت مسامع الحاضرين ...

واستولى الرعب على الجمع ، ورمى الراعى الباب بنظرة وهو يقول : « أدخل ! » وانفتح الباب فى هدوء ودلف غريب ثالث ... لقد كان قصيراً ضئيلاً فيه الجمال والأناقة ؛ وردد بصره فى أنحاء البهو وهو يقول : « أفيستطيع واحد منكم أن يدلنى على الطريق إلى ... ؟ » ووقع بصره على الرجل الذى يغنى مندفعاً لا يلوى على شيء والناس من حوله يموج بعضهم فى بعض :

إن غداً هو يوم عملى

يا أيها الرعاة البسطاء

إن غداً هو يوم عملى

لأن غنم الفلاح قد سلخت ، ولكن الصبي الذى سلخها قد اختفى

وولى روحه رحمة من الله !

واندفع الغريب الأول يردد المقطع الأخير وهو يلوح بكأسه كأنه يوقع نغم اللحن ...

كل هذا والغريب الثالث لدى الباب لم يبرح مكانه ، ولم يشم حديثه والقوم يرمقونه بالنظر الشرر لأنه بدا جباناً متخاذلاً ينتفض كمن تمرّكه الحمى ، وقد اصفر وجهه ، وخارت قوته ، وتعلق بصره بالغريبين حيناً ، ثم ... ثم ارتد على عقبيه وطار ..

لشد ما عجب الراعى حين رأى الرجل يضطرب ثم ينفلت من بين أيديهم ! فقال : ماذا عسى أن يكون هذا الرجل ؟

وتوزعت هذا الناس خواطر سوداء متناقضة ، وساد البهوسكون فما تسمع إلا قطرات المطر المتساقطة على خشب النوافذ ، وإلهبات النسيم تداعب غصون

وتدافعوا نحو الباب وقد هداً المطر قليلاً قليلاً
وعلى حين فجأة فزعت الطفلة التي يحتفلون بعيد
ميلادها، وهزت الصرخة النساء جميعاً فانطلقن إلى
حيث الطفلة في الطابق العلوى وخلفن الهو من
ورائهن خلاء

هدأ المكان إلا من وقع أقدام الجماعة تتلاشي
في ضمير الليل وتبتعد عن المنزل رويداً رويداً ،
وإلا من وقع أقدام الغريب الأول يدلف في بطن
وحذر إلى البهو ليلتهم الطعام والشراب في شراهة
وجشع .

ولبت غير بعيد فإذا صاحبه الغريب الثانى يدلف
إلى البهو ؛ وبدت سمات الدهشة على وجهه حين
رأى الغريب الأول بإزاء النضد يطعم ويشرب ،
ثم قال فى هدوء وهو ييسم « لقد كنت أظنك مع
الجماعة . لقد رجعت حين تراءى لى أنهم سيؤدون
عملهم فى دقة وإتقان . ثم إن الليلة غرباء ممطرة
وأنا لا أريد أن أرهق نفسى بما لا تستطيع عليه
صبراً بين هذه الصخور الصعبة » قال الغريب الأول :
« لا جرم ، فهم سيكفونك مئونة التعب والضنى »
قال الغريب الثانى : « حقاً ، وإن الطريق من
هنا إلى كاستربردج سيبلىج بى الجهد قال الأول :
أما أنا فببببب هناك . وإنه ليخيل إلى أنه سينالنى الآن
حين أحاول أن أبلغه قبل ميعاد النوم ثم سار
صوب الباب وإلى جانبه صاحبه يودعه فى حرارة
انتشر القوم فى كل مكان ينقبون عن المجرم
الهارب فى غير دقة ولا نظام ، فالتفتوا يفتشون
عن الجندى عليهم يجدون منه المعونة فما وجدوه
فانشعبوا بدداً ، ثم أعياهم الجهد ، فلموا شعهم وأطفأوا

المصاييح لأنها تم عليهم أنى ساروا ، وراحوا
يفتشون فى الناحية الأخرى ، ثم وقفوا قبالة شجرة
باسقة هناك أقفرت الأرض إلا منها ، وخيل إليهم
أن شبحاً لاصقاً إلى جذعها فانطلق الشرطى
إليه يهدده : مالك أو حياتك ! غير أن جون بيتشر
همس فى أذنه : لا ، لا تقل هذا فتلك ألفاظ
السفاكين والمجرمين ، أما نحن فنحارب بقوة القانون ،
قل له : سلم نفسك أيها السجين باسم الإله وباسم
الملك !

وبذا الرجل الواقف إلى جانب الشجرة فى ذهوله
حائراً كأن لم يستشعر وجود القوم إلا فى هذه
اللحظة فدلف إليهم فى بطن ليروا فيه الغريب الثالث
ثم قال فى رزاة : نعم ، لقد سمعتم تتحدثون عنى
فأجابه الشرطى فى حدة : نعم ، الآن أنت سجيننا
ونحن نقبض عليك لتلقى فى سجن كاستربردج
فتذوق وبال أمرك فى الصباح الباكر . ثم التفت
إلى رفاقه وهو يقول : يا رفاق لبببب هذا الفار ؟

وسمع الغريب الثالث التهمة فى صمت ، وأذعن فى
هدوء ، فساقوه إلى الكوخ ، وهناك وجدوا ضابطين
من ضباط سجن كاستربردج ونائباً كانوا قد استشعروا
فرار السجين فانطلقوا على أثره فانتهى بهم المطاف إلى
هذا الكوخ

ودخل الشرطى يعلن القبض على السجين
الهارب ، ثم التفت إلى وراء وقال : يا رجال
هاتوا سجينكم ! . فدخل الغريب الثالث ، وحدق
ضابط فى الرجل فى دهشة وهو يقول : من عسى
أن يكون هذا الرجل ؟ . فأجابه الشرطى :
إنه هو السجين . فقال الضابط : لا ... أبداً ...
ليس هو ! . فذهل الشرطى وقال : كيف لا !

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زياتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

ثم راح يقص القصة كلها ... فقال الضابط
في فتور : ألا تفهم ؟ إنه ليس هو ! ... ثم ابتداً
يصفه في دقة ويؤنب الشرطى على أن أخطأ ؛
فقال الشرطى في حيرة : يا لله ! إنه هو الغريب الأول
الذى كان جالساً إلى جانب الموقد . قال النائب : هذا
جميل ، وعليكم الآن أن تبحثوا عنه في كل مكان

وأخذ الرجل المقبوض عليه يتكلم لأول مرة
حين هنّاه ذكر الغريب الذى كان جالساً لدى الموقد
أكثر مما هنّاه جميع الحوادث الماضية فقال :
« ياسيدى ، إننى لم أقترف جرماً سوى أن الهارب
هو أخى ، ولقد برحت دارى فى شاتسفورد عند الظهر
لأبلغ سجن كاستربرج فأودع أخى ، ولما جنّ على
الليل عرّجت على هذه الدار أسأل الراحة والطريق
معاً ، فلما ولجت الباب ألفت أخى هنا حراً بعد أن
كان يتراءى لى أنه فى كاستربرج فى قفص الاتهام ،
لقد كان هنا إلى جانب الموقد ، وإلى جانبه الرجل
الذى انطلق يتقصصه ليستل روحه من بين جنبيه
وهو يقنى فى طرب ولا يعلم أنه إلى جانب فريسته .
ونظر إلى أخى نظرات فيها حديث طويل وعيته كله
فانطلقت لا أعقب ... » وكانت سمات الصدق
والجد تبدو واضحة فى رنات صوته ، ثم ساد المكان صمت
قطعه النائب بقوله : وأنت أفلا تعرف أين أخوك
الآن ؟ قال الرجل : لا ، فأنا لم أراه منذ أغلقت
الباب من ورأى . ولم يشأ النائب أن يلج فى سؤاله
فأطلق سراحه ...

ومرت الأيام ، وما يستطيع إنسان أن يعثر
على السجين الهارب أو يراه ، والحدس ما يستطيع
أن يسمو إلى ما كان منه ...

لامل محمود صبيب

أخبرني عن غرناطة

أقصوصة شرقية
بقلم الأديب محمد سعيد عامر

لقاءات، ولم أرد من زمن، أن
أخبرك بما عرفت خوف تكدير
صفوك والإثقال عليك، وإن
كان هذا الأمر يضطرب في
نفسى وأحب الإفضاء به
— ومن ذا أخبرك بهذا
يا أماء! وما كنت بالفتاة المبتذلة
التي تنطلق في كل طريق

وتسير في كل سبيل ... ؟

وسكنت قليلاً وهي مطرقة، ثم رفعت رأسها
قليلاً وأردفت :

— رأيته لأول مرة بطريق المصادفة حين كنت
أسير في جبال البشرات فقد جمح جوادى وكاد يطرحنى
أرضاً، وكان موسى في جماعة من صحابه، فلما شاهد
ما بي سرق من بين رفاقه وجرى نحوى حتى قبض
على جوادى ثم أبدلني به غيره وسار في ركابي حتى
بلغ بي مأمى من أرباض المدينة . وأصدقك القول
يا أماء أننى وجدت من شهامة هذا الفارس وحسن
أدبه وحيائه في ذلك اليوم ما حبيه إلى قلبى، وجعلنى
أستقصى أخباره وأسأل عن شأنه ؛ وأحمد الله على
أن فؤادى ما كذب وما غوى، فقد علمت أنه من
فرساننا المدودين الذين يعتمد السلطان عليهم،
ويثق بهم، ولأخى في موسى — على الخصوص —
رأى جميل . ولكن قولى يا أماء! أتعدون حركاتى
وتبثون حولي العيون ؟

— إن عين الأم لا تغفل عن بناتها، وإنه
ليهمنى أن أستقصى أخبار أهلى، وولدى،
وما تجسست عليك، ولا جعلت عليك عيوناً
ولا أرساداً فكثيراً ما يأتينى بالأخبار من لم أزود،

غرناطة إحدى مدن الأندلس الزاهرة، تقع
على نهر شنيل وتحيط بها الغياض، والمروج الناضرة
والبساتين الغناء، تملؤها الأعمار والأزهار، وتفرد
على أيكها الأطيوار . وفي المدينة الزاهرة يقع قصر
الحمراء الشهير، بناه بنو الأحمر من ملوك العرب في
الأندلس، وتفننوا في هندسته وتنميته فجاء آية
في إتقان الصنعة، ونخامة البناء، ورحابة الأبهاء،
ولطافة الزخارف والرسوم فكم أدخل فيه من المرمم
والمسجد، وأدق أسباب الزينة والزخرف . وكان
من أهم ما يسترعى النظر فيه السوارى والعمد الرقيقة
الرشيقة المفرغة في أحسن القوالب تحمل سقوفاً
كأنها سماء زينت بالكواكب

في قاعة فسيحة من هذا القصر أثنت بأخضر
الرياش والأثاث، وبثت في جنباتها الأرائك والتمارق
جلست عائشة الحرة أم السلطان أبى عبد الله، وعلى
وجهها دلائل المهابة والوقار، وتجاهها جلست فتاة
في مقتبل العمر غضة الإهاب ناضرة الشباب، هى ابنتها
لمياء . جلستا ساهمتين، ثم أجالتا النظر في روضة
رسمت على الطنفسة التى فرش بها المكان . وأخيراً
قطعت الأم حبل هذا السكوت بقولها :

— علمت يا لمياء ما كان بينك وبين موسى من

ومهما انطلقت في أية جهة ، وسرت في كل سبيل
فنحن واثقون بشرفك وكرمك وما يمليه عليك
محتدك الأصيل من آداب السير ، وجميل السلوك ،
ولكن حديثي يا بني عن موسى هذا فرما عرفته
من بين الفرسان الذين يترددون على الحمراء ويقومون
بالسفارة بين السلطان وجيراننا الأسبان

— إنه رجل لم يجاوز بعد طور الشباب ، لا بالطويل
ولا بالقصير ، ممشوق القوام ، سمح الوجه ، لا تفارق
الابتسامة شفثيه ، وهو لين الجانب عذب الحديث
لا يشبع سامعه من كلامه الذي يطوى أخبار الناس
وحوادث القرون ، ويدل على كثير من المعرفة
والاطلاع ، وما أحسن منظره ، وأرق نفسه حين
يتحدث عن غزوات ابن أبي عامر المنصور في بلاد
الشمال ، ويصف بألفاظه الرنانة ونغمه الجميل ما صادف
أجدادنا من النصر ، وكتب لهم من النجاح وقد رأيت
مرة عند وراق في الربض يشتري بمض كتب ذلك
المصر ، ويحدث أصحابه بما فيها . فكان لكلامه
في نفسي أثر باق ، ووقع جميل ...

— أهو محارب أم أديب ؟

— إنه الاثنان يا أماء ، وهو في الميدانين فارس
مغوار ، وبطل لا يشق له غبار . وكثيراً ما يعهد
إليه بأعمال السفارة بين السلطان وجيراننا لما عرف
عنه من توقد الذهن ، ولطافة المدخل ، ومعرفة
آداب المحادثة ، وطرائق السياسة . وكما انتصر
في ميادين الحرب ، وأحرز النجاح في السلم بحسن
لباقته ، ولطافة كلامه . وهو الآن في سفارة إلى
الأسبان واكتشاف لنياتهم وأعمالهم نحونا نرجو
أن يعود منها موفور السلامة ، مقروناً بالتوفيق
- إذن هو أهل لبنات السلاطين بالماء ، ولقد

كانت نفسي تتوق لتزويجك من أحد أشراف بني نصر
حتى تحفظ دماء الملوك لأنجاب نسل نبيل .

— وهل هؤلاء الأشراف دائماً أكفاء لمثل
من بنات الملوك ، وكثيرون منهم يجعلون كل اعتمادهم
على دولة دالت ، وعزم مضى ، وسمعة طيبة لم تكن لهم
ولكن كانت لأجدادهم الغر الميامين . وأى رجل
من هؤلاء كفء لامرأة كريمة ، وهم كما تعلمين
همهم القصف والشرب والفناء والانتقال في ربوع
الأندلس ، وبين أعدائنا الأسبان يبنون بذلك
البحث عن اللذة والمتاع . وأنت تعلمين أن منهم
من كان عوناً للعدو علينا ، وكان انتسابه إلينا من
أعظم البلاء . إنني أفضل العزوبة على الزواج من
هؤلاء الأدعياء الذين لا يعرفون الشرف إلا في التبطل
والعيش على حساب الناس . ومهما يكن من الأمر
فليس هذا أوان الكلام في أمر زواجي فنحن
في وقت عصيب قد انكشفت فيه دولتنا ، وضعفت
همتتنا ، وأحاط بنا الأعداء ، وأصبح واجبنا الأول
الدفاع عن وجودنا ، والذود عن حياضنا ، والإبقاء
على حياتنا في أرضنا العزيزة ، ومهدنا المحبوب .
ولولا أن القلب لا يبنى عن الخفوق ، ولولا حكم
الشباب الذي يقضى على مثلي بأن تصبو وتحب
لما وجدت في نفسي هماغيرهم بلادي ، وموطن آبائي
وأجدادي ؛ فقد ضاع اتحادنا وتمزقت كلمتنا في حين
توثقت عمروة الأسبان ، وصح عزمهم على أخذ
ما بقي لنا من أرضنا ، ولا يلبثون أن يستولوا
على غرناطة الأمل الأخير والشاهد الحى على مجد
العرب ومدنيتهم الزاهرة في الأندلس .

وبينا كانتا تأخذان في هذا الحديث كان الفارس
موسى يقطع طريق عودته إلى غرناطة بعد رحلة

طويلة شاقة في البلاد التي صار أمرها إلى الأسبان. ولما أشرف على غرناطة وشاهد مآذنها وقبابها وحصن الحمراء وقصره الباذخ شعر بحنان غريب ، وشوق عظيم ، وألهبت نفسه الذكرى . وأراد أن يتشاغل بما في طريقه من المناظر الخلابة ومظاهر الطبيعة الساحرة في هذه البقعة من جنات الدنيا فسار بإزاء نهر شنيل ذي الماء السلسبيل فأظله ما على جانبيه من الأشجار الباسقة وقد تدلت فروعها في النهر وطففت فوق سطحه أو غاصت فيه . وفي لجة النهر كانت القوارب ذاهبة آية تحمل المسافرين والمتزهين عرف من بينهم جماعة من الشبان أخذوا يمازحون في النهر ، ويتسابقون ! فذكر ما كان يقوم به مع رفاقه من نزعات في نهر شنيل حيث كانوا يقضون اليوم بالتجديف في النهر جادين متسابقين حتى إذا بلغوا من ذلك غايتهم أخذوا طريقهم إلى الغياض والحدائق التي تحيط بالنهر فقضوا ردها من الزمن في الأكل والقصف ورواية الشعر ، وقص الأحاديث .

وكان أبلغ هذه الذكريات في نفسه ما كان في الليالي القمرية الجميلة التي قضاها في أرباض غرناطة الفيحاء قبل سفره بأيام ، وقد شعر بلذة تلك الليالي ، وفضلها على سابقاتها من ليالي المرح وأيام القصف والسرور ، ذلك أنه كان في أيامه الأخيرة قد عرف لمياء فملأت فراغ قلبه ، وجعلت لحياته طعاماً أحلى مذاقاً ، ولنفسه قدراً يرضى به على الصغار والضياع

ثم هو الآن يرى نفسه غير ذلك الفارس الذي كان يضرب في كل سبيل ، ويسير مع كل جماعة ، لا يهمه أن يموت أو يبقى على قيد الحياة . بل صار رجلاً آخر ضنيناً بحياته وسلامته ضنيناً بنفسه

عن الابتذال والدخول فيما يدخل فيه الشباب من صنوف اللهو وأسباب المتاع . وأحس أن نفسه قد ارتفعت ، ومشاعره قد سمت في أيام ، وأصبح وكأنه قد علت به السن وتقدمت به الأعوام . وآنس من نفسه الميل إلى التوقر والاحتشام . كل ذلك لأنه عرف لمياء وأحبها فأشعرته بحياته وبشئام نفسه وسمت به مشاعر الحب إلى ما يليق بشرف الرجال ، ويرتفع عن منازع الشبان . ثم أرجع البصر كرتين إلى نهر غرناطة الحبيب ، وإلى أشجاره التي تحف به وكأنها تقيه وتحميه ، وإلى تلك البساتين وما فيها من الأثمار والأزهار فساورة الأحران ، وشعر بهم عظيم يثقل نفسه ويدكها دكا . فقد أدرك حال قومه من الضعف والهوان ، وأدرك ما يهدد غرناطة مهد طفولته ومراح شبابه من الأحداث العظام . أليس هو قادماً من عند الأسبان ، وقد عرف نيات القوم وعزمهم على القضاء على مدينته آخر معقل للعرب في الجزيرة الخضراء . ساورة هذه الأحران وطافت بنفسه المخاوف على هذه الأرض العزيزة على نفسه .

فهى بلاده التي ولد فيها ونشأ حتى بلغ مبلغ الرجال وهى الأرض التي دفن فيها أمه العزيزة التي خلقت للتضحية بنفسها في سبيل تربيته وتنشئته ، والتي إذا ذكرها - وكثيراً ما يفعل - يشعر بوخز في ضميره وألم في نفسه لالموتها ولكن لما نالها في سبيله من المتاعب والآلام ، وكأنه قد أساء إليها ، وأذنب في حقها ذنباً غير مغفور . ذكر هذا ، وذكر حبيبته لمياء فارتفعت غرناطة في نظره ، وسمت منزلتها في قلبه وشعر في نفسه بشجاعة وإقدام وحماسة قلما تكون في أهل بلاد صائرة إلى الانقراض ، فصرخ في وسط ما يحف به من مروج هذه البقعة الخضراء :

« محال أن يتغلب علينا الأسبان وفي يدي سيف
وفي غرناطة ليا »

ولكنه عاد فقارن بين حال أعدائهم وهم في أشد
حماسهم ، وفي ذروة اتحادهم واجتماع كلمتهم ، وحال
قومه في ضعفهم وتخاذلهم فبردت حماسه وضعفت
همته وانقبض صدره وتغلبت عليه السويداء . ثم مال
إلى النزول عن جواده والجلوس وسط الغياض
نزل موسى عن جواده وتركه حراً طليقاً فهو
جواد كريم لن يهرب أو يجمع بل سينتظر سيده
حتى يعتليه . وجلس تحت كرمه هناك بجانب قناة
ماء ، وما كان جلوسه عن تعب أو لغوب ولكن
شوقاً إلى الأنس بالماء والأشجار ، والتنعم بتحديد
العين إليها وإنعام النظر فيها ، وإعمال الفكر في هذا
الفردوس الذي يحيط به ويجمل بلاده من جنات
الأرض وأبدع أقاليم الدنيا . نظر إلى ما يحيط به
وأطال وكأنه لم يشاهده قبل الآن ، وتلبث قليلاً
يفكر ، وقبل أن يمتطي جواده سرح النظر في هذه
المشاهد الفاتنة ، وأطال النظر وكأنه يودع أرضاً
سينادرها في سفر طويل ، أو كأنه عنها مبعّد أو ظاعن
لن يعود

سار موسى تَوّاً حتى وصل أسوار غرناطة ،
وكان الليل قد أرخى سدوله ، واتشحت المدينة
وما حولها بثوب الظلام لولا ما كان يتخلله من
مصاييح باهتة ، ضعيفة النور كانت تنير المسالك
والدروب وتبزغ في السجفة المظلمة وكأنها سهام
خائرة ضعيفة تحارب الظلام فلا تنصر عليه إلا لماماً
ولا تنال منه إلا التافه اليسير . تمثل موسى هذا
المشهد في نفسه ورأى فيه مثيلاً لحال قومه وهم
يحاربون أعداءهم فلا ينالون منهم إلا كما ينال هذا

الضوء الضعيف من ذلك الظلام الكثيف
حث جواده إلى بيته ليستريح من وعشاء السفر
وبيت ليلته ، ويستعد لمقابلة السلطان في الصباح ،
وكان يعيش في بيته وحيداً ويقوم على خدمته غلام
صقلي حسن اسمه صبيح شهد زواج أبيه ومولده
وعنى بتربيته ، وكان يحفظ له حب الوالد وإخلاص
الخدام الأمين ، وكان هذا الغلام مستنيراً كغيره من
غلمان العرب في الأندلس ، فقد كانوا يعتنون بتربية
هؤلاء الغلمان وتعليمهم ، وكثيراً ما كانوا يحذقون
بعض الفنون والآداب . فلم يكونوا خدماً جهلاء
بل كانوا يعرفون أحوال بلادهم وحوادثها ويبدون
كثيراً من المعرفة وحسن الإدراك . ولهذا سأل
موسى صبيحاً عما في غرناطة من جديد الأخبار
وآراء الناس في السلطان ، وآراء القوم في القصة
وهي دار الحكم في الحمراء ، وكان صبيح يشرح
لمولاه تدمر الناس في غرناطة من أبي عبد الله
سلطانها ، وآراء أهل المعرفة في خطأ السلطان
في تقربه من الأعداء وانحيازه إلى جانب الأسبان
ضد إخوانه العرب في الأقاليم الأندلسية الأخرى
وأضاف صبيح :

ولقد سمعت ابن يحيى الفقيه يقول : « كان
نجاح الأندلس في أن يكون والمغرب بلاداً واحدة ،
وإقليماً موحداً ، ولكن ملوك الطوائف أبوا
إلا الاستقلال ، وانتحال الألقاب ، والتنازع فيما
بينهم فتمزق شملهم وتعلقت بالعدو آمالهم حتى صار
أمر الأندلس إلى الضياع » .

أخذ موسى طريقه إلى حصن الحمراء لمقابلة
السلطان والإفضاء إليه بما لقي في أرض الأسبان .
قابل موسى أبا عبد الله فآلفاه كثيراً حزينا

منقبض النفس ، فرثى لحاله وخشى أن تتحقق فيه نبوءة المرافين ؛ فقد تنبأوا بنحس نقيبته ، وشؤم طالعه ، وشقاء أيامه . وتنبأوا للمملكة بالسقوط على عهده . وكانت هذه النبوءات مما يروع السلطان ويفزع ويغال من نفسه منالاً عظيماً . ولهذا كان يبدو السلطان محزوناً شاحب اللون ضعيف الثقة بنفسه وبالأيام . وما كاد يرى موسى حتى رحب به وهش له ، وأخذ يسأله عن حال الأسبان ونياتهم ، قال موسى :

إن الأسبان لا يقنعهم إلا إجلاء العرب جميعاً عن هذه الجزيرة ، وهم ما عقدوا مع أحد من ملوك العرب صلحاً ، ولا كتبوا له موثقاً إلا ليتفرغوا لغيره من إخوانه وأهل دينه حتى إذا فرغوا منه عادوا يخفروا ذمتهم ، وتقضوا عهدهم ، وبهذا استولوا على ممالك الأندلس واحدة إثر واحدة ، وكنا لهم عوناً ، وعلى إخواننا حرباً . ولقد شاهدت بنفسى فرساناً من الإنجليز والألمان والفرنسيين قد دخلوا في جيش فرديناند وإيزابلا مساعدة لها على حربنا وطردنا من بلادنا . وهو يتأهب لذلك ويستعد له وقد صبح العزم على الاستيلاء على مالقة ثغر مملكتنا ومنفذها إلى البحر حتى لا يأتينا المدد من إخواننا في المغرب أو المشرق .

— الحق أننى يائس من عون المغاربة فهم في ضعف وتخاذل ، قانط من عطف آل عثمان علينا ومساعدتهم لنا ، فقد شاهدوا الأندلس يتساقط كأوراق الشجر فما مدوا له يداً ، وهم في المشرق والغرب سادة مسيطرون ، وغزاة فاتحون

فليكن اعتمادنا على أنفسنا ، وتوكلنا على الله القدير .

وخرج موسى من لدن السلطان وهمه الأول أن يلقى لواء ليجد بقربها جواً رقيقاً ليناً ينسيه شواغل نفسه وآلامها ، ولينعم بطلعتها الباهرة ، ونظرتها الساحرة ، وبساتيم الخلافة التي تفتح القلب ، وتشرح الصدر ، وتحبى الأمل . وما كاد ينزل من الحصن منطلقاً في مسالك المدينة حتى كانت لواء تناديه وتحاذيه وتسير إلى جانبه ممتطية جوادها الأشهب قاصدة نزهتها المعتادة في أرباض المدينة الفيحاء .

قضى موسى معها ساعة أمتع فيها السمع والبصر ببهى طلعتها ، وعذب حديثها ، ومتع النفس بمشاعرها الكريمة الصادرة عن نفس شريفة ، وقلب رقيق ، وتزود من هذا كله بما يشد أزره ، ويقوى جنانه ، ويمينه على القدر ، وصروف الزمن

دار الفلك دورته السريعة وتمخضت الأيام عن أحوالها المعجبية وحادثاتها الأليمة ، فاستولى الأسبان على مالقة ثغر غرناطة الجميل ، وأضافوا إلى أرضهم مرجه الأخضر وواديه الخصيب . ومن سخرية القدر أن يرسل أبو عبد الله للملك والمملكة يهنئهما بهذا الفتح ؛ فأوغر بذلك صدور شعبه ، ولم يسلم من لوم نساء قصره وتعنيفهن ، وحزنت لذلك أمه عائشة الحرة وعدته نذيراً بالسقوط ، وأرسلت لواء الزفرات وأسالت العبرات وحدثها قلبها بقرب وقوع حادث أليم ، وكأنها شعرت بأن مصابها من انتصار الأسبان ونجاح خطتهم سيكون أفدح وأعظم ، وأنها ستنال من الأحزان والآلام أوفر نصيب

وأخيراً اعتزم الأسبان إزال ضربتهم الأخيرة على غرناطة آخر معاقل العرب وأملهم الأخير ، فحشدوا جيوشهم فيما يحيط بها من الأرباض والرياض وخرج أبو عبد الله من حمائه بنخبة جيشه يذب

عن حوضه ، ويدافع عن روضه ، وانتشرت المارك في البساتين والمروج بظاهر المدينة ، وتحولت هذه الرياض الناضرة التي طالما ررفت عليها أجنحة الحب والسلام ، والتي كانت موضع سرور العرب وبهجتهم ومثابة متاعهم ولذتهم ، أصبحت ميادين تتصاعد فيها آهات المجروحين وتنهيدات المحزونين ، وتخضبت أرضها بدماء زكية استشهدت دفاعاً عن شرفها وحياتها . وكان موسى في طليعة قواد الجيش المدافع فبعث في رجاله من روحه ما شد أزهرهم ، وقوى عزائمهم حتى استهانوا بالموت ، وتمجلوا الشهادة

والحق أن مقاومتهم الشديدة كانت دليل ما يحسون من ألم لفراق صروج غرناطة ورياضها الفيحاء التي كانت لهم فردوساً ونعماً ، فبدلوا في سبيل وطنهم العزيز أقصى ما عندهم من حول وحيلة ما أقدمهم عن ذلك إديار سعدهم ، وضربات عدوهم جلس الجند ليلاً يتسامرون ويقصون الأحاديث ترفيحاً عن أنفسهم ، وشجعاً لهمتهم قال أحدهم :

إن السلطان قد حارب معنا ببسالة ما كنت أنتظرها منه ، وأبلى في دفع العدو بلاء حسناً ، وكنت أظن سيفه قد صدأ ، ولم يعد يقوى على الطعان

قال آخر : وكيف لا تقوى غريمته ، وتعظم همته ، وهو يرى شعبه جميعه حتى نساء قصره يبدلون نفيسهم وأنفسهم في هذا النضال . ولقد ذكرت سيف السلطان وصدأه

أتعرف ما كتب على نصلاه ؟ ... إنهم نقشوا عليه هذه الأبيات :

جرد حسام الفتك من غمده الردى

واضرب به هام الحواسد والعدى

لم ذا التواني عن متابعة الندى
إن السيوف إذا تملأها الصدى

حلفت مضاربها بألا تقطع

وأنت يا حمدون كيف حال زوجانك فقد بلغنى
أنك أكلمتهن أربعاً ... إني لأشفق عليك (يا أخى)
كيف تطيق هذا العيش المضطرب ، وكيف يتسع صدرك للشجار والعراك الذى لا مفر منه فى هذه الحال ؟

— إن صدرى لينشرح وإن نفسى لتطيب
لمارك نسائى ، وإنه ايجزنى أن أجد الوفاق ساد زوجاتى والسلام خيم على بيتى !

فأوما القوم متعجبين من كلامه وصاحوا به :

— أهزل فى وقت الجد ؟

— إننى أجد ، فاسمعوا الخبر :

كنت يوماً خارج المدينة لبعض شأنى فلما عدت وجدت زوجاتى قد انتقين ما حلاهن من الأقمشة الحريرية المزركشة من تاجر يحملها من بلنسية ، وانتظرن حتى أعود فأدفع ثمنها ، ولكن الثمن كان باهظاً فرفضت أن أدفع للتاجر شيئاً . وأصر النساء على الاحتفاظ بالأقمشة ، وألح التاجر اللعين فى الحصول على ثمنها ولكنى بقيت فى موقفى لا أترشح . ولو أردت القبول لما استطعت فما كنت أملك هذا الثمن الفادح ! واتفق النساء على مغابظتى ومقاومتى فتصافين وعقدن حلفاً . ولما دخلت البيت فى المساء وجدت حجراته مغلقة فى وجهى وأبين أن يهين لى طعاماً فبت على الطوى . وهكذا وجدت الحال فى اليوم التالى حتى اضطرتت إلى التماس الفداء فصالحتهن بدفع معظم ما طابن . ومن ذلك اليوم وأنا أنظر بفاق عظيم إلى كل سلام يعقد بينهن

وأجد فيه ما ينقص عيشي ويذهب براحتي وسكوني
ناضل العرب عن مدينتهم ، ودافعوا دونها حتى
انهارت قوتهم ، ونفدت حيلهم فقفلوا راجعين
إلى داخل المدينة وتحصنوا فيها ، ونصبوا مدافعهم
على أسوارها

وبقي الأسبان حول المدينة لا يرمون حتى إذا
جاء الشتاء بنوا معسكراتهم على هيئة مدينة صغيرة
وأقاموا فيها . وفي هذه الأثناء احتل العرب ويلات
الحصار من نضوب المؤونة وقلة الغذاء ، وكان أملهم
أن يذهب عنهم العدو إذا جاء الشتاء بمطاره وثلوجه .
فلما رأوه قد بنى معسكراته وأقام مطمئناً خيم عليهم
اليأس ، وأظلم القنوط ، وأظلمت الدنيا في عين
أبي عبد الله فعقد مجلساً في الحمراء من نخبة شعبه
وسألهم رأيهم في التسليم ، وبين حافظ المدينة الحال
السيئة التي وصلت إليها من نفاد الأقوات وموت
الخيول والحيوانات جوعاً ، وحاجة الناس إلى الخبز ..
فما يضطرون إلى التسليم .

وهنا قام موسى فقال :

إن وسائلنا لم تنفذ بعد وإن لدينا وسيلة فعالة
طالما كانت سبباً للفتح وطريقاً إلى الخلاص ، ألا وهي
الاستماتة . واعلموا أن الموت الأحمر هو أهون
ما ستلقون من أعدائكم فموتوا كراماً مدافعين قبل
أن تسبى نساؤكم ، ويذبح أطفالكم ، ويمتدى
الأسبان على أعراسكم ، ويلوثوا شرفكم . وإني
أعرف أعداءنا لا عهد لهم ولا ذمام ولا هم بالكرام عند
المقدرة ، فلا تنتظروا وفاءهم ، ولا تطمعوا في كرمهم
ولكن اليأس كان قد حطم نفوس القوم ،
فلم يذهب بعزتها ونخوتها يستجيبوا له ، وأرسل

الوزير أبو القاسم لعقد شروط الصلح
خرج موسى من مكان الاجتماع واجماً مطرقاً ،
كاسف البال فطاف بهو السباع وسار في أبهاء
الحمراء الفسيحة ذات العمدة الرفيعة ، والزخارف
البديعة ، واستعاد في مخيلته ما كان في هذا القصر
الباذخ من أبهة الملك ، وعزة السلطان ، وما عقد
فيه من مجالس العلم والأدب ، فتحسر على ما فات ،
وصعد الزفرات ، وكان الليل قد أرخى سدوله فزاد
في انقباض نفسه فلم يطق صبراً على البقاء ، فخرج
هائماً على وجهه وقد ملأه الحزن وشمله اليأس لا يدرى
ماذا يصنع بنفسه وقد أصبحت حملاً ثقيلاً ، ووقراً
لا يحتمل

اعتادت عصبة من جنود الأسبان الخروج ليلاً
للزهوة على شاطئ الشنيل ، فيهم السكير الذي يترنح
والمنثني بالخر أو بالنصر يغنى أو يرقص ، وقد يأخذ
بعضهم بتلايب بعض على سبيل المداعبة والمزاح ،
ويبنيهم في مرحهم وعريبتهم إذا بفارس عربي يظهر
لهم في دروعه وسلاحه يمتطي جواداً قد غطى مثله
بالزرد فنادوه فاستجاب لهم ، ودخل في جملتهم ولكنه
طفق يضاربهم ويقاثلهم ، لا يدرى أين مهوى سيفه ،
وموقع ضرباته ، وبقي يشخنهم جراحاً حتى أصيب ،
وخر عن جواده ، ولكنه استمر يقاتل انتقاماً
واشتفاء حتى خارت قواه . وخشى أن يؤخذ أسيراً
فرحف إلى النهر وألقى بنفسه فيه ، ففاصت به
أسلحته ودروعه ، واحتضنته اللجة ، وواراه الماء .
ذلك هو موسى بن أبي الفسان .

محمد سعيد عامر

صَلِّ فِي حَبْلِكَ

عن مجلة «تروستوري»
بقلم الأديب عثمان نويل بطرس إبراهيم

يضعونها في أما كنها
لم أقل لـ «مانى» شيئاً ،
إذ أعرف أن نتيجة ذلك
ستكون سيئة ، وأنه لا يمكنه
أن يفهم حقيقة الموقف ؛
وإن فهم فلا يمكنه أن يتذكر
ذلك إلا لمدة خمس دقائق . أقنعت
نفسى بالتغافل عن أعماله ،

وأن أستمع على عملى ، ولكن نيران الحقد ، ولهب
الكراهية ، جعلاني صرغلاً نائراً ... !
نظرت إلى يدي القويتين ، وأحببت أن أداغب
بها رأس من تسول له نفسه العبث بأشياء تخصنى ،
أما أن يكون هذا الشخص «مانى» فإننى لأستطيع
حتى رفعهما

استمررت فى عملى ، وأنا جد متعجب من
سكان القرية . ترى ما الذى جعل «مانى» محبوباً
منهم ، وأنا أحمل له من البغض والكراهية ما ينوء
تحتهما كاهلى ؟ ! وطبعاً لم يكن الذنب ذنبه ، أحبه
الناس أم لم يحبوه ، وشعورى بالكراهية له ناجم
عن عدم الإكبار للرجال الضعفاء وغير المرغوب
فيهم ، كرهى لكل عضو لا يقوم بعمله تمام القيام
تحملت منه ما لم يتحمله أهل القرية الأثانيون
الذين قدت قلوبهم من الصخر ، لا يعرفون قوياً
ولا يرحمون ضعيفاً ، وحبى له لم يكن إلا شفقة به ،
ورثاء له .

انتهيت من عملى ، ولم أنتبه للشخص المشرب
بعنقه ليرى ما أعمل ، مما سبب اصطدامى به ، وبعدها

تطلعت من السيارة التى كنت أعمل فيها إلى
أعلى ، فوجدت — مانى يترز — وعلى شفقيه
ابتسامة بريئة ، غير أن عينيه الزرقاوين — فى هذه
المره — كانتا تشعان بريق غريب

خالط عقله مسٌ منذ أن كان فى العاشرة من
عمره ، حينما حدث أن أصابه أحد رفقائه — دون
قصد — بحجارة . ومما يحز فى نفسى ، أن أقول
إننى كنت أكرهه بكل ما فى هذه الكلمة من
معان ، وإن كنت أدعاهُ يعبث بأدوات السيارة
التي وضعتها فى «جراج» بمدينة «جيرسى الجديدة»
وذلك لمعرفة أن جنونه من نوع غير خطر ، وأنه
محتاج إلى ما يمكنه أن يتسلى به ، ولكنه أهاجنى
اليوم ، أكثر من أى يوم سبق ، فقد قضيت عشر
دقائق فى البحث عن أداة احتجت إليها لعمل مستعجل
تذكرت أن — مانى — أضمن فى العبث أمس
— كما يفعل غالباً — فكان السبب فى هذا التأخير
فأخذت ألعن الظروف التى خلقت لى مثل هذا المأزق
الحرج ، وأخيراً وجدتها

يستطيع الحدادون أن يقسموا على أن
شيئاً لا يزعمهم مثل اختلاف مواضع الآلات التى

جاء الطبيب في وقت مناسب ومعه خمسة رجال من أهالي القرية ممن أعرفهم . لقد كانوا في بيت الطبيب ساعة أن أخبرته بما حدث . ولما سمعوا ما قاله الطبيب بشأن « ماني » أتوا معه ليعرفوا حقيقة ما حدث

وكما قلت قبلاً إن أهل القرية جميعهم يحبون « ماني » ما عداى فتأثروا لما أصابه

لم ينبس أحداً ببنت شفة ، حتى فرغ الطبيب من الفحص ، ورفع إلينا وجهاً ممتعماً ، فكان ذلك جواباً كافياً وفر على السؤال

تكلم بهدوء قائلاً : إن إصابته خطيرة جداً ، فليخبر أحدكم مستشفى « آردن » ليرسلوا نقالة لحمله . ثم التفت وسألني عن كيفية وقوع الحادثة فأخبرته بما حدث ، فأوماً برأسه فاهماً

غير أنني لاحظت الخمسة الآخرين ينظرون إلى مستغربين ، ورأيت واحداً أو اثنين - لا أتذكر - ينظر إلى متشككا

عشر دقائق مؤلمات مرّت ، حتى وصلت النقالة . ولم تمض دقيقة أخرى حتى كان الطبيب وماني في طريقهم إلى مستشفى « آردن »

شعرت بحمى خفيفة ، وذهبت إلى حيث أستطيع أن أتنفس ، لأن هواء « الجاراج » يكاد يخنقني . وقبل أن أصل إلى حيث أردت ، سمعت قائلاً يقول : فيلدا ، دقيقة من فضلك ، لا يمكنني أن أدعك تذهب الآن

فالتفت قائلاً : ولم ذلك يا جاك ؟ ألم تصدق ما أخبرت الطبيب به ؟

وظهر في هذه اللحظة الأربعة الآخرون - لا ، لا ، إن أحداً لم يصدق ذلك لما نعرف من مبلغ حقدك على « ماني »

ألفيتني محملاً فيه . أما هذا الشخص فكان « ماني » تملكني الغضب الشديد ، فصحت به : بحق السموات ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

ودفعته دفعة قوية لأزيجحه عن طريق . ترنح إلى الخلف بمجرد اختلال توازنه ، وغارت عيناه الزرقاوان في محجريهما متمجبتين ، سائلتين ، ولم أكن رأيتهما على هذه الحالة من قبل . وثم اصطدم ببعض آلات مبعثرة هنا وهناك ، وسقط سقطة أفقدته الرشد .

زاغت عيناى واشتد بي الخوف ، وأحسست بفيض من العواطف يدفعني إلى مساعدته في القيام . ونجاة ، رأيتني ماداً إليه يدي أساعده على القيام . شعرت وأنا أنحني إلى الأسفل أن يدي قد بلّتا ، ونظرت إلى الأسفل فرأيت قطرات حمرا على الأرض على بعد ست وثلاثين عقدة مني .

حينئذ عرفت أن رأسه قد دق ببعض أدوات سببت شج رأسه ، فظننت أنه مات ، ولكنني شاهدت صدره يعلو ويهبط ، فعرفت أنه لم يفارق الحياة . لم أعرض ذلك اهتماماً باديء ذي بدء ، وطأنت نفسي بأنه لن يلبث أن يستفيق . وبرغم ما كنت أنظاهر به من الهدوء ، كنت معتقداً أن إصابته خطيرة . سرت نحو التلفون وطلبت الطبيب قائلاً : أصيب ماني ببيتز - بحادث خطير فأرجو أن تأتي بسرعة . وعلقت « الساعة » ورجعت إلى - ماني - أسائل نفسي ماذا يمكنني عمله حتى يصل الطبيب . استطعت أن أقف الزيف ، ولكنني لم أعرف ما يجب أن أعمله أيضاً ، وهكذا جلست إلى جانبه . منتظراً مجيء الطبيب ، محاولاً جهدي ألا أفكر فيما سبب هذه الحادثة .

تملكنى غضب مفاجئ . إنهم يظنون أننى فعلت ما فعلت عن عمد وإصرار

ظننتنى قادراً على إقناعهم بادی الأمر بأن ما حدث لم يكن إلا صدفة سيئة ، أما الآن فإن ذلك لا يزيد مركزى إلا حرجاً

انثيت إلى جاك قائلاً : تظننى حاولت قتل مانى ؟ أليس كذلك ؟ احسن ، ظن ماشئت ، فلست أبالى . والآن تفضل بالخروج وإلا أصابك ما لا يعجبك فكان جوابه أن رفع يده وضربنى بقوة ، إلا أننى تحاشيت ضربته بحركة خفيفة من رأسى ، فاستدار حول نفسه وسقط على الأرض يتدحرج فلما رأى الأربعة الآخرين ما حل بصاحبهم هجوموا على دفعة واحدة كالذئاب الكاسرة يريدون تمزيقى . وسمعت « لودين » يقول : آه ... هل تقدر أن تفعل بنا ما فعلت بمانى . إيه ؟ حسن ، إنك لاتقدر ، إننا لا نتصارع من أجل جائزة كما تفعل ، ولكننا سنلقى عليك درساً لن تنساه مدى الحياة .

دافعت عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن ما حيلتى إزاء خمسة رجال أشداء ؟ نعم أسقطت اثنين منهم ولكن الباقين تمكنوا منى وضربونى ضرباً مبرحاً . وأخيراً وجدتنى ممدداً على الأرض مشرفاً على الإغماء

أذكر أننى سمعت « لودين » يتكلم بالهاتفون طالباً نقالة أخرى ، وبمدها لم أكد أفقه شيئاً مما يدور حولى ، إذ أن الإغماء غلبنى

أفتت من الإغماء ، فرأيتنى على سرير أبيض من أسرة المرضى ، ثم رأيت ممرضة منحنية فوقى وكان إلى جانبها طبيب فعرفت أننى فى المستشفى .

سأل الطبيب الممرضة عن حالى ، فأجابته أننى أحسن من ذى قبل . ثم التفت إلى مستفهماً : ما الذى حدث ؟

فأجبت بصوت ضعيف : تشاجرت . ثم أردفت : هل كسر شئ ؟

تمم الطبيب : تشاجرت ؟ وتابع فرحاً : آه ، لا ، لم يحدث شئ مما تعنى ، إنما كل ما هنالك رضوض لن تلبث أن تزول آلامها فيمكنك أن تخرج بعد يومين . ثم انصرف

أردت أن أسأل عن « مانى » ولكن حالى كانت من الضعف بحيث لم أستطع معها أن أتكلم . سرى بى التفكير إلى الرجال الذين أشبعونى ضرباً . ومن الغريب أننى لم أشعر بنحوم بذرة من الحقد ، وكأن ما حدث لم يكن إلا خيالات وأوهاماً

غير أننى سعيد ، سعيد لأن عظامى لم يصعبها عطب ، وإلا لكانت الدنيا لدى أضيق من سم الخياط . وأدركت أخيراً أن عملى كان جنونياً . ترى من يصدقنى إذا قلت إننى دفعت « مانى » دفعة لم أبغ من جرائمها قتله ؟

وجأة وثب إلى ذهنى خاطر أذهلنى ، واصطكت أسناني رعباً ، وهو ما سيكون شأن الشرط معى إن ... إن هو مات ؟

انقبض صدرى لهذا الخاطر المروع ، وكدت أصبح بكل ما فى حنجرتى من قوة . والفضل فى إنقاذى من هذا الموقف للممرضة التى دخلت فى تلك اللحظة فأزمت سؤالها عن مانى ، قلت :

— إن لى زميلاً هنا اسمه « مانى بيترز » كيف حاله ؟

فأجابتنى بصوت هادئ :

— إنه فى حالة سيئة ، وإنه الآن فى غرفة
الجراحة لإجراء عملية جراحية خطيرة
فسألته بلهفة :

— هل تدعينى أذهب لأرى ما يعملون ؟
ففغرت فها متعجبة ، ولكنها لم تلبث أن
استمادت ثباتها وتمهدت بأنها ستفعل ، وتركتنى
وانصرفت ...

قضيت مدة أتقلب على فراش الألم خائفاً مذعوراً
مما سيحدث لى ولانى . لم أكن أشتكى فى ذلك اليوم
من شىء ، غير أننى كنت منزجاً مما سيحدث لى
وفى ذلك المساء أقبلت الممرضة قائلة :

— إن الأمل فى نجاح العملية كبير جداً ،
ولو أنهم لم يخبروا أحداً ، وإننا سنعرف عنها فى
الصباح كثيراً

كنت أريدها أن تقول إنه سيمود كما كان
دون أن يكون فى قولها هذا ذرة من الشك .
لذا بقيت فى حيرة من أمرى ، مما أثر فى حالتى
وأخّر شفائى

وفى صباح اليوم التالى رأيت الممرضة مبكرة
على غير عادتها ، فأحسست أن دقائق قلبى توقفت ،
وأن الدم قد جمد فى شرايينى . وتمثل أمامى بعين
الخيال مانى ممدداً على السرير جثة هامدة . ياله من
منظر مخيف تقشعر منه الأبدان ! وسألته : ما هذه
الضوضاء ؟ هل هو مانى ؟ هل ... هل مات ؟

— لا ، ولكنه يسير من سيء إلى أسوأ ،
وقد سأل عنك ، فهل باستطاعتك أن تذهب إليه ؟
لم أجبها على سؤالها ، بل أسرع فى إلقاء الأغطية

عنى ، وحاولت القيام فلم تسعفنى أعضائى المنحطة ،
فجلست على مضض

حاولت أن أسترّد قوتى ، غير أن رأسى ، كاد
ينفجر فأسرعت الممرضة نحوى ، ومددتنى على السرير
بهدوء ، ثم قالت بقلق ظاهر : سأتى بنقالة لحملك ،
فأخبرتني أننى قادر على المشى على قدمى ، إذا هى
ساعدتنى . ففعلت ، ووصلنا إلى غرفة « مانى »

انحنيت فوقه ، وسألته عن حاله ، فأجابنى وفى
عينيه تلك النظرة البريئة الطاهرة : إن رأسى يكاد
ينفجر ، ولكننى أحببت أن أراك حين علمت أنك
أصببت أنت أيضاً ، ورجبت أن أراك سليماً معافى
شمرت بالدموع تجرى على خدى حارة غزيرة .
يمكن أن يكون معتوهاً ، ولكننى لم أر قلباً بريئاً
طاهراً مثل قلبه .

عرفت أنه لم يتذكر ما فعلته به ، ولا كيف كنت
أعامله دائماً .

وشمرت لأول مرة فى حياتى منذ أن كنت
طفلاً ، بشوق إلى الصلاة ، فأخذت أصلى ، وأصلى
بحرارة . صليت وابتهلت إلى الله ، من أجل - مانى -
ليشفى ، ولأستطيع أن أدعه فى « الجراح » . وكان
دعائى أجيب ، إذ أن - مانى - ترك المستشفى
بعد شهر منذ دخوله وقد عاد كما كان ، لم يتغير .
إنه الآن يقضى جميع أوقاته إلى جانبى فى الجراح ،
وإنه لم يعد يحدث لى المتاعب ، إننى أرغب أن يكون
دائماً هناك ، لأنه يزيل وحشتى فى وحدتى ، وقد
جعلنى أشعر بالشفقة والحنان لكل من يكون
مفتقراً إليهما .

عمانوئيل بطرس إبراهيم

كل لنفسه !...

للفصيح الكبير أشكر توما « الأيب »
بقلم الأديب عبد المنعم مراد

من جيوم ثم قفز على الشجرة
فأنت من ثقله فروعها وأخذ
يلتهم الثمار بشره حتى أنه
لو زار هذه الشجرة مرتين
آخرين لكانت الثالثة عبثاً !
ولما بَشِمَ اللب هبط
من الشجرة يبطء كأنه يأسف
لفارقها وعاد أدراجيه ماراً
بصاحبنا (الصياد) الذي لم

تكن غدارته المحشوة ملحاً لتغني عنه قليلاً
استغرق كل هذا حوالى الساعة ولكنها كانت
طويلة جداً على الصياد كأنها عام في حين أنها مرت
على اللب كأنها لحظة !
ومع هذا فقد كان الرجل شجاعاً إذ أنه همس
واللب يمود أدراجيه « حسن ، اذهب . ولكن هذا
لن يمر هكذا بل سترى »
وفي اليوم التالى مر أحد الجيران فوجد جيوم
منهمكاً في قطع أسنان مذراة حديدية فقال له :
— ماذا تفعل ؟
— أتسلى

فأخذ الجار قطع الحديد وقلبها في يده وأخذ
يفكر برهة ثم أردف :
— لو كنت صريحاً يا جيوم لاعترفت لى بأن
هذه الشظايا إنما تعدها لاختراق جلد أقوى من
العنبر البرى
— ربما

فاستطرد فرنسوا (وهذا اسم ذلك الجار)
— أنت تعلم أننى نعم الفتى ، فلو شئت أن
يكون اللب لنا سوياً ، فإن اثنين خير من واحد

كان بقرية فولى^(١) منذ سنوات فلاح فقير
يدعى « جيوم مونا »

وكان هناك دب يسطو على بستانه كل ليلة
فيصطافى من شجر الكثرى ما حلت من الثمار ألذها
وأكثرها عصيراً رغم أن هذا الحيوان يستسيغ
كل شيء ، فمن يشك إذن في أن هذا الحيوان له من
حاسة الذوق ما للانسان وإلا لما اختار هذا الصنف
من الكثرى التى أغرم بها ذلك الفلاح الذى ظن
بأدى الأمر أن ذلك من فعل الأطفال الذين
يسطون على بستانه مما جعله يحشو غدارته بحبات
كبيرة من ملح الطعام وينتظر هؤلاء الفتية

وعند الساعة الحادية عشرة تقريباً سمع زئيراً
يدوى فى الجبل فقال لنفسه « آه . إن دباً غير بعيد »
وبعد عشر دقائق دوى عواء آخر قوى وقريب
حتى ظن جيوم أنه لن يستطيع الرجوع أدراجيه
فانبط على الأرض وليس لديه أمل إلا أن تكون
الكثرى هى مقصد اللب لا هو !

وظهر اللب فجأة فى ركن الحديقة وتقدم نحو
شجرة الكثرى ماراً على بعد عشر خطوات

(١) فولى : قرية بسويسرا

— إلى اللقاء يا جيوم
— أنمى لك أسعد الظروف
فانصرف الجار وهو يرى جيوم يحشو غدارته
بالبارود وقطع الحديد

وفي المساء وهو مار بالنزل رأى جيوم جالساً
على أحد المقاعد بالقرب من الباب وهو يدخن غليوناً
بهدهوء . فذهب إليه ثانية وقال :

— لست آسفاً ولا مكتئباً . لقد وجدت آثار
ذلك الحيوان فلم أعد في حاجة إليك مطلقاً . ومع
ذلك فقد جئت أعرض عليك أن يكون لنا سوياً
فقال جيوم بلهجة المصمم :

— كل لنفسه !

لم يستطع فرنسوا أن يعلم ماذا فعل جيوم بعد
ذلك في تلك الليلة . ولكن امرأة هذا رآه
في الساعة العاشرة والنصف يحمل غدارته وقد طوى
تحت إبطه كيساً رمادياً ، ولكنها لم تجرؤ أن تسأله
إلى أين يذهب لأنه كان من الرجال الذين لا يفضون
إلى نساءهم بشيء .

وأما فرنسوا من جهته فقد عثر حقيقة على الأثر
الذى انتهى به إلى حديقة جيوم ، ولما لم يكن له حق
في أن يكمن على إحدى أشجار الحديقة فقد أخذ
مكانه في غابة تقع بين منتصف سفح الجبل وحديقة
جيوم .

ولما كانت الليلة قرية فقد رأى فرنسوا جيوم
وهو يخرج من بابه الخلفي ، ثم تقدم حتى إحدى
الصخور الرمادية التي تدرجت من الجبل وكانت
تبعد عن شجرة الكثرى عشرين خطوة ، ثم وقف
(٧)

— المسألة تتوقف على الظروف
قال ذلك جيوم واستمر في قطع القطعة الثالثة
— سأترك الجلد لك وحدك ولن نقسم سوى
الجائزة^(١) واللحم

— إنى أفضل الكل
— ولكنك لن تستطيع أن تمنعني من أن
أقتني أثر الدب في الجبل ومن أن أكن له في الطريق
— أنت حر

وانتهى جيوم من عمله وعمد إلى إعداد مقدار
مضاعف من البارود
فقال فرنسوا :

— كأنك ذاهب إلى ساحة القتال

فلم يجب جيوم بل قال :
— ثلاث قطع من الحديد فيها ضمان أقوى من
قطعة من الرصاص

ولكن ذلك يشوه الجلد

— إنما فيها الموت الزؤام

— ومتى تذهب للعمل ؟

— غداً تعلم

— مرة أخرى ... ألا توافق ؟

— كلا

— أنذرك بأنى سأقتني أثره

— هذا لا يضيرنى

— لنا سوياً ؟ ... قل !

— كل لنفسه !

(١) الجائزة : في بعض البلاد تعطى الحكومة جائزة
لمن يقتل حيواناً ضاراً

وأدار طرفه ليرى ما إذا كان هناك من يراه ،
ثم تناول الكيس ووقف بداخله بحيث لم يدع من
جسمه خارجه إلا رأسه وذراعيه . وارتكز على الصخر
فأصبح من غير المستطاع تمييزه عنه نظراً لاتحاد
لون الصخر والكيس وثبات جيوم في موضعه .

مر من الساعة ربعها في انتظار الدب وأخيراً
أعلن بجيئه زئير متتابع وبعد خمس دقائق رآه
فرنسوا

لم يأخذ ذلك الحيوان طريقه المادى الذى سلكه
بالأمس إما لدهائه وإما لأنه أحس بالصياد الآخر .
وبدلاً من أن يأتى عن شمال جيوم ارتسم لنفسه طريقاً
منحنياً وأتى من عن يمينه بحيث لا يمكن أن يصل
إليه سلاح فرنسوا ؛ ولكن على بعد خطوات من غدارته
جيوم الذى ظل ساكناً حتى ليظن بأنه لم يرد ذلك
الحيوان وهو يمر قريباً منه كأنما يتحداه . ويظهر أن
الدب لم يشعر بعدوه إذ أن الريح كانت متجهة منه
إليه ولذا استمر في طريقه نحو الشجرة

ولم يكد يرتكز على رجليه الخلفيتين وقد حوط
بهما الأماميتين ودفع بصدره إلى الأمام استعداداً
للقفز حتى دوي في الوادى صوت هائل وسرى في
الفضاء بارق من نار أعقبه أنين جرح مميت

إنقلب الدب راجعاً ماراً على بعد خطوات
من جيوم دون أن يراه فقد أدخل ذراعيه ورأسه
في الكيس فاستتر في الصخر من جديد

كان هذا النظر على مرأى من الجار الذى ركع
على ركبتيه ويده اليسرى ، قابضاً باليمنى على غدارته
وقد اصفر لونه وهو يكم أنفاسه وتمنى في ذلك الوقت
لو كان ناعماً في سريره بعيداً عن هذا الموقف

كانت مفاجأة سيئة لفرنسوا حين رأى الدب
الجريح بعد أن دار دورة طويلة قد أخذ سبيله عن
يمينه حتى أسلم نفسه لبارته ، وتحقق من غدارته
ليتأكد أنها محشوة . كان الدب على بعد خمسين خطوة
يثن من الألم ويقف ليدور برأسه فيعض على موضع
الجرح ثم يتابع السير حتى صار على بعد ثلاثين
خطوة

ولكنه وقف فجأة وتنسم الريح التى تأتى من
جهة القرية وزأر زئيراً مرعباً ثم قفز داخل البستان
— خذ حذرك يا جيوم ! احترس ! !

تفوه بها فرنسوا وهو يتبع الدب وقد نسى
كل شيء إلا صديقه لأنه اعتقد تماماً أنه لن ينجو
من الدب إذا لم يكن قد استطاع أن يحشو غدارته
من جديد ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى
سمع صرخة ولكنها كانت صرخة آدمية ، صرخة
رعب ، بل صرخة النزع الأخير . ثم تلتها صرخة
استجمع فيها صاحبها كل ما بقى فيه من قوة ومن
رجاء في الله :

«أدركونى !» لم يعقب ذلك أى صوت ولا تأوه
لم ينكص فرنسوا على عقبيه بل تقدم حتى
اقترب من مصدر الصوت فتبين له بوضوح ذلك
الحيوان الهائل منكباً على جيوم يمزقه بمخالبه

كان فرنسوا على بعد أربع خطوات منهما
ولكن الدب كان نائراً على عدوه لدرجة أنه لم يكثر
لغيره . لم يجرؤ فرنسوا أن يطلق غدارته خوف أن
تقتل جيوم إن كان لم يزل حياً . فالتقط حجراً
وقذف به الدب

فالتفت الدب نحو عدوه الجديد . لقد كانا
متقاربين جداً حتى أن الدب انحنى إلى الوراء
استعداداً للهجوم ؛ ولكن بحركة آلية ضغط فرنسوا
على الزناد فخرج الطلق الناري وانقلب الدب على ظهره
لأن الرصاصة قد اخترقت صدره وكسرت عموده
الفقرى
تركه فرنسوا يتخبط في دماؤه وأسرع إلى
جيوم فلم يجده بشراً ولا جثة بل وجده عظاماً ولحمًا
ممزقاً قد ألهم الدب رأسه بأكله تقريباً
رأى فرنسوا الأنوار تتحرك وراء النوافذ فعلم
أن كثيراً من فلاحى القرية قد استيقظوا فأخذ
ينادى ويستغيث ويحدد المكان الذى هو فيه .
نخف إليه بعض الفلاحين بأسلحتهم وما لبثت
القرية أن تجمعت بتمامها فى حديقة جيوم ، وكانت
امراته من بين الحاضرين .
وقد كان النظر رهيباً مرعباً إذ أخذ كل
الحاضرين ييكون كالأطفال .
اكتتب أهالى المنطقة بأكلها لأرملة جيوم
بمبلغ سبعمائة فرنك ، وتنازل لها فرنسوا عن الجائزة
وباع لحسابها جلد الدب ولحمه .
وأخيراً اقتنع الجميع بوجوب التعاون والتآزرا
عبره عبر المنعم مراد

سبرى

لا تخش على مستنداتك

سبرى

لا تخشى على مجوهراتك

اودعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهى فى الحفظ والأمان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

بلذة الراحة إلا في أعطاف
ذلك الموضع وبين ربوعه
وكنت تراهما دائماً يحسran
قبعتيهما الثقيلتين عن رأسيهما
وينفضان العرق عن حواجبهما
إذا ما الشجر الوارف أظلهما
عند مفترق الطرق المفضية إلى
كولومبس وشاتو

الجندى الصغير

للكاتب الفرنسي جى دى موباسان
بقلم الأديب السيد محمد العزاوي

وكانا يبلشان على جسر يزونس دقيقتين أو ثلاثاً
يطالمان منه « السين » ، مرتفقين سياج الجسر
أو يحدقان في مجرى « أرجنتوى » العظيم ، حيث
تلوح الزوارق الجميلة بأجنحتها البيضاء ، وتدف
أمامهما خففاً سراعاً . فلربما استعدادا من ذكريات
بحر « بريتانيا » وتمر « فانس » القريب إلى الوطن
وادكرا صيد السمك في عرض « موربهان » إلى
البحر الفسيح ، وبعد أن يجوزا نهر السين يمضيان
ليبتاعا قوت يومهما . وكان لا يتجاوز قطعة من نخذ
الخزير يشتريانها بأربعة دوانق ، ثم ما يكفي ذاك
الإدام من نبيذ وخبز يضعانه في منديليهما ، حتى
إذا ما ابتعدا رق الخطو وبدأ الحديث

وهناك كان يمتد بظاهر القرية سهل ما حل غير
ذى ذرع ، تتناثر هنا وهناك منه أدغال تفضي إلى
غابة صغيرة تشبه أختاً لها في « كارماريفان » . فإذا
ما تقدم بهما السير حف بطريقيهما نبات القمح
والقرطم ، ثم يختفي النباتان في خضرة ما ينبت
في المرج الفسيح ، وإذا ذاك يقول « جان كودرن »
لصاحبه : « لوك لي جانيدك » : « إن ذلك لي شبه
« بلونيفون » تماماً »

كان إذا ما فرغ الجنديان الشابان من عملهما يوم
الأحد انطلقا في سبيلهما ...

فكانا يمرّجان إلى يمين ، من بعد الشكنات ،
فيركضان خلال « كوبفوا » فكانتاهما مسرعان إلى
تمرين . فإذا ما خلفا البناء وراءهما ترفقا في السير ،
ناهجين تلك الطريق الغبراء العارية التي تفضي إلى
« يزونس »

كانا نحيفين قصيرى القامة ، يدخلان في سترات
طويلة مترهلة ، تغطي أكتافهما أيديهما ؛ ويقلعهما
طول السراويل الحمراء ، فيضطرهما أن يشدا أرجلهما
جهد المستطاع في كل خطوة سريع . ثم لا يكاد المرء
يستبين تحت قبعتيهما من وجهيهما شيئاً . فإن أفلح
فثم وجهان من وجوه آل بريتانيا غائرا الحدود ،
ناتئا العظام ، ركبت بأعلاهما عينان ثمان عن دعة
النفس وطهارة القلب ، وبراءة الطوية

كانا قليلاً ما يتحدثان أثناء السير ، بل يمضيان
قدماً تشغل ذهنيهما معاً فكرة واحدة حلت منهما
محل الحديث . إذ قد اكتشفا موضعاً من الأرض على
كثب من غابة « لي شامبيوز » الصغيرة ، تذكرهما
بإقليميهما الذي درجا منه وترعرعا فيه فهما لا يشمران

— نعم ، إنه ليشبهها تماماً

ثم يسيران جنباً إلى جنب ، تهب على ذهنيهما المشوقين ذكريات الوطن المبهمة ، ويملاً نفسيهما الظامئتين تصاوير صافية واضحة كتلك التي تبتاعها من السوق بدائق . . . لكأني بهما يصوران مزرقة من حقل ، وسياجاً ، وكديداً حزوناً لم يشقها محراث ؛ يكتنفها جميعاً مفترق طرق وصليب من الجرانيت

وكثيراً ما تريثا لدى حجر فاصل بين حقلين يتأملانه ، ففيه شبه قوى بحجارة « الكنيفان » وكان « لوك لي جانيدك » يقطع لنفسه عسولجاً من عساليح البندق اللدنة ، إذا ما وصل إلى أقرب الأدغال إليه ، ثم يشرع في نزع لحائه في هيئة وشروء ، مفكراً في فلاحى الوطن ؛ بينما « كوردن » يحمل الطعام

ولربما ينطق « لوك » باسم من حين لآخر ، أو يشير إلى حادث من الصبا في كلمات قلائل كانت تكفى لأن تفرقهما في تأمل عميق ، وحينذاك يمتلك مشاعرهما ذكر الوطن العزيز البعيد ؛ فيطنى حتى يجنهما في أحشائه فيرسل إليهما الوطن خلال المرج أصواته المألوفة ، وأرياحه المعروفة ، ومناظره الحبيبة . ويملاً عليهم الجو بريحه المضمخ الساحر ، رائحة المروج الخضر يحملها نسيم البحر . فلم يعد أحد من الصديقين يشم بعد رائحة السباد التي تفوح من أرض الضواحي بل ينشق ريح الوطن الزهر يخالط ملوحة البحر في نسيم المحيط وتلك الأجنحة الرشيقة التي كانت تلوح في البحر خلال المرج الفسيح لقد كانا يحسبانها أجنحة لزوارق تهادى على صدر المحيط لتتصيد . فتراءى خلال المروج النبسطة في ساحل الوطن العزيز

وحينئذ يسير « لوك » وزميله « جان » على مهل وهدوء . يهتفك صدريهما سعادة وحزن ، تجنهما كآبة بالغة وحزن نفاذ كذلك الذى يمتور حيواناً سجيناً لدى الذكرى

وإذ يفرغ « لوك » من أمر العسولج يكونان قد شارفا ركن الغابة الذى يفطران فيه كل يوم أحد . وهناك يجدان لبننتين خبأهما تحت عشب جاف في المرة السابقة ، فيوقدان ناراً صغيرة ويشويان اللحم على طرف « السنجة » الرفيع

فبعد أن يملأ بطنيهما ويأتيا على خبزها وخرهما يضطجمان جنباً إلى جنب ، ويرسلان الطرف يحوب الأفق البعيد . . . لا يتحدان بل يداعبان الكرى نصباً ، بينما تمتد أرجلهما الحمراء في وهن وتراخ ، ويلمع جلد قبعتيهما وأزرار سترتيهما النحاسية في وهج الشمس الحامية فتخطف أبصار البلابل الحائمة حولها .

وتبدأ عيناها — عند الظهر — تدوران في محاجرها صوب قرية « بيزونس » فقد كان موعد تلك الفتاة التي ترعى بقريتها . فقد كانت تمر بهما كل أحد في طريقها إلى الحظيرة كيما تحلب البقرة الوحيدة التي ترعى الكلاً والأعشاب ... في حقل ضيق قريب من الغاب

وسرعان ما يبصران بتلك الروح البشرية الوحيدة في هذا المكان ، فيتلج صدريهما مرأى الدلو التي تحمل ، إذ تمكس عليه الشمس أشعتها الحامية .. ولم يتحدان في شأنها مرة فقد كان السرور يغمر قلبيهما الفتين حين مرآها ، ولا يدرى أحدهما لماذا .. كانت ممشوقة القد ... قوية البنية ... حمراء الشعر . . . قد لوحها شمس الأيام الصائفة . . .

فتاة صريحة من أرباض باريس

ففي ذات أحد قالت لهما حين رأتهما يجلسان في نفس المكان :

— طاب يومكما ! هل تأتيا إلى هنا دائماً ؟
وكان «لوك لي جانيدك» أجراً من زميله فقال:
« نعم ، إنا ننشد الراحة هنا »

كان هذا كل ما حدث . ولكنها حين رأتهما في الأحد التالي ضحكت ضحك فتاة طيبة تستريح إلى خجلهما ثم قالت « ماذا تفعلان ؟ أفترقبان العشب ينمو ؟ »

فابتسم لوك بروح غريب وقال : « ربما »

فقالت : حسن ! إنه لا ينمو سريعاً !

فأجاب وهو لا يزال يضحك « إنه كذلك ! »
ومضت ، ولكنها حين عادت تحمل قعب اللبن تلبثت أمامهما برهة وقالت :

— ألا ترغبان في جرعة ؟ لسوف تذكركما بالوطن ...

حقاً لقد أصابت ، وذلك بغريزة إنسانية من نفس جنسهما ، ربما كانت نازحة مثلهما عن الوطن . لقد حدثت فأصابت ، فوضعت إصبعها على الجرح الدامي . وتحرك الرجلان في وقت معاً ، فصبت قليلاً من اللبن في زجاجة التبيذ بغير جهد أو عناء . وشرب «لوك» أولاً في رشقات قصار ، وكان ينظر الزجاجة كل رشفة خشية أن يجور على حظ الزميل ، ثم ناول الزجاجة جان . وظلت واقفة أمامهما واضمة يديها على نغذيها ، ودلوها عند قدميها ، مسرورة لما قدمت لهما من غبطة وسرور . وأخيراً مضت في سبيلها وهي تقول :

— طاب يومكما ، وإلى اللقاء في الأحد المقبل

فنظرا قواماً طويلاً ، ورأساً جميلاً يبتعد عنهما رويداً رويداً حتى اختفى في خضرة زاهية ...

وحينما غادرا الشكنات في الأحد التالي قال جان :
« هلا اشترينا لها شيئاً جميلاً يعجبها ؟ » وأخذتهما حيرة شديدة فيما يشتريان . أي شيء يجعل بهما أن يشتريا لفتاة الرعي ؟ لقد فضل «لوك» بعضاً من لحم الخنزير ، ولكن جان فضل «الحلوى» لأنه كان مغرمًا بها . وقد نفذت فكرته فاشتريا بدائنين حلواء حمراء وأخرى بيضاء .

أفطرا اليوم في سرعة ، مأخوذين بحس غريب . ورآها جان أولاً فصاح « ها هي ذى قادمة ! »

— نعم ها هي ذى قادمة !

وضحكت من بعيد حين رأتهما ، ثم صاحت بهما :
« كيف حال كل شيء لديكما ؟ »

فأجبا في صوت معاً « وكيف الحال لديك ؟ »
وطفقت تتحدث ... تتحدث عن أشياء تافهة يطيب لهما السماع إليها ... عن الجو والمحصول ، ثم عن عمالها ...

وقد خجلا أن يهبها حلواها ، بينما الحلوى تذوب في جيب جان . واستجمع «لوك» شجاعة وقال :
— لقد ابتعنا شيئاً .

— ما هو ؟

فأخرج جان من جيبه ورقة مفضضة لامعة ، وتضرج وجهه بحمرة الحياء والخجل . وشرعت تأكل قطع الحلوى ، فتلوها في شديها . فتحدث القطع الصغيرة نثوءاً رشيقياً . وسر الجنديان الجالسان أمامهما يتأملانها . بينما تتجاوب في قلوبهما مشاعر جمّة . وراحت لتحلب بقرتها ؛ فلما أن عادت أعطت كلاً منهما قسطه من اللبن .

يفطران في بطاء شديد فقد كان كلاهما لا يحس الجوع ولا يجد العطش .

وأشرقت عليهما الفتاة ، فظلا يرقبانها ، وهي تتقدم نحوهما ، كدأبهما كل أحد . ولما أن دانتها قفز « لوك » ليلقاها . وأسرع نحوها فوضعت قعبها على العشب ثم عانقته وطفقت تلثمه في حرارة ولهفة ، متجاهلة جان . إنها لم تره بل لم تشعر بوجوده معها ... وهناك جلس جان التمس مذهولاً أيما ذهول ... ذهل حتى لم يعد يستطيع إدراك ما يرى . فقد دار برأسه إعصار ، وانفجر في قلبه شريان ، ولكنه مع ذلك لم يك يفهم ما يرى ... والآن جلست الفتاة إلى « لوك » وطفقا يتحادثان ولم ينظر إليهما جان . فقد استطاع أن يفهم لم تغيب صديقه مرتين في الأسبوع المنصرم . وكان يستشعر لذلك ألم الجرح الدامي ، وكأن بضلوعه جرحاً بليغاً ، وإن نصل الخيانة يقطع ألياف قلبه الدقيق

وقام لوك وفتاته كي ينقلا البقرة إلى مكان نضير وأتبهما جان بصره فرآهما يسيران جنباً إلى جنب ، وكانت سراويل زميله الحمراء أوضح ما في الطريق . وكان « لوك » هو الذي تناول الطريقة فدق الود في شقة أخرى من الأرض المشبة ... وانحنت الفتاة تحلب بقرتها ، بينما لوك يربت على ظهر البقرة الأملس بيدٍ متلطفة حانية . وترك القعب واتجها صوب الغاب . ولم يرجان من بعد دخولها الغاب إلا حائطاً عظيماً من ورق الشجر وسوقها قد قام بينه وبينهما سداً منيعاً . وأحس جان بالاضطراب يحتويه في أحشائه . فلو أنه رام القيام لانبطح على الأرض لا يستطيع حراكاً . والآن يجلس معتدلاً تثبته الدهشة ، وتذهله الحيرة ... حقاً لقد كان مضطرباً

ولقد فكرا في أمرها أثناء الأسبوع كثيراً ، وتحادثا عنها مراراً ؛ وفي الأحد التالي جلست إليهما لحظة لتحديثهما حديثاً أطول وأمتع . وجلس ثلاثتهم جنباً إلى جنب يتذاكر كل أحاديث الصبا فيستعيد ذكرياته الجميلة محتجزاً ركبتيه بين يديه ، مسرحاً طرفه في المرج الفسيح ، متحدثاً عن قريته التي درج منها ... وكانت البقرة ترتى العشب بعيداً ، فلما رأت صاحبها تبطئ في القدوم رفعت رأسها الضخم — بمنخاريه اللزجين — ثم جارت بصوتها تدعوها .

وسرعان ما قبلت الفتاة دعوتها إلى بعض الطعام وبعض النبيذ . وكثيراً ما كانت تحمل لهما الخوخ في جمابها فقد كان الموسم موسم الخوخ والبرقوق وكان وجودها ينعش روى الجنديين البريطانيين . فكانا يثرثران كما ينغم زوج من الطيور وفي يوم من أيام الثلاثاء طلب « لوك لي جانيدك » إذناً بالتغيب ، وهذا أمر لم يأنه من قبل . ثم عاد للشكنة في العاشرة مساء ... وأقلق هذا العمل بال جان . وحاول أن يرتى سبباً لغياب صديقه وطلب « لوك لي جانيدك » إذناً آخر يوضع ساعات من يوم الجمعة التالي بعد أن اقترض عشرة دوانق من زميل له في عنبر النوم .

وحينما انطلقا إلى مكانهما المختار في يوم الأحد كان سلوك « لوك » غريباً إلى حد بعيد ، فهو قلق مأخوذ .

ولم يكن جان ليفهم من الأمر شيئاً ، ولكن كان يحس بحدث قادم ، وإن لم يستطع تحديده تماماً ... ولم يتحادثا طوال الطريق ، ولا حين جلسا في مكانهما الذي أبدا عشبه من الجلوس . وطفقا

حائراً محزوناً . وكان يود البكاء بل الفرار . بل ود لو احتجب عن الأنظار فلا يرى بعد ذلك من الإنس أحداً

ثم رآها فجأة يخرجان من الغاب فيمشيان ويبدأ وقد ارتفق كل منهما ذراع صاحبه كما يفعل خطيبا القرى . وقد كان « لوك » يحمل القعب في يده الأخرى . وتماثقا ثانية وتلاثما ، ثم انطلقت إلى سبيلها بعد أن ودعته « بطاب ليلك » ونظرت نحو « جان » نظرة ذات معنى . ولم تفكر اليوم أن تهب جان قنطه من اللبن

وجلس الجنديان على كشب مرة أخرى صامتين سامدين ؛ لا يشف محياهما عما يعتلج في قواديهما من مشاعر ، وما يدوي من فكر . كل ذلك والشمس ترسل عليهما شواظاً من نار موقدة . والبقرة تنظر إليهما فتجأر بصوتها من مرعاهما البعيد . وفي موعدهما المؤلف قاما ليرجما ...

واختطف « لوك » عسلوجاً آخر من عساليج البندق ، وطفق ينضو عنه قشره . بينما حمل جان زجاجة النبيذ ، وتركها عند الخمار في « بيزونس » ثم عبرا الجسر ووقفا في المنتصف يرقبان الماء بضع لحظات كدأبهما كل أحد . وانحنى جان على السياج الحديدى رويداً ... وانحنى ... وانحنى ... كأنما رأى في النهر ما جذب انتباهه . فسأله « لوك » : — أفتنتوى الشرب من هذا الماء ؟

ولكن لم ينته من قوله حتى جذب جان رأسه . فرسمت ساقاه في الهواء دائرة . وهوى الجندي الصغير في الماء كتلة من الصخر ، وغاب وأراد « لوك » أن يصيح ، ولكن حنجرتة لم تطاوعه ، فكأنما شلت ، ورأى عن بعد شيئاً

يختلج ويضطرب . ثم انحسر الماء عن رأس صاحبه ولكنه غار في لحظة . وبصر هناك بيد واحدة تندفع إلى السطح ثم تختفي ... وحقق ولم يبصر بعد ذلك شيئاً

ولم يعثر الملاح الذى أسرع إلى المكان بالجثة في ذلك اليوم ، وعاد « لوك » إلى الشكنة وحده يعدو كمن به مس من خبال . وقص الحادث بدمع واكف وصوت مرتجف :

— لقد انحنى إلى الأمام ... انحنى ... انحنى ... كثيراً جداً ... جداً ... حتى ... حتى جذبه رأسه ... ف ... ف ... فهوى ...

ولم يقدر على أن يفصح أكثر من هذا فقد خنقه البكاء ... آه ! لو كان يعرف !

السيد محمد العزاوي

المجموعة الاولى للرواية

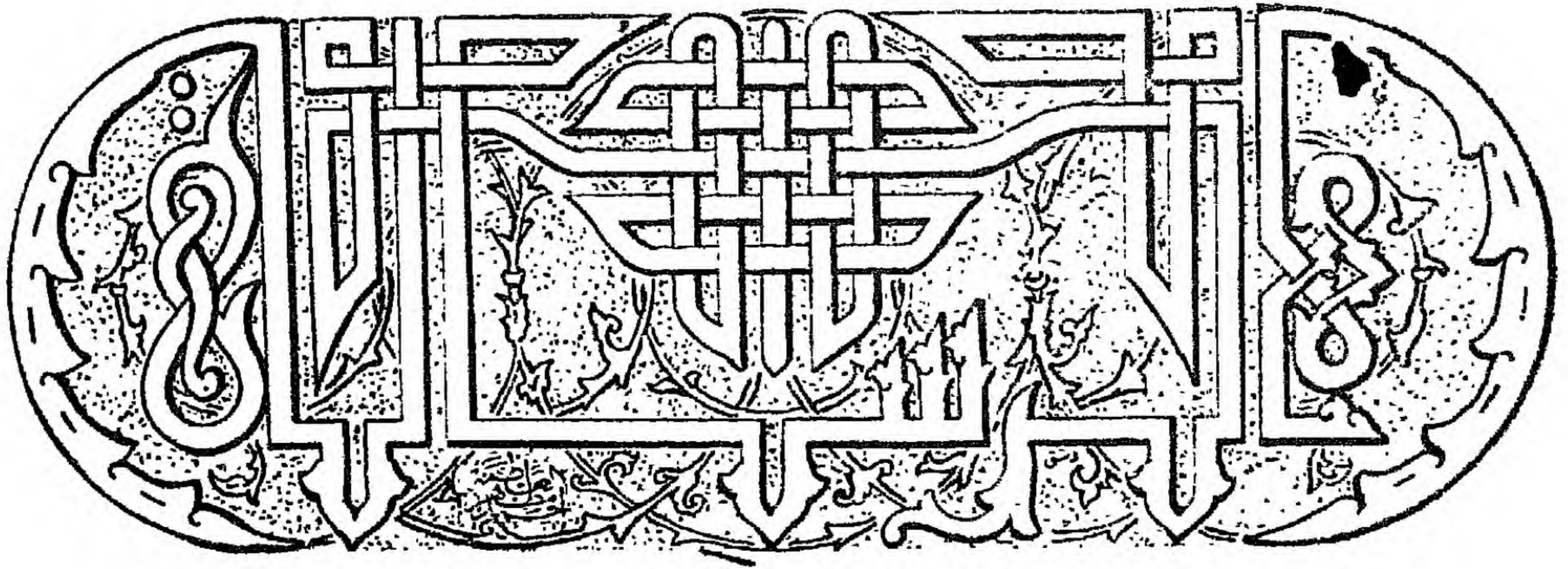
١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى العصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الْفَرِيعَةِ وَالْثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجَلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النُّشْءِ اسْكَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصُدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجْلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

مَدِينَةُ الرَّفِيعِ قَرْيَا ، وَالْمَخَارِجُ مَابَسَادَى جَنِينَا مِصْرِيَا ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيِّ بِمَجْمَعِهِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

١٧ رجب سنة ١٣٥٨ — أول سبتمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٣

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٨٤٢	الرهات للقصصى الروسى أنطون تشيكوف بقلم الأستاذ سعد حسين سعد
٨٤٧	الورقة المهلكة أفصوصة مصرية بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٨٥٣	تزوجت جاسوسا عن الإنجليزية بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٨٦٥	موت الدوفين للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٨٦٧	قصص أفصوصة مصرية بقلم الأديب السيد محمد العزاوى
٨٧٤	في طريق الغرام أفصوصة عراقية بقلم الأديب السيد قاسم محمد ...
٨٨٨	العزيزة للقصصى الروسى أنطون تشيكوف بقلم الأستاذ حنفي محمود جمعة ...

الله . وليس لها الحق في انتزاع
ملا يمكنها استرداده عندما تشاء»
وكان في الرفقة محام شاب يناهز
الخامسة والعشرين ، فلما سئل رأيه
قال : « الإعدام والسجن المؤبد
كلاهما عمل همجي . لكن إذا
خيرت بين أحدهما فلا شك أني
أختار الثاني . فلأن تعيش على وجه ما

خير من ألا تعيش قط »

ثم احتدمت المناقشة ، وكان الممول يومئذ أصغر
سناً وأحد مزاجاً ، فخرج عن طوره فجأة وجعل
يضرب المنضدة في عنف بقبضة يده ثم اتجه للمحامي
الشاب صائحاً : « أنت تكذب . وإني أراهنك
بمليونين إن استطعت أن تلزم حبساً ولو لمدة خمسة
أعوام »

فأجاب المحامي : « إذا كنت جاداً فيما تقول فإني
أراهن أن أمكث فيه لا أعواماً فقط ، ولكن
خمس عشرة عاماً »

فصاح الممول : « خمسة عشر ! فليكن ! أيها
السادة إني أراهن بمليونين »

فقال المحامي : « موافق . أنت تراهن بمليونين
وأنا أراهن بحريتي »

وهكذا جرى هذا الرهان الوحشي المضحك .
واستطير الممول فرحاً ، إذ كان في ذاك الوقت يملك
ملايين كثيرة ، وكان متلافاً ذا بدوات وأهواء .

قال للمحامي أثناء العشاء مازحاً : « تدبر الأمر
ملياً أيها الشاب قبل فوات الوقت . إن مليونين
لا قيمة لها عندي ، ولكنك ستخسر ثلاثة أو أربعة

الله

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
بقلم الأستاذ سعد حسين سعد

في إحدى ليالي الخريف المظلمة كان الممول
العجوز يذرع حجرة مكتبه من ركن إلى آخر ،
وهو يستعيد في ذهنه ذكرى المأدبة التي أقامها في
الخريف خمسة عشر عاماً خلت . كانت المأدبة تضم
كثيراً من نوابغ القوم تدور بينهم أحاديث ممتعة
شتى . ومال بهم الحديث إلى الكلام عن عقوبة
الإعدام ، فلم يقرها أكثر الضيفان ، وكان بينهم
غير قليل من الأدباء والصحافيين ، واعتدوها عقوبة
باطلة همجية لا تليق بدولة مسيحية . ورأى بعضهم
أن هذه العقوبة يجب إبدالها في جميع أنحاء العالم
بالسجن المؤبد .

فقال المضيف : « أنا أخالفكم في هذا الرأي .
ولو أنه لم يسبق أن حكم على بالإعدام أو بالسجن
المؤبد ، ففي اعتقادي أن عقوبة الإعدام أرقى وأرحم
من السجن . فالإعدام يقتل فوراً ، أما السجن المؤبد
فيقتل تدريجياً . فأى الجلادين أرحم : الذي يقتل في
ثوان معدودة ، أم الذي يستل الحياة على الدوام
في عدة سنين ؟ »

فأجاب أحد الضيفان : « كلاهما متوحش ، لأن
غرضهما واحد وهو انتزاع الحياة . إن الدولة ليست

أعوام من أحسن سنى عمرك . أقول ثلاثة أو أربعة أعوام لأنك لن تستطيع الاحتيال على نفسك أكثر من ذلك . ولا تنس - أيها التعس - أن السجن الاختياري أبهظ على النفس من الإجباري ، لأن الاعتقاد بأنك في حل من إخلاء نفسك في أى وقت يسمح كل حياتك في الحبس . إني أرثى لك »

تذكر الممول كل هذا وهو يروح ويجيء من ركن إلى آخر ثم تساءل : « لم أجريت هذا الرهان ؟ ما الفائدة ؟ المحامى يضيع خمسة عشر عاماً من حياته وأنا ألقى بمليونين سدى ... هل هذا سيقنع الناس أن عقوبة الإعدام شر أو خير من السجن مدى الحياة ؟ كلا . كلا ! كله عبث وهراء ، كان من جانبي هوى رجل أبشبه الثراء ، ومن جانب المحامى شدة شراهة للذهب »

وتذكر غير ذلك مما حدث بعد المأدبة . فقد تقرر أن يمضى المحامى مدة السجن تحت أدق مراقبة في جناح من حديقة منزل الممول . واتفق أن يحرم على المحامى طيلة المدة ، عبور العتبة ، ورؤية الناس الأحياء ، وسماع الأصوات البشرية ، واستلام الرسائل والصحف . وسمح له باقتناء آلة موسيقية ، وقراءة الكتب ، وكتابة الرسائل ، وشرب النبيذ ، وتدخين التبغ . وتيسر له حسب الاتفاق أن يتصل بالعالم الخارجى ، فى صمت فقط ، خلال نافذة صغيرة أنشئت لهذا الغرض ، كما تسنى له الحصول على كل ما يلزمه من كتب وقطع موسيقية ونبيذ بأى قدر كان ، وذلك بإرسال مذكرة من النافذة . وألم الاتفاق بكافة التفاصيل الدقيقة التى جعلت الحبس فى منتهى العزلة والانقطاع وألزم المحامى أن يمكث خمس عشرة سنة كاملة من الساعة الثانية عشرة من

ليلة ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٠ إلى الساعة الثانية عشرة من ليلة ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٥ ، حتى إذا ما قام بأدى محاولة لنقض الشروط أو الهرب ولو قبل انتهاء المدة بدقيقتين فقط ، فإنها تعفى الممول من دفع المليونين فى غضون السنة الأولى من الحبس قاسى المحامى - حسب ما أمكن معرفته من مذكراته القصيرة -

أهول عذاب من الوحدة والسأم ، وكان يصدر صوت البيانو من جناحه نهاراً وليلاً ، وأقلع عن التبغ والنبيذ ، فقد كتب : « إن النبيذ يشير الشهوات ، والشهوات ألد أعداء السجين . وفوق ذلك فليس هناك ما يضجر أكثر من شرب النبيذ الجيد على انفراد » كما كان التبغ يفسد هواء حجرته . وأرسلت إليه فى السنة الأولى كتب خفيفة سهلة الهضم كالروايات الغرامية وقصص الجرائم والخيال والمهازل وما إليها

وفى السنة الثانية لم يعد يسمع البيانو ، ولم يطلب المحامى سوى كتب الآداب الرفيعة . وفى السنة الخامسة سمعت الموسيقى ثانية وطلب السجين نبيذاً . وقال الذين يراقبونه : إنه طيلة هذا العام لم يكن يعمل إلا أن يأكل ويشرب ويرقد على الفراش . وكان غالباً يتشاءب ويكلم نفسه بغضب ، ولم يعد يقرأ الكتب ؛ وكان أحياناً يجلس فى الليل ليكتب . وقد يكتب زمناً طويلاً وفى الصباح يمزق كل ما كتب . وسمع أكثر من مرة وهو يبكى

وفى النصف الأخير من السنة السادسة ، شرع السجين يدرس بهمة اللغات والفلسفة والتاريخ ، وانكب على هذه المواضيع بنهم حتى أن الممول لم يجد الوقت الكافى لتزويده بالكتب اللازمة . وفى مدى أربع سنوات اشترى له بناء

على طلبه زهاء ستمائة كتاب . وفي إبان هذا الحماس وصل الممول من السجين الكتاب الآتي « سجانى العزيز ، أكتب إليك هذه السطور بست لغات . فاعرضها على الخبراء ليقرؤوها ؛ فإن لم يمتروا فيها على غلطة واحدة ، أرجو أن تصدر أوامرك بإطلاق بندقية فى الحديقة . وسأعرف على صوتها أن مجهوداتى لم تذهب هباء . إن المبقريات فى كل عصر ومصر تتكلم بالسنة مختلفة ، ولكنها جميعاً تتقد فيها شعلة واحدة . أوه ! ليتك تعلم كم أنا سعيد إذ أستطيع فهمها الآن ! »

وحققت رغبة السجين فقد أطلقت فى الحديقة طلقتان بأمر الممول .

وبعد السنة العاشرة كان المحامى يجلس دون حراك إلى المنضدة ، ولا يقرأ سوى الإنجيل . واستغرب الممول من الرجل أن يقرأ فى أربع سنوات ستمائة مجلد فى كافة العلوم والمعارف ، ويسلخ قرابة عام فى قراءة كتاب واحد سهل الفهم صغير الحجم . ثم خلف الإنجيل بعد ذلك كتب فى اللاهوت ، وتاريخ الأديان .

وفى خلال السنتين الأخيرتين من الحبس كان السجين يقرأ خليطاً عجيباً حسبما اتفق . فتارة ينقطع للعلوم الطبيعية ، وطوراً يقرأ ييرون وشا كسبير ، وفى نفس الوقت كانت ترد منه مذكرات يطلب فيها إما كتاباً فى الكيمياء أو كتاباً فى الطب ، أو رواية ، أو رسالة فى الفلسفة أو اللاهوت . كان يقرأ كأنه يسبح فى بحر بين حطام سفينة غريقة وهو يتعلق بقطعة بعد أخرى محاولاً إنقاذ حياته .

تذكر الممول كل هذا ثم قال فى نفسه : « غداً فى الساعة الثانية عشر ليلاً يسترد حريته ، وسألزم بدفع مليونين له تنفيذاً للاتفاق . فإذا دفعت فعلى العفاء . سيقضى على إلى النهاية ... »

منذ خمسة عشر عاماً مضت كان لديه ملايين لا عداد لها ، أما الآن فهو يخشى أن يسأل نفسه أيهما أكثر : نقوده أم ديونه ؟ فإن المغامرات فى سوق الأوراق المالية ، والمضاربات المجازفة والتهور الذى لازمه حتى بعد تقدمه فى السن ، كل أولئك سارت بأعماله فى طريق الانحلال والتدهور ، ولم يعد رجل الأعمال الأمين الواثق بنفسه ، المتشامخ ، سوى ممول عادى يرتجف لأى صعود أو هبوط فى السوق غنم الرجل العجوز وهو يمسك برأسه فى قنوط : « تباً لهذا الرهان اللعين ، لماذا لم يمت هذا الرجل ؟ إنه لم يزل فى الأربعين من عمره ، وسوف يستولى على آخردائق أملكه ، فيتزوج وينعم بالحياة ويقامر فى السوق وسأرمقه بنظرة الشحاذ الحسود وأسمع منه نفس هذه الكلمات كل يوم « وأنا مدين لك بسعادة حياتى . دعنى أساعدك . » كلا ، هذا كثير للغاية ! الوسيلة الوحيدة للتخلص من الإفلاس والمار — هى أن يموت هذا الرجل .

وكانت الساعة وقتئذ قد دقت الثالثة صباحاً ، والممول يرهف السمع وقد نام جميع من فى المنزل ، ولم يكن يسمع سوى أنين الأشجار المتجمدة خارج النوافذ ...

أخذ من خزانته وهو يحاذر ألا يحدث صوتاً ، مفتاح ذلك الباب الذى لم يفتح منذ خمسة عشر عاماً

ثم أوج المفتاح في القفل الصدى فخرجت منه أنة
مبحوحة وصر الباب . وفي الحال توقع الممول أن
يسمع صرخة فزع ووقع أقدام ، لكن مضت ثلاث
دقائق والهدوء شامل الحجرة كما كان من قبل فمقد
العزم على الدخول

أمام المنضدة جلس رجل لا يشابه الرجل البشري
العادي في شيء . كان هيكلاً عظيماً مشدود الإهاب
ذا شعر طويل معقوص كشعر المرأة ، ولحية كثة .
وكان لون بشرته شاحباً تعلوه غبرة ، وخداه غائرين ،
وظهره مستطيلاً ضيقاً ، ويده التي أراح فوقها رأسه
الشعراء من شدة الهزال والضمور بحيث يبعث
منظرها الألم في النفس ، أو شعره يلتصع فيه بياض
المشيب . وكان من المستحيل أن يصدق من ينظر
إلى نحافة الشيخوخة البادية على الوجه أن صاحبه
لم يزل في الأربعين من عمره ، وعلى المنضدة ، أمام
رأسه المائل ، وضعت رقعة من الورق عليها كتابة
بنخط دقيق

قال الممول في نفسه « يا للشيطان المسكين . إنه
نائم ولا يبعد أنه يحلم بالمليونين . ليس على إلا أن آخذ
هذا الخلق نصف الميت وألقي به على الفراش وأكتم
أنفاسه لحظة بالوسادة ، ولن يستطيع أدق فحص
بعد ذلك أن يستدل على أنه مات ميتة غير طبيعية .
لكن لنقرأ أولاً ما كتبه ها هنا »

تناول الممول الرقعة من على المنضدة وقرأ « غداً
في الثانية عشرة ليلاً سأسترد حريقي وحتى في مخالطة
الناس ، ولكن قبل أن أغادر هذه الحجرة وأشهد
الشمس أرى من اللازم أن أقول لك بضع كلمات :
إني أقر لك أمام ضميري النقي وأمام الله الذي يراني
أني أحتقر الحرية ، والحياة ، والصحة ، وجميع
ما تدعوه كتبك نعم الدنيا

ثم تدثر بمعطفه وخرج من المنزل . كانت الحديقة
حالة الظلمة باردة ، والسماء تمطر ، والرياح المخضلة
تموى بشدة ولا تدع الأشجار تقرر على قرار . ورغمما
من أنه أنعم النظر فلم يستطع أن يتبين لا الأرض
ولا التماثيل البيضاء ولا جناح الحديقة ولا الأشجار .
وعند ما اقترب من جناح الحديقة نادى الحارس مرتين
فلم يلق أي جواب ، فلا ريب أن الحارس قد لجأ
إلى مأوى يعصمه من رداءة الطقس وأنه ينط الآن
في النوم في مكان ما بالمطبخ أو بمكان آخر

ففكر الرجل العجوز : « إذا واتتني الشجاعة
لتحقيق نيتي فستحوم الشبهة حول الحارس أولاً »
وجعل يتحسس في الظلام درجات السلم والباب
حتى دخل بهو جناح الحديقة فأخذ يتلمس طريقه
في ممر ضيق ، ثم أشعل عود ثقاب . لم يكن هناك
أحد ، وإنما كان هناك سرير عار من الأغطية وموقد
من الحديد مظلم قائم في أحد الأركان . وكانت
الأختام المطبوعة على الباب الذي يؤدي لحجرة
السجين غير مفضوضة

وحينما نفتت أعواد الثقاب تطلع الرجل العجوز
خلال النافذة الصغيرة وهو يردد من القلق
كانت في حجرة السجين شمعة ترسل ضوءاً
خافتاً وكان السجين نفسه جالساً إلى المنضدة لا يرى
منه سوى ظهره وشعر رأسه ويديه ، وقد تناثرت
كتب مفتوحة فوق المنضدة والمقعدين وعلى البساط
القريب من المنضدة

مرت خمس دقائق لم يتحرك السجين خلالها قط
فقد علمته الخمسة عشرة سنة أن يجلس جلوس الجراد
فطرق الممول النافذة بأصبعه لكن السجين لم يبد
أية حركة . وعندئذ فض الممول أختام الباب في حذر

« أمضيت الخمسة عشر عاماً وأنا عاكف على دراسة الحياة الدنيوية . والواقع أنني لم أكن أعرف العالم ولا الناس ، ولكن في كتبك نهلت سلافاً عطراً ، وشدوت الأغاني ، وصدت الطباء والوحوش في الغاب ، وعشقت النساء ... وكانت توافيني ليلاً حسان كأنهن سحب أثيرية ، قد أبدعتهن عبقرية شعرائك ، فيهمسن إليّ بقصص عجيبة تسكر رأسي . في كتبك صعدت قمتي إلبروز ومونت بلان ، ورأيت من ثمة مطلع الشمس في الصباح ومغربها عند الأصيل وقد خضبت بأرجوان الذهب السماء والبحر ورؤوس الجبال . رأيت من ثمة البرق يخفق فوق ويشق الغمام ؛ رأيت آجماً خضراء ، وحقولاً غناء ، ومدائن فيحاء ، وأنهاراً دافقة ، وبحيرات خافقة ؛ سمعت غناء الحوريات وترنيم رب الرعاة على الزمار ؛ لمست أجنحة الملائكة الجميلة التي أتتني طائفة لتحدثني عن الله ... »

« في كتبك ألقيت بنفسي في هوات سحيقة ، وأتيت بالمعجزات ، وأحرقت مدناً عن آخرها ، ودعوت إلى أديان جديدة ، وأخضعت أقطاراً بأكملها ... »

« علمتني كتبك الحكمة . إن عصارة كل ما أبدعه الفكر الإنساني خلال الأجيال قد تجمعت في جمجمتي . وأنا واثق تماماً أنني أكس وأقدر منكم جميعاً »

« بل وإنني أيضاً لأحتقر كتبك وأحتقر جميع النعم الدنيوية والحكمة . كل شيء باطل واهٍ وهمي خادع كالسراب . قد تكون متكبراً حكيماً جليلاً ، ومع ذلك يأتي الموت فيمحوك من على وجه الأرض »

كالحشرة ولا يبقى من ذريتك وماضيك وعباقرتك الخالدين إلا رماد يختلط بالأرض . أنت مجنون ضللت سواء السبل ، تحسب الزيف صدقاً والقبح حسناً . إنك لتعجب إن تدلت فجأة من الأشجار ضفادع وزواحف بدلاً من الثمار ، وإن فاحت من الورد رائحة حصان عرق مكدود . وهكذا أعجب لك أنا أيضاً أنت الذي بعت الآخرة بالدنيا ، لست أريد أن أفهمك

« ولكي أريك فعلاً مبلغ ازدرائي ما تعيش به ، فإني متنازل عن المليونين اللذين كنت أحلم بهما قديماً كما أحلم بالجنة ، فأصبحت أحتقرهما الآن . ولكي أجرد نفسي من حق فيهما ، سأخرج من هنا قبل الموعد المتفق عليه بخمس دقائق وبهذا ينقض الاتفاق »

« فلما أتم المول قراءة الرقعة وضعها على المنضدة وقبل رأس هذا الرجل الغريب ثم أجهش بالبكاء خرج من الجناح ولم يشعر في أي وقت مضى ، حتى عقب خسائره الشنيعة ، بمثل هذا الاحتقار لنفسه . فلما بلغ المنزل تهالك على فراشه ، غير أن اضطرابه ودموعه نفرت عنه النوم مدة طويلة . »

وفي صباح اليوم التالي أقبل إليه الحارس بمدو فأخبره أن الرجل الذي يقيم بالجناح شوهد يتسلق النافذة ويهبط منها إلى الحديقة ، ثم ذهب من البوابة واختفى . فتوجه المول لوقته إلى الجناح مع الخدم وأثبتوا فرار السجين . وتلافياً للتخرصات والإشاعات أخذوا ورقة التنازل من على المنضدة ، وعند عودته أغلق عليها خزائنه .

الورقة المملوكة

أقصوصة مصرية
بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

ألقى الشاب نظرة على
البناء وقد لاحت في عينيه
الأحلام وارتسمت ابتسامة
خفيفة على شفتيه الممتلئتين ،
وغادر السيارة . فبدت قامته
الرشيقة وبذلته الأنيقة ،
ودخل إلى القهوة ، واختار
ركناً قصياً ، وكان المكان

خالياً ساكناً ، لأنه لا تدب فيه الحياة عادة إلا بعد
انصراف العمال في المساء . فجلس يحتسى فنجاناً من
القهوة ، والنادل على بعد منه يرمقه بنظرة ملؤها
الإنكار والدهشة .

ولم تكن هذه أول مرة يهبط فيها إلى هذه
القهوة التأهية في الصحراء ، فقد زارها زيارة سعيدة
لم تكن في الحسبان منذ أمد غير قريب . وما دفعه
إليها تلك المرة إلا الملل الرَّاكد على نفسه التي شبت
من أهواء الدنيا وعانت من الفراغ مر العناء وتركته
يتخبط حائراً ما بين الميادين والأزقة لا يهتدى إلى
مستقر . وما عاج به إليها هذه المرة إلا ما طالع خياله
من أطيايف الذكريات الحلوة ...

وجلس يلقي على السكان نظرة تذكر وحنين ،
ولم يكن يرى منظرًا غريباً ، فإنه يذكر ولا شك تلك
الأنبنة العالية التي يتصاعد الدخان من أعاليها ويدوى
قرع آلات في داخلها ، وهذه الصحراء المترامية
التي تنتهي شطآنها البعيدة إلى مآذن القاهرة العزبة ،
ولكن ماله يلتفت بمنة ويسرة ؟.. هل يفتقد منظرًا
يذكره ولا يجده ؟..

نعم . إن الصورة التي انتزعها رأسه من السكان

انتهى المطاف بالشمس إلى الأفق الغربي وقد
شملها الهدوء والوجوم والأسى بعد أن ولي عنها تيه
الفتوة وزهو الشباب . ومضى شعاعها الشاحب
يوغل شرقاً مودعاً رمال الصحراء المتاخمة للعباسية
موسعاً وراءه للسمر الزاحفة .

ولم يكن في الطريق الذي يخترق الصحراء - في
تلك الساعة - سوى سيارة بيضاء صغيرة تسير على
مهل ، كأن لا غاية لها سوى السير . ويسوقها
شاب تدل نظرة عينيه المظلمتين على الملل وعدم
الاكتراث .

وتقدمت السيارة في الطريق حتى حاذت أبنية
المصانع الجديدة التي تشغل مساحة واسعة من فضاء
تلك الصحراء ، ثم وقفت أمام بناء صغير كتب
على لوحة في أعلى واجهته « مطعم وقهوة الزملاء »
وكان البناء مكوناً من قسمين : واحد مسقف رصت به
موائد الطعام الخشبية التي يتناول عليها الطعام عمال
المصانع القريبة ، والآخر مكشوف معشوب
الأرض ، وضعت به الكراسي حول نافورة من
ماء آسن أقيمت حولها عمد خشبية علقت برؤوسها
الكلبات .

في تلك الليلة القمراء ناقصة ... ولا تنقص شيئاً
تافهاً ، بل تنقص مدينة كاملة ... مدينة الصفائح
الغريبة ... كانت تقع أمام القهوة مباشرة على بعد
عشرة أمتار من مدخلها ، وكانت مبانيها أكواخاً
من الصفائح التي علاها الصدا ، تأوى رجالاً ونساء
وأطفالاً ، وترعى في عرصاتها المغز والكلاب ...
أين ياترى هذه المدينة ؟ أم تراه اشتبه عليه الأمر ؟
ولكى يقطع الشك باليقين نادى النادل وسأله
وهو يشير بيده إلى الموضع الخلاء الذي أحدث ارتياحه :
— ألم تكن توجد هنا أكواخ من الصفائح ؟
فهز الغلام رأسه علامة الإيجاب وقال :

— بلى ، يا بك

— فأين ذهبت ؟

— هدمتها الحكومة

فقطب الشاب جبينه وسأله :

— متى ... ولأى سبب ؟

— منذ ثلاثة أشهر ، بعد أن تأكد البوليس
من أن ساكنيها من اللصوص والقتلة
لم يكن في الخبر ما يثير الدهشة ، ولكنه ذكر
شخصية عزيزة فقال :

كان يوجد هنا رجل مغن يدعى أبو لبه ...
أو أبو رنه لا أذكر ... ألا تعلم أين هو ؟
فتفكر الغلام دقيقة ثم قال :

— لعله أبو سنه يا بك

— أظنه هو ، كان يغنى غناء جميلاً وينشد
إنشاداً ساحراً ...

— نعم هو يا بك . ولكنه شفق وأسفاه !

وانزعج الشاب وسأله :

— أتقول إنه شفق ؟

— نعم شفق بغير شك

— ولماذا شفق ؟

— لسبب تافه جداً

فاستولت الدهشة على الشاب وسأله :

— كيف يشفق لسبب تافه ... ماذا فعل ؟

فقال الغلام بهدوء :

— قتل ...

فابتسم الشاب بالرغم من انزعاجه وقال :

— ولكن ليس هذا بالسبب التافه

— قتل بغيا ...

ولم يستطع الغلام أن يتم حديثه ، لأنه قطعه
عليه دخول جماعة من العمال ونداء المعلم له فخيا الشاب
وانصرف إلى عمله ...

لقد وقعت أحداث غريبة منذ زيارته الأولى
لهذه القهوة ... دمرت مدينة ، وتشتت أهلها ،
وشفق رجل كانت حنجرتة تنفث سحراً وبهجة ،
فما أتعس مجيئه هذه الليلة ! جاء يطلب لهواً ومسرة
فوجد خراباً وموتاً !

ولبت كئيلاً حزيناً ، وراح يفكر في زيارته
الأولى تلك الليلة القمراء السعيدة ...

كان في مساء تلك الليلة جالساً في سانت جيمس
يشارب جماعة من صحبه كما هي عادته كل مساء ، وقد
تركوا الحانة في الساعة العاشرة ، ورأى بعضهم
أن يمضوا الليل في صالة رقص أو غناء أو نساء ،
ولكنه لم يجد من حواسه ميلاً إلى تلك المتع .

كان ضيق الصدر من طول ما فعل به الملل
والفراغ ، وكان يعاني شبعاً ثقيلاً صرف هواه عن
الدنيا جميعاً فأمسي الرقص والغناء والنساء ألفاظاً
لا معنى لها ، وانقلب جسد الأهواء الفاتن في عينيه

جثة هامدة ، فودع صحبه وتركهم يذهبون
وتلفت يمنة ويسرة في حيرة ... إلى أين يذهب ؟
ولم ينقذه من حيرته إغراء ... فترك للملح ووحده
وسكره ...

ثم استقل سيارته الصغيرة وانطلق بها على غير
هدى ، وساقه التخبط إلى العباسية ، ودفعته العباسية
إلى صحرائها الشرقية . ولفتت ناظره — في الطريق
الصحراوي الملتوى — أنوار خافتة تنبعث من القهوة
المنعزلة ، فهدأ من سرعة السيارة ونظر صوبها فسر
منظر الجالسين يتسامرون ويلعبون النرد والورق ،
وحمل الهواء إلى أنفـه رائحة « التباك المسـل »
فتسربت إلى مخه وأطربت أعصاب رأسه ، فانقشع
عنه كابوس السقم ، وأدار السيارة إلى أمام مدينة
الصفائح ووقف ، وحسب أن جلسة في هذه القهوة
ونفساً من هذه (الجوزة) يساويان نعم الدنيا الذي
أنهك قواه وأضنى قلبه

ولفت شخصه الغريب أنظار الجالسين ولكنه
لم يجد حرجاً ولم يستشعر خجلاً إذ أخفت الخمر عن
عينيه نظرات الآخرين ، وقصد إلى ركن خال واطمأن
إلى كرسي ، وطلب جوزة ... وكان القمر بدرأ
والسما صافية ، كأنها تعرت تستحم في نوره البهي ،
فبهره سحر النور وجمال الليل وفتنة الصحراء القائمة
وأنه يرى القمر لأول مرة ، بل لعله كان يراه لأول
مرة حقاً ، لأنه كان في العادة يمر على محاسن الكون
ومفاته بعيني أعمى وأذني أصم . أما تلك الليلة
— والخمر في رأسه و (الجوزة) في فـه — فقد نظر ،
وقلب وجهه الداهل في أقطار السماء والفضاء ، وخال
الأنوار الهادئة ترقص طرباً والقمر الساطع ينشد
نشيداً ترتله السموات والأرض ، وأحس كأنه معلق

بأطراف النور الفضي كمن يتقلب على بركة من الزئبق .
أي حسن ... ! وأي شعور ... ! في تلك الساعة
السعيدة نسي مرضه العضال وحزنه الثقيل والملل
الجاثم على صدره ، وذهب عنه شبحه الزمن ، وأحس
بجدة وبعث ومنتعة وحب . فأنشد الصامت في أذنيه ،
وابتسم العاثر لعينيه ، ولولا الحياء لاندفع يرقص
ويغنى وينشد طرباً وفرحاً . وبالح صاحب القهوة
في إكرامه والترحيب به ، وأحضر له (الجوزة) بنفسه
وهو يقول بتودد : « آنت وشرفت » . وكان
شيخاً في الستين ، قصير القامة ، بطينا ، ضخم
الوجه والرقبة ، فلم يسع دانش — اسم الشاب —
إلا أن يشكره

وأراد الرجل أن يبالغ في إكرامه فقال :

— أتحب يا بك أن تسمع غناء بلدياً ؟

فسر دانش وقال لنفسه ليلة قراء وخمر وجوزة
وغناء بلدي ! يا لها من ليلة سعيدة حقاً ... وقال
بحماس للرجل :

— نعم ... نعم ... أين المغنى ؟

فنادى الرجل :

— أباسنة ... تعال

وتقدم من بين صفوف الجالسين شاب طويل
القامة عريض المنكبين ، لم يجلب نور القمر الشاحب
قسماً وجهه ، وأسدل ظلاً على أسماله البالية
دنا من صاحب القهوة وقال :

— نعم

فقال له الرجل :

— أقعد يا عم ... يريد البك أن يسمع غناءك

وقال دانش :

— نعم ... أسمعنا ... أسمعنا

ثم التفت إلى صاحب القهوة وقال :

— يا معلم ... هات « للأستاذ » جوزة

وانبسطت أسارير الشاب فرفع يده إلى رأسه تحية وتربع جالساً على الأرض أمام البك ، وسعل مراراً متوالية يسلك حنجرتة ، ثم أسند رأسه إلى كفه ومضى يغنى (ليالى) فى صوت جميل ظن دأنش فى نشوته أنه أجمل من أصوات الحور فى الجنان ، ثم أنشد :

بكره وبعده وبعده اللي ورا بعده

وإن غاب حبيبك مالكشى فى البلاد بعده
وكان رأسه يهتز وجسمه يتمايل ، وكان جميعه فى حركة وجدانية تمثيلية غريبة . وكان صوته يتهدج ويتوجع ، يعلو تارة حتى يملأ الفضاء ، ويخفت أخرى حتى ينفذ إلى أعماق القلب ، وما انتهى من إنشاده حتى صعدت آهات الإعجاب من كل فم ، وكان الشاب أول المعجبين ، وغلبته النشوة والطرب فطلب لكل واحد من الجالسين (جوزة) وصاح بالمغنى :

— لا أسكت الله لك صوتاً ... أسمعنا موالاً آخر ...

فهز الرجل رأسه مختالاً نفوراً ووضع يسراه على أذنه ، ويمناه على الجوزة . وأنشد :

بنى وبين الحباب جبل عال وتل حشيش

وبحر خمرة ونفسى فى التبيذ ولا فيش
ولما انتهى المغنى من إنشاده بلغ الفرح بنفس دأنش مبلغاً ظن أنه لن يذوق الملل معه أبداً ، وأحس بالرضاء والنبطة ، وأفعم قلبه بماطفة سعادة وخير فود لو يستطيع أن يفمر كل محزون بفيض من سعادته ، ومال بقوة قاهرة إلى مكافأة الرجل

الذى مس روحه بنفثة من سحر صوته ، فدى يده إلى محفظته ووجد بها بضعة قروش وورقة من ذات العشرة جنيهات ، فأعطى القروش إلى صاحب القهوة ثم نظر إلى المغنى ملياً ووضع الورقة فى يده وهو يقول :

— هذه لك ...

لم يداخله التردد مطلقاً ، وما كانت تمت قوة فى الوجود تستطيع أن تمنعه من المنح والعطاء تلك الساعة ، أما الرجل فسهم ووجم وأدنى الورقة من نور المصباح وتأملها بإنكار ، ولمح الورقة فى يده أحد الجالسين فاقترب منه ونظر إليها لحظة ثم قال بلهجة خبير :

« ورقة قديمة من ذات العشرة قروش ...

كانت متداولة أيام السلطة »

فتضحك دأنش وقال للرجل بصوت سيمه كثير من حوله :

— جزاك الله على ما أسعدتنى خيراً ... هذه

ورقة من ذات العشرة جنيهات قد تراها بين يديك ثروة عظيمة وأراها أنا شيئاً تافهاً إلى ما أحسست به من السعادة ... السلام عليكم يا سادة ...

على أنه رأى منظراً عجيباً — زاد من مسرته — قبل أن يغادر القهوة

رأى أباسنة يهب واقفاً فزعا ، وسمع همساً تتناقله الشفاه ، ثم علا ضجيج ، ثم ساد صمت ثقيل ، وقد كفت كل يد عن اللعب وكل فم عن التدخين والتقت الأبصار جميعاً عند المغنى السعيد

ولبس طربوشه وسار إلى سيارته وقلبه يكاد يطير من الفرح بعد أن نفى عنه راكد السقم والملل ، وعاد إلى المدينة ، ثم ألهمته الحياة عن الصحراء

وقهوة الصحراء وأبى سنة حتى وجد نفسه فيها
هذا المساء

فما أشد ما نزل بالدنيا من تغير ! اندثرت مدينة
الصفائح العاصرة ... وفتك الحبل بعنق أبى سنة
الجميل وحنجرته الذهبية ... يا للعجب ! كان أبو سنة
مطرباً فكيف صار قاتلاً ... ؟ ووجد رغبة صادقة
في السؤال والتحري عنه ، وكان صاحب القهوة
جالساً بمكانه المهود عند مدخل المطعم ، فأشار إليه
وناداه قائلاً : « يا معلم » وحدق الرجل في مصدر
الصوت وهو يضيق عينيه ، ثم سار إليه ، فلما دنا
من صاحبه ورأى هيئته المميزة ابتسمت أساريره
وارتفعت يده إلى جبينه بالسلام ، ولكن لم يبد
عليه أنه عرفه أو تذكره ، وطلب إليه دانس أن
يجلس ثم قال له :

— أراك لا تذكرني يا معلم

فخدجه الرجل بنظرة إمعان وارتباك وتمم وعلى
فه العريض ابتسامة حائرة :

— أهلاً وسهلاً ...

فأردف دانس :

— ألا تذكر تلك الليلة القمراء ؟ ... والغنى
أبا سنة ؟ ... وموال بكره وبعده ؟ كم مضى على تلك
الليلة ؟ ... ثمانية أشهر أو يزيد ، ألا تذكر ؟
ونظر إليه الرجل نظرة غريبة ، كان الشاب
يتوقع أن يقرأ فيها الدهشة والترحاب ، ولكنه
وجدها جامدة ثقيلة ...

— ألا تذكر يا معلم ؟ ...

فهز الرجل رأسه وقال :

— بلى ، أذكر يا بك

— سمعت خبراً غريباً مزعجاً ... هل حقاً شنى

أبو سنة ؟

— نعم شنى الرجل التمس

— وكيف شنى ؟

— أتحب أن تعرف يا بك ؟

— طبعاً يا معلم

فقال الرجل بصوت غليظ :

— ألا تذكر الثروة التي رميتها بها في تلك الليلة ؟

فهز الشاب رأسه بالإيجاب وقد داخله قلق للجهة

الرجل ، أما المعلم فاستطرد قائلاً : « في تلك الليلة

شاهدت وشاهد جميع الزبائن منظرًا عجيباً ، فعلى أثر

ذهابك انتبد أبو سنة مكاناً خالياً وجلس ويده تمسك

بالورقة الثمينة ، ولم تكن عادة أن يجلس صامتاً فهو

إما يضاحك القوم أو يغنيهم وينشدهم ؛ أما في تلك

الساعة الرهيبة فقد انكمش مضطرباً وجعل يختلس

من الجالسين نظرات الريبة والقلق ويمعن في الورقة

نظراً يتنازعه الشك واليقين والذعر والأمل. ودنوت

منه وطلبت إليه أن يطلعني على الورقة فأطلعني عليها

وهو قابض على طرفها فعرفتها وأمنت على قولك له

دهشاً متعجباً ، وقلت له لقد أتتك ثروة واسعة .

وكان محط الأنظار ومثار الاهتمام والهمس ، وكنت

أتوقع أن يغادر المكان سريعاً ولكنه ظل ذاهلاً

يتناوب على عينيه نور فرح خفيف والتمتع ذعر مرعب ؛

ولعله كان في حيرة من أمره لا يدري أين يذهب ،

فهو آمن وسط الجميع ولكن أنى له الأمان إذا انفرد

في الطريق أو آوى إلى كوخه في مدينة الصفائح ؟

ومدينة الصفائح لا يعرف أهلها من العملة سوى

الملاليم ، ولا يغمض لها جفن إذا علمت أن بين

حدودها ورقة من ذات العشرة جنيهات ، فما العمل ؟

بات خائفاً مذعوراً وأمسى الجميع أعداءه

وسكت الرجل دقيقة ثم رمى الشاب بعينين

أحرق الأحمر أشفارها واستطرد :

— وأغلب الظن أن القلق أثار أعصابه وحرضه على الاستهتار ، فما كان منه إلا أن قام بغتة وقال بصوت مبجوح : « السلام عليكم يا إخوان » وغادر القهوة على عجل ، ولكنه بدلاً من أن يسير إلى مدينة الصفائح حيث زوجته وأسرته انحرف إلى اليمن وأوسع الخطى حتى ابتلعتة الظلمة . وأحدث انحرافه دهشة فتبعه أحد الرفاق وغاب زمناً يسيراً ثم كر راجعاً وهو يصيح ضاحكاً : « ألا تعلمون .. إن الرجل المتهو يمدو بقوة كأنما يطارده مطارده عنيف » وأحدثت عبارة الرجل عاصفة من الضحك والسخر واللعن ، وهكذا غادرنا أبو سنة ...

وذاع الخبر حتى بلغ مدينة الصفائح ، فجاءت أسرة المغنى على عجل ، وتبعها قوم كثيرون ممن يشتغلون بجمع الأعقاب ولم الورق القدر وسألوا عن جلية الأمر . فلما أن صح لديهم الخبر انعقدت ألسنتهم من الدهشة ، وظنوا أن المغنى ذهب ليدفن كنزه في مكان أمين فقمعدوا ينتظرون ، وطال بهم الانتظار على غير جدوى ، فجزع الأكثرون وتفرقوا ولم يبق إلا أفراد أسرته ، ولبثوا طويلاً يترقبون ولكن أباسنة لم يعد وهنا غلب السعال على « المعلم » فمنعه عن إتمام حديثه ، وانتظروا دأنش حتى رد إليه النفس واستحسنته بنظرة عينيه القلفتين فاستطرد الرجل :

— كلام لم يعد أبو سنة ... وما كان ليعود ... لقد هجر أسرته ومدينته وصحبه إلى الأبد . باعهم جميعاً بتلك الورقة السحرية ، ولما طالت غيبته رثى بعض إخوانه لحال أسرته ؛ فخرج في طلبه والبحث عنه . ومن ذلك اليوم ترامت إلينا أخبار عجيبة ، فقليل إن المغنى التائه قاده قدماء إلى الأزبكية ، وإن بنيا وقعت في هواه وأوقسته في شراكها . ثم قيل إنه اشتغل بالغناء في قهوة بلدية بالأحياء الموبوءة ، وأخذ

الكثيرون يتحدثون عنه بلغة الأساطير والخرافات فقالوا إن الدنيا تبسم له ، وإنها في إقبال عليه يتزايد يوماً بعد يوم ، فالأموال تتقاطر عليه من كل يد ، والنساء يتهاقن عليه من كل باب ، وإنه بطر وطنى وفرض السطوة وجبى الآثوة ونشر الرعب ...

كانت أخبارا غريبة يعز تصديقها ، ولكنها فتنت أخيلة شباب مدينة الصفائح ، وأثارت الطمع في قلوبهم ، فلحق به نفر منهم إلى مهاوى الفجور ومدوا إليه يد الأخوة وقاسموه الخير والشر فكانوا سواعده إلى الإثم والفجور والإرهاب ...

ولبثت تلك الحياة ما لبثت ، ثم انقطعت بغتة على أسوأ حال ، وقيل في ذلك إن الرجل رجع يوماً إلى مخدع عشيقه له على غير موعد فوجدها بين يدي أحد أتباعه ، فكبر عليه الأمر وأعماه الغضب فاستل خنجره وقتل به الاثنين ، وقبض عليه وعلى عصابته وامتدت يد القانون إلى مدينة الصفائح متبب ذاك الشر ، وانتهى الأمر فشنق أبو سنة ، وسجن أتباعه وهدمت المدينة المظلومة . وسبحان من له الدوام يا بك !..

كان دأنش يصنى إلى محدثه في ذهول ، وسمعه يختم حديثه بلهجة مريرة ساخطة فسرت في جسمه هزة عنيفة ، ولم تعد أعصابه تحتمل الجلوس فقام منزجاً وغادر القهوة دون أن يلقي عليها نظرة وداع . . . كان كئيلاً منقبض الصدر

وكان يتذكر الليلة السعيدة حين غلبته نشوة الفرح فغمر بفيضه بعض القلوب ، ويتعجب ! كان ليلتها سعيداً فرحاً ينشد السعادة للجميع فكيف انقلب غرضه عليه ؟ ... كيف خانه الهدف فدمر مدينة وشرذ أهلها ؟ ... وأسفاه ! ...

نجيب محفوظ

نور حجاب سونيا

(مُصَلِّتُ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَى مَبَازِةِ مَاءِ جَنِيِّهِ)
عَنِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَمْدِي

الصغير ، وأذهب معه إلى
المدرسة وأداعبه قليلاً ، وكان
فيليب يعيش في البيت المقابل
لبيتنا ، وأظن أنه لو لم ينجي
الدكتور ماير بامرأته وابنه
إلى ليتون ، وأنا في سن
الخامسة عشرة أو السادسة
عشرة ، لكنت أنا وفيليب

قد كبرنا معاً وقد تزوج أحدهما من الآخر ، ولكن
بعد أن حل أنطون في البلدة ، علمت أنه لن يكون
هناك أحد سواه من نصيبي !

وقد اعترف كل إنسان بأن أسرة « ماير » قوم
طيبون ، حتى وإن كانت لهم في حياتهم طرق أجنبية
غريبة . لقد كانوا ألماناً ، وفي حين أن أنطون نفسه
قد ولد في هذه البلاد : كان أبواه لا يزالان يتكلمان
لغتهما الألمانية ويذكران على الدوام وطنهما . فلم
يكن غريباً أن ينشأ الفتى وهو يعد نفسه ألمانياً
أكثر منه إنجليزياً !

ولقد ذهب معنا إلى المدرسة ، ولكنه لم يكـد
يبلغ السن التي تسمح بإرساله إلى الخارج حتى أرسله
أبوه إلى ألمانيا ليتم ثقافته فيها . وقد قال الدكتور ماير :
« ليس في هذه البلاد مكان يستطيع الرجل
الفنى أن يحصل فيه على ما يريد من التجارب ، فلكي
يصبح أنطون مهندساً ماهراً كما يجب أن يكون ،
لا بد من أن يذهب إلى ألمانيا لإتمام تعليمه » .

وقد امتعشت أُمِّي قليلاً عندما سمعت هذا الكلام
وقالت فيما بعد :

« يلوح لي أنهم يظنون أن هذه البلاد صالحة

[... ماذا كان في مقدورها أن تفعل بعد
أن عرفت الحقيقة كلها فيما يتصل بأمر هذا الرجل
ومع ذلك ازدادت له حبا ؟ ...]

أظن أن هذه القصة يجب أن تبدأ في البلدة
الصغيرة بمقاطعة إسكس حيث عشت أنا وأنطون
قبل أن تزوج :

لم يكن هناك ما يميز هذه البلدة — التي أسميها
ليتون — عن ألف مكان آخر مشابه لها ، إلا وجود
الثكنات العسكرية على مسافة منها تقرب من ميل
واحد . وكانت هذه الثكنات مؤلفة من صفوف
طويلة من المباني الخشبية ، أمامها ميدان فسيح
للعرض ، كان أهل البلدة يقصدون إليه في ساعات
بعد الظهر من أيام الأحد ؛ وفيما عدا هذا وعدا الجنود
اللابسي الخاكي المتفرقين هنا وهناك لم يكن للثكنات
في حياتنا من شأن يذكر !

كنت أنا وأنطون نعيش في حي واحد من البلدة
— هو الحي القديم — حيث كان أهلي يقيمون
في البيت الكبير القديم الذي بناه جدي الأكبر
عندما اتخذ هذه البلدة مقاماً له .

كنت في أيامى الأولى ألعب مع فيليب استاو

وكان صوته رقيقاً حين نطق باسمي في الليلة الأخيرة قبل سفره إلى ألمانيا ، وكان واقفاً إلى جنبي في غرفة مكتب أبيه الضئيلة النور ، وقد تسربنا إليها لتفسي لحظة بعيدين عن الاجتماع الذي أعده أصدقاؤه لوداعه ، قال :

— إنك لآية في الجمال يا ماري إيلين ، حتى لأتمنى لو لم أكن تاركاً هذه البلاد فأمسكت بشدة بحافة المكتب ورأى محاولة أن أقوم تيار الوحشة والكآبة الذي غمرني على حين فجأة وقلت :

— وإني كذلك لأتمنى ألا تبرح هذه البلاد . فلم يكديسمع هذه الكلمات حتى جمعت بين ساعديه ، والتقي فيه الصغير بفعى على قبلة سريعة حارة غمرت وجهينا جميعاً بحمرة الحجل ، وقال أنطون — إنك لتعلمين يا ماري إيلين أنني سأعود ثانية إلى هذه البلاد ، فإذا تريدن أن أحضر لك معي ؟

وشعرت من وراء هذه الكلمات التي حاول فيها أن يسترد مظهر الانشراح والبهجة عاطفة انفعال بعيدة الغور ... وقد أجيبته بقولي :

— لا أريد أن تحضر لي إلا نفسك

ولكن هذا الذي طلبته هو الذي عرف قلبي آخر الأمر عن يقينٍ مُصرٍّ أنه الشيء الوحيد الذي لم يكن في مقدوره أن يعيده إلي . نعم إنه أعاد إلي جسمه المستقيم الجامع صفات الرجولة ، مصحوباً بالثقة التي ولدتها في نفسه تجارب خمس سنوات في الخارج . ولكن الفتى الذي قبلته تلك الليلة في غرفة مكتب أبي لم يعد إلى قط

بالتقدير الكافي لتكوين ثروتهم فقط . لقد أصبحت أشعر بالتعب من سماع الحديث عن الوطن طوال هذا الوقت . فإذا كانوا يحبون وطنهم هذا الحب فلماذا جاءوا إلى هنا ؟ »

ولكن لم يكن أحد في الواقع يستاء من أقوال الدكتور . فقد كان كل إنسان يعرف ما انطوى عليه قلب هذا الطبيب من الشفقة ، وكيف يلبي راضياً نداء الواجب الإنساني في أشد الليالي صقيماً فيذهب لإسعاف المرضى والمصابين — حتى أشدهم فقراً — وهو يعلم جد العلم أنه لن ينال بنساً واحداً جزاء عمله !

كذلك كان أنطون على مثل أخلاق أبيه فكان كريماً لأقصى حدود الكرم ، على الرغم مما كان متصفاً به صبيّاً من إهمال وعدم اكتراث وصرح صبياني ، وكان أنطون في تلك الأيام دائماً منشراح الصدر طروباً ، وكان طويل القامة أسمر اللون فيه نوع من النشاط العصبي أشبه ما يكون بالسهم المشدود في القوس مهيباً للانطلاق

وكنت أعرف أنني وأنطون نؤلف زوجاً جميل المنظر ، فلقد كنت بيضاء بقدر ما هو أسمر ، وكان شعري رمادياً يضرب إلى البياض ، ولي عيناان زرقاوان كعيون أسرة أبي ولي قامة أمي المشوقة . كذلك كان اسمي هو اسم أمي ماري إيلين ، وكان كل إنسان آخر يختصر هذا الاسم فيدعوني ماري دون أن يذكر اللقب ، ولكن أنطون كان هو وحده الذي يدعوني باسمي كاملاً ، وكان صوته العذب يضفي على الاسمين معاً نغمة موسيقية حتى ليصبح نطقه بهما أشبه بالغناء

تزوجت من أنطون بعد شهر واحد من عودته ،
 وكان فيليب ستاو شاهد زواجنا ، وكانت بعض
 رفيقاتي اللواتي نشأت معهن وصائف العروس .
 وكانت حفلة الزفاف جميلة . وبعد انقضاء شهر العسل
 الباخرة ، وقد ألح صحابنا على أن يغمروني أنا وأنطون
 بأوراق الاحتفالات الملونة من أشرطة طويلة إلى
 قصاصات دقيقة ، وعندما حيلتهم بحية الوداع من فوق
 ظهر السفينة كنت محملة بكمية كبيرة من هذه الأوراق



لقد كنا ننظر بغیرا كتراث لكل شيء في هذه
 الحياة الحرة الفنية التي توافرت لنا بعد أجيال
 من الحيلة والحذر المفلح . وقد ألقيت في ذات مرة
 نظرة خاطفة على ضخامة ميراث بلادنا العظيمة وذلك
 عندما أبدى أنطون ، على أثر استقرارنا في بيتنا

قبل أنطون وظيفة مهندس مساعد عند مقال يشتغل
 ببناء خزان في مصر

وفي سوئمتون التقينا على غير انتظار ببعض
 الأصدقاء الذين اتهمجوا برؤيتنا ابتهاجنا برؤيتهم ،
 واحتفلنا باجتماعنا احتفالاً بهيجاً قبل أن نركب

الجديد ، ملاحظة خفيفة فيها شيء من الحط بمكانة إنجلترا ولقد ثرت عند ذلك دفاعاً عن بلادى فقلت في حماسة :

« إن كون إنجلترا تختلف عن ألمانيا لا يعنى أنها تقل عنها عظمة وخطراً ، إننا آخر الأمر إنجليز ، ونحن لا نريد أن نقلد عادات غيرنا من الأمم »

ولا بد أن يكون وجهى قد غمرته حمرة اليقين الذى اندفع تياره فجأة إلى نفسى ، فقد أمسك أنطون بوجهى بين كفيه المداعبتين وقال سائلاً :

— أرجو ألا تكونى حقاً غاضبة منى من جراء أمر غامض كهذا ؟

لا... لم يكن لى أن أغضب منه فقد كنت أعلم حتى في ذلك الوقت أنه لم تنهياً له قط الفرصة ليشعر بمثل ما أشعر به... وليعرف معنى أن يكون الإنسان بريطانيا . فهو منذ بدأ يفهم ما يقال أمامه كان دائماً يسمع أمه وأباه يتحدثان إليه عن البلاد الأخرى التى لا يزالان يتعلقان بها ، وكان يتكلم لغة تلك البلاد وقرأ آدابها... فهل من العجب حتى وإن كان أنطون قد ولد في إنجلترا ، أن يكون ولاؤه الوطنى موزعاً على هذه الصورة الموثقة ؟

ولكن لم يكن لى متسع من الوقت للتفكير في مثل هذه الأمور حتى لو أننى أردت ذلك ، فقد كانت حياة الزواج التى دخلتها حياة جديدة منيرة : فهذه الصحراء الواسعة الناصعة البياض تتراعى أمام عيني تبدو فيها عن بعد التلال المتناثرة . ولقد أحبت ما في هذا النظر من غرابة . ثم جاء دور الاهتمام بتحويل الكوخ الخشن البناء إلى شبه بيت يصلح للسكنى تزينه الستائر والصور ولا يحوى من الأثاث

إلا أقل قدر يكفى لتوفير الراحة الضرورية ، إذ علمت أن المهندسين يندر أن يقيموا في مكان واحد مدة طويلة تسمح لهم بالاستقرار

وقد قال لى أنطون مازحاً :

— من المحتمل ألا يكون لك أبداً بيت كبير ما دمت متزوجة منى ، هذا إلا إذا كان في وسعك أن تنقل ذلك البيت معنا حينما ذهبنا . وفي الحق أن المهندسين ليسوا بالأزواج الثابتين

على أننى لم أكرث لنوع الحياة التى أحيهاها فإني لأظن أننى أستطيع أن أعيش في حقل ريفي وأن أشعر بالسعادة التامة ما دام أنطون منى . وبعد أن مضى على زواجنا ما يقرب من العام شعرت

بحدث مفرح كان لا بد لى من أن أشاطره خبره . ولقد عدت من مكتب طبيب الشركة مساء

ذلك اليوم الذى شعرت فيه بهذا الحادث ، وأنا واثقة آخر الأمر من صدق ما شعرت به ، وكدت

لا أستطيع الانتظار حتى يعود أنطون من عمله لأخبره بأن ما رجونه قد تحقق . فوقفت السيارة أمام البيت وبدأت أصعد الممر الموصل إلى الباب

قبل أن ألاحظ الرجل الواقف أمام العتبة . وكان رجلاً كبير الجسم له وجه حليق لا يتبين الإنسان في تقاسيمه معنى من المعانى ، فهو أشبه بوجوه

ألف رجل سواء من أمثاله لولا عيانه ، فهما عينان جامدتان زرقاوان باهتتا الزرقة تشبهان قطعتين من الجليد بين بقية تقاسيم وجهه العادية . ولم ألبث

حين رأيت ذلك الوجه أن أيقنت أننى رأيت مثل هاتين العينين من قبل في مكان ما . ولقد ضابقتنى

هذه الذكرى وأجهدت رأسي طوال المدة التي أجبتة فيها على سؤاله بقولي :

— لم يعد زوجي إلى البيت بعد ، ومن المحتمل أن تجده في مكتب المقاول عند الخزان

فشكرني الرجل وكان صوته مثل وجهه خالياً من أي معنى ، ودخلت إلى البيت وقد كدت أنسى هذا الرجل لتفكيرى في سعادتي الشخصية التي لا تزال سرا لم يطلع عليه أحد . ولما بدلت ملابسى استعداداً للمساء قررت في نفسى ألا أطلع أنطون بالنبا السعيد إلا بعد الانتهاء من الطعام ، فمثل هذه الأنباء لا يجوز أن تطوى خلال ازدراد اللقمة

ولكن الذي حدث بعد ذلك آخر إفضائي بالسر وقتاً أطول مما قدرت . لأننى عند ما لحقت بأنطون في غرفة جلوسنا الصغيرة البهجة ، سمعت وقع أقدام تصعد الممر الموصل إلى باب البيت ، فوقف هذا الصوت الكلمات التي كدت أنطق بها وقال أنطون وهو ذاهب ليفتح الباب

لعله أحد موظفي المكتب

ثم فتح الباب ، وبعد أن لفظ بعبارة نصف مختنقة خطأ إلى خارج البيت

ولكننى تبينت في لحظة قصيرة أن القادم هو الرجل نفسه الذي رأيته أمام البيت بعد ظهر ذلك اليوم . وعاد أنطون بعد لحظة ليخبرنى أنه ذاهب في مهمة يغيب فيها بضع ساعات . ثم قال :

— يحسن يا مارى إيلين ألا تسهرى في انتظاري ورأيت كيف استولى الجمود والعبوس على وجهه الأسمر فجأة ، ثم قبلنى قبلة قصيرة وأسرع إلى خارج الدار ، وسمعت وأنا قابضة في ركن الصفة صوت سيارة

تبتعد ، وقد حاولت أن أقاوم شعور الخوف الشديد الذي استولى على حتى لكأنه يقبض على يدي من حديد . وكان مجيء هذا الرجل قد فتح على صورة ما باباً خلفياً لجزع لم يكن في مقدورى أن أصوره بالألفاظ الكلامية

على أننى حين تأهبت للنوم قلت في نفسى إننى أهم لأمر فارغ ، ورأيت أن أوجل ما استطعت التأجيل التفكير في هذا الأمر مؤملة عبثاً في أن أذكر أين رأيت هذا الرجل قبل . على أنه من الجائر أن أكون واهمة في جميع مخاوفي فقد سمعت أن النساء اللواتى في مثل حالى كثيراً ما يشعرن بإحساسات غريبة

وعادت ذكرى الحادث السعيد الذي أريد أن أشاطر أنطون أبناءه فاستولت على رأسي فكأنها رداء دا فيء واسع لففته حول جسمى عند ما استغرقت في النوم ، وقلت في نفسى إنه متى عاد إلى البيت أخبرته ...

وكأننى في الأشهر التي تلت ذلك اليوم قد استعجلت إلى جسم منسوج من خيوط من الزجاج ، فقد كان أنطون شديد العناية بأمرى ، يحذرني من المشى الطويل ، ويرشدني إلى ما يصح أن أفعله وما لا يصح . حتى لقد ضحكت من رفته المتناهية وقلت له :
— يا لله يا أنطون ! إنك لتكاد تحسب أن لم تحمل امرأة قط من قبلى ؟

فكانت ابتسامته الرقيقة خير جواب لما توهمه طيشاً مني ، على أن النظرة التي بدت في عينيه كانت جادة حين قال :

— ذلك أن أحداً لم يلد مثل ولدنا ، فهل

ترين أن ننشئه طبيياً مثل جده ...

فقد كنا أنا وأنطون واثقين من أن ولیدنا سيكون ذكراً، ثم مضى يقول :

— وسنرسله أيضاً إلى ألمانيا لإتمام ثقافته كما فعلت أنا !

فقلت قبل أن أدرك معنى ما أقول :

— آه . لا . إن أولادنا سيكونون بريطانيين يا أنطون . وأنا أريد أن يذهبوا إلى المدارس الإنجليزية وإني لأظن أن شأنك كان غير شأن أبنائنا . صحيح أن أبويك جاء من ألمانيا ولكن ألا ترى الفارق بين أمرهما وبين أمرنا فيما يتصل بأبنائنا ؟

على أنني لم ألبث أن تبينت أنني كنت على حق في كلماتي هذه .

ولقد ضحك أنطون لما أبديت من مظهر الجد والاهتمام . وعلى حين فجأة فكرت يائسة في الفتى الذي قبلته قبلة الوداع منذ أعوام قليلة . فماذا أصابه في السنوات التي قضاها في الخارج ففرق بيني وبينه ؟ فقد أدركت في هذه اللحظة كيف استحال أنطون استحالة تامة إلى إنسان آخر لم أكن لأستطيع أن أفهمه في بعض الأحيان !

على أن هذا الغموض مع ذلك لم يكن إلا وقتياً فلم يلبث أنطون أن ترك لهجة الجد التي كان يحدثني بها ، واستحال مرة أخرى إلى الرجل الذي أحبيته وقال :

« إن أماننا متسماً في الوقت للتفكير في هذا كله يا عزيزتي ماري إيلين ، أما الآن فيجب النظر في خير الوسائل التي أستطيع استخدامها للعناية بك ولد ابننا في الشهر التالي ، وجاء طفلاً قوياً

صحيح الجسم له شعر أبيه الأسود وعينه ، وكذلك كان وجهه كوجه أبيه مستديراً وله جميع ملامحه ! وقال الطبيب ، ولم يكن في قوله ما يزيدني علماً بما أراه بعيني :

« إن ولدك ولد لطيف ... فترى ماذا يكون في المستقبل ... لعله يصير رئيساً للوزارة ؟ »

والحق أنني رأيت من النظرة الأولى أن ولدي توني الصغير كان طفلاً مدهشاً لم يولد مثله من قبل على أن الطبيب قد ضحك لما جاء في عبارته من صراح ، ولكن أنطون نظر طويلاً إلى وجه ابنه الصغير قبل أن يجيب الطبيب بقوله :

— ولم لا ؟

وكان أنطون قد وجد في اللحظات القصيرة التي نظر فيها إلى وجه ابنه الجواب لأمر كان يرعجه منذ عهد طويل ؛ ثم رأيت على فكيه خطوطاً جديدة تدل على الحزم حين أردف جملة الأولى بقوله :

— إنه أول كل شيء رجل أنجليزى ! وفي اليوم التالي سألتني أنطون إذا كنت أبالي بعدم العودة إلى الخزان بعد أن أصبح قادرة على منادرة المستشفى . وقال :

— إن هناك عملاً جديداً سيبدأ في كينيا ، ونستطيع أن نسافر بمجرد أن تصبحي قادرة على السفر فسألته في شيء من الارتياب :

— أتقصد أنك ستترك عملك ؟ ولكن لم ذلك يا أنطون ؟ إن العمل في الخزان لم يكده ينتهي بعد أم تراني مخطئة ؟

لقد كان أنطون يحب عمله في الخزان حباً شديداً ؛ ولكنه تهرب من الإجابة على السؤال الذي نطقت

به عيناى ، وقال فجأة قولاً لم يكن حاضراً من قبل
فى رأسه :

— إنهم يضمنون هناك مشروعاً عظيماً لتوليد
الكهرباء من القوة المائية ، وأنا أريد انتهاز الفرصة
للتعمر على حفر الأنفاق . فيمكنك إذا شئت أن
تعودى إلى إنجلترا لفترة ما
فقلت فى جد تهكمى :

مرحى ! إنك تريد أن تتخلص بمثل هذه الوسيلة
من تونى ومنى ! ولكن اعلم أنك إذا قررت الذهاب
إلى القطب الجنوبي فإننا سنكون فى أثرك
وأى شيء كان يهمنى من الحياة فى أية بقعة من
بقاع الأرض ، على أن الحياة فى كينيا قد يكون فيها
شيء من الطرافة واللذة

لم أكد أسترده قوتى وأصبح قادرة على السفر
حتى سافرنا . وقد بذل أنطون أقصى جهده ليسهل
الرحلة على ويسبغ عليها روحاً من البهجة والسرور .
ورأيت من خصاله القديمة ما لم أراه منذ أشهر عديدة .
كذلك كان تونى فى أثناء الرحلة على أحسن ما يكون
فقلت نفخورة :

— كأنى به مسافراً طوال عمره . وما قصدت
أن أكون متصلة يا أنطون فى أمر المدرسة التى
نرسله إليها ، ولا شك فى أنه سيحب أن يذهب
إلى المكان نفسه الذى ذهب إليه أبوه من قبل

فهز زوجى رأسه وقال :

— لقد كنت أنا أيضاً أفكر طويلاً يا ماري
إيلين منذ ولد تونى . . .

وتوقف لحظة كما لو أنه وجد صعوبة فى صوغ
ما يريد أن يقوله فى اللفظ المناسب ثم قال :

— أظن أنه من الخطأ أن يحاول الإنسان إنشاء
ابنه مالياً لدولتين مختلفتين فى وقت واحد إذ لا بد
له إن عاجلاً أو آجلاً أن يختار إحداها فيختصها
بولائه ... لا ... أنا لا أريد أن يواجه تونى أبداً
ما كان لا بد لي من مواجهته

وفجأة حبس أنطون الكلمات فى فمه وضمى بين
ساعديه عائداً إلى مرحه القديم وإلى ما عهدت فيه
من طيبة القلب ، وقال :

— كل هذا لا علاقة له بمبلغ حبي لك وأحسبك
تعرفين مقدار هذا الحب ؟

وبقيت لحظة واثقة من أن هناك شيئاً آخر
يريد أن يقوله لى ، وكان هذا الشيء يرفرف بيننا
صامتاً ولكنه حقيقة مزعجة ، فما عسى أن يكون
ذلك الشيء ؟

من المحتمل أنه لو صاغ هذا الشيء إذ ذاك
فى كلمات ... ولكن لم يكن الكلام فى ذلك الوقت
ليغير شيئاً من الواقع ، وما من شيء كان يمكن أن
يحدث غير ما حدث ! فأساس الأمر كله كان مغروساً
عميقاً فى السنوات التى مرت من قبل

وبعد أن استقررنا فى منطقة العمل الجديد
الذى التحق به زوجى حاولت أن أقنع نفسى بأننى
كنت واهمة فى كل ما تخيلت

وكانت الأرض التى يحفرون فيها النفق صخرية
صلدة ، وقد أنشئت فوقها على عجل بلدة صغيرة من
الأكواخ الحجرية ، وكان كل شيء يحيط بنا طبيعياً
حتى لكان زوجى لم يهرب من عمله الأول مطلقاً .
ثم بنيز إنذار ولا تحذير تحطمت سعادتنا تحطماً تاماً
كأنها لم تكن قط

ولكن لعل إذا رويت الحادث كما وقع لم تبد
قسوته على حقيقتها

دخلت غرفة النوم في تلك الليلة وقد حملت تونى
جيداً تحت ساعدى ، على الرغم من معارضته ، وكان
قد بدأ يتكلم في وضوح ، على أنه حتى بدون
أن يتكلم كان واضحاً أنه غير راغب في النوم
فقلت له ضاحكة :

« إن هذا غير جميل منك يا بنى ، ولكن كل
إنسان لا بد أن يعمل أعمالاً لا يرغب في عملها
بعض الأحيان — حتى أبوك »

فامتنع تونى في الحال عن البكاء ونظر من فوق
كتفى إلى أبيه الذى كان يتسم له وهو جالس على
كرسيه في غرفة الجلوس . ولست أدري السبب
في أننى إذا ذكرت الآن هذه الحادثة خفف ذكرها
من آلامى بعض الشيء ، على أنها تخفف بالفعل

وعلى كل حال كنت لا أزال في الغرفة الثانية
أرقد تونى في سريره المجاور لسريرنا عندما سمعت
أنطون يتحدث مع إنسان آخر في دمدمة غامضة !
فرجوت في قلق ألا يكون عائداً إلى عمله في الليل ،
ثم خطوت إلى غرفة الجلوس فإذا بى أرى أمامى تلك
النظرة الباهتة نظرة ذلك الرجل الذى جاء ليقابل
زوجى في مصر

وعلى حين فجأة ، وبصورة لا أستطيع تفسيرها ،
تذكرت أين رأيت ذلك الرجل من قبل . فقد كان
دخولى من الغرفة المظلمة إلى الغرفة المضيئة هو
المفتاح الذى فتح باباً في ذاكرتى كان منسياً
لقد رأيت في الشكنات خارج بلدتنا — فهل

حقاً هو ذلك الرجل الذى رأيت منذ سبع سنوات؟
لقد كنا جماعة نسير إلى ميدان العرض أمام الشكنات:
كنت أنا وفيليب وزوجان آخران أو ثلاثة ، وكان
أنطون لا يزال متغيباً في ألمانيا يتم دراسته ، وكانت
خطاباته هى وحدها التى تسد الفراغ الذى تركه غيابها
في نفسى ، وكان فيليب يعلم في ذلك اليوم كما أعلم أنا
أننى لم أذهب معهم إلا لأحاول نسيان بعض ما أشعر به
من الوحدة .

وكان الرجل الواقف الآن مع زوجى في غرفة
بيتنا أحد الجنود الذين صرنا بهم في ذلك اليوم ،
وإنى لوائية أنه هو نفسه ، ولكن لماذا يلاحق هذا
الرجل زوجى في كل مكان ؟

شعرت فجأة كأننى أسير مغمضة العين في بلاد
شديدة الخطر ، ولو أن أنطون قدم لى الرجل فى هدوء
على أنه صديق يبحث عن عمل .

فلما خرج الرجل الغريب قلت :

— أنا واثقة من أن هذا الرجل كان مقيماً
بالشكنات في ليتون ، وما أستطيع أن أنسى أبداً
النظرة الغريبة التى ينظرها إلى غيره ، فهل كنت
تعرفه في إنجلترا ؟

مضت فترة صمت طويلة قبل أن يجيب زوجى
بقوله :

— لقد قابلته هناك

فسألته منفعلة :

— من هو الرجل يا أنطون ؟ ولماذا يلاحقك
في كل مكان ؟

فأجاب أنطون آخر الأمر :

— هو مقاتل وقد ظن أنني أستطيع أن أجد له عملاً ...

ولكنه قطع الحديث فجأة فارتدى على أحد الكراسي وخبأ وجهه بين كفيه وقال :

— لا ... ليس هذا هو الصدق يا ماري إيلين ، فهل تثقين بكلمتي إذا قلت لك أنني سأحاول ألا أراه بعد الآن ؟

فركعت إلى جانب زوجي متوسلة وقلت :

— ما الخبر يا أنطون ؟ إنه مهما يكن من أمر فلن يكون أسوأ من جهلى به ، قل يا أنطون ، ما شأن هذا الرجل معنا ؟

فنظر زوجي إلى بعينين تجلى فيهما معنى الألم وبدا الذبول واضحاً ، وقال آخر الأمر :

— لقد كنت غيباً إذ خيل إلى أنني أستطيع الهرب منه . لقد قلت يا ماري إيلين أن ليس هناك ما هو أسوأ من ألا يعلم الإنسان الحقيقة . ولكن هذا الذي سأرويهِ لك أسوأ بكثير مما تظنين : لقد كنت أعمل وكيلاً لإحدى التشكيلات ... وهو ... استيفن ... الرجل الذي كان هنا الليلة ، عضو آخر معنا . إنه جاسوس !

وقد نطق أنطون بهذه الكلمة الأخيرة بصوت أجش مختنق

« لا ! » ... إن ذلك لم يكن أمراً واقعاً ، فهذا ما لا يسمع عنه الإنسان إلا في الكتب . لقد أجفلت مترجمة إلى الوراء قليلاً حتى لا أمس أنطون وقلت :

— ليس ما تقول صدقاً يا أنطون ، قل لي مؤكداً إنه ليس صدقاً ... إنك رجل إنجليزي

فستحيل عليك أن تفعل ذلك ...

فضحك أنطون ضحكة المكتئب وقال :

— أنسيت أنني قلت لك من قبل إنني نشئت على ألا أحسب نفسي إنجليزيًا ؟ ألم يحدثوني عن أرض الوطن يا لله ! إن والدي لم يدركا معنى ما كانا يفعلان ؟

ثم قال في صوت خاشع :

— أظن أنه كان طبيعياً منهما أن يتعلقا بأصلهما القديم ، وما كانا يستطيعان أن يتصورا أنه قد يبلغ بي البله إلى أن أحسب أنني بمثل هذا العمل أؤدي عملاً عظيماً وواجباً نبيلاً لأبناء وطني . لأنني كما ترى كنت لا أزال أعد نفسي ألمانيا قبل أن أكون إنجليزيًا ، ولم يغير هذه العقيدة في نفسي إلا مولد توني فصحت وقد ثارت نفسي :

— وهذا الرجل ... هذا الذي يسمى استيفن أ كان التجسس هو السبب في التحاقه في الجيش ؟ وهل التقيت به هناك من أجل ذلك ؟

فقال زوجي في تأن :

— لقد طلب مني أن أتصل به . والحق أنني قابلت ذلك بالرضا أول الأمر ، فقلت لك إنني كنت أحسبني أخدم وطني فسألته :

— ولكن لماذا تحتاج دولة أخرى إلى معلومات من النوع الذي تستطيع أن تعطيه عن الخزانات والأنفاق ؟

فأجاب أنطون وقد نمت نعمة صوته عن ألم اليأس الذي يحز في صدره :

— ولماذا يدسون رجالهم في مصانع الطائرات

ومعامل الفولاذ ، لماذا يدخلونهم في الجيش كما دخل
استيفن ؟ ذلك لأن كل شيء يعلمونه عن المرافق
الحיוية لأية دولة أخرى قد يكون ذا فائدة كبيرة
إذا نشبت الحرب

ولما تراجعت إلى ظلال الضوء المحيطة بي أمسك
بيدي وقال :

أتصدقيني يا ماري إيلين إذا قلت لك إنني لم
أعط هذا الجاسوس أى شيء له قيمة ما ؟ وإنني لم
أعطه أية معلومات على الإطلاق منذ ولادة توني ؟
وتوقف أنطون عن الحديث برهة ثم مضى
يقول في تحمس :

— لقد أدركت عند ما ألقيت النظرة الأولى
على ابني أنه خير لي أن أموت من أن أخونه. وأظن
أنني قد ولدت من جديد عند ما أدركت هذه الحقيقة
فيجب أن تصدق هذا الذى أقول

فقلت وقد ارتعشت قليلاً على الرغم من حرارة
الغرفة :

— إنى أصدقك ، ولكننى فقط أخاف ذلك
الرجل استيفن !

فقال أنطون فى تأن :

— لقد قلت له الليلة ما قلت لك ، ولا أظن أنه
سيضايقنى بعد الآن .

فقلت :

— إننا نستطيع أن نرحل من هنا ، ويمكنك
أن تحصل على عمل آخر

فهر أنطون رأسه وقد بدا العبوس على فمه :

— إننى لن أهرب مرة أخرى !

وجذب رأسى إلى صدره ، وكدت أبكى
لما لاحظت من اشتداد نحوه فى الأشهر الأخيرة .
وقد قال :

— لم يكن لي أن أخبرك بشيء من هذا فقد
أصبح كل ذلك فى حكم الماضى

وعندما تدرجاً فى الأيام التى تلت تلك الليلة إلى
حياتنا العادية حتى لقد بدأت أعتقد أن أنطون كان
على حق فيما قاله . ولكن لم يكد ينقضى أسبوع
واحد حتى عاد أنطون إلى البيت تحت انفعال خفي
هو على صمته أفصح دلالة من الكلام المنطوق .
على أننى لم أستطع أن أفهمه بشيء إلى أن انتهينا
من العشاء الذى خيم عليه الصمت الرهيب ، وقد هم
أنطون عن المائدة لا ينبس بحرف ، وعندئذ لم أطق
الصبر ولم أستطع حبس الكلمات التى كاد يخنقنى
حبسها . فقلت :

— إن هناك يا أنطون خبراً سيئاً تخفيه عني ،
وما أشك فى ذلك أبداً !

فنظر إلى نظرة مستقيمة وقال :

— أما هذه المرة فليس هناك من أمر خاطئ
يا ماري إيلين ، غير أنه ليس أمامى متسع من الوقت
للتفصيل !

فقلت هامسة :

— أهو استيفن ؟

وهل أنت ملاقيه مرة أخرى ؟

فهر أنطون رأسه فى تردد واشتمزاز وقال :

— هل تثقين بي يا ماري إيلين مرة أخرى
واحدة ؟ وإنى أعدك أنه لن يكون هناك بعد هذه
المرة ما يدعو إلى الخوف

ثم تركنى وذهب ، وأعقبته خروجه فترة صمت
خيل إلى أنها أجيال لا عداد لها ، وقد وقفت أفكر
فى الأحلام الباطلة التى حلمت بها عن الحياة الطبيعية

كان هذا العزم هو الذي دفعني إلى آلة التليفون
فقد يكون في الوقت متسع لأن يجدوا أنطون ويحولوا
بينه وبين ما هو مقدم عليه .

سأنا لم غداً من فظاعة ما أنا مقدمة الساعة على عمله؛
وسيكون في سنوات الكآبة العديدة المقبلة ما يكفي
لأن أدرك ما يجب علي أن أعمله . أما الآن فكل
ما يجب عمله هو أن أسرع العمل إن كان لابد من
أن أنقذ أنطون من الهوة التي حفرتها له معاول
الولاء الخاطيء الذي تظاهر به أبواه للبلاد التي
تركها وراءها .

على أنه لم يكن هناك ، مع ذلك ، ما يدعو
إلى الاستعانة بالتليفون ، بذلك نبأني صوت سيارة
وقفت أمام الباب

وأظن أنني قد فتحت الباب وإن كنت لا أذكر
كيف فتحت ، وكل ما أذكره أنني قرأت على وجه
رجل البوليس الجسم الواقف أمامي ما جاء ليخبرني به
فصحت : أنطون

ولعل الكلمة قد خرجت وحدها من بين
سحب الشكوك التي كانت تكتنفني وتظلم كل شيء
في وجهي .

فقال رجل البوليس :

— لقد قتل ياسيدتي ، ولا بد أن يكون الرجل
الآخر — الذي يتسمى باسم استيفن — قد فطن إلى
أن هناك شركاً منصوباً له ، فأطلق النار على زوجك
قبل أن نستطيع القبض عليه

وسمعت نفسي أردد قول رجل البوليس :
« شرك ! ولكن زوجي ؟ »

فقال لي الرجل في لهجة الجد :

— لا أحسب من مصلحتك كثرة الكلام
الآن يا مسز ماير ، ولكن يكفي أن تعلمي أن زوجك

السعيدة ، فكرت في هذه الأحلام فوجدتها تتلاشى
في محيط من اليأس عميق . لقد وعدني أنطون بأن
هذه ستكون آخر سرقة يلقي فيها استيفن ، ولكن
هل يستطيع الرجل الذي أنزلت قدمه إلى هذا
الشرك المعقد أن يخلص نهائياً مما يكتنفه من الأشواك
والمقد ؟

خيل إلى وأنا واقفة في مكاني عاجزة عن عمل
أى شيء ، إنني سأجن ، فقد كنت على علم بأن زوجي
ربما كان في هذه اللحظة يضع بين يدي هذه العصابة
من الجواسيس معلومات قد تؤدي إن قريباً أو بعيداً
إلى إهلاكنا جميعاً ، وأية قيمة لأن تكون هذه
هي آخر مرة يساهم فيها في مثل هذه الأعمال الشائنة
الفظيعة ؟ إن علمي بما فعله سيقف دائماً حائلاً بيننا
وبين السعادة التي كنا ننشدها ، فكان جرة ملتهبة
قد توغلت في أعماق ذكرياتنا فهي تحرق كل ما يصادفها
وليس في المقدور اتقاء نارها

وتوني ؟ سينمو ويكبر في محيط من الخوف
والشكوك . لقد تصورت أن بكاء نفسي إن هو
إلا من أجل توني وحده . ولم يكن في مقدور
الدموع أن تصل إلى موضع الألم الذي يثيره في
صدرى التفكير فيما قد يكون أنطون مقدماً عليه
لإهلاكنا نحن وجميع الأمهات والأطفال الذين
يشتركون في الميراث الذي يحاول مثل استيفن
وشركائه أن يسلبوه

الاستقلال ! الحرية ! لم يصبحا في نظري مجرد
كلمات تقال . لقد أصبحا أمراً حيويًا لي ولولدي
كالهواء وحرارة الشمس . ورأيتني على حين فجأة
أساهم مع جميع الرجال والنساء الذين ذهبوا من قبلي
في عزم شديد للدفاع عن ميراثنا المجيد مهما كلفهم
ذلك الدفاع من تضحيات

التي ترد بها الصحف في كل يوم ، وبخاصة أن رجال البوليس قد أغفلوا الإشارة في تقاريرهم إلى العلاقة الدولية المتصلة بالرجل الذي كان يسمى نفسه استيفن ؛ فهناك آخرون يجب الإحاطة بهم ومراقبتهم ويجب ألا يخطر لهم على بال ما نزل بأحد وكلائهم

ولكنني أعرف كل شيء وسيعرفه توني يوماً ما إن إنشاء توني قتي جديراً بالانتساب إلى أبيه وإلى جميع هؤلاء الرجال الذين ضحوا كل ما يحبون في الحياة في سبيل الاحتفاظ بحرية بلادهم ، هي المهمة التي لو استطعت أداؤها لوفيت لزوجي أحسن الوفاء ولجزيته مما أسأت به إليه في وهمي .

عبد الحميد محمدى

قدمات في سبيل وطنه ، كما لو كان قد قتل في ميدان الحرب ، ولا بد من أنه كان عارفاً بمقدار الخطر الذي يتعرض له بتسليمه بعض النماذج التي أعدتها بنفسى لنستطيع أن نقبض على ذلك الرجل متلبساً بالجريمة لقد كان أنطون عالماً بما يجب عليه أن يفعل حين قال لى : « ثقي بى ... وإنى أعدك ... بأنه لن يكون هناك بعد الآن ما يدعو إلى الخوف »

ولكنني لم أدرك قصده وشككت فيه ... شككت في أنطون الذي برهن على حقه في أعظم ميراث يستطيع الإنسان أن يطالب به ... ذلك أن يكون بريطانيا ...

قد تكون قصة موته واحدة من آلاف الأخبار

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى العصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالوثمانه الاربعة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

صوفي الدوفين

للكاتب الفرنسي الفونس دوديه
بقلم الأديب محمد عبد الفناح محمد

وانبثت وصيفات الشرف في
سائر الحجرات يعولن وينتجن
وهن بين القينة والفينة يمسحن
دموعهن اللآلاء بمناديلهن
الموشاة المطرة ...

اجتمع في حجرة الدوفين
المحتضر نفر من الأطباء
البرزن تبدو على وجوههم

أمارات الحيرة الشديدة واليأس المرير ...

وراح المحافظ ووصيف « الدوفين » الخاص
يذرعان الردهة جيئة وذهوباً أمام الحجرة في قلق
واضطراب منتظرين حكم القدر النافذ وكلمته القاضية
وسراً بهما في أثناء ذلك خدم المطبخ فلم يحيموها .
وهل ثمة بال الآن لتدارك آداب التقاليد المرعية ؟
ولكن وصيف « الدوفين » الخاص سبهم سب
المغيظ المحنق بينما غمغم المحافظ ينتف من أشعار
هوراس ... ومن ناحية الإصطبل سمع صهيل
جواد في نبرات نائمة حزينة . إنه جواد الدوفين
الصغير ، وقد أهمله الخدم ولا ريب ، فلم يضعوا
له طعامه المألوف !

والملك ! ... أين جلالة الملك !؟ ... أجل ...
إنه وحيد في حجرة مقفلة ، نائية عن كل حجرات
القصر ... إذ يجب ألا يرى ذوو الدم الملكي
باكين معولين . أما عن الملكة فهذا شيء آخر .
إذ جثت بجوار فراش المحتضر العزيز بعينين أترعهما
الدمع السخين ، وإنها لتبكي وتنوح بصوت يفتت
الأكباد كما تفعل أية امرأة أخرى في هذا الموقف
الصعب الشديد !

(٤)

ولي العهد مريض . وإن الفناء لفي سبيله المعبدة
التي مهدتها يد المرض إلى بدن « الدوفين الصغير »
ومن كل كنائس المملكة ومعابدها تعلو الصلوات
حارة ، وتصد الدعوات خالصة أثناء الليل وأطراف
النهار ابتهالاً وتضرعاً لشفاء الدوفين الصغير .
وطرقات العاصمة القديمة تبدو هادئة هدوء المقابر .
يخيم عليها حزن ... حزن الثواكل . والنواقيس
والأجراس تدق فتعلو دقاتها الحزينة المعولة تشق
أجواز الفضاء صارخة متضرعة . والعربات ... إن
سارت فعلى مهل تفادياً لما تحدث من الجلبة
والضجيج ... وتقاطر الأهلون جماعات جماعات
يتطلعون في فضول إلى الحراس والشماسة بغية
التقاط أنباء المحتضر الصغير .

القصر في هرج ومرج ، ورجال البلاط
يصعدون الدرج الرخامي ويهبطون في سرعة شديدة ،
وفي أروقة القصر ورداته تطفق وصائف الملك
ونداماؤه يروحون ويغدون في قلق وحيرة مراددين
فيما بينهم ما جدد من الأنباء الهامة والأخبار المقلقة

الدوفين The Dauphin : لقب كان يطلق على أكبر
أبناء ملوك فرنسا من سنة ١٣٤٩ إلى سنة ١٨٣٠

ورقد الأمير الصغير على سرير الموت بعينين مسبلتين ووجه أشد بياضاً من الوسادة التي غاص فيها رأسه الصغير، وحسب الجميع أنه نائم، وما هو بنائم، إذ التفت نحو أمه الجائفة بجواره وقال حيناً رأى دموعها الغزار :

— سيدتي الملكة ! لماذا تبكين ؟ أحسبك كالآخرين تظنين أني سأموت حقاً ؟
فحاولت الملكة أن تشكلم فحنقتها العبرات

— لا تبكي يا سيدتي الملكة ... إنك تنسين أني ولي العهد . إن أولياء العهد لا يموتون بهذا الشكل ، ولا يؤخذون بمثل تلك السهولة ودب ديب الخوف في قلب « الدوفين » حينما ألقي أمه تواصل النحيب . ثم قال :

— كفى يا سيدتي عن هذا المويل ، فلن أسمح للموت أن يأخذني ، وإني لمانعه عن الدنو مني إذا أتى . أمرى فوراً أربعين من رجالنا الأشداء فيحيطوا بسريري ، وجهزوا المدافع الكبار تحت النوافذ وويل للموت إذا حضر بعد ذلك ! ...

فأصدرت الملكة أمراً بكل ذلك تحقيقاً لرغبة المحتضر الصغير . فلم تمض بضعة دقائق حتى سمعت قرعة عجلات المدافع في الوصيد . وأحاط أربعون حارساً بالسريّر مدججين بالسلاح . وعقد الدوفين ذراعيه فوق صدره وظل ينظر في وجوه حراسه من الموت . فعرف أحدهم وناداه قائلاً :

— لورين ... لورين ... فتقدم الجندي نحو السريّر خطوة . فأردف ولي العهد :

— إني أحبك كثيراً يا جندي القديم لورين ..
أرني سيفك الكبير ... ستقتل الموت ولا مرء

إذا أراد أن يأخذني ! ... هيه ؟ ...
فأجاب الحارس وقد تحدت دمعان كبيرتان على خديه :

— أجل ... أجل يا مولاي ! ...

هنا أقبل قس ودنا من الأمير وكلمه طويلاً في صوت يشبه الهمس ثم أراه الصليب ، فأصغى الأمير إليه في دهشة عظيمة ثم قاطعه بقوله :

— لقد فهمت ... ولكن ... ألا يقبل صديقي الصغير « ينيو » أن يحتل مكاني ويموت بدلاً مني ونعطيه على ذلك أجراً كبيراً ؟ !

فعاد القس إلى حديثه المنخفض بينا أخذت أمارات الدهشة تحي رويداً رويداً من وجه الدوفين الصغير، وقال ولي العهد عندما انتهى القس من حديثه :

— محزن كل ما تقول ياسيدي . ولكن ما يعزيني ويدخل على نفسي الصبر والجلد هو أني سأظل في الجنة ولياً للعهد . وإني لأعلم أن الله هو ابن عمي . وسوف يحسن وفادتي ولا ريب لمنزلتي لديه

ثم نظر إلى أمه واستأنف الحديث :

— أمرى بأجل ثيابي ، وبجميع لعبي ودماي . إذ أني أريد أن ألقى الملائكة وأدخل الجنة تحف بي العظمة والأبهة بما يليق بمنزلتي ومقداري ! ...

فأنحى القس على الأمير للمرة الثالثة وأسر له حديثاً . فقاطعه الأمير في لهجة غاضبة :

— إذن ماذا أفيد من كوني ولياً للعهد ...
ورغبة منه في عدم الإصغاء إلى حديث آخر

أدار وجهه إلى الحائط وأنشأ يبكي وينتحب ...
محمد عبد الفتاح محمد

كان يظن أنى غافل عن كل هذا ، لأننى كنت مندفعاً اندفاعاً لا يسمح لأحد بالتمتع بشيء مما كان يرى . ولكن مرأتى الطريق كانت تشير فى ذهنى ذكريات النزه الشائقة والليالى القمرية ، والقرويات الحسان ؛ وصيد السمك ، وقنص الطير وحمدان وهندوان .

وانعطفت إلى اليسار ، فقد بلغت حنية النهر ، بعد ما ندى العرق جبينى ، وتلفت حولى لأرى الزورق فينقلنى إلى الشاطئ الآخر حيث تقوم دار صديقى وقفرت فى الزورق الراسى إلى الشاطئ ، ولكن ... أين العم حمدان ؟ وتلفت حولى - مرة أخرى - مندهشاً لأرى عم حمدان ... فلم أراه ! ولم أر أحداً حولى إلا فتى فى ظل توتة ، ينسج طاقية من الصوف وهو يغنى . وزادت دهشتى وحيرتى ! فأنا أعلم أن العم حمدان لم يكن ليفارق زورقه طوال يومه ؛ بل كان يسير به فى عرض النهر : إما حاملاً الناس إلى الشاطئ الثانى من النهر ، أو متصيداً السمك . ولم أراه طوال إقامتى فى العام الماضى - لدى صديقى - يتركه أبداً ... فكيف ترك زورقه اليوم ؟ !

ولعل الفتى الناسج الشادى رأى حيرتى وتلفتى فهب إلى مسرعاً خفيفاً ، وقفز إلى الزورق مبتسماً ومعتذراً . فقلت له بعد أن رددت التحية :

— فأين إذن العم حمدان ؟

فهز الفتى رأسه وتتم :

— أظنه هو الذى كان يعمل فى هذا الزورق

قبلى ، إننى أعلم هنا منذ ثلاثة أشهر يا سيدي

من حياة الريف

فَصِّلْ

أقصصة مصرية
بقلم الأديب السيد محمد العزاوى

كانت الشمس تبجح للمغرب حين جاوزت قرية (د...) مندفعاً فى الطريق الزراعى إلى مدينة (ب...)، وكانت الطبيعة ساكنة إلا من خوار بقرة بعيدة ، أو زقزقة عصفور . وكان الهواء يهب رخياً هنيئاً ، فيداعب عيدان الندة الخضراء الممتدة فى الغيطان من حولى إلى أقصى الأفق . وكانت الظلال وادعة لا يحرك منها إلا تنقل الطير على أفنان الأشجار المورقة ، وكانت هذه تقوم على جانبي الطريق ، وتشكاثف فى الجانب الأيسر ، فكانت تحجب عنى النهر فى معظم الأحيان . على أننى كنت أستطيع أن أرى أشرعة السفن البيضاء تجرى فى صفحة الأفق القريب ، وكنت أرى الشمس حين تسمح لى بذلك فروج الشجر قد ذهبت حواشيه فأتبعه بصري حتى يغيب وراء الشجر المتكاثف ، أو ينتهى بى البصر ، حتى ينعطف النهر فلا أراه !

كانت هذه المناظر تتوالت من حولى ، بينما أنا مندفع فى هذا الطريق المنفرد فى هذه الشقة من الأرض . وكانت تهزنى لدى رؤيتها بعض الذكريات فأبتسم لنفسى فرحاً مسروراً . . . على أن من رآنى

ودفع الزورق في عرض النهر بساعديه المفتولتين وطفق يضرب النهر بمجدافيه فيزيد صوت التطامهما بالماء هذا الشعور الرخي في نفسى ؛ وكان شعوراً عجيباً من السرور يشوبه نوع من الحزن . فقد تعودت أن ينقلنى عم حمدان إلى الشاطئ الآخر ، وخالجنى الحزن بقوة لا أدرى لماذا . فلعله كان من أغراض رحلتى — دون أن أعلم — أن أتمتع بمرآه هو وابنته « هندوان » . فحزنت لأن جانباً من رحلتى لن يتحقق . على أنى — والله — كان بى شوق إلى الرجل وابنته . فقد نمت بيننا الألفة رغم أيامى القصيرة التى قضيتها عند صديقى منذ عام .

ولأمر ما التفت نحو الشاطئ حيث كان يسكن وابنته فى كوخ هناك لا يبعد كثيراً عن آلة الماء . هاهى ذى آلة الماء قاعة لا تزال ، وهاتان الصفصافتان مازالتا ، وتحت الثانية كان الكوخ يقوم . ولكن أين الكوخ ؟ ... حقاً كان هناك شئ لم أتبينه ، فلعله هو . نعم هو . . . فقد تجلّى لى من موضعى الجديد . إنه محطم ، وخاصة مؤخرته كأنما دكتها صاعقة . وبدأ لى جانبه المجاور للنهر محطماً مهدوماً ، ورأيت الطحلب الأخضر قد علا وصيده الحجرى والدرجات الهابطة منه إلى النهر ، والنافذة التى أراها الآن محطمة ، وسواء الكوخ الغابى قد مال فى المؤخرة إلى الأرض ، فكأن الكوخ كلب ألقى ... ترى ماذا حل بالكوخ ؟

وكان الزورق ينزلق على صفحة الماء المذهب فى سرعة وخفة ، والجو جميلاً فاتناً ، والطيور تثب من حولى على غصون الشجر رائحة إلى أوكارها ... وهنا على الضفة الأخرى كانت تقوم محلة صديقى . بل هذا منزله مستشرفاً بين المنازل المتواضعة بطابقه

الثانى ذى الشرفة المطلة على النهر . كل هذا كان يحوطنى ، وكنت شاعراً بكل جمال فيه أو مظنة لجمال . غير أنى كنت أشعر بفراغ كبير من حولى فقد فقدت هذه الشقة جزءاً كبيراً من شخصيتها ، حقاً ! إنك لم تكن لتتذوق جمال المكان إذا كنت لم تعرف عم « حمدان » و « هندوان » ! !

وترافقت أمانى الأشكال والصور سريعة تتوالت : فهما هو ذا عم حمدان ينقلنى إلى البر وينقل الناس إلى القرى المحيطة ، لا يقعد به تقدم السن عن ذلك ... وهما هو ذا فى يوم الخميس لا يكاد يحك جلده من كثرة عمله ، إذ اليوم سوق المدينة ، وهما هو ذا يتصيد فى عرض النهر بشباكهم نشيطاً قوياً . . . هاهما هو ذا فى الليل نائحين فى أرغولة الحنون ؛ ثم فى صباح الشتاء العابس ، يسبح فى النهر ، ولا تكاد ترى إلا رأسه الأشيب ، ووجهه العربنى قوى الملامح ، ولحيته الشهباء يتحلب منها الماء . . . وهندوان اللطيفة الناعمة ... هاهى ذى تملأ الجرة مع الفجر وأبوها يستحم ! فلا تقوى ساقها الليطفتان على حملها هى وجرتها الصغيرة ... هاهى ذى غادية مع الصباح فى ذلك الطريق الأشجر إلى قرية (د ...) تسير صامتة حزينة على نغم الخللخال الفضى العريض ؛ ثم هاهى ذى تلقاك باسمه خفرة ، ولكنك تلمح فى بسمتها شيئاً من الأسى الدفين ، تقرؤه فى زمة شفيتها اللساوين ؛ وعلى وجهها إشراقة الروح المعذب يتراءى لك فى سحابة خفيفة تظل وجهها الصبوح الأسمر ، وعيناها الواسعتان المكحلتان ، وأهدابها الغضبيضة الوطفاء . . . كل هذا كان مليئاً بالسحر الحزين الكسير ! ...

وقطع على حبل التأملات صوت الزورق ينبهنى

وثبت نظري على الكوخ ، والتفت إلى صديقي قائلاً :

- أين راح عم حمدان ؟
- إنه الآن بأُس مجنون
- مجنون !؟ منذ متى ؟
- من ثلاثة أشهر
- وإلى أين ذهب ؟
- إلى حيث لا أدري ، ولكنه يغشى المكان بالليل كثيراً

— ولماذا جن ؟

— قلت لي لماذا . حسن !

هبط عم « حمدان » وابنته - اثنتين لا ثالث لهما - هذه الشقة من الأرض قبل أن أبتني هذا المنزل هنا . وأكبر الظن أنهما هبطاها قبل أن يبجها محراث ، أو يشققها ماء . ولم يكن أحد يعلم من أمرها أكثر من ذلك . اللهم إلا أنه عربي ناهز الخامسة والخمسين ، وأن له خبرة - ككل عربي - بأمراض الغنم وأصوافها . فكانوا يقصدونه لاستشارته ، وأنه أشبل

على ابنته الوحيدة التي يحبها حباً جماً
ولا أدري كيف ومتى أوحى للعم « حمدان »
أن يتخذ الزورق حرفة له . ولكنني أتيت فالفيتة
يحمل الفلاحين والتجار الذين يأتون من القرى المحيطة
للاشتراك في سوق المدينة يوم الخميس . ولا تحسب
أنه لم يكن يغل كثيراً من عمله في تلك الشقة المنزلة
من الأرض ، كلا فقد كان دائماً في عرض النهر
رائحاً جائياً يتغنى بأغانيه الريفية طوال النهار؛ وكانت
ابنته تنام مبكرة ، ولكن أباهما كان يخلو إلى نفسه
بالليل بعد أن يطمئن عليها مرات ومرات . ويحتجى
بعد ذلك بالنار ، سواء في ذلك لديه الصيف والشتاء ،

أنا قد رسونا ، فغابت عن ذهني كل التأملات كما غابت
الشمس من وراء الأفق . ونقدت الفتى أجره ،
وقفزت إلى البر يحدوني الشوق وينفذ من خطاي ...
وما انفتح الباب حتى غبت في أحضان صديقي
الواسعة ، ولم أفلت منه إلا بعد لأي . واندفع يثرثر
ويجأر بمنجرتة القوية ، ويقفز هنا وهناك بجسده
البدن . وجادت قريحته ، وفرحت نكته . وأعداني
بمرحه فطفقت أضحك حتى دمعت عيناى ... وكانت
الأحاديث متتابعة مبتورة مسرعة . إذ كانت تثيرها
ذكريات مشتركة متفرقة من عهد التلمذة ، وبدء
التوظيف والتغرب ؛ وتدير دفتها ميول متوافقة
وأمزجة متحدة في سرعة وخفة . فهي تعرج بنا إلى
حادث ما فترينا منه لمحة ، وتعرج بنا على ثان وثالث
ورابع ... وتناولنا طعام العشاء وأثقل على صديقي
فأفربطت في الأكل إفراطاً بعث في جسدي الخدر
والاسترخاء ؛ فاستلقيت قرب النافذة أستروح
النسمات العذاب . وكان القمر يلتمع في سماء الصيف
الصقيلة الرائعة

وكان السكون منعقداً في الخارج لا يشوبه
إلا عواء ذئب أو نقيق بوم . وبعد مدة من الصمت
صاح بي صديقي :

— ما لك قد سكت ...

فأجبت : لا شيء

وعاودت النظر إلى البرية ، وفي نفسي قلق
الباحث عن شيء ما ، وكان سكون المكان يشغل على
ويبدو لي غريباً . وملكتني وحشة لم أدر كنهها .
فلو أن نوتياً مرّ فغنى وأقلق ذلك السكون ، أو أن
كرواناً مزق هذا الحداد ، أو داعب عم « حمدان »
أرغوله بأامله الدقاق ! ولكن لا شيء من هذا !

فينفخ في أرغوله المرن ساعات ، أو يغنى بعض أغانيه التي سمعناها ممّا ؛ أو يداعب حظه في « السيجة » مع أحد أضيافه ، أو يغزل الصوف في صمت وتفكر وبين يديه الشاي العربي على النار يغلي . وأكبر الظن أنه لم يكن يشغل ذهنه إذ ذاك إلا ابنته لأنه كان يقوم من آن لآخر ليرى ابنته ويطمئن على عظامها جيداً . كانت هذه حاله جل الليل ، فإذا ما داعبه الكرى قام فتطرح إلى جنب ابنته على أن يصحو مع الفجر !

أما « هندوان » فكانت واهنة تقالب الموت شقية تجالده الألم اكانت روحاً منزعلة تألف الحزن والوحدة وكان أبوها يحبها حباً ملك عليه كل حواسه . فلم يكن يحيا إلا لها وبها بعد أن أشبل عليها فلم يتزوج؛ وكان يرضى بها على العمل وشقوته . ولم يكن يتوانى في قضاء ما تهفو إليه بغية إسعادها . ولكن ضعف الفتاة وهزالها كانا يفزعانه ويزيدان عطفه عليها وإشفاقه . فلم يكن يستريح في سهرته الطويلة إلا بعد أن يطمئن عليها نحو خمس مرات . حقاً لقد كان يعزها إعزازاً صامتاً يبدو في حركاته ونظراته أكثر مما يبدو في كلامه .

وكانت الفتاة رغم هذا تضحل وتذوى كالزهرة حرمت الغذاء . فقد كانت نفسها تتطلب شيئاً آخر، كانت تعصف بها عاصفات من الحنين والألم كثيراً ما جعلتها تسخط على أبيها المعجوز، وكثيراً ما كان خيالها يسبح وهي جالسة أمام المدفأة الصغيرة في ليالي الشتاء فيصور لها ما تهفو إليه من رؤى السعادة والهناء . كانت حزينة تجتر أحزانها في ألم وسكون ، وأبوها يرقبها في حنان ، ويبدل كل ما يستطيع ، ولكن الفتاة كانت تنفر من كل شيء حتى من عطف أبيها .

وكثيراً ما كانت تسهو فتعضى الليل ناظرة من نافذة الكوخ في تطلع وحزن مصعدة بصرها بين النجوم في حيرة وتنهّد . وقد يدخل أبوها فيراها على حالها هذه ، فتطحن على نفسه الكآبة ويفشاه الحزن ، ولكنه ما يلبث أن يسري عن نفسه ، ويضعف حبه لها واهتمامه بها ليصرف عن نفسه أفكاراً تخامره من حين إلى حين .

كان يزداد بها كلفاً ، وهي تزداد نحولاً وحزناً . وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه ما لها تزداد كل يوم حزناً ونحولاً . ما للمرح قد تولى عنها ، وما لشفتيها الضاحكتين قد زمتا ، وانطفأ بعينيها الكحلّتين الواسعتين بريق غريب ؟ ما بالها تلك البنية ... ؟ كان أبوها بين حب لها يسعده ، وإشفاق عليها يشقيه ؛ فكان مثلها يتغزل الناس ، وينصرف إلى أرغوله يبثه لواعجه وأشجانه فيحيلها حزناً رخيماً ينساب به مع الليل ... في هذا الكوخ الوحيد كان يعيش روحان وحيدتان هزمتان . روح أثقلتها السنون ، ونالت منها الأيام ؛ وأخرى شابة تخطت نحو الشيب خطوات وهرمت قبل الأوان ... كانا نجمين كليّين وحيدين يهيمان في سحاب ثقيل

وأكبر الظن أن الفتاة كانت تروض نفسها رياضة ، وتحمل نفسها حملاً على الرضا بما هي فيه من ألم وحرمان ؛ فقد كانت تحب أباهما الحب كله ، وتشفق عليه كل الإشفاق . ودت إذن لو تستطيع أن تحمل نفسها على أن تستعيض به عن الزوج والولد ؛ وأن ترضى بحبه ما يجيش في صدرها البكر من أحاسيس مبهمه ، ومشاعر غامضة ، وأن تجد فيه ما يسبح إليه الخيال في ليالي الشتاء الطويلة الحزينة الباردة

أبأها فأقامه وأقمنه . فلم يُرَ نائخاً في أرغوله ، ولا مستوياً أمام ناره ، ولكن مولياً شطرها الطريق بصره الحديد . وبعد هزيع من الليل عادت مقرورة مضطربة ، ترتعد من البرد ، وتقضض من الزمهرير . فتلقفها أبوها في صدره المريض المعجوز ولكنها كانت محنومة ترتعد . فدفنت إلى الكوخ ، وازملت بكل ما يصلح للتمل والفظاء . وأوقد أبوها الدامع ناراً في الكوخ ، حتى يبعث الدفء في المسكن ذي الحجرة الواحدة . على أن ذلك لم يغن شيئاً من رعدة الحمى إذ تملو جسدها اللطيف إلى حين من الليل وبانت هاذية ...

وقال صديق :

وكان العم « حمدان » لا يستريح لأحد من جيرتنا قدر ما يستريح إلى . فدعاني ليلة لأعود ابنته فلبيت وأسرعت إلى الكوخ لهفان مشفقاً . وكان ظاهراً لي أنها حمى . هذا حسن ! ولكن أى نوع من الحمى ؟ لم أكن أدري . غير أنى كنت أعتقد بأنه إن كان للحمى أن تزور مثل هذا الجسد اللطيف الواهن فلا بد أن تترفق به فتسل إليه أسهل الأنواع وأرقها ! وجلست حياها وهي منسركة مسبوتة ، يتقد جسدها بنار الحمى ، ورأسها بدوار الهذيان . كان وجهها يطالعنى ملتهباً ، وأنفاسها تهب على مبهورة ... وغمرتني حياها لجج من التفكير المحزن فما من شك أنى كنت أعطف عليهما معاً . ولكننى كنت أشعر نحو الفتاة خاصة بنوع من المطف القوى ، والإشفاق العميق : فإنه يمز على المرء أن يفقد هذه الريحانة في صحراء مقفرة من الرياحين . فهذه هي ممددة على الفراش ولا عاصم من الموت ،

ومضت الأيام على ذلك ترى والحال هي الحال . فقد كانت تقوم على شئون الكوخ البسيطة القليلة . وكان أبوها يذرع النهر بقاربه ويتصيد ؛ وكان يجلس كل ليلة إلى ناره وأرغوله الرن الصاح . وقد كان يعتز بها الاعتزاز كله ، فهو قد جمع فيها آماله ، وركّز فيها أهله ، وكانت الأيام لا تزيد بها إلا حبا ، وكانت الأيام لا تزيد إلا تمسكاً بها وكلفاً . وقد كان أبوها يرفض كل يد تتقدم إليها ما في ذلك تريث أو نظر ، وما في ذلك من تفريق أو استثناء . فقد جاء إليها خاطباً فلاح موسر من قرية د ... هذه ، وهو يملك خمسة أفدنة فرفض ، وتقدم إلى أبيها عربي من محلة ... فرفض . ولعله رفض بعد ذلك أناساً ، ولعله رفض قبل ذلك آخرين . وقد كان ينتحل في كل مرة عذراً متهاكاً لا يكاد يتأسك ، وهندوان صامته حزينة ساهمة ، كأنما الأمر أمسى لا يعينها في شيء ، أو أمسى يتعلق بأخرى غيرها ... وما كان عم حمدان يزداد في كل مرة إلا حبا لها وتشبثاً بها ، ورغبة في إسعادها . وما كانت الفتاة تزداد في كل مرة إلا شحوباً وحزناً ، وما كانت تزداد إلا نفوراً وانقباضاً ويأساً . والآن ما أشد حزنه حين يرى الفتاة تذوى وتشحب ، وما أقلق قلبه إذ تعتزله وتستغلّق منظوية على نفسها بما في هذه النفس من آلام ولواعج . وما أشد رغبته أن يهيجها ويسعدّها ، ولكنه لم يكن يملك من الأمر شيئاً ... طلب لها الطب العربي فما أفاد ، ووسع عليها في الزينة واللباس فما أفاد ولا أجديا . ورضى بأن يندق عليها من حبه وحنانه وبره ما قد يرفه عنها بعض ما تجد

وفي ليلة من ليالي الشتاء الحزينة تأخرت « هندوان » في قرية (د ...) إلى حد كبير ، أقلق

وها هو ذا عم «حمدان» ساهماً جزءاً لا يملك لها من الأمر شيئاً، أكله فلا يجيب، وأحاده فلا يبى .
وها هو ذا يحدق في «هندوان» جهد البصر الزائع، ويتم لنفسه كلمات لا أسمع منها شيئاً . ثم ها هو ذا يغض من بصره إذا ما تلاقى بنظرات الفتاة المدنفة ومضى على مرضها أيام عدة لا يخرج فيها عم حمدان من الكوخ لينقل الناس أو ليتصيد . ولم يكن يورث النار، أو يدير على الكون أرغوله . وبعد هدأة طويلة من إحدى الليالي جاءني أغبر الوجه ، أشمت الشعر مصفراً . فقلت له وجلاً :

— خيراً يا عمى حمدان ؟

فأجابني في صوت عميق :

— « هندوان » !

— ما لها ؟

وأجاب صرختي بكاء يكاتمه المعجوز ، فيأبى إلا الجهر والملاية ، ودمعات كالحصوات الكبار تنحدر على خده الأسمر . وتأملت الرجل في حزن وفزع ، فإذا بالعمر قد قفز به إلى أمام عشرة أعوام تنفض فيها وجهه وأنحنى ظهره تحت عبئها الثقيل . وفي الكوخ كانت « هندوان » ممددة على الفراش بقامتها الرشيقة وصدرها البكر، ووجهها الحالم يحفها سكون الموت ، ويضمها جلال الفناء . كانت شيئاً جميلاً ازدانت به شقة من الأرض، وعاش من أجله شيء عجوز . كانت نجماً وحيداً غريباً سريعاً في صمت وجلال ؛ فأظلمت لغروبه شقة منزلة من الأرض ، وأقمرت نفس عجوز ، وأنحطم زورق عتيق ؛ ودمعت

عيناي لهذا البؤس الذي أرى . ولكن العم حمدان أمامى جازع فزع ، لا يئن عن البكاء أو العواء ! فقد كان يبكي كالطفل ، ويعوى كالذئب ، بل كالكلب العليل . وكانت أول مرة أرى فيها شيئاً ينشج نشيج الأطفال ، ويجزع جزع الثكالى . فطفقت أخفف عنه ما يجد يعض العزاء ، بل بكل العزاء الذي أملك . ولكن ذلك لم يكن ليحول بين ذراعيه البائستين وبين أن يلوحا في الهواء كأنهما يهددان ما لا أرى من شخص أو شيء أو شبح ، أو يحول دون أن يعوى عواء مؤلماً كسيراً :

— رب ! ماذا فعلت لكل هذا ؟

فكأنما الكارثة لم تحل بساحته إلا لذنوب جناه وكأنما هي قصاص !

— ماذا فعلت حتى تجازيني بهذا ... ماذا فعلت

يا رب ! !

وكان عمى حمدان حريصاً كل الحرص على أن يشيح بوجهه عني . فكأنما هو خجل من أن أراه على حاله هذه ولكني تأملت الرجل من دموعي الواكفة وقد كنت أحس كأنما هو يخفى عني شيئاً هو مبعث كل هذا الجزع والحزن وقد شعرت بأنه يخفى عني بينه وبين نفسه جريمة ما يحرص كل الحرص على ألا يذيع من أمرها شيئاً . فلملح كان يحس بأنه هو الذي أذوى شباب الفتاة بشيبه ، وحطم آمالها بأنانيته ، وقتل قلبها بغرامه ، ولعل له كان يحس بأكثر من هذا ، بأن ما حل بفتاته لم يكن إلا سخرية من أنانيته وتشبته ، وقصاصاً على حساب من يهوى ويحب . أدركت ذلك كله ، وخشيت منه على العم حمدان أن

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زمانى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

يرهقه هذا الشعور ، ويثقل عليه ، ولكنه كان
يحاول أن يروض نفسه على الرضا فلا يقدر ، وأن
يقهر نفسه على التسليم فلا يستطيع ؛ وكان التفكير
في ذلك يفرقه في ذهول عميق . وما أظنه كان يفكر
في شيء غير هذا إذ يبیت أمام كوخه يشعل النار
وينفخ في الأرغول ، وإذ هو يصرخ في أرغوله
صرخات جازعة ملتاعة هي دون شك صدى آلامه .
وما أظنه كان يفكر في شيء غير هذا إذ يقضى
سحابة يومه محمداً في مياه النهر المتدفقة لا يكلم
أحدًا فكأنما ختم على فيه . وأكبر الظن أن آلامه
كانت تتجسد على صفحة النهر وأن أشباحاً مفزعة
كانت تتراقص على أمواج الماء المتدفق المترحل إلى
آفاق بعيدة نائية

وعلت وجهه الصفرة ، واحتوى جسده الجزع
وتتمشت في جلده الغضون ، والتمتعت عيناه يريق
غريب مذعور لا يثبت على شيء ، ولا شيء يجتذبه .
وشاع بين الناس أن منساً أصاب حمدان
ثم ترك الزورق ، وهجر الكوخ ، وذهب

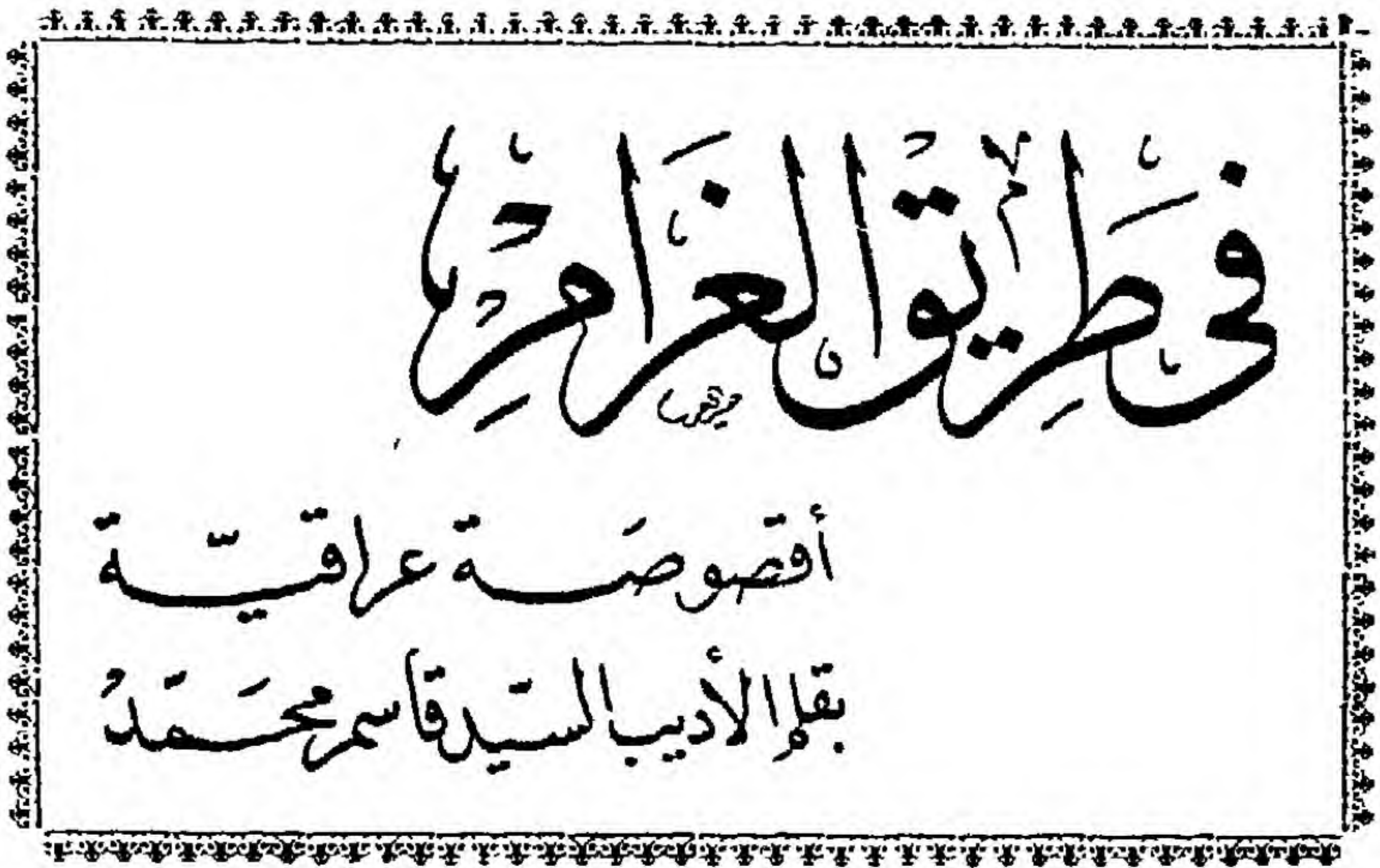
— إلى أين ؟

— لا أدري ولكنه يغشى هذا المكان بالليل
كثيراً ...

وصمت ، وصمت . وانسدل بيننا ستار من السكون
كثيف . وبعد برهة صاح بي : « ما بك ؟ » غير
أنى صحت به : « صه ! » فقد كنت ألقى السمع إلى
أنات أرغول تغالب البعد السحيق

السيد محمد العزادى

النور إلا أن يمزقها دالماً لسانه
من ثقبها المتعددة ساخراً منها
لدى الطارقين ، وحتى سطوحها
التي أبت أن تعلو عن سطح الأرض
كثيراً خشية أن يصيبها الدوار
فتسقط حجارته على قارعة الطريق
فتهشم على أديمها وهذا من حسن
حظ العابرين ...



تناقلت قدماه قليلاً ليشعل سيكارته بعود ثقابه
وبعد أن نفث دخانها وتلاشى فوق رأسه
كأحلامه الممسولة راح يتطلع إلى تلك النوافذ العجيبة
علها تحوى جسد فائنة تنسيه هواجسه وتلهب دمه ،
دمه البارد الذي أوشك أن يتجمد في شرايينه ...
هذا إن كانت تحمل دماً بمعناه الصحيح
لقد ازدحمت الأفكار في ذهنه وأوشكت أن
تسيل على لسانه كلمات يلفظها فتتبدد وتلاشى ، لولا
أن جلب انتباهه صوت امرأة خافت كأنه هففة
النسيم قد داعبت أذنيه من إحدى تلك النوافذ .
لم يقبل المقاطع جلية ليفهم ما قصده فسبقته عينه
متطلعة إلى أخشاب نافذة لا تعلو عن سطح الأرض
إلا بأربع أقدام ... لم يبصر شيئاً سوى خيال
لا يكذب من يقول : إنه تراءى خلف ألواح خشب
شفاف لكثرة شقوقه

لم يدر عابر طريق الغرام الجديد ماذا يعمل تجاه
هذا الحلم الحقيقي الغامض فارتكزت قدماه على الأرض
كمودين شديداً من قديم الزمن ، وارتفعت يمناه
بسيكارته إلى فمه أما اليسرى فلم تجد ما تعمله سوى

... ولطالما تأقت نفسه للوحدة والانفراد ليخلو
إلى أفكاره وأمانيه التي يشغل بها مخيلته لمجرد التسلية
وقتل الوقت الذي لم يعد جزءاً مهماً من حياته الخالية
التي كرهتها نفسه . فود أن يحدث فيها ولو تغيراً
يسيراً ...

تحركت ساقاه كرقاص ساعة كبيرة فارتسم
خياله الممتد على سطح جدار متهدم تحت نور القمر
الباهت حيناً انعطف في زقاق ضيق انبعثت منه رائحة
العفونة وبرزت على جانبيه تلك النوافذ القديمة المقوسة
كأنها ظهراً حذب أو شيخ أثقلت كاهله سنو الشباب
فراح يحملها معترا بها نخوراً بذكرها ، ولو أنها
أحنت منكبيه إلى الأمام وقوست ظهره فبارك
كقنطرة بالية ...

ملأ رثتيه ما استقطاع من الهواء الندي العفن
وزفره ملقاعاً مما غشيه من القلق والهم

يا لله ! إن كل شيء عجيب في هذا الطريق ...
حتى كلابه التي لا تكلف نفسها عناء النباح على المار
الغريب ، بل تكتفي أن تنظر إليه نظرة بليدة خالية
من كل معنى ... حتى جدران بيوته التي أبي

قال لنفسه بعد ذلك بلمهجة الساخرة المرحة ،
ولكن بصوت أراده أن يكون مسموعاً ...

— من يصدق أن التاريخ يعيد نفسه ، وأنتى
الآن فى أحد شوارع ألف ليلة وليلة الخيالية بل
ربما كان أكثرها حقيقة لا يجاز فيه ؟ . . ألم يكن
قبل الآن لا يؤمن بالمعجزات والمصادفات ... ولكنه
أصبح فى هذه اللحظة السعيدة أشد إيماناً وأكثر
تمسكاً من الجاهل بمعتقداته التى ورثها أباً عن جد
فأصبحت جزءاً من لحمه ودمه . وهل فى مقدور الإنسان
أن يستغنى عن أحد أعضائه طوع رغبتة وإرادته ؟ !
كلا ، إن هذا ليستحيل ، اللهم إلا إذا كان قد
فقد حواسه الخمس ولم يعد يشعر بلذة الوجود ...

لم يسمع إلا ضحكة خفيفة حين سأل شيخاً كان
قد مر به وهو لا يزال فى مكانه كالتمثال ...

— أى عمى العزيز ! بيت من هذا ؟
وبعد أن تطلع المعجوز بعينه الضعيفتين
إلى وجه صاحبه فى هذا الظلام ، وقد فاحت رائحة
السموط من أنفه أجاب بكل فتور مستريباً :
— لا أدرى

وهم أن يتابع سيره وهو منقاد لمصاه الغليظة
التي أكسبت سيره نغماً موسيقياً خاصاً به وشكلاً
يلوح جيلاً فى أعين الفنانين ...

استوقفه متوسلاً وقال له :
— أحق وأنت قد خرجت من ذلك البيت الذى
فى نهاية الطريق ... أيعقل يا سيدى وأنت فى مثل هذه
السن ، أنك لا تعلم شيئاً عن جيرانك ؟ هذا إن كنت

أن تندس فى جيب (بنطلونه) تطلب الدفء
وقف وهو مرهف سمعه ينتظر أن يحمل له
الهواء الراكد صوتها الخافت ، ولكن لأول مرة
عرف أن الوقت يسير متباطئاً ، ولأول مرة عرف
أن الدقيقة الواحدة تكفى لعمل عدة أشياء خلالها
وذلك للصمت الذى خيم عليه .

لقد انفرجت كبريته ووثب قلبه راقصاً بين حنايا
ضلوعه حينما تحركت تلك الأبواب الخشبية الشفافة
كأنها عجوز تتثائب وأطلت من خلال قضبانها الحديدية
التي علاها الصداً إنسية راقية لعينيه . ولم ينبه
من ذهوله إلا صوتها الحاد الرقيق قائلة :

— ألا تستحي !
— آه ! كان يجب أن أستحي من جمالك ولكنى
ذهلت عن أمرى ، فمعدرة ...
— يالك من وقح ! ...

— أرجو ألا تزجى نفسك بإنشاء أمثال هذه
العبارات وإلا كلفت نفسك عناء كثيراً . فأنا
طبق الأصل من أى جملة تريد قذف بها ،
وكفى ... قالها لاهثاً وبإيقاع موسيقى سريع ، ولم
يزد على أن ضحك ، فضحكت هى أيضاً ، وأغلقت
نافذتها الشفافة بكل بطء وتراخ فأطفىء نور الغرفة
وتلاشى ظلها عن الأبصار ...

لم تكن من بنات الشوارع ، ولم يكن هذا
الزقاق الذى يسير به صاحبه من المواخير السرية ، بل
لقد أطلق عليه اسم طريق الغرام صاحبنا (مظفر)
الذى ما زال واقفاً يتأمل هذا البناء القديم وهذه
النافذة العجيبة ...

فقطع جلته التي كان مظفر يتطلع إلى نهايتها
وأجاب :

— نعم يا بني

فسألته متجاهلة :

— ماذا بك ؟ هل أنت تختصم ؟ لقد سمعت
صوتك نخفت أن ... تعال تفضل وحدثنا بقصتك
التي وعدتنا بها أمس .. نحن ننتظر، الباب مفتوح ..
أدخل ..

ولم يجد الشيخ مخلصاً من هذا السائل غير
الهرب فأدار وجهه شطر الباب ودخل وبقى صاحبنا
في محله وقد توسط الطريق كشرطي المرور ...

أراد البقاء في محله ولكنه خجل من نفسه ،
ورغب في السير فلم تطاوعه . حانت منه التفاتة
إلى زقاق يتفرع من هذا الطريق فرأى شخصاً لم
يتبينه لأول الأمر ولكن يبدو عليه أنه قد أفرط
في شرب الخمر فشم ، ولذا أخذت ساقاه مطلق الحرية
فراحتا ترقصان رقصة النشوان ...

لم يكن مظفر يميل إلى السكاري لأنه لم يقرب
الخمر ولكنه تريت قليلاً في محله ولم يقرر شيئاً
فاقترب السكير منه وبدأه بالتحية قائلاً :

— ها ها ها .. هاو بابا .. ماذا تعمل هنا ؟
أريد أن .. أن (وهنا شدد على النون شأن من ثقل لسانه)
تقضى معي ليلة سعيدة ؟ ها ها .. وكان يخرج
مقاطع كلامه بصعوبة وهو يتمايل كالقرد قائلاً :

اسمعي ... آه ... نعم أنت جميل والله العظيم
لم يجبه صاحبنا بل أنعم النظر في وجهه وتجلت

لا تلم بتاريخ حياة كل أسرة مفصلاً ... لا تخش
بأساً أيها البهم ، أنا لست لصاً ... بل أنا ... أنا أريد
أن أستعلم منك فقط عن اسم صاحب البيت وذلك
لأنني أريد أن أخبره بشيء ... بأمر ضروري ...
— وما وجه الضرر في هذا الأمر ؟ هل
سيحل به مكروه ؟ قل ما هو هذا الضرر ؟ وأمسك
لحيته بقبضة يده اليسرى شأن الشيخ المستفهم .
فأجاب مظفر وقد حار في أمر هذا المعجوز الجاهل
إذ لا يفرق بين الضروري والضرر :

— لا يا شيخ ، أريد أن أقابله

— وكيف تقابله وأنت لا تعرفه ؟

— لأين له حقيقة حالي ...

فسعل الشيخ وقال :

— أتقدم إليه صورتك ؟ ولماذا ؟

أجاب مظفر وقد نفذ صبره قائلاً :

— أريد أن أشرح له قضيتي .. أريد أن أبين له
مسألة تتعلق بي . قل لي بربك من هو ؟ وإلا اضطرت
إلى سؤال غيرك

فقال الشيخ وقد ارتسمت الحدة على وجهه
ودق صوته وارتفع ...

— يلوح لي أنك غريب عن هذا البلد
وإلا كيف تجهل من كان ... ولم يتم كلامه حتى
فتحت النافذة التي تطلع إليها صاحبنا وظهرت الفتاة
ثانية إذ قالت :

— يا غمي الشيخ حسين (وكان هذا الشيخ يتردد
على جميع العائلات في ذلك الحى لكبر سنه ولأحاديثه المسلية
ولأنه يعرف التنجيم)

أمارات الغضب في غضون جبينه فأتسعت عيناه
وتقلصت عضلات يده ...

لقد عرف السكير وكان قصير القامة ممتلئاً من
الوسط كالبرميل، أما وجهه فكان يشبه السمكة
ولذا كنى بها

ولم يدر صاحبنا حتى الآن كيف داعبت قبضته
صدغ الموظف السكير . نعم لقد كان موظفاً
وذا حول وطول ... لم يتأسك « أبو السمكة » بل
فضل أن يستسلم إلى رقاد عميق مفضلاً الرصيف
الصلب على فراشه الوثير

سقط مغشياً عليه بباب داره التي دخلها الشيخ
حسين ، وهي دار قديمة تملكها زوجته الثانية بعد
أن ماتت زوجته الأولى من جراء معاملته القاسية
استدار مظفر وعاد أدراجه لا يلوى على شيء
وقد امتلأ رأسه بحادثته الأخيرة التي جاءت عفواً

تري كيف حافظ هذا الموظف على كرسيه وهو
لا يبى عمله لحظة من الزمن؟ إذ لم يحظ (أبو السمكة)
حتى بشرف الثول بين يدي (الشيخ^(١)) ليقرأ
القرآن ويحفظه كما كانت الطريقة المتبعة في ذلك
الزمن بل جل ما تعلمه هو ما لقنه أبوه إياه من
كتابة الرسائل التي كانت تكتب على نمط واحد إذ
تستهل وتختتم (بكليشيه) حفظه عن ظهر قلب

كان هذا قسطه من الثقافة . زد على ذلك
افتخاره بأقاربه الذين يشغلون مناصب خطيرة

(١) معلم الأطفال على طريقة الكتاتيب ويسمى أيضاً
« الملا » بضم الميم

في الدولة واعتماده عليهم ...

تهالك مظفر على كرسيه وارتجفت يده حين
سلمه موزع البريد رسالة لم يعرف خط كاتبها حين
ألقى نظرة على المظروف! والأغرب من ذلك أنها أرسلت
إليه من نفس البلد الذي هو فيه

تلاها مراراً ... وتحسس ورقها بأنامله ليشعر
نفسه أنه ليس في حلم

لم تكن الرسالة إلا من فتاة الليل ... فتاة
النافذة الجميلة . لم تذكر له فيها سوى أنه اعتدى
على والدها في تلك الليلة. ولو أنها أنبته على فعلته تلك
لما غضب ولطلب الصفح والغفران، ولكنها أكرت
فيه رجولته كما ذكرته بزيارته الليلية التي جاءت عفواً
فغرست بذور الحب في قلبها ، وقد ضربت له فيها
موعداً ...

كانت تميل إليه قبل أن يعرفها لأنه قد راق
لعيونها وكفى . ولكنها نفسها لا تدري لماذا مالت
إليه ! لأنه كان جميلاً ؟ كلا ... لأنه لم يبلغ
درجة تجعله يحلو بعيني رائيه ... لكنه كان
غريب الأطوار فلسفي النظرة ... يتمشق بعض
الفنون. وهي لا تنسى مدى الحياة ما تركت رسالته في
نفسها من عميق الأثر ، وقد كانت إلى صديق له
وسقطت من جيبه عفواً حين أخرج منديله إذ كانت
تسير خلفه ... لقد آثرت ألا تردّها إليه إذ تغلبت
عليها غريزة حب الاطلاع ففضتها ولا حاجة بنا لأن
نقول إنها تلتها أكثر من ثلاث مرات ولم تدر
لم أرسلت آهة عميقة حين انتهت من تلاوتها ففيمت

عليها سحابة هم طيلة ذلك النهار

قرأ مظفر الكتاب الذي دمجته براعة فتاته الليلية
فتراقصت كلماته أمام عينيه وراح يتأمل خطها
الضعيف الذي بدا جميلاً في ضعفه مثيراً في تعايره.
أما توقيعها الجميل الذي تواضع واحتل مكانه في مؤخرة
الرسالة ، فقد كان وحده أجل كل شيء . إذ بدا
إمضاؤها (فريدة) كثر فتاة همت بتقبيل وجنة
حبيبها . نظر إلى توقيعها بعيني فنان كسول وراح
يهتف في قلبه قائلاً :

— آه لقد ضربت لي موعداً وإنها لصدفة
فريدة في بابها ... ولكن هل أقابلها ؟ نعم ينبغي أن
أقابلها بل يجب عليّ ذلك . ولكن ربما كان هذا
شركاً نصبته لي تريد الانتقام لوالدها المصفوع

ولكن صاحبنا مظفر لم يعد يفكر فيما يترتب
على هذا اللقاء بل أخذ أهبطه للطواري وراح يتمهل
في خطوه بين جدران تلك الطريق المتداعية حين
تعالى صوت ناقوس الساعة الكبيرة في تلك المدينة
الهادئة بأنغامه الحزينة يدق العاشرة ليلاً ... الطريق
خلو من المارة . قلبه ينبض بشدة حتى حسبه وهو
يسمع دقانه بأذنيه أنه فاق صوت ناقوس الساعة

انقطع عن تفكيره حين أبصرها بعباءتها
السوداء وهي تقترب منه ، تلفت حوله فلم ير أحداً
فاتتحى بها ثم سبقها إلى رأس المنعطف الذي قدم
منه صاحبه السكير في تلك الليلة ، وذلك ليتسنى له
مراقبة الطريق خشية الرقباء ، أو لينجيه إن كان

ثمة فح قد نصب له إذ آنحذه نخط رجعة إن حل
الخطر . بادرت به بسؤالها الجذاب الذي يطلق للعاشق
حرية الإجابة قائلة :

— لم جئت ؟

ولم ينتظر مظفر بل أجاب على الفور :

— جئت لأحييك تحيتي الأولى والأخيرة، نعم
يجب أن تصنى إليّ ، أنا أحبك ولكني لا أريد أن
أراك ثانية لأنني لا أستحق منك العطف . أنا متقلب
وذو نزعات متباينة حتى في الحب . وصمت برهة
لينشق الهواء بأنفه الذي تقاطرت عليه قطرات
العرف ، وأردف قائلاً :

لعلك لا تعرفين شذوذي . آه كيف أستطيع
أن أئين لك ... أنا أميل إليك واسمحي لي أن أبحر
فأقول إنى سأكرهك ولربما سبقتني أنت إلى ذلك بعد
أن ينال منا الزمن من تشويه وتخریب . وهنا سمع
وقع أقدام تقترب فقال :

— أنا غريب حتى عن نفسي . فكري جيداً
تعرفى الحقيقة ... أستودعك الله . لم ينتظر أكثر
من هذا فتحرك مسرعاً ومرق بخفته المعروفة
في المنعطف وتوارى عن عينها ...

لم يستغرب صاحبنا مظفر خبر زواجها وذلك
بعد مضي ثلاثة أشهر من حادثته الغريبة . لقد أصبحت
من أحبها زوجة رجل لا يعرف عنه إلا أنه موفور
المال مسلوب الجمال . تاجر شغلت فكره المادة فراح
يحتال في طلبها بشتى الوسائل حتى أنه لم يتورع
حين عاكسته الظروف من أن يرسل زوجته لصيرفي

اشتهر بصلفه في سوق الكسب وبرفته في سوق الغرام ...

أرسلها لترقق قلبه وتستعطفه على زوجها المسكين الذي أوشك على الإفلاس والتدهور. ذهبت ترجوه أن يقرض زوجها بعض المال علاوة على دينه السابق الذي استحق دفعه ...

لقد مزقت الوثائق وأنقذ زوجها من الإفلاس ولكن بعد أن ارتفعت الأيدي مشيرة إلى فريدة : إنها سقطت ...

لم تعد تجسر المسكينة على الرجوع إلى بيت أبيها السكير المتحذلق بعد أن طلقها زوجها لكرامته المزعومة التي أوغرت له أن يضحي بشرف زوجته على مذبح مطامعه ... ولم لا وهو لا يشعر بالحب وأنى له أن يشعر به وقد شغل باله حب المال وعريض الجاه ...

إن زوجته لا تمت إليه بصلة قرابة فلا عار عليه إذن بعد الآن . لقد تخلى عنها وطلقها بعد أن لاكت فضيحتها الألسن . ويا لكثرة المتطوعين لحمل أخبار الفضائح يتلونها على السامعين لا يبتغون جزاء سوى كلمة إطراء من السامعين للباقيهم وسرعة التقاطهم لأخبار لا يعيرها العاقل أذناً صاغية ... لقد دبر الزوج خطة دفاعه ليظهر بمظهره بين الناس ولكن اللوم والعار كانا من نصيب فتاة الطريق (طريق الغرام)

هاهي ذي الضحية قد تسرבלت ظلام الليل ولاذت بالفرار من أوجه الساخرين والشامتين .. أما أبوها

فماذا يهمه من أمرها ما دام يحصل على زجاجة الخمر يملأ بها جوفه ، وتداعب أنامله تلك الأوراق المالية التي طالما سلبت نهى من تعشقها وأعمت عينه عن طريق الحق لينال ربحه غير المشروع ولتحترق الدنيا بأسرها بنار الكمد والحسرة ما دام هو منفذ القانون ...

لقد عرف كيف يستغل موقف ابنة زوجته ليبتز دنائير العار والفضيحة من الزوج المحتال وليتخيم بها جيبه ، مهدداً إياه بالسجن إذا امتنع . وكيف لا يستطيع وهو ... هو المهيّب لا لشخصيته بل لوظيفته ومنصبه .

انتقل مظفر إلى بغداد - حسب ما تقتضيه - وظيفته، وذلك بعد مرور ثلاثة أعوام ما نام في لياليها إلا وقد شغلت فكره تلك الحادثة ... حادثة طريق الغرام ...

لقد أراد أن يحدث شيئاً في حياته الراكدة المملة وود أن يجعل بها تغييراً ولو طفيفاً ، ولكن ها هو ذا التغير قد تسرب حتى إلى جسمه ، فنحل بدنه ، وارتسمت التجاعيد على جبينه ... آه ... من أفكاره المضطربة التي تصطبغ في جمجمته التي لو تحطمت لاستراح، إذ كم أوقعه لسانه في مأزق لا ينجو منها إلا بشق الأنفس ...

لقد طبع على الصراحة ، وتعود حرية العيش منفرداً ؛ فما رغب في شيء يستطيع الوصول إليه إلا ونفذه غير حاسب للنتائج حساباً . كم كان يميل إلى أفكاره الفلسفية التي تنعقد في سماء غيملته فتطير

لها نفسه شوقاً ، ولا يستطيع من حلمه الجميل
إلا لسانه قد أسرها إلى آذان أصدقائه الذين يلتفون
حوله ، وقد ألقوا شذوذهم ، وأنسوا به واستعذبوا
أحاديثه ...

لم جئت ... لم جئت ...

لقد نعتت عليه عيشه هذه الكلمة التي تردت
على لسان فتاته . وطالما اعترته رعشة ألم عميق حين
يتذكر جوابه لها . . . لقد أفرط في الجواب ووقع
المحذور حيث لا تفيد الذكري ، وليس باستطاعته
أن يتلافى زلة لسانه الذي عبر عن أفكاره المشوشة
ونزعتة الطبيعية في الحياة ...

لقد انتقل إلى بيته الجديد في بغداد ، وراح
يقطع الشارع في السيارة كل يوم قاصداً مقر وظيفته
من البتاوين حتى باب المعظم

لقد كان يتأفف من الازدحام واللغط الشديد
الذي ضج به شارع بغداد الضيق ، فلا يرتاح إلا حين
يحتويه بيته الصغير الذي شيد على الطراز الحديث .
كان يأوي إلى شرفة غرفته المطلة على نهر دجلة
فيلقي بنفسه بين أحضان كرسيه ويستسلم إلى أفكاره
أو يتلهى بالنظر إلى وجوه المارين يتأملهم أو يجري
بعض الإحصائيات التي كانت نتائجها غريبة
مضحكة ... لقد أحصى المشوهين كما أحصى الجمال
بل حتى عدد السيارات التي كانت تمر أمامه ،
إذ كانت هذه تسليته الوحيدة في أوقات فراغه ...

وكثيراً ما كان يرى الكتاب في يسراه
وسيكارته في يمناء المرتخية على ذراع الكرسي . ومع
أن مظفراً كان كثير الجلوس في شرفته إلا أنه
لم يلتفت إلى جارته الفتاة التي كانت تراقبه من شرفها

أيضاً ، إذ لم يشأ أن يورطها ويورط نفسه في الحب
الذي يخشاه وإن كان يحلم به !
لقد كانت تكفيه بضعة دقائق يقضيها بين أحضان
خليته التي تمسقته ومال إليها ...

لقد كانت جارته تعجب لرزائمه وصمته ، وكم كانت
تسائل نفسها عن هذا الشخص الذي يبدو غامضاً
لعينها ! وكم كانت تنصت إلى أنغام كمانه الساحرة
التي كان يداعبها غالب الليالي فتبعث في نفسها
الشجون والآلام .. لقد كانت تشعر بأن نفسه كانت
تسيل مع أنغامها فتبعث طائفة بأحزانه الوجدانية
التي كان يحبسها . .

لقد فرضت جارته على نفسها الرقابة ، وقد كانت
جميلة التقاطيع رياضية الجسم فتاة المنظر كما اعترف لها
صديقاتها بذلك وهن مرغمت . . إذ كن يحسدنها
لجمالها . قلنا لقد فرضت على نفسها مراقبته فنجحت
في ذلك كل النجاح ، إذ ما كادت تترك مدرستها
الثانوية وترى بكتبها على النضد وكان ذلك يوم
الخميس حتى أسرع إلى شرفها وأطلت إلى حيث
يجلس جارتها الصامت ، ولكنها استغربت عدم جلوسه
في هذا اليوم كما اعتاد لأنه كما يبدو لا يترك بيته ، ولكنها
عجبت لأمرها إذ كيف تهتم بشخص لا تعرفه إلى
هذه الدرجة ، ولكنها استغربت كثيراً قدوم فتاة يبدو
عليها أنها من الساقطات قد وقفت بباب بيته
وضغطت على زر الجرس الكهربائي المثبت في الباب
بأناملها الدقيقة . إن سحنها جميلة وقد بدت عليها
علام المرض ، بدت في عينيها الذابلتين وقدها النحيل
واصفراؤها الباهت كزهرة أوشكت على الذبول
لقد كانت تكسب عطف الناظر إليها قبل إعجابها

بجملها . ولم تمض برهة حتى ولجت الباب الذى فتح لها وانسلت إلى الداخل دون أن تلتفت إلى ما حولها لم تنبته فتاة الشرفة من ذهولها إلا حين نادتها أمها لتناول طعام العشاء إذ قد غربت الشمس ولم تشعر لأنها أصبحت فريسة آلام نفسانية لا تدرى كنهها فقامت متثاقلة إلى المائدة ولم تر والدها لأنه اعتاد أن يأتى فى منتصف الليل وذلك فى ليالى الجمعة . لم تشته نفسها الطعام فعافته ، وكم سألتها أمها مراراً عن سبب سكونها وتفكيرها ولم تجبها ولكنها الآن راحت تجيب على سؤال أمها الذى طالما سمعته وأجابت عليه بلا شيء — وقد أصبح الآن شيئاً — قائلة :

— إن جارنا يا أمى يجالس الآن فتاة ساقطة فى بيته

— ومن أدراك ؟ لعلها إحدى قريباته

فاندفعت الفتاة مجيبة :

— كلا. كلا ، إذ لم يزره طيلة هذه المدة أحد ما ؛ فهو يعيش وحيداً ، كما أنى شاهدت هذه الفتاة التى تبدو أنها غير شريفة كما هو شأن بنات الشوارع — وماذا يهمنا يا ابنتى ما دام لم يتعرض لأحد منا بسوء ؟ إنه لا يبدو من الشبان المتهتكين الذين يغازلون جاراتهم وينظرون إليهن من السطوح ومن خلال النوافذ . إنه ساكن هادئ الطبع لم يزعج أحداً فى هذا الحى كما أنه فنى أعزب ، وما ينتظر من هؤلاء الفتيان الأعزب سوى هذه الأمور ... دعى أمره جانباً ولا تفكرى فى مثل هذه الأشياء إذ لوسم والدك هذا لأنبك على تدخلك فى شأنه ، وتشيرين سخطه على جارنا فتشرب بذلك قلاقل لا أرتاح لها لم تجب سميرة أمها إذ كانت تخشى والدها الذى

نشأ نشأة عسكرية ، وهو زعيم فى الجيش ولا يميل إلا لكل شيء عسكرى حتى فى شؤون داخل بيته لقد شغلت تلك الزائرة بالها . ولم تكن هذه غير فتاة طريق الغرام (فريدة) التى انحطت إلى هذه الدرجة من الذل فراحت تباع جسدها بدراهم تسد بها حاجتها

كم كانت مهنتها شاقة عليها إذ كانت تخشى أن يظفر بها أحد أقاربها فيكون نصيبها منه القتل قبل أن يتمكن داء السل الذى استفحل بها من إردائها . نعم هى ذى فريدة خليلته التى صارت تعرف الآن بـ (رافدة)

لقد عرفت صاحبها (مظفر) لأول نظرة ولكنه لم يعرفها . وأنى له أن يتذكر وجهها ولم يشاهده غير مرة واحدة فى تلك الليلة ... ليلة أن شعرت بنفسها تدنو من السعادة ولكن خاب فألها . وهما هى ذى تحيا حياة بؤس وشقاء

لقد ألفت بنفسها بين أحضانه حين صادفته مرة فى إحدى بيوت الدعارة السرية وراحت تغريه بتملقها الذى استحال حبا عنيفاً طنى على فؤادها بعد ذلك لقد أحبته سابقاً حين كانت فتاة طاهرة الذيل نقية السريرة إذ كانت كثيراً ما تلتقى به فى الطريق فتعجب به لما يبدو عليه من ظرف وطلاقة محيا ... وكم كانت تناجيه فى أحلامها وهو لا يدرى من أمرها شيئاً حتى كانت تلك الصدفة العجيبة التى ما كانت تأملها ولم تخطر لها على بال . كانت تود الخلاص من زوج أمها الملقب (بابى السمك) إذ كان قاسياً فى معاملته لها ولم يشفق عليها لأنها ابنة غيره وقد تزوج من أمها طمعاً فى مركز عائلتها ، ومالها (٦)

— أرى سعالك يشتد يوماً فيوماً وأن صحتك في انحطاط . ألم تعرضي نفسك للطبيب كما أشرت عليك منذ أيام ؟

— وماذا يفيدني . . . بالله قل لي من هي هذه التي سلبت فؤادك فغلقت أبواب حبك دوني ؟
— مالك ولهذا ؟ أنت مريضة ، وإنني لأخشى عليك فيجب أن أعرضك على الطبيب . ولكنها لم تجب شأن من لا يكثر بل ألحقت عليه بالسؤال قائلة :

أراك تتجنب الحديث عنها وتشعر بحزن عميق من أجلها فهل تزوجت من غيرك ؟
— حبذا لو سمعت بزواجها إذ كان قصيراً لأجل — إذن لقد ماتت ؟
— أتمنى لها ذلك ...
— ولماذا ؟ كيف تحبها وتتمنى لها الموت ؟ شيء غريب لم أسمع به في حياتي . وهنا عاودتها نوبة سعالها فاحتقن وجهها وجحظت عيناها الذابلتان وانفرج ثغرها الصغير وقد رفعت إليه منديلها ومسحتة ، وبعد أن هدأت سألها :

— لم ترفضين طلبي ؟ إذا كنت لا تستطيعين الخروج معي فسأتي إليك بالطبيب هنا ، ولكنه صمت أخيراً وظهرت على وجهه علامة الاشتمزاز فقال :
— يسوؤني أن يراك الطبيب في مثل هذا المحل فعديني أن تأتي معي إلى البيت ليتسنى لي ذلك وإلا فإنني سأتركك مرغماً لأنك خالفت طلبي ، وهذا لخيرك ...

فأجابت وقد اغرورت عيناها بالدموع — نعم يا مظفر لقد أجبتك ولا يسعني إلا الامتثال ... لا أريد أن أموت ... لا أريد أن

إذ يستطيع بهما أن يبلغ ما تصبو إليه نفسه .
لقد ودت أن تعرف رأي صاحبها القديم فيها ، فسألته يوماً :

— أتعجبني ؟
— كلا يا عزيزتي . أنا أشفق عليك وأميل إليك لأنك مسكينة .

— إذن أنت قد أحببت غيري من صويحباتي يا خداع (قالتها بدلال) فأجابها متأثراً :

— كلا يا مخلوقتي التعسة أنا لا أميل إلى سواك ولو كنت كذلك فإنني أخشى من أن أصرحك برأيي لأنني صريح كما علمت
فنظرت إلى وجهه بعد أن سعلت سعالاً خفيفة جافة طالما أقضت عليها مضجعها وأهاجت وساوسها قائلة :

— يالك من إنسان غريب الأطوار . ألم تشعر بالحب ؟
وما أتمت كلامها حتى اعتراه شيء من الدهول وقال بصوت منخفض :

— نعم لقد شعرت به منذ سنين خلت لم أذق خلالها طمأنينة لراحة النفس وهدوء الفؤاد ... لقد كانت لحظة سعيدة اختلستها في غفلة من الدهر وهانذا أحاسب عليها حساباً عسيراً . لقد أفقدتني الأيام بشاشتي وأخذت تستلب عمري الذي أتنازل عنه فأهبه للدهر ساعات وأياماً وأنا صاغر ذليل ، ولكن هيهات أن تسلبني الأيام ذكريات تلك اللحظة السعيدة التي دفنتها في فؤادي . وانقطع عن حديثه إذ رأى صاحبة وهي تسعل بشدة لم يعهد لها فيها منذ عرفها

فقال وقد بدت علامة الإشفاق في نظراته :

أموت وأنا في أيام شبابي وإن كانت محفوفة بالشقاء
ذلك لأنني أريد أن أراك دائماً .. أريدك إلى جاني
إذ لم يعد شيء يحول بيني وبينك في الوجود ...
إيه يا عزيزي ولكنك لم تذكر لي عنها شيئاً
— وكيف أذكر لك وأنا لم أرها إلا دقائق
معدودات ...

— كلامك يعني أنك أحببتها سرّاً من حيث
لا تدري هي بما تحمله لها

— كلا . لا تتبرى شجوني (وهنا أخرج علبة
سكّاره ولكنه أرجعها إلى جيبه إذ تذكر أن الدخان يثير
سعالها . فطلبت منه أن يدخن فأبى ذلك محتجاً بأنه قد نسي
ما قرره بأن يقل من تدخينه وها هو ذا قد تذكر فأعاد
العلبة إلى موضعها)

ولكنها استحلقتة بحق التي أحبها أن يدخن
فقال ::

— يظهر لي أنك كثيرة الاهتمام بأمرى

— ولم لا يا حبيبي الفيلسوف ؟ إنك ما زلت
تجذبني بحركاتك ونبرات صوتك بل وبكلامك
المبهم الذي يدل على معان كثيرة . فهل كانت حبيبتك
ممن يعشقن الخيال ؟ وإن كانت كذلك فلا بد أن
تتلو على إحدى رسائلها الغريبة ؟

— إنها لم تكتب لي يا صديقتي المسكينة سوى رسالة
واحدة ، وكانت مختصرة ومقتضبة ، ولم نلتق إلا بضع
دقائق ، حيث تركتها فريسة الشك في حبي لها لأنك
كما تعلمين ...

فأجابت على الفور :

— من عشاق الفلسفة الفارغة ، وأردفت جملتها
بضحكة عصبية وقالت له :

— سأزورك في بيتك كما طلبت مني ... وفضلت
أن تهرب من أمامه الآن ، لأنها أصبحت في حالة

من القلق والاضطراب لم ينلها أشد البائسين .
وخرج من الغرفة ولم ينس أن يذكر لها عنوانه ،
ويحدد لها ساعة الزيارة . ولم تخل الغرفة منه حتى
استحالت أشجانها دموعاً تسيل على خديها الذابلين
بصمت وسكون لا يعكره إلا سعالها الخافت بين
آونة وأخرى ...

ترى ماذا يعمل لو علم أنها فتاته القديمة التي
تمسقها ... أيمحقها وينبذها ؟ أم سيعطف عليها
لبلواها ...

راحت المسكينة فريسة ذكرياتها المشجية وهي
بين عامل الضحك والدمع السخين . لقد أصبحت
شبه مجنونة لما طرأ عليها ...

إنها كالشمعة المتقدة تحرق نفسها لتضيء لغيرها
وسيجين وقت نفاذها فيسود الظلام ؛ ولم يعد أحد
يذكرها بل سيطلبون غيرها لتفيض عليهم بنور
لذائدها ...

أهذه هي المروءة ؟ ... أهذا هو الإنصاف ؟ ...
تبيع جسدها لتعيش بدراهمها التي كسبتها من
لحمها ودمها ... رحماك يا رب العالمين ... ارحم فتاة
شقية مثلي ... أنت أدري بحالي ... خذ بناصر مخلوقة
ضعيفة ساقها ظروفها إلى الفحشاء إنك أرحم
الراحمين ... حبذا لو سلبت عقول عبادك الذين يفخرون
بعقلياتهم على الحيوانات ولكنهم أشد ضرراً من
الميكروبات الضارة وآلم لسعاً من العقارب ...

أينذل الغنى باله الذي ابتزه من دماء المساكين
والفقراء ليشتري به جسد فتاة تردت في حمأة الرذيلة
دون أن يفكر في إنقاذها ... يا لهم من قساة ظلمة !
أهذه هي المدنية التي يدعونها فيسجلها التاريخ
صفحات تقرأها الأجيال القادمة ولكنها لا تفكر

على أى أسس من الخزى والمار قد شيدت أركان صروحها ...

لقد تسمت أفكارها لما لقيته من صنوف العذاب والهوان ... فصارت تحنق على البشر بعد أن هدتها فكرتها إلى هذه النتيجة

ومع هذا لم تنس موعدها مع مظفر فراحت واقفة على عتبة داره حين رأتها سميرة من شرفها ...

لقد زارته مصممة أن تعترف له بحقيقتها لتخفف عن آلامها بإفشاء سرها له الذى أثقل قلبها المحطم. ولجت المر إلى الداخل ، ودخلت غرفة الاستقبال فوجدتها عارية من مظاهر الترف : أثاثها بسيط ولا تحوى شيئاً يستحق الذكر إلا كناناً قد وضعت في زاوية الغرفة على مائدة قديمة تبدو كثيبة في تابوتها أشارت إليها قائلة :

— نعم يا مظفر كلانا كالكان، سيحتويننا لحدنا حيث السكون والصمت ... عهدى بك تجيد العزف عليها ، هلا عزفت لى لحناً من ألحانك الخافتة المؤلة ... فأجابها :

— لم يحن وقت العزف بعد ... سأتى لك بالطبيب وأرجو ألا تنزعجى إذا تركتك وحدك بعض الوقت .. فمذرة، يجب أن أسرع

لبس سترة مسرعاً ولكنه نسي أن يضع على رأسه سدارته ليخفى بها شعره الفاحم الذى احتلته جيوش الشيب ، وهو لما يزل فى سن الشباب

لقد كان الدكتور (ن ...) على مقربة من بيته فقصده لشهرته التى لا كتبها الألسن فقابله وهو على عتبة داره قاصداً الخروج فرجاه أن يعود فتاته المريضة ولكن الطبيب اعتذر له بأنه على موعد مع أحد الأصدقاء، فقال له مظفر :

لعل صديقك لا يضجر من إخلافك موعده

إذا علم بالأمر ، إذ سيضجى ببعض الوقت ، وإن لم يبدو لى أنه ثمين لدرجة تجعلك تضجى بمريض من أجله ...

— قلت لك لا أستطيع ... ولكنه وافق بعد أن عرض عليه أجراً كبيراً فاكترى عربة سارت بهما إلى البيت ...

دخل الطبيب وأدار بصره فى الغرفة ، ولكنه لم ير شيئاً يدل على بذخ صاحبه وغناه . استقر نظره على الفتاة التى بدت شاحبة تحت ضوء المصباح الكهربائي الذى كان ينير فى زاوية الغرفة . فسأل بلهجة جافة قائلاً :

— أهذا هو مريضك ؟

بـ نعم يا سيدى الدكتور

ولم يسمع الطبيب أكثر من ذلك ففحص الفتاة فحصاً دقيقاً ، وراح يسألها كثيراً وهى لا تجيب إلا بكلمة نعم ولا ، حسبما يتطلبه السؤال ، وأخيراً قالت

— لقد فات الأوان يا سيدى الطبيب . هيات أن أشفى . نعم يا حضرة الدكتور إني لشاعرة بنهايتى ولكن هل فكرتم بالبائسات المظلومات أمثالى ؟ وهل أوجدتم دواء لأمراض النفوس . وهنا انفجرت باكياً فلم يتمالك الطبيب من أن يمسح دموعه المنحدرة على خده وهمس فى أذن مظفر قائلاً :

— لا رجاء فى شفائها إذ أنها فريسة آلام صدرية تأكل رئتيها وآلام قلبية تحرقها . ولم ينتظر أكثر من ذلك فاستأذن فى الخروج ورفض الأجر الذى قدم إليه . وكأنه أحس بما يعانى صاحبه من الآلام فرفض أن يمد يده قائلاً :

— إن الكريم ليغلبه طبعه حتى فى ساعة الاحتضار ... أرجو يا سيدى ألا تحمل رفضى على غير محمله . أنا لا أقصد الخط من قدرك إذ لا أستطيع

في بطاقة وسار وهو يفكر بها حالاً بشريكة حياته
التي عثر عليها ...

لم يستطع مظفر أن يجبرها على المكث معه
لأنها أبت أن تقضى ليلتها في بيته فتسلبه راحته ،
قالت له بعد أن فكرت طويلاً ...

— إسمعى يا حبيبي ... سأتلاشى كما تلاشت
أنعام هذه المكان ، ولكن الذكريات هي التي تبقى
لنا كسلوى تشغل الفكر ...

أريد أن أعترف لك قبل موتى ... أريد أن
أبوح لك بسرى الذى طالما حرصت على كتمانها ...
ولكن هل ستحتقرنى ؟ أوأه إني لا أطيق ذلك ...
قل إنك تحبني ، عدنى بذلك ليرتاح قلبي المعبذب ...
سيمحل الفراق الأبدى إذ لا بد منه ولا بد أن أسمع
منك كلمة حب ... بل إشفاق ... بل رثاء

— دعى عنك هذا الهذر ... هل رأيت منى
ما يسوؤك ؟

— لا يا حبيبي القديم ... منذ كنت في مدينة
(د...) وأنا لم أتجاوز السادسة عشرة حيث
صادفنى من كان شريك فؤادى في محلة (...)
ورمقنى بعينه الثاقبة وأنا في نافذتى حيث تحطمت
آمالى في اليوم الثانى

ولم يفعل مظفر إلا أن قفز إليها واحتبس عليه
كلامه إذ عصاه لسانه وراح ينظر إليها نظرة شبيهة
بنظرة المجانين ، وأخيراً قال :

— أأنت فريدة ..؟ آه يا أملى الضائع لم لم تقولى
ذلك من قبل ؟ واحتواها بين ذراعيه الصلبتين لا يدرى
كيف يحتفظ بها لنفسه ولكنه انفجر باكياً حين
عاودتها نوبة سعالها بشدة وقد تدفق الدم من فمها
وأنفها ...

أن أمد يدي إلى أجر لم أقم تجاهه بعمل مرضى
ولم يستطع أن يتكلم إذ خنقته العبرات وفهم
كل منهما صاحبه بلغة العيون فخرج الطبيب وهو
غريق في فيض من الشعور غريب

عادت سميرة إلى شرفتها بعد أن عافت نفسها
المساء ؛ فرأت الطبيب وهو يخرج وعرفت مهنته
من الحقيبة التي في يده ، ومن الساعة التي بدت من
جيب معطفه فأحست بفضول غريب يدفعها لأن
تسأل الدكتور سؤالاً ترد في ذهنها فأسرعت بالخروج
وقد لحقت به على مسافة غير بعيدة واستوقفتها وهي
لاهثة الأنفاس قائلة :

— يا سيدى الطبيب ... مساء الخير ... أرجو
المعذرة لإزعاجى إياك .

نظر الطبيب إليها مستغرباً وقال :
— تفضلى . ولم يتمالك أن ينظر إليها نظرة
معجب بجمالها .

— من كان مريضك في هذا البيت ؟
— ولماذا ؟

— يهمنى أن أعرف من هو
— إنه فتاة ... نعم فتاة مسكينة قد قربت
نهايتها ...

— شكرآ يا سيدى الطبيب
— أستطيع أن أؤدى لك خدمة ... يلوح لى
أنك كثيرة الاهتمام بالمرضى ؟

— هو ما تقول يا سيدى الطبيب . لشد ما يربحنى
أن أستطيع أن أرفه عن بعض آلام المرضى
— أرجو العفو ، هل أنت جارتهم ؟

— نعم ...
— أرجو أن تخبرينى إذا كان أحدهما بحاجة
إلى عسانى أؤدى لها بعض الخدمة . وترك لها عنوانه

ألقي نفسه عاجزاً عن أن يرد عنها غائلة الموت ...
— يا إلهي ماذا أصنع ؟ فريدة ... فريدة ...
أهكذا يكون مصيرك ؟ .

راح يستنجد بكل شيء يقع عليه نظره كالجائنين .
ها هي ذى تموت أمام عينيه وتذوى زهرتها في
ربيع حياتها ...

رمقته بنظرة توصل من زاوية عينيها وتكلمت
فكان صوتها ضعيفاً فأبغى عليها يسمعها . سأله :
— أتجنبي ؟ أتشفق على مومس مثلي ؟

فنظر إليها والدمع يترقرق في مآقيه ، وكان
هذا هو جوابه الوحيد . فضغطت على يده بأناملها
الضعيفة واستطردت قائلة :

— إدع الله أن يغفر لي ما اقترفته من الذنوب
إذ غررت بشباب كثيرين ودفعتهم إلى الدرك الأسفل
من الرذيلة والفسق ، ولم يكن بوسعي أن أفعل غير
غير هذا ... أنت تعلم ... لقد عرفت حالي ...
سأموت مرآحة

نظرت إليه نظرتها الأخيرة وارتعشت شفتاها
وأسلت الروح

عثر الدكتور (ن ...) وهو يتصفح كتاباً قديماً
في مكتبة زوجته (سميرة) وذلك بعد ست سنوات
— على رسالة تلاها مراراً وعرف ما أشفق أن يفتح
به زوجته كما كانت هي أيضاً كذلك ، وهو :

إلى جارتى العزيزة :

أرجو الصفح عن شخص تعدى حدود الأدب
في كتابته إليك دون سابق معرفة ... أي جارتى
العزيزة لم يعد بوسعي إلا أن أكشفك بحقيقة أمرى

لقد كنت تحصين على حركاتي وسكناتي ، وإني
لأحمل لك أطيب الذكرى في قلب حطمة الآلام
لاهتمامك بي .

لقد خشيت عليك منى وأنت حديثة عهد
بالحب . ولا أكتفك إعجابي بجمالك ؛ فوددت
لك زوجاً صالحاً يرعاك ويشعرك بالسعادة وتمنحني
عطفك الذي ينسيه متاعبه فتتمتعان بنعيم الحياة !
لقد أبصرت نتيجة الحياة في بيتي ... ولا أنسى
دمعتك التي جادت بها مقلتك ، إذ كانت بلسماً
لجراح بأثس مثلي ...

إبتعدى جهدك عن التفكير في الحياة والإاجلت
إلى نفسك الأحران ... خذى الأمور على علاقتها
ولا تسألى عن أسبابها ؛ إذ لا تساوى الحياة دمة
تذرفينها أو آهة تلفظينها !
ربما لا أراك بعد ... وإن كان يعز على أن أفارق
شرفة بيتي !

سأرحل وقلبي يحمل لك أخلص الود وأطيب
التمنيات . ولى أمنية أرجو أن تحققها إن كنت
ترغبين ...

أرجو أن تزورى قبر رفيقتى التي عاشت بائسة
شقية !

جارك : مظفر

وما أتم الرسالة حتى رأى زوجته لدى الباب ،
ونظر كل لصاحبه نظرة تنطوى على الإشفاق . فقام
واقفها إلى الشرفة ، ونظرا إلى شقة جارها التي
استأجرها شيخ عجوز . نظرت إلى شرفته وأشارت
قائلة لزوجها :

— لقد كان يجلس هنا .

ولم تمالك نفسها فوضعت رأسها على كتف زوجها باكية !
 لم ينهما إلا طفلهما الذي جاء منادياً أباه قائلاً:
 — بابا... بابا... بكرة عيد... اسمع ها هو المدفع... هي هي... وصفق يديه الصغيرتين طرباً
 أما أبوه فقد قال لزوجته :
 — غداً سنزور قبرها... وسنوزع الصدقات لأجلها... لقد كانت تحرق قلب من ينظر إليها
 ياسميرة... ولست بناس ذلك اليوم ما حيت...
 « كربلاء » السيد قاسم السيد محمد

مكتبة العلامات محمد

ارتدى ياسيدي عري مصر الطبيعي

فتحقق عنك صرا الصيف
 وتساوى في بناء آسقلال
 مصر الانقصادى



اللوزى بك
 سابقاً

شركة مصر للشح المحرر

الطبيب مرار مصر من شركة تصنيع المصنوعات المصرية ومن جميع المحلات الأخرى

العزيزة

للكاتبة الروسية أنطون تشيكوف
بقلم الأستاذ جنى محمود جمعة

لا يتذوقون الفن الصحيح
بل يودون مهرجاً ويرغبون
متعة رخيصة . ثم هذا الطقس
الملعون أيضاً . إنها لا تمطر
إلا مساءً وقد بدأت هذه الحال
في العاشر من مايو وظلت هكذا
في مايو ويونيو . هذا نحيف في
الوقت الذي لا يقبل فيه الجمهور
على مسرحي . مطلوب مني

أن أدفع الإيجار ومرتبات الممثلين
ونجمت السحب في مساء اليوم التالي فقال
كوكين وهو يضحك ضحكة عصبية : « فلتمطري
أيها السماء ، فيضى على الحديقة ، أغرقيني . تباً لهذا
الحظ العاثر في الدنيا والآخرة . فليشتقني المثلون
وليذهبوا بي إلى السجن أو إلى سيبيريا أو إلى ساحة
الإعدام . ها . ها . ها »

ثم كان اليوم التالي والحال لا يتبدل
كانت أولنكا تصنى إلى كوكين في صمت حزين
بل كانت تتبادر الدموع إلى مآقيها . وقد لست هذه
المتاعب وترآ حساساً في نفسها مما جعلها تغرم به
لقد كان رجلاً نحيلاً ضئيلاً ذا وجه أصفر تهفو
على جبهته خصلات من الشعر ، وإذا تحدث ففي صوت
موسيقى رفيع فيتحرك فيه من جهة جانبية واحدة .
وكانت تلوح على محياه دائماً علامات اليأس إلا أنه
برغم هذا أثر في نفسها تأثيراً يئناً
إنها كانت ترغب دائماً أن تحب إنساناً ما
ولا يمكنها أن تحبها بغير الحب
في صغرها أحببت أباًها الذي يجلس الآن في غرفة
مظلمة يتنفس في عسر

ثم أحببت خالتها التي كانت تزورهم العام بعد

كانت تجلس أولنكا ابنة بليميانيكوف الموظف
الحال على المعاش في حديقة منزلها وهي غارقة في التفكير
كان الجو حاراً والذباب مزججاً ولكن كان يريح
الإنسان أنه يشعر بقرب حلول المساء ؛ وراحت تتجمع
في المشرق سحب محملة بالأمطار جعلت الهواء كثيفاً
مملوءاً بالرطوبة . وهناك وقف في وسط الحديقة ذلك
الفتى « كوكين » مدير المسرح الطلق الهواء الذي
يسمونه التيفولي

وهو يقيم في المنزل نفسه . وقال يائساً وهو يتأمل
صفحة الكون : « ستمطر السماء ثانية . المطر كل
يوم . إن الطبيعة تريد دماري . سوف أشنق نفسي .
إنه الهلاك . خسائر فادحة كل يوم »

ثم لوح بيده ومضى يوجه حديثه إلى أولنكا :
« إليك الحياة التي نحياها يا أولنكا بليميانيكوف
أليست هذه الحالة كافية لأن نجعلنا نجار بالشكوى ؟
إن إنساناً يعمل كل ما تسعه الطاقة ويجهد نفسه
غاية الجهد ويقضى الليل ساهد الطرف وهو يكد ذهنه
باحثاً عن خير الوسائل للإيقان ثم ماذا يكون جزاءه ؟
أول ما نصطدم به جمهور جاهل غبي . إني أقدم
لهم أحسن الروايات وممثلين من الدرجة الأولى
ولكن أتخسبون أن هذا هو ما يطلبونه ؟ إنهم

العام . ولما كانت في المدرسة أحببت معلمة اللغة الفرنسية . هي فتاة طريفة رقيقة القلب سريعة التأثر ذات عينين وديعتين وصحة جيدة ، وكان المتحدث إليها يقول في نفسه حينما يلح منها خدين فيهما حمرة وردية فائقة ورقبة بيضاء ناصعة وابتسامة بريئة ساذجة: (لا بأس بها) بينما كانت النساء إذا ما جلسن إليها يبادلنها الأحاديث لا تملك الواحدة منهن نفسها من القبض على يدها في منتصف الحديث ، وتقول في غبطة لطيفة: (أيتها العزيزة). لقد كان المنزل الذي تقطنه والذي تمتلكه بطريق الوصية عن والدها يقع في أقصى المدينة بالقرب من مسرح التيفولي فكانت تستمع في الأمسيات والليالي أنغام الفرقة الموسيقية وأزيز الألعاب النارية فتقول في نفسها إن هذه الأصوات إنما هي صوت كوكين في عرا كه مع القدر أو سخطه على ذلك العدو الآله ، ألا وهو جمهور النظارة الجاهل . إنها كانت تحس برعشة مريحة تعتلج في صدرها. وضعفت رغبتها في النوم . وكانت تظل ساهرة تنتظر عودته إلى المنزل في الصباح المبكر فتطرق نافذة غرفتها طرقات رقيقة ولا يبدو منها من وراء الزجاج غير رأسها وجزء من كتفها فتحببها بابتسامة عذبة . عرض عليها الزواج فقبلت . وحينما أصبح من حقه أن يشاهدها عن كثب ورأى منها رقبة عاجية وكتفين جميلتين أحاطها بذراعيه وهو يقول : (أيتها العزيزة)

لقد كان سعيداً ؛ إلا أن السماء ظلت تمطر نهراً وليلاً يوم الزفاف فجعلته حزين النفس تلو صفحة وجهه علامات اليأس

عاشا معاً سعيدين ، واعتادت أن تجلس في مكتبه لتدير شئون المسرح: تدون الحساب وتدفع

الأجور ، وكان خذاها المتوردان وابتساماتها المضيئة العذبة الساذجة تترامى خلف نافذتي المكتب أو في مشرب المسرح ، أو وراء الكواليس ، وكانت إذا تحدثت إلى صاحباتها تقول إن المسرح أهم شيء في الحياة؛ وإن الرواية الدرام وحدها هي سبيل المسرة والتثقيف إذ تتجمع فيها معاني الإنسانية .

ثم تستدرك في حديثها وتقول : ولكن هل تظنين أن الجمهور يعقل هذا ؟ إنهم لا يريدون إلا التهرب . لقد عرضنا أمس قصة (فاوست) فكانت جميع المقاصير خالية ، فلو أن كوكين وأنا قدمنا للجمهور بضاعة رخيصة فإني أؤكد لك أن المسرح يمتلئ على سعته . غداً سيقدم كوكين وأنا رواية (أورفياس في الجحيم) فترجو تشريفك

وكان كلما قال كوكين شيئاً عن المسرح وعن الممثلين رددته أولينكا وأعادته؛ فهي تحقد على الجماهير لأنه يحقد على الجماهير، وهي تحقرهم لجهلهم وعدم فهمهم للفن لأنه يحقرهم لجهلهم وعدم فهمهم للفن . وكانت تشترك في البروفات وتصلح للممثلين أخطاءهم وتراقب الموسيقيين، وتنطلق إلى مكتب الجريدة المحلية وهي تبكي لأنها اطلعت على نقد قاس فيها موجه إلى مسرحها فتقابل المحرر وتصيح له الوقائع

كان الممثلون يحبونها وأطلقوا عليها (كوكين دانا) أو (العزيزة) وكانت تحزن لحزنهم وتقترضهم مبالغ صغيرة. وطالما خدعوها. إلا أنها لم تكن تذرف غير دموع قليلة فيما بينها وبين نفسها في خفية من زوجها

ومضى الشتاء على ما يرام ثم استأجروا مسرحاً في المدينة إلا أنهم آجروه لفرقة روسية صغيرة. ومضت الأيام فاكتنرت أولينكا لحماً وكانت تخطر سعيده

إن عزيزتك أولنكا الكسيرة الفؤاد أصبحت وحيدة الآن بدونك

لقد كانت الجنازة في يوم الثلاثاء في موسكو وعادت أولنكا إلى المنزل يوم الأربعاء. وما إن بلغت غرفتها حتى ألقت بنفسها على فراشها ومضت تنتحب في صوت مرتفع بلغ رنينه أسماع الجيران فقالوا: مسكينة هذه العزيزة أولنكا! ماذا يكون مصيرها؟

وانقضت ثلاثة شهور فلاقت أولنكا وهي عائدة من الكنيسة حزينة كثيفة جاراً لها يدعى فاسيلي أندوبتش بستوفالوف كان يعود هو أيضاً من الكنيسة، فسار بجانبها، وهو مديرحل بابا كيت تاجر الخشب. كان يضع على رأسه قبعة من الخوص ويرتدى بدلة بيضاء، وتحيط بمعصمه ساعة ذهبية فكان أشبه بسيد محترم منه برجل تاجر. قال لها في عطف ظاهر:

إن كل شيء يا أولنكا سيميانوفنا يسير إلى أجل محتوم، وإن كل عزيز من أعزائنا لا يخطفه الموت إلا بإرادة من الله فيجب أن نستعين بالصبر ونحتمل في خضوع

وبعد أن أوصل أولنكا إلى باب حديقتها ودعها ومضى

كانت تستمع إلى نغمة صوته الجليل كل يوم. وكانت كلما أرخت أجفانها وترأت لها لحيته السوداء أعجبت به الإعجاب كله كما إنها أثرت في نفسه. وما هي إلا أيام قليلة حتى زارتها سيدة عجوز لا تعرفها إلا معرفة بسيطة

جلست العجوز وشربت القهوة ثم تحدثت عن فاسيلي وقالت عنه إنه أحسن رجل يمكن

راضية، وأما كوكين فقد زاد نحافة واصفراراً، وكان دائم الشكوى للخسائر الفادحة ولو أنه لم يكن سيء الحظ في الشتاء

وكانت تناوله قدحاً من الشاي إذا أصابه السعال أثناء الليل أو تدلكه بماء الكولونيا وتلفه في أغطية من الصوف ثم تقول له في إخلاص عميق وهي تمبث بشعره: (ما أعزك عندي). ورحل يوماً إلى موسكو ليجمع فرقة جديدة فلم يطرق النوم أجفانها لأنه بعيد عنها. وكانت تجلس طيلة الليل قبالة نافذتها تحصى النجوم فكانت شبيهة بالدجاج التي تستيقظ بالليل وهي تصيح في قلق واضطراب لأن الديك لم يكن في عشته

بقى كوكين في موسكو مرغماً فأرسل إليها يقول إنه سيمود في عيد الفصح، ثم أشار عليها ببعض تعليمات خاصة بالتيفولي

ولكن في ساعة متأخرة من مساء يوم الأحد السابق للعيد بلغ سمعها طرق عنيف على الباب كأنما أحد يطرق برميلاً. فذهبت الخادم في عيون ناعسة وقدم عارية وهي تجري لتفتح الباب وصاح من الخارج صوت ضخم يقول:

أرجو فتح الباب فإن معي برقية. كثيراً ما تناولت أولنكا من زوجها برقيات ولكن في هذه المرة شملها سكون وفزع. ثم فتحت البرقية بأنامل مرتعشة فإذا بها تتلو: (مات إيفان كوكين اليوم فجأة. أنا في انتظار الإرشادات المتعلقة بالجنازة)

وكان مرسل التلغراف مدير المسرح

وبكت أولنكا ما شاء لها البكاء وكانت تقول: آه يا عزيزي كوكين يا جوهرتي المحبوبة. لماذا ألقى بك القدر في طريق حياتي، ولماذا عرفتك وأحببتك؟

أن يعتمد عليه وإن أية فتاة لتود الاقتران به
وبعد ثلاثة أيام أقبل فاسيلي بشخصه . لم يبق
طويلاً ولم يتحدث طويلاً بل عشر دقائق فقط
ولكن بعد أن ودعها شعرت أولينكا أنها تحبه .
تحبه جداً . حتى إنها ظلت الليل كله ساهرة وقد
انتابها الحى . وفي الصباح أرسلت في طلب السيدة
المجوز ثم انعقد القران

وكانا سعيدين بهذا الزواج

كان يجلس في مكتبه حتى ميعاد الغداء ثم يمضى
بعد ذلك إلى أعماله الخارجية فكانت أولينكا تحمل
محله في المكتب تقيد الحساب وتنظم الطلبات .
وكانت تتحدث إلى العملاء وإلى الأصدقاء وتقول
إن سعر الخشب يزداد ارتفاعاً كل عام فقد ارتفعت
الأسعار عشرين في المائة . ولكننا مع ذلك نبيع ؛
ولذا فإن فاسيتشكا (زوجي) يجب أن يسافر إلى
مقاطعة موجيليف ليستورد الخشب . ويخال السامع
أنها قضت في تجارة الخشب أجيالاً وأجيالاً وأن أهم
شيء عندها هو الخشب

وكانت تنطق الألفاظ في نعمة مؤثرة أمثال :
السويد . والزان . والمورينه . واللوح . والورقة
وغيرها

وكانت إذا ما أقبل الليل واستقبلت سلطان
الكرى تحلم بجبال من الألواح والكتل وعربات
ملثية بالأخشاب . ولقد حلت مرة أن قطعاً ضخمة
من الخشب عرضها ست بوصات وطولها أربعون
قدماً واقفة على أطرافها؛ وكانت تسير في المخزن أشبه
بفرقة حربية ثم تنبسط على الأرض مستلقية الواحدة
فوق الأخرى في كوم كبير مرتفع

وكانت أولينكا أثناء الحلم تصيح وتتكلم فكان

يقول لها زوجها : أولينكا أيتها العزيزة ما بك؟ تنبهي
كانت أفكارها هي نفس أفكار زوجها
إذا ما قال بأن جو الغرفة حار أو أن العمل
في تأخر فإنها كانت تنحو نحوه في التفكير
لم يكن زوجها ليهتم بوسائل التسلية؛ وكان يقضى
أيام الأجازات في المنزل فكانت تفعل فعله
وكان يقول لها أصدقاؤها :

— إنك دائماً إما في المنزل أو في المكتب .
يجب أن تذهبي أيتها العزيزة إلى المسرح أو إلى الملعب
(السرك)
فكانت تجيبهم :

— ليس لدينا أنا وفاسيلي وقتاً للذهاب إلى
المسرح . هذا عبث . ما نفع المسارح ؟

وكانا يذهبان سوياً إلى الكنيسة في أيام الأجازات
ثم يعودان إلى المنزل متأبطاً أحدهما ذراع الآخر
وهما يتسلمان بعضهما لبعض . وكانت ترفرف ملائكة
السعادة على رأسيهما . ثم إذا جلسا في المنزل تناولا
الشاي والحلوى والربى وأصنافاً أخرى ، وكانت
تفوح من حديقة المنزل في الساعة الثانية عشرة من
كل يوم رائحة الحساء والضأن أو الطيور . وأما في
أيام الأعياد فكانا يأكلان السمك وكان يحس المار
بالمنزل بجوعة يسيل لعابها . وأما في مكتب العمل
فإنهما كانا يقدمان الشاي للزبائن والبسكوت ، وكانا
يذهبان مرة في الأسبوع إلى الحمامات العامة ثم
يعودان أدراجهما وهما محمرا البشرة

واعتادت أولينكا أن تقول لمن تعرفهم من الناس :

— نعم ليس لدينا ما نشكو منه . الحمد لله . إلى

أود أن يكون كل إنسان مثلي ومثل فاسيلي

وحينما سافر فاسيلي ليشتري خشباً من مقاطعة

موجيلف أحست أولينكا بأنها افتقدته وظلت متيقظة بل كانت تبكي

وكان يسكن في منزلهم جراح بيطرى صغير السن يعمل في الجيش اسمه سميرنين اعتاد أن يأتى في المساء يتحدث إليها. وكان في ذلك شىء من الترفيه والتسلية في غيبة زوجها ، وطالما سألته عن شؤونه الداخلية الخاصة فعلمت أنه متزوج وأن له غلاماً وأنه افرق عن زوجته لأنها لم تكن مخلصه له فهو الآن يكرهها واعتاد أن يرسل إليها أربعين روبية في الشهر نفقة للطفل . فلما سمعت أولينكا هذه الأنباء تنهدت وهزت رأسها وهي حزينة من أجله

قالت له وهي تقوده إلى الباب الخارجى مضيفة السلم بشمعة تحملها في يدها :

— حسن . الله معك . شكراً لك على زيارتك للترفيه عني . الله يراك ويمنحك الصحة

ثم إذا كان على وشك الرحيل فإنها تقول :

— خير لك يا فلادين بلانويتشى أن تعيش مع زوجتك واعف عنها من أجل الطفل حتى لا يفهم الغلام شيئاً

ولما عاد زوجها حدثته عن الطبيب البيطرى وعن تعاسته المنزلية فيشارك الاثنين في التهدد وهن الرؤوس حزناً على الغلام الذى فقد رعاية أبيه. ثم تتحد خواطرها فيذهبان إلى تمثال المسيح ويطأطآن الرأس أمامه طالبين من المولى أن يمنحهما أطفالاً

واستمرت هذه الحياة السعيدة ست سنوات يغمرها الحب والانسجام

ولكن ...

بعد أن شرب فاسيلى قدحاً من الشاي في يوم من أيام الشتاء في مكتبه ، خرج طارى الرأس في

الهواء في شأن من شؤون العمل فأصيب بلفحة برد ومرض

عاده أمهر الأطباء ولكن المرض كان غلاباً ، فما هى إلا شهور أربعة حتى واروه التراب ، وعادت أولينكا أرملة للمرة الثانية وهى تبكيه في مرارة :

— ليس لى من سند وقد فقدتك إلى الأبد آه يا عزيزى. كيف يمكننى أن أحيا بدونك؟ ستكون حياتى شقية بأسة يا للشقاء ! ...

هل يعيش أطيب الناس قلباً في هذه الحياة الجذباء المنفردة على هذه الحال ؟

أهملت أولينكا ارتداء القفاز والقبعة وغير ذلك من الثياب اللامعة الفخمة الأنيقة ، ولم تكن تلتف إلا برداء أسود ، ولم تكن تخرج من المنزل إلا إلى الكنيسة أو لزيارة قبر زوجها . وكانت أشبه براهبة وبعد مضى ستة شهور فتحت النوافذ المغلقة ، وكان يشاهدها الجيران في بعض الأحيان ذاهبة إلى السوق مع خادماتها لتبتاع حاجياتها المنزلية ، ولم يكونوا يعلمون عن أحوالها الداخلية شيئاً

إلا أنهم كانوا يرونها تجلس في الحديقة لتشرب الشاي مع الطبيب البيطرى الذى كان يقرأ لها الجرائد وقد قالت يوماً لامرأة قابلتها بجوار مكتب البريد :

— لا توجد في المدينة رقابة صحية على الحيوانات. وهذا هو السبب في وجود الأنواع المختلفة من الأمراض المعدية ، وكثيراً ما نسمع أن أناساً أصيبوا بالعدوى من شرب اللبن ، أو انتقلت إليهم الأمراض من الخيل أو البقر

إنه يجب العناية بأمراض الحيوان كما نهتم بأمراض الإنسان

وهي بهذا القول تعيد ما سمعته من الطبيب البيطري ، وكانت أفكارها تتفق مع آرائه تماماً . إنها لم تكن تقدر أن تعيش سنة واحدة بدون أن تكون ذات صلة بإنسان ما ، فكانت سعيدة بهذا الجار ، ولم يظن أحد بها سوءاً لأنها كانت طبيعية في جميع تصرفاتها ولم تكن تخفى شيئاً . وقد حدث أن أضاف الطبيب البيطري بعضاً من أصدقائه في الجيش ، فجلست أولينكا معهم لتسكب لهم الشاي ، وكانت تحدثهم أثناء ذلك عن الطاعون البقري وعن بداية المرض وعن المجازر البلدية . وقد دهش الطبيب السكين لهذا جميعه . فلما أن رحل الضيوف قبض على يدها وحدثها وهو غاضب :

— لقد نهت عليك من قبل ألا تتحدثي عما لا تعرفينه وخصوصاً في جمع من الأطباء البيطريين . أرجوك ألا تتدخل في مثل هذه الشؤون ... هذه حالة متعبة ...

فنظرت إليه في حدة متسعة وعجب بالغ وقالت : — إذن في أي موضوع أتحدث ؟ وتماثقه والعبرات تسيل على خديها راجية منه ألا يغضب ، وكانا سعيدين

ولكن السعادة لا تستمر طويلاً ، فقد رحل الطبيب البيطري إلى غير عودة ، إذ نقل مع فرقته إلى مكان بعيد جداً ... إلى سيبيريا

وأصبحت أولينكا وحيدة ، بل وحيدة بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ فقد مات والدها أيضاً وخلف كرسيه يملؤه الغبار وبجانبه ساق صناعية من الخشب ونحل جسمها وأجهدها السنون فلم يلتفت إليها الناس كسابق عهدهم ، ومضت الأيام الأولى السعيدة وتغيرت وجهة حياتها تماماً

إنها تجلس في الحديقة وتسمع أصوات الموسيقى تلحنها فرقة التيفولي ، ولكن لا تهزها الأنغام الصادحة ولا يهدها شيء ما ، ولم تكن تفكر في شيء ولا ترغب في شيء ولا تحلم بشيء . إنها كانت تأكل وتشرب بطريقة آلية ...

إنه لم يكن لديها ، وهذه أسوأ حالة ، أية آراء أو خواطر من أي نوع كان

كانت تشاهد الحوادث تمر بها متتابعة وتفهم ما تسمع وتعي ما ترى ولكن كانت تعجز عن تكوين أي رأي ولم تدرك في أي موضوع تتحدث

ما أتعس ألا يكون للإنسان خلجات نفسية أو خواطر ذهنية ! إنك ترى الزجاجة مثلاً أو تشاهد المطر أو عابر سبيل فما معنى هذا ؟

ليس من اليسور الرد على هذا السؤال ولو دفع عن الإجابة ألف روبيّة

حينما كان يزاملها في حياتها كوكين أو فاسيلي أو الطبيب البيطري كان في ميسور أولينكا أن تعبر عن خلجاتها بكل وضوح وفي كل موضوع وتبدى رأيها في أية مسألة تريد . ولكن الآن أصبح رأسها خاوياً كقلبها وكحديقته الجرداء

ومضى الزمن واتسع العمران في المدينة وامتد نطاقه وأصبح الطريق القفر شارعاً ممهداً وأقيم مكان التيفولي وموضع مخزن الأخشاب منازل وميادين ما أسرع الزمن !

إلا منزل أولينكا فإنه ظل على حاله ، بل زاده كآبة كثرة الغبار على سطحه وميل جانب من جوانب عشة الدجاج ولون الصدأ الذي يملأ القضبان الحديدية ونمو نباتات غريبة في الحديقة المهملة . بل إن أولينكا قد شاخت هي أيضاً . وكانت تجلس

في الحديقة صيفاً وهي خاوية الروح تعلوها كآبة
حزينة وصمت مرير

وأما في الشتاء فكانت تقعد أمام نافذتها ناظرة
إلى الثلج المتساقط

وفي الربيع كانت تنفس عبير الأزهار أو تستمع
إلى أجراس الكنائس فتعود إليها ذكريات الماضي
في صور زاهية الألوان وهزات في الفؤاد وعبرات
تملاً للماضي، ولكن هذه الانفعالات لم تكن تدوم
غير لحظة ثم تعود إلى حالها من الخلو والصمت
الساذج وعدم الاكتراث للحياة

ولم تكن تتأثر أولينكا للقطعة السوداء (بريسكا)
حينما كانت تقرب منها وتمسح بها

لم تكن هذه طلبتها في الحياة، إنها تريد حباً
يقلب حياتها ويستغرق وجدانها بل كيائها جميعه
روحاً وذهناً

حباً يجعل لها في الحياة غرضاً ويمنحها تفكيراً
ويسكب في عروقها دماً حاراً

طالما صاحت بالقطعة السوداء : إذهبي عني
فلمست أريدك

وهكذا مضت الأيام وتعاقت السنون فلا مرح
ولا خاطر . كانت تقر جميع ما تقوله خادماتها ما فرا
وفي يوم قاطظ من أيام يوليو، وكان المساء قد
أشرف على الكون، وكانت قطع من الماشية تعود
أدراجها، وكانت الحديقة المهملة تعلوها الكآبة

إذا بها تسمع طرقة على الباب فذهبت أولينكا
بنفسها لتفتح الباب . وقد كانت المفاجأة عنيفة
حينما ألفت أمامها سميرنين الطبيب البيطري وقد علاه
الشيب وهو يرتدى ملابس المدينين

حينذاك فقط تذكرت كل شيء في الوجود فلم

تملك نفسها وقد بكت وسقط رأسها على صدره ولم
تنبس شفتاها بكلام ما، ولم تدر وهي غريقة في فيض
من العواطف أنها دخلت بزاورها إلى المنزل وأنهما
جلسا يشربان الشاي

وإنما قالت أخيراً وهي ترتعش سعادة وسروراً :
— عزيزي فلاديمير، أي حظ سعيد أتى بك إلينا؟
فقال :

— إنني جئت للسكنى في مدينتكم فقد استقلت
من عملي وجئت لأجرب حظي في الحياة مستقلاً،
وقد أزف الوقت الذي يجب أن أهتم فيه بابني . إنه قد
أصبح غلاماً كبيراً وقد تراضيت مع زوجتي كاتالين
فسألت أولينكا :

— وأين هي ؟

— إنها مع الغلام في الفندق

فقالت أولينكا وهي متأثرة بالغ التأثير :

كيف يكون هذا ؟

ألا يجبكم منزلي لتسكنوا فيه . أستحلفكم أن
تقطنوا معي فلن أطلبكم بأى أجر

أرجوك يا عزيزي فاني أكون سعيدة في

معاشرتكم . ولما كان اليوم التالي إذا بالحيطان والسقوف

قد ضربت بالألوان . ومضت أولينكا في نشاط كبير

تصدر الأوامر هنا وهناك ، وكان يشع من عينيها

بريق السعادة وتعلو وجهها ابتسامة حلوة، وكانت

شبيهة بإنسان استيقظ بعد غفوة طويلة

وأقبلت زوجة الطبيب وهي نحيلة واضحة القسائم

مقصوفة الشعر، وكان يصحبها ابنها ساشا وهو صبي

في العاشرة صغير الجرم إذا قيس بعمره له عينا

زرقاوان ونغزتان في الحدين

وما إن دخل الغلام في الحديقة حتى راح يجرى

خلف القطة السوداء، ورنّت في الفضاء ضحكته الطفلة المحببة السعيدة وهو يوجه الحديث إلى أولينكا :
أهذه قطتك يا خالتي ؟

إذا أنجبت صفاراً فيجب أن تهديني قطيطة منها فإن أُمّي تخاف الفيران

وتحدثت إليه أولينكا وأعطته الشاي وامتلاً قلبها غبطة وأحست في صدرها بأحاسيس مختلفة نحو الصبي الصغير كأنما كان ابنها وفلذة كبدها وكان إذا ما جلس إلى المائدة ليكتب واجباته المدرسية في المساء راحت تراقبه بعين وديعة وعطف بالغ وتهمهم في نفسها :

كم هو ظريف هذا الصبي العزيز إنه جوهره نفيسة، ما أذكاه !

وكان يقرأ بصوت عال ويقول :

الجزيرة قطعة من الأرض محاطة بالمياه من جميع الجهات. فكانت تردد أولينكا قوله : (الجزيرة قطعة من الأرض ...)

وكانت هذه العبارة أول جملة وعثا بعد زمن طويل تقضى في خمول وسنين طويلة مضت في صمت قاس خال من الخواطر والآراء والعواطف ، وكان هذا الغلام قد أوحى إليها بالكلام من جديد .

إنها الآن أصبحت ذات أفكار مستقلة فكانت تجلس في وقت العشاء مع عائلة ساشا وتقول : ما أصعب الدروس في المدرسة العليا . إلا أن المدرسة العليا خير من مدارس التجارة ، إذ أن المتخرج في المدرسة العليا يمكنه مراوأة مهن مختلفة : الطب والهندسة أو غيرها

ودخل ساشا المدرسة العليا ورحلت أمه لزيارة أختها في هاركوف ولم تعد ، واعتاد والده أن يذهب

كل يوم للتفتيش على المواشي ، وكثيراً ما تغيب عن المنزل ثلاثة أيام كاملة ، وأحست أولينكا أن ساشا يكاد يكون كما مهملاً من والديه ، ولذلك فإنها أحاطته برعاية كبيرة وأفردت له غرفة خاصة في منزلها .

صاحبها ساشا ستة شهور في مسكن واحد ، واعتادت أولينكا أن تأتي إلى غرفته كل صباح فتراه نائماً نوماً عميقاً هادئاً واضعاً يده الصغيرة تحت خده وكان يؤلمها أن توقظه إلا أنها أخيراً تقول :

ساشنكا ، تيقظ أيها العزيز فقد أظف ميعاد المدرسة ، فكان يستيقظ في الحال ويرتدى ملابسه ثم يصلي صلاته اليومية ثم يجلس لتناول طعام الإفطار ويشرب أثناء ذلك ثلاثة أقداح من الشاي ويأكل كل الخبز والفطائر

وكانت تنظر إليه أولينكا نظرها إلى إنسان مقبل على سفر طويل وتقول :

— إنك لم تحفظ درسك تماماً ... كم أن هذا يكدرني ... يجب أن تذاكر جيداً يا عزيزي وتطيع معلميك !

وكان يجيب ساشا :

— أتركيني !

ثم يترك المنزل ويسير في الطريق متجهماً إلى المدرسة . وكان يبدو ضئيلاً وهو يحمل حقييته على كتفه فتنبه أولينكا عن كذب وهي صامتة وكانت تناديه : ساشنكا !

ثم تضع في يده قطعة من الحلوى ، فإذا اقترب من شارع المدرسة وأحس في نفسه الخجل من مصاحبة سيدة عجوز طويلة يلتفت إليها ويقول :

— يحسن بك أن تعودى يا خالتي وتدعيني أسير بقية الطريق وحدي !

فكانت تقف ساكنة وهي تراقبه حتى يخفيه
باب المدرسة عن نظرها

لقد أحبته ولم يؤثر في قلبها أى لون من ألوان
الحب السابقة مثلما أثر فيه هذا الحب فإنه كان أعمقها
أثراً ، ولم تخضع روحها من قبل لمثل هذا الشعور
العنيف الذى لا غاية له

إن هذا الحب قد أحيأ في فؤادها جميع مشاعر
الأمومة وغرائرها الهادئة

إنها كانت على استعداد لتضحية حياتها من
أجل هذا الصبي الجميل ذى الطاقة الواسعة . إنها
تفتديه بروحها عن طيب خاطر

لماذا ؟ من يمكنه أن يقول لماذا

وبعد أن غاب ساشا عن بصرها رجعت أدراجها
مرآحة القلب هادئة النفس سعيدة بحبها له وقد
عادت إلى وجهها نضرة الشباب ونفحة الصبا، وكان
ينظر إليها الناس مسرورين قائلين :

ألا عى صباحاً يا أولينكا سميانوفنا ! كيف حالك
أيتها العزيزة ؟ وكانت تقول في السوق حاكية :
(إن الدروس في المدرسة العليا صعبة للغاية . إنها
كثيرة على الأفهام الصغيرة . أمس في السنة الأولى
كلفوه بأن يحفظ عن ظهر قلب خرافة كاملة وترجمة
لا تينية ومعضلة حسابية . لا شك أن هذا كثير
على ذهن طفل)

ثم تتحدث عن المعلمين والدروس والكتب
المدرسية مرردة جميع ما سمعته من ساشا

وكانا يتناولان الغداء سوا الساعة الثالثة ، وفي
المساء كانا يجلسان لحفظ الدروس معا بصوت مرتفع
وحينما كانت تضعه في الفراش فإنها كانت

تقضى وقتاً طويلاً وهي تخط يديها علامة الصليب
ثم تغمغم دعواتها وصلواتها . وبعد ذلك تذهب إلى
غرفتها ثم تنام وهي تحلم عن المستقبل في صورة
مبهمة : حينما ينتهى ساشا من دراساته ويصبح طبيباً
أو مهندساً ، وحينما يمتلك منزلاً كبيراً فيه الخدم
والعربات والخيول ، وحينما يتزوج ويكون له أولاد
صفار .

ثم تتأرجح في عينيها المغمضتين عبرات تتساقط
على خديها ينما القطرة السوداء الناعسة تهمهم في
نومها ...

ويطرق الباب فجأة فتستيقظ أولينكا وهي تلهث
فزعاً ويدق قلبها خوفاً ، وتمضى دقيقة ثم يطرق الباب
مرة ثانية فيمر برأسها خاطر يهزها هزاً عنيفاً من
قمة الرأس إلى أخمص القدم

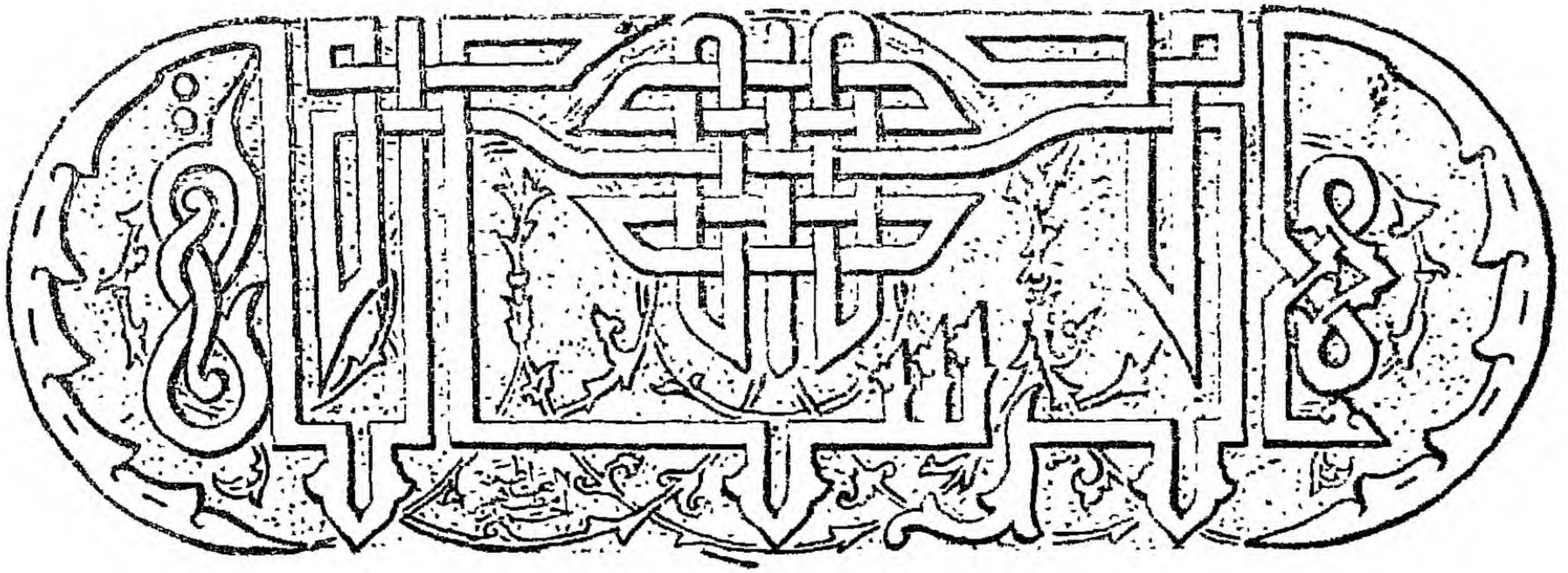
لا شك أن الطارق يحمل برقية من هاركوف
تطلب ابنها ... الرحمة بي يا إلهي ... ثم تفرق في
يأس قاتل وتسير البرودة إلى رأسها ويديها وقدميها
وتحس في صميمها أنها أتعس امرأة في الوجود ...
ولكن إذا مضت دقيقة أخرى وسمعت الأصوات
فإنها تتبين أن الطبيب البيطرى يعود الى المنزل
من النادى

فهمس في نفسها : حسن . الحمد لك ياربى

ثم يخف الحمل الثقيل عن قلبها شيئاً فشيئاً حتى
تحس راحة تامة بعد قليل ، فتقوم من فراشها وتسير
على أطراف أصابعها إلى حجرة ساشا فتجده نائماً
وهو يصيح في نومه :

سأعطيكها . إذهب عني . صه .

منفى محمود محمد



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجَلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ اسْكَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصُدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الْإِسْتِرَانِ الْإِخْلَاصِيَّةِ قَرِيبًا ، وَالْخَارِجِيَّةِ مَابَسَادِي جَنِينِهَا مَصْرِيًّا ، وَلِلْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَجْزَمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
ض
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

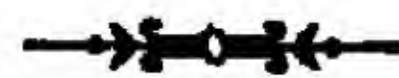
أول شعبان سنة ١٣٥٨ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٤

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
٨٩٨	المفارقات في الحب ...	للكاتب الفرنسى كاتيل مندى
٩٠١	الكذبة ...	للقصصى الروسى ياتليموف رومانوف
٩٠٥	هم جديد ...	أقصوصة عراقية ...
٩١٠	اعترافات سجين ...	للقصصى الفرنسى موباسان ...
٩٢٠	النقى ...	للقصصى الروسى تولستوى ...
٩٢٥	فكرة جديدة — حب ...	للكاتب الأمريكى كارول هاردينج
٩٣٠	الحلم والحقيقة ...	عن الانجليزية ...
		بقلم الأستاذ صالح الهاكع ...
		بقلم الأستاذ نغرى شهاب السعيدى
		بقلم الأستاذ فيصل عبدالله ...
		بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
		بقلم الأديب مصطفى مشعل ...
		بقلم الأديب أبو بكر على ...
		بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

أية غشاوة غشت عينيها فنعتها
من النظر إلى الحقيقة «
فأجابه الطبيب : « إن المرأة
إذ تستسلم لرجل لا تخضع لشخص
الحبيب ولكنها تخضع لنفسها
ولنفسها فقط - لظروف خاصة
بها ليس للحبيب دخل فيها
مطلقاً - فهيامة وإخلاصه

المسافر في الحب

للكاتب الفرنسي كاتيل مندى
بقلم الأستاذ صالح أحمد الهاكع

وتوسلاته الطويلة وتضحياته الغالية لم تكن عاملاً من
عوامل استسلامها. فانتصار الحبيب في هذه الحال أشبه
من كل الوجوه بانتصار قائد استسلم له العدو بعد
أن أنهكه الجوع والمرض لا عقب هزيمة في واقعة
من المواقع !! وأنا أوقن بأنه لو كان أى رجل آخر
مكانه وفي الظروف التي وجد فيها لما كان أقل حظاً
منه عند المحبوبة، وحسن البلاهة وقبح الوجه ليسا
دائماً عقبة في سبيل الحب ؟

ولو لم يكن ذلك كذلك ... ولو لم تكن المرأة
تستسلم لعوامل خاصة وبعيدة عن الحب الذي تدعيه
- بل عن الحب الذي تشعر به - فلاأى أمر يمكن
أن يُنسب سوء اختيارها المألوف ؟ فكثيراً ما نرى
غواني هيفوات يهمن بحب خادم حقير، وملكات
عظيمات يقعن في حب وشب كره المنظر

وقد تساءل الأستاذ : «هل من الممكن لمثل هذا
الحب أن يستمر؟» وكان أدينا الخالد في غضون هذا
الحديث صامتاً لا ينطق بينت شفة مطرقاً برأسه وهو
ينكت^(١) الأرض بقضيب^(٢) كان في يده شأن الفكر

(١) يضرب الأرض (٢) الفصن ويطلق على العصي

في إحدى الأمسيات القمرية يعمت شطر دار
صديق (ت) الذي يقطن منزلاً صيفياً جميلاً في إحدى
ضواحي المدينة فوجدته يتوسط رهطاً من إخوانه
تحت عريش وهم يسمرون

وكان الحاضرون ثلاثة رجال غير صديق رب الدار
عرفت من بينهم الكاتب (ع) الذي سجل اسمه
بين الخالدين بآثاره في فنى الشعر والقصص، والذي
يحمل وجهاً بينه وبين الجمال ما بين الماء والنار
وطيباً كانت له يوماً شهرة في ميدان الحب ،
أما الثالث فسمعتهم يلقبونه بالأستاذ ولم أعرف على
وجه التحقيق أهو محام أو معلم

فما كدت أجلس بينهم حتى وجدتهم آخذين
بأطراف الحديث ما بين أدب وسياسة ودعابة إلى
أن انتقل الكلام إلى موضوع الحب فقال رب الدار :
« إن أعجب فعجب أن يرى الإنسان عادة هيفاء
ملكته من الجمال والرقه والكمال غاية ما تصبو إليه
النفس ، تمسق رجلاً قبيح الوجه بشع السحنة كره
المنظر لا يزينه أدب وليس له من نباهة الذكر أو علو
القدر ما يبرر هذا الشذوذ في الاختيار، وإنى لا أدرى

وكان هذا التساؤل قد حرك في نفسه ذكريات قديمة فانقبضت أساريره وأجاب : « لا أظن أن هناك دواما لمثل هذا الحب، وسأطرفكم بواقعة حال ربما رأى بعضكم أن صاحبها محق وربما آخذه البعض الآخر، غير أنه يمكن القول أن بطل القصة يشعر براحة ضميره للخطة التي اختطها

حدث ذات مرة أن أحببت فتاة جميلة وصغيرة شخصاً قبيح الوجه نصفاً^(١) نظراً لشرف قلبه وعلو روحه ونباهة ذكره ولأنه كان يحمل اسماً من الأسماء التي ترددتها الألسن كل يوم في إعجاب وتقدير. وكان هذا الشخص يذوب جوى في حبها غير أنه كان أعقل من أن يطلب الحصول على يدها . فلما رأته منه ذلك عزمته على أن تكون هي البادئة ، وأتت إليه ذات يوم وهي تمشي على استحياء وقد زان جيدها عقد من لؤلؤ ثمين وبادرته قائلة :

— إن جميع الشبان يخطبون ودى ويطعمون في قربي ولكني لم أختار سواك !

وكان هذا الرجل مشهوراً بثقوب البصيرة وبعد النظر وأصالة الرأي . فلم يكذب يسمع منها هذا القول حتى شعر بما يشعر به راكب البحر من الهدام^(٢) ولكنه تمالك نفسه ، ورغم تولفه في حبها دفعها عنه في حزن قائلاً :

أنت تحبينني وتنتظرين مني أن آخذك لنفسى فبأي حق يكون ذلك ؟ إن اسمي لا يعادل هذا الحب إن كان هو البذل ، فأنت تقدمين لي ابتساماتك الملائكية وجسمك البض وقوامك الشبيه بغصن يتأيل عجبا مع الريح ... أما أنا فأهبك شخصي وهو كظلام الشتاء ، فأنا إله الحب وأنت إلهة الجمال . لا تقولي إن رقة أخلاق وسمو نفسى وعلو

(١) النصف للرجل والمرأة التي ما بين الحدة والمسة

(٢) دوار البحر

شأنى قد غيرت مظهرى في نظرك ، وأنتك ترين في شخصي حبيبك المتصور ، لأنه سوف يأتي يوم قريب جداً تريننى فيه على حقيقتى وحينئذ تكون الطامة الكبرى ليس بالنسبة لك فقط ، أنت التي ستبكين حيث لا ينفع البكاء ، وستدكرين مع الألم أولئك الشبان الظرفاء الذين سمحت لنفسك أن تطردتهم من أجلى منذ زمن وجيز ، ولكن بالنسبة لى أيضاً .. أنا الذى سأقاسى الأهوال لحزنك المشروع ... أنا الذى سأحتقر نفسى وآلم أشد الألم كلما نظرت إلى وجهى في المرأة ! فيا عزيزتي البلاء تباعدى عني واذهي إلى الشخص الذى يستحقك وأعطي شبابك لشبابه ، وابتساماتك لا بتساماته ، وظرفك لظرفه ، لأن الورود الحمراء لا تلتئم إلا مع الفل ، والضوء لا يعادله إلا النور ، وليس هناك أسوأ نتيجة ولا أكثر حماقة من قران القبح بالجمال ... ولا شك أننى سأقتلك أو أقتل نفسي إذ رأيتك في غدٍ زواجنا تنظرين بتلهف إلى شاب جميل يمر علينا ... واعلمى جيداً أنك لن تتألى فقط من انخداعك في شخصي وغيرتى عليك ولكن سيحدث يا صديقتى العزيرة أن يأتي يوم تفقدين فيه جمالك لكبرى وبشاعتي فإن معاشره المهرم تهرم ، فقبلتى الممجوجة مستذهب بنضارة شفاهاك ، ونظراتي المعتمة ستخمد ضوء عينيك ، وشكلى المظلم سينعكس على شكلك النير كما ينعكس شكل الأرض على القمر فيصيبه الخسوف .

أليس إلقاء الأقدار في نبع رائق المياه مما يعكسره ؟ ومن بدرى ؟ ربما كان من سوء حظك وحظى أن أبفضك في المستقبل للقبح الذى قبسته منى . وهى أنك ستبقين شابة جميلة ؛ وهى أن حماسك في حبي ستستمر وأنتك ستنتظرين إلى أبداً بعينك

أو لا يشعرون بثقل أنفاسهم عند ما يتقدمون بها؟ وهلا يخطر لهؤلاء الأنانيين أنه يجب أن يكون كل من الحبيب والمحبوبة في شكل واحد لكي ترى فيه خيال نفسها؟

فأشخاص كهؤلاء أشبه بذلك الموسيقى المغرور بنفسه والذي كان يوقع أنغاماً مليئة بالنشوز مع زميل له وقد اعتقد لضيق عقله بأنه لو ترك بمفرده لانساحته الأنشودة ولسمع الناس منه أنغاماً غاية في الطرب! فأيها البائسون الأغبياء، اعلموا أن اتحاد العاطفتين عند الحبيب والمحبوبة هو الذي يؤدي إلى تعادل السرور في الحب! لكل هذه الأسباب أقول لك يا أعز مخلوقة لدى: تباعدى عني لأننى لا أرغب في إساءة استعمال لطفك، فأنت تفكرين في تقديم السعادة لى، ولكن بكل أسف لا يمكنك أن تعطينى إياها، لأنها تتوقف على شخصى وليست متوقفة عليك؟

فاحتقارى لنفسى سيكون سبباً في تكدير سرورى بالحصول عليك. وعليه فأنا أفضل بعدك عن قربك، أنا الذى أرغب فيك من كل نفسى لن أوافق على هذا الزواج الذى أنا مستعد لأن أهب فى سبيله حياتى، إلا إذا كنت من الآلهة وكان فى مقدورك بنظرة أو إيماءة أن تجعلى الشعر ينبت من جديد فى رأسى الجرداء وأن تزهى على خدى وردة الشباب الحمراء

وما إن وصل أديبنا إلى هذا الحد من الكلام حتى كانت الدموع تملأ عينيه وحتى هبّ واقفاً وسلم وانصرف!

صالح أحمد الرهاكع

مدير الادارة المالية بوزارة المواصلات

الأولى، مع ذلك فثق أن السعادة مستحيلة على بين أحضانك. فأنا أحبك كما تشعرين وأنت واثقة من أن مجرد الفكر بوضعك فاك على فمى وتديك على صدرى وشعرك المحلول على وجهى يحدث بى هزّة من أعلى رأسى إلى أخمص قدمى، ولكن إذا حدث هذا فعلاً فموضاً عن أصوات المرح والبهجة التى تنتظرين سماعها منى ستريننى فى أكاب حال. فيالبؤسى ويا لشقائى لأن الحجل من قبلتى سينسينى قبلتك. ستلمسيننى أنت الجميلة، وسأشعر فى نفسى بأننى أملك أنا القبيح

أليس مما يدعو إلى العجب أن نسمع كل يوم أناساً يغبطون رجلاً كهلاً لحصوله على يد عذراء جميلة، ومُموّلاً غراً ثقيلاً يشوه الصلح رأسه لشراءه قرب ممثلة فاتنة! تراهم يقولون: «ها هو ذا رجل سعيد» أو «ليس لهذا الرجل أن يشكو شيئاً فقد نال الخطوة عند أجمل النساء»

وفى الواقع يُسرّ متقدمو السن هؤلاء بزواجهم من شابة صغيرة أو بمحصولهم على معاشرة مخلوقة فتانة، ولكن هل سرورهم هذا طبعى؟ أو لا يعلمون أن الشباب والجمال ضروريان للزوج أو الحبيب كما هما ضروريان للحليلة أو الخلية، وأنه لا بد من توفرهما فى كلا الشخصين لكي يتولد بينهما الحب الذى هو رأس كل سعادة. حقيقة سينعمون بوصال هذه الفاتنة ولكن ألا ينجلهم أن يروا بجانب خصلات شعرها الذهبى بقايا شعرهم الأغبر، وبقرب صدورهم الخشنة صدرها الأملس، وبجانب تلك السيقان المليئة والتى هى فى نعومة الحرير وبياض الثلج سيقانهم التى هى عبارة عن عظام نخرة طويلة؟ فهل يكفيهم أن تكون حبيبته جميلة؟ وهل يعتقدون أن القبلية يصح أن تكون من طرف واحد؟

الكتب...

للقصص الروسي ب. ن. بوشكين
بقلم الأستاذ محمد بن سراج السعيد

يصلح به هيئة وجهه للقيامها
كان الثلج قد غطي كتي
معطفها وكتفيه ، وكان خداها
قد توردا من لفح الرياح المحملة
بالثلج ، وعيناها السوداء
مشرقتين بوميض من الفضب
والهياج . كان أول ما ابتدرته به
من الكلام قولها :

— أهلاً بك ، أنت هنا ؟
وكانت في صوتها نغمة فرح ودَّهش يئنة
التكلف . ثم استأنفت قائلة :
— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجيء !
وكانت تقول ذلك وهي تلتقي على الغرفة نظرة
تفقد فاحصة ، فأجابها :
— كلا ، لقد قلت إنى ربما جئت ولكنى
لم أكن واثقاً تماماً من هذا . قال هذا وهو يعيد
غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف
قبالة صاحبتة
— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت
فلن تظل أكثر من ساعة
— حسبتُ أن لقاء ساعة عندك تفضل
الخروج مساء ... إلى حيث لا أدرى ...
فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ،
ونزعت قبعتها فنفضت الثلج الذى كان يغطيها
على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذى كان
قد تراكم على كتي معطفها فى أناة ظاهرة واعتناء .
فهز صاحبها كتفيه وبدأ يعينها على خلع ملابس
الخروج التى كانت ارتدتها محتفظاً بصمته ، ذلك

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالساً
إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب فى غير
نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكاً بيده غطاءً محبرة قد
كان رفعه عنها بحركة غير إرادية منه ، وبصره مثبت
فى نقطة أمامه يحدق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقة
فى صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها فى الدار ...
لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سرجيفانا »
خرجت بغير أن تترك وراءها خبراً

وكانت هذه هى المرة الأولى التى لم تنتظره فيها
منذ أن تعارفا حتى اليوم لقد كان أخبرها بالتلفون
أنه ربما استطاع لقيها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه
استطاع أن يتحرر بغتة طوال هذا المساء ، إذ كانت
زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية
عشرة وهو ما يزال منتظراً ؛ وأخيراً أذفت الساعة
الأولى ولما تأتت ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به
الرغبة فى البقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيراً وقبيل الساعة الثانية دق جرس الباب
ففتحت لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هى إلا أن
فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت

الصمت الذي كثيراً ما يشاهد في مناظر الشجار والنزاعات ، ولم يخف ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها - فجاءة - فقالت تكلمه في صوت لطيف :

— أجازر أنك لا تصدقني ؟ واقتربت من حبيبها بجوٍ تُشم فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذي كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعت يديها — ولم يكن ليخفى عليها جالها — على كتفيه ، غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تُفسر عليه نفسها ، إنه متكلف أيضاً ! ثم قالت له :

— وفي استطاعتي أن أعد لك كل حركاتي هذا المساء : كان أحد أصدقائي ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت عندهما بطاقة دخول زائدة فاستدعياني معهما إلى الذهاب ففعلت ، وذلك كل شيء تم

— فجيئك من الملهى إذاً في هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسهما — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح وضع شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة عجي فعل المائد إلى داره يجد فيه ضيفاً غير منتظر ليطمئن على أنه ليس في المكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء :

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفي

ويتتبعها في كل ما تصنع ، أما هي فكانت تخفى شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتظاهرها بهيأة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة ! !
... قالت : « وقد خاب ارتقابي مقدمك عند المساء تماماً . » ، ثم جلست على كرسي كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« ... فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألم تر هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان ما يزال واقفاً في مكانه ، وعلى وجهه سبأ من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التي كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية في السخف ، مملّة ، بينة التكلف والاصطناع ؛ وكان المثلون يقومون بأدوارهم وما في نقوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هناك فتاة ممثلة جودت في دور لها متوسط »

وهناك أدار صاحبها عينيها نحوها وقال لها :
— إنه ليس ثمة سبب يدعوني إلى الشك في أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزي ، إن شئت أريتك

البطاقة » ، وفتحت حقيبته يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان في حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلاً :

— إنى لا أدري ما هذا الذى حدث على الضبط ولكنى لحظت من زمن يسير أن علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعنى بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدري تماماً ولكن هنالك شيئاً مما أقول . على أنى أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألا تضطرى الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ودّ قوية ، وفي أمثال هذه العواطف التى بيننا لا يستحسن الكذب أبداً . فلا تمحدثينى الليلة بشيء ، ودعى ذلك إلى الغد . خابرينى بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شيء . إن كلاماً منا حراً مطلقاً التصرف فى نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس . . . لنفترق ! »

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

... كان يسير إلى داره مستعيداً فى ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تمحدثه عن الملهى حديث المضيف إلى زائر طرقة ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذباً ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثاً عاماً

مبهماً بالطريقة التى يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها الميعن لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملهى عادة !

أما البطاقة ... فمن يدري ؟ لعلها ابتاعها ... وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقاً وشاهدت الفصل الأول . ثم ... ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليها وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيا لها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخله أن يمزق قطعة الورق البغيضة تلك . غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ...

... إنها حقاً كذبة لإنسان صفيق الوجه ! فيا لها من زلة ! إنها كفيلة بأن تهجى الإنسان من نفسه ...

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبائيك طابقه أنواراً ، كأن زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً فى استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه ... غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه الآن إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زكّاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكراً
فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة
في ارتقاب وحذر في حين أن زوجه كانت خارجة
من غرفة النوم مسرعة وهي تشد وسطها بحزام
فستانها البيتي ؛ فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة
في استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد
ظلمت في الدار طول المساء هذا ؛ ذهبت إلى بعض
الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة
ثم عدت وفي أمل أن أقضى هذا المساء معك ...
فأجابها :

— غير أنني كنت أحسب أنك ستكونين
خارج البيت الليلة ، وذلك الذي دعاني إلى الذهاب
إلى الملهى ! ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائي في
الدار وحدي !

— ولكن لماذا أراك متأخراً للآن ؟

— أوه ... إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء
في أعمالهم ... لقد وقعت بعض أخطاء أخرت
الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاقت المتفرجون
بذلك ذرعاً وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !
ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة
بحركة تدل على تعب ؛ ثم استطرد قائلاً :

« وكانت الرواية غاية في السخف ، مملة ، بينة
التكلف والاصطناع في كل شيء من مظاهرها .
وخير ما كان في الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت في
دورها متوسط ... ولو دريت أنك ستكونين في
الدار الليلة ، إذأ لتركت الرواية بعد فصلها الأول !..

(بغداد) فخرى شهاب السعيدى

كانت هذه الحديقة وما تحفل
به الشيء الوحيد الذى شغلنى
فاستطاع أن يلهينى عما كان
التذكر به يؤلمنى ويمضى إلا أنى
وجدت فى اهتماماً نحو شيء آخر
أثاره السهوم والحزن العميق
الذنان يتشجع بهما ...

وما كان هذا الشاغل الجديد

إلا ابنة عمى التى تقاربى سنًا وتشابهنى ملامح
كنت أراها تحتل النظر إلى وتقف عن بعد
وأنا لاه بصويحبأتى الزهر تلاحظ ما أفعل حتى
إذا ما رفعت بصرى إليها، أشاحت بوجهها سراعاً
كأنها لم تكن تراقبى. وكانت كزهرة مما أغرس،
لا تفرق فى شيء عما أرى من الزهر، فقد كانت
بارعة الجمال فانتته، ساحرة اللحظ، فى عينيها
حول يكاد لا يبين ...

كانت تدنو منى وأنا بين الزهر أسقيه وأرعاه
فتقول لى فى لهجة وادعة تقع فى نفسى وقماً لم آلفه
من قبل :

— لم تتعب نفسك بهذا ؟ ... أليس
من شيء هنا يستحق وقتك واهتمامك غيره ؟ ..
وكنت ألس فى قولها هذا غيرة وحناناً ،
إلا أننى لم أكن لأدرى ما محلهما بين حبى للزهر
وعنايتى به ... كما كنت لا أدرى سبب سهومها
وإطراقها الدائم .. وتلك المسحة الحزينة الساحرة
الغالبة على محياها الوديع

وأخذ اهتمامى بالحديقة وما تحفل يتضاءل ...
وعدت للتفكير والتفسير .. أفكر فى هذه السحابة
التي تكاد تملو حياتى الهادئة فى ذلك البيت الساكن
الهادى ...

من ذكريات الصبا

هــمـ حـبـير

أنصورة عراقية
بقلم الأستاذ فيصل عبد الله

... كان من أثر مرضى الذى لازمنى أشهراً
أن رسبت فى الامتحان ، وكان أبى رءوفاً بي
فمضى على أن أنتجع الصحة وأستعيد ما فقدت
بسفرى إلى بلد أخيه ، فرضيت بعد إلحاح وتردد .
وكان ما وجدته فى البلد ، من مظاهر الطبيعة
الفاتنة ومروجها النضرة ، وما يحيط بي فى البيت
من ترحيب وعناية قد أنسيانى بعض النسيان ما ألم
بي وبرح ...

ولم يك من شيء يلفت نظرى ويسترعى اهتمامى
فى ذلك البيت غير رحابته ، وكثرة ما فيه من ورود
نضرة وأزهار زاهرة جمعتها حديقة فسيحة فى ركن
من ساحة البيت ، توسطتها نافورة زاهية تقذف
الماء إلى علٍ فيخر من الجوانب رذاذاً ناعماً
كنسبات دجلة ربيعاً ... تلك النسبات التى تسير
دجلة فى أنسيابه كأنها تبادل عذب الحديث وساحر
الأنغام ... وهو ينساب ...

ووجدت أن خير ما أقطع الوقت به أن أرى
الحديقة باهتمامى ، غارساً البذور وقاطفاً الثمار الناضجة
ومبيداً ما يسرح فيها من الحشرات والديدان ،
وما ينبت من طفيلى النبات ... وقد أثمرت عنايتى
بعد أيام قلائل ، فعدت أزهى وأنضر مما كانت عليه

الخلق وجمال الروح - لا يدع لي تذكر ما انتويت ...
ولا يفسح إلى ما اعتزمت سبيلاً

لقد زاد غموضها حبي لها ... أجل حبي ...
ولقد اضطربت وارتجفت وأحسست أن شعوراً غريباً
أفيض به عندما ألفت في اهتماماً بها ، وأدركت
أن ذلك الشعور الغامض الذي أكنه لها ... لم يكن
إلا الحب !! ...

كانت روحها الحزينة ونفسيته الدفينة الغامضة
قد ولدتا في ذلك الحب كما زادتاه ، وأسبغتاه عليه
قدسية كنت ألسها في صاحبه ... وشعرت لأول
مرة أن ما أعتر به من كبرياء وعزلة ونفس قد
نكصتا خائبتين أمام سحرها وغموضها ...

أنا ... أنا الذي كان يلذ لي ألا أحفل بأى فتاة
وألا أبدى أى التفاتة لأية كانت مهما بلغت من الجمال
ومهما كان شعورها نحوى ، رأيتني أحفل بها ،
وأهم بكل ما تبديه ، بل لقد تناول ذلك الاهتمام
كل ما يخصها من شؤون حياتها حتى ما تردى وتطم
وأحسست في عجزاً كلياً عما انتويت اقتحامه

فسحر عينيها يخشى عيني ويردّها خاشعتين
منكسرتين ، وسحر نفسها يملأ نفسي شعوراً
بل مشاعر كلها من الحب وإليه ...

وأخيراً ... وجدت أن خير ما أفعل لتعرفها ،
لكشف الغموض المتشحة به ... أن أكشفها
بحبي . . . ولكن أنى لي أن أفعل هذا وفي ما عرفه
الناس عني من خجل وارتباك يملكانى ساعة أن
أحدث أية فتاة ؟

وكان في التلميح ما يشنى ، ولم تك بنبية لا تفهم

كان جمالها يشير في نفسي إحساساً غريباً
لم أكن لأفقهه ، إلا أنني كنت ألس فيه الارتياح
البليغ إليها والميل إلى مجالستها لتعرف ما كان
يبدو لي غامضاً منها ...

كانت جميلة ، ولست أعنى بالجمال هنا قواماً
فارعاً وعينين ساحرتين خضراوين ، وجفوناً ناعسة
كثيفة الأهداب ، وشفقتين قرمزيّتين دقيقتين ،
وشعراً ذهبياً مموجاً . كلا ، فهي قد ملكت هذا
النوع الظاهري ... إنما أعنى الجمال الباطني الروحي
الخلاب ، الذي ينطق به سهومها ونظراتها الحيرة
الحزينة ولهجتها الوداعة الوقور ، وابتساماتها التي
تفيض على سحراً يخالطه شعور يملأ نفسي ، شعور
غامض لم آلفه في من قبل ...

وكنت أجد شفتي تنفرجان عن ابتسامة أحييها
بها فتجيبني ببسمة ساحرة سرعان ما تغيب ، وألفت
أن أراها تبسم لي كلما التقى طرفانا ... كانت ابتسامة
يرسم بها محيماًنا بسهولة تفوق مقدرة أفواهنا على
تبادل الحديث

وحاولت عبثاً أن أحيط بما تكنه علماً ، وأن
أخرق ستر الغموض الذي يحجب نفسيته الدفينة
عني ، حاولت ذلك سدى ، وإنما كنت أخرج من كل
محاولة وقد ازدادت غموضاً في عيني ، كما ازدادت
ميلاً إليها أو بالأحرى رغبة في تعرف ما تكنه وتخفيه
وكانت السويحات اللواتي تهب لي السعادة قليلة
فأخلو بها فيهن معجباً مأخوذاً ، وكنت أرجىء
محاولة تعرفها إلى تلك السويحات الخوالد في النفس . .
لكن ذلك السحر الذي ينبعث من جمالها : جمال

ما أعنى . . . فقديمًا قالوا : « إن الجمال والذكاء
صنوان لا يفرقان » وإن ما تملكه من الذكاء
لكفيل بإشعارها ما أعنيه

فقلت لها يوماً وقد قاربتي مجلساً وكادت
أنفاسها الحرى تبلغ رثتي :

— ما أعبق ما فيك من عطر ... لقد أفاض
على نشوة لم آلفها من قبل ؟

فقلت بمعجب : ولكنني لم أضع أى عطر . . .
— أجل لستُ جاهلاً هذا ...

— إذن مِمَّ جاءنى ؟ !
فقلت وقد أضمتنى وجيب قلبى عما عداه :

— أنفاسك الحرى العبقرة

وازدادت سحراً وفطنة بحمرة الخجل التى
كست خديها وبسدول جفניה الناعسين على عينيها
الساحرتين فى حياء خلاب

« إن حباً يباغت به فتى لم يأنف غير الهناء
والهدوء فى حياته القصيرة الفياضة بهناء الطفولة
السعيدة ومرح الصبا الهنيء لما يكشف لمن باغت
عن دنيا حافلة بالسعادة لا تدوم ، فإن هى أدبرت
وولت فإن ما تبقى له من سعادة الطفولة وهنائها
لا طعم له ... فليست سعادة الحب وأيامه العذاب
بما يخسره الفتى بعد أن يخسر هواه فحسب ، إنما يخسر
فوق ذلك تراثاً نفيساً من عهود الطفولة ، كان مقدراً له
أن يخلد فيه لولا أن يجرفه سيل الحب المدبر أو تقلعه
رياح الهجر والخيبة »

وهذا ما كان ... فقد نسيت ما بليت به من قبل
وما دفعنى إلى هذا البلد مريضاً متعباً كثيب النفس ،

محطم العصب ونسيت من خلفت فى بلدى من أهل
وأتراب ... بل نسيت حتى زهرى الحبيب الذى
أقبلت عليه مشغوقاً مهتماً ولما تمض على فى ذلك
البلد سوى ساعات ، نسيت كل شئ إلا هذه السحابة
التي علت سماء قلبى الذى جئت هذا البلد آملاً أن تصفو
فيه سماءه من غيوم المرض وعواصف الرسوب ...
وقد كان ... إنما حجبت تلك السماء غيوم آخر
ولما تنصع سماءه بعد ، وكانت من نوع آخر ، كانت
تردنى برذاذ ناعم ينذر بوابل كثيف من المطر
والبرد ... وبمواصف ورياح لم يكن لقلبى بها عهد
ورحت أسائل نفسى محاولاً أن أخلق من الداء
دواء لما أصبت به ... أو تشمر بتلك العاطفة التى
ولدت فى حديثاً ونمت حثيثاً ، ولكى أستطيع إيجاد
الجواب أخذت أحلل كل ما كانت تبديه نحوى
وأفسر ما تعنيه من حديث وبسات ، ولكم ذهبت
فى تأويل بعضها مذهباً آلمنى إذ أعزرو ما كانت
تبديه نحوى من رقة وبسات ومجاملات ، إلى أنها
أمور عادية ليست من الحب فى شئ ، أمور توجبها
عليها غربتى عن بلدى وإضافتهم لى ... كما توجبها
عليها صلة الأسرة الوثيقة التى تربط كلينا

وعدا هذا ... فقد يكون ما تبديه محاولة إزالة
ما فى من هموم وأشجان أتيت بها من بلدى ...
وما كان أشد الألم الذى يجتاحنى ساعة أن أرى
فيما كانت تبديه هذا رأى !

ومرّت أيام ... ولس الكل فى تغيراً بيناً
فقد لازمنى الدهول والتفكير وأخذت أميل للوحدة
والانفراد عازفاً عن كل ما يقدم لى ويهيئ من

- رحلات وولائم ... راغباً عما وددت من الزهر والرفاق ...
- حتى كان يوم لن أنساء ، كنا فيه منفردين نتناول ما عدت به من النهر في ضحى ذلك اليوم من سمك صغير طرى .. وكانت كما ألقت مطرقة في سهوم تحديق في لا شيء ، حتى إذا ما تلاقى طرفانا غضت طرفها باسمه في حياء بسمه ما أسرع ما تغيب عن فيها المذب ... وكنت أقتر في أكلى فأضع الجيد منه أمامها ... ولحظت هذا فقالت :
- لمَ لا تأكل أنت ؟ أبق منه لك فكفاني ما طعمت ...
- فقلت وقد أدركت أن هذا خير وقت أهتبله لأبوح لها بما أكن
- لا يضيرك أمرى
- ولم ؟
- كلى أنت فإن شبعته فإن هذا كافٍ لى
- فقالت بخفوت :
- أيهمك أمرى ؟ ...
- ولم لا ...
- فأطرقت وقالت بنبرات صارمة أذهلتنى :
- ألا أستطيع أن أفهم ؟ !
- بإمكانك هذا ... إننى أحبك ... وقلتها كمن يريد أن يفهم
- وكان هذا القول إذ مسها كرياح الشتاء ، فارتجفت بشكل جلي وتغيرت سحنها ، فتساءلت وأنا أحاول أن أملك نفسى ...
- أيسوءك هذا ؟ ...
- فقلت بعد صمت بنبرات لا تخلو من رعشة وتهيج :
- لقد فات أوان هذا ... لست أهلاً لحبك الآن ...
- ونهضت باضطراب وسارت مسرعة حتى اختفت ومضت أمسية ذلك اليوم وأنا أسائل نفسى عن معنى ما قالت ... محاولاً أن أفهم ما تعنيه فلم أستطع . وقضيت ليلة لا كما قضاها الناس إذ يتها ساهداً ، وقد أفرغنى أن أجدنى محمواً مترخى الأعصاب ، وكانت تترأى لعينى أشباح رابعة صورتها لى الحمى . وأغفيت وقد لاحت فى الأفق تلامييع الصباح ... ولم أفق إلا على صوت الخادم المعجوز وهى تقول :
- لقد تأخرت اليوم فى اليقظة يا سيدى
- أجل ، فقد شهدت أمس
- أكنت مريضاً ؟
- لا ، بل متعباً
- هذا حق ... فقد أجهدت نفسك أمس فى صيد السمك ... وعلى فكرة ... أعجبتك طبخى لسمك الأمس
- جداً
- إن (لبيبة) قد عابته على ... ولكن مهلاً لو كان خطيبها هو صائده لما عابته
- وقلت وقد بانث الدهشة جليّة فى سؤالى :
- خطيبها ! أها خطيب ؟
- وقالت تنكر على جهلى :
- أجل يا سيدى ، ألا تعرف ؟ ... وتماذت

في الثثرة . أما أنا فقد كنت لاهياً عنها بصدمة
عنيفة فوجئت بها وجمعت ... وأخيراً عرفت
ما كان مجهولاً ... أو كدت

بعد أيام ثلاثة قضيتها في حال لا تسرّ ، كنت
أتمدد فيها الخروج كثيراً للخلاء حذراً من رؤيتها
كان البيت مهيئاً لوداعي وقد عجبوا لتعجّلي
بالذهاب ولا تقلابي الأخير ... ولكنني احتججت
بشوقي لأهلي وشوقهم لي ... وكانوا مشتغلين
بحوائجهم يهيئون لي ما أعدوه من هدايا وثمار ...
أما أنا فقد كنت أفكر في شيء أدت طرفي
باحثاً عنه فلم أجده ...

وسرت مطرقاً وفي نفسي مشاعر يغلب عليها
الأسى ، وفي ذهني صور وطيوف تتلاحم فيه ...
ورفعت بصرى بغتة ليقع عليها وهي تمدق فيّ بالم
وأسى ... وراعني فيها احمرار عينيها وأمارات الحزن
العميق والسهد المضي المرتسمة بوضوح في محياها ..
وكانت شفاتها تحتلجان كمن تريد الكلام
ولا تقوى عليه ... وأدارت وجهها لتخفي دمعين
ذرفتاهما عيناها

وخرجت مسرعاً وقد خيل إلى أن نحيبها يصل
إلى أذنيّ ويدوي فيهما
وعدت إلى بلدي ... وفي قلبي هم جديد ...
فيصل عبد الله

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالاثمانه الاثنية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة والسادسة في مجلدين

و ٥٠ عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخن وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

يستطيع أن يدفن ماضيه
في أرجاء باريس الواسعة
التي يضيع فيها كل شيء
ولا سيما إذا كان مثلي شاباً
متوثباً طموحاً على الهمة
موفور النشاط، وكان حسن
الهيئة، ذاميل إلى التجارة
ولقد عزم رئيسي قبل محفتي

إعزافا سجيناً

للكاتب الفرنسي فرانسوا كوبيه
بقلم الأستاذ ناجي الطنطاوي

أن يجعل مني شريكاً له . وكانت تحدثني نفسي بأن
شاباً مثلي له تلك المواهب يستطيع أن ينال منزلة
في الناس . فاستشعر الشجاعة ، وأحس بالرغبة
في مجاهدة الحياة ، واستسهل الصعب ، وحمل المكاره
والمشاق بصبر وثبات . كصبر (حصان العجلة ..)
لأحصل قوتي وقوتي مرجريت ... ولكن مالي
ولهذا ؟ ولماذا أفكر فيه ؟ لأدع الأمور تجري في أعنتها
فلكل شيء أوان ، وخير لي ألا أفكر في غد . فإن
غداً لي وأنا مطمئن إلى هناءه وطيبه ، وما أجمل
الساعة التي أغادر فيها السجن ، فأقف على الباب
أتلقت فيقع بصرى على وجه مرجريت الجميل ،
متوارياً في ظل العربة يتراءى من خلال النقب
شاحباً من فرط التهيج والاضطراب . فأدفع
للسائق مائة قرش وألقي إليه بعنواني ، وآمره أن
يُغذ السير إغذاً ، وأقفز إلى العربة فأخذ مكاني
فيها ، وتهوى الفتاة المسكينة بجسمها الفضي على
صدرى باكية منتحبة ، وما أعذبها قبلة أطعمها على
جبينها المشرق !

سنعود إلى عشنا في غرفتنا العليا بشارع
« مدام » تلك الغرفة التي تُرى منها حديقة

لم يبق بيني وبين الحرية إلا أن تشرق على شمس
الغد فتكون خاتمة هذه الأشهر الستة التي حكم عليّ
بأن أقضيها حبساً في هذا السجن جزاء اختلاسي
ألفي فرنك من صندوق رئيسي . فقضيتها فيه أذوق
العذاب الأليم ، تكفيراً عن ذنبي الذي أذنبت ...
ولن تحين الساعة الثامنة من يوم غد حتى
يدخل عليّ الحارس الموكل بي حاملاً إلى ثيابي التي
أخذت مني يوم أدخلت السجن ، وأبدلت بها هذا
الثوب الكالح البغيض ... لقد كانت جديدة نظيفة
وسأعود إذا لبستها إلى ذلك المظهر الأنيق فلا يفرق
الناظر بيني وبين غيري من شباب البلد .. وسأسرع
إلى كاتب السجن فأسأله محو اسمي من سجله ، ثم
أعدو إلى مرجريت فأراها في عربتها تنتظرنني على
باب السجن كما وعدتني ... فيا فرحتاه .. سأسترجع
حريتي كاملة غير منقوصة !

أجل . سأكون حراً ، وسأعود سعيداً . لأن
مرجريت التي من أجلها أجزمت جريمتي وسرقت ،
لا تزال تحبني ، وقد كتبت إليّ بالأمس تحلف عليّ
ذلك . وإذن فسنرجع كما كنا زوجين وفيين سعيدين
ولن نذكر أيام المحنة ولا نعود إليها . لأن المرء

- خلافاً للقانون - شمعاً أسطر على نورها هاته الكلمات ، سيدخل على غداً ليخرجني إلى النور والحياة ، فيذهل عند ما يراني معلقاً بإحدى حلقات النافذة بارداً متشنجاً ، كالخ الوجه مندلع اللسان ، وسيفرّ فرعاً... لكل شيء حينه ، فلا تنتظر حتى منتصف الليل

لأفكر ولا معنى في التفكير ، ولأحاول أن أتبين المشاعر التي تهيجني :

لزامٌ عليّ أن أعترف بأدى بدء أنني لا أحس أيّ ندم على عمل السوء الذي قمت به . لقد أقدمتُ على خيانة دنيئة سافلة ، إذ سرقت رجلاً أحسن معاملتي ، ووثق بي وكافاني بنبل وشهامة واهتمّ بمستقبلي ، وبلغ من احترامه لي أنه عزم على أن يجعل مني شريكاً له في أعماله ، ولكنني ويا للأسف لم أكن أهلاً لتلك الثقة ، ولم أثبت بعد ذلك ندمي ، أفبرهن عليه الآن ؟ أما أني لو أحسست مرة أخرى بيد مرجريت ترتجف في يدي حيال دكان (الجوهري) ولو رأيتُ مقلتيها الفياضتين بالآمال وهي تنو إلى سوار دقيق براق مزّين بالماس والذهب ، لطوّعت لي نفسي سرقة مئة قرش لأبتاع لها السوار . أسافل أنا أم معتوه ؟ لا أدري ولكنني أحدهما من غير شك . آه من هذه المرأة... ترى كيف قدر لي أن أقع في شرك غرامها سريعاً ومن النظرة الأولى ؟

لا أزال أذكر ذلك كأنه حدث الآن . طلب إلى اثنان من أصدقائي أن أرافقهما إلى الرقص العام الذي يجاور « مونتارتر » فرفضت طلبهما ، إذ أني كنت لقساً وكنت عازماً على النوم مبكراً ، ولكنني اضطررت أمام إصرارهما أن أعدل عن رفضي وتبعتهما

« الكسمبورغ » بكاملها . ألا ما أجمل أيامنا هذه أيام سبتمبر الأضحية ، ذات السماء الصافية والشمس المشرقة . لقد ارتدت الأشجار دون ريب حللها الخضر الزاهية ، وتفتحت أزاهيرها الفاتنة . يا لجمال الطبيعة ! سنجلس بالقرب من النافذة ، وسنرسم هذا المنظر الساحر ، وستغمر الشمس غرفتنا بأشعتها الذهبية العذبة مداعبة الستائر البيضاء ، نافذة في الأواني البلورية تاركة فيها لآلاء وبريقاً . ما أهناؤه طعاماً نتناوله فرحين مسرورين ، تأبى أبصارنا أن تكفّ عن تبادل النظرات في سكون وصمت ، وفي حنو ودلال . ستأخذ مرجريت مكانها إلى جانبي بعد تناول القهوة على عادتها فيما مضى واضعة ذراعيها البضتين على منكبي ، ملقية بذقنها الجميلة فوقهما وهي تنعم النظر في وجهي

سوف أنتشي من عبيرها المعطر ، وشعورها الشقراء ، تدغدغ شفتي ، ثم أغلق مصراع النافذة مسرعاً وأسدل الستائر وأوقد الشموع ، وأنزع ثيابي وأنتظرها مرتعداً مرتجفاً مرتفقاً مخدتي . ولا تسلم عن فؤادي الخافق والغبطة التي تملك عليّ مشاعري حين أبصر عنقها العاجي ومنكبيها اللذين يبرزان من خلال قميصها الحريري وابتسامتها الساحرة المغرية يا لله ! سأحظى غداً بكل ذلك ، بعد هاته الأشهر الستة التي قضيتها في العزلة المضيئة والوحدة القاتلة . سأحظى غداً بكل ذلك . يا لله ما أعذب الحرية وما أحلى السعادة ، وما أهناؤه الحب ...

ولكن ... إن كل ذلك لن يكون ... سأنتحر الآن بعد أن أنطق هذه الوريقات بما يوضح حاجتي الملحة إلى الموت . أوه ! هذا الحارس الذي باعني

صاف ، وكان في القُبلة الأولى التي سمحت لي بها عند صعودنا إلى العربة وانصرافنا من الرقص كثير من العطف والرحمة والحنان

لله ما أطرَبها وأبهجها ليلة قضيتها إلى جانبها ! لا أزال أحس حتى هذه اللحظة بحرارة دموعها المنهمرة على منكبي التي كانت تذرفها وهي تقص عليّ تاريخ طفولتها متشردة على أرصفة باريس ، وتاريخ شبابها البائس وسقوطها المؤلم في حمأة الرذيلة . لقد دفعتني حالتها المحزنة تلك إلى أن أسارع لإنقاذها ، وغدت بعد تلك الليلة تعيش معي بشرف واستقامة

لقد كان عملي ذاك مُحققاً بل جنوناً ، إذ لم يكن لدى من المال إلا مرتبي الذي أتناوله من صندوق « سان جرمان الصغير » فلو كانت مرجريت تعرف معنى التوفير والاقتصاد شأن كل الخدمات لاستطعن أن تعيش عيشة راضية ، ولكنها لم تكن كذلك وأأسفاه . كانت بطبعها واهنة الشعور ، نشيطة الجسم ، ولم يكن سقوطها الأخلاق ناجماً عن ميل طبيعي فيها ، بل كان الدافع إليه ضعفها روحاً وجسداً . وما بالك بفتاة طائشة كسول متخاذلة لا تنهض من سريرها قبل الظهر ، تقضي أكثر أوقاتها في مطالعة الروايات والقصص ، تصبر على تناول (السُّلطة) أياماً ثمانية علَّها تقتصد من ذلك بعض المال الذي تستطيع أن تشتري به لنفسها زوجاً من الجوارب الحريرية

غمرت داري فوضى شاملة : عند ما كنت أعود مساء من عملي ، كنت أرى مرجريت منهكة في تزينها الصباحي تجمل وجهها دون أن تفكر في طعام أو شراب ، فأضطر إلى أن أكلف الخادم بشراء

عزفت الأركسترا رقصة البولكا ، وكانت الأنغام شعبية يصدرها ناي مطرب ، وكانت تقفز في ذلك الفضاء الرُحْب بضعة أزواج من رجال ونساء ، وكان الجمع الحاشد يدور بلا انقطاع بفتور وكسل تحت أوراق الأشجار المضاءة . ولم يكدر يستقر بنا المقام حتى رأينا امرأتين تدنوان منا وتخفان لاستقبالنا . أما الكبرى فسمراء محففة^(١) الوجه — يبدو أنها خادمة في أحد المطاعم الليلية — يعرفها أحد صاحبي وتعرفه ، راحت تطلب منا بكثير من القِحة أن نقدم لها ثمن شراب تتناوله . وأما الصغرى فشقراء ، وقد كان موضعي بجانبها حول النضد ، وكانت معترّة بطلعتها البهية ووجهها المشرق الجميل وقوامها الرشيق . وكان يبدو عليها قليل من الخجل . ولاحظت بسهولة أنها لم تتعلم الرقص إلا منذ زمن قريب . لم يكن عليها شيء من الجواهر وكل لباسها ثوب بسيط متواضع أسود اللون ، ثوب فتاة مهذبة . أما قبعتها فقد كانت مصنوعة من اللباد تملوها ريشة وردية ، وكانت هيئة الفتاة تفرى أول متطلع إليها أن يقول لها برغبة وشوق : « أنتفضل الآنسة بقبول تناول العشاء معي ؟ » ولقد كانت قبعتها هذه كلوحة تسير أو علم يرفرف

جلسنا نتجاذب أطراف الحديث . كان صوت الفتاة عذباً كمينيها ، ولم تكن تعرف معنى للصلف والقِحة ، ولقد حياها أحد صاحبي تحية فظة فلم يك جوابها إلا ابتسامة حائرة يتجاذبها اللطف والنفور .. لقد كان مرآها يستدعي الشفقة والرحمة حقاً ، وقد أيقظ جمالها خيالي فشبهتها — رغم أني لم أكن شاعراً — بانعكاس نور كوكب دري في غدير نقي

(١) كناية عما يدعى بالفرنسية Maquillée

شيء من اللحم . وما حاولت مرة أن أوقظ صاحبتى وأعنفها على إهمالها ، إلا وكانت تجيبني غير غاضبة بقولها : أما أعلم يقيناً أنني لست تلك المرأة التي تليق بك ، ولكن ماذا تود أن أعمل ؟ أخرجني إن شئت ولن يكون لي حق الشكوى

لم أكن أدري بم أجيب ، ولقد كدت أعتقد أنها لا تهتم بي ، وأنني لم أستطع أن أحملها على حبي أأجرها ؟ كنت أفكر في ذلك باديء الأمر ، ولكنني عند تصور عواقب هجرانها كنت أرتعد من الهول : ستعود عقب هجري إياها ، وفي مساء اليوم نفسه ، إلى المرقص الرهيب الذي انتشلتها منه ، وسيمر بها أحد العابرين فتروق في عينه فيفقدوها إلى داره بعد أن يدس في يدها قطعة أو قطعتين من ذوات العشرين فرنكا ... أو اه ! إن رأسي لم يكن باستطاعته أن ينوء بتصورات كهذه ... أأجرها ؟ كانت تحدثني نفسي قائلة : إنك ستستيقظ صباحاً فلا تحس دفء جسمها بقربك ، فلا أكاد أسمع هذا منها حتى يغمر على من الخوف والحزن .

ولقد أصبحت حاجتي إلى تلك المرأة — بعد أسابيع قليلة — قوية شديدة ، وكثر ميل إليهما فلم أعد أستطيع الانفكاك عنها بحال . كنت أحبها ... وأحبها ... لا بل إنني كنت مجنوناً بحبها

ألم تكن تبين قبل أن أضمرها إلى في غرفة قدرة في فندق صغير ؟ ألم يكن كل ما تملكه ثوبها البسيط الذي كانت ترتديه وتلك القبعة ذات الريشة الوردية التي انفردت بها في المراقص العامة ؟ أما والله لقد بذلت جهد طاقتي لأقدم إليها ثياباً تضفي عليها الحشمة والوقار ولأجهزها بكل ما تحتاجه وتطلبه ، ويعلم الله أنني أنفقت في هذه السبيل كل ما أملك

من مال وعقار بل إنني استندت فوق ذلك أيضاً ... كانت لا تعرف النظام ، ولا تدري ما هي العناية . لقد بذلت كل ما بوسعي لأرضيها وأسعدها ، أتراها رضيت ؟ كنت أخشى دائماً أن تمنني وأن يحملها الضجر على هجري

لقد اضطررت إلى استدانة أموال وافرة من جلة أصحابي وأصدقائي لكي أرسلها إلى عملائي الذين راحوا يشكون من تأخري وإهمالي حقوقهم ... وانتابني لذلك أشجان بالغة لم أفض بشيء منها إلى مخرجيت

ترى أفأدني ذلك كله ؟ لقد قالت لي مرة بصوتها العذب الهادي — وأنا أعرف تماماً ماذا تعني — : « ماذا تود أن أعمل ؟ خير لنا أن نفترق لغير لقاء » فعقدت النية في نفسي آتئذ ألا أبالي بأية نكبة تحمل بي وأن أنظاها بأني لا أبالي أقوالها ، وأن أسمى لاستبقائها بكل وسيلة ممكنة ، وقد بدا لي المستقبل مرعباً مخيفاً

رأيت الرجال البائسين يشغلون أنفسهم ببعض الملامح ، وبدا لي هذا واضحاً في موظفي « سان جرمان الصغير » الذين كانوا يفيضون في الحديث أمامي عن مكاسبهم وخساراتهم في سباق الخيل الذي كانوا يشتركون فيه بحماس . وفي يوم من تلك الأيام التي كانت سوق المراهنات فيها رائجة وراجة ، أعلن رئيس معامل الحرير بلهجة الواثق أن لديه معلومات هامة مستقاة من (جوكي) كان معروفاً بين زملائه سماسرة السباق وسواس الجياد بلقب « البوق الجيد » كان يدعي هذا البوق أن « جران دوسيل » — وهو جواد غير مشهور — سينال جائزة السبق الأولى وأن الذين يراهنون عليه سيربحون عشرة أمثال المال

— ماذا؟ ماذا؟ إن ثمنه لا يقل عن ألف فرنك
فلا تكاد تسمع هذا الجواب حتى تباعد عن
الواجهة ببطء، وفي عينيها نظرة أسف عميقة وتقول :
— هيا بنا ... ما أجل هذه الألاعيب ، إنها
من نصيب سوانا

وفي تلك اللحظة كانت تعاود ذهني تفاصيل
مساومة الاصطبل التي قصها عليّ صديقي وكنت
أثق بنجاح جران دوسيل ثقة مطلقة ، وكنت أشعر
في أعماق فؤادي بدافع شيطاني قوي يغريني بأخذ
ألفي فرنك من الصندوق الذي كنت موكلًا به أشتري
منهما السوار لمرجريت ، وأتم مغامرتي بالمال الباقي ،
وكنت أبرر هذه السرقة ، بأن أقول في نفسي :
إن هي إلا أيام قلائل أستطيع بعدها أن أرد بكل أمانة
المبلغ الذي سرقتة إذا ما رجعت في مغامرتي ، ورأيتني
إذ ذاك متخلصاً من جميع همومي ومتاعبي ، مائلاً
جيوبى بالذهب الوهاج ، أتناول طعام الغداء الشهى
مع صاحبتى جالساً بجانبها في ظل حمام بالمسرح ،
عابثاً بين حين وآخر بشعرها المتدلى على عنقها
تخيلت ذلك كله في لحظة واحدة ، قبل أن تحول
مرجريت نظراتها عن الواجهة الساطعة .

وكنت أسحبها ضاغطاً على يدها ، مسرع
الخطى ، يخفق فؤادي خفقاناً شديداً ، ثم أشعر
بجأة برأسي يضرب ضربات ألوية موجعة ، ونفسي
تحدثني قائلة : « أما إذا لم تبيع ١٩ . »

كنت أرنو إلى رفيقتي من جانب عيني ، ولحسن
حظي كنت أراها ملتفتة برأسها إلى الجهة الأخرى ،
جهة المخازن لم ترني ، وقد رأيت في مرآة أحد المخازن
وجه مجنون يشبه وجهي ، ولكنني كنت أملك زمام
نفسي باذلاً جهوداً عظيمة .

الذي يدفعونه . ولقد رأيت أحد تجار الثياب الصوفية
باع أشواط الجواد « ست دوبيك » مع أنه كان
الجواد السابق في المضمار ، ورأيت آخر لا يريد
أن يرجع عن رأيه في الجواد « جران دوسيل »
وراح يدبر بإشارات مساومة دنيئة في الاصطبل
الذي اجتمعت فيه الخيول الشهيرة المروضة وكان
يريد أن يجعل النصر حليف هذا الجواد
فتملكتني مشاعر رهيبية أمام هذه المشاهد المغرية
واضطرب جسمي وحدثت نفسي قائلاً :

— لو عادت لي الآن قطعة الخمسة فرنك التي
كانت في خزانتي يوم عرفت مرجريت ، لحاطرت بها
في هذا السباق بلا تردد ولا إحجام . عشرة أمثال
هذا المبلغ ! خمسة آلاف فرنك ! يا للسعادة ! سأفي
كل ديوني وسأقضي حياة رغدة هنيئة . ستكون لي
مرجريت بلا منازع أشهراً طويلة ...

ولكن ... لم أكن أملك ساعتئذ إلا قطعتين
من ذوات العشرين فرنكاً ، واضطرت إلى طرد
هذا الحلم الذي لن يتحقق إلا في عالم الخيال وهزرت
كتفي ساخراً

كنت قد وعدت مرجريت ، رغم فقرى ،
أن أذهب بها في ذلك المساء إلى « فولي بيرجير »
حيث يرى كثير من الأقزام الغرباء الذين يبعثون في
النفس الخوف والرغبة ، وذهبنا سائرين على أقدامنا ،
يدي في يدها ، كي نقتصد أجرة عربة ومررنا تحت
شرفات « پاليه رويال » وكانت مرجريت تقف مراراً
— شأن كل امرأة — حيال واجهات الصاغة وتشير
بيدها إلى سوار دقيق مزين بالمالس قائلة :

— خبرني ، أي ثمن تقدر لهذا السوار الصغير ؟
فكنت أجيبها قائلاً :

وبعد ، فماذا تراه يحدث ؟ ماذا يحدث إذا أنا لم أربح ؟ سأجلس بلا ريب محني الظهر خافض الرأس على كرسي الاتهام وسأقاسى عذاب السجن وبلاءه إلى جانب المحرمين . لا يحدث شيء في هذه الدنيا دون مغامرة ومخاطرة ، وإذا كان حظي الخيبة والفشل بعد ذلك فسألقى على هذه المرأة التي جعلت منى خادماً لها ، والتي لم أستطع أن أوقف فؤادها البارد المتجمد ، سألقى عليها درساً يشعرها بحبي العظيم ، عساها تشعر أخيراً في أعماق فؤادها ببعض الحب لي فتتألم بدورها — مهما كان قاسياً — عندما تعلم أنني ارتكبت جريمة السرقة من أجلها .

ليس بوسعي الآن أن أصور العاصفة النفسية الخلقية الجارحة التي سودت وشوهت صفحة كرامتي . وليس بوسعي الآن أن أسرد حديث السرقة الشائنة التي ارتكبتها ، وآلامي النفسية المضيئة أمام قاعة المراهنات عندما كانت الخيول تعدو وهي تضرب ضرباً مؤلماً مبرحاً ، وصهيل الجواد « ست دوبيك » الذي كاد يسبق (جران دوسيل) في اللحظة الأخيرة لولا أن مدّ الأخير عنقه فأحرز قصب السبق بهذه الحركة الأخيرة !

لقد اكتشفت جريمتي ، وأوقفت ، وحوكت وأدنت وكان مصيرى هذا السجن الذي تحملت فيه ألوان العذاب والبلاء والذل والهوان ، والذي لن أخرج منه إلا ميتاً .

أواه ! الشد ما شكوت من الآلام الرهيبة الهائلة ، آلام لم تحملها إلى آلات التعذيب المفزعة ، ولم يسببها حرمانى الحرية ، ولا وجودى إلى جانب المشردين والمجرمين وقطاعى الطرق ؛ كلا ليست من أجل ذلك ، ولكنها آلام أثارته في فؤادى نيران الغيرة الرهيبة القاتلة .

لم أكن قد أحسست من قبل هذا الشعور الرهيب ، ولم يبد من مرجريت في تلك الأشهر الخمسة التي عشناها معاً ما يوقظه في نفسي . لقد كانت مثوجة الفؤاد ، ملازمة للدار طول النهار — ولدى أدلة على ما أقول — وفي المساء عندما كنا نخرج معاً لم أكن أرى في عينيها تلك النظرة التي تلقى بها كل امرأة — حتى أشرف النساء — ولو كانت برفقة زوجها ، إلى أول مار ينظر إليها نظرة إعجاب ... إن مرجريت لم تكن خليعة قط .

وقع ما تنبأت به ، إذ أن مرجريت قد حز في أعماق نفسها إجرامى ورأت فيه دليلاً على حبي لها ، وأشهد أنني رأيتها في جلسة المحاكمة تبكي بدموع صادقة مخلصمة ملقية تبعة سقوطى على عاتقها ، ومذممة لها بزيارتى في السجن — وكانت تدعى أنها أختى — بدا لي وجهها من خلال قضبان السجن شاحباً شحوب الموت دالاً على أنها تعاني حزناً عميقاً . لقد كانت تحبني ، وكنت واثقاً من ذلك كل الوثوق لا أزال أذكر المقابلة الأولى : كنا نتبادل النظرات من خلال القضبان الحديدية في حزن وشجن وأذكر أنى سألتها قائلاً :

— وأخيراً ... أراك أصبحت تشعرين نحوى بقليل من الحب ، أليس كذلك ؟
— لقد زاد حبي لك ، وأحسبك تدرك ذلك بسهولة

— ولكن فؤادك كان قاسياً قبل الآن
— إن عمك الأخير قد شجاني وخالط الحب من جرائه سويداء قلبي ، ولم أكن أعتقد قبل ذلك أنك تكن لي مثل هذا الحب الجامح القوي ... إختبر حبي لك إن شئت

— ليس لدى إلا شيء واحد يدفعني إلى الاعتقاد
بحبك لي واقتناعي به

— قل لي ما هو ؟

— هو أن تنتظري خلاصى وتبقى مخلصه لي

— أعدك بهذا ، وأقسم عليه إن شئت

— حسن ، وكيف تودين أن تقضى هذه المدة ؟

— سأعمل !

— تعملين ؟ أنت يا صديقتي تعملين ؟

— ولم لا ؟ لقد تعلمت الخياطة وكيف أبرع بها
وعادت إلى بعد ثمانية أيام وخلعت أمانى قفازيها
وأرنتى أصابعها التي تقبها الإبر ، وخبرتني أنها تعمل
في أحد المخازن المختصة ببيع ما تحتاجه المرأة ، وبدأت
ترج فرنكين كل يوم ، وغدت بعد أيام قليلة أكثر
حذقا وغدا أجراها ثلاثة فرنكات وابتسمت لي قائلة :

— يمكن أن يعيش الانسان بهذا المال القليل
عيش الكفاف ، وسأصبر عليه إذ لا يشغلني ولا
يهمني في هذه الحياة ، إلا أمر واحد هو أن تكون
يا عزيزى هائنا ومسرورا

ورأيتها تلفظ كلمة (عزيزى) باضطراب محاولة
أن تخلع عليها كل ماديها من عاطفة ، بعد أن كانت
تلفظها ببرودة وبكثير من الابتذال ، وترقرت عيناها
بعد ذلك بالدموع

لم أشكو إذن من حياة السجن وثيابه البالية
وطعامه الرديء وزملائي الذين هم سفلة الناس وليالى
المسعدة المضيئة ؟ لم أشكو من ذلك كله مادامت
مرجريت تحبني ، وما دامت تحصل قوتها بنفسها
لتبقى وفيه لي منتظرة خلاصى ؟ هل كنت أتصور
هذا من قبل ؟ آه ما أتعسنى وأشقاني ! إننى ارتكبت
جريمة السرقة من أجل امرأة ، وسأكفر عن

خطيئتي هذه ، وسيكون عزائى الأوحاد أن أرتنى
بين ذراعى هذه المرأة التي انقلبت خلقا آخر ، والتي
بعثت امرأة جديدة بفضل الحب وبفضل العمل
والتي ستكون أكبر رادع لي عن السقوط الخلقى
كرة أخرى . لقد أحسست بالشجاعة تغمر فؤادى
وسأحتمل هنا كل العذاب الذى أستحقه دون أن
أبدي تدمرا أو شكوى . ولقد كنت في أشد
الساعات هولاً ، هنا في السجن لا أفكر إلا في مرجريت
وكان الأمل الواضح الذى يبدو لي بين طيات المستقبل
الباسم ، ينعشني ويعيد لي نشاطى وعزى ، كأننى
تناولت شراباً منعشاً ، وكان زملائي الخفيفون
يسألوننى أحيانا قائلين :

— مالنا نراك سعيداً ؟ وفيم ابتسامك الدائم ؟

فكنت لا أحيّر جواباً

أنا السجين البائس ، أنا الذى كان الحراس
يزأرون في وجهه قائلين : من هنا — كما يقال
للكلاب — أنا السجين البائس عشت ساعات طويلة
كانت تغمر السعادة فيها جوانب نفسى وكان يفيض
قلبي هناءة وسروراً . ولقد دامت فترة سرورى
شهرين متتابعين كانت مرجريت في أثنائها تعاود
زيارتى بانتظام ودقة كل أسبوع ، وكنت أتطلع
في كل زيارة — وقلبي مغمم بالشفقة — إلى مقلتيها
اللتين أضناها السهر ، وإلى وجنتيها اللتين أشحبهما
البؤس ، وإلى أصابعها الداوية التي براها العمل ،
وإلى ثوبها الذى كان يفقد لونه على مر الأيام

ثم جاءتنى على حين غرة ، مرتدية ثوباً جديداً
فكان ذلك مثيراً لارتياحى ، ولحظت وجهى تتماوره
الشكوك فألقت إلى نظرة حادة وقالت باسمه :

— أراك تنظر إلى هذا الثوب الجديد ،

لقد وهبتني صديقتي كلوتيد التي كانت ممي في المرة الأولى التي لقيتك فيها ، أغرم بها شاب حتى درجة الجنون وراح يعمل من أجل إرضائها ما لا يستطيعه إلا المجانين . ولما رأت ثيابي الزرية الرثة أهدت إلى هذا الثوب الذي لم تلبسه إلا قليلاً ، ولم أره بحاجة إلى الإصلاح فهو جديد كما ترى

سمعت هذا الكلام فلم أستطع أن أصدق ، ذلك لأن مرجريت لم تحدثني قط منذ عرفتني عن هذه المرأة التي دعته كلوتيد وادعت أنها صديقتها ، وقبل أن أعرف مرجريت كانت المرأتان تقطنان أحد الفنادق متجاورتين وكانتا تذهبان معاً إلى المراقص العامة ... هذا هو كل شيء ، وكنت أذكر جيداً أن كلوتيد هذه فتاة قد ذوى شبابها وزال روائها وانطفأ جمالها وسقطت في مهاوى البؤس والفاقة ، وكان أقصى عمل تستطيع أن تقوم به هو أن تغوى أحد الشارين الثملين بفضل الأصبغة التي تستر وجهها ، ولن تستطيع امرأة مثلها أن تجد حبيباً ذا غنى لتتكرم على صديقتها بمثل هذا الثوب ... وزادني اعتقاداً بكذب مرجريت ارتجاف نظراتها واضطرابها ، واهتزاز جفونها ، ولم تكن عيناها في الحقيقة إلا عيني كاذبة !

وكدت أصرحها بكل ما فكرت فيه وما حدثتني نفسي به ، وكدت أميل عليها بالعقاب ، لولا أنني خشيت أن تهجرني إلى الأبد ، فسكت على مضض وأخفيت ما في نفسي ، وراحت هي تتابع حديثها العاطفي قائلة لي : إن أجرها قد بلغ ثلاثة فرنكات ونصفاً ، وأربعة فرنكات أحياناً في اليوم ، وأن لديها كثيراً من العمل حتى إنها لا تجد الوقت الكافي للقيام به ، وإنها بدأت تفتش عن مساعدة لها ،

وراحت ترسل الأكاذيب تباعاً دون خوف أو خجل . وثار في نفسي عاصفة قوية من الألم والغضب ، كادت تنفجر لولا أنني غالبتها ووجدت القوة على إخمادها وبقيت هادئاً حتى النهاية ، ولم أكن أجيب إلا بوضع كلمات نافهة على ثروتها التي لا تنتهي ، وأعتقد أنها عللت صمتي بحالتي المؤسفة التمسمة وتركنتي مرحلة واثقة أنها استطاعت خداعي

وظلت مرجريت تخدعني . وبينما كنت أتحمّل من أجلها عقاب السارقين كانت قد اتخذت - أواء ماذا أقول - اتخذت حبيباً ربما استسلمت إليه في الليل لقاء هبات نافهة . لأن رأيتها ترندى الآن ثوباً جديداً فأنا واثق من أني سأرى في يديها ، في المرة القادمة ، قفازاً جديداً ، وعلى رأسها قبعة جديدة ، وفي جعبتها أكاذيب جديدة تهيتني لمفاجآت جديدة . وباليتمها جاءني بثيابها الرثة كاتمة عنى حديث ثوبها الجديد ، ولكن ما إخالها استطاعت أن تظهر في الشارع بتلك الثياب ، وفضلت أن تخترع كل هذه الأكاذيب البشائنة ، وما إخالها إلا هازة كتفها قائلة في نفسها : « وماذا يهمني بالله إذا كان لا يصدقني ؟ » تبك لها من فتاة خائنة فاجرة ! أمن أجلها ارتكبت جريمة السرقة ؟ أمن أجلها دنست شرفي وشوّهت سمعتي ؟ ألا تعسا لي

ولكن . . . كنت أسائل نفسي قائلاً : لماذا كانت تزورني ما دامت تخونني وتبغضني ؟ ولكني كنت أحس الجواب في نفسي : إن الشفقة على كانت تدفعها لزيارتي ، كما يشفق الإنسان على خادم المستشفى فيحمل إليه قليلاً من البرتقال . أواء ! يا للعار ! أكانت تشفق على إذن ؟

قضيت ثمانية أيام رهيبة وأنا أدير هذه الخواطر

بينما كنت أنتظر في ذلك اليوم قدوم صاحبتى كنت أحاول إقناع نفسى بأننى أسأت الظن أكثر مما ينبى وأنه ليس من المستحيل أن تجمع المرأة عن طريق عملها بعض المال الذى تستطيع أن تبتاع به بضعة أثواب وحلى ، ومكّن هذا الخاطر من نفسى ذكرى عادت إلى : لم تتحل مرجريت أثناء زيارتها لى بالحلى التى قدمتها إليها وقد أصرت يوم المحاكمة على أن تعيد لى السوار الذى اشتريته لها بالمال المسروق ، وبرغم أنها كانت فتاة فقيرة فقد كانت تبغض الحلى المزيفة أشد البغض ، ولم أعرف أنها تحلت بأية زينة حتى أن أذنيها لم تكونا مثقوبتين . وقد هاجت هذه الذكرى شعورى . ثم ذكرت أننى وإن لم أر خاتماً فى أصبعها ، كنت لا أرى أثر العمل ظاهراً فيها ، ومع ذلك فقد حسنت ظنى - وإن كان من الممكن أن تكون قد قبلت حلياً ولم تبدها لى - وأحسست فى نفسى ميلاً لحسن الوفاة والمعاملة ، وكنت أريد أن أقنع نفسى بأننى ظلمتها بإساءة ظنى بها

قدمت على عاداتها فى الوقت المحدد ، ولم تكده تقع عينى عليها من خلال القضبان الحديدية حتى تبدد ارتيايى وزالت شكوكى ، ولكنها لم تكده تقترب منى حتى رأيت - أواه ، يا لسخرية القدر - رأيت فى أذنيها ثقبين غضين ! أصبحت تملك حلياً هذه المرأة التى كانت تبغض الحلى الزائفة ؟ رأيت فى أذنيها جواهر ثمينة بل لآلى وأظن أنها وضعتها لتحلو فى عيني ولتقدم لى دليلاً على رقتها ولطفها ، غير عالة أنه من اللطف أن تخفيها عني وتعفينى من رؤيتها ! منذ ذلك الحين لم يعد يداخلى أى ريب فى خيانتها ، وصممت إذ ذاك على الانتحار ، وقد كان

فى رأسى بلا انقطاع ثم تملكنى الذعر وقلت : هل تأتى لتزورنى فى يوم الزيارة القادم ؟ وتذكرت فى غمرة اليأس القاتل كم كانت مرجريت عزيزة على حبيبة لى ، وأقسمت أن أخفى عنها غيرتى ولا أبدى لها ارتيايى وألى وقد وفيت بهذا القسم عادت إلى بقعة ربيعية جديدة - كما قدرت - وكملت بها هيئتها وكان الاطمئنان والسرور يشعان من عينيها وبشرتها غضة . أكانت تعيش هذه المرأة فى بؤس ولا تحصل على قوتها إلا بخياطة رقع طول النهار والليل ؟

ورغم هذا كله ظللت شجاعاً - أو ساذجاً على الأصح - إذ كان يخيل إلى أنها تصيب بتظاهرها بالسرور وبإدعائها أنها تستخدم عاملتين مع مائة أ كذوبة من هذا النوع ، وتظاهرت بمشاركتها السرور ، ورجوتها بعطف ورقة أن تخلع قفازيها وأن تستند بيدها إلى الحاجز الذى يفصلنا لأستطيع لمسها بشفتى ، فأطاعتنى . ولشد ما كانت دهشتى إذ رأيت يديها غضتين لا أثر فيهما - ولا فى منتهى أصابعها - لثقب إبرة أو ...

ما هذا ؟ إني أسمع ساعة السجن ترن الحادية عشرة والنصف ، وستفنى قطعة الشمع الباقية لدى بعد وقت قصير فلاسرع إذن ولأختصر . إذ لو كان أمامى متسع من الوقت لسررتى أن أصف هنا القلق الذى انتابنى وغمرنى بالألم والذى يمكن بيانه بهاتين الكلمتين الرهيبتين : سجين غيور ! أجل ، يسرنى وإيم الله أن أصف وصفاً دقيقاً الآلام والشجون التى كانت تثيرها مرجريت فى كل زيارة جديدة ، ولا بد لى من وصف إحداها هنا إذ كانت أروع الزيارات وأقساها وأشدّها هولاً :

عند تلاوة هذه الصفحات ، ولكن كل شيء إلى نسيان ، وعند ما يسألك أحد أحيائك الذين تجمعهم بك المصادفة ، عند ما يسألك أن تقص عليه قصة حياتك لجرد التسلية ، ستكونين مزهوة كشيلا تكت. ستقفزين من سريرك عارية القدمين لتفتش عن هذه الأوراق في درج خزانك الذي تضعين فيه أوراق اللعب ، وعند ما تعودين إلى سريرك ستقرئين اعترافاتي هذه كل زائر ليلى مزهوة نخورة بأن شاباً بائساً تمسك انتحراً من أجلك وفي سبيلك

أواه... لقد انتصف الليل، وها هي ذى الساعة تدق اثنتي عشرة ، وها هي ذى ذبالة الشمعة تحترق هيا ... لأقتل غطاء السرير ولأربطه بالنافذة ، ولأحكم عقبه على عنقي ... لأتشجع ولأنته من آلامي ، ولأخلص من شقائي

نابجى الطنطاوى

(دمشق)

ظهر مرتباً

عبث الأقدار

قصة مصرية تاريخية

تأليف

نجيب محفوظ

يطلب من مكتبة الوفد والمكاتب الكبرى

الأحرى بي أن أصمم عليه منذ وقت طويل ، ولكن ما فائدة الكلام ؟ إن الإنسان جبان يخشى الموت . وبعد ، وبرغم كل ما ذكرت ، أعترف بأننى لا أزال أحب هذه المرأة ، وكنت أتمد في الليل على فراشي - إن صح أن أدعوه فراشاً - ساجداً في أحلام عذبة لا أرى فيها إلا مرجريت ... أواه ! لقد تناوبنى كل لون من ألوان الضعف ، ورحت أفكر في استرجاع مرجريت وغدوت أسخر من نفسي وأهزأ بغيرتي قائلاً : « إن ضميرك حساس ويقظ أكثر مما يجب أن يكون » ، ولكن التفكير في أنها خدعتني وأنها أصبحت ملك رجل - أوجال - غيرى بينا أنا موثق في السجن بسببها ، كان يدفعني إلى الغضب ، بل إلى الجنون .

أجل ، إن من الممكن - كما قلت في بدء اعترافاتي هذه - أن أتناول معها طعام الإفطار صباح غد في غرفتنا الصغيرة إلى جانب النافذة التي تطل على الحديقة الكبرى ذات الأشجار الخضراء الواهی . كم يكون ذلك جميلاً رائعاً ... ولكن ... لو حانت منى التفاتة إلى الموقد ، ووقع بصرى على عقب دخينة (الرجل) بين الرماد المحترق ، لو قدر لي أن أرى ذلك لتناولت سكيناً وأغمدتها في قلبها

ولكن لا ، لا أريد أن أغدو قائلاً . يكفيني أننى سارق ، وخير لي أن أموت دون أن أحمل لها حقداً أو موجبة وأقنع نفسي أن ما حدث لم يكن منه مفر ، وأنها كانت مخلصه لي ، وأنها مع هذا ربما كانت تحبني قليلاً في اليوم الذي لم تقو ويا للأسف على الوفاء به

وداعاً يا مرجريت ... إنك لا تزالين شريفة في أعماق نفسك ، وإخالك ستدرفين قليلاً من الدمع

— لا ... لقد حملت أنك
عدت إلى المنزل بعد رحلتك
هذه، وشعرك قد تحول إلى لون
الثلوج البيضاء ...

ولكن « اكسينوف »
لم يهتم، إذ صور له الخبث أنها
ابتدعت هذا الحلم ابتداءً كما
تبقية بجانبها شأن بنات جنسها
لا يردن أن يبتعد عنهن رجالهن .

وهكذا تركها ومضى إلى البلدة التي يريد هاتحي إذا بلغ
منتصفها رسمت له الأقدار خطة ونفذتها، إذ ألفت
أمامه في الطريق صديقاً قديماً كان يعرفه دعاه لأن
يقضي الليلة معه في فندق صغير

وأخذ كل منهما يقص على الآخر ما مر عليه
من أيام حلوة أو مريرة حتى إذا تأخر عليهما الوقت
صعد كل إلى حجرته

كان على « اكسينوف » أن يستيقظ في فجر
الصباح المقبل ليواصل رحلته المتعبة فنام قليلاً
ثم استيقظ ولما تتجاوز الساعة الثانية بعد منتصف
الليل فأمر خادم الفندق أن يهيء له جواداً وعربة،
ثم انطلق في جوف الليل البهيم بسرعة جنونية،
فقطع حوالى خمسة وعشرين ميلاً لم يستطع الجواد
المسكين أن يتابع مسيره بعدها

وفي نهاية هذه المرحلة وجد « اكسينوف »
فندقاً صغيراً وضع فيه رحاله وجلس يتناول فطوره
بشهوة منتظراً إشراق الصبح الجميل، وبينما هو يتجه
بصره إلى أقصى الطريق روعته أصوات عربة قادمة
وهي تدق أجراسها ذات الصليل المرتفع، أخذ يرقبها
حتى تبينها فإذا هي عربة البوليس يركبها ضابط
وبجانبه جنديان شاكي السلاح، فلم يهتم

المنفى

للفيلسوف الروسي نوسون
بقلم الأديب مصطفى مشعل

كان يقيم في فلاديمير تاجر ثرى يدعى « إيفان
دريش اكسينوف » يذكره سكان هذه القرية،
إذ كان في شبابه سكيراً معربداً يثير الإعجاب في صدور
نساءها بشعره الطويل اللامع وصوته الجميل الحلو،
ولاشك أن فتيات القرية الطائشات قد فتحن حديثه
قبل أن يؤخذن بقوامه الطويل وصدرة القوى
العريض .

ولكن « اكسينوف » لم يلبث أن استهواه
الوقار وتحتبت إليه الرزاة فترك الطيش وودع لهو
الشباب ومفاسده، وسكن إلى بيته بعد أن تزوج
ينشد حياة الهدوء والراحة، ويعمل لإسعاد أولاده
وإرضاء زوجته .

وفي أحد أيام الصيف القاطظ عزم التاجر على الرحيل
إلى قرية (ناذنى) لقضاء بعض أعماله التجارية، فأعد
عدته وحيا زوجته وهم بالخروج، ولكنها استوقفته
قائلة :

— إيفان ... لقد حملت الليلة حملاً مزعجاً ...

لا ترحل اليوم ...

فقهقه التاجر بشدة وهو يقول :

— بل قولى إنك تخشين أن أعرج في طريقى

على حانة أو أغازل امرأة ...

« اكسينوف » بهم إذ كان التعب قد هاجمه والنوم ابتداءً يداعب جفونه

ولكن الضابط تقدم منه يسأله عن اسمه وكيفية قضاء ليلته ... ولم هو منفرد ... وأين صديقه الذي نام معه في فندق واحد؟ ... وأجابه التاجر على ذلك كله بحسن نية وأردف قائلاً :

— هل لك في قليل من الشاي ؟

ولكن الضابط لم يجبه وأخذ يسأله بخشونة عن اسمه وصناعته وغير ذلك من أسئلة رجل البوليس عند ما يمثل أمامه مجرم ، فعجب التاجر من كل هذه الأسئلة المتلاحقة ، ولكنه وصف له كل ما فعله ولماذا غادر الفندق قبل الصباح ... ثم سأله :

— ولكن لم كل هذه الأسئلة ؟ إنك تسألني كما لو كنت قاتلاً أو سارقاً ! ...

ولم يجب الضابط بأكثر من قوله :

— لقد وجد صديقك التاجر مقتولاً هذا الصباح ، وأنت الوحيد الذي تتجه إليه الشبهة ثم نظر إلى رجله وأمرها أن يفتشها حقائبه ، وعندئذ ضحك اكسينوف من سذاجة هذا الشرطي وسمح له بما أراد ، وأخذ الجنديان يقلبان متاعه وهو ساكن لا يتحرك . على أن هدوءه لم يلبث أن انقلب رعباً وخوفاً ، ذلك أنه شاهد أحدهما يخرج من حقيبتة خنجرأ يقطر منه بعض الدم اللزج وعند ما رأى الضابط هذا المشهد صاح في التاجر :

— كيف تعمل وجود هذا الخنجر في حقيبتك ؟

— لا أعرف ... لا أعرف ... إنه ليس لي وأمر الضابط رجله ، فوضعا القيد في يده

ثم قذفاه إلى عربة البوليس كما لو كان قاتلاً حقاً ... كان اكسينوف بريئاً ... ولم يكن الخنجر خنجره ... ورغم أنه كان واثقاً من ذلك لم يستطع أن يمنع جسمه عن الارتعاش ، وصوته عن الاضطراب ... وأخيراً عن البكاء . لقد أخذوا كل ماله ... ثمانية آلاف وروبل هي كل ما يملك من ثروة ... وها هم أولاء يرسلونه إلى أقرب سجن ليلقبوه فيه ... ولاح له المصير الاسود الداكن الذي ينتظره ، فعاد مرة أخرى إلى البكاء بعد أن كف عنه . وراحت إشارات القبض عليه تسرى مسير الرياح ، وصقلتها السنة الرواة وشفاه المحدثين ، حتى إذا بلغت أسماع زوجه المسكينة خيّل لها حقاً أنه قاتل مجرم فلم تعرف ما تفعله وضافت الدنيا في وجهها

ها هي ذى ترى زوجها ملقى في أعماق السجن وليس لديها ما يكفل لها السفر مع أولادها إليه ... وها هي ذى تجد المستقبل حالكاً كسواد الليل وتحاول الوصول إلى ثغرة من النور فيه فلا توفق لم تجد المسكينة إلا إراقة دماء وجهها فطلبت من أصدقاء زوجها ما تستطيع الوصول به إلى حيث ألقوه متهماً بأشنع تهمة ، حتى إذا بلغت السجن منعوها عن رؤيته ، فراحت ترجو وتتوسل وتمعن فيهما إلى أن استطاعت أن تنال إذناً برؤيته

يا للحظة التي شاهدت فيها زوجها مرتدياً ملابس السجن كاللصوص والقتلة ! لم تستطع احتمال هول ذلك اللقاء فأغمى عليها ... وعند ما أفاقت جلست بجانبه تلتقط أنفاسها وهي تبكي بحرقة قاتلة ... قصت عليه كل ما فعلته منذ رحيله ، وحدثها هو بالحقيقة كاملة ... وأخيراً سأله من خلال دموعها المهمة على خديها الذابلين :

يداه من كثرة العمل، وانقلب شبابه الغض شيخوخة
هرمة، وزال ما كان يتمتع به من جاذبية طالما حبيبته
إلى قلوب نساء قريته ... كان يمشى ببطء ...
لا يتكلم إلا قليلاً ... بل نادراً ولم يضحك أبداً
ولكنه أحياناً كان يبتسم ابتسامة لا معنى لها

تعلم في مدة سجنه صناعة الأحذية وكانوا
يعطونه أجراً ضئيلاً تمكن بادخاره من شراء نسخة
من كتاب (حياة القديسين) . فكان يجلس كل
أوقاته يطلع فيه ... وفي أيام الأحاد يتوجه إلى شبه
الكنيسة المقامة هناك فيستمع إلى دروس الوعظ ،
وينشد معهم الأناشيد الدينية بصوته الذي كان
يحتفظ بالبقية الباقية من جماله

كان مستقيماً ... هادئاً ... وقوراً ... فأحبه
الجميع وتعودوا على طاعته والاستماع لشورته ، حتى
بات الحاكم بينهم لا مرد لحكمه ، وبات الجميع
يعطفون عليه وينادونه كأنه أبوهم الكبير

وكرت الأيام تسير على وتيرة الملل والسأم حتى
جاء إلى المنفى رجل ارتكب جريمة استحق عليها
ذلك ، فاجتمع حوله المنفيون يسألونه ويتنسمون
أخبار العالم ... أما « أكسينوف » فقد جلس بجوار
(الوارد الجديد) يستمع في صمت وفي تفكير ...
وراح هو يقص عليهم قصته ولكنهم كانوا متشوقين
لمعرفة اسم القرية التي جاء منها ليسألوه عن أخبار
ذويهم ، ولما لم يقل لهم سألوه :

— أخبرنا ... من أين أتيت ؟

فأجاب :

— من قرية « فلاديمير » أيها الرفاق ... واسمى

هو « سيمونيش »

وعند ذلك رفع « أكسينوف » وجهه وقد برقت

عيناه سائلاً :

— والآن ماذا سنفعل ؟

— ليس أمامنا سوى القيصر نشكو له

— لقد أرسلنا له عريضة فلم تحز القبول
لم يجب (أكسينوف) بل رmq الأرض بنظرة
تأهية ذاهلة بينما اقتربت زوجته هامسة :

— أوه يا أكسينوف ! ليتك لم تخرج في هذا
اليوم ... لقد حلت أن شمرك سينقلب أبيض
كثلوج سيبيريا ... ولكنك ضحكت وسخرت مني
وأخذت تعبت بشعره في حنان ورفق ثم قالت :

— فاينا ... أيها العزيز ... قل لزوجتك

الحقيقة ... اعترف لها هل فعلت ذلك ؟

بكي الرجل ورفع رأسه ينظر إليها بحدة صائحاً :

— أنت ! ... حتى أنت ! تظنين أنني قتلته ؟

وأطرق إلى الأرض يئن ويتوجع فلم يفق

إلا على صوت الحارس يطلب انصراف الزائرين ...

وكان الوداع ... الوداع القاسى الذى لم يستطع

أحدهما أن يمنع الدموع النهمرة من عينيه أثناء

كان الوداع الأخير

وما كادت الزوجة المكومة تتوارى عن عيني

(أكسينوف) حتى رفع وجهه إلى السماء قائلاً :

— إن الله وحده الذى يعلم الحق من الكذب

إليه وحده يجب أن نضرع ... وله يجب أن نشكو

ونرجو

ومنذ تلك اللحظة لم يتظلم إلى إنسان ولم يسأل

مخلوقاً

وأخيراً صدر عليه الحكم فنفوه مع آخرين إلى

سيبيريا حيث مكث هناك ستة وعشرين عاماً انقلب

في أثناء أعوامها الطويلة من سواده الجميل إلى بياض

ناصع ... تماماً كالون الثلوج في سيبيريا ، وتضخمت

— أخبرني ... هل تعرف شيئاً عن أسرة التاجر « اكسينوف »
— طبعاً ... إنهم أغنياء جداً ... وأبوم هنا على ما أعلم
ولكن عرفني أيها الأب كيف جئت إلى هنا؟
كان « اكسينوف » لا يرغب في الحديث عن نفسه .. وما جدوى الحديث عن النفس؟ .. ولكنه عندما عرف أن هذا الرجل من قريته ، بل ويعرف كل شيء عن أسرته اقتنع بقص قصته عليه ...
حكى له كيف جاءوا به إلى السجن ظالماً وكيف اتهموه بقتل صديقه كذباً ... وكيف دسوا له خنجراً دائماً .

وعندما فرغ اكسينوف من قصته لاحظت الدهشة في عيني الرجل وتتم بصوت خافت :
— إذن هو أنت اكسينوف ... حقاً إنه من الغرابة أن نلتقي ...

وعندما تقابلا مرة أخرى سأل السجين اكسينوف :

— ألا أستطيع أن أؤدي لك خدمة ؟

— ترى هل عرفوا القاتل الحقيقي ؟ ...

— لقد وجد الخنجر الذي قُتل به صديقك

في أمتعتك فمن ذا الذي وضعه فيها ... ؟

شعر اكسينوف أن محدثه يعرف أكثر مما يظهر ... بل قد يكون هو الذي وضع ذلك السلاح الملعون في أمتعته دون أن يشعر ... فهز رأسه ببطء ومضى في حاله ...

أي أفكار ناء تحتها المسكين وهو راقد في فراشه يفكر ... لقد أخذت الصور تتراحم على رأسه الكليل ... رأى زوجته وهي تمحده ... وهي

تضحك ... كانت تخلق دائماً في الفضاء ... شاهد أطفاله صفاراً كما تركهم ... أحدهما لم يزل في مهده ، والآخر يكبره بقليل ... وسبحت أفكاره وحلقت في اللانهاية ... تذكر كيف رحل رحلته المشثومة ، وكيف قابل صديقه ، وعربة البوليس وهي تدوى بأجراسها ... وأخيراً ... القيد وهو يطوق يديه ... تراءت له الأعوام الطويلة التي قضاها في المنفى ... تلك التي أبدلت شبابه كهولة ... اللصوص ... اللصوص ... لقد سرقوا منه العمر كله فما بقي منه شيء ...

شعر أنه احتمال العذاب بدلاً من « سيمونيش » ذلك السجين الجديد الذي وثق « اكسينوف » من حديثه ونظراته من أنه هو القاتل ... في ذلك الوقت شعر بعذاب الأعوام التي كرت في الشقاء والتعب يتجمع ليرسم له صورة مروعة كما ينتقم ، فلم ينام في ليلته تلك ، حتى إذا كان الصباح خرج مبكراً يسير فرأى « سيمونيش » جاثياً بقرب السور يحفر حفرة كبيرة ثم يغطيها بقطعة من الصفيح ... شاهد كل ذلك ثم سار ببطء دون أن يتكلم ، ولكن سيمونيش لحق به وأمسكه قائلاً :

— إنني أحفرها لأستطيع أن أهرب عند الفجر ... وإنني أطلب منك الصمت أيها الأب ... سنهرب سوياً ... أما إذا اعترفت لأحد فإنهم سيسلبونني الحياة ولكن بعد أن أكون قد قتلتك نظراً اكسينوف بكراهة نحو ذلك الشخص الذي سلبه الحياة وقال :

— شكراً لك ... ليست لدى رغبة في الهرب وليست هناك فائدة من قتلي ... لقد قتلتني حياً ذلك الذي وضع خنجره في حقائي ... من يدري ؟ ربما

كنت أنت ... إن الله هو الذى يعرف

وسار فى طريقه وفى عينيه دموع حائرة
واكتشف مدير السجن الحفرة فراح يسأل
الحرس والمنفيين دون جدوى فلم يكن يعرف من
أمرها غير أكسينوف وحافرها

ولما يئس نادى أكسينوف وسأله إذ كان يعهد
فيه الصدق :

— أيها الأب من الذى حفر تلك الحفرة ؟
كانت أمامه فرصة يستطيع أن ينتقم فيها من
ذلك الذى دفع به إلى السجن ولكنه ناجى نفسه :
— هل أنتقم منه ؟ سيشتقونه ... وقد يكون
ظنى خاطئاً إذ قد لا يكون هو ... أى فائدة تراها
ستعود عليه إن هو فعل ؟

وطال صمته بينما كان (سيمونيش) ينظر إليه
بخوف ... وأخيراً تكلم :

— إنك يا حضرة المدير بشر مثلى ... ولقد
أقسمت ألا أشكو لبشر أو أشكو بشراً ... وفى
استطاعتك أن تفعل بى ما شئت فلن أنطق باسم
الفاعل ...

وفى تلك الليلة لم ينام أكسينوف .. كان يفكر
 ويفكر ... وفجأة شعر بأنفاس قريبة منه فقام من
فراشه فراحه أن يرى سيمونيش أمامه فصاح :
— ماذا تريد أيضاً ؟

— إيفان أكسينوف ... إننى أطلب غفرانك
— من ماذا ؟

— أنا الذى قتلت صديقك ووضعت الخنجر
فى حقيبتك

لم يعرف ما يقوله ... وارتجف وهو ينازع
أحاسيسه بينما سجد سيمونيش صائماً :

— اغفر لى ... من أجل الله ... امنحنى

غفرانك ... سأعترف لهم وسيطلقون سراحك
فأجاب أكسينوف ببطء :

— إنه من السهولة أن تتحدث الآن عن إطلاق
سراحي ... ولكن تصور ستة وعشرين عاماً أقضيها
هنا ... كيف أخرج الآن ؟ وهل سيعرفنى
أولادى ؟ .. لا ... لن أخرج

لم يجب الآخر بل ضرب الأرض برأسه باكياً
وهو يصيح كطفل صغير :

— إيفان ... اغفر لى ... لم أعرف أننى أدفعك
نحو هذا المصير ... إننى أندم ... أقسم لك ...
أوه ... اغفر لى ... اغفر لى أيها الأب
وراح يبكي بكاءً مراراً ... فبكى أكسينوف معه
وهو يقول :

— ليغفر الله لك أيها الذى هدمت هناى
وسعادة أسرتى ... ليغفر الله لك أيها الذى مكثت
طوال أيامى أدعو الله أن ينتقم منك دون أن أعرفك .
ولكننى الآن أرثى لك ... لطالما اشتاقت نفسى
إلى الخروج من هذا السجن إلى حيث منزلى وأسرتى
أما الآن فليست لدى أية رغبة فى الحياة ... ماذا
سيفعل العالم برجل مهدم عاش كل ذلك العمر الطويل
بعيداً عنه ؟ . إننى لا أود الحرية بل أريد قضاء بقية
أيامى أعيش متأملاً فى سر عدالة الله ... ومعرفة
خواطر ونفوس من يحيطون بى ...

وعند ما صدر الأمر بإطلاق سراحه بعد
أن اعترف سيمونيش بجريمته كان ينازع سكرات
الموت ...

لقد بكاه الجميع ... وحزنوا عليه ... ولكن
سيمونيش كان أكثرهم بكاءً وأشدّهم حزناً وهو
يودع جثمانه الوداع الأخير ...

مصطفى مشعل

— أجل !

وبدلاً من الاستمرار ، أخذ
ستان وينتروب ينظر إلى رأس
باربارا الأسود ، ووجهها
البيضي الجميل المحبب ، وثغرها
الجميل ، وقد ضغطت شفها
السفلى بلطف ، ناظرة خارج
النافذة ، سابحة في أفكارها .
ثم أكمل قائلاً : « أود أن أختتم

هذه الرسالة الخاصة بتحييتكم جميعاً أيها العملاء ، أود
أن أختتمها بفكرة أنكم أكثر من عملاء ... أنتم
سفراء ! »

ثم توقف ثانياً . وتركت باربارا أفكارها تعود
إلى الماضي القريب إذ تناولوا الغداء معاً هذا اليوم ،
وإلى العشاء الذي تناولوه معاً منذ أسبوع ، ثم تتجه
إلى مساء سعيد مقبل ، والآن في هذا الوقت القريب
سيحتويها ستان بين ذراعيه ويغمرها بالقبلات .
إن العقل لشيء عجيب ! ها هي ذى تستطيع أن تجلس
في مكتب في نيويورك ومع ذلك يقبلها ستان بجانب
غدير في غابة ، حيث يغسل ضوء القمر كل قبمبح
في الدنيا فيكسبه جمالاً !

سأل ستان فجأة : « أين كنا ؟ »

— في « أركادي » .

هذا ما كانت تحب به ، ولكنها ملكت
زام نفسها . فقالت : « إنكم أكثر من عملاء ...
أنتم سفراء »

ورفعت بصرها ، فرأت ستان يسرع بإلقاء
نظره بعيداً . فوجب قلبها فجأة : فيم كان يفكر أثناء
دراسة وجهها القصيرة هذه ؟

فقرة جديدة - حب ...

للكاتب الأمريكي لارول هاردينج
بقلم الأديب أبو بكر علي

« فقرة جديدة » قال ذلك ستان وينتروب .
وفكرت باربارا بل ، وهي جالسة إلى جانبه وكتاب
الاختزال على ركبتيها ، كم هو لا ينتهي عن الإكثار
من الفقرات ! إنه يحب أن يملأ « فقرة جديدة »
كل بضعة جمل ، ولكنها لم تلق بالها ... لم تكن
تلقى بالها لأي شيء يفعل في الحقيقة ، لأنها كانت
واقعة في حبائل غرامه منذ شهر . حالة عقلية
مثيرة تطرد منذ اليوم الذي جعله فيه عمه وكيلاً
لرئيس للعناية بتقديم حالة البيع ، ومنحه باربارا
« سكرتيرة » ومعيمة ، قائلاً : « ستان ! إنني أترك لك
باربارا كنحة خاصة ، فهي ستمينك على تخطي النقاط
الوعرة » . وحتى في ذلك اليوم نظر إليها بطريقة
جعلت قلبها يخفق . وقال : « آمل ألا نجد — أنت
وأنا — أي نقط وعرة » .

وكما مضى العمل ، كانت « نقطه الوعرة »
قليلة قلة مدهشة ، لأن ستان كان — بكبرياء بسيطة
أعجبها — يعمل بمجد واجتهاد أكثر مما لو لم يكن
عمه رئيساً . كان يشعر شعوراً قوياً أن الناس
قد يظنون أنه إنما يدين بمنصبه إلى تلك القرابة

سأل ستان فجأة : هل قلت « فقرة جديدة » ؟

نهض بسرعة ودلف نحو النافذة كأنه يكافح أفكاره . ولاحظت هي كيف تلائم سترته منكبيه المريضين ؛ ونفذ إلى قلبها شعور غريب . وقف متأملاً ومفكراً ، ووجهه النحيل الجميل في وضع جانبي . أكان يفكر فيها ؟ لقد بدا الجو وكأن شيئاً كهربائياً يحلق بينهما ، وانتظرت باربارا معدومة الأنفاس ... وفجأة استدار وتكلم « حب ... » وأسقطت باربارا القلم

فأتى إلى جانبها والتقطه مدهوشاً وقال :
« ما الخبر ؟ »

فاحمر وجهها خفراً وقالت : « أنا ... أنا ظننتك ستقول شيئاً »

فطمأنها قائلاً : « سأقول » ورد إليها القلم . ثم أكمل : « حب الأدب بداية التعليم » . ورسب قلب باربارا إلى قرارها ، فلم يكن هذا سوى إعادة الإملاء : « هذا مبدأ كتب وينتروب الجامعة ، ورسالة لكم أيها العملاء ، لتحملوها إلى كل مدرس في أمريكا » . وتلاؤلات ابتسامة على ثغري ستان ، وقال : « هذا كل ما هنالك . ما رأيك في ذلك ؟ ها قد قلت شيئاً . ألم أقل ؟ »

ودت لو أجابت : « ولكنه ما لم أكن آمل أن تقول . كنت آمل أن تقول : فقرة جديدة يا باربارا أحبك ، أحبك »

لقد كان عقلها شيئاً عجيباً حقاً ، فقد استطاع أن يتصور النظر الخيالي : ذراعه حولها تضامنها إليه وهو يقول : « ضمي القلم ! إنما شركة وينتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم » . أوه ... نعم ، إنها تقدر أن تكتب هذه الكلمات الصامتة في عقلها وهي تجلس ها هنا إلى جانبه « سكرتيرة »

هادئة لا تبدى حراكاً . وفجأة أخرجها صوته من تخيلاتهما قائلاً : « لقد قلت ، لقد قلت شيئاً ، ألم أقل ؟ أم أنت لا تحبين ما قلت ؟ » فأجبت وهي تقف : « أوه ، نعم ، إنه سيكون فوق العظمة في الاجتماع . »

فقال متلهفاً : « أو تظنين ذلك ؟ » فوقفت بالباب قائلة : « بالتأكيد ، إنهم سيلتهمونه . »

— باربارا ، إنك لمون كبير

انتهى وقت العمل ، ولذا ذهبت باربارا إلى غرفتها الوحيدة وحمامها ومنظر هروب النار ، مفكرة كيف بدأ الأسبوع مفعماً بالأمل ، وودت أن تستمر آماله اللألاء بلا انقطاع . ولكن كان من خيبة رجائها أن تستيقظ في الصباح التالي وهي تشعر بوصب ، فلبأت إلى مقياس حرارتها الخاص ، واكتشفت أن حرارتها عالية . فنزلت إلى التلفون في البهو الأسفل وأخطرت المكتب أنها لن تذهب هذا اليوم لم تكن تحب أن تمرض ... لم تكن تحب في هذا اليوم والربيع قادم بكل ما تريد أن تعمله مع ستان وفي ثاني صباح شعرت بعودة التحسن ، بعد أن قضت يوماً في الفراش ، وعادت إلى العمل قال ستان : « لم أجذك أمس »

فأجبت باربارا : « لم أدر ما حدث . لقد حسبت أنني أصبت بحمى فلزمت البيت ، ولكنني أشعر اليوم بتحسن . »

فضحك ستان وهو يشعر بسرور قائلاً :
« ومنذا الذي لا يشعر بتحسن ؟ إننا في الربيع ! » ثم قال : « فلننجز بعض الأعمال الآن ، ثم يمكننا أن أخلو ساعتين للغداء ، وأمشي

في حديقة « سنترال » إلى حديقة الحيوان ، وأصنى إلى نباح كلاب البحر . وستذهبين معي . »

وهذا ما فعلاه تماماً ، في شمس إبريل الساطعة ، وخفقان الجوالدائم اللطيف . لم يجبا أن يعودا للعمل ، ولكن ستان قرأ أن الأفضل أن يجتمعا ثانية للعشاء ، ويقضيا المساء معاً .

واجتمعا ... ولقد فعلا مثل هذا سابقاً ، ولكن ليس في مثل هذا الحال ، حتى أن صوتهما كان حاراً رقيقاً بغير كلفة . وأثناء عودتهما بالسيارة ، أصبحت - فجأة - اللحظة التي أملتها طويلاً حقيقة ملموسة ، وذلك حينما انحنت باربارا إلى الأمام لتنظر إلى حانوت ، وتحرك ستان ليقبلها ، ونتيجة لحركتهما أطاح ستان قبعتها وأسندت رأسها إلى كتفه قائلة : « أخبرني عمك أنني هنا لأعينك على النقط الوعرة » وتلاشت بسماها في القبل التي غمرها بها ، ووقفت السيارة ساكنة تنتظر تغيير الأضواء ، وبدأت الدنيا كلها كأنها تقف ساكنة حينما أحست أن ستان يضمها بقوة ، وشفتهاه تهصران شفتهما في قبلة عنيفة تذوب رقة كلما مرت الثواني وغمر حواسها تأثير النشوة

ثم غمغم ستان : « باربارا الحبيبة ! »

لم تقل شيئاً تاركة السعادة تموج فوقها موجة إثر موجة .

وعند بابها ذهبت سعادتها وهو يقول : « سينقضي أسبوع قبل أن أراك مرة ثانية . »

فصاحت مدهوشة : « أسبوع ؟ »

— أجل ! لقد كنت أبغض أن أخبرك ، ولكن عمي أنبأني أنه يتوقع أن أمكث في شيكاغو حتى ينفض الاجتماع .

وإلى ما بعد ذهابه بيومين كانت ذكرى رفته

تعاودها لتطير بها كلما دخلت مكتبه الخالي أو خرجت منه ، وأحياناً تقف رائية - في غمرة من الشعور الحار - إلى قصاصات من ورق النشاف تركها مكتوبة كذكريات . وكانت واقفة تفكر بجانب قفطه في أصيل اليوم التالي حينما فتح الباب ونظرت مذهولة لقد كان ستان - بقبعته وسترته ، حاملاً حقيبة

سفره . ولكن الاجتماع لم ينفض بعد !

وقف أمامها ، وصدمتها النظرة التعميسة المرتسمة على وجهه . وشمرت بانقباض مفاجيء في قلبها . هل عاد بسببها ؟

قالت بضعف : « ما - ما الخبر ؟ لم - لم تمكث حتى ينفض الاجتماع ؟ » فرمقها بهدوء .

ثم قال بقوة مثيرة ، وهو يطوح بحقيبته وقبعته فوق أحد القاعد :

— لأنهم أخرجوني من المدينة بسخريتهم فاكتشفت أنه غاضب ، وهي تقف مندهشة أولاً ثم مروعة .

وأردف ستان :

— كان هذا شيئاً جديلاً سيئته لي بذلك الكتاب فسألت مرتبكة :

— أي كتاب ؟

— أنت تعلمين أي كتاب أعني . تلك الرسالة رسالة التحية للبائسين . كنت أظن دائماً أنك تحبين العمل معي ، وفي هذا ما يهم كلينا ، ونحن في هذا المكتب ، ولم أكن أحلم قط أنك تعلمين معي حيلة كهذه

فصاحت يائسة :

— ستان ! لا أعرف عما تتكلم ، أي كتاب ؟ ووقفت إلى مقعدها قابضة بقوة على جزئه الخلفي

مرتبة مجروحة الشمور ، بينما أخذ يقص عليها ما حدث في شيكاغو :

— جاست في غرفة الاجتماع الخاصة بعملاء وينتروب مصغياً إلى رسالتي يتلوها رئيس الاجتماع وكانت تلك الرسالة التي أملتها عليك أحد الأصائل عن حب الأدب ، وأنت تعلمين جيداً أى رسالة أعني ، وأحسبك أفدت منها سروراً عظيماً

علق على ذلك بمرارة واستمر بغضب زائد :

ستسرين إذ تعلمين أنك نجحت في جعلك مني مجنوناً كاملاً إذا كان هذا هو قصدك . كنت جالساً هناك مصغياً إلى رئيس الاجتماع وهو يقرأ كتابي بصوت مرتفع حينما فهمه كل شخص ضاحكاً .

وهنا اختطف الورقة من جيبي وقرأ لباربارا :
ورسالة لكم أيها العملاء لتأخذوها لكل مدرس في أمريكا . قل لها فقرة جديدة ، أيتها الحبيبة ، أحبك ، فقرة جديدة ، ضمي القلم ودعيني أحتويك بين ذراعي . أحبك ... أحبك يا باربارا . إنما شركة وينتروب نتيجة عرضية بجانب هذا الحب العظيم . ألقى ستان الورقة فوق مكتبه ثم استدار ووقف ينظر نظرة هائلة خارج النافذة

وسقطت باربارا إعياء فوق مقعد بجوار مكتبه وعقلها يكافح ويناضل ليفهم كيف حدث هذا . وأدركت مروعة أن هذه كانت كلماتها . الكلمات التي كتبتها ذلك الأصيل حينما كان يملئ عليها الرسالة والتي لم تكن تقصد أو تتوقع أن ترى

— أنا ... أنا كتبت هذه الكلمات في

« ورقة النشاف » ساهية

فاستدار غاضباً قائلاً : « ساهية ! »

— أجل ! كانت بعض أفكار عديمة الفائدة

خاصة بي . ولكنني لم أنسخ هذه الرسالة ، لا بد من أن تكون نسختها إحدى الفتيات من مذكراتي

الخاصة عند ما كنت متغيبية

فوضح مؤكداً : « لقد نسختها لأنك لم تكوني بالمكتب في ذلك اليوم ، إذ كنت مريضة حينما أعدت نسخها . كانت فتاة جديدة ، ولم تكن تتقن شيئاً » . وأضاف عابساً : « أحسبها ظنت هذا أسلوبنا في الأدب »

فقلت باربارا مدافعة : « ولكني أتيت في اليوم التالي وكان الكتاب فوق مكتبك - ولقد شاهدته - في انتظار موافقتك عليه »

فسار نحو النافذة فجأة وقال : « لقد أرسلته ولم أطلع عليه ثقة بك ، كذلك كنت في عجلة من أمري » . ثم نظر من فوق كتفه هائلاً وقال : « وكان هذا يوم أن نزهنا في حديقة سنترال »

فقلت باربارا في ارتباك : « أذكر أنك كنت تريد أن تسمع كلاب البحر تنبح » . فقال بمرارة وهو يفكر في اجتماع شيكاغو : « نعم ، ولقد نبخوا » نهضت باربارا واتجهت صوب الباب ، مدركة بكل ألم النظرة المرتسمة على وجهه . وقالت وقد خذلتها شجاعتهما : « ب ... بالطبع أظن من الجلي تماماً أنني أعد مفصلة من هنا بعد هذا »

فقال موافقاً : « هذا ما يجب » وحلق خارج النافذة عابساً

وفي المكتب الخارجى أخرجت كل أشياء الشخصية من قمرها ، ثم أغلقته وقد شملها شعور الوداع لمسكن قديم . وبعد ربع ساعة كانت تركب « مصعداً » يهبط بها إلى الطريق ، وقلبها ينخلع كلما مرت بطابق ، وغشيت عينيها سحابة من الدموع حينما خطت في شارع ماديسون . كانت تدرك وهي تسير مرتبكة أنها خلفت وراءها عملها ومستقبلها وسعادتها

أوت إلى منزلها وقضت باقي اليوم في غرفتها

قال: « كنت أحمق إذ أخذت هذا الكتاب جدياً هكذا . وإخالي أدرك كيف حدث . بجانب هذا ، يظهر أن بعض العملاء في الاجتماع غمزوا ذلك إلى أن لي رأياً غريباً في الكتابة المضحكة . وقد وصل إلى منهم عشرات من رسائل التقدير فإنيهم استحسنوا هذا » ورن صوته فجأة متوسلاً : « عودي يا باربارا ألا تعودين ؟ لا أستطيع أن أسير في الحياة بغيرك داخل المكتب أو خارجه »

فصاحت وقد طغت عليها موجة من السعادة : « ستان ! » وفي اللحظة التالية كان قد أحاطها بذراعيه وهو يقبلها وهمس قريباً من أذنها وهو لا يزال ضاماً إياها إليه : « أيتها الحبيبة ، هل تقبلين الإملاء الآن ؟ » حبست أنفاسها وهمست : إملاء ، الآن ؟ ! فقال في صوت خافت ومثير : « نعم ، فقرة جديدة - زواج » أبو بكر على

الصغيرة بخوف . ثم خرجت يومين تبحث عن عمل جديد في الصباح ، ولكن بقلّة اكتراث ، حتى أنها كانت تستسلم سريعاً وتمضى تدور في الطرقات بتبلد وخمول ، كسيرة النفس ، محمّلة في نوافذ الحوانيت ، غير مبصرة ما تنظر إليه

وقفلت إلى منزلها مرة في الظهر ، ولم تكد تغلق خلفها الباب حتى وجدت شخصاً آخر في الدهليز فنظرت مدهوشة ، فقد رأت ستان !

كان يبسم لها - يبسم حقيقة - بسمة عريضة ووجب قلبها وجيباً سريعاً وطفق يقول : « باربارا ، أطلب الصفح . إني آسف على أنني هجت هكذا في المكتب . لقد كانت إحدى تلك النقاط الوعرة وكان المفروض أن تعينيني على اجتيازها ، ولكنك تركتني » فقالت بثبات : « أترأى على أنني أنا التي تركتك ؟ » ولكنها شعرت بخوف شديد من الضعف الذي استولى عليها

أمنوا لدى

شركة مصر لعموم التأمينات

== احدى مؤسسات بنك مصر ==

تستثمر جميع أموالها في القطر المصري

وكلاء في جميع أنحاء القطر وفي السودان

الحلم والحقيقة

عن الإنجليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النصار

الفتاة واسمها جلوري، فأعرب لها
عن حبه وعن غبطته لها على
حياتها في هذا المكان

وكانت «جلوري» قد قضت
كل سنيها في تلك المدينة وملتها
فأعربت له عن كرهها لها وسأها
منها. ولم تشاركه في أي رأي من
آرائه بل كانت تضحك ساخرة

منها لكنها مع ذلك أوقدت في قلبه مصباحاً مضيئاً
من حبه ولما يمض على عهد تعارفهما ستة أيام
ولعل هذا الحب منشؤه شدة ما بينهما من
التناقض وأنه من المدينة وهي من الريف، فلدى كل
منهما من الحديث ما يشوق الآخر أو لعل ذلك لأنها
من ديفون ولأن حب ديفون جرى في عروقه
مجرى الدم

ومهما يكن من سبب حبه لها فإنه لما دنا اليوم
الآخر من أيام أجازته الستة شعر كلايف بأن هذا
هو اليوم الأخير من حياته. وما أحس في يوم
من الأيام بكره المدينة كما أحس بذلك وهو واقف
أمام تلك الفتاة موقف الوداع. وقال إنه سيأتي إلى
القرية في أجازته في العام المقبل، فأجابته في دلال بأنها
لن تكون موجودة. ثم سطعت عيناها بنور متألق
وقالت: «إنني لا أستطيع البقاء هنا طول العمر
فأنت لا تدرك كم ألقى من السأم والملالة في هذه
الوحدة وأريد أن أغير نظام حياتي. وسأذهب
لألتحق بالسرّح»

وكان هذا هو أكبر أمل للفتاة. وأمر كلايف
أصابه بين خصل شعرها برقة وأدرك أنها تعني كل

في المكان المصون من قلب المرأة تختزن
الذكريات العذبة لا بتسامة، أو للمس يد، أو لصدى
صوت من رجل تحبه. ولهذا الذكريات عبير في ذلك
المكان المستور من قلبها، ولولاها لكان خالياً من
كل شيء

لكن الرجل لا يختزن في مثل هذا المكان
من قلبه في العادة إلا ذكريات اللعب كسباق أو مرهنة،
والإذكريات النجاح ككسبه مالاً أو تفوقه في عمل،
أما علاقته مع النساء فهي في درجة ثانوية بعد تلك
الذكريات العزيزة

لكن «كلايف سلفرلي» لم يكن من هذا
النوع من الرجال فقد كان يختزن في ذاكرته صورة
لا تقوى على محوها السنون، وهي صورة فتاة ذات
عينين سوداوين تثيران بلحظتهما مثل عواصف
البحر العميق

وقد رأى هذه الفتاة في مدينة «ريدل كومب»
عند شاطئ الديفون. وكان قد ذهب إلى هذا
المصيف وهو في الحادية والعشرين من العمر فأدهشه
عظم الفرق بين الحياة الهادئة فيه وبين ما اعتاده من
الحياة في لوندرا. وأعجب بجمال المصيف وبجمال تلك

من أكل البيوت . وكانت دائماً هادئة جادة من جنس النساء اللواتي تذكر رؤيتهن بالحياة العائلية الوداعة ...

وكان كلايف وكلارا صديقين حميمين عدة أعوام، وكان المستر « ماتيومان » يدعو كلايف إلى منزله في مواعيد منتظمة فنشأت من هذه الزيارات فرص كثيرة لينفرد كلايف وكلارا

وكان « ماتيومان » كلما دعا كلايف إلى منزله احتج بأنه يريد كتابة رسائل ، أو مثل ذلك من المعاذير . وانسحب إلى مكتبه تاركاً ابنته وموظفيه فتدعو تلك ضيفها إلى الحديقة أو تعزف له على البيانو أو تكتفى بالجلوس أمامه للحديث لتزيد من روابط الصداقة

ولم يخطر بباله قط أن مخدومه يدعوه إلى منزله لأي غرض يتعلق بابنته . لكنه في يوم من الأيام أدرك الحقيقة بزوال الستار من أمام عينيه ، فإن ماتيومان ترك كلارا وكلايف وحدهما وكانا إذ ذاك يشتغلان بحل لغز منشور في جريدة . وكان رأساهما متلاصقين في أثناء اشتغالهما بذلك . وكانت يده على غير انتباه منه مسندة إلى ظهر الكرسي وراء ظهر الفتاة . وكان يقول لفظة لتكتبها في حل اللغز ، وكانت تقول كلمة أخرى . وفي هذه اللحظة دخل ماتيومان . فلما رآهما متلاصقين قال : « أنا آسف » ثم أسرع بالالتفات وبالخروج من الغرفة

فنظر كل من كلايف وكلارا إلى الآخر في دهشة وتظاهرت بأن الورقة سقطت من يدها ، فمدت يدها لتأتي بها فلاحظ كلايف أنها ترتعش

وذهب كلايف إلى منزله في هذا المساء وهو يفكر فيما حدث ، وقد كان ما حدث قليل الأهمية

حرف مما تقول ولكنها لا تستطيع أن تفارق (ريدل كومب) . على أنه لم يقل ذلك بل ابتسم ابتسامة خفيفة وقال : « ولكنني سأتي وإذا لم أجذك فإني لن أصفح عنك »

وكان آخر عهد له بها حينما كان يذرع الطريق إلى العاصمة وهي واقفة مكانها تلوح له بالمنديل . وبر بوعده فزار تلك المدينة في العام التالي وفي كل عام تلاء من الأعوام الخمسة ولكن جلوري برت كذلك بقولها فإنها ذهبت ولا يعرف أحد إلى أين . وقد أخبروه بأن عمته ماتت تاركة لها المنزل الذي كانت تقيم فيه وقليلًا من المال وأنها باعت المنزل وهجرت المدينة ...

ولما سمع كلايف هذا القول مر خاطر بذهنه . وشعر بأن جلوري لا بد أن تكون في لوندرا لأنها البكبة التي كانت تولى وجهها شطرها منذ سنوات . ومضت سنوات ولم يرد كلايف أن ينتزع أمل لقاءها من فؤاده . لكنه بمرور الزمن أدرك سخافة غايته لأن جلوري إن لم تكن قد نسيت الأيام الستة التي عرفها فيها فهي لا تعير تلك الأيام كبير اهتمام ولما بلغ الحادية والثلاثين محاً من ذهنه كل أمل بلقائها . لكن هذا الأمل بقى أقوى نزعة في نفسها الضعيفة النزعات . ولم يجلب ذهن كلايف أن يتزوج من امرأة أخرى ، فصرف كل جهوده إلى ترقية مستقبله ، ونجح من هذه الوجهة نجاحاً عظيماً ، فقد أصبح صاحب ضيعة مثل التي بدأ حياته العملية موظفاً فيها وهي ضيعة المستر ماتيومان

وكان « ماتيومان » هذا أرملاً ولم يكن له من الأبناء غير بنت اسمها كلارا وهي اليوم في الثامنة والعشرين ، وهي مثقفة أنيقة جعلت بيت أبيها بمنائيتها

في ذاته ولكن الأمر الهام فيه هو مسلك الوالد

في الصباح التالي كان ماتيو مان يتكلم مع كلايف في شأن من شئون العمل ، فلما انتهى قال صاحب العمل : « إنني كنت في العهد الأخير يا كلايف أفكر في المستقبل قرأت أني في نهاية أياي وقد حان الوقت الذي يجب أن أطمئن فيه على نظام بيتي ونظام عملي وليس لي وارث غير كلارا ولا يستطيع القيام بأعمالى أكفا منك ، فإذا مت الآن فإنها ستعير تحت رحمتك »

فتظاهر كلايف بأنه يمسح أذنه ، واستمر صاحب العمل يقول : « ولا شيء أحب إلي من أن أراك زوجين . وقد انتظرت على أمل أن أرى علامة على وجود الحب بينكما فلم أثبت ذلك إلا مساء أمس . والذي أقوله لك الآن هو أنني أوافق على زواجك منها إذا هي أرادت ذلك ، فاستمر في طريقك معها ولا تنتظرا حتى أموت فإنكما الآن تضيعان أسعد أوقات الحياة »

ولما أتم ماتيو مان جملة مشى مسرعاً نحو الباب ثم التفت وهو خارج وقال لكلايف : « أنا منتظرك اليوم للمساء »

أسند كلايف ظهره إلى الكرسي وكان يهم بأن يقنع ماتيو مان بأن الذي قاله ليس له أثر من الصحة ؛ لكن قوة مجهولة أسكتته ووجهت ذهنه في اتجاهات مختلفة

ولماذا لا يتزوج من كلارا ؟ إنها فتاة لا يوجد بين الفتيات مثلها إلا واحدة في كل ألف ، وهي مستجبة لكل صفة يجب أن تتوافر في المرأة الصالحة . لكنه لم يفكر قط في الزواج منها ، فهل

ذلك لأنها ابنة مخدومه ولأن مثلها يجب أن تبقى لمثله موضع احترام وإعجاب دون أن تكون موضع امتلاك ؟ أم لعل ذلك بسبب الأيام الستة التي قضتها مع جلوري منذ عشرة أعوام !

ونجسم في ذهنه خيالها ؛ فوجد نفسه مضطراً إلى الموازنة بين فتاتين ، جلوري تشبه العاصفة الثائرة ذات الزوابع والأعاصير ، وكلارا تشبه الصيف الهادي ، وفيها من الصفات كل عزيز محبوب .

وهي دون جلوري في الجمال ؛ ولكن جمالها من النوع الذي يسعد الرجل ويشعره بالراحة والاطمئنان وقال كلايف في نفسه وهو يوازن هذه الموازنة بين الفتاتين : « نعم إن الحياة مع كلارا ماتيو مان ستكون سعيدة ولكن جلوري ... »

وخال وهو يفكر في الاسم الأخير أنه لم يسمع صوتاً آخر ينادي به ، ثم أظلمت الدنيا في عينيه مقدار لحظة تبليج بعدها نور لا يراه إلا الشعراء في تصوراتهم الخيالية . ورأى في ذلك النور شاطئ البحر وهاتين العينين اللتين رآهما على شاطئ الديفون ، ورأى على الرمال الصفراء فتاته جالسة كما اعتادت الجلوس إلى جانبه ، وسمع صوتها وهي تحدثه في كل الشئون مناقضة رأيه في كل موضوع .

قام كلايف إلى النافذة وفتحها فأطل منها وهو بذلك يحاول أن يطرد هذه الرؤيا . وعاد إلى التفكير فقطب جبينه وأدرك اضطرابه إلى مواجهة الحقيقة التي واجهه بها مخدومه وأدرك أن جلوري التي ظل يطاردها عشرة أعوام لا بد أن تكون قد نسيته ، وقد تكون الآن أمماً لعدة أبناء ؛ فلماذا يقضي حياته في أحلام خاوية !

لأنه سيصير سعيداً مع كلارا وهما هي ذى كلارا أمامه

فوق مجالات الشكوك، وإذن فسيترج منها
وصل إلى هذا القرار في بطن، ولكن في يقين
كما يصل إلى معرفة الحقيقة قائم لتسوء من النوم
بعد حلم طويل سار

لقد كانت جلوري هي الحلم وكانت كلارا هي
الحقيقة، واستعاد في ذهنه أريج علاقته مع كلارا
فوجد أنها تحبه وتعني به وأنها تعطف عليه عطفاً
حقيقياً، وأدهشه أنه كان في عمى عن هذه الحقائق
عدة أعوام

وذهب إلى العشاء فلم يدهشه أن ماتيو مان
تخلف عن المنزل في ذلك المساء. ووجد أن كلارا
مرتدية أحب ثيابها إليها وهي أبسط ثيابها أيضاً،
وهو ثوب قرنفلي اللون عارى الصدر له بدل الكمين
وردتان على الكتفين تشبك عندها أطراف هذه الغلالة
وبدت له كلارا جميلة في هذا الثوب كما ينبغي أن
يكون الجمال.

وبعد تناول العشاء جلسا في قاعة الاستقبال
واقترحت عليه عزف الموسيقى ولكنه أبي لعله أن
أهم ساعة في حياته آزفة وأن عليه أن يتهيأ لها،
ولعل هذا الرفض آلمها لأنها بقيت مطرقة لحظة.
ثم تناولت نسخة من مجلة ووقف كلايف ثم قال:
« إن أباك كلمني اليوم عن حادث الأمس »

ثم سكت مفكراً فنحّت وجهها كيلا يرى
التأثر البادي عليه، ولكن ذلك كان بعد أن ظهر
النور الساطع على عينيها والابتسامة المشرقة على
شفتيها وبعد أن اختضب وجهها بلون الخمر

واستمر كلايف يقول: « فهل من الممكن أن
يتحقق ذلك يا كلارا؟ إنني لا أجرؤ على الطلب فإن
الذي أغرمه بذلك قليل والذي أكسبه كثير »

فأجابته: « إنني لم أكن أظن أنك تفكر في »
فقد كان يبدو لي أنك بعيد جداً، وكنت أخال أن
بيني وبينك فتاة أخرى تشغل أهم ركن من حياتك »
فاحمر وجه كلايف ووجم لأن هذه الكلمات
أعادت إليه صورة جلوري. ورأى أن يفضي إلى
كلارا بسر لأنه لم تعد حاجة إلى بقاء سر مكتوم،
وحدثها فبدت على شفتيها ابتسامة غريبة وقالت:
« لقد كنت أشعر بأن في الأمر شيئاً من هذا القبيل؛
ولست كذلك قصتي فإنه لم يهتم بأمرى أي فتى
ولم يرتبط قلبي بأي إنسان فاسمع قصتي: إنني أحب
أن أكون صريحة معك كما كنت صريحاً معي.
إنني أحسد صديقاتي الفتيات على أصحابهن من الفتيان
وكنت أتمنى أن يكون هذا الصاحب دائماً،
ولذلك كنت لا أحلم بالمخاض بل بالزواج. وأخيراً
جئت ... »

ثم تنفست طويلاً وقالت: « لقد كنت في
نظري كما كانت جلوري في نظرك. فإنك كنت
الرجل الوحيد الذي عني بأمرى فنسجت أحلامي
حولك. ولكن مرور الزمن أقنعني بأنك تعيش
في عالم آخر وأن وجودي جاء عرضاً في حياتك.
ولم يسؤني حبك لجلوري فقد كنت أنتظر أن يكون
بقلبك مثل هذا الشاغل. وأنا أعجب بك لإكرامك
ذكرها. ولكن هناك نقطة واحدة أريد أن
أستوثق منها »

قال كلايف: « ما هي؟ » فقالت: « هب أنك
قابلت جلوري مرة أخرى فهل ذلك يؤثر علينا؟ »
فقال كلايف بغير تردد: « كلا فليس سواك
قادراً على إسعادى » وقد كان كلايف في هذه اللحظة
يعتقد صدق ما يقول وكانت كلارا تعتقد أيضاً

نزاهته لأنها لم تكن تشك في أية لفظة مما يقول .

ثم انتقل كلايف وكلارا إلى الأرض المسحورة التي يقيم فيها العشاق وتبادلا الرأي فلم يظهر لأحدهما عائق يحول دون الزواج . وحددا يوماً بعد شهرين للزفاف .

ولما لم يبق إلا أسبوعان على هذا الموعد تلقت كلارا دعوة من زميل لها في عهد الدراسة لإقامة حفلة الذكرى العاشرة لزوجها فاستصجبت كلايف وذهبت . ولكن تلك الدعوة التي وصفت بأنها وليمة لعدد صغير من الأصدقاء كانت تضم أكثر من مائة مدعو من مختلف الطبقات

وكانت كلارا جالسة تتحدث مع جمع عندما أقبلت عليها صديقة لتقدم إليها آنسة باسم مس أوسترلي وصفتها بأنها من أشهر الموسيقيات . ودار الحديث وكلايف لاه عن جزء منه ولكنه تنبه عند ما سمع ذكر اسمه فقام ولكن ليواجه تلك الموسيقية وهي صاحبة جلوري

قالت مس أوسترلي : « أذكر أنني رأيتك يا مستر كلايف منذ عدة أعوام في (ريدل كومب) فقال : « نعم »

ضحكت ورمته بنظرة قوية لتسبر غور نفسه . فقال : « إذن فأنت لم تنسى . وقد نلتقي مرة أخرى لنحدث مثل أحاديثنا السالفة .

رمقت جلوري كلارا بنظرة ثم نظرت إلى كلايف نظرة أخرى قامت على أثرها . وقال كلايف لخطيبته : هذه هي جلوري . فهزت رأسها ، وقد بدت عليها علامة التفكير ، وكانت عيناها مثل عيني كلايف تراقبان حركات هذا الجسم الجميل .

كان كلايف يحاول أن يعود إلى طبيعته فيتكلم متبسطاً ، ولكن أنى له ذلك وقد وجد جلوري ، واسترد من عمره عشرة أعوام . لقد رآها مرة أخرى ورأته وأنجلي عبء الأعوام التي كانت تفصل بينهما ولم يكن مرور الزمن لينقصها شيئاً من جمالها فهي الآن كما كانت في المصيف ، وقد تحققت أمنيتها فأصبحت من كبريات الممثلات ، ولو أنه كان من هواة المسرح لالتقى بها من زمن بعيد . وشعر في أعماق نفسه بصوت يسأله : لماذا لم يكن كذلك . ومهما يكن العزم الذي اعتزمه فيما يتعلق بالزواج فإنه أصر على ألا تضيق فرصة لقائها دون أن ينتهزها فطلب إليها إعادة عهد قصير كمثل الأيام الستة

وبدأ الرقص فرقص كلايف مرتين مع كلارا ، ثم قال لها فجأة : أريد أن أكرم جلوري مرة أخرى يا كلارا إن لم يكن لك اعتراض ، أما إذا اعترضت فلا . فترددت كلارا ، ثم ابتسمت ابتسامة لا يعرف أحد كم كلفتها من العناء . غير أنها عادت إلى نفسها وقالت : لا أرى مانعاً بحال من الأحوال .

وقد كانت أكثر إدراكاً من كلايف نفسه لحقيقة الشعور الذي شعر به . ولكنها مع ذلك تركته يذهب لملاقاتها .

ومشى إلى حيث كانت جلوري جالسة ، ودعاها إلى الرقص ، وظهر وهما يرقصان أنهما تناولا طرفي خيط الصداقة القديمة الذي قد كانا فقداه . وقالت له وهي ترميه بنظرة قائلة : إنك لا تدري مقدار شعوري بالإهانة من وجودي وإياك في مدينة واحدة عدة سنوات ، ثم لا تحاول البحث عني

فقال : إنني لست من هواة المسرح ، ولم أر قط صورتك في جريدة .

قالت : « لقد كنت أظن أنك لا تريد . وقطعت الأمل من زمن بعيد »

ثم أبرقت عيناها ، وهي ننظر إليه فقال وهو كالسحور : « ها أنت ذى هنا وشعورى نحوك كما كان ولكن ألم تعودى إلى ريدل كومب ؟ »

وهنا امتنع العزف وانتهى الرقص ؛ فقاده إلى القاعة وهو يقول فى نفسه : « إننى أشعر الآن بأنى عدت أصغر مما كنت بعشرة أعوام »

وأشعل لفافة من التبغ ، وتناولها بيد ترتعش كراكب السفينة الصغيرة عند هبوب العاصفة فأجابته : « لم أستطع الذهاب فى العامين الأولين وظننت أنك نسيت »

قال : « إننى لم أنس »

فقلت مقاطعة : « حتى رأيت كلارا ماتيومان »

قال : « إننى لم أنس حتى بعد معرفتها ، وقد أخبرتها عنك فقد ظننت أنك تزوجت » فقالت مستنكرة : « أنا ؟ »

وكان الفكرة أدهشتها فقالت : « لماذا ؟ »

وتغيرت ملامح وجهها فجأة وقالت : « لقد كنت حقاً وفيه بالمهد » فقال : أحقاً ؟

لكن جلورى لم تجبه وهزت كتفها وظهرت على وجهها علامة ليس من السهل أن تبين كنه الشعور الذى تعبر عنه ، فقال كلايف : « هل كنت تنتظرين كل هذه السنين الطويلة ؟ »

ألقى هذا السؤال وانتظر الرد وهو يكاد يكون منقطع الأنفاس ، وظلت جلورى مطرقة . وأجابت : « إن كان الأمر كذلك فقد كان الانتظار على غير جدوى »

لم يجيبها كلايف فى الحال . ولعل ذلك لأنه لم

يستطع الجواب . ولم يلحظ هو فى هذه الحالة شبحاً يفتح الستار ثم يطل ويعود . وعادت جلورى إلى الكلام فقالت : « هل فات الأوان ؟ إنك لم تزوج بعد ... ! »

فمرت جسم كلايف رعشة ، فقالت : « يجب أن أذهب حتى لا تحوم حولك شبهة ... إننى ممثلة وصناعتى تثير الظنون »

قال كلايف : « ولكن ... »

فقاطعت قائلة : « لا معنى للسكن ، إن لك حبيبة وإن لى كثيرين وإذا كنت تريد معرفتى على هذا الاعتبار فما هى ذى بطاقتى »

ثم فتحت حقيبتها وناولته بطاقتها وهى تقول ساخرة : « إننى سأنتظرك عشرة أعوام »

جلس كلايف يفكر تفكير من يريد أن يخرج من وسط الفوضى نظاماً . ولا تنبه سأل عن كلارا فقيل له إنها استطالت غيابه فعادت إلى منزلها . فصدمه هذا النبأ ونبهه إلى ما أتى من عدم اللياقة حيث ترك خطيبته وحدها طول هذه المدة

لكن تنبهه إلى ذلك لم يح من ذهنه نشوة الحديث مع جلورى وقال فى نفسه : إنه لا فائدة من اللحاق بكلارا إلى بيتها فقد تكون الآن نائمة وإن فى استطاعته زيارتها فى صباح اليوم التالى لكنه فى الصباح وجد رسالة على مائدة الإفطار ووجد هذا نصها :

« عزيزى كلايف »

إنك بالأمس قابلت جلورى وقد تبينت مكانتها عندك ، فكتبت لك هذا لأمنع عنك التقيد بى . ولك ما تصبو إليه نفسك ، وأرجو ألا تفكر فى شعورى لأننى لن أستطيع الزواج منك مع العلم

تهزأ به وهي تودعه وأدرك أنها تعيش معيشة على غير ما كان يظن

ونادت جلوري الخادمة وأمرتها بأن تخبر اللورد جلنكي ببعض الشئون، ففتح الرجل فمه كالأبله وقال لجلوري: « هل أنت اللادى جلنكي؟ »
قالت: « نعم . ولم لا؟ »

فشى كلايف توأ إلى بيت ماتيو مان . وكانت كلارا إذ ذاك تؤدي بعض ما اعتادته من أعمال الصباح . ولما رآها - وكانت ممتعضة - قال: « إننى لا أريد الحرية التى تهينها فقد كنت أحق وعرفت الآن معنى الحب »

وهنا أبرقت عينها وانطبعت على ثغرها ابتسامة وعرفت عرفان من لا يخالجه الشك أن كلايف يحبها وأن سحر جلوري قد تلاشى .

وليس الحب شروداً فى الخيال ولا اشتغال خاطر بل هو رابطة قلبية أقوى علامتها توافق الفكر .
عبد المطيف النشار

بأنك تحب جلورى ، ولا تلم نفسك فإنك كنت فى نهاية الصراحة مى »

لقد أطلقت كلارا سراحه وشعر كلايف بأنه فى حلم فوضع على رأسه وعلى ذراعه قبعته ومعطفه وذهب إلى بيت جلورى فوجده بيتاً فخماً به أنخم الأثاث ، وكانت جلورى فى هذا الوقت نائمة فانتظر عشرين دقيقة ثم دخل بغير استئذان فقالت : « هذه مفاجأة »

قال : « نعم هى كذلك » ثم ناولها خطاب كلارا لتقرأه ، فقرأته بسرعة وقالت متهمكة : « يظهر أنها تحبك كثيراً لأنها أطلقت سراحك بهذه السرعة » فقال : « إنها ليست كذلك وأنت لا تستطيعين فهمها يا جلورى »

قالت : « ولماذا جئت لى بهذا الخطاب ؟ »
فقال : « لا أدرى ولكن هذا هو الأمر الوحيد الذى استطعت أن أؤديه »

وكانت كلماته هذه هى الحقيقة البسيطة ، فقالت جلورى : « إننا لا نستطيع أن نتزوج حتى شهر يونيو فإن حكى رهين بذلك الوقت »
قال : « حكم ماذا ؟ » فقالت : « حكم طلاق »
قال : « لقد ظننت أنك لم تزوجى » فابتسمت ابتسامة غريبة وقالت : « إننى لم أقل هذا ولكنك أردت أن تفهم ما بدالك . لقد تزوجت مرتين فهل يدهشك ذلك ؟ »

فوقف كلايف ورأى على وجهها علام دلت على أنها ليست تعنى ما تقول فبدأ عليه الارتباك ، ولما رآته كذلك ضحكت وقالت : حياة كل منا مرسومة على نهج يناقض نهج الآخر . إننى لم أتفق معك من قبل على أى رأى فى أى موضوع فهل تذكر غير هذا ؟

فتذكر كلايف كيف كانت فى لقاءها الأخير

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جون الاولمانى

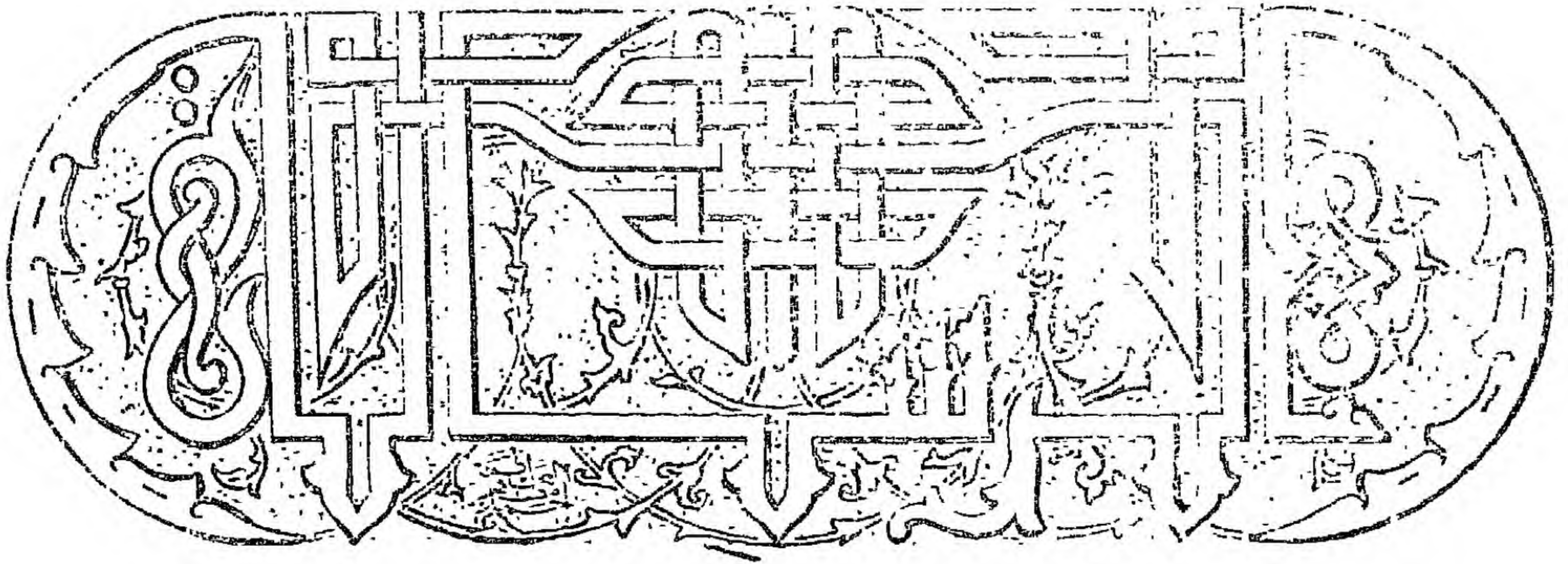
مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا



مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

- الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترضد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي سنون قرناً ، والخارجي ما يساري جنيهاً مصرياً ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠٪



المجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان -
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

السنة الثالثة

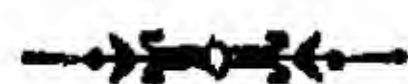
١٧ شعبان سنة ١٣٥٨ - أول أكتوبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٥

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٩٣٨	لأنها حملتني على الانتظار ... عن الإنجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
٩٥٠	العودة ... للفصصى الفرنسى «موباسان» ... بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
٩٥٥	الزوجة الجديدة ... عن الإنجليزية ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
٩٥٨	أقصوصة واقعية ... للكاتب الانجليزى بنيامين دزرائيلى ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٩٦٠	أسطورة (دجلة) و (الفرات) ... أقصوصة عن الأدب التركى ... بقلم الأديب محمد نذير الجسامى ...
٩٦٥	الرداء الأبيض ... للكاتب الانجليزى ستاس أومونيه ... بقلم الأديب محمود الرصنى ...

ولم أسمع بقية الجملة ، لأن
الطنين الذي كنت أسمعه في
أذني كان يقوى ويقوى حتى
أصبح دويًا قارعًا ، وأحسست
بالعرق البارد يطفح على كل
جسمي . والآن عند ما رفعت
نظري إلى الفتاة ذات الشعر

رُوحَا حَمَاسِي عَلَى الرِّسَالِ

عن الإنجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

الأصفر، وفتاة الاستقبال، وجدتهما تتراشقان بنوع
من العبارات الحوشية ...

وعند ما انجلي كل شيء ظهر أن التراشق لا بد
أن يكون قد انتهى ، فقد كانت الفتاة الطويلة راكعة
بجوارى تضع تحت أنفي زجاجة فيها مادة كريهة
الرائحة ، وكانت الفتاة الأخرى تنطق في نغمة مملّة
بكلمات تم عن الغضب معناها :

— لقد كان أمامه الشارع كله يمكنه أن يغمي
عليه في أية ناحية منه ، فما الذي حمله على أن يترك
كل هذا الفضاء ويد ...

فتحركت الفتاة الطويلة وتكلمت وكانت كلماتها
أشد هدوءاً من حركاتها ، فلم ترفع صوتها ولكنها
قالت لها : « صه صه ! »

ونظرت الفتاة الطويلة إلى وابتمست ابتسامة
بطيئة هادئة ، وكان لون عينيها هو ذلك اللون الأزرق
الصافي الذي يكثر شيوعه في عيون عرائس الأطفال .
وإني لأذكر على الأقل أن طفلاً من أطفال ملجأ
الأيتام الذي نشأت فيه كان يملك عروساً بعينيها
مثل هذا اللون . ولم تكن عينا الفتاة جميلتين تسترعيان
النظر ، ولكنهما كانتا أشفق عينين رأيتهما في حياتي .
وقد قابلت ابتسامتها بابتسامة خفيفة وحاولت الجلوس ،

د قالت : إن الحب هو الذي حملها على فعل
ما فعلت . . . ولكن الحب يمكن أن يكون
في أغلب الأحيان خالياً من التفاهم ومن الأحلام »

كان التوفيق لا يزال بعيداً عني البعد كله
في ذلك اليوم من أيام الخريف الذي قابلت فيه
« آن أولدن » ، وقد بلغ بي البؤس إلى أنني
لم أذق طعاماً منذ ثلاثين ساعة ، وأنني لم أنم ليلة
كاملة . على أن قدي كانتا لا تزالان ، على حالة ما ،
تواصلان السير مستمرتين فيه أشبه ما تكونان بقدي
إحدى اللعب الآلية اللتين أدير لولبهما فهما تتحركان
ولا تستطيعان الوقوف عن الحركة ، كان ذلك بعد
ظهر يوم السبت ، وهو الوقت الذي فيه يكاد كل
مكتب من مكاتب الأعمال في هذه البلدة من بلاد
وارويكشير مقفلاً ، وعلى الرغم من ذلك ما زلت
أسمى لأتصيد عملاً أعيش منه ، وهذا هو السبب
في وجودي بمكتب شركة ونيدوت اسكرو وبولت
عندما خرجت من الباب المرقومة عليه كلمة « خصوصي »
فتاة طويلة القامة ذهبية الشعر ، تحمل أكبر سلة
رأيتها في حياتي ...

وكانت الفتاة الموكول إليها استقبال الزائرين
تقول في هذه اللحظة : « آسفة ... وهناك في الخارج
إشارة لو كنت تستطيعين القراءة لفهمت منها ... »

وكانت ساعدها التي تسندني ثابتة قوية - فهي من تلك السواعد المتعودة مساعدة الغير

فلما نهضت واقفاً على قدمي قالت الفتاة :

— أتستطيع أن تمشي ؟

فقلت : « هذا ما يجب أن أستطيعه فقد مررت

عليه في المهد الأخير مراناً طويلاً »

وابتسمت وأنا أقول هذه الكلمات ، لأنه حتى

الفتاة التي تعودت أن تواسي المحتاجين إلى المواساة ،

لم تستطع أن تظهر لي من المواساة شيئاً ، وهذا في

الواقع هو الشيء الوحيد الذي لم أكن أحاول تصيده

وأدارت « آن » - وآن هو اسم الفتاة الطويلة -

وجهها عني وعضت شفتها . وواضح أن ابتسامتي

لم تشرح صدرها ؛ على أنها عند ما عادت ، فأدارت

وجهها نحوي كان المرح بادياً على محياها في أجلى

صورة مستطاعة ، وقد قالت :

— هذا حسن ، فبيني يقع مباشرة وراء ناصية

الشارع

وعندئذ ضحكنا كلانا ثم مضت « آن » تقول :

— والحق أنها ناصية جميلة وإذا أنت درت

حولها فإنك حقاً ترى بيتنا

فسألتها : وماذا أفعل إذا أنا وصلت إلى هناك ؟

فقالت الفتاة : تقابل أمي وأستطيع أن أؤكد

لك أنها تستحق أن يقابلها الإنسان

ولولا أن اعتمدت على ساعد « آن » لما كان

في مقدوري مطلقاً أن أصل إلى البيت ، فلقد كنت

حقاً في الرمق الأخير ، فلما وصلت إلى الدرجة

الأخيرة من السلم - وكان عدد درجاته أربعة فقط -

كنت ألهث كما لو كنت قد جريت شوطاً بعيداً

فصاحت « آن » : أماء

ولم يكن صوتها عالياً ولكن كان فيه شيء من

نعمة الأمر . ولم يدهشني أن أرى باباً في الطرف

الآخر من الغرفة يفتح على مصراعيه في الحال

ولم تكن الأم إلا نسخة طبق الأصل من بنتها

أو العكس

ولما رأيتني الأم قالت : « أوه » ثم أقبلت مسرعة

إلى حيث ارتيمت على أحد المقاعد الواطية

وقالت « آن » : هذا يا أمي ...

وأتممت أنا جملتها فقلت : چاك هنتر

وهزت « آن » رأسها كأن اسمي لا يعينها في

كثير أو قليل ثم قالت : لقد دعوته لشرب الشاي

معنا ، فلتجلسي أنت يا أمي معه وسأعد أنا الشاي

على أن أمها لم تطل الجلوس معي فإنها لم تكذب

تستوى على الكرسي حتى دق الجرس وسمعت صوتاً

صغيراً يسأل عن كمك السيدة فلانة وعن طلبات

أخرى من الحلوى

وقالت مسر أولدن وقد عادت إلى الغرفة بعد

أن لبت الطلبات

— إنى لآسفة، فإنني وآن نخبز كما ترى للحصول

على رزقنا ، فنحن نتلق الأوامر بالطلبات ونعدها ؛

ويوم السبت هو أكثر الأيام ازدحاماً بالعمل

فقلت : « هذا ... »

ثم وقفت عن الحديث إذ رأيت « آن » تدخل

إلى غرفة الجلوس الصغيرة تحمل بين يديها صينية

كبيرة ، ولما رأيتني أحاول النهوض قالت : « ابق

مكانك ولا تتحرك ، فأنا متعودة على حمل الأطباق

الكبيرة والسلال الثقيلة ، فإن ساعدي مخلوقتان

لذلك ... »

وأضافتني الأم وبنتها ، وسهلت على أخلاقهما

قبول جميع الأيادي التي غمرتني بها في الايام القليلة التي تبعت ذلك اليوم : فقد قدمنا الى غرفة للنوم وطعاماً أقيم به أودى ، وكانتا تحمياني في هدوء كلما عدت إلى البيت عاطلاً بعد السمي طوال اليوم لتصيد عمل أعيش منه

وكانت مسز أولدن تقول لي من حين إلى حين :

— تذكر أن الدنيا لم تخلق في يوم واحد

وكانت تقول هذه الكلمات في لهجة جدية حتى لقد أصبح هذا القول البالي يفيد معنى من المعاني كذلك كانت آن تقول لي في لهجة التوكيد :

— لا بد أن يجيء اليوم الذي تنتظره

وكان توكيدها الهادئ يقنعني بما يخالف تقديري ورأيي . ولم أرد أن أكون عالة في كل شيء فكنت أساعد في غسل الأوعية ، وأحمل البضائع إلى العملاء القريبين ، وكنت في الجملة أشترك مع السيدتين في العمل حيناً وكلما استطعت

ثم لم ألبث أن حصلت على (عمل) في وقت كنا فيه أبعد ما نكون توقعاً للحصول على العمل ، وبطريق هي أبعد الطرق عن التصور . فقد انتهت إحدى العميلات من ابتياع مطلوباتها ، وكنت أضع لها ما ابتاعت في العربة ، فشكرت لي صني وأشارت إلى البيت بتحيةة خاطفة . ولكنها عند ما حاولت أن تسير سيارتها لم تتحرك السيارة ، فأسرعنا باختبار كمية البنزين في الخزان فوجدناها كبيرة !

فقالت السيدة محنقة مغيظة : وماذا بعد هذا ؟

ثم قالت : إذا استمرت هذه الحال فسأبحث عن جراح آخر ، وهذا هو كل ما أستطيعه

ثم اجتازت الطريق إلى البيت وسمعتها تقول شيئاً عن التليفون وسمعت مسز أولدن تقول لها أن

ليس هناك غير التليفون الموجود في المطبخ ، وإلى أن سمعت هذه الكلمات لم أكن قد فكرت فيما أعمل ولكن لما رأيت العميلة تسير نحو المطبخ ناديتها بقولي :

— أسمحين لي بأن ألقى نظرة على السيارة ؟

فلما تلفتت إلى مندهشة قلت :

— ألا فاعلمي يا سيدتي أن الشيء الوحيد الذي

أستطيع عمله هو إصلاح السيارات

فترددت السيدة ثم قالت : حسن

فلم أنتظر كلمة أخرى ، فقد كانت أصابعي متلهفة للوصول إلى ما تحت غطاء المحرك ، وفي اثنتي عشرة دقيقة كنت قد اهتديت إلى العلة وأصلحت الخطأ وكان في البخر حيث منبع جميع الخلل

ولم أفكر قط في أثناء إصلاح الخلل في أن أعال أجراً على عملي ، ولكن بعد ما انتهيت وأعدت إحكام غطاء المحرك ، خطر لي على حين فجأة ، أن الأمر قد لا يقتصر الآن على الشكر ، وأن « شيئاً سيأتني من راحة اليد » ولكنني مع ذلك كنت مخطئاً في تقديري ، فإن العميلة وإن كانت قد شكرت لي صني واعترفت لي بجميل فانيها لم تمد إلي يدها حتى ولا بسجارة . ثم كأن هذا الامتناع الذي شعرت به لم يكن كافياً فلم تمض بضعة دقائق إلا وقد دق جرس التليفون وسمعت صوتاً غاضباً ناثراً يسألني ما الذي فعلته بسيارة مسز تروتر

فغضبت من هذا السؤال وأجبت الرجل :

— إذا كان قد حدث خلل آخر في السيارة

فليس ذلك من خطأي . فأى إنسان يعرف مبادئ الميكانيكا يدرك أن الذي كان موكولاً إليه أمر

إلى رجل يستطيع أن يحمل السيارات على أن تغنى !
ولقد غنيت أنا أيضاً ، غنيت غناء لم أغنه من
قبل . غنينا جميعاً تلك الليلة واقفين حول « بيان »
جماعة أولدن ، بينما جلست « آن » أمام « البيان »
تنقر عليه بأصابعها الماهرة متتبعه غناءنا . غنينا
أغنية عيد الميلاد لأنه لم يكن باقياً غير أسبوع واحد
حتى يحل هذا العيد



كان عيد هذا العام من أبهج الأعياد في حياتي
على الرغم من أن جيبى كان خالياً حتى من بنس واحد
أروح به عن نفسي — فقد كنت لا أزال مثقلاً
بدين كبير لأسرة أولدن ! لقد كنت شاباً صغيراً
صحيح الجسم ، وأصبح لي — لأول مرة بعد موت
والدى في وباد سنة ١٩١٨ — بيت آوى إليه ، أو هو
شيء أشبه في منظره ورائحته ببيت أهلى

كان في هذا الوقت بالذات أن بدأت أتكلم
عن المستقبل في صيغة الجمع فأقول « سنفعل ذلك

ملاحظة هذه السيارة وإصلاحها لم يخرج عن أن
يكون طفلاً

فأجاب الرجل : أوه ... أهو كذلك ؟ حسن
فهل لي أن أسألك أن تحضر وتظهر لي على وجه
الدقة موضع الخلل وأسبابه !

قلت : وهل لي أن أسألك ماذا يكون جزأى
إذا أنا أظهرت لك ما تريد ؟

فأجابنى . واندفعت في الحال جازياً الطريق كله
حتى وصلت إلى الجراج ، ولم أكن رأيت من قبل
إلا من الخارج — إذ لم يسمح لي أحد قط بأن
أرى صاحب العمل — ومع ذلك فإننى عند ما دخلته
اليوم وشممت رائحة الزيت والشحم وسمعت أزيز
المحركات وأصغيت إلى مزاح الرجال ونكاتهم شعرت
شعوراً تاماً بأننى داخل إلى مكانى . وقد قضيت
بقية هذا اليوم وأغلب اليوم التالى في إصلاح سيارة
العميلة ، ولكننى عند ما انتهيت من عملى كانت
السيارة قد أصبحت في أحسن حال فقلت : هأنذا
قد انتهيت

ثم سمعت الكلمات التى قيلت ، وابتسمت ابتسامة
فاترة مريضة وقلت مصداقاً على ما سمعت : أظن أننى
كنت على حق

ثم اتجهت نحو الباب

ولكن صاحب العمل هارى جونز قال لي :
لا تخرج بمثل هذه السرعة ، فإن أى إنسان يستطيع
أن يجعل سيارة متعبة كهذه تجلس مستقيمة وتغنى
لا يجوز أن يفلت منى

كان هذا هو كل ما حدث . وبمثل هذه السهولة
حصلت على العمل بعد أن قضيت الأشهر الطوال
أجوب الشوارع باحثاً عن عمل حيث يحتاجون

الشيء يا آن « و » سنعد ذلك الأمر « وهكذا كنت أرسم خطة المستقبل على أننى لست وحيداً فى الحياة ، فقد أصبحت آخر الأمر مؤمناً (دون خطبة رسمية) بالواقع من أننى وأن سيتزوج أحداً من الآخر فى يوم من الأيام وكانت هى آخر الأمر التى اختصرت الطريق إذ قالت لى وقد تلون جلد لها الناعم على حين فجأة بحمرة الحياء :

إن كلمة « نحن » التى تنطق بها ترن ككلمتى « إلى الأبد »

فقلت : هذا ما أقصد إليه يا آن فهل تستطيعين أن تروضى نفسك على حبنى ؟

فهزت رأسها وشعرت بصدمة خفية فى قلبى عند ما قالت : أنا لا أستطيع أن أروض نفسى ، لأننى أحبك فعلاً يا جاك

فضممتها بين ساعدى لأول مرة وأسندت صفحة وجهى إلى شعرها الناعم ، وقلت لها قبل أن أقبلها : إذن قد انتهى كل شيء

ولكن آن نفسها قد بينت لى فى وضوح أن شيئاً ما لم ينته بعد حين قالت : فكر يا جاك فى أنك قد تكون خاطئاً بين الحب وبين الاعتراف بالجميل ، فليس الأمران شيئاً واحداً . وقد تكون كذلك خاطئاً بين الشعور بالراحة وبين الرضا الذى لا يجىء إلا من الحب الحقيقى . وقد تتلاقى فى يوم من الأيام بإنسانة ما

فقاطعتها بقولى : « لقد التقيت بملايين من الفتيات وأحببت بعضهن ، ولكنك يا « آن » أنت الوحيدة التى طلبت إليها أن تزوج منى »

كانت « آن » تناهزنى فى طول قامتى — وقد

كنت طويلاً حقاً — فلما سمعت كلمتى ضمت وجهى بين يديها القويتين ونظرت إلى عيني نظرة عميقة ، وهى تقول :

— انت ولد جميل يا جاك هنتر ، وما زلت شاباً وجذاباً جداً ، وأنا لست إلا الفتاة « آن » التى ستحبك دائماً ، ولكن فى هدوء . وربما لا أكون المرأة التى تثير عواطفك بالقدر الكافى .

وحاولت أن أقطع عليها حديثها ، ولكنها أشارت لى أن ألزم الهدوء ومضت تقول :

— وأنا يا جاك أريد أن أتزوج لأعيش إذا قدر لى يوماً أن أتزوج

فقلت : « ولكننى أريد يا « آن » أن أتكفل بأمرك وهذا هو الذى كنت أحاول أن أقوله لك . فأجابت : إذن انتظر ! سألتها : إلى متى ؟

وعندئذ حددت مدة التجربة بسنة كاملة وخيل لى أن رأيها سخييف جداً وقلت ذلك فى عبارة مترددة

على أنه قبل أن ينقضى شهران على هذا الحديث التقيت بإيلين ليندن ، وبدأت أشعر أن « آن » ربما كانت على حق فيما قالت لى

« مثيرة للعواطف ! » : أظن أن هذا هو أحسن وصف يمكن الإنسان أن يصف به إيلين . شعر أسود فى حالة من الجمائد المتموجة حول رأسها ، وعينان خضراوان أشبه ما تكونان بالعيون الشرقية فى تركيبها ، وأكمل جسم تقع عليه العين فى تكوينه ، ولها فى الحديث أساليب تستهوى النفوس وتنقطع لها الأنفاس

وقد اعترضت هذه الفتاة طريقى أنا جاك هنتر !

ولقد هز ما أبدت لى من تودد وإغراء أساس كيانى ،
وقد اختارتنى دون جميع رفاقى فى البناية وفى المكتب
والجاراج موضعاً لمغازلتها وتوددها

ومضت إيلين فى اختصاصى بودها وبحبها على
الرغم من أن أمها قد حاولت بكل ما فى وسعها من
جهد ، أن تقطع عليها طريق هذا الافتتان ، وكانت
مسز ليندن امرأة قصيرة بدينة بعض الشيء ، وقد
قضت جميع سنى زواجها نادمة حظها ، وقد قالت
إنها هى أيضاً لم تستطع أن تقاوم حبها لزوجها
ليرى لى على الرغم من أن أمها العزيزة قد حذرته ،
وتنبأت لها بأن زواجها منه لن يكون أبداً زوجاً
ناجحاً فى الحياة !

لقد كانت أمها العزيزة على حق ! فلم يكن الرجل
موفقاً ولا ناجحاً ، وكيف يكون كذلك وهو يعاشر
امراً ترميه بعدم التوفيق وعدم النجاح فى الصباح
وفى الظهر وفى المساء !

لقد صنعت لى لحظة صفاء ذكرت فيها كيف
كانت « آن » هادئة مطمئنة فى تلك الأسابيع المريرة
القاسية التى كنت فيها خالياً من العمل أسمى لتصيد
فى كل مكان ، ولكننى عندما رأيت إيلين تهبط
السلم رشيقة فتانة فى ثوب جديد له لون عينيها
الخضراوين الصافيتين تلاشت ذكرى « آن »
وهدوئها واطمئنناها .

وعند ما خرجت بعد ذلك مع إيلين فى السيارة
التي اشتريتها مستعملة وأصلحتها فأصبحت فى حال
جيدة على ما أظن ، ازدادت نسياناً « لآن » وأيامها
وعندما عدنا إلى البيت فى تلك الليلة كان قد تلاشى
من ذاكرتى كل أثر لتلك الأيام تلاشياً تاماً . لقد
كانت « إيلين ليندن » هى كل ما فى الدنيا من

عواطف مثيرة تجمعت فى كتلة واحدة وقد اعتزمت
أن أتزوج منها إذا استطعت

وحتى الآن لم أقل « لآن » شيئاً . ولقد عرفت
بعض الشيء أو لعلها قد خمنت شيئاً ، فقد بدت
فى عينيها فى تلك الأيام ، نظرة تأهة حزينة ، ونحل
جسمها الجميل كما لو كانت مريضة منهوكة

وفى الليلة التالية أخلفت موعدى مع « آن »
محاولاً أن أكذب عليها ، ثم انتهى الأمر بأن
أخبرتها بالحقيقة ، وما زلت مسروراً من أننى قد
فعلت ذلك . لقد قلت لها :

— أريد أن أعمل الليلة شيئاً آخر يا آن
وقد أجابتنى فى صوت امتزج فيه الحنان بالأمى :

— من الطبيعى أن تفعل ما تريد يا جاك
وهكذا ذهبت إلى بيت ليندن فى وقت لم يكن
أهله يتوقعون مجيئى فيه . وما كدت أصل إلى الباب
حتى وجدت إيلين خارجة مع « فرداسوينى » أحد
رفاقى فى المكتب . فكان من الطبيعى أن أغضب
وأثور ، فإنها فى الليلة السابقة فقط ارتمت بين
ساعدى وتلقت قبلاقى الغرامية بكل ما يصبو إليه
الرجل من حرارة وإقبال . وهى الليلة تخطو إلى
رجل آخر تلك الخطوات الرشيقة التى خطتها إلى ،
فما معنى هذا ياترى ؟ أهو موعد غرام معه هو أيضاً ؟
أيمكن ... يا لله لقد كانت الأسئلة فى نفسى عديدة
وكان الجواب - عذاباً

قضيت تلك الليلة أذرع غرفتى ذهاباً وجيئة
حتى كدت أسقط إعياء ، وقلت فى نفسى آخر الأمر
لاشك فى أن إيلين تستطيع أن توضح لى كل شيء
فى الصباح ، وقد اختصت جماعة إيلين فى هذه الدنيا
بشيء واحد هو القدرة على شرح كل شيء وإيضاحه !

فقد قيل لي إن ما حدث كان من خطأ أمها ، فإن هذه الأم العزيزة قد جعلت حياة ابنتها جحيماً ؛ فهي دائماً تصدع رأس هذه الابنة المسكينة بتوبيخها لرميها نفسها على . فأجبت بأن أمها في غنى عن أن تتعب نفسها من أجل ذلك ، فإن لدى أشياء خيراً من التسابق في مطاردة فتاة لعوب مغازلة مثل « إيلينا » العزيزة ؛ فهي تستطيع أن تجد لنفسها في كل ليلة رجلاً جديداً ، وممتعة جديدة أيضاً ! وفي الجملة اشتد النزاع والشجار بيننا حتى امتلأت عينا إيلين بالدموع ، فلم أطق صبراً على ذلك فهدأ غضبي وترضيته ، ولكنني علمت فيما بعد أن دموعها كانت جاهزة دائماً كماء أنبوبة المطبخ تستطيع أن تسيله أو تحبسه وفق إرادتها . ومن سوء الحظ أنني لم أعرف هذه الحقيقة في تلك الليلة .

وهكذا اصطلحنا في ذلك المساء ، وكان معنى هذا الصلح أن اندفاعنا في طريق الغرام لا يقف عند حد . ولما انتهى كل شيء شعرت بأني ممتعض منها ومن نفسي . فلم تكن هذه هي الطريق التي قصدت أن تسير فيها الأمور . فأنا الذي لم يكن لي بيت منذ كنت في السابعة من عمري ، كنت أعرف أن التقاليد والعادات للناس كالسقف فوق رؤوس الأطفال . وهذا هو الذي حدا بنا أن نذهب بعد بضعة أسابيع إلى أحد مكاتب التسجيل فنثبت زواجنا

وإني لأشك الآن في أن إيلين كانت في أول الأمر تقصد إلى الزواج مني بحال من الأحوال . لقد رأيتني وصبت إلى وأرادتني ، ومعنى ذلك فيما يتصل بإيلين أن تنال ما تريد ؛ ثم هي أيضاً قد فقدت منطقها وفي ساعة انفعال سمحت لنفسها بالزواج مني . أظن

أن هذه هي القصة على حقيقتها
أما مسز ليندن فقد سارت الأمور على الوجه الذي تعرفه طبعاً ، وأما المسكين ليزلي فقد وقف جانباً يعصر يديه عاجزاً لا يستطيع أن يفعل شيئاً ولكن كان أبغض الأمور إلى نفسي أن أخبر جماعة أولدن بما حدث . فقد كان سلوك « آن » وأمها بديعاً في كل شيء ما في ذلك من شك ، وهذا هو الذي زاد الأمر سوءاً وأحاط موقفى بالحرج الشديد ولقد قالت « آن » : « لا تحزن يا جاك ولا تنجبل فإنك بعد كل شيء لم تطلب مني أن آخذك إلى بيتنا ؛ ثم أنت لم ترغب بمجرد إرادتك في أن تحب إنسانة أخرى »

لم يكن هذا صدقاً فلقد سمعت أنا إلى الحب فقد سمحت أولاً لعقلي وثانياً لقدي أن يعتمد الجميع عن « آن » ، وأي شيء يتوقعه الرجل بعد ذلك ؟ وهكذا بدأت حياتي الزوجية وأنا أشعر في نفسي بالجريرة التي أرتكبتها ، وليس ذلك بالشيء الحسن ، وبدأت كذلك بمجموعة من الديون الجديدة وليس هذا بالشيء الحسن أيضاً

وقد قالت إيلين : إننا لا نستطيع أن نقيم مع أي في بيتها فهي تملأ حياتي تعاسة وشقاء وقد وافقت على هذا ولكنني لم أفهم معنى لأن نستأجر بيتاً يبلغ أجره الشهري كل أجرى على عملي في أسبوع كامل ، كما لم أفهم معنى لأن نؤث ذلك البيت كما لو كان اسمنا روتشلد بدل هنتر

كان هذا التصرف هو أول ما فتح عيني على ما يحيط بي . فإني لم أذوق بالفعل ما كنت أتوقع من ثمرات الأنوثة الزهرة ، فقد أصبحت هذه

غيري ، فلم يعض على زواجنا أكثر من خمسة عشر يوماً حتى كانت تقضى كل وقتها في البيت في قميص ملطخ ممزق ، إلا إذا جاء لزيارتها أحد من أصدقائها العديدين . على أنني مع ذلك ظننت أنني أستطيع أن أثق بها في المحافظة على عهود الزواج ، ولكنني كنت مخطئاً في هذا الظن

لقد كانت العاطفة الثائرة التي دفعتني نحو إيلين هي كل شيء فيما يتصل بها . فليس في إدارة البيت شيء مثير للنفس ، وكذلك ليس مما يثير النفس أن يقضى الإنسان الليل في البيت وحيداً في صحبة كتاب نفيس ، بينما إيلين لا تستطيع الاستقرار في البيت

هذا هو السبب في أنني عندما عدت إلى البيت في مساء يوم الأربعاء في غير موعدى المعتاد ، لم أجد لإيلين أثراً في أية ناحية من نواحيه . ولم يكن في بيت والديها تليفون منذ زواجنا ، لذلك قصدت إلى ذلك البيت ماشياً على أمل أن أجد لها هناك جالسة معهما على مائدة العشاء ، ولكنها لم تكن هناك أيضاً . ولقد خيل إلي أن ما بدا على مسز ليندن من الاضطراب كان أكثر مما يدعو إليه الموقف ، على أنه كان من رأى السيدة الوالدة أنه إذا كان لا بد من تفنيي عن البيت فما الذي يمنع إيلين من أن تشغل نفسها بأمر ما في هذه الليلة ؟ ولقد توددت لي مسز ليندن إذ ذاك تودداً لا عهد لي به من قبل ؛ وكانت حقاً غاية في اللطف ، وقد فعلت كل ما في مقدورها لإبقائي لديها أطول وقت ممكن ولم يبق من وسائل حملي على البقاء إلا أن تربطني إلى الكرسي الذي جلست عليه ، وحتى عند ما هممت للخروج بدا عليها الخوف من أن أغيب عن نظرها ، فقالت تخاطب زوجها :

الثمرات لا تعطى إلا بثمرن وثمن غال جداً . وقد بدت لي هذه الحقيقة أشد وضوحاً فيما بعد عند ما عرفت مبلغ ما يكلفني فقط تصفيف الشعر والجوارب الحريرية . لقد كنت بطبيعتي سمحاً فيما يتصل بإنفاق المال ، وكنت كذلك غير أناني بطبيعتي ، ولكنني كنت أبغض الدين ، والآن ليس في حياتي شيء آخر غير الديون

وأصبحت مسز ليندن التي صالحت ابنتها وساد بينهما الوفاق التام هي التي تخرضها على كل شيء في إلحاح شديد فكانت تقول : لقد تعودت إيلين على اقتناء أحسن الأشياء ، وكان لا بد لي من إجابة مطالبها مهما كانت نتيجة ذلك على أبيها وعلى أنا وهذا هو الذي يفسر لنا كيف أن فتاة ليس لها من دخل غير أجرها من الكتابة على الآلة يمكنها أن تلبس ما كانت تلبس إيلين من الثياب الفاخرة ، فقد كانت أمها تعطيها كل ما يجيء به المسكين ليزلي إلى البيت من المال بمجرد إحضاره ، والحق أنه مما يدعو إلى العجب أن يعمر الافتتان الرجل إلى هذا الحد

وكان كل ما تقترحه مسز ليندن علاجاً لمتاعبنا هو قولها : الأمر بسيط فمليك أن تريد في أرباحك وهذا هو بالطبع الذي حملني على أن أضع اسمي بين الذين يرغبون في العمل الإضافي

ولم يخطر لي يوماً على بال أن أشك في أخلاق إيلين . لقد كنت أعلم أنني لا أستطيع أن أثق بها في التصرفات المالية ، وكنت أعلم أنني لا أستطيع أن أثق بها في إعداد طعام أو ترتيب بيت ، وكنت أعلم أيضاً أنني لا أستطيع أن أثق بها حتى في أن تعني بملابسها إلا إذا كان ذلك في وجود إنسان

— أظن من المستحسن يا ليزلى أن أصحب جاك إلى يتيه فقد مضت عدة أيام لم أر فيها إيلين

فنظرت إليها نظرة سريعة وعجبت من قولها وشككت في صدقه . لأنه إذا صح قولها فتكون إيلين قد كذبت على كذباً صريحاً إذ قالت إنها كانت في الليلة الماضية واللييلة التي سبقتها في بيت أمها . الحق أنه كان هناك شيء غريب ولكنني لم أكن على يقين من ماهيته ، فقد كانت مسز ليندن مندفعة في تيار الحديث الذي لا ينقطع طوال الطريق . يا لله ! لو أنها كانت كذلك في حال سرورها لوددت أن تبقى معي إلى الأبد في خارج البيت ، ولقد ابتسمت في الظلام لهذا الخاطر

ومع ذلك لم تطل ابتسامتي ، فإننا ماكدنا ندور حول زاوية الطريق حتى رأينا إيلين خارجة من سيارة فرد أسويني ، ولقد رأينا غالباً في اللحظة نفسها التي رأيناها فيها فقد كانت مصابيح الشارع في هذه النقطة ساطعة جداً ، فقالت إيلين « أوه ! » ووضعت يدها على حلقها كما لو أن شيئاً يكاد يخنقها . أما « فرد » فلم يقل شيئاً على الإطلاق ، ولكنه أدار سيارته وانطلق

فاجتازتني مسز ليندن مندفعة في وثبات جنونية نحو ابنتها فكانت أشبه بالدجاجة على أثر ذبحها ، ولم تقف حتى صارت أمام إيلين ؛ وقد رفعت رأسها وفتحت ساعديها ، ولعلها كانت مضحكة في حركتها هذه ولكنني لم أفكر في ذلك إذ ذاك ، فقلت لها :

— عودي إلى بيتك يا مسز ليندن ، فإنني في هذه اللحظة لن أمس ابنتك هذه حتى ولا بصارية صركب .

لقد كان ما قلته حقاً ، وقد أدركت ذلك شاعراً بنوع من العزاء ، فقد كانت تلك اللحظة من اللحظات التي يقدم فيها الرجال على أعمال يندمون عليها فيما بعد . لم أرد في تلك الساعة شيئاً غير الخلوة إلى نفسي . وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم ترده إيلين بعد أن اجتازنا باب مسكننا ، فقد بقيت ممسكة بي متعلقة بأكتافى ، تصب من فمها أنواعاً من الاعتذارات في لهجة باكية تقطعها الزفرات متحجبة إلى بكل ما يتسع له خيالها من ألفاظ .

فنظرت إلى وجهها وعجبت كما عجبت كثيراً في الأيام الأخيرة ... لماذا تصورت في وقت من الأوقات أنها جميلة جذابة ، لقد كان شعرها أشعث تقصفت أطرافه من كثرة السكى ، وعلى خديها خطوط طويلة من الأصباغ ، وكان يزكم الأنف منها رائحة العطور القوية التي كانت تتدهن بها وتستغنى بها عن الماء والصابون الجيد .

فسككت عن عنق هاتين اليدين اللتين كانتا في وقت من الأوقات تثيران عواطفى ... أما الآن فقد أصبحتا يدين شرهتين آثمتين ، وقلت لها :

« إذهبي إلى فراشك يا إيلين ، فإنى أريد أن أخلو بنفسى » .

وخيل إلى أن صوتى عندما قلت هذه الكلمات كان جامداً جمود الجليد .

ذهبت إيلين إلى الغرفة التي كنا نقسمها للنوم وقصدت أنا إلى الشباك ، فأجلت النظر في ليل الشتاء ... على أننى لم أر الليل ، ولكنني رأيت بدلاً منه « آن أولدن » كما رأيتها لأول مرة ، ورأيتها عندما كانت قوة يقينها تشجعنى على أن أثق « بالرجل الذي

— إننى ذاهب إلى عملى ، فنتى انتهيت من حمامك وغيرت ملابسك عودى إلى هنا ، فإنى أريد أن أتكلّم معك

وكانت فى هذه اللحظة كما كانت فى الليلة السابقة فإنها لم تنزع حتى رداءها الخارجى

ولم يكن لدى ما أطيل فيه الحديث معها ، فكل ما قلته إننى لم أعد أقبل سوء سلوكها ولا أكاذيبها وقد قلت لها :

— وفى هذه اللحظة يا إيلين لا أستطيع أن أفكر فيما كنت أراه فيك دائماً . ومع ذلك ها نحن ذان لا نزال زوجين على الخير وعلى الشر جميعاً ، ولن أستسلم لمجرد أننى لم أحصل على ما كنت أتصور أننى سأحصل عليه ، ولن أستطيع أيضاً أن أحملك على التسليم فيما أخذت به نفسك لأن هذا أمر ستحرصين عليه ولا تتخلين عنه

فتنفست نفساً طويلاً سريعاً ولعل ذلك كان تنفس الارتياح فهذا مالا أستطيع أن أجزم به ، ولكنها لم تتكلم .

وسادت بيننا فى الأيام القليلة التالية عوامل الصفاء وإن كنا متباعدين أحداً عن الآخر ، وامتنعت عن قبول العمل الإضافى ، ولم تكن إيلين كماداتها تعمل عملاً ما من أى نوع من الأنواع ، وبدلاً من ذلك كانت أمها تأتى كل يوم فترتب أثاث المنزل وتعد الطعام ، ثم تسرع عائدة لتعد طعامها وطعام زوجها . وفى يوم من الأيام صممت على أن أنهى موقفى مع إيلين

ولا بد أن يكون قد مضى أكثر من أسبوع عند ما ذهبت إلى شارع جلينبورر لأوصل سيارة

تستطيع الدنيا أن تعمل بدونه « ورأيتها كما كانت فى الليلة التى قالت فيها : أنا لست إلا الفتاة آن التى ستحبك دائماً ، ولكن فى هدوء ، ولعلنى أن أكون مثيرة عواطف رجل مثلك بالقدر الكافى .

مثيرة ! لقد هزرت كتفى لأتخلص من كل معنى من معانى هذه الكلمة ، فقد كان ما أحتاج إليه فى هذه الساعة ، وما أجود بحياتى فى سبيل الحصول عليه هو هدوء وقوة امرأة مثل آن أولدن ولكن ذلك لن يكون لى أبداً ، وقد نهتني آن نفسها إلى ذلك ، فالزواج عندها مسألة أبدية .

وكان فى الغرفة كرسى كبير — من الأثاث الذى لم يدفع ثمنه بمد — فارتميت عليه وخبأت وجهى بين يدي . وفكرت فى ذلك الخبيص الوحشى الذى صنعه ييدى لنا جميعاً : آن وإيلين ونفسى . وقد كان من أثر التفكير على هذه الصورة أن هدأت فى نفسى الثورة التى أثارها حوادث الليلة ، أو هذا على الأقل ما شعرت به . فإن إيلين قد قضت منذ وقت طويل على كل ما كان فى نفسى من شعور نحوها إلا شعورى بأننى أملكها . ولما هدأت ثورتى استطعت أن أتبين الأمور بكثير من الوضوح وأن أكون أهدأ تفكيراً ، وكان الفجر قد أقبل قبل أن أثق ثقة تامة مما سأفعل ومن الأسباب التى تدعو إلى فعله

ولا بد أن أكون قد نمت عندئذ ، فإن أول ما شعرت به بعد ذلك حركة إيلين وصوتها الجامد يقول :

— الساعة الآن السادسة يا جاك فهل أنت ذاهب؟ فقطاعتهما بقولى :

مسز ترونز التي كانت السبب في حصولي على العمل إلى جراج جونز . وكان عيد الميلاد قد اقترب ، وأوشكت أن أتم العام في عملي ، وكانت الأشجار في جميع البيوت مزينة بالمصابيح وغيرها من أسباب الزينة استعداداً لهذا العيد المجيد . وعلى الرغم من كل شيء حدث أنني بدأت أشعر بأن الحياة جميلة ، وبعد أن أسلمت السيارة لصاحبها عدت أدراجي حتى إذا اقتربت من دار الدكتور فريزر فتحت بابه وخرجت منه إيلين ، فلم أصدق عيني في أول الأمر لأنها لم تكن تشكو مرضاً ما ، ولكنها وقفت تحت أحد مصابيح الطريق لتخرج مندليها من حقيبة يدها وبدأت تجفف دموعها . وهنا تأكدت أنها إيلين ، وأيقنت أنها مريضة .

ولكنها لم تقل لي شيئاً عند ما عدت إلى البيت ساعة المساء ، وكذلك لم تقل شيئاً في الليلة التالية ، ثم جاءت إحدى تلك الليالي القارسة البرد التي لا يمكن الإنسان أن يستعد لها مهما تكن الإنذارات السابقة . وأظن أن نصف سيارات البلدة على الأقل قد تجمد الماء في مبردات محركاتها في تلك الليلة ، وحجزت أنا وجميع رفاقي للمبادرة إلى إجابة الطلبات ، وكانت سيارة الدكتور فريزر إحدى هذه السيارات المحتاجة إلى الإصلاح وكان من نصيبي أن ألبى دعوته فلما رأيته قال :

— مرحى يا جاك ! إن مسألة الأبوة التي تشغلنا كما تحملنا على الإسراع ، ألا ترى ذلك ؟
فكرت في بلاهة قول الطبيب :

— مسألة الأبوة !

فبدأ على الدكتور مظهر الأسف وقال :

— أسعد الله مساءك . إنني لأظنها كانت تدبر لك مفاجأة سارة في عيد الميلاد ولم أسمع بقية الحديث لم تخبرني إيلين بشيء عن مسألة الأبوة ، ولكن في ليلة عيد الميلاد أعطيت إيلين من الهدايا أكثر مما تسمح ماليتي بتقديمه وجلست إلى جانبها على الصفة وقلت لها :

— قال لي الدكتور فريزر إنك ستصبحين أما يا إيلين فهل هذا صحيح ؟

فهزت رأسها . ثم على حين فجأة بكت كما كانت تبكي في الليلة التي خرجت فيها من بيت الطبيب ، وقد حاولت أن أواسيها ولكنها أبت أن تواسي . فلم تكن تريد أن يكون لها طفل ، لم تكن تريد أن تقيد بملازمة ابنها ، لم تكن تريد أن تفقد رشاقها وشكلها المعتدل ولو لفترة قصيرة

مسكينة إيلين ! لقد ظننت أن من الفظاعة أن يكون الإنسان امرأة وأن تحارب على هذه الصورة للتخلص من المهمة الوحيدة التي خلقت لها ، ولكن خيل إلى في اليوم التالي أنها قد وقفت هذه الحرب . وبعد أن تعشينا أنا وهي في بيت أبويها ذهبنا إلى دار السينما . ولما عدنا إلى البيت كانت إيلين فرحة مبهجة حتى لقد رقصنا معاً على موسيقى اللاسلكي ، وقد مضت علينا أجيال لم نعمل فيها عملاً مشتركاً إلا أن يكون الشجار والنزاع

وإنني لأظن الآن أنها في تلك الليلة كان قد استقر رأيها على أن تجد وسيلة للتخلص من متاعبها . فلما رتبت كل شيء في رأسها شعرت براحة عظيمة هي السبب فيما بدا عليها من ابتهاج ، وكانت هذه

من هذا المحيط كله ، فاقترح على أن ينحصر لي
غرفة عنده للمبيت لألبي طلبات المساء
وكان هذا هو خير علاج حقاً ، فتركت أثاث
البيت لمسز ليندن تتصرف فيه على ما تشاء

وشعرت بحنان إلى زيارة جماعة أولدن ولكني
خجلت من نفسي أول الأمر ثم حاربت هذا الخجل
وقصدت إلى دارهم . وقد عادت بي الذكري إلى قول
« آن » : إنني سأحبك دائماً

ووصلت إلى دار أولدن ، وهناك وجدت مستر
هندرسن قد قدمته إلى « آن » ، وذكريتي بأنني
التقيت به من قبل .

وشعرت بالفيرة من وجود هذا الضيف الجديد
على أن علاقة المودة عادت بيني وبين « آن » .
وفي يوم من الأيام ذهبت لزيارتها فوجدت من وراء
زجاج الباب خيالها هي ومستر هندرسن ورأيتهما
يميلان أحدهما على الآخر في قبلة طويلة ، فثارت
نفسي وعدت أدراجي ، ولكنني لم أقو طويلاً على
البعد وعدت إلى الزيارة ، وصارحت « آن » بآلامي
وذكرت لها ما شهدت فضحكت ضحكة مرحة طويلة
وسألني أن أهني أمها بما هي مقدمة عليه من زواج
فإنها هي التي كانت وراء الباب مع مستر هندرسن
خطيبها الجديد ...

وهكذا انتهى الفصل الأول من القصة وبدأ
الفصل الثاني بحياة بيتية هنيئة في ظل زوج وفيه
في حبها شديدة العناية ببيتها مكبة على إنشاء أطفالها
أزهاراً يانعة تزين البيت ، ثم رجالاً أشداء يخدمون
وطنهم وبلادهم على خير ما يخدم الرجال الأوطان .

عبد الحميد حمدي

هي آخر راحة عرفتها إيلين في الحياة ، لأنني عندما
عدت إلى البيت في الليلة التالية مباشرة وجدتها
طريحة الفراش منهوكة القوى صفراء يخيم عليها
شبح الموت . فأردت أن أدعو الطبيب في الحال
ولكن إيلين وأمها أبثا ذلك الإباء كله

وقالت مسز ليندن وهي تريد أن تهكم بي
فيما يتصل بالمال :

— أدعو الطبيب لضربة برد خفيفة ؟ أنا
لا أوافق على ذلك ! فما فيه من فائدة غير ضياع المال
أظن أن هذا القول يبدو سخيلاً ولكنني
في الحق لم يخطر لي قط على بال أن إيلين قد تكون
ذهبت إلى إحدى هؤلاء النسوة اللواتي يحترفن
مهنة الإجهاض « لتخليص النساء من متاعبهن »
(وهذا أسلوب غريب لأمر هي في الغالب سبب
آلام شديدة للجسم والروح) . وقد أخبرني
مسز ليندن آخر الأمر بالحقيقة وذلك عندما تخرجت
الحال ولم تعد تستطيع الكتمان ، وفي الحال حضر
الطبيب ولكن التسمم كان قد سرى في الجسم ولم
يعد من الممكن وقفه فانقطع الرجاء

وعندما اقتربت النهاية أدركت إيلين أن خاتمتها
قد دنت فجاهدت الموت بكل ما فيها من قوة وكانت
تصيح :

— لا تسلماني للموت ! أي ! جاك ! امسك بي ،
لا تسلماني للموت !

وكاد يقتلني ما شهدت من هول الموت ومن
« بلادته » وقضيت عدة أيام كالماتشي في المنام أؤدي
عملي على صورة آلية . وكان هارني جونز صاحب
الجراج هو الذي رأى أن خير علاج لي أن أخرج

العزدة

للمفصلي الفرنسي مربيان
بقلم الأستاذ ناجي الططاري

رَقعت من قبل مائة مرة .
وكانت إلى جانبها فتاة
تكبرها بعام ، تهزّ بين يديها
طفلاً صغيراً ، لا تبدى حراكاً
ولا تفوه بكلمة ، وبجذائها
طفلان يبلغان من العمر
السنتين أو الثلاث ، استلقيا
على الأرض ، وأخذوا يحفران
التراب بأيديهما الغضة ،
ويتراشقان به فيصيب وجهيهما

كان الصمت يسود الجميع ، إلا الطفل الصغير
الذي حاولوا عبثاً أن ينيموه ، فقد كان يبكي باستمرار
بكاءً ضعيفاً ، وكانت هناك هرة نائمة على النافذة ،
وكانت عند أسفل الحائط وسادة من الزهر الأبيض
يطنّ فوقها سرب من الذباب .

وعلى حين غرة صاحبت البنت الصغيرة التي تخيط
قرب الباب :

— ما ما ...

فأجابت الأم : ماذا تريدن ؟

قالت : ها هو ذا

وقد كن في جزع منذ الصباح ، ذلك لأن رجلاً
غريباً كان يطوف حول الدار ، وهو رجل مسن
تبدو عليه دلائل الفاقة والشقاء ، شاهدته عند ما
صحب الأب إلى قاربه الذي يصيد فيه ، إذ كان جالساً
فوق حجر قريباً من الدار ، ولدى عودتهن من
الشاطئ شاهدته أيضاً جالساً ينظر إلى الدار .

وكان يبدو عليه أنه مريض بائس ، فقد لبث
ساعة دون أن تبدو منه حركة ، وما كاد يلاحظ
أنهن ينظرن إليه برية ، حتى نهض وسار يجر رجله ،

كانت القرية الوديعه نائمة في حضن الوادي
المنحدر نحو البحر ، وكانت أمواج البحر المتتابعة
تلطم الشاطئ الرملّي ثم ترتدّ عنه ، وكانت السحب
البيضاء تجتاز مسرعةً ، السماء الزرقاء الواسعة يحملها
الهواء الناعش ... وكان أول ما يبدو للداخل إلى
القرية ، دار صغيرة منفردة على قارعة الطريق يعرفها
الناس باسم دار « مارتن لوفيسك » ، كان يأوي
إليها أحد الصيادين المعروفين ، وهي ذات جُدر من
طين ، وسقف من قشّ ، مزين بالسوسن الأزرق ،
تحيطها حديقة واسعة ، تمتدّ كاللبساط ، فيها أنواع
الزروع : كالبصل والكرنب والبقدونس المتراكم لدى
الباب ، وكان يسترها عن الطريق سياج من الزروع
الشائكة .

كان الرجل في صيده . وكانت امرأته جالسة
أمام عتبة الباب تحيك لزوجها شبكة صيد ، مستندة
إلى الحائط الذي كان يعلوه نسيج العنكبوت ،
وكانت ابنتها البالغة من العمر أربع عشرة سنة ،
عند مدخل الحديقة ، مستلقية على كرسي من القش ،
مائلة به إلى الوراء قليلاً ، ترقع ثياباً بالية حقيرة ،

ولكنه رُئى بعد قليل عائداً بخطواته البطيئة ، ثم جلس فى مكان أبعد من مكانه الأول ، كأنما يريد أن يراقبهن .

أوجست البنات خيفة ، وزاد بالأم الجزع لأنها نشأت على الخوف ، ولأن زوجها لوفيسك لا يعود من البحر إلا عند هبوط الظلام

كان زوجها يدعى لوفيسك وهى تدعى مارتن ، ولدى زواجهما دعيا أسرة مارتن لوفيسك وذلك أنها تزوجت للمرة الأولى نوتيا يدعى مارتن ، كان يذهب كل صيف إلى الأرض الجديدة يصيد نوعاً خاصاً من السمك ، فرزقت منه بعد مضي سنتين على زواجهما بنتاً صغيرة كان عمرها ينيف على ستة أشهر عند ما اختفى مركب « الشقيقتين » ذو الساريات الثلاث الذى كان يقل زوجها ، وانتظرت أن يأتيا خبر عنه فلم تسمع عنه شيئاً ، ولم يعد أحد من البحارة الذين ركبوا معه فاعتبر مفقوداً ، وانتظرت مارتن زوجها ست سنوات تقوم بأودابنتها بصعوبة ومشقة ؛ وإذ كانت باسلة وحسنة السمعة ، خطبها لنفسه أحد صيادى البلدة واسمه لوفيسك ، وكان أرملة يعيش مع ولد له ، فتزوجته ورزقت منه طفلين فى ثلاث سنوات ، وعاشا بكد وجهد ونصب لأن الخبز كان غالى الثمن ، فكانوا يأخذون ما لا بد لهم منه يشترونه بالنسيئة ، وكاد اللحم أن يكون غريباً عن الدار زمن العواصف والأنواء ، وكانت صحة الأطفال برغم ذلك حسنة حتى أنه كان يقال : إن أفراد أسرة مارتن لوفيسك شجعان ، فإن مارتن تتحمل المشاق ، ولوفيسك ليس له نظير فى الصيد وكانت البنت جالسة على السياج فقالت :

— أكبر ظنى أنه يعرفنا ومن الممكن أن يكون بعض فقراء بلدة « إبيرفيل » أو بلدة « أوزيبوسك » ولكن الأم كانت على تمام اليقين من أنه ليس من تلك الديار . وظل الرجل على حالته الأولى لم يحد بعينيه عن الدار ، ففضبت مارتن وأكسبها الخوف شجاعة ، فتناولت مجرفة وذهبت إليه وصاحت به قائلة :

— ماذا تفعل هنا ؟

فأجاب بصوت متهدج :

— إننى أتقياً الظلال ، فهل أزعجتك ؟ قالت :

— لماذا تجول حول الدار كالمتهجس ؟ فأجابها بقوله :

ليس بودى أن أؤذى أحداً ، أفن المحظور أن أجلس على قارعة الطريق ؟

وسمعت جوابه ، فلم تخر جواباً وعادت أدراجها إلى الدار

كان النهار يمضي ببطء ، واختفى الرجل وقت الظهيرة ، ثم عاد فى الساعة الخامسة تقريباً ، ولم يروه فى المساء قط

ولما عاد لوفيسك عند هبوط الظلام ، سردن على مسامعه ما رأى فقال :

— من الممكن أن يكون فاراً من أحد ، أو أن يكون أحد الأشقياء . . . ونام لوفيسك بلا انزعاج ، بينما كانت زوجته تفكر فى هذا الأفاق الذى نظر إليها بعينين مضحكتين

وفى الصباح كان الهواء شديداً ، فرأى النوتى

أنه لا يستطيع الإبحار ، وقرر أن يبقى في الدار ليعين امرأته في صنع الشبكة

وقرب الساعة التاسعة ، عادت بنت مارتن الكبرى ، وكانت قد ذهبت تشتري خبزاً ، عادت مسرعة وجلة مذعورة وصاحت قائلة :

— ماما ... ها هو ذا

فاضطربت الأم وشحب وجهها وقالت لزوجها :

— إذهب إليه يا لوفيسك ، وقل له لا يضايقنا

هكذا ، فإن منظره يبعث في نفسي شعوراً غريباً .

وكان لوفيسك صياداً كبيراً ذالون أسمر ولحية حمراء

وعينين زرقاوين وعنق قوى ، يرتدى الصوف دائماً

خوفاً من الريح والمطر في عرض البحر ، فخرج

بهدوء واقترب من الأفاق ، وكانت الأم والبنات

ينظرن إليه من بعيد بقلوب واجفة ، وبعد قليل من

الزمن ، أبصرن الرجل المجهول ينهض فجاءة ويسير

مع لوفيسك نحو الدار

فشدهت الأم وزهلت ، وعادت إلى الوراء ،

فقال لها زوجها :

— إعطيه قطعة خبز وقدر نبيذ ، فإنه لم يأكل

مذ أمس الأول . ودخل الرجلان الدار ، وتبعتهما

المرأة وأولادها ، وجلس الأفاق وبدأ يأكل دون

أن يرفع رأسه ، والكل ينظرون إليه

وقفت الأم تحدق في وجهه ، واستندت ابنتها

إلى الباب ، حاملة إحداها الطفل الصغير ، وعيناهما

لا تفارقانه ، وانقطع الطفلان الجالسان فوق رماد

الموقد عن اللعب بالقدر السوداء كأنهما يريدان أن

يتأملوا أيضاً هذا الغريب

تناول لوفيسك كرسيّاً وقال يخاطبه :

— هل أنت قادم من مكان قصي ؟

— أتيت من هنا

— ما شيئاً ؟ وبجالتك هذه ؟

— نعم ما شيئاً لأنني لم أجد ما أركبه

— إلى أين أنت قادم ؟

— إلى هنا

— هل تعرف هنا أحداً ؟

— ربما

وصمت الرجلان ، وكان الغريب يأكل ببطء

برغم جوعه ، ويتناول جرعة من النبيذ بعد كل لقمة

من الخبز . كان وجهه شاحباً متفضناً ، تظهر عليه

سياء التماسه والشقاء

وجاءة قال له لوفيسك : ماذا تدعى ؟

فأجاب ولم يرفع رأسه :

— إسمي مارتن

فمرت الأم قشعريرة غريبة لدى سماعها هذا

الاسم ، وخطت خطوة للأمام كأنها تريد أن ترى

الغريب بوضوح ، ووقفت إزاءه متهدلة اليدين ،

فاغرة الفم ، ولم يقل أحد شيئاً ، وأخيراً قال لوفيسك :

— هل أنت من هنا ؟

فقال : نعم . ثم رفع رأسه فالتقت عينا المرأة

بعينيهِ ولبثتا عالقتين بها طويلاً دون أن تتحوّلا ،

ثم صاحت الأم على حين غرة بصوت ضعيف

مرتجف :

— هذا أنت يا زوجي ؟

فأجاب بهدوء وببطء :

— نعم ، هاأنا

ولم يتحرك ، بل راح يُكمل مضغ خبزه

وكان لوفيسك مذهولاً فقال بتلعثم :

— هذا أنت يا مارتن ؟

فقال الآخر بسداجة وبساطة :

— أجل ، هأنذا

قال الزوج الثانى :

— من أين قدمت إذن ؟

فأجاب الأول :

— من جنوب إفريقيا . غرق المركب ففجونا

بقطعة خشب : بيكار وفاتينيل وأنا . ثم نزلنا بلاد

المتوحشين الذين أسرونا اثنتى عشرة سنة ، وقد

مات رفيقاي ، ثم أنقذنى أحد السياح الإنكليز

وقادنى إلى هذه القرية ، وهأنذا هنا

فأخذت مارتن تجمش بالبكاء ، وخبأت وجهها

في مئزرها

وقال لوفيسك :

— ماذا نصنع الآن ؟

قال مارتن :

— أأنت زوجها ؟

أجاب لوفيسك :

— أجل . ونظر كل منهما إلى الآخر ، ولم ينبسا

بينت شفة

وأخذ مارتن يتأمل الأطفال المحيطين به ،

ثم أشار برأسه إلى البنيتين وقال :

— أهما ابنتاي ؟

فقال لوفيسك :

— نعم ، لهما ابنتاك

فلم ينهض ولم يعانقهما ، واكتفى بقوله :

— يا لله ! كم هما كبيرتان !

فقال لوفيسك :

— ماذا نصنع الآن ؟

فتلعثم مارتن ، ولم يدر ما يقول ، وعزم أخيراً

فقال :

— سأفعل ما يوجبك ، إذ أنى لا أود أن أجب

لك السوء . إن وجودنا في دار واحدة ضار لكليتنا :

أنا لى ابنتان ولك ثلاثة ، كل منا يأخذ أولاده .

بقيت الأم فهل لى أم لك ؟ أنا أَرْضَى بِحُكْمِكَ ،

ولكن الدار لى لأن والدى تركها لى ، ولأنى ولدت

فيها ، وهى مسجلة باسمي عند كاتب العدل

وكانت مارتن تبكى باستمرار ، وتحنى نشيجها

وشهيقها في نسيج المئزر الأزرق ، واقتربت البنيتان

الكبيرتان من أبيهما ، وتأملتا باضطراب . وكان

قد أتم تناول طعامه فقال بدوره :

— ماذا نصنع الآن ؟

ففكر لوفيسك وقال :

— نذهب إلى الكاهن ونرى ما يقول

فنهض مارتن . ولما اقترب من زوجته أُلقت

بنفسها على صدره منتحبة وقالت :

— زوجى ! هاك أنت يا مارتن ، يا زوجى التعس

وأخذته بين ذراعيها كما كانت تفعل فيما مضى وعادت

بها الدكريات إلى سن العشرين عند تفتح زهرة

حبها الأول . ونال هذا المشهد من نفس مارتن

فقبلها ، وراحت البنيتان قرب المدخنة تصيحان

لدى سماعهما بكاء أمهما ، وصاح الطفل الرضيع وهو

في ذراعى صغرى بنات مارتن بصوت حاد ، ووقف

ودخلا ، وجلسا في المقهى الذى ما زال فارغاً

من زواره ، وقال لوفيسك :

— إيه يا شيكو ، هات كأسين من النبيذ الجيد .

هذا مارتن قد عاد ، وهو زوج امرأتى كما تعلم ، مارتن

الذى ذهب فى مركب « الشقيقتين » ولم يعد

وأقبل صاحب المقهى يحمل ثلاث كؤوس

ياحدى يديه وزجاجة بالآخرى ، واقترب منهما ،

وكان رجلاً بطيئاً ، وافر الدم ، منتفخ الجسم من

وفرة الشحم ، وقال بصوت هادئ : إذن ها أنت ذا

قد عدت أخيراً يا مارتن

فأجاب مارتن : أجل ...

نابغى الطنطارى

لوفيسك ينتظر ختام هذا المشهد ثم قال :

— هيا بنا

فترك مارتن زوجته ، ورأته الأم ينظر إلى ابنتيه

فقال لهما : قبالاً أبا كما

واقتربتا منه بعيون جامدة ، وكانتا ذاهلتين

وخائفتين ، فقبل مارتن كلا على حدة قبلة قروية صاخبة

ولما رأى الطفل الصغير هذا الغريب يقترب منه

أخذ يصيح صيحات حادة ثم عن اضطرابه وارتجافه

ثم خرج الرجلان ، ولما مرا أمام مقهى التجار ،

قال لوفيسك :

— أندخل فنشرب شيئاً ؟

قال مارتن : أفضل ذلك

أمنوا لدى

شركة مصر لعموم التأمينات

— احدى مؤسسات بنك مصر —

تستثمر جميع أموالها فى القطر المصرى

وكلاء فى جميع أنحاء القطر وفى السودان

الزواج حبل الجلالة

عن الانجليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

اعتقدت أنه لا يسوءك أن يلتفت إلى إنسان . وقد شكوت إليك في ذلك الحين كما تشكو إلى الآن . ولكنني كنت أكثر حكمة منك ، فقلت : إن علاقتك بدمام دي سيفري تسبب لك نفسك ألماً . وقلت لك إنك تعرض للاستهزاء . فإذا كان جوابك ؟

لقد قلت لي في صراحة إنك حر وإن الزواج في نظر الطبقات الراقية إنما هو مظهر اجتماعي وليس عقداً أدبياً . ألم يكن هذا جوابك ؟ وأفهمتنى أن خليلتك أفضل مني وأرق أنوثة - لقد كان هذا هو تعبيرك (أرق أنوثة) واتفقت منذ ذلك العهد معي على أن نعيش في منزل واحد على أن يكون كل منا منفصلاً عن الآخر تمام الانفصال ، ولم تكن بيننا رابطة إذ ذاك سوى ابنا الذي يترى بيننا وقلت لي في جلاء إنك لا تعني إلا بالمظاهر وإن لي أن أتخذ خليلاً على شرط أن يبقى الأمر مكتوماً . ثم كلمتني عن مهارة النساء في التستر الخ ، وإنني لأفهم مركزك تمام الفهم فقد كنت في ذلك الوقت مدلهماً بحبك لدمام دي سيفري وكنت ترى عقد زواجنا الشرعي يحول بينك وبينها ، وكنت ترى أيضاً أنه لا مبرر لما تنفقه علي من المال بسبب هذا العقد ، ولهذين السببين كرهتني وعشنا منفصلين وكنا نستقبل الناس معاً ولكن لكل منا مأواه في المنزل . على أنك منذ شهر أو شهرين أخذت تمثل دور الغيرة فما معنى ذلك ؟ قال الزوج : « إنني يا عزيزتي لا أمثل دور الغيرة ولكنني أخشى عليك تعريض نفسك للخطر فأنت صغيرة وأنت مخاطرة ، وإنني أخاطبك كصديق وأرى في القول الذي تقولينه كثيراً من المبالغة »

كان على المنضدة المصنوعة على الطراز الياباني موقد يغلي فوقه وعاء من الشاي وبجانبه فنجانان وزجاجة من الروم

وكانت الكونتس تراقب صنعه وهي تنظر إلى وجهها في المرآة وترتب شعرها حين دخل الكونت « دي سالور » فرمى بقفازيه وألقى قبعته . وابتسمت الكونتس ابتسامة سرور عند ما التفتت إليه وأصابها الصغيرة البيضاء ترفع عن جبينها الناصع خصلة من الشعر الذهبي . ونظر إليها متردداً في القول كأن خاطراً ما يشغل ذهنه ثم قال : « هل وجدت الائتفات الكافي في هذه الليلة ؟ » فقالت الكونتس : « أرجو ذلك »

ثم تناول مقعداً وجلس أمامها وأمسك بقطعة من الكعك وقال : « لقد كان ذلك التصرف محزناً » فقاطعته قائلة : « وما الذي كنت تريد ؟ هل كان يحسن أن يضحك الناس منا ؟ »

قال : « كلا يا عزيزتي ولكنني أعني أنه لم يكن يليق أن يأخذ المسيودي برويل بذراعك ويذهب . ولو كان من حق أن أمنعه إذ ذاك لمنعته »

فقالت : « كن طويل البال . إن آراءك اليوم ليست كأرائك من عام . وهذا كل ما في الموضوع . ولما رأيتك تتخذ خليفة ورأيت الحب بينكما ظاهراً

فقلت : « كلا ، لا مبالغة في قولي فأنت قد رخصت لي بأن أفعل مثل فعلك »

قال : « أرجو ... » فقاطعتة قائلة : « دعني أتكلم ، لقد رخصت لي بذلك ولكني لم أفعل ، فليس لي خليل ولكني منتظرة . إنني أبحث ولكني لا أجده . إنني أريد ظريفاً .. أريد أظرف منك . إنني بالقول الذي قلته الآن أمدحك مديحاً لم تفتن إليه »

قال الزوج : « يا عزيزتي إن كل ما تقولينه الآن مزاح لا محل له هنا » فقلت : « إنني لست أمرح فإنك سمحت لنفسك بأن تكون من ذوى القرون »

قال الكونت متغيظاً مهتاجاً : « كيف تستعملين مثل هذه الألفاظ ؟ فقلت الزوجة : « كيف أستعملها ؟ أنت قد ضحكت ملء شديك لما قالت مدام دي سيفري عن زوجها إنه من ذوى القرون » قال : « ولكن اللفظ الذي يقبل من دي سيفري لا يكون مقبولاً منك » فقلت : « كلا ولقد سرك هذا الوصف وأضحكك عند ما قيل عن دي سيفري وهو الآن يسوءك عند ما يقال عنك . وليس يهمني هذا اللفظ بعينه وإنما أريد أن أعرف هل أنت الآن على استعداد ؟ »

قال : « على استعداد لأي شيء ؟ » فقلت : « أأست على استعداد لتكون ممن يقال فيهم هذا الوصف ؟ إن الذي يضحك عند ما يوصف أحد أمامه بهذا الوصف لا يعود إلى الضحك عند ما يسمع هذه الكلمة بعد أن يصير هو نفسه متصفاً بها » قال الكونت : « تعالى يا عزيزتي نتكلم بمقل ونبهى المسيو برويل إلى أن ما فعله الليلة غير لائق » فقلت : « إذن فأنت غيران »

قال : « كلا ولكن لا أحب أن أكون في مركز مخز كالذي كنت فيه بالأمس » فقلت : « وهل شعرت بأنك تحبني في وقت من الأوقات ؟ » قال : « إن الإنسان قد يحب من هي أقل بكثير منك في الجمال » فقلت : « إذن فهذا شعورك نحوي ! لكنني لا أشعر بنحوك بشيء من الحب » فوقف الكونت ثم دار حتى صار خلف زوجته وقبل قفاها فالتفتت إليه وأبعدته عنها ونظرت إليه نظرة غضب وقالت : « ليس بيننا شيء من ذلك . إننا منفصلان »

قال : « تعالى يا عزيزتي . لا تقضبي فقد فتنت بك مدة طويلة ولك عينان ... » فقاطعتة قائلة : « عينان تفتنان المسيو دي برويل »

قال : « أنت قاسية جداً وليس في الدنيا أجل منك » فقلت : « دعني فأنت صائم »

قال : « لست أفهم ما تعنين » فقلت : « أعني أن الصائم يجوع وأن الجائع يريد أن يأكل من أي شيء سواء وافقه في وقت آخر أو لم يوافقه . وقد أهملتني مدة طويلة ثم تريد أن تتذوقني الآن » قال : « لماذا يا عزيزتي تخاطبينني بهذه اللهجة ؟ » فقلت : « لأنني أعلم أنه بعد انقطاع صلتك بدمام سيفري اتخذت على التوالي أربع خليات من بينهم خياطة وممثلة . ولست أعلل مسلكك اليوم إلا بأنك صائم »

قال : « لا بل سأكون صريحاً . إنني عدت إلى حبك وأحببتك إلى أقصى حد » فقلت : « لقد أخطأت . فقد انتهى كل شيء بيننا . ولست أنكر أنني زوجة ، ولكنني زوجة لها الحرية الكاملة في أن تفعل كل شيء . ولقد كنت الليلة مدعوة

إلى موعد فإذا شئت فضلتك على صاحب الدعوة بنفس الثمن »

قال الزوج : « لست أفهم » فقالت : « سأفهمك ؛ فقل لي ألسنت جميلة مثل صاحبتيك الخياطة والمثلة ؟ »

قال : « أجل منهما ألف مرة » فقالت : « أخبرني بالحق كم أنفقت عليهما في ثلاثة أشهر ؟ »

قال : « لست أفهم » فقالت : « بكم اشتريت لهما حلياً ومجوهرات وكم أنفقت في المطاعم والمسارح ؟ »

قال : « لست أستطيع أن أجيبك ولكني أنفقت كثيراً » فقالت : « ألم يكن متوسطاً أنفقتة على إحداهما في الشهر خمسة آلاف فرنك ؟ »

قال : « نعم وهذا تقدير معتدل » فقالت : « إذن فيا صديق العزيز أنا أقبل بهذا الثمن أن تتخذني خلية مدة شهر يبتدىء من الليلة »

قال الزوج : « لا بد أن تكوني مجنونة يا مرغريت فقالت : « إذا كان هذا جوابك فأرجو أن تتركني وتنصرف »

ثم وقفت الكونتيس ومشت نحو غرفة النوم فسكنت في السرير زجاجة من العطر والتفتت فرأت الكونت واقفاً بالباب وهو يقول : « ما أجل هذه الراحة ! »

قالت : « هذه راحة السرير العادية ولم يتغير شيء في المنزل » فقال : « أصحیح هذا ؟ إنها لراحة زكية »

قالت : « ربما ! ولكن أرجو أن تترك الغرفة لأنني أريد أن أنام »

قال : « يا مرغريت ! » فأجابته : « أترك الغرفة ! ثم لم تعره التفاتاً بل نزع ثوبها فبدأ ذراعان

ملفوفتان كأنهما مصنوعتان من العاج . ودنا منهما الكونت فقالت : « إبتعد وإلا أبعدتك »

فزاد دنواً منها ، ولكنها أظهرت الغضب ، وتناولت زجاجة من زجاجات العطر ورمته بها فأخطأته ولكن العطر انسكب فوق ثيابه فصاح : « هذا سوء أدب » فقالت : « دونك الشرط ... خمسة آلاف فرنك ... »

قال : « أيدفع الزوج لزوجته الشرعية أجراً ؟ » فقالت : « إذا كان هذا حماقة فإن أشد الحماقات أن يدفع للخياطات والممثلات وله زوجة شرعية » ثم جلست الكونتيس على المقعد ونزعت جوربها وأخذ ينظر إلى جمال رجلها ويقول : « إنها لفكرة مضحكة تلك التي تبدينها »

قالت : « أية فكرة ؟ » فقال : « دفع خمسة آلاف فرنك »

قالت : « ليس في الدنيا شيء طبيعي أكثر من هذا . إن أحداً غريب عن الآخر كما أردت أنت ، وليس في وسعك أن تزوج مني لأننا متزوجان ، وليس لك أن تعطيني أقل مما تعطيه للأخريات » ثم قامت وقالت : « أرجو أن تخرج وإلا استدعيت الخادم لإخراجك »

فوقف الكونت واجماً مقدار لحظة ثم ألقى إليها بكيس نقوده وقال : « خذي هذا ففيه ستة آلاف فرنك »

فضحكت وهي تتناول الكيس وقالت : « خمسة آلاف فرنك كل شهر . تذكر يا كونت وإلا فلتعد إلى خيلياتك . وربما ... ربما إذا أعجبتك الحال طلبت الزيادة . هبه اللطيف النشار »

قصة واقعية

مطابق الانجليزية بياض رز رز
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

جميلة فتاة ، وجهها يشع النور ،
وأنفاسها تبُخَّح العطر ، وقامتها
تبعث الإكبار والإعجاب ، وهيئتها
تفيض على المكان روعة وجلالاً ،
وتنفث فيه سحراً وجمالاً . لذلك
لم أحاول أن أفر منها ، أو أنجو
من الرعب الذي بثته في جوانحي

وحواسي . كان شعرها الكستنائي مصففاً حول
وجهها في أسلوب رائع خلاب إلا بضع خصلات
راحت تنوس على نحرها العاجي المنور . كانت تبدو
صورة رائعة خلقها ريشة فنان صناع ، أكثر مما
تبدو امرأة ذات روح . وأغمضت عيني في قوة
وعنف ، وعند ما فتحتهما كانت قد اختفت

ولست أدري لم أحجمت عندما عدت إلى مثنوى
عن التحدث في أمر هذا الشبح الجميل كما لست أعلم
لم دأبت على الذهاب إلى تلك البقعة — يساورني
مزيج من الخوف والأمل — لعل أراها ثانية .
واستمرت تحضر حتى في أثناء العواصف الهوج ،
والزن الهتون . ويبدو أنه لم يكن لها أي سلطان
عليها ، فما كان المطر يمسها رذاذه ، وما كان الريح
يزعجها هبوبه ، كانت تنظر إلى نظراتها الحلوة ، ثم
تمر في صمت كالخيال . وكانت مرة بقربي نكاد
— أنا وهي — نماس ، فهبت خصلات شعرها
ومست خدي ؛ ومع ذلك لم أستطع أن أتحرك
أو أكلها .

وسقطت مريضاً محموراً . ولما أن تماثلت للشفاء
سألني أمي ، وألحقت في السؤال ، عن تلك السيدة
الطويلة التي كنت أهذي بها أثناء الحمى الشديدة
ولا أستطيع أن أصف لك اليأس الذي منيت به

كنت أرقل في أثواب الصحة والعافية عند
ما كنت صبياً ، وكنت إلى هذا خيالي الطبع أهم
بالفكير والتأمل . لذا كان من دأبي أن أتسلل في
غفلة من أترابي الصغار إبان لهوهم ولعبهم إلى غابة
ذات ظل ظليل ، وهدوء شاعري جميل ، وأنصت
إلى نعيم الغربان ، وشدو الطيور ، التي يبدو أنها
كانت تهيم بالعزلة هيأى بها

وطال بي البقاء ذات مساء . وحذرتني ساعة
الكنيسة القريبة أكثر من مرة من تأخرى ،
ونبهتني إلى وجوب العودة إلى مثنوى . كان
السكون غمياً والصمت شاملاً حول تلك الطبيعة
الساحرة ، لذلك لم أشأ أن أعكر صفوها بأقل
حركة تبدر من جسدي المستقر الساكن

وزعني من تأملي شبح أنثى ظهر أمام ناظري
فجأة ، امرأة هيفاء طويلة القدر راحت تسدد نحوي
النظرات الحزينة الحائرة . كانت في أثواب بيض
من الرأس إلى القدم ، في هيئة لم أرها قط من قبل ؛
وكان فستانها طويلاً فضفاضاً ، له حفيف كان يسمع
في أثناء غدواتها وروحاتها بين الأشجار الشجراء
كأنما قد صنع من حرير غال ثمين وأحسست قلبي
يشدد وجيبه كأنني في دور النزع والاحتضار . وكان
في مكنتي أن أنمس للفرار سبيلاً ، بيد أنها كانت

لأدع كل ذلك لأتحدث لك عن يوم لم يكن، مع كونه أجل الأيام وأصفها، في جمال أو صفاء نظرات العذراء الصغيرة وهي تتحدث بوجه مستبشر منطلق عن الوليمة التي ستولمها ابتهاجاً بشقاء الضيف الكريم. قال الشاب :

— لقد حان الوقت يا سيدتي أن يقص عليك هذا الضيف الشاكر ، أسير فضلك ومعروفك ، كل قصته ، وأن يحدثك عن شخص عزيز عليه ، سيعمل معه جاهداً على إيفائك حقك من الشكر. هل لي أن أطلب إليك يا سيدتي الكريمة ، فتكتبي عني رسالة صغيرة ؟ وقد لا أعدم في هذا الوقت الخطير المصيب وسيلة توصلها إلى صاحبها

فأخذت تفكر : « لأمه دون ريب » ثم سارت إليه بخطوات خفيفة وقلب خفاق ، وجلست بجواره وسألته أن يملى رسالته . بيد أنه لم يكذ يقول : « زوجتي العزيزة » ، ويرفع رأسه إليها لتطلب المزيد حتى وجد أمامه تمثالاً شاحباً ممتقماً ينظر إليه نظرة يأس قاتل ، ثم يسقط عند قدميه كجثة هامدة :

ولم تشع هاتان العينان منذ ذلك الحين السعادة والغبطة ، ولم تجب نظراتهما الحيرى الزائفة على أسئلة أبيها الملحة اللفانة

وعاشت بقية عمرها على الحال التي رأيتها عليها رقيقة حلوة دائماً ، ولكن لم يعد الرجل الذي تسبب لها في ذلك

وحرصت حتى أيامها الأخيرة ، على زيارة تلك البقعة التي رأت فيها الضابط الشاب أول مرة ، مرتدية تلك الثياب التي قال إنها تناسبها تماماً

محمد عبد القناع محمد

في خيالي ، والخيبة التي أسفرت عنها آمالي عندما علمت أن ذلك لم يكن شبهاً من الأشباح ، ولا طيفاً من الأطياف ، وما كان إلا امرأة حية من لحم ودم ، ليست شابة صغيرة برغم نظراتها الحلوة الفتية . إذ أن الحزن العميق الذي أترع نفسها ، والصدمة الشديدة التي منى بها قلبها ، أبقيا على جمالها وحسنها. عند ما ارتد جيش الثوار مدبراً عقب هزيمته المنكرة ، تخلف في هذه الغاية التي كنت بها أهيئ ، ضابط قعدت به جروحه الأليمة عن متابعة رفاقه ، فسقط عن جواده وأسلم نفسه للموت . وأعثر الحظ عليه ابنة السير هنرى ... فحملته بمعونة خادم أمين إلى قصر أبيها ، وكان السير هنرى من أنصار الحكومة ، بيد أن حال الضابط الجريح استدرت عطفه وإشفاقه ، ودلت جروحه على بسالة لا تفكر وشجاعة جديرة بالإعجاب . ودافعت ابنة السير هنرى عن الضابط الشاب دفاعاً حاراً ودموعها هواطل ، وأعلنت أن الواجب يحتم عليهم حمايته والتستر عليه والعناية به . وقامت هي على تمريضه (إذ ماتت أمها منذ بعيد) أسابيع عديدة . وراقبت في لهفة أول نظرة سددها الضابط الواهن الضعيف إلى ممرضته الصغيرة معبراً عن شكره وامتنانه

وأحسبك مدركاً أيها الفارى دون أن أخبرك أنا - وقد اندملت جروحه - تلك اللحظات السعيدة التي كانت تقضى في القراءة ، وفي التغنى بصوت خافت لطيف ، وفي التوقيع الجميل الأخاذ على الفيتشارة ، وفي جمع تلك الزهور التي تقعد بامرى جروحه عن جمعها لنفسه ، وكيف كانت تمر الأيام هادئة جميلة ، مترعة بالغبطة والسعادة لعودة الصحة وحلول الشفاء يسودها الهدوء والراحة اللذان يشملانه

الذهبي نسبةً إلى لون شعرها
الكثيف المتموج الذي كان
يبدو للرائي كأنه خيوط ضوئية
نسيت من صفائر الفجر .
وكانت جميلة غضة كاحدى
عرائس النعيم ، وذات جاذبية
رائعة يطل بجانبها مفعول فتنة
(فينوس) وينتسخ معها تأثير
السحر والساحرين ...

أُطُورَةُ "دَهْلَه" و"الفَرَاتِ" عن الأدب التركي بقلم الأديب محمد نذير الحسنا

وقد ساعد على تطرية
شبابها الباكر ، أنها من لدُنْ طرفت عينيها الحياة
لم تعرف غير الدَّعة وخفض العيش . فقد ربيت
في سرير من السحاب ، وعلى فراشٍ من الطحلب
الوثير ...

أما صواحبها في غدواتها وروحاتها ، فكان
أسراب الغزلان؛ ترتع معهن في المروج وترا كضهن
بتلطف وإيناس تحت ظلال أشجار الصنوبر والكرز،
فإذا جنتها الليل استسلمت إلى الرقاد الهنيء على مهددة
البلابل والأطيّار ...

ويراها أبوها « آرات » رَيًّا بأنداء الشباب
مشتاقةً إلى الحياة كالزهرة أول ما تتفتح أكامها
لتباشير الصباح ، يكاد ثدياها البارزان المتحلّبان
شهوةً ينطقان باللذة التي تكمن فيهما وتملاً أنسجة
جسمها الأملود؛ فيطرق هنيئةً يفكر في شيء ...
لا يلبث أن يستدعيها من أجل مكاشفتها به .

فلقد قطع على نفسه من قبل أن يزوّج ابنته
— متى أدركت — ابن ملك جبل « قاف »^(١) .

« هذه الأسطورة التركية الجميلة تعد من خير
ما في الأدب التركي من روائع وطرائف . فهي
لا تقل في براعة سياقها ووفرة مفاجآتها الفنية
روعة من أساطير اليونان الأقدمين وملاحهم
الخرافية . وقد آثرنا إفراغها في قالب عربي متين
— مع شيء من التصرف يجلو ما يغشاها من
غبار الارتباك ويجرى مع الواقع المشاهد على صرق
واحد — ليطلع قراء العرب وأدباؤهم على هذا
اللون الجديد من الأدب القصصي المحور ... »

كان في الزمن القديم ملك عظيم اسمه « آرات »^(١)
يسيطر سلطانه على الأصقاع الواقعة في جنوب قفقاسيا
وقد اتخذ لرأسه عمامةً بيضاء تناطح السماء لتكون
رمزاً لجلاله التسامى وجبروته النيف . فكنت تراه
في مجثمه الهيب — وقد امتدتُ حُبَّتُه الخضراء
إلى سيف البحر^(٢) — فتخاله أحد الآلهة برم
بملكوته الأعلى ، فنزل إلى الحياة الدنيا واختار هذه
البقعة الجميلة — التي شملها بالمظمة والوقار — دون
غيرها من بقاع الأرض .

وكانت له بنت اسمها « الفرات » أي السيل

(١) جبل خرافي كان يعتقد الأقدمون أنه من أقدس
جبال الدنيا وأكثرها مناعة ...

(١) الجبل الذي ينبع منه الفرات .
(٢) البحر الأسود .

أما وقد بلغت ابنته السن الموافقة للزواج ، فليباشر إنفاذ رغبته ، وليتقدم بها ثمرأً جنياً إلى ابن الملك المتملل بوعوده والمنتظر إنجازها .

ويفتح الأب ابنته بالأمر فتمتمض حين يقع في أذنها اسم الفتى الخاطب ، وتعرض عن الإصغاء إلى بقية حديث أبيها معتلةً بأنها لا تفكر مطلقاً في الانفصال عنه إلى الحياة الزوجية . ولا غرو في هذا النفور ، فهي تُحب الفتیان الشجعان وتتغزل بسيرهم ومغامراتهم ، وقد شاهدت أمس ذلك الفتى يهرب أمام خنزير برى دون أن يتصدى له بالمهاجمة والمصاولة مع مافي جمبته من نُشاب ...

فكيف ترتبط معه برباط العمر ؟ ... لا ... ! . . . إن هذا لن يتم . إن غدها وشكل مصير هذا الغد مما يعنيها هي اختياره ، ولا يعني غيرها أحداً في العالم ، حتى ولا أباه « آارات » الملك العظيم . وصرفت ذهنها عن الانشغال بهذا العارض التافه . وراحت تقترح على الأقدار أن تواتيها برغبة نفسها وتدلها على الشاب الذي يلبس هواها والذي لم تر له وجوداً قط في غير خيالها المبدع

وتظل على هذه الحال من هجسها وتمنيها أياماً تحول فيها نضارتها إلى شحوب يطفى نار خديها من أثر الهم والقلق

وفي ذات مساء بينما هي سادرة في أحلامها وتخيلاتها إذ ينحط على كتفها عصفور يستبهم مأناه عليها . فتناولته بيدها تتفحص ريشه وتمبث بجناحيه ولكنه يبادرها بالكلام على دهش منها وحيرة :

— إن وراء هذا الجبل يا سيدتي — ويشير بمنقاره إلى الجهة الجنوبية^(١) — شاباً في مستقبل حياته

(١) الناحية التي يخرج منها (دجلة)

شجاعاً لا يتهيب الموت ، فواراً كالنبع ، مصلتاً كالبرق ، يمرق كالنمر من المآزق التي تعرض له ولذلك سموه (دجلة) بمعنى السهم المنطلق

وقد نعى إليه خبرك وشأنك مع أبيك فأخذته رعدة الغضب وأشفق على هذا الجمال المنور أن يتضوع نشره في أرض سبخة ليس فيها حاسة تتذوق طيبه أو تعرف قدره ، كما أنك لامست أيضاً من نفسه — دون أن يراك — موضع الارتياح والقبول . فهو مشغوفٌ بذكرك يترصد السوانح القرية ليجتمع بك وينقع غلة قلبه الظمان .

فتطرب (الفرات) لهذا النبأ الحلو ، وتكسو وجهها حمرة مشبوبة لا ندرى أهي من الخجل الذي غلب عليها أم هي اندفاع الدم بمعاني الفرح والاطمئنان؟ والواقع أنها أحست في نفسها ميلاً شديداً نحو (دجلة) وشعوراً غامضاً ينزع بها إلى اجتلاء صورة الفتى الباغت التي أخذت هي تزينها له في خلدها وتملح عليها ألواناً شتى من الفتنة . ثم لا يلبث هذا الشعور الملح أن يأخذ شكلاً وجدانياً عنيفاً فإذا الفتاة عاشقة يتملكها الوجد والهيام ولما تتعرف بعد إلى ذلك الحبيب المجهول الذي جن بدوره بها دون أن يبصرها أو يستمع إليها ...

وهكذا تعشق الأذن أحياناً قبل عشق العين ! ويشي السحاب بخبرها إلى (دجلة) فيتنمر ويتشمر ويجمع الحبيء إليها ولو جشمه ذلك ركوب الخطر وتناول النجم خصوصاً بعد ما جدد أمله بها لوعة الذكر ومقاسمتها إياه حرقه الغرام . فيتأهب لمواقفها

ولكن أنى له النفاذ إليها والاحتياال على لقائها وقد عمد أبوها (آارات) — إذ تمردت عليه — إلى

العون إليها وتخليصهما من مرابط الشقاء . فيصر
على انتشالهما من الحيرة التي وقعا فيها ... ويعمل
فكره الثاقب في التوصل إلى مبتغاه بوسيلة غامضة
تخفي على الشياطين ولا يفتن لها الملك الظالم

ولقد تم (لداو) ما يريد من هدى (دجلة)
(و(الفرات) إلى وجه حل المعضلة التي تقوم دون
تلاقيهما والتي تزداد تعقداً كلما اعتوراها بالمعالجة
والتفكيك - كما تم له من قبل تنظيم السفارة بينهما
بواسطة المصفور المتكلم .

كل ذلك بفضل دهائه البعيد وخبثه البارع .
فإنه ما لبث أن حار هواء تبذرت ذراته في الفراغ
وهس في أذن كل منهما قائلاً :

— إن الإنسان ربما لا يستطيع أن يتناول
بيمينه كل ما تشره إليه نفسه — في البلد المسك
عليه — دون أن يغفل تلك اليمين إلى عنقه بإرادات
لا تنتسب إلى ميوله وأتجاهاته إما خشية الحدود
التواضع على اعتبارها أو اتقاء الألسنة ومنعاً لقوارصها
الشداد . فإذا قدر له أن يضرب في مجاهل الأرض
وأن ينعتق من القيود التي كانت تجبذه كلما هم
بالانطلاق فإنه — بلاريب — سيقضى لبانة نفسه
بمبادرته ما يشتهي واجتماعه بمن يشاء ويهوى ،
وهنا ينقطع الحديث قليلاً ثم ما يعم أن يطرد تخالطه
لهجة يتفجر منها اليقين

— والآن يا ولدي يجب أن تتفرقا ملياً وأن
تسيرا في طريقيكما متدبرين لا يلتفت أحكما إلى
إلى صاحبه . فسيأتي يوم موقوت محظيان فيه بالعناق
الطيب والانتقام الدائم ...

عند ذلك بفهم كل من (دجلة) و(الفرات)
الغاية ويدركان القصد فيسلكان طريقين غريبيين
يغايّر أحدهما الآخر

ولقد يصطدمان بشقى الصويات عند كل مرحلة

طرف خفي من ذيل جيبته وهياً لها فيه مستقراً مسدود
الجوانب يحول دون تسرب أى مخلوق إليها حتى
ولو كان (دجلة) صاحب الغمرات المشهورة مع
الضواري ، ومروّع الهوام بأنواعها في المحارم
والأحراج ... ؟

ولكن (دجلة) لا يأبه لهذه العراقيل إذا نصبت
في سبيله إلى (الفرات) ما دام مدرعاً بالجلد والثبات
ومتزوداً برعاية الآلهة وعطفها عليه ... وهي لا تتوانى
عن جبر القلوب المنكسرة ورد «الودائع» إلى أهلها
وحينما يبلغ إليها يتضمض قليلاً إذ يراها محاطة
بسياج مصنوع من الحجارة والصخور تعيا الحيل
في اختراقه لتماسكه المحكم

غير أنه لم يعمد التراجع والاستخذاء إذا صادف
صعوبة في أمر ما يود رياضته . فليقدم إذن علي
تجربة جديدة في تقويض جانب هذا السد القائم
أو إيجاد ثلثة فيه على الأقل يتفحم منها على (الفرات)
شغل باله ومنى قلبه .

فيجتمع جهده وينقذف على الصخور المركومة
ولكن سرعان ما ينبو عنها كالسيف . وبذلك
تحقق محاولاته في عبورها فيذهب فيلقى بنفسه بين
الوهاد والأغوار متضرراً جياًشاً كالجدول الزاخر
الذي صرف عن وجهته فراح يتعسف الطرق على غير
بصيرة ملتطماً بالصخور والأحجار .

ويطول بعدها بكاء (دجلة)، ويمتد أنينه حتى يبلغ
السماء كما أن (الفرات) يستمر حزنها وتلففها وتهمل
الدموع من عينيها كالسيول لا سيما وقد وقفها على
قصة حببها المخدول حمل الرياح في تضاعيفها زفراته
وشكواه .

وفي تلك الأثناء يكون رئيس السحرة (دالو)
المتابع لمجري حوادث الماشقين قد بلغت رأفته بهما
حدها النهائي واستنفد حالها صبره عن مد أسباب

الخالد . ليتناسيا الماضي ومساويه بطائفة من القبل
يتراشفانها فمأ إلى فم مودعيها أمرار الحب وخواج
القلب . . .

أجل ! ليتذوقا هذه النعمة البالغة نعمة اللقاء
التي حلما بها هناك ... في أخصب أما كن الدنيا
وأكثرها رغداً وأوفرها نضرة ، فلم تتحقق ولكنها
تحققت هنا ... على هذه الرمال اللاهبة التي لا تنبت
الورد والرياحين التي تمتد إليها الأيدي فتذويها ثم تدوسها
الأقدام ؛ ولكنها تنبت شيئاً أسمى من ذلك وأقدس .
إنها تنبت الحرية الغالية التي لا يساويها ذهبُ
المناجم ، والتي تطهر الأرواح من أوضار المادة
وتجتنح النفوس لتحلّق في أجواز السعادة
الفردوسية ...

إن هذه القفار الماحلة — التي لا عشب يزين
ساحاتها ولا ماء يلمع في جوانبها ولا بلابل تغرد
في أجوائها — هي خير ألف مرة بالحرية التي فيها
من الرياض والروج والبساتين التي لا يتنفس فيها
المرء إلا بمقدار ، ولا يكاد يتزحزح من موضعه
قليلاً حتى يضغطه كابوس الرق والاحتمار ...

وفي ليلة من ليالي الصحراء الهادئة يتزوج
الاثنان (دجلة) و (الفرات) يباركهما ضوء القمر
السابع الذي يغنيهما في حفلة زفافهما عن الشموع
والصايح ، ويستقبلهما صفير الرياح الذي يقوم
مقام الدفوف وطنين الأوتار ...

ويسير العروسان جنباً إلى جنب في طريقهما
الذي لا يعرفان مؤداه ، لا يكادان يصدقان أن ماها
عليه من السرّة والطأنينة إن هو إلا في اليقظة
وإن هو إلا الواقع المشهود . ويتبسطان في الحديث
عن حبهما وعن شجون هذا الحب المحفوف بالمخاطر
والأشواك . ويوجسان خيفة على هذه العلاقة
المستحكمة بينهما أن تعبت بحرمتها يدُ المقادير أو أن

من مراحل السير فينفي أملهما باللقاء القريب
عنهما التضجر ويلهمهما التنظر ويروح عن نفسيهما
المكدودتين . كانت الأميرة (فرات) تعاني جهداً
عظيماً في اجتياز رمال الصحارى ، وكانت — برغم
مجاهدتها ومغالبتها بما فوق وسعها في هذه
الرحلة الشاقة — تستعلن دلائل الكلال في زحفها
المنعرج البطيء وكيف تقوى على مواجهة خشونات
الحياة ومضائك العيش وهي من هي في دلالها ورقها
وليانتها وضعف أنوثتها ؟

وأما (دجلة) فكان على عكس محبوبته يقطع
الأبعاد والمسافات في سرعة الشرر الكهربائي
وانخفاظه ، غير آبه للشمس المحتدمة التي تسفع جبينه
المشرق وتلوح جماله الزاهر ... فلورآه أحد في
قفزه المتلاحق ينهب أديم الصحراء لقال : جيتي
يركض لينتزع الشمس قبل أن تقوته من أفقها النائي
وفي أحد الأيام يبصر (دجلة) وهو جاد في
انحداره إنسانة تدلف إلى ناحيته عجلي وعليها أثر
الهزال من وعشاء السفر . فلا يخامر الشك في أنها
هي «هي» فيمضي إليها غافراً لهذه الصدفة المرجوة
كل ما لاقاه من نصب وبلاء متناسياً من أجلها
كل مجازفة ...

ويرتجى العاشقان بعضهما على بعض في المكان
المطلسم^(١) بقوة عجيبة لو وقفت في سبيلها الأسوار
والقلاع لتداعت من أسسها ولطارت أجزاء في الفضاء
ولقد حق لها هذا اللقاء بعد ما شرياه بنوم الليل
وراحة النهار . فلينعما إذن بعده بوصول العمر وألفة
الأبد بعميد عن رقابة الأب الظالم وجفوة الأرصاد
مثنين في سرهما وجهرهما بالخير على الساحر (دالو)
الذي بمناصرتة لها جعلهما بظفران هذا الظفر

(١) الموضع الذي يتألف فيه « شط العرب » من تلاق
النهرين ...

يقطع وشائجها تطفل البشر والتفاتهم إلى الكيد والإيذاء .

أما وقد حظيا بالعناق الطيب (كما تنبأ لها الساحر دالو) وهما وجلان بعده أن يفرق شملهما تحرش طارىء ؛ فليبلغنا على نفسيهما إذن لينتقلا إلى جوار الأبرار وشهداء الغرام في جنات النعيم وليركنا إلى خلود العشرة ودوام الالتئام

وبينا هما غارقان في هذه الوسوس والافكار لا يعلمان إلى أين تسوقهما أقدامهما إذا بهما فجأة يتنبهان على جرجرة تعلو وتمتد فينظران أمامهما فتقع عيناهما على منبسط مائي فسيح يسمونه « البحر »^(١) يلتج بعضه ببعض ، ماله من نهاية إلا أن تكون فيما وراء الأفق ...

ويرعشان لأول وهلة . ثم يستعيدان الخواطر التي كانت (قبل ثوان) زادها الذي تبلغا به للوصول إلى هذا المكان فيثقان بالحكمة التي تدبرها ويتأكدان من أن الآلهة هي التي تخيرت لهما هذا المصير فجعلت تلك الخواطر والهواجس كتوطئة للانبعاث إليه في رضى وقبول ...

إذن لا بد من النزول عند ما قدر لهما . ولا بد من تقبل أوامر الآلهة وإرادتها ، لأنها هي وحدها العاصبة التي لا يتطرق إليها الزينج والبطلان .

ومن يدري لعل في فنائهما العاجل — وهو في يوم لا شك آت — ضمان غدهما في مقاصير السماء فليرغبا إذن في هذه النقلة وليباشراها ، ولنعم ما يصنعان .

ويتقدم (دجلة) و (الفرات) متحاذيين إلى خليج^(١) البحر ، وبعد أن يتعانقا عناقهما

(١) البحر الأحمر

(١) الخليج الفارسي حيث يصب فيه النهران معا . والذي من قعره تستخرج الآلى الفريدة

الأخير مطلقين العنان لأحر البكاء يرميان بنفسيهما في اللجة التي تنطبق عليهما إلى الأبد ، وهما متلاصقان تماماً كأنهما جسد واحد

وتمضى الأيام ويدور الزمان ، ويعز على الآلهة أن تدرج هذه الحادثة دون أن يظهر فيها أثر العبرة ومجال التقدير ؛ فيخطر لها أن تخلد جهاد ذلك الشهيدان اللذين فوضا أمرهما إليها ، ولم يعتدا عن مشيئتها قط

ومن أحق من المؤمن الصادق بالأجر والثواب في الحياة الدنيا بلاء الأخرى ؟ ... وتعمد الآلهة فتشق فوق موطن أقدامهما من لدن خرجا من موطنهما إلى انتهائهما إلى البحر نهري عظيمين تسمى أحدهما (دجلة) والثاني (الفرات) تيمناً باسمي الشهيدان الكريمين ... فكانت وما زالت تفيض الخيرات والبركات على شواطئهما الخصبة كما أن ما بينهما من البقاع كان مهد الحضارات الأولى ومنشأ الثروات الصخمة التي هي إلى اليوم مطمح أنظار الفاتحين ومحط رجائهم وأطماعهم

كذلك تجعل الآلهة من دموعهما الأخيرة المتحجرة في قعر الخليج لآلى غاية في الحسن والجودة ، تذكراً لهما بين يدي الأجيال المقبلة ؛ تعلقها النساء في نحورها وترين بفرائدها وتحرص على إحرازها واقتنائها ...

وما نزال إلى اليوم نؤم ذلك الخليج لاستخراج أثمن أنواع اللؤلؤ وأكثرها بريقاً ... أما الملك (آارات) أما الأب القاسى الذى أوشك أن يتصدع كالبركان من غيظ جوفه وألم نفسه فقد انتقمت منه الآلهة شر انتقام إذ قلبته جبلاً أصم ينشق الخراب فوق رعانه وتنيخ الثلوج على شعافه صيفاً وشتاء ...

ستقدرونه بما يستحق من
التقدير...!

ولكن وا أسفاه على ذلك
الممثل الذى عاش ومات لفنه
وذلك الموسيقى الذى تألم لطرب
غيره...!

لا شئ خلفوه غير هذه
الذكر الفانيات التى ترقد

فى ثنايا ذكرات محبيهم وأصدقائهم
أستطيع أولئك أن ينقلوا
شيئا من ذكراهم أو يخلدوا رسيدها
من تراثهم...؟!

رُبَّ قائل يقول لك «لا شك
أنك طربت ليلة ما بسمع ألحان
جان دى رسك أو شاهدت تمثيل
ما كرىدى على المسرح؟» فترى
نفسك إزاء هذا القول مضطراً
- مراعاة للأدب ومجاملة للموقف -

إلى قبول هذا الحكم راضياً مختاراً
أما إذا كان الحال غير ذلك لأنك لم
تعتمد سماع دى رسك أو مشاهدة
ما كرىدى فليس هناك أى أثر فى
قلبك أو أى فكرة فى نفسك...!

والواقع أن الممثل أتمس حظاً من زميله
الموسيقى... وذلك يرجع إلى وفرة المخترعات
الآلية الحديثة التى ساعدت على إخراج أشجى
الألحان ، وتأليف أجمل الأنغام حتى أن

الكراء البصري

للفن القصصى الانجليزى ستاس أومونيه
بقلم الأديب محمود المصطفى

تعريف

«ستاس أومونيه كاتب قصصى بارع
عالج القصة القصيرة فأبدع فى حبكها
أيما إبداع فجاءت ممتعة لما يدور فيها من
حوار شيق فى صورة محادثة سهلة بسيطة
على غرار ما يحدث كل يوم فى حياتنا
الخاصة . وتتميز قصصه بصفات أخرى
عالية - تتماز بالمزاج الرقيق والقوة فى
تحليل العواطف الانسانية المتباينة والميرل
المختلفة المتعارضة وحده على هؤلاء الذين
نكبوا فى حياتهم من جراء الهوى وتباريح
الفرام وعطفه على الانسانية المعذبة فى
هذه الحياة الدنيا »

وستاس أومونيه فوق ذلك مصور
بارع ومسرحى فذ إذ صادفت لوحاته
وكثير من مسرحياته نجاحاً باهراً مما جعله
فى مقدمة المؤلفين المسرحيين فى إنجلترا
ولكنه أبدع وتفوق فى فن القصة
القصيرة وله مجموعة طيبة منها وقارئوه
كثيرون جداً فى أوروبا وأمريكا، ووافته
المنية فى عام ١٩٢٨

عندما تنتهى بهم الحياة ويبعثهم
الموت إلى عالم البقاء والخلود إذ ذاك
تقوم ذكراهم من بين السطور التى
خطوها بأناملهم فتذكر الأجيال
المتعاقبة من جنسهم بالأثر الطيب
الذى خلفوه والتراث الجميل الذى
تركوه لهم من بعدهم عسى أن
يكون لحياتهم نبراساً هادياً
ومشكاة لا يخفت لها نور ومنبع
لا ينضب له معين...! ها هو ذا
التذكار الخالد الذى تركه الأديب من
بعده؛ وها هو ذا الأثر الناطق الذى
خلفه المهارى من فنه؛ وها هى ذى
الأفكار الصامته على الحجر الذى
صاغها النحات من قريحته لتشهد
الأجيال بعلو كعبه وجمال صنيعته!

ها هى ذى أعمالهم العظيمة التى لا سلطان عليها
للمن تخاطبهم قائلة : « احكموا بنى جنسى على
ما قت به فى سبيل خلاصكم وسعادتكم، لا شك أنكم
ستنعمون بما قدمت لكم من تراث ولا شك أنكم

من أتفه الأمور . فمثلاً إذا قال لك : ما أجل الطقس اليوم تشعر على الأثر أن تعبيره هذا يخالف هذه التعابير السائرة المألوفة التي يتفوه بها الناس في مختلف المناسبات وإنما هي تشبه تلك الأغنية الشجية التي ينشدونها الجنود البواسل عند النصر حيث يودعونها نشوة الفرح وهزة الطرب على ما من به الله عليهم من نصر ومجد أو إذا قال لك : أوه لشد أسنى على أثر إخبارك إياه بحادث محزن قد حدث لك، فأنت تستطيع أن ترى الحادث برمته مائلاً لك خلال عيني هذا الرجل المطوف وقد تخضلتا بالدمع السخين ! . . .

فخرته في هذه المناسبة يشبه حزن أجاممنون على خيانة كليتمنسترا له

وفي ذات يوم دعاني لزيارته في بيته التواضع على حد تعبيره هو فذهبت فوجدته يعيش وحيداً في عزلة من الناس، تقوم على خدمته امرأة عجوز راعه إخلاصها ووفائها له فأبقاها في خدمته سنوات عديدة . . . وغرف البيت تزينها تحف فنية رائعة وصور شمسية تذكارية منبثة هنا وهناك على الجدران والمناضد المستديرة الفخمة . تحققت بهذا المنظر مركزه كممثل بارع بعيد الصوت ، فلو كان هذا الشيخ الجليل مصوراً لسهل على أن أحكم عليه من نظرة واحدة خلال لوحاته، ولكن ماذا تقول في ممثل عجوز قد خصص فكره وحياته لاستعراض المأزق البعيد في ذاكرته وفي استرجاع الزمن الغابر السحيق في ذهنه . حقاً إنه منظر يثير الألم والحزن ويحرك في النفس كوا من الشفقة والشجن . . . !

وله هناك في أقصى البهو صورة رائعة ممضاة باسم مالفوليو Malvolio وله عدا هذه الصورة صور

النجاح في تلحينها يختلف باختلاف الآلات وإتقان صنعها ونوع معدنها ولكن الحال مع الممثل الفنان تختلف عن هذا وتباين فلا تنفع الآلة ، ولا الاختراع وإنما اعتماده كله ينحصر في براعة فنه وخفة حركاته وقوة تعبيره واندماج نفسه في طبيعة دوره ! فمن يقول إن جوزيف جيني سن أو هنري ارفح اعتمدا ليله مجدهما على آلة أو اختراع ؟ وأأسفاه لقد قضيا في غير رجعة ولا ذكرى وأصبحا في عداد أبطال الأساطير والخرافات !

جالت في نفسي هذه الخواطر المحزنة على أثر زيارة صديق الممثل السيد كولن يرانكر .

قابلته لأول مرة في المكتبة الأهلية فاستهوتني هيئته الوقورة ومشيته المتزنة الجليلة

يمتاز هذا الرجل برأس طويل جميل يتوجه شعر أبيض كالثلج . وهو رفيع القامة عريض المنكبين وكنت في ذلك الحين دائم التردد على هذه المكتبة فأجده يلهم تلك المجلات والجرائد التي أريد قراءتها . . .

ابتدأت علاقتي به يوم سألته عن مجلة «استعراض السبت» فأدى هذا السؤال إلى تقديم الشكر والعرفان ثم إلى التحية بالرأس في اليوم التالي ، ثم إلى تبادل الرأي في الطقس، ثم انحناء جميلة منه إلى ثم السؤال عن صحته من جهتي .

أثارت أخلاقه اهتمامي وراعني نبيل عواطفه ورقة شعوره نحوي . وأنت إذا تحدث إليك هذا الشيخ الوقور ملك عليك حسك وشعورك ، واستهواك بظرف حديثه ونبرات صوته الجمهوري ومخرج ألفاظه الواضح الجميل . يحرك في هذا الرجل نبيل العواطف وسمو الشعور حين أراه يمطف على كل شيء ويتأثر

أخرى تمثله في شخصيات مختلفة من مسرحيات شكسبير الخالدة وفي مواضع أخرى من البهو صور زميليه تول وهنري آرفيج وصور عديدة لمختلف الممثلين بعضهم من أعلام الفن والبعض الآخر لم أعرفهم

فهمت من سياق حديثه الممتع أن أمه كانت ممثلة فرنسية بعيدة الصوت في عالم المسرح، وهناك على البيان تقوم مروحة فنية في وضع جميل قد أهديت لها من الامبراطورة أوجيني Eugénie تقديراً وتشجيعاً لها . ولم يحدثني قط عن أبيه . خرجت من عنده حاملاً أجمل الذكريات العزيرة وعولت على زيارته كل ليلة سبت من ليالي الأسبوع . ففعلت حتى توشجت بيننا علاقة وثيقة . وما زلت أزوره إلى اليوم وفي كل مرة كان يطلعي على مقتنياته الفنية وصوره التذكارية حتى انتهينا منها جميعاً فعمد بعد ذلك إلى القماطير وأتى لي يبقايا آثار قديمة من القماش الثمين المطرز بأسلاك الذهب الخالص وأخذ يشرح لي تاريخ كل قطعة ومناسبة إهدائها له وكيف احتفظ بها حتى اليوم يستعين بها على استرجاع الماضي البعيد كلما تآقت نفسه الصادية إلى استعراض الذكريات الحبيبة، ذكريات الأمل والشباب ...

وفي ذات ليلة لفت نظري رداء صغير أبيض اللون دقيق الصنع رقيق النسيج ، ونظراً لرفع الكلفة بيننا استبحت لنفسى أن أسأله عن هذا الرداء الصغير الأبيض وهو ليس له بنات صغار حتى يقتني مثله . لا شك أنه رداء لطفلة صغيرة . ومما استوقف نظري أيضاً أنه كان ملفوفاً بعناية فائقة ومحفوظاً في مكان خاص به منفرداً عن جميع القطع الأخرى ...

فأخذته بين يدي ثم أريته إياه وقلت له : ما هذا سيدي الأستاذ ؟

فنظر إلى الرداء نظرة مؤثرة ممتعنة كأنى حركت في نفسه ذكريات مريرة لا قبل له بها وفاجأته بحادث حطم قلبه وهد من كيانه . فلما لاحظت عليه هذا التأثر أشفقت عليه وأخذت أكفكف من دمه وأهدىء من نفسه وقلت له : «إني آسف أيها الزميل الاشك أن هناك قصة مؤلمة لهذا الرداء، وكان ينبغي عليّ ألا أثير كوامن ذكرياته في نفسك» قلت ذلك وانتظرت رده عليّ، فأتجه نحوه وأخذ يرت على كتفي برقة ويقول لي متمماً : « كلا ... كلا ... لا ترعج نفسك هكذا ... »

حسناً فعلت ... سأخبرك بقصته ولكن في غير هذه الليلة ... قال هذا وهم قائماً وطفق يمشي ذهاباً وجيئة في عرض الغرفة، وفي صمت شامل وتفكير عميق، وبعد قليل وقف فجأة أمامي ووضع يده العارية الأشاجع على كتفي وخاطبني قائلاً :

— إيت إليّ غداً مع زوجتك لتتناول العشاء سوياً ... وإذ ذاك تكون مناسبة سعيدة فأقص عليك ما ساء هذا الرداء الصغير الأبيض

وجدت أن زوجتي كانت مدعوة إلى ليلة راقصة في ذات الليلة التي دعينا إليها من السيد يرانكر، فلما أخبرتها بدعوته لم تردد في إلغاء دعوة الليلة الراقصة لتستطيع أن تذهب معي إلى هذا الشيخ الكريم . وقلت لها إن السيد يرانكر رجل متوسط الحال وبيته متواضع خالٍ من مظاهر الترف والنعم فلا تكلفي نفسك مشاق ارتداء ثوب السهرة الثمين ولا سيما أن الدعوة خاصة بنا لا كلفة فيها،

ولا رسميات ولا قواعد يمكن أن تؤاخذ عليها، ولكن أقوالى كلها ذهبت أدراج الرياح، وفجأة بدت زوجتى فى حلة جميلة كأنها ستذهب إلى حفلة ملكية ساهرة فلم أحتج ولم أعارض — لأن التجارب قد علمتنى أن لا فائدة من الاحتجاج أو المعارضة إذ تجر إلى شقاق وآلام لا موجب لها . فارتديت ملابسى العادية فبدت بجانبها شاذاً منتقداً من كل من يرانا من الأصدقاء أو المعارف

وشىء آخر زاد من إحراجى ودهشتى معا . ذلك أننا عند ما ذهبنا إلى دعوة هذا الشيخ وجدته مرتدياً هو الآخر لباس السهرة الرسمى جلسنا على هذا الحال نحن الثلاثة حول مائدة كل أدواتها كانت من الفضة الثمينة والبلور الشفاف الجليل، وكان يقوم على خدمتنا المرأة المعجوز على أن ثيابى وهيتى فى هذه الليلة مما أثر فى نفسى أبلغ الأثر وأعظمه حتى نفست على جلسة نادرة ممتعة ووقتاً سعيداً مع هذا الرجل إذ كنت أشعر بأنى غريب عنهما وأنى لا يجوز لى أن أشارك معهما فى الحديث ...

دلى مظهر الوليمة ومبلغ نجاحها على لون حياة هذا الرجل ... لاشك أنها من هذا النوع الرفيع الذى يحياه قلة الناس من الهيئة الأرستقراطية ... وبعد الطعام دعانا مضيفنا إلى الجلوس حول الموقد حيث نصطلى بدفته اللذيذ فى مثل هذه الأيام من الشتاء القارص، وإذ نحن كذلك حول الموقد خاطبنا قائلاً : « ليدعنى أولاً سيدتى وسيدى أن أقدم لهما قليلاً من هذا الشراب الممتاز الذى أهدها لى صديق مقدس الذكرى عندى ... » قال هذا ودلائل التأثر بادية على وجهه فهزت من نفسه ...

وقدم لى كأساً من المشروب العزيز واعتذرت زوجتى عن قبوله ولكنه ألح عليها إلحاحاً شديداً حتى قبلته أخيراً فنعم بهذا الانسجام، ثم استوى على مقعده شارد الفكر مضطرب الجوانح . وبعد برهة من الصمت الرهيب قالت زوجتى : « الآن يا سيدى أريد أن ترينى الرداء الأبيض الصغير » فرد عليها بانحناءة كلها احترام ورقة ثم أتجه نحو البهو وجاء بالرداء ثم نشره، وهو واجم لا ينبس ببنت شفة، على مسند المقعد فقلبنا فيه النظر هنيهة قصيرة ثم قالت أليس : « ما أجمله من رداء وأروع من ذوق ... » فرأيناه مرة واحدة يخفى وجهه بين يديه وأخذ ينتحب تحبب الأبطال فصمتنا أنا وأليس إزاء هذا المشهد المؤثر الجليل ... يا لله ... ما أضعف القلب البشرى ... يا إلهى ... لم أودعت هذا القلب كل هذه الرقة ... ؟

لبث هذا المنظر الرهيب زهاء الدقيقة ثم رأينا الرجل يثوب إلى رشده ويمارده الكلام ثم استطرد فى حديثه قائلاً : « ترجع يا أولادى حوادث هذه القصة إلى زمن ليس بالقصير ... حدثت أيام الشباب الغابر فى جيل غير جيلكم وزمن غير زمانكم أظنكم تذكران فرقة الممثل الدائع الصيت « شارل كارسيد » التى كانت تجوب فى الأقاليم إذ ذاك والتى كان يستقبلها الجمهور الراقى الحساس بكل حماس وتشجيع ... وكيف لا ... وهو حين كان يشاهد رواياتها تمثل على مسرحها يلذ له أن يرى نفسه فى كل حركاته وسكناته ... فى كل عواطفه ونزعاته ... يرى فيها ميوله وآراءه وآماله وأتراحه وأحزانه وأفراحه ... آه ... لقد ذهبت هذه

وكيف يكون أثر هذا الفشل في نفسك فتتأثر لتأثرى
وتبكي لبكائي ...

فكرا في هذا واحكما على الصداقة والأصدقاء
في غابر الأيام ... وأسفاه على هذه الأيام السعيدة
أيام كان الإنسان إنساناً

وبعد برهة قصيرة من الزفرات والحسرات وجه
الكلام إلى زوجتي فقال : « أرجو من الأنسة
— إذ كان متشبساً طوال الحديث بأن يدعوها
كذلك — أن تلتق بالها إلى ما أعرضه عليها من
تقاليد العصر الماضي ...

كان الحب في أيام صباى ينطوى على معان كبيرة
تخالف وتباين معانيه ومقاصده في هذه الأيام، ففي هذا
العصر الذي نعيش فيه وفي مضطرب حياة الناس
على اختلاف أنماطهم لا ألاحظ إلا التكالب الأعمى
على المادة ... تكالبا أدى أقدامهم غير حافلين بتغذية
نفوسهم بالغذاء الروحي احتفالهم بتغذية بطونهم
بالغذاء المادي حتى صدئت وتبلدت جيلتهم فأضحت
غير مهيأة للتضحية والإخاء، ولا مستعدة لأداء الواجب
والثبات على الوفاء ... أترع من وجدانهم كل وازع
ديني وكل رادع خلقى نفلت ضمائرهم من كل توبة
أو ندم وتنجرت قلوبهم وغلظت أكبادهم ونضب
من وجوههم الحياء والخفر ...

أصبحوا يقتربون الإثم في غير حرج ويجترحون
السيئات في غير طمع لطلب المغفرة ... ووقرت
آذانهم فلم يسمعوا صوت الله ...

خلوا من الشهامة والروءة ولم يعرفوا معنى
الفضيلة والرجولة ... جنحوا إلى شهواتهم حتى
أعمت اللذات أبصارهم، وغرتهم حياة اللهو والمجون
فأمسوا أرقاء الشيطان يلعب بهم ذات اليمين وذات
(٥)

الأيام في غير رجعة ، أيام كان الجمهور يتهافت على
مشاهدة التمثيل بكل قلبه وجوارحه قصد التثقيف
والمتعة العقلية والرياضة الروحية ...

كنت تستطيع أن تقول إن هناك ممثلين فنانين
بالمعنى الصحيح ... إذ كانوا يمثلون مختلف ألوان
الروايات التمثيلية من ملهامة ومأساة وتاريخية إلى كل
ما من شأنه التثقيف العام ...

كنا نضطر من شدة إقبال الجمهور على مسرحنا
أن نغير برنامجنا كل ليلة وغالب الأحيان كنا نغيره
مرتين في الليلة الواحدة ... كنت أنا وصديقي
أوبن ترى O'ben Terry نحفظ عن ظهر قلب أدوار
عطيل Othello وياجو Iago وتبادل الأدوار المختلفة
في الليلة الواحدة

آه ! ما أقسى الذكرى ... !
ثم خفض من طرفه هنيهة واستطرد قائلاً :
« كنا صديقين حميمين بما في الكلمة من
معنى ... ! لقد قضى صديقي ترى ولكني لم أزل على
عهدي وفيما مخلصاً لذكراه »

عملنا معاً على المسرح ثلاث سنوات متتاليات
لم يشك أحدهما خلافاً في صدق إخلاص صاحبه
أو في وثاقة عهده ... !

أذكر في ليلة ما حين كان صديقي يقوم بتمثيل
دور خطيب وعندما انتهى من إلقاء خطبته كأروع
خطيب في رأيي لم يصفق له الجمهور استحساناً كما عوده
ذلك فنزل وذهب توأ إلى غرفته الخاصة كاسف
البال يجر أذيال الخيبة والفشل، وهناك في غرفته أخذ
يبكي وينتحب فأقبلت عليه لأسأله الخبر ... فرأيت
على هذا الحال، فسألته عن سبب هذا التأثر، فأجابني
بعد تردد قائلاً : « كنت أفكر فيك أنت يا صديقي

بين قلبيكما ووثقت من علاقتكما يجب عليك أولاً
أن تتعرف شعور صديقك نحو هذه المرأة ... !»

ومن يدري لعله يفكر فيها مثلي ... !
لبثنا على هذا الحال من التردد زهاء ثلاثة
شهور، وفي ذات ليلة لاحظت على زميلي اضطراباً
في هيئته، وارتباً كآ ظاهرآ في لهجته، حين يراها
أو يتحدث إليها فتأكدت في نفسي من ميله لها،
وصدق عاطفته نحوها ... إذ ذاك رأيت لزماً على
أن أخلي له الطريق وأتفحى، وبذلك أراعى حرمة
الصديق للصديق ... ! جمعت قواي وتشجعت فقامت
من فوري في غير تردد واتجهت نحوه، وقلت له :
« صديقي العزيز ... كن رجلاً واذهب إليها وأخبرها
بدخيلة نفسك وشرف عاطفتك ونبل شعورك نحوها.

ها هو ذا الطريق ممهداً والثمره دانية القطوف ... تشجع
وإياك والتردد ... » فقال لي ووجهه يطفح بشراً
وسروراً : لقد أصبت يا عزيزي، ولكن أخشى
أن تكون ... وتوقف عن الكلام ... ففهمت
قصده ولكني لم أشأ أن أفصح ... !»

وهنا اضطربت شفتا محدثنا، ثم دنا بمقعده
إلى زوجتي واستأنف حديثه إذ قال : « لا أستطيع
مهما أوتيت من قوة البيان والتعبير أن أعرض
عليك صورة هذا المبدع المقدس إذ كانت تحترق فيه
القلوب الفتية الوفية ويتسابق كل من التقدّم نفسه قرباناً
لخلاص أخيه ... ! كان كلانا يذوب وجداً، ومع
ذلك كان يحاول إفساح الطريق لأخيه راضياً قريحاً
العين وبهي له السبيل ناعماً سعيد البال ... ! حقاً
كان الأمر شديد الوطأة على النفس الشابة الصادقة
ولكن هي السعادة الروحية التي تمتلج في القلب
وتتأجج الصدر يشعر بها الصديق حين يقدم نفسه
قرباناً لخلاص صديقه !

اليسار ... وأصبحوا عبيداً للمطامع والشهوات ...
وألقوا زمام عقولهم لأهوائهم ولم يحاسبوها على
ما اقترفت من شرور وآثام حتى صدفوا عن المثل
العليا التي نظمح إليها النفوس الكريمة وهي : الخير
والفضيلة والجمال ؟ »

وبعد إلفائه هذه الكلمات التي انطوت على الحسرة
والألم قام من مقعده، ثم خفض من صوته حتى كاد
أن يكون همساً ثم أخذ يحدق في « إليس »
طويلاً واستطرد قائلاً : « كانت جميلة فارهة الجمال
جذابة الملامح والقسمات مثلك يا آنستي آه ... !
ما كان أعجبها من فتاة إذ كانت تحمل كل هذه الأسرار
السامية الخفية ... !

كنت أنا وصديقي على هذه الحال من العلاقة
الوثيقة والروح العالية التي توثق النفوس الكريمة
برباط الصداقة المتين حتى التحقت هذه الفتاة بالفرقة
التي كنا نعمل فيها .

كانت تدعى ويلز صوفي Wiles Sophi. وحدث
بعد ما انتهينا من طوافنا في الأقاليم أنني اعتكفت
في غرفتي الخاصة ذات ليلة وأخذت أفكر في هذه
المرأة وفعل سحرها بقاى وسلطانها على فؤادي.

حدثت نفسي وقلت : « ترى ما هو شعور
صديقي أوبن نحوها ... » والواقع أنه عند ما رأيناها
أنا وزميلي لأول مرة تبادلنا النظرات الصامتة،
وتفاهم قلبانا في غير كلام، وكان كلانا تواقاً لمعرفة
شعور الآخر نحو هذه المرأة الساحرة !

كدت أعزم على مفاحتها بحبي ورغبتى في الزواج
منها من غير علم صديقي ولكن كان صوت وجداني
يرن في أذني على الدوام ويقول لي « إذا كنت تراعى
حق الصداقة، وتقدس حرمة الرابطة التي وشجت

هناك أشياء مقدسة عزيزة على النفس رهيبة على القلب لا يستطيع الإنسان أن يعيد تلاوتها حتى ولو إلى المقربين من أصدقائه ومحبيه !

لا أخفى عليكم حقيقة شعورها نحوي ... إذ كان شعوراً عادياً لا لوعة فيه ولا حب ... !

وأخيراً رفضت طلبي معتذرة في رفق وحنان آه ... ! كم كانت رقيقة العاطفة رهيبة الشعور حبيبة إلى كل قلب كريمة على كل من يحيط بها من الناس الحق أني صغقت عند سماع رفضها حتى أظلمت الدنيا في عيني وكدت أقتل نفسي من اليأس !

ما أعجب أمر الشباب ... ! يريد أن يحظى بكل شيء في التو واللحظة وإلا جنح إلى اليأس والقنوط . ومع ذلك كنت أتردد عليها الليل والنهار طوال أسبوع عسى أن أحظى بالرضا وأستولى على قلبها ولكن كانت كل مساعي فاشلة وفهمت في النهاية أنها تشفق وتحذب عليّ ولكنها لا تحبني ... !

عند ذلك ذهبت لزميلي أوبن وقلت له : « الآن قد آن لك أن تلعب دورك .. لقد فشلت ... فهيا ! .. فلم يقبل في بادئ الأمر ولكنني ألححت عليه حتى رضى وذهب !

جاءني الصديق وقال لي وهو مضطرب البال : « زميلي ... أنا لا أستطيع أن أثبت عواطفها نحوي ... هي تشفق عليّ ولكنها لا تحبني ... ! ! فمجبنا لهذه المرأة الغامضة المغلقة القلب ... ! ومع ذلك لم نياس فعزمنا أن نصارع عواطفها في ميدان أكثر صراحة وأوسع رحابة حتى يستولى عليها أحداً أو نفقدها معاً ... فرحنا نظاردها أينما ذهبت وأخذنا نفشى الأبهاء التي كانت معتادة التردد عليها تحدونا عاطفة واحدة ويجمع بين قلبينا القصد الخالص الشريف والفكرة النبيلة ... !

إزاء هذا الإخلاص البريء وهذا الوفاء المتبادل النبيل قرأنا أن نترك الأمر يلعب به الحظ ويداعبه القدر ... ! فعمدنا إلى لعب الورق ولكن بعد دور أو دورين تبين أن كلينا كان يلعب في غير اهتمام ليدع الآخر يربح ليفسح له الطريق

وبعد قليل عزمنا على لعب الشطرنج، وفي بضعة دقائق رأينا أن اللعب كان صورياً لأن كلا منا كان يحاول أن يُغلب ... !

فضقت بذلك ذرعاً وقلت لزميلي : « يجب علينا أن نخضع لحكم القدر النزيه ، وهذا يتوفر في هذه الزهرة القائعة في هذا الأصيل . فإذا كانت ورقاتها زوجية فهي لك، وإذا كانت فردية فهي لي » فقبل هذا الحكم . فتناولت الزهرة الجميلة بين يدي وأخذت أنزع ورقاتها ورقة ورقة وأنا شارد اللب مضطرب الجوانح، وطفقت أعدها أمامه وهو شاخص البصر موزع الفكر حتى بلغ عددها الثامنة والخمسين . وعند ما رأى آخر ورقة تكمل العدد الزوجي سقط على كرسيه مغشياً عليه وعلت وجهه صفرة الموت، فذعرت ثم نهضت وقدمت له كأساً من شراب منعش فاستفاق وأخذ يشوب إلى رشده شيئاً فشيئاً

كان الوقت قد جاوز الفجر بقليل والناس نيام والحركة واقفة في كل مكان . ثم خرجنا إلى الشارع فإذا بزميلي منبسط الأسارى طافح البشر لهذه النتيجة وفي الساعة الحادية عشرة من صباح هذا اليوم كنت بين يدي محبوبتي صوفي أسكب لها كل ما في قلبي من عواطف شاردة وحب صادق وإحساس نبيل ظل محبوساً في صدري زهاء الشهرين ... !

وبعد ما انتهيت من كلامي شعرت بشيء من الراحة والسكينة لا أستطيع وصفهما ... ! إذ أن

لبثت مطاردتنا على هذا ثلاثة شهور كانت نهايتها انتصاراً وتوفيقاً إذ أحبت صوفي صديقي حباً شديداً حتى أمست شديدة التعلق به فلا تستطيع فراقه . .

وما كان أشد فرحى وأثلج صدرى - يشهد الله - عند ما كنت أرى صاحبي سعيداً رضى النفس قرير العين باسم الثغر بهذا الانتصار العظيم الذى قدرلنا . . . وما كان أسعدنى حين يقص على كلماتها المذبة ويشرح لى نبل عواطفها ، وبراءة نفسها العزيزة . . . !

بعد ذلك حدث ما لم أكن أتوقعه . . . قال هذا ثم استوى على مقعده ، ومر بأنامله المرتعشة خلال شعره الأبيض الناصع فى حركة كلها رقة وحنان . . . ثم استطرد قائلاً : « حدث أن عمّا لأوين قد مات فى استراليا ، وخلف له ثروة طائلة كان قد جمعها قبل وفاته بجهده وبخله الشديد . علم أفراد الفرقة جميعاً الثروة المفاجئة التى حطت على أوبن وطرب له الجميع سوى شخص واحد ظل منزوياً فى حسرة ومنعزلاً فى ألم . . . ! » ثم حلق بنظره نحو زوجته وزفر زفرة طويلة ثم قال : « لقد عشت طويلاً فى هذه الحياة وذقت حلوها ومرها ، ولكن وأسفاه لم أزل لا أستطيع تعرف ميول المرأة أو استكشاف أسرار قلبها الغامض المغلق . . . !

هى أشبه بهذا الصندوق السحري الذى لا نعرف ماذا يضم فى داخله . . . ! إن قلبها لا حد له ولم يزل الرجل عاجزاً عن تحديده أو تعريفه . . . !

قد تدشين إذا علمت أن صوفي رفضت الزواج من أوبن . . . لا لسبب آخر غير ثروته المفاجئة . . . ! هى لا تحبه إلا فقيراً مثلها يعمل بجانبها فى فرقها !

هى لن تتزوجه الآن وهو على هذا الحال من الثراء لأن الناس سيعتقدون أنها تزوجته لما له فحسب . . . وإن أنس لا أنس هذه الآلام التى أقضت مضجعى طوال أسبوع من الشتاء ، كنت خلاله موزع الإحساس بين إقناع « صوفي » وبين حبي لزميلى « أوبن » ولشد ما تأملت له ورثيت لحاله حين كان يراها تصر كل الإصرار على رأيها رافضة كل مسمى لقد صرعت الثروة أوبن فأدمن الشراب وأسرف فى لعب الميسر ، وسلك طريقاً شائناً شائكاً حقبة قصيرة من حياته الطاهرة من جراء هذه الطعنة المفاجئة !

خشيتُ على شبابه أن يذوى مبكراً وهو فى ريمانه فلم أجد علاجاً سوى أن أبحث له عن امرأة أخرى تتزوجه وهى لا شك تقبله لجأه وثروته ، فوفقت أخيراً إلى فتاة جميلة نبيلة القلب كريمة النفس تدعى أنا بللا . فتزوجا ووفقا فى حياتهما الزوجية توفيقاً كبيراً ، وبعد عامين من قرانهما رزقا طفلة قراها عينا . . . ! لقد خبرت قلب المرأة وحللت أخلاقها فى هذه الفترة فرأيت منها العجب . رأيت صوفي التى رفضت الزواج من أوبن لأنه كان غنياً والتى كانت ترتعد فرائصها حين ترى أنا بللا تزوجته ، رأيتهما تتحول بكل حبها وإعزازها إلى الطفلة ابنتها فأفاضت عليها من حنانها وعطفها كل قطرة من قلبها . . . انقطع أوبن عن العمل فى الفرقة وتفرغ لحياته الزوجية . ورجعنا أنا وصوفي إلى العمل فى المسرح ، فحاولت أن أوقعها فى شراكي هذه المرة إذ أصبح الطريق خالياً لى فلم أوفق مطلقاً - كنت عبداً طول عشر سنوات كانت هى خلالها أسيرة

الشيخ الوقور وبدا في يأس شديد حتى سحت
مدامعه ومدامعنا رثاء لهذا الصديق العزيز !
وبعد قليل هدأ وكف عن البكاء ثم قال في لوعة
وتأثر :

بهذا الحادث المحزن طويت أسعد أيامي وأجل
أوقاتي في كل أدوار حياتي !

كما زاد هذا الحادث من حب صوفي للطفلة
« لوسي » حتى أصبحت لا تطيق لها فراقاً ! كانت
لوسي تعيش مع أمها في خفض من العيش متقلبة
في أعطاف النعم إذ ورثت عن أبيها تلك الثروة
الطائلة المشؤومة

درجت الطفلة وشبت في هذا الجو الخائق جو
اللهو والنعمومة والترف فخشت صوفي عليها من هذا
الوسط وحاولت من إصلاحها وهدايتها إلى سبيل
الفضيلة وعمت كل مافي استطاعتها تهذيبها وتثقيفها
لتجعلها صورة أبيها وقطعة من حبيبها الفاضل
الكريم ، ولكنها فشلت في كل محاولاتها إذ كان
في الطفلة استعداد لتكون على غرار أمها في تقديس
حياة اللهو والمجون . شبت الطفلة غريرة فاسدة
الخلق مدللة ناعمة تقضى كل أوقاتها في اختيار
ملابسها وتجميل وجهها وتصنيف شعرها على كل
الأنماط . تحاول وهي في هذه السن المبكرة البريئة
أن تعجب الرجال بحركاتها وخفتها ورعونتها ورشاقتها
فدرجت وفي نفسها هذه الميول المبتسرة والشهوات
الباطلة والنزعات السافلة لما يحيط بها من إعجاب مزيف
من الرجال وتدلل مصطنع من مغربيها !

حقاً لقد كانت تبهر الأنظار ببجالتها الذي ورثته
عن أبيها وتسبى القلوب بالحاظها الفتانة وتسحر

لحب طفلة صديقي أوبن ... ما أعجب هذا القلب !
كنت أراها تنفق كل دائق على الهدايا والدي
الصغيرة والملابس الرشيقة لتقدمها إلى الطفلة ...
قد يبدو ذلك غريباً ولكن الحقيقة كانت كذلك !
ولأول مرة طيلة هذا الحديث قالت زوجتي :
« ليس في الأمر غرابة ... ! » فشاعت على وجه
يرنكر بسمة ثم على الدهاء والركة معاً ... ! ثم قال :
« كنت أحاول أن ألفتها إلى حبي بشتى الوسائل
ولكنها كانت منصرفة عني بكليتها إلى شؤون الطفلة
أجل ... ! إن الرجل في كل علاقته مع المرأة
يجد نفسه المغلوب على أمره دائماً ! تطوى المرأة
في نفسها تلك الإحساسات الغامضة التي تعينها
في غير واسطة على فهم حقيقة الرجل وصدق عاطفته
ودخيلة نفسه ونوازع قلبه ! منحتها الطبيعة هذا
الشعور نظراً لضعفها ونظراً لقوته !

تعرفت صوفي بآنا بلا وتوثقت بينهما عرى المودة
فأصبحتا صديقتين مخلصتين ، وأخذت صوفي - كلما
قمتا برحلة خارج المدينة - تبعث لها الرسالة تلو
الرسالة مودعة إياها كل عواطفها وأشواقها
مرت الأيام سراعاً ونحن على هذا الحال من
العلاقة حتى حدثت الفجيرة الكبرى : لقد قضى
أوبن بعد عامين من زواجه إذ قام ذات ليلة - على
أثر توعك خفيف قد شعر به - ليتناول بعض
المنعشات فأخذ وهو في حمى المرض بعض الزجاجات
التي تحوى سائل الأدمونيا الخاص بالتصوير إذ كانت
زوجته مولمة بهذه الهواية - فانطلق مذعوراً إلى
الطريق العام وهو بملابس النوم ولكنه لفظ النفس
الأخير بين ذراعي أحد الشرطة الذي استغاث به !
ارتسمت صورة هذه الفجيرة على محيا هذا

من محبتها وصفوة القوم من الهيئة الأرستقراطية
في البلاد !

وصل إلى زميلتي صوفي ونحن في إحدى طوفاتنا
في الأقاليم رسالة من لوسي ترجوها فيها أن تعمل
لها رداء جميلاً تكريماً لها في هذه المناسبة السعيدة
وأنها تريد أن تكون به محل أنظار المدعوين جميعاً !
ابتسمت « صوفي » ابتسامة الرضى والغبطة
لهذه اللهجة البريئة وهذه اللغة الساذجة . وأشهد
أنني لم أرها أسعد حالاً وأغبط نفساً منها في هذه الفترة
التي تلت قراءة هذه الرسالة . هزتها حميا الطرب
فراحت في كل مكان تغني وتشدوا !

وصل إلينا هذا الخطاب بينما كنا نطوف الطوفة
الشتوية في الأقاليم وكان الطقس قارس البرودة
فأصببت صوفي بحمي شديدة تحولت بعد قليل إلى نزلة
شعبية حادة، ولولا العناية الإلهية لكانت قد قضت .
كانت ضعيفة جداً في الفترة التي تلت هذه الحمى
فلم تقو على العمل ولكنها كاحت وصارعت كيلا
توقف العمل في الفرقة ولكي تستطيع أن تنجز
الرداء الحبيب قبل ليلة العيد ... !

كنت أراها دائماً التفكير في هذا الرداء وكيف
يكون وتفصيله ، وبعد أيام قلائل نادتنى على حين
جفاة وقالت لي بنبرات مرتعدة « زميلي برانكر
لقد انتهيت من إعدادة في فكري، ترى ماذا يكون
شكله في هذه الليلة الراقصة ... ! سأختار له لوناً
أبيض لازينة فيه ولا رسوم من أى نوع . تصور فيه
لوسي إذاً بين أترابها اللاتي يرتدين الأثواب المزركشة
والمعاطف المزينة بمختلف الألوان والأشكال !

نعم سأختار له لوناً بسيطاً جداً وهو اللون
الأبيض رمز الطهر والعفاف في ليلة الزفاف ... !

الرجال بلباقها في الحديث وإتقانها التراشق بالنكات
والفكاهة !

فكروا يا أولادى في طفلة لم تتجاوز العاشرة
من عمرها ولا هم لها إلا العناية بالثياب والتجمل
والمرح الماجن واللهو الآثم !

كانت هذه الطفلة الصغيرة تحب « العممة صوفي »
لأنها كانت تجزل لها الهدايا والملابس في كل
المناسبات . ولدى هنا في هذا الصوان عدد كبير
من الأردية والمعاطف الجميلة كانت صوفي طيب الله
ثراها قد غزلتها وحاكتها خاصة للطفلة ورددت
إلى بطريق ليس المقام مناسباً لذكره . ثم قال
مستطرداً : « ما أبلغ الأثر الذي تلعبه الأزياء
والملابس في حياتنا اليومية ... لقد أصاب كارليل
جادة الصواب حين ردد هذا القول الحكيم الذي
ينطوى على معان كبيرة !

والواقع أن صوفي كانت ماهرة جداً في حياكة
الملابس وأشغال الإبرة؟ قد برزت أقرانها في هذا الفن
الجميل فأصبحت يشار إليها بالبنان حتى ذاع صيتها
بين الأوساط الرفيعة

فأحبت لوسي خالتها لهذا السبب لأنها كانت
تعجب بالمعاطف والأردية التي كانت تصنعها أناملها
الفتاة وذوقها الرهيف !

ومأساة هذه القصة التي أحاول أن أسردها
عليك الآن قد حدثت لالسبب غير أحد هذه المعاطف
التي حاكتها صوفي وذهبت صريعتها !

قال هذا وضرب يده البيضاء الجميلة على المائدة
ثم استأنف قائلاً : « حدث أن لوسي بلغت العاشرة
من عمرها وتريد أمها أن تقيم لها ليلة راقصة احتفالاً
بعيد ميلادها السعيد تدعو إليها أترابها وأكابر القوم

يتساقط مدراراً على النوافذ والرياح العاصفة تزفر بشدة في الخارج »

وهنا وقف برانكر وأخذ الرداء بين يديه برقة فائقة وأخذ يمثل لنا هذه المأساة أمام أعيننا !

قال : « انتهت صوفي من صنع الرداء فناولتني إياه وقد انفرج ثغرها الجليل عن ابتسامة تعبر عن الرضاء والغبطة ! وأوصتني أن أسلمه لها في يدها وأن أراها وهي مرتدية به بين أترابها وأن أتعرف مبلغ استحسانها إياه ونفرتها به بين القوم ! ثم رأيتها تأخذه مني فجأة وأخذت تقبله قبلات حارة وهي دامعة العين لا هتة الصدر حتى أشفقت عليها أن تزفر الزفرة الأخيرة وهي على هذا الحال — وبعد ما هدأت قليلاً أخذته منها في رفق وقد أخذتني رعدة شديدة من جلال الموقف ! ...

خرجت من البيت في الساعة السابعة إلا عشر دقائق والرداء بين ذراعي وأخذت أهيئ على وجهي في الطرقات

ركبت عربة لتصل بي في أقصى سرعة إلى بيت لوسي حيث الحفلة ؛ ثم أعطيت السائق العنوان ورجوته أن يسرع بأقصى سرعته ... ! وبعد نصف ساعة وجدت نفسي أمام البيت المنشود ثم نزلت من العربة والرداء بين يدي كطفل محموم وصعدت السلم وناديت : لوسي ... لوسي ... فوجدتها في غرفة زينتها مرتدية ثوباً برتقالي اللون مفضض الحواشي وتضع على رأسها تاجاً من الزهور البيضاء الجميلة مما زاد في حسنها وروائها، وكانت تنظر لنفسها في المراة لكي تلقى آخر نظرة على زينتها وهندامها ... وعند ما رأته صاحت وقالت : هالو ... هالو ... آه وأأسفاه

سأجل المدعويين والمدعوات على الإعجاب به ... ! استحسنت فكرة صوفي واصطحبتها إلى السوق لنبتاع القماش ولكن ما كدنا نصل إلى محل أزياء حتى أغمى عليها لشدة ضعفها، والواقع أنها كانت تتحامل على نفسها للقيام بالواجب نحو الطفلة المحبوبة ! وفي خلال يومين من هذا الحادث تحققت خطورة مرضها وأن حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. والحقيقة أنها كانت تعيش على قوة أعصابها وشدة عزيمتها فحسب ، إذ كان كل إرادتها منحصراً في إتمام هذا الرداء ليتسنى للوسى ارتدائه في الحفلة الراقصة لعيد ميلادها !

انتهينا من رحلتنا في الفرقة ووصلنا لندن في يوم عيد الميلاد. وكنت شديد القلق على حياة صوفي إذ كنت أراها ترد حياض النية على رود ومهل ، فوجهها شاحب اللون وعيناها جاحظتان، ومع ذلك كانت يدها المرتعشة تعمل في الثوب بسرعة فائقة ونفس راضية مستبشرة وعزيمة قوية لا تعرف الكلل أقلتنا العربة إلى أحد الفنادق وأرادت صوفي النزول منها فلم تقو على حمل نفسها فأخذتها بين ذراعي وأنا واجف القلب مستطار اللب على حياتها وصعدت بها السلم ثم وضعتها على السرير في حالة إغماء شديد ، وبعد دقائق معدودة رأيتها في شبه غيبوبة وأخذت تهذي وتتفوه بألفاظ لم أتبين منها إلا اسم أوبن ترى ولوسي . وبعد ساعتين من هذه الحمى الخطيرة استفاقت وثابت إلى رشدها ثم رأيتها تقوم فجأة وفي قوة عجيبة وأخذت تبحث عن الرداء بذعر وخوف فناولتها إياه إذ كنت أحمله بين يدي ثم شرعت في إتمامه وهي مرتعدة المفاصل مرتجئة الأعصاب ... كان الليل قد أرخى سدوله والثلج

مكان، والبرد قارساً فأخذت أعدو في كل مكان عدو
المجنون به مس من الشيطان وقلبي مضطرب ...
فوقفت في ركن من الشارع وأنا حزين مكتئب
النفس لا أقوى على حمل نفسي ... أأرجع إلى صوفي
وأخبرها بهذا النكران أم أكذب عليها وأخفي
الحقيقة ...

صوفي حبيبتى - كيف أرجع إليك؟ آه لا شك
أنك منتظرة قدومى لأخبرك بفرح لوسى بالثوب
لقد رجوت من الله أن تموت صوفي وهى على
هذا الحال من السعادة والأمل ...

تمنيت لها أسعد الأحلام فى آخر ساعاتها ...
وبقيت أنا وحدى أتألم لخيبتها وفشلها . لا شك
أنها الآن تحلم برؤية لوسى وهى مرتدية الرداء وتفاخر به
أربابها ومهنئتها ...

أسكنكما الله يا صوفي أنت وحبيبتك الأول
صديقى ترى - فسيح جناحه ، وطيب الله ثرا كما
فى مثوا كما الأخير ...

لترقدا رقة الخلود فى أمن وسلام !

محمد المصطفى

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

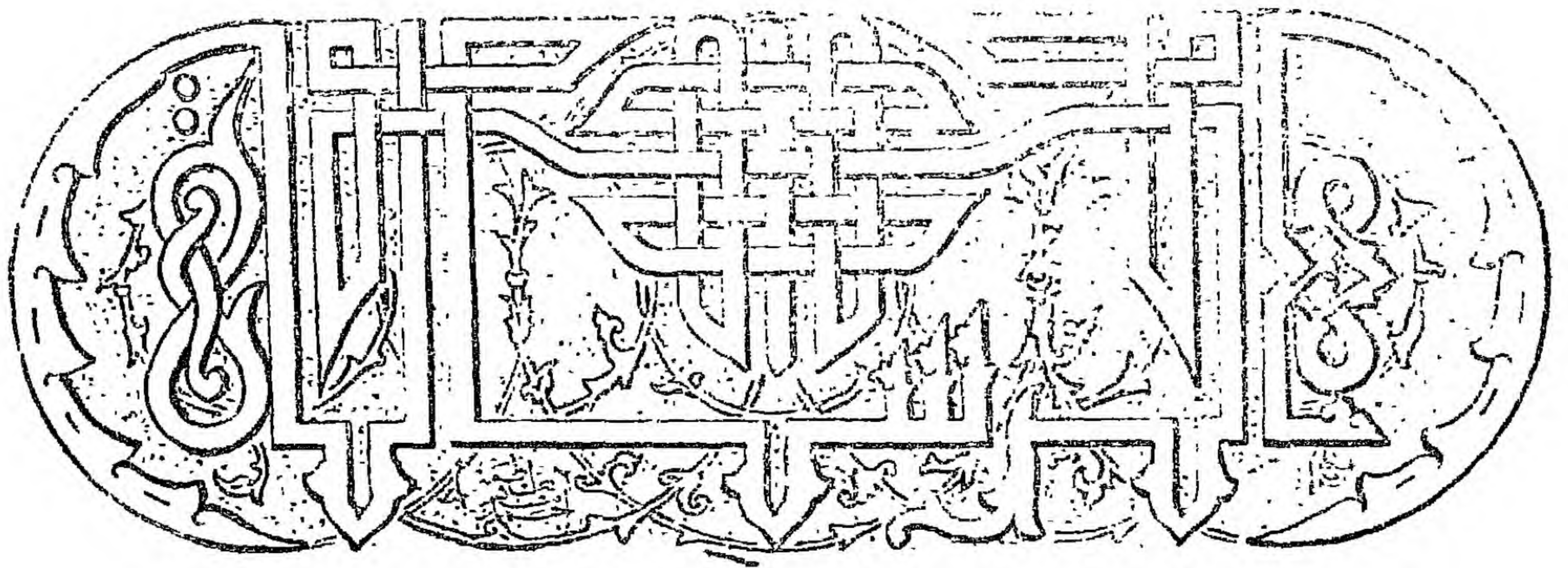
تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا

لقد ظننت أن الحالة صوفي قد نسيته فلم تعد تتحفنى
بهداياها الجميلة الممتازة وعلى أى حال لقد ابتعت رداء
جديلاً من محل (زوكوس) فقلت فى تأثر عميق :
« طفلى العزيزة ... ها هو ذا الرداء الذى صنعتك لك
خالتك صوفي وهى تجهد نفسها لإتمامه لك فى يوم عيد
ميلادك كما قلت لها فى رسالتك . وها هى ذى تبر بوعدها
وتكلفنى حمله لك . ولقد حال المرض المضال بينك
وبينها . وكم كانت تود أن تحمله لك بنفسها فى هذه
المناسبة السعيدة ... »

ثم نظرت إلى فى غير اكتراث وتناولته منى
فى غير احتفال وأخذت تفحصه بكلتا يديها ثم قالت :
« ما هذا الرداء الخالى من الألوان والزهور ... !
هذا زى عتيق لا يليق بى وأنا الفتاة الصغيرة التى
تحب الألوان الزاهية المتألثة ... » قالت هذه الجملة
ثم ألقته على مدى ذراعيها فى أقصى الغرفة ...
كدت أخرج عن طورى فأصغع هذه الطفلة
الجاحدة جزاء على سفاهتها ووقاحتها ، ولكنى
تذكرت فى الحال صديقى وأنها هى الذكري الوحيدة
التي نعتز بها منه ...

ولكن لم أتمالك نفسى وقلت لها : « ما أكفرك
من طفلة غريبة ... إنك لو تعلمين كيف صنعت
لك خالتك هذا الثوب ... إنك قتلت نفساً سامية .
لقد ذابت وتحطمت لأجلك ... » فهزت رأسها
الصغير استهزاء كالكبار تماماً وضغطت على الجرس
لاستدعاء الوصيف لإخراجى من البيت . اندهشت !
اندهشت من هول هذا الموقف وتلثم لسانى فلم يقو
على الكلام ، ثم رأيت نفسى خارجاً من البيت أتمم
بكلمات اللفة والغضب على الإنسان وججوده ... !
كان الوقت ليلاً ولم يزل الثلج يتساقط فى كل



مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على شدي وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقريّة للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيّي في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلميّة

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامّة

الاشتراك الداخلي سنون قرناً ، والخارجي ما يساوي جنيهاً مصرياً ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠٪



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢ رمضان سنة ١٣٥٨ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٦

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	القصص	القصص	القصص
٩٧٨	الشر المعبود ...	أقصصة مصرية ...	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٩٨٢	انتقام المريض ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ (ع ...)
٩٨٤	وفاء زوجة ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٩٨٨	ورقة من السماء ...	للقصصى الداعركى «أندرسن»	بقلم الأديب كمال الحريرى ...
٩٩١	جناية مشروعة ...	أقصصة مصرية ...	بقلم الأنسة جميلة الملايلى ...
٩٩٦	مستر بالارد وشبيهه ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ طه ندا ...
٩٩٩	ناهد ...	أقصصة مصرية ...	بقلم الأستاذ محمد فتحى أبو الفضل
١٠٠٨	ذبول الحادث ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأديب سليم أ. عبده ...
١٠١٢	يوم ... يوم ...	للكاتب الفرنسى جولز كلاريتيه	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

في انتظار الانتقال إلى عالم أوزوريس ؟
ولم يقف به شذوذه عند حد كان
يشير وراءه عواصف الضجيج وزوابع
الفتنة أينما يحل وحيثما يتجه . فكان
يغشى الأسواق ويזור المعابد ويدعو نفسه
إلى الحفلات على غير معرفة بأصحابها ،
ويضع نفسه فيما لا يعنيه . فكان يحدث

الأزواج عن زوجاتهم والزوجات عن أزواجهن ،
والآباء عن أبنائهم والأبناء عن آبائهم ، ويجادل السادة
والنبلاء ، ويكلم الخدم والعبيد ، ويترك خلفه أثراً عميقاً
قوياً يهيج في النفوس ثورة جاحجة يشتد من حولها
الجد والخصام

وأثارت حياة الرجل الغريب مخاوف رام حارس
الأمن فاتبعه كالظل وراقبه عن كثب وارتاب
في أمره فقبض عليه وقدمه إلى القاضي لينظر
في شأنه العجيب . وكان القاضي سومر رجلاً طاعناً
في السن عظيم التجارب ؛ قضى أربعين عاماً من
حياته الجليلة يجاهد جهاد الأبطال تحت راية العدالة
والحقيقة . فأنفذ القضاء في حيوات اثنين من
المتمردين ، وملاً السجون بالآلاف من الأشرار
والجرمين ، وكان يعمل صادقاً مخلصاً على تطهير
المقاطعة من أعداء السلام والطمانينة ...

وحين مثل بين يديه الرجل الغريب أخذه العجب
واستولت عليه الحيرة ، وساءل نفسه عما عسى أن
يرتكبه هذا الشيخ الفاني . ثم سأله بصوته المنخفض
وهو ياتي عليه نظرة فاحصة :

— ما اسمك أيها الشيخ ؟

فصمت الرجل ولم يجب وهز رأسه كأنه لا يريد
أن يتكلم أولاً يدري ما يقول

الشر المعبدود

أقصومة مصرية

بقلم الأستاذ نجيب محفوظ

قبل أن يستولى أول ملك على عرش مصر ،
كان الوادي مقاطعات مستقلة لكل واحدة إله
ودين وحاكم ، وقد اشتهرت من بينها مقاطعة
(خنوم) لما توفر لها من خصوبة الأرض واعتدال الجو
وكثرة السكان ، ولكنها كانت تدفع نصيبها كاملاً
من ضريبة الشقاء والأحزان ففسق بها المترفون
وتضور الفلاحون جوعاً وعاث الأشرار في الأرض
فساداً ، وفكت الأمراض والأوبئة بالضعاف
والبائسين ، وشرم للإصلاح رجال المقاطعة المسئولون
وعلى رأسهم القاضي سومر وحارس الأمن « رام »
والطبيب « تحب » وكافحوا الجريمة والعيوب مكافحة
شديدة صارت مضرب الأمثال على الجهاد والصدق
والعزم

وفي أحد الأجيال التي مرت على تلك المقاطعة
ظهر بها رجل غريب ، كان شيخاً طاعناً في السن
حليق الرأس والذقن كمادة الكهنة المصريين ؛
طويل القامة نحيل الجسم ، تلوح في عينيه نظرة
حادّة تهزأ من فعل السنين يشع منها نور الفطنة
والحكمة . وكان رجلاً غريباً حقاً ، فما لست قدماء
بلداً حتى تساءل أهله عجباً ... من الرجل ؟ ...
وأى بلد قذفه ؟ وما الذي يريد ؟ ... وكيف يضرب
في الأرض حين ينبني أن يخلد إلى السكينة والراحة

واستاء القاضي من لياذه بالصمت بغير سبب
معقول وسأله بلهجة خشنة :

— لماذا لا تجيب ؟ ... قل ما اسمك

فقال الرجل بصوت خافت وعلى فيه ابتسامة
خفيفة غامضة

— لا أدري يا سيدي

فتضاعف استياء القاضي وقال منتهراً :

— ألا تدري ما اسمك حقاً ؟

— بلى يا سيدي ... نسيته

— أتقول إنك نسيته اسمك ... بم يدعوكم

الناس ؟

— لا أحد يدعوني . لقد مات أهلي وذوي .

ولبثت في الدنيا دهرأ طويلاً لا يدعوني أحد ،

ولا يناديني إنسان ، وكان رأسي مغمماً بالأفكار

والأحلام فنسيت اسمي

واتهم القاضي الشيخ بالبله والخرف ، وتحول

عنه يائساً إلى حارس الأمن وسأله

— ما الذي حملك على سوق هذا الرجل

إلى المحكمة ؟

فقال « رام » :

إنه يا سيدي رجل لا يستريح ولا يريح ، يتطفل

على الناس ويمجادهم في الخير والشر ولا يدعمهم

إلا وقد فرقت بينهم الفتنة والشقاق

فالتفت إليه القاضي وسأله :

— ما الذي تريده من وراء ذلك ؟

فخدجه الشيخ بنظرة حادة وقال بصوت قوى

الغبرات يهزأ بالسنين التي عاشها في هذه الدنيا

— أريد أن أصلح هذه الدنيا البشعة يا سيدي

فابتسم القاضي وسأله :

— أليس يوجد من يهب حياته لهذا العمل

النبيل وهو قادر عليه ؟ ماذا يفعل القاضي وحارس

الأمن والطبيب ؟ اطمئن أيها الشيخ وأرح نفسك

ولا تحمل شيخوختك مالا طاقة لهابه من بلوغ

هذا المطلب العسير وغيرك عليه أقدر

فهز الرجل رأسه بعناد وقال :

جميع من ذكرت قد وجدوا منذ الأزل ،

ولكنهم لم يقدرُوا بعد على هذه البشاعة التي تشوه

وجه الدنيا . ولا تزال نرى في كل بقعة من الأرض

نذر الشر وأثار الجريمة

وهل تنجح أنت إذا أخفقت جميع هذه القوى

المؤتلفة ؟

— نعم يا سيدي ... أمهلني وسوف ترى ...

فابتسم القاضي في استخفاف وسأله :

— وماذا تدخر من الوسائل مما ليس لديهم ؟

— إنهم يا سيدي يطاردون الأشرار ويمعالجون

الأمراض ويضمّدون الجراح ... أما أنا فسيبلي

أن أقضي على الداء . إن الداء كمين في مخبئه آمناً .

وهم لا يكترون إلا لأثاره . ولقد أنعمت النظر

فوجدت أن المدة أصل بلاء هذه المقاطعة . وجدت

كثيرين لا يستطيعون أن يملأوا منها فراغاً فيعميوا

جوعاً ، وآخرين لا يتركون بها فراغاً قط فيهلكوا

نهما ، ومن التجاذب والتنافر بين هاتين المديتين

يحدث السلب والنهب والقتل . فالداعيين والدواعيين

فقال القاضي :

— على العكس مما ترى هذا داء لا دواء له !

— هذا قولهم يا سيدي . وما يقولونه إلا لأنه

ينقصهم شيء متعنى الرب به . هو الإيمان بالخير .

إنهم لا يؤمنون بالخير حق الإيمان ويمجاهدون في

سبيله جهاد الآلات الصماء التي لا تحس ، ويعملون بالأجر وللجاء والمجد... فإذا خلوا إلى أنفسهم تهالكوا على ما يجاهرون بمقته من الإثم... هذا شأنهما يا سيدى أما أنا فمؤمن حقاً بالخير فدعنى أعمل على طريقتى وأمهلى رويداً...

وهاج كلام الرجل الغضب فى نفس حارس الأمن إذ حسبه يلغزه من قريب، ولكن القاضى كان أوسع صدرأ وألين قلباً فأغضى عن قول الرجل . ولما لم يجد فى عمله ما يستحق عقوبة أطلق سراحه بعد أن أسدى إليه النصح...

وغادر الرجل المحكمة وهو يحس بنشوة الظفر وكان على وجه اليقين مؤيداً بروح سام . لأنه كان يسير فى الأرض بقوة مارد ، ويتدفق فى الحديث بحماسة شاب، ويفيض قلبه بتفاؤل نبى . وكان لسانه ينفث سحراً حلالاً وحجة تلزم المتكبرين فاستطاع فى مدة وجيزة أن يستأثر بأذان القوم ويسخر قلوبهم ويهيج عاطفة الخير فى نفوسهم ويوجههم إلى حيث يريد، فاتبعه الفقير وخضع له الغنى وذل له المتمرد العاصى . وكان أساس دعوته الجمال والاعتدال اللذان يعيش فى ظلهما الفقير بالقناعة والغنى بما فيه الكفاية . ووجد فيه ذاك المجتمع المريض طبيكاً صادقاً بارعاً فتعلق بمثله واعتنق مبادئه . وجاءت النتائج باهرة يخطف نورها الأبصار ويذهل عقول العقلاء فسحقت الجريمة وهزم الشر وأدبرت الأمراض ، وأظلت السعادة بجناحيها المقاطعة . فهلل الحكام وكبروا وآمنوا بالحق الذى كانوا فيه يمترون وسعدوا جميعاً بلوغ الناية النبيلة التى أنفقوا أعمارهم عبثاً فى سبيل بلوغها .

وتقدم الزمان بخطى هادئة فى جو صاف وطريق

معبد . وتحولت الأمور إلى غير ما عهد الناس وكان الحكام أول من أحس بالعهد الجديد . والحق أنهم وجدوا أنفسهم عاطلين . والراحة لذة لا يذوقها إلا العاملون . فثقل الفراغ على ظهورهم وشاهدوا بأعين جزعة مجدهم ينهار ويريحهم تذهب ونورهم ينقلب ظلاماً

كان حارس الأمن قوة تهرب أينما يحل ، فرد إلى شيء تفتححه العيون ، وتستبين به القلوب ؛ وأضحى تمر به العامة وكأنها تمر بصنم محطم

وكان القاضى قوة قدسية ومهابة إلهية فأصبح يقلب كفيه أسفاً حزيناً، لا يسمع تحية ولا رجاء، ولا يساق إلى رحابه من يهابه . فأحس بعزلة ووحشة، وبات كعبد مهجور فى الصحراء . وأن الطيب بشكوى مكتومة . وحبس نفسه فى داره لا يزوره إنسان ولا يزور إنساناً . وكان يكنز المال فى القصور فأصبح ينفق مما جمع وقلبه واجف

اطمأن الإقليم جميعاً إلى الخير إلا أولئك الذين وهبوا أنفسهم «صناعة الخير» كانوا حيارى يائسين يتلفتون يميناً وشمالاً فلا يجدون لأنفسهم مخرجاً مما هم فيه . وكان حارس الأمن أشدهم عذاباً ، لأنه كان أعظمهم جراءة ، ولكنه كان يخشى أن يقدم على التصريح بمخاوفه فيجد آذاناً صماء وقلوباً مطمئنة إلى الخير . ولما نفذ صبره انتهز فرصة اجتماعه بإخوانه وأقرانه وقال بشيء من التهييب متسائلاً :

— ماذا نفعل لو استغنى الحاكم عن خدماتنا غداً ؟

فاصفرت الوجوه وسأله سائل بلسان ملثم :

— أمن المحتمل أن يستغنى عنا حقاً ؟

فقال رام وهو يهز كتفيه استهانة :

وماذا نفعل حتى نستحق البقاء ؟

وكانه بقوله هذا رفع صماماً عن مرجل يغلى
ففاض كل بما فى قلبه فقال واحد منهم :

— هذه حال لا يمكن السكوت عليها

وقال آخر وهو يهز قبضة يده بعنف :

— لقد أفسد هذا الشيخ الحرف المقاطعة

وقال ثالث :

— إنه يحطم القوى الإنسانية العالية بهذه

الدعوة الفاسدة التى تموق التقدم وتقتل الهمم .

وسرت النجوى من لسان إلى لسان ، وأبان كل

عما بنفسه إلا القاضى فإنه لزم الصمت وسها

إلى الأفق البعيد كأنه لا يسمع مما يدور حوله شيئاً ،

وكاد مظهره يجلب اليأس إلى قلوب الكثيرين من

أعوانه إلا أن رام همس لهم خارجاً :

— لا تخشوا القاضى فقلبه معنا ولكن لسانه

الذى مرن على الكلام عن العدالة لا يطاوعه على

ما نحن بسبيله ...

واتفقت كلمتهم ...

وأشرقت الشمس ذات صباح فإذا بالرجل

الغريب قد اختفى ، وبحث عنه مريدوه فى كل مكان

وقتشوا عنه فى كل بقعة من الإقليم فلم يعثروا له

على أثر

وأحدث اختفاؤه دهشة وانزعاجاً وأثار أقاويل

متباينة ، فمن قائل إنه هجر المقاطعة إلى غيرها بعد

أن اطمان إلى ثبات عقيدته ؛ ومن قائل إنه صعد

إلى السماء بعد أن أدى رسالته . وشمل الحزن المقاطعة

كلها ووجفت القلوب جميعاً ...

ويتنفس السادة الصعداء وانتظروا على أمل سعيد

وكلهم يحلم بالمجد الآفل والنعم الزاهب ويعنى نفسه
ويستنظرها ...

ولكن النفس يلحقها الجزع كلما دنت من

الأمل المرتقب . فباتت أعصاب القوم تأثرة وقلوبهم

حائرة ، وكان يقض مضاجعهم أن يروا عامة الناس

مازال متمسكة بالدعوة مخلصه لذكرى الشيخ الغريب

واحتاج الغضب حارس الأمن فصاح :

— ينبئ ألا تدوم هذه الحال

ونظرت إليه أعين أحيائها الطمع ، وأضناها

الأمل فاستدرك قائلاً همساً :

— أعرف فى مقاطعة « بتاح » راقصة فائنة

أولتها الآلهة حسناً لا يقاوم . فلماذا لا نستعيرها

أشهرأ ؟ وإنى أعلم أن حاكم الإقليم راغب فى نفيها منه

لما يهيج جماها من الفتنة والملاحاة . فليكن إقليم خنوم

منفاها إلى حين ؛ وهى بغير شك حقيقة بأن تفرق

ما بين الأخ وأخيه والزوج وزوجه ، وبأن تغرى

الأغنياء بالانقضاء على السلاسل التى وضعوها

فى أعناقهم طائمين . انتظروا خيراً قريباً ...

وحقق ذلك المبقرى فكرته الخطيرة

وشاهدوا جميعاً بأعين مشرقة بنور الفرح ذلك

النظام يتقوض بنيانه وينهار حجراً على حجر ،

وردت المدة إلى عرشها تتحكم فى الرقاب والعقول ،

وعادت الحياة الشيطانية تملأ « أخنوم » الهادى .

وتمصف بالسلام الخيم على ربوعه . واستأنف عصابة

الحكم جهادها ، ووجدت نفسها مرة أخرى تكافح

وتناضل عن الخير والعدالة والسلام ...

نبيب محفوظ

انتقام المريض

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ ع. ا.

مصاب بالأنزوكيس

قال المريض : « وما هذا المرض ؟ »
فقال الطبيب : « هو ضغط شديد في
البنيتاراليا والتهاب في الباريتيكس »
قال المريض : « وهل هذه الأعراض
خطيرة ؟ » فقال الطبيب بصوت لا نغمة
له : « هل لك أقارب تريد أن تراهم ؟ »

فنظر المريض إلى الطبيب نظرة حائرة ثم قال :
« هل تعنى أنه لا تجدى المحاولة ؟ » فقال الطبيب :
« لا أعرف أكثر مما تعرفه »

ثم وضع يده على جبينه ومشى نحو الباب .
وعند الباب وقف ، والتفت إلى النائم على السرير
وكأنه في التفاتته أراد أن يقول شيئاً ولكنه لم يزد
على قوله : « سعدت مساء ! » ... ثم خرج ...

في الليلة التالية كان الطبيب جالساً مع صديق
له في النادي وكانا يدخنان لفافتين من التبغ الفاخر
على أثر العشاء فقال الصديق وهو من رجال القضاء :
« ما أشدها مهنة مملة ! قضيت يومى كله في تعب شديد »
فقال الطبيب : « مهما يكن عمل القاضى متعباً
فإنه يتمتع على الأقل بالراحة في ليله ، لا كالطبيب
الذى يستدعى في الليل ست عشرة مرة لينصت
إلى سخافات من يتوهمون أنهم مرضى وليس بهم
شيء من المرض . ولقد فكرت تفكيراً جدياً في ترك
مهنة الطب والاشتغال بالتجارة أو بأى شيء آخر »

قال القاضى : « ما أغرب هذا التصريح ممن
يعده أهل المدينة أسعدهم ! إننى كنت أظن حرفة
الطب هى الحرفة الوحيدة التى لا يشكو أصحابها منها »
فضحك الطبيب وقال : « لقد استدعانى ليلة
الأمس في منتصف الليل مريض أفقدنى كل صبرى .
ولمّا أذكره لأن حاله نموذج لحالة أكثر المرضى »

دق جرس التليفون بنير انقطاع فاستيقظ
« سكرتير » الطبيب نهاية الأمر من حلم كان يراه
وقام إلى الساعة ولا يزال به أثر التهويم فسمع :

« هل يتفضل الطبيب بأن يعود المستر رتشارد
في الحال ؟ إنه يظن نفسه مشرفاً على الموت »
فأجاب سكرتير الطبيب في لهجة لا تدل من
المطف على قليل ولا كثير : « أحقاً سيموت ؟
إن الدكتور بنتون لم يَم منذ ليلتين وقد انتهت الليلة
مواعيد العيادة »

وزار الطبيب المريض وفرغ من فحصه دون أن
ينطق بحرف . فقال المريض وبه ما به من الملح :
« إننى أشعر بتحسّن منذ أتيت . هل مرضى خطر ؟
وما اسم هذا المرض ؟ »

فأجابه الطبيب مقتضباً دون أن ينظر إلى وجهه :
« كاجزيا »

ومضت فترة صمت ثم قال المريض بصوت
هادئ : « يظهر من اسم المرض أنه خطر .
ألا يوجد علاج له ؟ »

فحدق الطبيب في وجهه وقال : « أخشى
ألا يكون فى أى دواء فائدة »

قال المريض : « لقد ظننت ذلك بعد إذ فقدت
الشهوة للطعام . أليس لديك وسيلة لإكراهى على
الأكل » . فنهز الطبيب رأسه وقال : « أنت

فناولته الطبيب الخطاب فقرأه ثم نظر إلى ساعته وقال : « في وسعنا الآن إنقاذه فهلم إلى منزله في السيارة . لقد حدد الساعة العاشرة ونحن الآن قبلها بدقائق . هل المنزل قريب ؟ »

قال الطبيب : « نعم » ثم ركبا السيارة ووصلا إلى المنزل . فسأل الطبيب الخادم : « هل السيد هنا ؟ » قال : « نعم هو في غرفة المكتبة ، وقد أمر ألا يدخل عليه أحد »

ولكنهما لم ينتظرا سماع البقية وقطعا درج السلم وثبّا .

وكانت مخيلة الطبيب تصور له المحكمة ، وهو واقف أمامها موقف الاتهام يحاول التخلص من إيهامه المريض ولا يجد لذلك مجالا . وكان في هذه اللحظة يلعن نفسه لأنه لم يصارح المريض بأنه ضايقه بدلا من أن يسخر منه

ووصلا إلى غرفة المكتبة وكانت مضاعة؛ ولكن نورها انطفأ في الحال وأسرع نحو بابها ليفتحاه ، ولكنهما سمعا عند ذلك طلقة مسدس وغاض الدم من وجه الطبيب . ودخلا فرأيا في غبش الظلام جثة ملقاة على الأرض

وأسرع القاضي إلى الحائط يتلمس موضع الزر الكهربائي ، وجد الطبيب مكانه وهو يقول : « بعد الموعد المناسب ما أشد حماقتي ! »

وأوقد النور ولكن الجسم الملقى على الأرض لم يكن جثة هامدة بل جسم رجل سليم يفرق في الضحك . فلما دنا الطبيب منه قال المريض : « أوهمني فأوهمتك . مزحة بمزحة ! ولست أنت وحدك الذي يعرف اليونانية ... »

قال القاضي : « ما الذي حدث ؟ »

فقال الطبيب : « استدعاني فقلت له إنه مصاب بالكاجزيا »

فضحك القاضي وقال : « وما يدريك أنه لا يعرف اللغة اليونانية فيفهم أن مرضه هو عسر الهضم ؟ »

فابتسم الطبيب وقال : « لا أظنه يعرف اليونانية وقد وجدته غير مصاب بشيء ولكنه شره على ما يظهر فأكل أكثر من طاقته ، ثم ألقني في منتصف الليل وقال لي إنه سيموت ، وابتدري بقوله إنه يظن أن داءه غير قابل للشفاء فسخرت منه وتظاهرت بالجد وبخطورة المرض لعله يمتنع عن الأكل فيشفي وقلت إن مرضه هو الكاجزيا ، وأن عنده التهابا في البارتينكس »

قال القاضي : « لقد أخطأت فإن الوم قد يترك في المريض أثرا سيئا »

فقال الطبيب بلهجة التمليل : « عليه أن يصبر على هذه المزحة فقد أطار نومي وضايقني ومع ذلك فسأمر به الليلة في طريقى إلى منزلى وأخبره أنى كنت أمرح معه »

في هذه اللحظة دخل الخادم يحمل خطابا باسم الطبيب على طبق من الفضة فقبض الطبيب الخطاب بغير عناية ، ولكنه ما كاد يقرؤه حتى وثب من مكانه وقال : « لقد كنت شديد الحماقة . إن هذا المريض الأبله قد صدق مزاحى وعزم على الانتحار . لقد قضى على مستقبلى ؛ فربما ترك الرجل خطابا يذكر فيه سبب كرهه للحياة . لقد هلكت ! »

فقال القاضي : « إذا كان في الإمكان إنقاذه فلا تضيع الوقت سدى . ألم يقل في الخطاب كيف عزم على الانتحار ؟ »

قالت ذلك ونظرت إلى الفيلسوف
نظرة حملته على أن يؤدي لها خدمة .
فقال : « إن يدك ليستا قويتين
فدعيني أساعدك »
فقلت : « شكراً ! وهذه هي
الروحة وستؤدي لي أعظم خدمة
إذا عملت في تجفيف القبر »

فجلس يروح بقوة السحرية فجف القبر بعد
لحظات قليلة . وسرت السيدة بنجاحه فابتسمت له
ابتسامة مشرقة وجعلت علامة شكرها إياه أن أهدته
مروحة أخرى ثمينة كانت تحتفظ بها بين ثيابها .
وأهدته كذلك دبوساً غالياً كان في طيات شعرها
فقبل الهدية الأولى ورفض الثانية ثم ذهب إلى منزله
فتذكر الحادث وهو جالس مع زوجته فتنهده ؛ فلما
سأله عن سبب تنهده أخبرها بما سمعه ، فبدا عليها
الغضب وثار على تلك الأرملة التي فضحت بنات
جنسها . فردد شوانج المثل القائل إن رؤية وجوه
أناس شيء ، ورؤية وجوههم شيء آخر ؛ فقالت
زوجته : « إنك تظلم النساء إن زعمت أنهن جميعاً
مثل تلك الأرملة التي لا تخرج »

فقال الزوج : « علام هذا الاهتمام ؟ أخبريني ،
إذا مت وكنت لا تزالين صغيرة جميلة ، أرضين بالترمل
خمس أعوام أو ثلاثة ؟ »

فالت : « إن الوزير الأمين لا يخدم سيدين ،
والزوجة الفاضلة لا تزوج من رجلين ؛ فإذا قدر
أنك ستموت قبل فلن يقتصر وفائي على الترميل
ثلاثة أعوام أو خمسة ، ولكني سألبس ثياب الحداد
حتى أموت »

قال شوانج : « هذا كلام يصعب تصديقه »

وفاء زوجة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

(هذه قصة مترجمة عن الصينية وواضعها مجهول ،
ولسكنه كان يعيش في القرن الخامس عشر المسيحي)

كان يعيش في العاصمة منذ عدة قرون رجل
فيلسوف اسمه شوانج . وكان معتكفاً عن الناس
لا يكاد يخرج من داره . وقد ماتت زوجته الأولى
في سن الشباب ولم يكن سعيداً معها . وكذلك
كل الفلاسفة لا يسعدون بالزواج . فتزوج للمرة
الثانية ولكنه طلق زوجته الأخرى متهماً إياها بسوء
السلوك ؛ وتزوج للمرة الثالثة بسيدة تدعى « تان »
فوجد معها من السعادة ما لم يجده في المرتين
السالفتين

وغير مسكنه بعد الزواج منها فأقام في ضاحية
بالقرب من الجبال

كان يتنزه في الخلاء ، ففي يوم من الأيام وجد
امرأة أمام قبر حديث البناء وفي يدها مروحة تحاول
بها تجفيف بنائه . فكان ذلك الحادث داعياً إياه
للتساؤل ، فاقرب منها وسألها في رفق : « ما الذي
تفعلين ؟ »

فأجابته : « في هذا القبر رفات زوجي . ولما كان
رحمه الله غيباً فقد استحلقتني ألا أتزوج بعده حتى
يجف بناء قبره . وقد زرت القبر أياماً متوالية فلم أجد
بناءه جف . ولذلك استعجلت تجفيفه بهذه المروحة »

وبعد أيام أقبل طالب وجهه كوجه الدمية من الحسن وشفته كالعقيق وعليه ثوب من الحرير البنفسجي وفوق رأسه قبعة سوداء مزركشة بالحرير وحذاء قرمزيان ووراءه خادم

وقال الطالب للسيدة إنه منذ بضعة أعوام أفضى للفيلسوف شوانج برغبته في أن يصير تلميذاً له فقبل، وإنه جاء من بلاده اليوم لأجل هذه الغاية، ولكن لسوء حظه لم يصل إلا بعد موت الأستاذ، وإنه وفاء

لمهده يريد أن يقيم في منزله حزينا عليه مائة يوم وبعد أن أبلغها ذلك سجد أربع سجعات وبلل الأرض بدموعه. ولما هدت أعصابه قليلا طلب مقابلة تان فرفضت ثلاث مرات، ولكنها رضيت أخيراً أن تراه بعد أن أخبرها الثقات بأنه لا حرج على أرامل العلماء من مقابلة تلاميذهم

وتلقت تحياته بأهداب مسترخية فقد فتحتها جلاله ورشاقتة واختلج قلبها بمشاعر كثيرة وطلبت إليه أن يقيم بالمنزل. وأعد العشاء فتناولته معه، وكان تنهدا يتمرجق بتنهده، وأهدت إليه علامة على تقديرها إياه نسخة من كتاب « ناهوا » وأخرى من كتاب « سوترا » وهما الكتابان اللذان يؤثرهما زوجها

وكان هو أيضاً علامة على حزنه يصلى كل يوم بجانب القبر ساعة تجلس إليه لتبكي

وفي أثناء هذه الجلسات كانت تدور أحاديث قصيرة ويتسارقان النظرات فنشأ بينهما العطف فمال إليها كثيراً وأحبته أشد الحب

ولما كانت راغبة في تعرف أحوال ضيفها استدعت خادمه وقدمت إليه النبيذ حتى سكر وسأله: « هل سيده متزوج؟ » فقال: « إنه لم يتزوج قط ». فسأله الزوجة: « وما هي الصفات التي يشترطها

فقلت: « هل تظن أن النساء كالرجال المجردين من الإنصاف والوفاء؟ إن الزوجة متى ماتت بحث الزوج عن غيرها، وقد يطلقها لأنه اختار غيرها. فلا تستمر في حديثك الذي أزعجني »

فمعد ما سمع الزوج هذه الكلمات مرق المروحة التي أهديت إليه عند المقبرة. وقال: « هدي من روعك وأرجو أن يكون عمك في المستقبل مطابقاً لقولك الآن »

بعد أيام كثيرة من هذا الحديث مرض شوانج مرضاً خطراً فلزم الفراش. ولما بدت عليه علام الموت قال لزوجته: « أشعر الآن بقرب منيتي فأستودعك الله. ولكنني آسف على تمزيق تلك المروحة، فقد كانت تنفك في تجفيف قبري »

فقلت الزوجة وهي تبكي: « أرجو يا زوجي العزيز ألا تكون هذه الساعة الأخيرة ساعة ريبة تشربها نحوى. إنني قرأت كتاب السنن وتعلمت منه أن المرأة الفاضلة لا تتزوج إلا من رجل واحد. فإذا كنت لا تزال تراب في فاني أقتل نفسي بين يديك لأبرهن على وفائي »

فأجابها شوانج: « إنني لا أريد شيئاً بعد الذي سمعته منك »

ثم اشتدت وطأة المرض عليه فقال: « هاأنذا أعالج سكرة الموت. إن الدنيا تظلم في نظري »

وعند هذه الكلمات فقد الحركة والتنفس. فلما عرفت تان أن زوجها مات علا صوتها بالبكاء وعانقت جثته مرة بعد مرة وبكته آناء الليل وأطراف النهار مفكرة في فضائله وحكمته، وجرياً على العادات المتبعة في الصين لم يدخر جيرانها جهداً إلا بذلوه في سبيل مساعدتها

فيمن يريد لها زوجة . فقال وقد أثر فيه النبذ :
« يقول إنه بعد نفسه أسعد الناس إن صارت له
زوجة في مثل جمالك يا سيدتي »
فسألته باهتمام : « هل قال ذلك حقاً ؟ أخبرني
بالصدق ؟ »

فأجابها الخادم : « إن رجلاً في مثل سني
لا يكذب »

قالت : « إذا كان الأمر كذلك فكُن وسيطاً
في الزواج بيني وبينه »

فقال : « إن سيدي كلمني في ذلك قبل الآن ،
وإنه لولا احترامه لذكرى أستاذه لبادر بطلب الزواج »
قالت الزوجة : « الواقع أنه لم يكن قط تلميذاً
لزوجي . أما جيراننا فهم قليلون وليسوا من ذوى
الاعتبار فلا يحسن أن نقيم وزناً لا نقادهم »

وهكذا ذلت العقبات وتعهد الخادم بأن يكلم
سيده . ولما ذهب الخادم شعرت السيدة بقلة الصبر
شعوراً مضاعفاً . وكانت تسير في منزلها ذهاباً وجيئة
وتنصت قرب النافذة عليها تنسقط كلمة من حديثه
وهي لا تفكر إلا في الزواج

فلما دنت من القبر سمعت صوتاً يصدر منه
واضحاً ، وسمعت تهدياً فقالت : « هل من الممكن
أن يعود الميت إلى الحياة في الدنيا ؟ »

ولكنها سرعان ما اطمأنت لما رأت الخادم
السكران نائماً بجانب القبر . ولو أنها لاحظت هذه
الملاحظة في وقت عادي لأنبت الخادم وزجرته ،
ولكنها في هذا الوقت لم تجد خيراً من السكوت

وفي الصباح التالي قال لها الخادم إنه كلم سيده
وإن السيد يجد في هذا السبيل ثلاث عقبات وهي :
أولاً : إن قبر الميت في وسط الدار ، وذلك

لا يجعله مسكناً صالحاً للعروسين .
ثانياً : إن شوانج كان يحب زوجته حباً شديداً
وأنها كانت كذلك تحبه ، وهو يخشى إن تزوج
منها ألا تستطيع حبه كما كانت تحب زوجها الأول ؟
ثالثاً : إنه لم يأت معه من الثياب ولا من المال
بما يلزم لإتمام الزواج !

فقالت الزوجة : إن هذه الأمور لا يصح أن
تسمى عقبات في سبيل الزواج ... فقبر الميت ينقل
من داخل المنزل إلى الحديقة التي خلفه ... أما من
الوجهة الثانية ، فقد كان شوانج محترماً عظيم النفوذ
ولكن به ضعفاً من الوجهة الخلقية ؛ فقد ماتت
زوجته الأولى ، وطلق زوجته الثانية ؛ وكان قبل
وفاته بقليل يغازل امرأة تروّج على قبر زوجها ليحف.
فلا يكن عند الطالب شك في أنه سينال من حبها
إن تزوج منها أكثر مما ناله الزوج السابق ! وأما
من الوجهة الثالثة فإن لديها مالاً كثيراً وستعطيه
ثمن الثياب وتقوم بنفقات العرس !

وقالت : أخبره أن اليوم أنسب يوم للزواج ،
فلا يتردد ، ولا يرجئ الأمر ! وأعطت الخادم مالاً
كثيراً فذهب إلى سيده الطالب .

ولم يكذب ، حتى أبدلت ثياب الحداد
بثياب العرس ، وأوقدت الشموع واستعدت لحفلة
الزفاف ، ولكن في الموعد المحدد جاء الطالب هائجاً
وعليه علامات الجنون . فاستدعت تين الخادم وسألته
هل اعتاد سيده أن تنتابه هذه النوبات ؟

قال : نعم ، فإنه مدله بحب الإله « تسو »
إله العلم ، وكانوا يعالجونه من هذه الحالة بأن يطعموه
مخ إنسان !

فقالت : وهل يصلح لذلك مخ إنسان مات موتاً
طبيعياً ؟

قال : نعم ، على شرط ألا يكون مضى على وفاته تسعة وثلاثون يوماً !

فقلت : « الأمر سهل فإنه لم يمض غير عشرين يوماً على موت زوجي الأول فلنفتح قبره ، ولنطعمه نخه » .

قال : « وهل توافقين على ذلك ؟ »

فقلت : « إنني وسيدك الآن زوج وزوجة ، وعلى الزوجة أن تفعل من أجل زوجها كل شيء فكيف أرفض إطعامه من جثة إن تركناها قليلاً استحال إلى تراب ؟ »

فأحضر الخادم فأساً وذهب مع تان إلى القبر ففراه حتى بدا الصندوق . فناولها الخادم الفأس ، وكسرت الصندوق فظهرت الجثة ، ورفعت الزوجة يدها بالفأس لتكسر الجمجمة وتستخرج المخ ، ولكن الجثة تشاءبت ثم فتحت عينيها

فصاحت تان مذعورة ووقع الفأس من يدها ، وجلس الفيلسوف الميت في قبره وقال : « يا زوجتي العزيزة ساعديني على القيام »

نخافت الزوجة ولم يكن في وسعها إلا أن تطيع ، فساعده وقادته إلى غرفتها ، وكانت غير ناسية المنظر الذي سيؤوله في هذه الغرفة ، ولذلك ارتعشت وهي تقترب من الباب ، ولكن كان من حسن حظها أن الطالب وأصحابه خرجوا من تلك الغرفة قبل ذلك فانهزت هذه الفرصة وقامت بالخدمة التي تحسنها كل امرأة . وأقسمت أنها لم تكف عن البكاء بالليل ولا بالنهار . وأنها لما سمعت صوتاً من جانب القبر تذكرت القصص القديمة التي تدل على احتمال عودة الموتي إلى الحياة ، فأخذت الفأس لتفتح له القبر ، وحمدت الله على أن جعل ظنها صحيحاً فماد زوجها إليها

قال : « أشكرك يا زوجتي العزيزة ولكن هل لي أن أسألك لماذا ترتدين ثياباً مفرحة كثياب العرس ؟ » فقلت : « لما سمعت الصوت من جانب القبر حدثتني نفسي بأنك عائد إلى الحياة فلم أرد استقبالك في ثياب الحداد »

فقال : « ولكن أمراً آخر يستدعي الإيضاح وهو لماذا لم يكن قبري في داخل المنزل كما هي العادة بل خلف المنزل في الحديقة ؟ »

فلم تستطع الزوجة مع ذكائها أن تجيب على هذا السؤال

ونظر شوانج إلى كؤوس الخمر والشموع الموقدة وموائد العرس ، ولكنه لم يبد ملاحظة أخرى بل طلب إلى زوجته أن تناوله كأساً من النبيذ ففعلت وهي تهش في وجه زوجها وتبسم له . ولكنه رفض أن يتناول الكأس ، وقال : « أنظري إلى الرجلين الواقفين خلفك »

فنظرت ورأت الطالب وخادمه فارتجفت . ولكنهما اختفيا في الحال فعادت إلى النظر إلى زوجها فوجدته اختفى كذلك . ثم عادت إلى النظر خلفها فلم تجدهما . والتفتت فرأت شوانج أمامها مرة أخرى فأدركت الحقيقة ، وهي أن الطالب وخادمه لم يكونا إلا طيفين خلقتهما روح شوانج ، ووجدت من البعث إنكار الحقيقة عنه

ولما اعترفت بها وضعها في الصندوق الذي كان مدفوناً فيه ثم أضرم النار في منزله فلم يسلم منه شيء غير كتابي « نانهوا » و « سوترا »

ثم سافر شوانج متجهاً إلى ناحية الغرب ولا يعرف أحد إلى أين ذهب ، ولكن شيئاً واحداً هو الذي يوثق به وهو أنه لم يعد إلى الزوج مرة أخرى

عبد اللطيف النشار

ورقة من السماء

للفصصى الامركى انرسون

بقلم الأديب كمال الحريرى

وأقبل الشتاء ، وغطى الثلج بساط الأرض ، فإذا النبتة السماوية تشع على الثلج الوهاج شعاعاً سحرياً غريباً ، كأنها حزمة متوهجة متموجة من أشعة شمس الغروب المختلفة الألوان تغتسل وتستحم فى حوض هذا الثلج ... وفى الربيع تفتحت أكام هذه الشجرة السماوية عن

زهرة بديعة حسناء لم تقع على مثلها عين بشرية فى روعتها وفتنتها واثلاثها ...

ونعى الخبر إلى أستاذ النباتات الأشهر فى تلك البلاد ، فهرع إليها مجهزاً « بدبلومه » وشهاداته وخبرته المستفيضة ومعرفته الواسعة فى علم النباتات ، لاحظ أولاً النبتة السماوية وتأملها ، ثم حللها واختبرها فى مخبره ... حتى لقد تذوق أوراقها وتشم زهراتها ، ولكنها لا تشبه أبداً شيئاً مما عرف أو درس من جنس النبات وفصائله . وانتهى به البحث والفحص إلى أن قال : إنها نبتة هجينة مولدة من عدة فصائل نباتية لا تدخل فى زمرة النبات الموجود على أرضنا وما أظنها إلا غولاً نباتياً لم تألفه أرضنا . وسمعت شجيرات العليق والموسج بكلام أستاذ النبات فرددت معه :

— إنها غول نباتى لم يألّفه غابنا . أما أدواح الغابة الباسقة وسرحاتها الظليلة فقد لزمت جانب الصمت ولم تقل فى حقها خيراً أو شراً ، والصمت أحجى بالصامت وأحزم حين يكون غيباً جهولاً . أقبلت إلى الغابة ذات يوم فتاة صغيرة فقيرة ، هى الطهارة والنقاء مجسمان ، والدكاء المنار بضوء الإيمان .

لم تكن تملك من متاع الدنيا إلا إنجيلاً عتيقاً

هناك فى عليا السموات ، بين طبقات شعشاعة شفافة من الهواء النقي البلورى رفّ جناح ملاك سماوى فوق روضة أنف من رياض الجنة حاملاً معه من بين أزاهيرها الفيح المؤرجة زهرة عبقة ، وبينما كان يطبع عليها قبلة من قبله الملائكية ، سقطت منها ورقة فوقعت فى غابة ملتفة الشجر مختلفة جنس النبات . وما كادت تستقر هذه النبتة السماوية على التراب الأرضى حتى امتد لها جذر ونمت وربت بين طائفة من أشجار الغابة . . ولكن أشجار الغابة وأدواحها وحتى شجيرات الحقيمة لم تشأ أن تعترف بها أو تقر أنها من جنس النبات ، فقال العليق : أى نبتة غريبة شاذة هذه ؟ وسخر الموسج منها فقال :

— إلى أى فصيلة نبات تنتمى ومن أين خلصت إلى غابنا ؟ فردد العليق فى تعال وازدراء :

— ما هى إلا بذرة حقيرة لحساء أو حبة من جنس الفول والعدس ... وإلا فما هذه السرعة فى النماء ؟ هل سمعت إحداكن أو رأت يا أشجار الغابة ودوحاتها نبتة تنمو بهذه السرعة ؟ ثم ما هذه الوقاحة والفظاظة أظن أننا موجودات هنا فى الغابة لا لشيء إلا كي نسندها كلما عطفها الريح أو مالت بقدها الأهيف ؟

البديع سعادة المفلت من إفسار هذه الأرض المتعبة
الفرور ، وهناءة من دعاء ربه إلى حضرة ...

في خلال ذلك كانت النبتة السماوية ترو وتتمو
وتزهر وتفتح ليس كمثل ربائها وتفتحها شجرة
على الأرض . وكانت المصافير والطيور العابرة عليها
والحلقة فوقها حين تمر تنحنى وتخضع أمامها احتراماً
وهيبة . فكان العليق والموسج لا يفتتان يدمدمان
في غيظ وحسد وسخرية :

آه لو تعلم هذه الطيور الحقاء لمن تتبرع بهذا
الاحترام والإجلال !؟ ثم تبصق هذه الشجيرات
الكريهة البشعة في احتقار أمام النبتة السماوية

ويعمر راع للخنازير بهذه الغابة محتطاً . فيعمل
فأسه قصفاً وتقطيعاً لشجر الموسج والعليق ...
وأيضاً للنبتة الفيحاء الحسناء المعجبة «زهرة السماء»
ثم يقول لنفسه بعد الفراغ من الاحتطاب :
كم ستكون هذه الأحطاب صالحة لشيء خنزير

حنيد من خنازيري !

وكان ملك هذه البلاد يشكو منذ زمن بعيد
غماً وضيقاً في الصدر ران على نفسه واستعصى طبه
على نطس الأطباء . فكي يرفه عن نفسه ويتفرج
من هذا الغم أخذ نفسه بقراءة طائفة من مؤلفات
مشاهير كتاب شعبه . فبدأ بمطالعة الصفوة المختارة
من الكتب والكتاب ، ثم أخذ يتفكه بقراءة الكتب
السهلة المسلية ذات الموضوعات السارة ولكن كل ذلك
لم يلهه عن غمه ويسله عما هو فيه من ضيق
وانقباض . هناك نصحه رجاله بالقصد إلى أشهر

حكيم في تلك الأصقاع ، وفعل الملك ذلك وأجابه الحكيم :

— إن هناك طريقة وحيدة لشفائك أيها الملك :

هي أن تتناول ورقة من نبتة سماوية ذات أزهار عجيبة
توجد الآن في غابات مملكتك . ثم إن الحكيم وصف
للكم موقع الغابة وحدودها من مملكته ... وعرف

باليك كانت صورة الإله تتراءى لها من بين صفحاته ،
وصوته القدسي يرن في قلبها من خلال مناميره
وآياته . ففيه قرأت كثيراً عن خبث الرجال وسوء
نفوسهم ، ولكنها تعلمت من الإنجيل أيضاً أنهم
حين يسوموننا سوء العذاب ، وقسوة الظلم ، ولذع
السخرية ، ونكران الفضل ، فليكن مما تتحمل به
رهق عذابهم أن نقول كما قال المنقذ الأعظم حين
كانت تسفع جلده سياط ظالميه : « اللهم اغفر لهم
سيئاتهم ، فإنهم قوم لا يعلمون » .

وقفت الفتاة لحظة أمام النبتة المعجزة العجيبة .
وكان عبقها يؤرّج الجو بشذى عطر الجنان ،
وتنمّج أصباغ أزهارها يبرق ويلتمع أمام أشعة
الشمس كحزمة مختلفة الألوان من أسهم نارية في ليلة
داجية ظلماء ، ولر النسيم حين كان يداعب أوراقها
البهيجة وسوسة موسيقية سماوية ، وأنغام شجية
علوية .. وأخذت الفتاة بروعة هذه الشجرة وشدها
لفتنتها وسحرها ؛ فأنحنت عليها تتأملها ، وتستجلي
منظرها عن قرب ، ثم طفقت تنسم أريجها العطري
وشذاها السحري ... فشعرت بفيض من القوة
الخارقة يتدفق إلى قلبها ، وشعاع وهاج من الحكمة
يشرق في ذهنها ونفسها ... وملكتها رغبة شديدة
في قطف زهرة من أزهارها ، ولكنها فكرت في أن
ذلك سيؤذي النبتة اللطيفة ، وأن الزهرة المقطوفة
سيعلوها ولا شك ذبول قريب ... فلم تقطف منها
إلا وريقة من وريقاتها الخضر غيبتها بين صفحات
إنجيلها حيث ظلت هناك خضرة طرية !

بعد أسابيع نُقل الإنجيل الفتاة التقية وضمنه

الورقة السماوية إلى نعش الصبية (فقد ماتت) .

وفي ذلك النعش توسدت الفتاة ذلك الإنجيل
توسدة أبدية هادئة تتماكس على وجهها المشرق

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

رجال الملك بعد عناء مكان النبتة ولكنهم أبصروا
محلها فارغاً ، لأن فضول راع للخنازير قد اقتلعها
من جذرها ، فذهبت طعمة للنار ، ولم يبق منها
في أثنية الراعى إلا بقايا من رمادها تذرره الريح
في الجهات الأربع ...

اختفت النبتة السماوية من الأرض . ولم يبق
منها إلا وريقة زاوية خاوية في نعش الفتاة الطاهرة
التقية ، ولكن أحداً من الناس لا يعلم مكانها

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة كي يتأكد بعينه
من اختفاء النبتة ، فقال حين شاهد مكانها خالياً :

— وإذن فهنا كانت النبتة الإلهية ؟ !
سيكون هذا المحل منذ الآن مكاناً قدسيا مباركا ...

وفعلًا أمر الملك بمكان النبتة ، فسور حوله
عريشة من ذهب خالص ، وأقيم في تلك العريشة
حراس أرصدت لنفقتهم الرواتب وذلك لحراسة هذا
المحل المقدس ليل نهار ... وكتب أستاذ علم النبات
الأشهر وصفاً مسهباً ضافى الذبول والحواشي عن
حالة النبتة السماوية وماهيتها وخصائصها مظهرًا
الناس على خواص معجزة مميزة عجيبة حرم منها
ويا للأسف أهل البلاد بفقدن النبتة الإلهية من
غابهم الأرضي !

موت الملك كل صفحة من صفحات الكتاب
بماء الذهب ، ورصع دفتيه بنادر الجواهر وكريم
اللاقي ، فراج ذلك الكتاب القيم النادر ذلك العام
بين أهل المملكة رواجاً لم يرجه كتاب قبسه
ولا بعده ..

أما الملك الحزين المنقبض الصدر فقد لزمه طول
عمره غم وحراجه صدره .. وأما حراس مكان
النبتة السماوية فقد أمضهم الملل والضجر في عزلة
الغابة الموحشة

كمال المحبري

(حلب)

جناية مشروعة

أفصوحة مصرية

بقلم الأنسة جميلة العلايلي

رغمًا عنك ... فهما حلقت في سمائك
فأنت معنا تعيشين ... سيمر الوقت
وينتهي الحديث ويخرج ضيفك فإذا أنت
كما أنت ... لن يفرج الضيف عن أساك
ولن يشاطرك أحلامك . ولن يبعث
المسرة الأكيذة إلى نفسك، أما هناك
فستغم روحك مسرة الأنس ويتسم

قلبك تجاه البشر المجسم على كل وجه طروب ...
هيا اعتذري ولا تترددى ...

ولما صعب عليها التأثير على أختها خرجت شبه
غاضبة ...

الساعة السادسة والنصف ... ولم يأت الضيف
بعد وميعاده السادسة تمامًا ...

لا شك أنه في طريقه فقد يكون الترام تلكأ به
وتترك مقعدها وتهرع إلى الحديقة تتأمل الزهر
وتشم الورد وتحملق في الأفق البعيد ...

آه لو كان في مقدور الانسان أن يعرف بحسّه
ما وراء المجهول ... لاستطاعت في هذه اللحظة أن
تنعم بالوقت كما تشاء

آه لو استطاعت أن تنمو كالنغم طي النسيم
لتعبر هذه المسافات لكي تصل إلى هناك حيث يكون
لتعرف ماذا هو صانع .. أهو في طريقه إليها فتنتظره
أم تراه لاهيا بشأنه فتتصرف في وقتها ...

حكمتك يارب جليلة ... لا شك، ولكن الذي
لا أفهمه؛ لماذا ترتبط الجهالة بالأحلام وترتبط الأمانى
بالخيال ...

لماذا؟ ... لماذا؟ ...

في هذه اللحظة عرفت الفتاة مبلغ الألم الذي
يعتور الحبيب إذا انتظر حبيبه وطال الانتظار

دقت الساعة السادسة تمامًا فتأهبت الفتاة
لاستقبال الزائر ...

ودخلت عليها أختها قائلة : ما أعجب أمرك !
ترفضين الذهاب إلى العرس من أجل ضيف تقضين
الوقت معه بين الورق والخبر في نقاش يجمع بين
الجهد والملل ! أتركي له كلمة رقيقة وتعالى نتمتع بالطرب
هناك ... في مقدورك لقاء الضيف مرة أخرى
وليس في مقدورك مشاهدة الفرح إلا في مناسبات
بعيدة، وقد لا يكون مثل هذا الفرح فالعروس جميلة
وها هي ذى الأضواء تبدو كحروف ملتزمة تعلن في زهو
وبهاء مبلغ السرور . هيا اعتذري وتعالى نشاهد
مفاتيح الحياة والبهجة الطليقة ...

فهزت الفتاة كتفها في إباء ونظرت إليها وهي
تخطو بعيداً مبتسمة قائلة : يا أختاه ... أتظنين
مسررات الوجود كلها تشفع لعذر موهوم ... إن
احترام الوعد عندي أحق من مباحج الحياة .
ثم ألا يصح أن يكون هذا الحوار الجاف كما
تسمينه أمتع وألذ وأنفع من أغاني الفرح وأضواء
العرس وظواهر الصناعة وكلفة المجاملات

فطقت الأخت شفيتها وهي تغتم في مرارة
قائلة : لشد ما أحزن لك ... تهريين من الحياة ومن
نفسك ... والحياة تمدو خلفك متمسكة بأذيالك

وإذا كانت هي لم تحب ذاك الطيف فقد تحترمه
وقد تقدره لفضائل مثالية تلمحها من وراء ذاته؛ وقد
تكون معجبة برجولته القوية التي تتجلى في نظراته
الحادة... ثم هذه البسمة الحقيقة التي ترسم على
شفثيه مهومة في خفة أشبه بعبت الطفولة البريئة .
لكن يزوعها ذاك المكر الذي رسم ظلاله على جبينه
الفسيح في شبه خطوط غير مرئية تتصل بمنبت
شعره... والذي يعينها على تفهم نفسيته ذلك الحلم
المعيق الذي يتراءى من وراء منظاره يفيض بشعور
قلب يرجو، ويسخر بهذه الخواطر شغلت وقتها حتى
بلغت الساعة السابعة...

دقت الساعة... فتذكرت صديقها التي رفضت
لقاءها في هذه الساعة، لكي تترك لضيغها حرية
الحديث...

أي ملل يملك نفسها هي التي لا تشعر بالملل أبداً،
لأنها تشغل وقتها دائماً... دائماً... ولما تحس بالخلو
والسأم...

مالها الساعة تشعر بضيق يجوب جنبات صدرها
في عنف فيجذبها إلى ظلمات الأفكار...
يا للقدرة الخفية الهائلة التي تعبت بالخواطر،
والأحلام...

في لحظة يتشوه جلال الرجل النبيل... وهمس
ضميرها الرحيم: قد يكون قابله صديق ثرثار...
أو يكون جد له ما لم يكن في الحسبان...

لكن لماذا لم يعتذر بالتليفون... أو عن طريق
رسول؟ أهكذا يعبت الرجل بالميعاد؟
وابتسمت الفتاة على مضض وتحدثت إلى نفسها
في غير صوت:

آه لو لم أكن أجد في كل شيء لها أن الأمر،
ما أغباني. كان يجب أن أعرف إن كان جاداً أو هازلاً
عند ما وعدني

وتأففت في مرارة وراحت تتسلى بالقراءة...
لكن أي عقل يبى ما يطالعه، وهو شارد
في أضاليل الحياة...

عله لم يتعمد الكذب... وشفع له عقلها...
ولكن شبه شعور غامض يحز في جنبات نفسها..
أنكون هي موضع السخرية هي، التي تسخر من
كل شيء...

من المؤلم حقاً... أن تفهم كل شيء جادة...
وتستقبل كل شيء جادة، تجدد في كل قول وكل فعل...
وارتمت على مقعدها لتحلل هذه الظاهرة الغريبة
ومرّ بذهنها صور العشاق

وتصورت نفسها بعين الخيال عاشقة ثم جسم
لها الخيال الوهم حقيقة فإذا بها في هذا الموقف
تنتظر حبيبها فلم يحضر..

ماذا تفعل؟

أتماتبه؟.. وهل يرفه العتب المذاب؟ أهجره؟
وهل يمحو الكذب سطور الحب من الكتاب؟

ثم تلمست قلبها فإذا خيالها يرتد عنها وإذا هي
خلية الفؤاد

فحمدت الله في استسلام لشيئته المحقومة
وتطلعت إلى الأفق فرأته صافياً أصفى من ماء النير
فارتد بصرها إلى ذهنها يعرض عليه مشاهد
الوفاء والإخلاص، فتساءلت: لماذا لا يكون الوفاء
دين الناس جميعاً؟

لماذا لا نحكم ضمائرنا دائماً لنسلم من الشرر...
ومرّ بها خيال الضيف.. فتأملته من جديد..
وهاجت نفسها وبدأ صدرها يتنفس بزفير
الفيظ... فلطف عقلها من حديثها مستمعيناً بخيالها
على تصوير فضائله..

إنها لا تشك في نبلة ورجولته ولكن كيف
أباح لنفسه أن يجنى عليها؟

عَلَّه لم يتعمد هذه الجناية ... ولكنه جنى على
عواطفها فأسلمها إلى مرارة الشك في كل شيء ...
وجنى على عقلها فاتهمته بالخبل والجهالة ..

إنها بطبيعتها تشك في الرجل ... ولكنها
تخص بالشك الرجل الذي يحبها ، وهذا لا يحبها ..
فليس هناك ما يبرر هذا الشك ..

الله أكبر الله أكبر ... على النفس الكبيرة
عند ما تهزم

الله أكبر الله أكبر ، على العقل الجامع
عند ما يخمد

الله أكبر ، الله أكبر ، على الرجل الناضج
عند ما يكذب ...

ودت لو تدفع من دمها ثمن جناية الرجل ، لتظل
محتفظة في ذهنها بصورة تنتمي إلى السكالم بصلة
وهرعت إلى مخدعها لتدفن فيه خواطرها ...
فإذا بها تزداد ثورة وشجنا

إيه يارب العالمين ... لماذا تعذبني بخيالي وأنا
أقرب العباد إليك بإيماني ؟

يارب ... لماذا تجازني الحياة شراً ودمى دفعته
قربان الخير في سبيلها ؟

يارب ... لماذا استودعت قلبي حرارة الحق
وسيرتني في طريق الأباطيل ؟

يارب ... لماذا فتحت عيني على نور جلالك ،
وقيدتني بظلمة الدنيا ؟

يارب ... لماذا تفتح شفقي عن بسملة الرجاء ،
فتجاوبني الحياة بالدموع ؟

يارب ... يارب ... خذني إليك طاهرة متطهرة
أو هي لي في الدنيا مقراً فيه ما أرجو من صدق
وطهارة ...

يارب ، يارب ... لماذا منحني إدراكاً يعينني
على تفهم كل شيء ، ولم تهني إنساناً ليفهمني ؟

يارب ، يارب ... إني أخيراً كمة تحت عرشك
وأسألك : لماذا سلمتني مفتاح القلوب وأغلقت قلبي
دون الناس أجمعين

يارب ، يارب ... ألا ترفعني إليك . ألا تبعث
إلي من لدنك ملكاً ؟ لو فعلت يارب أعرف كيف
أهزج باسمك بكرة وأصيلاً وأقيم الصلاة مرتلة آيات
شكرك ترتيلاً ... عرفت طريق الخير يارب فأعني
على اجتيازه حتى النهاية !

وتنبت الفتاة من هذه الغيبوبة الحالة على صوت
أخيها وهو يناديها فإذا بالدموع ندت الوسادة ...
وخجلت الفتاة وأرخت جفونها لكيلا يلمح
الأخ مدامع الأسى الدفين . وتعتذر في لطف لتعاود
النوم فيقول : مى رسالة من أمك

أوه ! رسالة من أحب مخلوقة لديها ... ياللففة
التي انتشت ... ولكنها دامعة فإذا رفعت نظرها لمح
الأخ مدامعها ... وهي لا تريد أن يراها باكية

قال الأخ مداعباً : لن أسلمك الرسالة إلا إذا
قمت فأثرت النوم أو على الأصح مواراة شجنها على
على قراءة الرواية

وفي الصباح الباكر قبل الأخ جبينها ليوقظها
قائلاً : غداً يهنا السعيد بهذا الوجه الصبوح
ويستلهمه قوة تعينه على أعباء يومه في كل صباح
فابتسمت قائلة في دعاية : صباح الخير ... دائماً ،
دائماً تنقلني إلى حلم الزواج كأنني عالة عليك !

فتجهم وجهه وطوقها بذراعيه في حنان وهو
يقول : يسعدني أن تكوني معي إلى الأبد قائماً بك
عن مسرات الوجود ... لكن لا بد من إسعادك .
لا بد من تركيز حياتك . أراضية أنت عن حياتك
الطيقة ؟ أتظنين السعادة في هذه الطلاقة ؟ أتحسبين
هؤلاء الذين يتمرغون تحت أقدامك سيتعلقون بك
دائماً وبعد أن يدير شبابك ... إنهم يحبون الحياة
(٣)

الشابة الفتية فيك الآن ... وغداً بعد أن تذهب
عنك نضارة الشباب ينظرون إليك نظرة خاوية
لا حب فيها ولا آمال . أنت الآن في ريعان الشباب
تجذب حيويته كل من رآك ...

لا أنكر أن جاذبيتك لا ينضب معينها ...
ولكن يجب أن تصوني هذه الجاذبية ولا يصونها
غير الزواج ... في تركيز حياتك واستقرار عاطفتك
حفظ أنوثتك وجمالك ...

فتململت الفتاة وقالت : ولكنني لا أريد أن
أتزوج إلا برجل أفهمه ويفهمني ...

فتأفف قائلاً : أهنأك من ارتبطت معه وأنا
لا أدري ، ونظر إليها محملاً ثم استطرد ... حذار
يا أختي من وعود الرجل .. أنا رجل وأعرف كيف
يحب الرجل المرأة ، ومتى يفضلها على نساء العالمين
الرجل الذي يحبك لا ينتظر الظروف ولا يتركك
للقدر ، ولا يتوانى ليلسك ، إنه يتقدم إلى طلب يدك
دون علمك ودون أن يفاتحك في أمر حبه وزواجه
أما ذلك الذي يحاورك ويستمهلك فكاذب مرء ،
أنا أعرف أن الذين يجرون وراءك كثيرون ...
كثيرون جداً ، ولكن حذرك وتحفظك هما الذان
يدفعاكهم للجري والتعلق بأذيالك ... ولو كنت
كالأخريات تعطين من نفسك كل ما يطمع فيه
حبيب ، لولوا الأدبار من زمن بعيد ... أفهمت ...
ثم وضع يده على كتفها في حنو مردفاً :
والآن ، يجب أن تترك حياتك الخيالية وأحبي
الواقع ، واليوم أقدم لك رسالة أمك ، وهي تدعوك
لتدعيم حياتك الزوجية ، ولا مانع عندي من أن
نسافر معاً لإتمام الأمر ، وأنا مطمئن لهذا الخطيب
قالت : من تعني ؟

قال : فلان ...

فدعرت صارخة : هذا لا يمكن أبداً أبداً

فتلطف بها الأخ قائلاً : وما السبب ؟
قالت : إنه لم يتقدم إلى إلا بعد أربع سنين ..
لماذا لم يطلبني قبل الآن . وضحكت متهمكة مردفة :
بعد أن خانه التوفيق مع الأخريات ، وبعد أن عبث
بقلوب بريئة !

فقاطعتها قائلاً : لا يوجد الرجل البكر يا أختي .
كل الرجال تلهو ، حتى إذا تزوج الرجل ركز عواطفه ،
قائماً بالزوجة ، خصوصاً إذا كانت مثلك !

قالت : أنا أفضل الرجل الذي يلهو ويعبث
كما يحلو له ، حتى إذا أحبنى استقام وركز وجدانه
وقنع بي ...

أنا أريد رجلاً جرب مفاسد الحياة لأعلمه الفضائل
وأسمو به حيث نحيا في الذرى .

إن هذا الرجل يريد أن يتزوجني بعد أن بحث
طويلاً . فلو أنه عرف فتاة تماثلني أو أفضل مني لما عاد إلى !
وأنا أريد الرجل الذي يرتبط بي منذ أول مرة
يلقاني فيها شاعراً بأنه عثر على ضالته المنشودة
ونصفه المتمم !

ثم دمعت عيناها بحرارة عواطفها الحرى وقالت
باهجة يسبقها أنين الشجن : لا أريده لا أريده ...
قف بجانبني وساعدني على الرفض !

فأطرق الأخ مفكراً ، وتركها ، وذهب لشأنه
ثم طالعت الرسالة ...
تحتم عليها الأم أن تسافر لتتفاهم معها في تزويجها
وذكرت لها اسم الخطيب

مشكلة أخرى ... هربت منها منذ حين !
وفكرت في الخطيب ...

فلم يتسم القلب ولم ترحب الروح .. هو رجل
في عرف الناس عظيم وفي نظري الأهل كفيل
بسعادتها ... أما هي ... فلم تحبه ولن تحبه فكيف
ترضى به زوجاً ؟

وأنا فتاة صريحة جريئة أفضل الموت مع الحق
عن الحياة مع الباطل ..

أنت في الواقع رجل طيب عظيم جدير بفتاة
أجمل وأفضل مني ...

وأنا فتاة مريضة ... مريضة بالخيال يا سيدي
ومثلي لا تصلح لرجل مثلك .. ستقول — كما قلت
سابقاً — أنا راض بك على أى صورة ..

وهذا كرم منطق منك .. أما الحقيقة فلا بد
أن تخضعك لمشيئتها في مقبل الأيام عند ما تضمني
إليك فيواجهك قلبي المعلق وروحي السجين في عالم
مجهول ...

أنا لا أحبك يا سيدي ...

هذه هي الحقيقة المرة فاحتملها

ولا أحب أن تزوج بفتاة لا تحبك ... لأن
حبك لي لا يكفي وحده لإسعادك ، بل الحياة العائلية
تطلب قسطاً وفيراً من حب المرأة ...

فكيف أعيش معك ، وأنا لا أحبك ؟ لا تنزعج
فلمست رغبة إلا في إسعادك . أنا فتاة صريحة مؤمنة
أخاف الله وأواجه الحقائق . فتناساني يا سيدي
وابحث لك عن فتاة تحبك ...

ودعني أنا أعيش للرجل الذي أحبه ويحبني ...
لم أشأ أن أواجهك بذلك على مسمع من أفراد
العائلة فأخذش رجولتك ، لذا آثرت أن أهمس به
في أذنك ، لكي تنسحب في هدوء وكبرياء كأنك
أنت الذي عدلت وتنحيت ولن تلق لوماً

ولما انتهت من كتابة الرسالة اغتصبت بسمه
مريرة وهي تقول :

لقد اعتبرت خلف الرجل جنانية ... فهل يسمى
الخطيب تصرفي جنانية أم تراه يحمدي صراحتي .

محمد العلي

أيسعدنا المال الذي يفاخر به ؟ أيشبعها
الجاه الذي يتمتع به ؟ أيعينها على تأدية رسالتها
المثالية ؟ كلا ... إنه يحبها ، ولكن الحب الذي
يفهمه كل رجل عادي ...

وهي تريد أن يحبها الحب الذي تفهمه هي ، تريد
أن يحب فيها الحب الذي لا يفضب معينه ... تريد
أن يحب فيها سرّاً غامضاً يصل بين قلبه وقلبها ...
إنه لا يفهمها ... يحسب أنها امرأة تبعث
المسرة في القلب الحزين

وقد تكون كذلك ... ولكنها أيضاً وتر من
حسن لا يتغنى إلا إذا داعبته أصابع فنان ماهر . وهي
فكرة ناضجة لا تخرج للوجود إلا غذاها عقل ناضج
إنها لا تريد أن يرفعها إلى حياة الترف والنعيم
بل تريد أن ترفعه هي إلى حياة المجد والخلود ...
تريد أن تشعره بمتعة الروح وتآلف القلب وسحر
التجارب ، تريد أن تعلمه قصيد التمازج السكلى . تريد
أن تسمعه أناشيد الهوى المستمر

تريد أن تكون له الزوجة بعواطفها والصديقة
بعقلها والحبيبة بشغفها والأم بحنانها والأخت بعطفها
وأخيراً أم أولاده بشجاعتها وبقينها ...

فهل يفهم هو كيف يوجهها إلى هذه الحياة ؟
وانسرح الفتاة مفكرة في مآلها ... واستعاد
ذهنها صور كل الرجال الذين يندشونها
فابتسمت على مضمض مغفمة : ولا واحد ...
ولا واحد ...

ولسكن رغبة الأهل ملحة . وهي فتاة رغم
إرادتها وقوتها خاضعة لمشيئتهم فما عساها تفعل ؟
وفكرت طويلاً ... ومن غير وعي كتبت إلى الخطيب :
سيدي ...

كان المفروض أن تراني في نهاية هذا الأسبوع
لتعقد عليّ كما اتفقتم ...

مستر بالارد وشبيهه

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ طه ندا

بالأسئلة وتشديدي معك . لست بالارد ؟
هيه ! قد يكون . ولكنى أرجو منك
أن تذهب يوماً لتراه ، وما عليك إلا أن
تقول له إنك مرسل من لندن صديقه
براون ، وأنا كفيل لك بما بعد ذلك
بدقائق ممتعة تقضيها في دهش وعجب
وصحك ، كما لو كنت تنظر نفسك

في مرآة . ما أحكم الشبه بينكما وما أصعب التفرقة !
أى توأمين أنتم ؟

ولما خابت فى ظنون هذا الرجل الذى استوقفتنى
عند ناصية شارع الملك وميدان سلون ، لم يجد بداً
من أن يحبى وينصرف آسفاً . ولقد هزرت كتنى
سخرية من هذا الرجل الذى لا يفرق بين أصحابه
وغيرهم من الناس ، وهممت أن أمضى فى طريقى
لولا أن وقع نظرى على صورتى فى واجهة أحد
التاجر الزجاجية ، فقلت لنفسى :

— أهكذا أنت يا بالارد ؟ ألك هذا الشعر ؟
وهذا الشارب ؟ وهذه العيون التى تشبه عيون
الفأر ؟ وهذا الصوت المنكر البعيد عن الجمال ؟
يظهر أن هناك صورتين طبق الأصل منا ، أنا وأنت ،
وكثيراً ما يحدث هذا ، فإما أن تخلق شاربك ،
وإما أن أزيل شاربى أنا

ثم سرت فى طريقى ، وأخذت أستعيد عنوان
بالارد « ٣٤ شارع بليكو ، الطابق الرابع ، الشقة
اليسرى » وبينما أنا أسير مفكراً فى بالارد ، تنهت
إلى نفسى ، فوجدت رجلى تقودانى بطريقة آلية
إلى هذا العنوان

لم أجد البواب فى مكانه حين وصلت إلى المنزل
ولم تكن لى به حاجة ، فصعدت توا إلى الطابق

— آه ، جميل أن أراك الآن يا عزيزى بالارد .
كم أنا سعيد لرؤيتك . كيف حالك الآن ؟

ومد الرجل يده إلى وقد تألق وجهه وأشرق
لرؤيتى . فابتسمت بدورى ومددت يدي إليه
دهشاً وقلت :

— بخير على أى حال . ولكنى فقط ... لست
بالارد !

— ماذا ؟ لست بالارد ؟ كيف ذلك ؟ منذ متى ؟
هل جنت ؟

— لا هذا ولا ذاك ، فلم أجن ولم أك يوماً ما
بالارد هذا الذى تناديه

— لا تحاول أن تخدعنى . هذا شاربك ،
وتلك قبعتك ، وهذا صوتك ...

— نعم ، نعم . هذا شاربى وقبعتى وصوتى ،
ولكن اسمى راندل وليس بالارد

— لست بالارد ؟ يا للمعجب . ألا تعرفه إذن ؟
ألم تتقابلا ؟ ألم تر بالارد ... بالارد الذى يسكن
المنزل رقم ٣٤ شارع بليكو فى الطابق الرابع
الشقة اليسرى ؟

— لا أعرف شيئاً مما تذكر . لا المنزل
ولا الطابق ، ولا بالارد كذلك

— اعذرني يا سيدي . أنا آسف لإرهاقك

الرابع ، ثم ضغطت على زر الشقة اليسرى ، ففتحت الباب سيدة صغيرة مستديرة الوجنتين وقالت :

— آه . عزيزى . ها أنت ذا قد جئت أخيراً ، لماذا تضغط على الزر ؟ أنت متعب ؟ لقد غبت كثيراً يا عزيزى وقد خفت أن يكون قد حدث لك حادث تعال . قبلنى يا برتى

فأخرجت منديلى وأخفيت فيه وجهى ، وحاولت أن أنسحب ، فلم أكن بالارد كما حسبتنى أو برتى كما تدله ، ولكنها لم تترك لى فرصة الكلام ، فاستمرت تقول :

هل أصبت ببرد ؟ هذا ما كنت أتوقع . ولكن ما هذا النديل ؟ أين وجدته ؟ ومن أين أتيت تحمله . فقاطعتها قائلاً :

— ولكن يا لويس

— لويس ؟ كيف تدعونى لويس ؟

— لأجعلك تضحكين

— ولكن ليس هناك ما يدعو . تعال الآن إلى غرفة المائدة ، فقد أعددت من أجلك البيض والفطير والكونياك . وستفيدك كلها

ثم أسرعت المرأة الصغيرة إلى غرفة المائدة فتبعتها ، وكان كل هى منحصرآ فى أن أشرح لها حقيقة المسألة ، وأخذت أمر ييدى على جبهتى على أوفق إلى كلمة جميلة الوقع أستهل بها كلامى ، فقلت بعد لآى :

— اسمى ياسيدتى . الآن منذ هنية عند ناصية

شارع الملك وميدان سلون ...

ولم أستطع أن أزيد حرفاً عما قلت ، فقد هبت

المرأة من مكانها مذعورة فزعة وصاحت بأكية :

— يا للسموات ! لقد جُنّ برتى العزيز . آه يا ربى ماذا فعلت لأستحق هذا ...

ثم أرادت أن تصل إلى ، ولكن الإغماء الذى انتابها من هول ما حل ببرتى أفقدها توازنها وكادت تسقط لولا أن قفزت إليها وتلقيتها بين ذراعى وأجلستها على مقعد مريح ذى مسندين . وقد كان موقفى غايةً فى الحرج خصوصاً وأنا لا أعرف ما أصنعه لهؤلاء الذين تنتابهم مثل هذه النوبات ، ولم أستطع أن أقدم لها من المعونة شيئاً - شأنى فى أمثال هذه المناسبات - سوى هذه الكلمات الجوفاء الحمقاء التى نطقت بها لأشجعها

وقد أثرت فى أعصابى هذه الحادثة غير المتوقعة وأحسست الجوع . وما هى إلا ثوان حتى كان طبق البيض الذى أعدته المسكينة لبرتها العزيز قد انتقل إلى جوفى . ثم أخذت ملعقة من ملاعق الشاى وملأتها بالكونياك وأخذت أصبه فى شفتى مسز بالارد المتقلصتين ، واستجمعت قواى وقلت فى صوت متقطع :

— لا شىء . لا شىء ... ياسيدتى . فلم يجبن عزيزك برتى ، ها هو ذا آت وستفيقن . استسمى ، ها هو ذا يقترب وسترينه حالاً . أسرع . أسرع يا برتى وقد وجهت هذه الكلمات الأخيرة « أسرع ، أسرع يا برتى » فى صوت مرتفع إلى ذلك القادم الذى فتح باب الشقة بمفتاح معه ، ولم يضغط على الزر ، والذى لم يكن سوى صورتى وشبيهى مستر بالارد الحقيقى . وما أن وقع نظر برتى على زوجته

حالا ، وإياك أن نرى وجهك ثانية هنا
فأطمت وتقدمت إلى السيدة ، وقبلت يدها
في رفق ثم قلت :
— أقدم لك اعتذاراتي يا سيدتي ، وسيشرح
لكم صديقكم براون كل شيء في الوقت المناسب
ثم تركتهما في كبرياء ونزلت السلم في هدوء ، وبينما
أنا أهرج بالخروج من الباب قابلني البواب في دهش وقال :
— أنت خارج ثانية يا مستر بلارد ؟
— نعم . ولن أعود هنا ثانية
فحملني في وجهي ، وفغرفاه ، وبدا كأنه لا يفهم
وكيف يفهم ؟ أأست مستر بلارد الذي يسكن
في الطابق الرابع
طه نورا

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالج النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعا في هذا الباب ونموذجا
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يغني القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصا
وافيا .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

وتمنه ١٢ قرشا خلافاً لأجرة البريد

ويطلب مع إدارة الرسالة

حتى أفلتت منه صيحة استغراب :
— آه يا ربّي ! ما هذا أيها الرجل ؟
— لا شيء ، لا شيء يا سيدي
— هل كنت السبب في هذه الحالة التي
تقاسيها ؟ ومن أنت ؟ وما تعمل في غيابة ؟ وما هذا
التنكر المفضوح الذي تصطنعه ؟
— سأفسر لك هذا يا عزيزي بلارد ...
— عزيزك بلارد ؟ كيف عرفتني وأنا
لا أعرفك ؟
— وأنا كذلك لا أعرفك إنما جئت إلى هنا
لتتعارف
— لتتعارف ؟ أنت محتمل . ما هذا التنكر
الدقيق أيها النصاب ؟

— صه ... ها هي ذي تقيق
ثم فتحت المرأة عينيها وقالت :
— برتي . أهذا أنت يا برتي ؟ أوه . كم كنت
مذعورة ! أنت هذا الذي أرى حقيقة ؟ ألم تجن ؟
فاندفعنا نحن الاثنان إليها ، ووقف كل منا بجوار
مسند من مسند المقعد ، وأخذت المرأة تجيل فينا
بصرها ، وتنقل طرفها مني إليه ومنه إلى ثم ترددت
قليلاً كأنها تفكر ، وبعد ذلك مدت إلى ذراعينا
وقالت في لهفة :

— تعال . تعال قبلي ... لم تقبلني بعد يا خائن
وأما أنت (مشيرة إلى زوجها) فلست برتي ، فاعرب
من هنا ، ابتعد ...

فقال زوجها في ألم : آه . أنت التي جنت يا بلا
ألم تعرفيني ؟ وأما أنت (مشيرة إلى) فارحل من هنا

ناهد...

أفصولة مصرية

بقلم الأستاذ محمد فتحى أبو الفضل

والذى كوتن مع جيدها العاجى تحفة
رائعة من العاج المطعم بالأبنوس . كانت
مديدة القامة فى روعة فائقة ممتلئة الجسم
فى غير إفراط . كانت أنثى ، أنثى بكل ما تحويه
الكامة من معان .. وتلاشت من مخيلتى
فى لحظة واحدة صور الفتيات الجميلات
اللائى صرن على أثناء وقوفى إذ لم تدع

فتتها مكاناً من نفسى لغيرها . : واقتربت الفتاة منى
ولم تكذ ترانى حتى توقفت عن المسير وحدقت فى
بعينين سوداوين عميقتين بان فيهما ألم بعيد ، ثم رفعت
حاجبها اللامعين وهى تتم فى صوت خفيض كله
دلال وسحر : جمال ! ... وأذهلتنى المفاجأة
ولكن سرعان ما استعدت فى ذاكرتى صوراً سريعة
من الماضى إلى أن وجدتها . وقبل أن تم قولها :
(ألا تذكرنى ؟) كنت أمد يدى مصاحفاً وأنا
أقول :

— ناهد ! كيف حالك ؟ أهلاً أهلاً ... فرصة
سميدة جداً ... إلى أين أنت ذاهبة ؟
— لست أقصد مكاناً

واندفعت الكريات إلى رأسى أيام كنا نقطن
شارع الملك بالقاهرة ، وكان يقطن بالمنزل المقابل
المرحوم عثمان رضا بك والد ناهد ، وأحد تجار
الأخشاب الذى ذهب ثروته عقب صفقات خامرة
زعزعت مركزه المالى فى السوق ، ثم قضى
بعد ذلك بأشهر قلائل . ولم يكن للفتاة غير شقيق
واحد يشغل إحدى الوظائف بمجرى الأسكندرية ؛
فأخذ شقيقته معه ثم انقطعت بعد ذلك صلة أسرتى
بهما . وانهضت بعد ذلك خمسة أعوام لم أرقبها ناهد
أو شقيقها إلى أن ألت بها الظروف فى طريقى هذه
الليلة ...

كان ذلك صيف العام الماضى ...
وكننت أقضى بضعة أسابيع فى الأسكندرية
بعد أن أعلنت نتيجة الامتحان فأصبحت أحمل
لقب « دكتور جمال عبد المجيد »

كانت أمسية صافية من أمامى يوليو القمر .
غادرت المنزل الذى كنت أقضى إقامتى القصيرة
به — على أمل أن ألتق بعقيلة سامى ابنة المرحوم
عبد المنعم سامى باشا ... التى كانت فى حكم خطيبتى .
سرت على مهل إذ لم يكن لدى ما يدفعنى للسرعة
فإن موعد عقيلة لن يحل قبل ساعتين ...
وأخذت أتصفح وجوه المارة فى ذلك الشارع
الراقص الذى يحازى شاطئ البحر ... كانت
السيارات تندفع بسرعة بعضها إثر بعض حاملة شيطان
اثنين : إما عاشقين ثملين بنشوة اللقاء ، وإما عاشقاً
واحداً أطلق لسيارته العنان يستحشها على السرعة
ليلقى فتاته فى الموعد الذى يعرفه هو ولا يعرفه أحد
سواه ... وأخرجت لفافة أخذت أدهنها فى بطء ،
وأنا أتأمل الوجوه التى كانت تمر أمامى إلى أن لاح
لى عن بعد قوام رائع التكوين ارتدت صاحبتة ثوباً
صافى الخضرة وأمسكت ييدها قبعتها الصغيرة
وأخذت تطوح بها فى حركة عابثة رشيقة فظهرت
خصلات شعرها الأسود المنساب على كتفها فى دلال

- وتعلقت بذراعى وهى تسألنى عن أفراد أسرتى :
- والدى ... والدتى ... أشقائى وشقيقاتى. وامتد بنا الحديث وتشعب إلى أن وجدنا أنفسنا أمام ذلك المقهى المعروف باسم (فلوريدا) وأحسست منها ميلاً لأن نفشاه فنمضى بعضاً من الوقت إلى جانب إحدى موائده الصغيرة المتناثرة ... وكنت إلى هذه اللحظة لم أسألهما عن أحوالهما الشخصية إذ أنها لم تترك لى تقريباً طوال الفترة التى انقضت منذ التقينا - فرصة للإلقاء مثل هذه الأسئلة - فبعد أن انتحينا مقعدين نائمين فى أحد أركان المقهى الكبير وجدتها تسألنى :
- جمال ... كيف حالك مع خطيبتك عقيلة ؟
- ألم تتزوجا الآن ؟
- ولكن بدلاً من أن أجيبها على سؤالها قلت لها :
- إنك لم تخبرينى يا ناهد عن حالك وحال أخيك ... لاحظت أنك لم تدعى لى فرصة لأن أسألك عن شيء ... هيا ... حدثينى عن نفسك .
- إننى فى شوق لسماع الكثير عنك وعن أخيك ... ألا يزال فى (الجرمك) ؟
- إننى لم أره منذ أمد بعيد
- من ؟
- أخى
- سالم ؟
- وهل هناك غيره ؟ ...
- ولكن كيف ؟
- أوه ... إنها قصة طويلة يا جمال
- وأطرقت ناهد قليلاً ثم رفعت رأسها فجأة وهى تقول فى لهجة غريبة :
- اسمع ... ألا تزال تحب عقيلة ؟
- طبعاً ، ولكن لم هذا السؤال ؟
- أجب أولاً ...
- نعم ... يقيناً أحبها
- ولكنك تعرف أن « مصطفى » أحد أبناء خالتها يحبها حتى الجنون ... ألا يمكنك أن تتركها ليتزوجها ؟
- والله .. إذا راق لها أن تتزوج من مصطفى فهى حرة
- وأنت ... ماذا يكون موقفك لو أقدمت هى على هذا العمل ؟
- لا شيء ...
- مطلقاً ؟ !
- لست أدرى
- ألا تتزوج ؟
- لست أدرى
- وإذا تقدمت أنا إليك راجية أن تتخذنى زوجة ... ألا تقبلينى ؟ أجب ... ولكن فى صراحة ودهشت أنا لهذه الأسئلة الغامضة التى كانت تلقىها ناهد على فقلت لها :
- يبدو لى يا ناهد أنك تخفين عنى أشياء أرجو أن تصارحين بها أولاً ثم بعد ذلك يمكننى أن أجيبك على كل ما تريد
- وأخرجت الفتاة منديلاً صغيراً أزالته به دموعاً تساقطت على وجنتيها الجميلتين وهى تقول فى صوت مختنق : إننى ... إننى أبحث عن ... عن رجل ... لا تأخذك الدهشة ، فهذه هى الحقيقة !
- وذعرت أنا لهذه الكلمات ، وأيقنت للتو أن ناهد رضا ابنة المرحوم عثمان رضا بك تاجر الأخشاب الذى جاور أسرتنا طويلاً فى القاهرة ... تمناني المعجز

أن ناهد لم تكمل الحادية والعشرين إلا منذ أسابيع
— أنا لا أفهم كلاماً كهذا. إن هذا لا يعنيه.
إنك تكبرني بأكثر من خمسة عشر عاماً يا سالم.
إن ناهد لم تعد صغيرة ومطالبها أيضاً ليست
بالهينة، والستة عشر جنياً التي تتقاضاها لا تحتل
هذا الإرهاق لاسيما بعد أشهر فسيكون مولودنا قد
رأى النور. أنت نأتم! (جوزها) يا شيخ... هي
تستريح ونحن أيضاً نستريح... إنك لا تدري كم
أعاني من التضيق في المصروف... هيا هيا...
توكل على الله... إن الشبان قد أعرضوا عن الزواج
في هذه الأيام... حد لاقى!

سمعت هذا الحديث فأحسست بخيبة مرة أليمة،
فقد تحطم ذلك المثل الكامل الذي كنت أعبد في
شخص امتثال، وعرفت قيمة حبها لي عند ما تبينت
أنها لم تصادقني إلا من أجل شقيقي... أمضيت
هذه الليلة في غرفتي وقد أنهكتني البكاء الذي
دام إلى الصباح. وأحسست بكرامتي تهيب بي أن
أقف موقفاً أصون به هذه الكرامة من أن تمس
بسوء، فعند ما فاتحتني زوجة أخي في الموضوع أظهرت
لها ارتياحاً كبيراً لهذا الغرض، بل تماديت في
إظهار فرحي إلى أبعد حد... أحنيت رأسي وقبلت
الزوج الكهل مرغمة إذ لم أرض لنفسى البقاء في
دار لا ترغب ربها في بقائي حتى ولو كانت هذه الدار
داري

وانقضى عام ولدت أثنائه « سامية » وكان
فرحي بها فوق الطاقة فقد عوضتني عن عام طويل
شاق قضيته إلى جانب زوج كهل مهتك لم تكد
تمضي أربعة أشهر على زواجي به حتى عاود سيرته التي
(٤)

في اجتياز مرحلة من أدق وأخطر المراحل التي
تصادف فتاة قسا عليها القدر، فاقتربت منها وقد
أثار حديثها شفقتي، فأخذت تسرد لي مأساتها
الدامية:

كان ذلك منذ عامين عندما توفي أبي، ثم جاء بي
أخي سالم إلى هنا كما تعلم... لم أكن أعرف أحداً
في الأسكندرية، ولكني لم ألبث أن صادفت فتاة
كانت تكبرني ببضعة أعوام... وتبودلت الزيارات
بيننا... فكانت النتيجة أن شغف بها أخي
نخطبها لنفسه، ولم تمض أشهر حتى تم زفافهما،
وأصبحت صديقتي (امتثال) زوجة لأخي. لا يمكنك
أن تتصور كيف كان فرحي بهذا الزواج،
والفضل في إتمامه لم يكن إلا لي أنا وحدي. كنت
سعيدة فرحة بصديقتي وزوجة أخي التي كنت أثق
أنها تبادلي حباً بحب... ولكن في لحظة واحدة
تبين لي ما لم أكن أفكر فيه مطلقاً، وهو أن صديقتي
وزوجة أخي كانت برمة بي وبإقامتي بمنزل أخي الذي
ليس لي سواء، فقد هيأت لي مصادفة لم تكن
في الحسبان سماع هذا الحديث بين أخي وزوجته:
— تقدم إلى يا امتثال رجل يروم الزواج بناهد
— شيء جميل، أسرع بإجابة طلبه، إن ناهد
عروس نادرة!

— ولكن!

— ماذا؟

— إنه شيخ!

— شيخ! تعني أنه بلغ المئة؟

— لا، لست أقصد ذلك، إنه يربو على الخمسين.

حقيقة إنه يشغل منصباً ممتازاً في البنك الألماني
براتب يكفل لها السعادة... ولكن لا تنسى يا امتثال

اعتادها طوال حياته من السهر والتنقل بين أذرع بائعات الهوى ... كانت سامية عزائى الوحيد عن شبائى الذى دفعته ثمنًا لكرامتى واعتزازى بكبريائى . حاولت أن أصلح من أمر زوجى ولكنى كنت كمن يطفى النار بالزيت ... إلى أن ترى إلى سمنى أنه اختص إحدى راقصات ملهى كبير فى الإسكندرية بحبه وماله ووقته ... كانت هنجارية على ما سمعت وقد علمت أيضاً أنها أخذت تغريه على أن يقدم طلباً بنقله إلى فرع البنك بالقاهرة حتى يتسنى لها أن يعيشا بعيداً عني

وأصيبت سامية فى هذه الفترة بالدفتريا التى لم تمهلها أكثر من أسبوع فقدتها ففقدت العزاء الأخير الذى كان باقياً لى فى الحياة ...

ولم تكد تمضى أيام قلائل على وفاة سامية حتى طلب إلى زوجى أن أقضى بضعة أيام بمنزل أخى حتى يتسنى لى أن أتغذى عن مصابى ... كان نذلاً إذ لم يترفق بزوجة أمضت إلى جانبه أكثر من عام كانت أثناءه مثال الطاعة والوفاء فلم يمهلهما بعد أن فقدت طفلتها التى تعبدتها فأرسل إليها وثيقة الطلاق ولما يجف بعد لحد ابنته ... أرسل إلى وثيقة الطلاق ومبلغاً ضئيلاً مضافاً إليه متأخر صداق حتى لا أجا إلى القضاء ... لم يكن ألى لهذه النهاية شيئاً يذكر إلى جانب شيء واحد وهو أننى عدت ثانية إلى منزل أخى الذى باعنى سلعة رخيصة بعد أن زينت له زوجته هذا البيع دون أن أجنى شيئاً ، ولكنى يتيمة يا جمال ... واليتيم دائماً ثقيل الحمل ولو على أقرب الناس إليه .. وكانت امثال زوجة أخى قد أنجبت فى هذه الفترة

ولداً اسمه عادل شاءت الظروف أن يصاب بالدفتريا بعد إقامتى بينهم بشهرين اثنين قاسيت فيهما ألواناً من المرارة ... أصيب بالدفتريا ولحق بابنتى سامية ... وهنا فقط يا جمال رأيت زوجة أخى وصديقتى السابقة تلبس جلد نمر غادرة وتعلن فى جرأة وثقة أننى السبب فى وفاة ولدها لأننى حملت المرض من سامية فانتقلت العدوى إلى عادل ... وثارت المرأة وفاهت بألفاظ كنت أود أن أنزهها عنها ... ألفاظ ختمتها بقولها وهى تصرخ فى بشاعة :

— أنت خربت بيتى . أنت شؤم على بيتى . لولاك لما مات ولدى . لقد كنا فى راحة طوال بعدك عنا . تأ كدى أننى لن أمكث فى بيت تضمك جدرانها ولعلك يا جمال تسألنى عن موقف أخى فى هذه اللحظة ، وأنا أسرع فأقول لك والخزى يخفض من رأسى إنه انضم إلى زوجته فى كل ما رأت وفى كل ما قالت وكأنه أراد أن يسبغ على الموقف لوناً من البساطة فاتتحنى بى جانباً وأفهمنى فى عبارة قصيرة أن أستاذى منزلاً ، وأنه سيتردد على دائماً ، وأن ما مى من النقود سيكفل لى حياة سعيدة إلى جانب ما سيمدنى به إذا ما أعوزتنى الحاجة ... لم أكن فى حاجة إلى سماع هذا الاقتراح منه بعد أن كنت قد صممت على ترك المنزل إلى حيث لا رجعة ، فتركته بعد أن أتم حديثه دون أن أعلق بكلمة واحدة . ونظرت إليه نظرة طويلة حملتها كل معانى الاحتقار أرسلتها إليه فشملته من رأسه إلى قدميه . لم يكن لدى متسع من الوقت لأن أفكر فى الذى سأصنعه بل أسرع بجمع كل ما يخصنى فى المنزل وقصدت أحد الفنادق المتوسطة فاستأجرت إحدى

غرفه المنعزلة بعد أن غيرت اسمي الحقيقي . كنت قانعة راضية بعد أن لفظني بيت أخي . لم أكن أملك إلا البكاء . ولم أكن أغادر المنزل إلا في القليل النادر لمزاولة رياضتي المحبوبة ، وهي السير في طريق (الكورنيش) كما قابلتني الليلة ... دائماً وحدي... لم آخذ صديقة بعد أن علمتني امثال ما هي الصداقة؛ وأظنك ستدهش إذا أخبرتك أنني لم أر وجه أخي سالم طوال هذه الفترة . خمسة أشهر تقريباً انقضت علمت بعدها أنه نقل إلى (جرك) بور سعيد دون أن يكلف نفسه عناء البحث عني ليودعني قبل سفره . إلى أن كان ذلك اليوم الذي أتى فيه لزيارتي في الفندق أحد من يمتون بقرابة بعيدة إلى والدي ، وعرض عليّ أن أنتقل إلى داره ، وأظهر لي ما في إقامتي في النزل من عار لا يحتمله ... رفضت في بادئ الأمر ... رفضت في إباء واعتزاز ، ولكنه سد عليّ كل السبل ، وأفهمني أن رفضي هذا لا محل له ، وأنه سيكون لي بمثابة الأب ، أو على الأقل بمثابة الأخ الأكبر ، وخصوصاً أن والدته ستكون معي في المنزل . واستعرضت حالي على ضوء الحقيقة التي لا زيف فيها ، فوجدت أن المال الذي كان بين يدي قد تسرب ، فلم يعد لي منه إلا بضعة ورقات ، لن تبقى إلى أكثر من شهر أحس بعده بالحاجة ، ففضلت أن أذعن لمشورته ، وقبلت ذلك العرض شاكرة له جيله ... انتقلت إلى منزل ذلك القريب بعد أن دفع عني لصاحب النزل حساب الأيام التي أمضيتها من الشهر ...

وبدأت مرحلة جديدة من الحياة ، لم يكدهمضي

شهر على انتقالى إلى منزل ذلك القريب ، حتى شعرت بأنه بدأ ينظر إلى نظرات غريبة ، فيها الرغبة وفيها الاشتها ، وفيها كل ما يمكن أن يقال عن نظرات يسدها رجل إلى فتاة شابة لم تتعد الثالثة والعشرين ولم يستح الرجل من أن يغازلني مغازلة بدأت هادئة لينة خفية ، ثم أصبحت نائرة جريئة وحة عندما رأى منى الإعراض التام ... إلى أن كانت تلك الليلة التي استيقظت فيها من فراشي مذعورة ، عندما أحسست بيدين تلمسانى ، وأضأت المصباح بسرعة ، فإذا بذلك النذل واقفاً وقد تأهب لمهاجمتي ، ولكنني أفلت بسرعة ورفعت يدي وأهويت بها على وجهه في غيظ ، ولم أتمالك من أن أصبح به :

— يا نذل !

وأهاج هذا شعوره فظهر لي على حقيقته وحشاً آدمياً مجرداً من ذلك الإهاب الزائف الذي كان يرتديه يوم أن طلب إلى الانتقال إلى داره ... وسمعته يقول في صوت مخنق :

— لقد آويتك يا فاجرة في منزلي بعد أن طردك أخوك وهو أقرب الناس إليك فكان هذا جزائي منك ... إن أخاك لم يطردك عبثاً ... لقد طردك بعد أن لوئت اسمه وصارت سيرتك في كل الأنواء . فلم أتمالك أن صحت به في أنفة : (اخرس ...) ولم أطق البقاء تحت سقف هذا المنزل فجئمت كل مالى وبارحته دون أن يشعر بي أحد . كانت عقارب الساعة تقترب من النصف بعد الثانية عشرة ولم أجد من نفسى الشجاعة على العودة إلى النزل الذي كنت أقطنه من قبل فقد خجلت أن أقابل

صاحبه فتندفع إلى خيالاته الظنون

قصدت إلى نزل آخر أكثر تواضعاً من الأول
وخصوصاً عند ما بحثت في محفظتي فلم أجدها
أكثر من ثلاثة جنيهات وبضعة قروش ...
وألقيت بنفسى على الفراش وأخذت أبكى دون أن
أتمكن من الإجابة على سؤال واحد ظل يراود خيالى:
« ألا يوجد من يقدم مغروفاً دون أن يتقاضى الثمن؟
ألا يمكن للرجل أن يتقاضى ثمناً غير هذا الذى كان
يود اغتصابه ذلك القريب؟ » وغلبنى النوم فلم أصبح
إلا فى صباح اليوم التالى

وهنا زفرت ناهد زفرة طويلة حادة وقد غلبها
البكاء ثم تناولت كوباً من الماء ورشفت منه رشفة
وعادت تقول :

— لقد مضى على شهر فى ذلك النزل ، ولقد
تصرف اليوم فى آخر قطعة فضية أملكها من
ذات العشرين قرشاً . ولست أدري ماذا يصنع بى
الغد ... إننى أبحث الآن عن رجل يتزوجنى يا جمال .
إسمع ... لتكن أنت منقذى من الهاوية ... إننى على
استعداد لأن أذهب إلى عقيلة وأقنعها بالزواج من
ابن خالتها الذى يحبها ... جمال ... أتقبل أن تتزوجنى؟
أنت أعرف الناس بى وبأسرتى ، وإننى أشعر أنك
وائق تماماً من أننى لم أتلوث ... ألا ترانى جديرة
بك ؟ تكلم

— الواقع يا ناهد ...

— ماذا ؟ تكلم ...

— لست أدري ماذا أقول ... كنت أتمنى طبعاً
أن أحقق ما تَرْضين ولكنى ...

— ولكنك لا تستطيع ... أليس كذلك ؟

— لقد ارتبطت مع عقيلة وأعطيها وعداً فأنت

ترين أننى كرهت شريف لا ينبغي أن أحنت فيها وعدت
— أترك لى تدير هذا الأمر ... سأقابل عقيلة
وسأقنعها ... إنها صديقتى كما تعلم ... أترك لى هذا
الأمر ...

— ثم لا تنسى أننى أحبها يا ناهد منذ خمس
سنوات منذ أن كانت أسرتها تقطن حدائق القبة
بالقاهرة ...

— جمال ... إننى أرجوك ... أنقذنى ... أوه ...
إنك لا تدري أى مصير أليم أنا مسوقة إليه

— أنا وائق من قرب الفرج يا ناهد ...
لا تقاى ... يعز على كثيراً ألا أحق رجاءك ولكن
ما حيلتى ... ؟

— أترى ... إننى أتوسل إليك ... ألا يمكنك
التضحية بحبك من أجل ناهد ... ناهد التى عرفتها
قديماً ، والتى ربطت الصداقة بين أسرتها وأسرتك
فترة طويلة ... كن رجلى يا جمال ... ألا ترانى جديرة
بحمل اسمك ؟ ألسن أروق لك كزوجة ؟ ألا تستطيع
أن تحبنى فى المستقبل ؟

وخنقت الدموع الفتاة ... وأخذت شتى
المواطف تتضارب فى رأسى ... إن ناهد فتاة
جميلة ، بل إنها ليست عادية الجمال فإننى أتذكر تماماً
أن فتنها قد أخذت بلبى وهى قادمة على فى طريق
(الكرنيش) هى وحدها التى استرعت اهتمامى
دون مئات الفتيات اللاتى مررن بى قبلها ؛ ثم إنها
تنتمى إلى أسرة طيبة ، فوالدها رجل عرفته أسرتى
وعرفته أنا شخصياً جليل المقام اشتهر بالسيرة
المحمودة . ثم فوق ذلك إنها تكافح كفاحاً هائلاً
لكى تعيش ، فقد قبلت أن تذلل كبرياءها وتعرض على
هذا العرض . بل إنها توسلت إلى ولم يدفعها إلى

وبارحت ناهد (فلوريدا) وأخذ قوامها المديد
يختفي بين جموع الناس في الطريق ... وأسرعت
أنا إلى موعد عقيلة وقد كان انقضى عليه أكثر
من ثلث ساعة ... انتظرت ما يقرب من الستين
دقيقة ، فلما لم تأت أيقنت أنها أتت في الموعد المحدد
فلما لم تجدني انصرفت ... وآلمني عدم رؤيتي عقيلة
فقصدت إلى شاطئ ستانلي عساى أروح عن نفسي
مما بها ... جلست على أحد المقاعد المتناثرة أمام مقهى
(باسترووس) وأخذت أرشف قدحا من عصير
البرتقال وأنا أستعرض وجوه رواد المقهى .. ولم يفلح
نسيم البحر الليلي الفاتر في أن يحررنى من ذلك
الضيق الذى انتابنى لعدم رؤية عقيلة ، فهضت عن
مقعدى وأخذت أشارك جموع التريضين في السير
على رمال الشاطئ جيئة وذهابا ... وامتد به السير
في إحدى الروحات إلى آخر الشاطئ من الجهة التى
إلى يسار النازل من الطريق العام إلى رمال ستانلي ..
وعند آخر (كشك) خشبي من (أكشاك)
الاستحمام اخترقت سمي ضحكة شككت في صاحبها .
كانت (الكاينة) مغلفة فبدا من خصائص الباب
ضوء فاتر ضعيف ... وتسمرت قدماى عند ما عادت
الضحكة ترتفع ثانية ، ولكن في جلاء أكثر من المرة
الأولى . وأحسست بدى يهرب من جسدى عند ما
سمعت صوتها ، وهى تقول في دلال :

— سأخاطبك إن لم تفعل ما قلت لك . هيا .
من أجل ... من أجل عقيله ... وعاد الدم يندفع
ثانية إلى رأسى عند ما سمعت صوت شاب يقول :

— وأنا ... أليس لى أن أطلب إليك شيئا ؟
— كل رغبة لك مجابة

ذلك إلا الخوف من أن تجرفها الحياة نحو الظلام .
وقارنت ناهد بعقيلة ولكنى وصلت في النهاية إلى
نتيجة سلبية وهى أن ناهد وإن كانت فتاة تحقق
الكثير من أحلام شاب يروم الزواج فيحيا حياة
هائثة سعيدة ... إلا أن عقيلة كانت تحتل المكان
الأكبر من قلبى ، وإننى لن أتمكن من العيش مع
غيرها .. وشد ما تمنيت في ذلك الحين لو كنت خالى
الفؤاد حتى يمكننى أن أسعد إلى جانب ناهد فأسعدهما
إلى جانبي ، ولكنى كنت قاسيا جبارا فاقد الشعور
لدرجة الوحشية ، إذ أننى رغم كل محاولات ناهد
اعتذرت لها عن عدم إمكانية تحقيق أمنيتها . ثم نظرت
في ساعتى فإذا بموعدى مع عقيلة قد حل منذ عشر
دقائق ، وشمرت ناهد برغبتي في الانصراف فهضت
وهى تقول لى في لهجة حاولت عبثا أن تخفى منها
رنة الانكسار والألم :

— أستودعك الله يا جمال .. إنه (مكتوب)
ولا مفر منه

وعند ما وضعت يدها في يدي لتودعنى أخبرتها
بأننى سأقيم فى الإسكندرية إلى منتصف الشهر القادم
وأنه يمكنها الاتصال بى فى الفندق الذى كنت
أمضى به هذه الأيام فى أى وقت تموزها الحاجة ..
ولما حاولت دس بضع ورقات مالية فى محفظتها
أبت وهى تقول :

— لا لزوم لهذا ... سأتصل بك إن احتجت .
أشكرك كثيرا ... أشكر جميلك ... الوداع
ياسيدى !

— بل إلى اللقاء يا ناهد

— لست أدري ... الوداع ...

— ألم أطلب إليك أن تقطعي علاقتك بجمال ؟
— أوه لقد انتهينا من هذا الموضوع ووعدتك بتنفيذ رغبتك . . . إنك ترى كيف تخلفت عن ميعاده اليوم

اكتفيت بذلك القدر الذي سمعته، وجملتي ساقى إلى أول عربة أوصلتني إلى الفندق الذي أمضيت به ليلة حالكة السواد . ولاح لي خيال ناهد ، فأشرق وجهي ، وصعدت ابتسامة عريضة إلى شفتي ، ولكنها تلاشت في الحال إذ تذكرت أنني لم أستفسر منها عن عنوانها . . . وعدت أنعزي عن ذلك بأنني لا بد ملاقيها ما دمت أواصل البحث عنها . وصر أسبوع حفيت فيه قدمي دون جدوى ، فقد اختفت تماماً وتعدر العثور عليها ، وآلني ذلك الإخفاق المرير ، وتعميت لو عثرت على ناهد لكي أجثو أمام قدميها لأقدم لها اسمي ومالي وقلبي ، طالباً منها الصفح ، راجياً أن تقبلني زوجاً . إلى أن كان مساء الأحد من الأسبوع التالي ، وإذا بي أرى ناهد وهي تؤدي رقصة مضطربة على مسرح أحد الملاهي التي تحتشد بها الإسكندرية أثناء فصل الصيف . كانت نصف عارية ، لا فرق بينها وبين أية راقصة أخرى قضت حياتها الأولى في التسكع على أرصفة الطرقات . وارتعد جسدي إذ ذاك ، وكدت أكذب عيني ، ولكني أيقنت أنها هي ناهد بعينها عندما جلست إليها لأستفسر منها عما دفع بها إلى هذه الحياة . ومرت ثوان لحظت أثناءها أن دموعها قد ابتدأت تتساقط على خديها الأسيلين ، ثم رفعت رأسها وهي تقول في

صوت خافت ، ولكن فيه عمق وحسرة :
— لا تتألم كثيراً لرؤيتي هنا ، وعلى هذه الحال . إننا لا نملك الآن أكثر من الألم . إن ما صر بي ياسيدي أقل بكثير مما بقي لي في هذه الحياة ، وما لقيت من إعانات أوهي وأضعف مما سوف ألاقى . لقد أعددت نفسي لأن تحتل الحياة إذا انحدرت بي إلى أكثر من هذا

ولما رأيتها تهم بمغادرتي أمسكت بذراعها ورجوتها أن تستمع إلي . . . قصصت عليها ما كان من اكتشافي لخيانة عفيفة ، ثم رجوتها أن ترتدي ملابسها لتستعد لمصاحبتي إلى القاهرة حيث تربط حياتينا برباط الزوجية ، لكنها هزت رأسها في حسرة واندفعت الدموع إلى عينيها ثانية وهي تقول :

— جئت متأخراً . . . لقد رجوتك منذ أيام أن تقبلني زوجة . . . أذلت نفسي أمامك ولكنك أبيت فهل خيل إليك أنني أقبل هذا العرض الآن بعد أن اكتشفت خيانة من كانت في حكم خطيبتك ؟ لا ياسيدي . . . لقد سقطت ، وإنني أرفض أن أقدم إليك نفسي ساقطة بعد أن رفضت قبولي طاهرة . . . لأنني أخشى أن يحجى يوم يختلف فيه فتدكرني بأنك انتشلني من بؤرة . . . ولقد كان من الخير لك ولي أن تنتشلني من الفقر طاهرة لا أن تقبلني بعد أن فقدت خطيبتك ساقطة ملوثة . . . لقد دُفعتُ إلى هذه الحياة دفماً لكي أعيش بعد أن انقضى على أسبوع كابدت أثناءه ألم الجوع ولاح لي خلاله شبح الموت مراراً — الوداع يا جمال — لا تتألم كثيراً

فهذه هي الحياة ... قد نلتقي ثانية
وتركتني ناهد كالأخوذ واختفت خلف ستائر
المرح استعداداً لظهورها المقبل . وحملني القطار
في مساء اليوم التالي إلى القاهرة . وعند ما اختفت
عني مباني الأسكندرية تدافعت دموع الندم إلى
عيني ، فقد شعرت أنني الوحيد المسؤول الذي
دفع بناهد إلى هذا المصير ، وأحسست بحسرة
ألمية عند ما تبين لي أنني رفضت النعمة التي
ساقها القدر إليّ عند ما توسلت إلى ناهد أن أقبلها
زوجة فكان موقفي إزاءها هو الذي قذف بها
إلى الهاوية

بينما أشقى أنا بالذكري وبمجي لها الذي يتضاعف على
مر الأيام

روى لي صديق الدكتور جمال عبد المجيد فصول
هذه المأساة .. وتبينت أنه يعاني ألماً هائلاً لعدم توفيقه
في إقناع ناهد بالزواج منه . ثم أخذت طبقة لامعة من
الدموع تبرز في عينيه وسمعته يقول في صوت متهدج:
— لقد رفضت اليد التي امتدت لانتشالها من
حياتها المأجنة ، لأن هذه اليد هي نفسها التي أبت
أن تمتد إليها لتحول بينها وبين السقوط
لقد غرت عليها كرامتها حتى وهي راقصة !

إنني شقي يا صديقي . فناهد الآن تعمل راقصة « الزقاق » محمد فني أبو الفضل

١ = ٣

في مصانع شركة مصر للغزل والنسيج بالحلة الكبرى آلة لاختبار متانة المنسوجات
تعرض تجاربها على كل زائر . وقد أثبتت هذه الآلة أن الثوب المصري المصنوع في هذه
الشركة يعادل في متانته ثلاثة أثواب أجنبية - أي أن الثوب المصري يبقى عليك زمناً
تبلي في خلاله ثلاثة أثواب أجنبية .

فاطلبوا من جميع المتاجر منتجات

== شركة مصر للغزل والنسيج ==

ولكنه لم يكن قد تذوق
منتهى العذاب إلا بعد وقوع
الجريمة ... فاجتاحته عاصفة
من الآلام النفسية ، ليس
في وسعه أن يتحملها ... فهل
تعلم — أيها الرئيس — عنها
شيئاً ؟ ...

ذيول الحوادث

عن الإنجليزية

بقلم الأديب سليم أ. عبده

فهمز الرئيس رأسه نفيًا

وهو يحدق في هذا الزائر العجيب الذي استمر يقول:
— إن أرنوت رجل ذو ثراء واسع ومصالح
عديدة متنوعة ، تتطلب — غالباً — غيابه عن المدينة
عدة أيام لتدير شؤونها، وللوقوف على سير أمورها.
أما داره ، فإنه لم يدخر وسعاً في تأثيثها على أحسن
ما يكون ، لتكون صالحة من كل الوجوه لسكن
زوجه ... تلك الفتاة الجميلة الساحرة التي خلبت
لبه عند أول نظرة ...

— ولم تقص على كل هذه الأمور ؟ ... قاطعه
الرئيس بهذه العبارة ... أما الزائر ، فاسترسل
في حديثه في شيء من الدهشة ...

— تمهل قليلاً أيها الرئيس فستعلم كل شيء ..
فقد كانت زوج أرنوت امرأة فتاة الجمال ، وهي
المرأة الوحيدة التي أسرت أرنوت بسهام لحظها ،
فجن بها من أول نظرة وصار لا يعرف للعيش
طعماً إلا بقربها ... وبعد لأي وفق إلى الاقتران
بها ... فهو لا يرضن عليها بحاجة مهما غلت ،
ولا يقصر في أمر مهما عثر ، إن كان فيهما ما يبعث
السرور إلى تلك الحبيبة الساحرة ... ولكن
نيران الغيرة التهمت في صدره فجأة ، فقد كان

بينما كان رئيس الشرطة غارقاً في أفكاره ،
مستسلماً لتأملاته ، يتبع بنظره تموجات الدخان
الصاعدة من لفافة تبغ كان يدخنها ، دخل عليه
زائر بادي الاضطراب ، شاحب اللون ، غائر العينين
يخيل لمن يراه أنه يشكو أرقاً طويلاً ، وكان يمشى
متثاقلاً كأنه ينوء تحت حمل سر خطير ... فهالك
على مقعد أمام الرئيس ، وابتدأ الحديث من غير تحية
ولا سلام :

— إذآلم يخطئ ظني ، فإن رجالك الآن يتحرون
دار المسترجين أرنوت ليقفوا على آثار الجاني ، بعد
أن عثروا على قتيلين : أحدهما رجل ملقى على الأرض ،
والثاني زوج صاحب الدار ملقاة فوق مقعد ...

فقاطعه الرئيس قائلاً :

— أصبت ... ويدو لي أنك تعلم عن الحادث
الشيء الكثير ...

— نعم . نعم . أرجو أن تدعني أنتهج الخطة
التي أريد في سوق الخبر إليك ، لأنني صحبت أرنوت
عدة سنوات كان لي فيها خير رفيق ... فقد حدثت
هذه الجريمة المزدوجة ليلة البارحة ، وكانت نتيجة
حتمية لعذاب نفساني برّح بأرنوت منذ شهور ...

يفار عليها من كل عين تنو إليها سوى عينيه ،
ومن كل رجل يبادلها الحديث سواء ... ولم يكن
ذلك لأنه لا يأمن جانبها ، أو لأنه يشك في عفتها
وطهارتها ، بل لأنه كان يحبها حباً يقرب من العبادة
ويعتقد أن أقرانه من أصحاب الجاه يحسدونه لأنه
يملك هذه الدرة الغالية المتألثة في داره ...

إن أرنوت أيها الرئيس رجل من طراز خاص ،
فإنه بالرغم من هذه العاطفة الجارحة التي تمتلج
في صدره لم يبد على وجهه أثر لهذا الشعور المضي ..
بل كثيراً ما كان يبدو هادئاً رابط الجأش محتفظاً
بسكونه وفي باطنه عراك عنيف بين عقله وغيرته ..
وهو في هذه الحال يتصور أن أحلى أمنياته أن يلبي
أى طلب تسأله إياه ...

فأوقفه الرئيس عن الحديث بإيماءة من يده
وقال : أراك ملماً بحياته الخاصة إلى حد بعيد

فأجاب الزائر : كنت صديقاً مخلصاً له ومطلماً
على جل أموره ... فأحنى الرئيس رأسه موافقاً
واستمر الزائر :

— كان لأرنوت صديق يدعى « پول ليس »
أُزِم له من ظله ، جمعتهما مدرسة واحدة في زمن
الطفولة وبقيتا صديقين وفيين حتى ساعة الجريمة ..
وكان « ليس » أعزب وقد تم تعارفه بزوج صديقه
بعد اقترانه مباشرة ، ولم يكن أحد ليدري ما يخبئه
القدر وراء تعارفهما ... أخذ « ليس » يرعى زوجة
صديقه ويصحبها إلى أماكن اللهو والتسلية في غياب
ذلك الصديق أرنوت الذي كثيراً ما تستدعى أعماله
هذا الغياب ... ولما نعى إليه هذا الأمر ، تصنع
الرضا أمامهما ، ولكنه في الحقيقة بدأ يرتاب في صديقه
« ليس » تحت وطأة تلك الغيرة الملهبة في صدره ،

وكان وجهه الهادي الرزين ، وابتسامته الرقيقة ،
يخفيان تحتها هذا الشك القاتل ... تذكر أيها
الرئيس أن أرنوت رجل كسائر الرجال يعرف
الكثيرين ممن غدروا بأصدقائهم وخانوا شرفهم ...
وقد يعترض أحد الناس قائلاً : إن أرنوت كان
مخططاً في ارتيابه ما دام واثقاً من صديقه ، ومؤمناً
في طهارة زوجه وعفتها ... ولكن أيها الرئيس نحن
— أنا وأنت — نعلم أن الغيرة عامل نفساني يثور
لأقل وهم وأدنى شك ... وبقي أرنوت يحترق بين
لهيبين ، لهيب الحب ولهيب الغيرة والشك ، وهو
بين اللهبين يحس بنار الجحيم تضطرم بين ضلوعه
لم يظهر أرنوت أى أثر لهذا الشك بل تمالك
شعوره التام حيالهما ، وأخذ يعاملهما كما عاملهما من
قبل ، ولكنه كان ينتظر وينتظر ... ويفتح أذنيه
لسكل كلمة تدور بينهما عسى أن يجد بها ما يؤيد
شكه وارتياحه ، بل كان يتتبع كل نظرة منهما
تدنيه إلى رأى قاطع ، وأخذ يراقب كل إيماءة أو حركة
ويؤول كل لفظة بما يلائم شكه . فقاطعه الرئيس قائلاً :

— ولم تحاول تخفيف هذه الحال عن
صديقك ؟

فأجاب الزائر :

— إن أرنوت لم يكن يزحزحه أى رأى
أو نصيحة عن شكه ، إنه آمن بهذا الشك إيماناً
مطلقاً ...

وفي يوم آب أرنوت إلى داره بعد سفرة شاقة
فخاضته زوجه عن « ليس » ورعايته لها ، حتى
تولاه غضب عظيم فصرخ :

— أراك تبذلين له من العناية أكثر مما
يستحق ... بل أكثر منى ... و

ولكنها أجابته بابتسامة هادئة ثم قالت :

— إنك تهيننى يا أرنوت ...

فقد كانت أيها الرئيس معتزة بكرامتها ... ومن ذلك الحين أخذ أرنوت يتحين الفرص ليفاجئهما في خيائته كما يعتقد . ولما طال به الزمن أخذ يعد العدة لفخ يوقعهما به متلبسين بالخيانة ... فأعلن أرنوت لزوجته أن أمراً استدعى سفره إلى خارج المدينة ... وصحبها عند المساء إلى غرفة النوم وأشعل لفافة من التبغ وجلسا يتحدثان فقال أرنوت :

— هل يزورك « ليس » هذا المساء ؟ وانتظر جوابها وهو يحدق في دخان اللفافة المتموج تجنباً لأي أثر قد يبدو في عينيه

فأجابه :

— لا أعلم ... فإنه يزورنا من غير موعد ...

ونهض بعدها أرنوت وودع زوجته وهى في حلة المساء أشبه بالزهرة الندية الفواحة وذهب إلى غرفته يجمع بعض أوراقه وغادر الدار ... إلى سفرته المزعومة ... وما ابتعد قليلاً حتى اختبأ في منعطف إحدى الطرق يترقب ... فبان له شبح من بعيد دنا من باب الدار وولج إلى الداخل ... ذلك الشبح أيها الرئيس هو « ليس » بعينه ... أما أرنوت فأخذ يهدى من روعه ويتقلب على شعوره حتى عاوده الهدوء ... ومكث في خبأه مدة يتأهب فيها للمفاجأة المنتظرة ... ثم قفز إلى الشارع ومضى إلى داره . وكان صديقه وزوجه جالسين في المقصف يتسامران بحشمة ووقار حين اندفع إليهما أرنوت ووقف يحدق فيهما . فصرخت الزوجة : أرنوت ! بعد أن غلبتها الدهشة لهذه العودة المفاجئة ... أما « ليس » فقال :

— أهلاً بك يا أرنوت ماذا عاد بك من السفر؟ فكتم أرنوت غضبه وأجاب :

— لم أدرك القطار ... وهنا صرخ الرئيس بالزائر ...

— صه لا بد أنك قابلت أرنوت بعد الجريمة

— نعم

— وهل تعلم مقره الآن ؟

— نعم . هذا ما كان يحز في نفسي ليلة البارحة

حتى أرقنى ؟ فقد كنت أعمل الرأى من أجله والسبب نفسه تجدىني أحداثك بشأنه

— وأين يقيم الآن ؟

— إنه لا يستطيع الفرار فانتظر ... اعتذر

أرنوت لها وغادر الغرفة ، وهما في ذهول عظيم إلى غرفة النوم عليه يجد دليلاً يؤيد ظنونه . وأخيراً وجد ما يبتنى ... وجد رماداً متخلفاً عن لفافة تبغ على الطاولة ... وجد الأثر الذى ينم على وجود « ليس » في هذه الغرفة مع زوجته ... فاضطرب وارتجفت شفتاه وامتلاً حقداً وغضباً ... واندفع إليهما راكضاً شاهراً مسدسه ... هرول إليهما ليطلق تلك النيران المتأججة في صدره ... دخل إليهما بهذه الحال ففاجأه « ليس » واقفاً يقول :

— إني ذاهب الآن . لأنى على موعد لا أستطيع

التخلف عنه . ولكن أرنوت صرخ به :

— انتظر إلى كلمة معك ... ثم رفع ذراعيه

إلى أعلى وتوقدت عيناه شرراً كأن به جنة وانهال عليهما شتاً وسباً ؛ فانقلب وحشاً ظامئاً لشرب الدماء بعد أن غمرته موجة من الظلام الدامس ليس فيها إلا نيران الحقد والغيرة وهما ينظران إليه مشدوهين حتى صاح « ليس » :

فقدف بنفسه عليه ... إنه عقب لفافة تبغ تحت تلك المنضدة ... فانتشله ونظر إلى علامته ، فاضطرب واهتزت أوصاله وزفر زفرة كادت تقضى عليه ... إنها العلامة الموجودة على لفافات التبغ التي اعتاد تدخينها والتي يحفظ عليها بدرج خاص مقفل ، مفتاحه لا يفارق جيبه أبداً ... ولكن ما مضى فات وذهبت نفسان بريئتان من غير ذنب . فقد تجلت الحقيقة له ، فإن ذلك الدليل كان عقب لفافته التي تركها قبل سفرته المزعومة ...

في تلك اللحظة الرهيبة استمرت بين جوانبه نيران الإثم وحز قلبه الألم الممض ... وهنا أحس الزائر بأنه يكاد يختنق فعاالج الكلام في صوت كأنه الحشرة وقال :

— نعم ، أيها الرئيس ، تلك اللفافة كانت لي فقفز الرئيس واقفاً على قدميه وراء مكتبه وصرخ :

— لك !

— نعم لي - ليساعدني الله - أنا جين أرنوت !
(البصرة) سليم . أ . عبده

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جون الوماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً

— أرنوت ! أرنوت ! كفى ، هل جنت ؟ رباه !
إني لا أسمح لك أن ترمي زوجك بالخيانة وهي منها براء ...

ولكن أرنوت انتفض فجأة ، وصوب مسدسه نحوه ... ودوى طلق ناري ترخ « ليس » على أثره وسقط جثة هامدة ... ثم دوى صوت أرنوت كالرعد القاصف قائلاً :

— أنظري إلى عشيقك . ها هو ذا جثة لا حراك بها . أنظريه ... فأجابته بصوت ضعيف مرتجف :
— إنه يعتقد ذلك ! نعم شحب لونها واهتزت كأنها ريشة في مهب الرياح وصرخت بفرع :
— أتم يا أرنوت عمك !! أكمل يا أرنوت صنيعك !!

فارتجف أرنوت ينحذه ألم للثأر لشرفه المثلوم ، ووجه المسدس إلى زوجته وأطلق النار ... ترنحت المسكينة قليلاً ثم سمعت وانفجر الدم بغزارة من فيها وسقطت على الأرض هاتفة : أرنوت ! أرنوت ! ولفظت أنفاسها

نظر إليها أرنوت بعد أن عاوده هديره وأشبع رغبة نفسه في الانتقام وأطفا نيران الغيرة ، فعاد ذلك الرجل الهادي الرزين ... فتحركت بقية من حبه في سويداء قلبه فاندفع إلى الزوجة وهي ملقاة على الأرض وانتشلها بين يديه ووضعها على مقعد بقربه وشبك ذراعيها فوق صدرها ... ولكنه لم يجرؤ على إلقاء النظرة الأخيرة عليها فأطفاً النور . ثم ... ثم غادر الغرفة ينوي الرحيل من المدينة حالاً . ولما مر بغرفة النوم لاحظ أنها لا تزال مضيئة فعول على إطفاء نورها ... اندفع إلى تلك الغرفة وهو محتفظ بشمور ، متمالك نفسه ، وسرعان ما وقع بصره على شيء أعجمته غيرته الجامحة عن رؤيته قبل الجريمة

بوم بوم . . .

للكاتب الفرنسي جولز كادرييه

بقلم الأديب محمد عبد الفتاح

فراشه منذ ذلك الحين . وحينما كان يرى حذاءه الصغير النظيف في ركن الغرفة ، كان يهذى بقوله :

— الآن أبعادوا هذا الحذاء ،

حذاء فرانسوا الصغير ، سوف

لا يرتديه فرانسوا الصغير . سوف

لا يذهب فرانسوا الصغير إلى المدرسة

بعد الآن ، لن يذهب أبداً . . . أبداً

فكان قلب أبيه يتصدع أسى وحزناً ويصيح به في صوت متهدج : « صه أيها الصغير صه ! » وتخفى أمه وجهها المصفر الباهت ، ورأسها الذهبي اللامع في وسادته لتتبع صغيرها المفدى من أن يسمع نشيجها وبكاءها

ولم يهذ الصبي في ليلته تلك ؛ ولكن أظهر الطبيب بعد يومين قلقاً كبيراً لما رآه من علامم الفناء في وجهه ، كأن الطفل ، وما زال في السابعة من عمره ، لا يحس أية رغبة في العيش . كان منهوكة سقيماً ، صامتاً حزيناً ، لا يتحرك من كل بدنه العليل سوى وجهه ، يحركه ذات اليمين وذات الشمال . وذوت الابتسامة من شفثيه الصفراوين وراحت عيناه المطفأتان تبحثان عن . . . عن . . . لا يدري أحد عماذا . قالت مادلين :

— إخال أن عينيه تقطلعان إلى السماء . . . إلى العالم الآخر

وذهبت محاولتهما سدى في حمله على تناول بعض الشاي أو قليل من الشراب ، فقد أبي أن يأخذ أى شيء

— أما تريد شيئاً يا فرانسوا ؟

— كلا ، لا أريد أى شيء

كان الطفل راقداً كالخيال على فراشه الأبيض لا يستطيع حراكاً ، وكانت عيناه الجامدتان ترنوان إلى ما أمامهما تتجلى فيهما علامم المرض والإعياء ، وكأنما يرى بهما مالا يراه الأصحاء

وجثت أمه بجوار السرير تبذل جهوداً جبارة لترد دموعها المنبجسة السخينة ، وقد لاحظت تقدم المرض القاتل يبدو على وجهه المصفر النحيل . وأبوه — وهو عامل قوى الجسم مكتنز العضلات — كان يجهد ما وسعه الجهد لمنع الدمع السخين الذي قرح جفونه الحمراء وحرق أهدابه السكليلة ، من الانسكاب على خديه النائرين

وترجّل النهار صافياً جميلاً في إصباح من أصابيح يونية الساحرة ، واطمأن نوره الحى الدافئ في تلك الغرفة الضيقة الواقعة في شارع «دى أيس» حيث يرقد فرانسوا الصغير بين چاك ليجران ، ومادلين ليجران يغالب سكرات ، الموت ويصارع نزع الفناء

كان في السابعة من عمره وكان منذ ثلاثة أسابيع نحسب ، قوياً سليماً ، مفعماً بالجمال والصحة ؛ بيد أنه أصيب بحمى عنيفة ، وأتوا به ذات مساء من مدرسته برأس ثقيل ويدن ملتبتهتين . وقد لازم

وهنا قال الطبيب :

— يجب إنقاذه مما هو فيه ... من ذلك
الذهول الذى يشمله . إنكما أبواه وتمرفانه ولا ريب
حق المعرفة . حاولا أن تخلقا ما يثبت الحياة فى بدنه
السقيم المضى ، إن هذا هو الدواء الوحيد لإرجاع
هذا الروح الذى يناضل للانطلاق إلى السماء .
ثم ذهب الطبيب قائلاً :

« حاولا »

أجل ولا ريب ، إنهما يعرفان عزيزهما فرانسوا
حق المعرفة ، يعرفان كم يجب التنزه فى الريف كل
أحد ، وكم يفرح ويبتهج حين يحمله أبوه بعد عودته
من عمله ، ويبيده طاقة من الورود الناضرة الفواحة
إلى حدائق الإليزيه ليرى بونس وجودى وهما
يلعبان معاً بين أولاد السراة والأشراف . وكان
أبوه قد ابتاع له دغى وألاعيب كثيرة ، فأخرجها
كلها من أمانتها ووضعها إلى جانب الطفل على
السريـر ، وجعلها ترقص وتسير على صراى منه ،
وأخذ يحاول بشق النفس أن يضحك الطفل . قال :

— انظر ! ها هى ذى حرب ضروس سيقـد
أوارها «بانج بوم» وما هو ذا القائد العام . ولقد
رأينا قائداً فى غابة بولونيا ذات مساء . ألا تذكر ؟
وسأبتاع لك قائداً حقيقياً بثيابه الرسمية إذا أصبحت
ولداً لطيفاً وشربت «شايك» أحب ذلك ؟
خبّرني ... قائد ؟

فتحشرج صوت الصبى من وطأة الحمى وهو
يقول :

— كلا

— إذن هل تحب أن آتيك بمسدس ، تماثيل

من الرخام ، قوس ونشاب ؟

— كلا . فسألته أمه :

— ولكن أليس هناك شىء تريده يا حبيبى ؟

لماذا ؟ لقد كنت تحب أشياء كثيرة ... قل لى أنا
قل لأملك حبيبتك

ثم وضعت رأسها على وسادته وأدنت فمها
المرتجف من أذنه وراحت تهمس له كأنها تنقل إليه
سراً . هنالك رنا الطفل إلى أمه وأبيه ، وهب جالساً
نجاهة وقال بلهجة الأمر :

— « بوم . بوم »

نظرت مادلين المسكينة إلى زوجها فى يأس شديد ،
ماذا قال الصغير ؟ هل عاد يهذى ثانية ؟ هل عاوده
الهذيان الرهيب ؟

بوم . بوم !

لم تفهم ، وخشيت على ابنها من هذه الكلمات
التي يرددها فى عناد وإصرار

— أجل ، بوم . بوم . بوم . بوم . بوم . بوم . بوم .
أريد « بوم . بوم »

ولكن أسارىـر الرجل الجامدة انبسطت فى ابتسامة
أضاءت وجهه الشاحب المتقع ، ابتسامة تنبئ
بالفرح ، ابتسامة التهم الذى يسمع الحكم ببراءته
بوم . بوم . إنه يذكر يوم عيد الفصح الذى
أخذ فيه فرانسوا إلى الملعب . إنه يذكر صيحات
الفرح التي كانت تملو من فم فرانسوا حينما رأى
المهرج ، المهرج الأنيق بثوبه الموشى « بالترتر »
المطرز على صدره فراشة كبيرة ، أثناء رقصه على

المسرح ، وفي أثناء سيره على أطرافه الأربعة وقد امتطى ظهره قزم ظريف مجان ، وقد علت ضحكاته حيناً رآه ينتصب قائماً ويطوح برجله إلى أعلى ارتفاع ممكن ، ثم وهو يلقى بقبعات الفلين في الهواء الواحدة تلو الأخرى حتى كونت شكلاً هرمياً بديعاً ، وفي أثناء كل هذه الحركات كان المهرج يبتسم ابتسامته الفاتنة ويكرر نفس السكامة ترافقه فرقة الموسيقى « بوم . بوم . بوم . بوم » وفي كل مرة كان الملعب يضج بالضحك وتعلو معه ضحكات فرانسوا الرحلة الجلدة ... بوم . بوم . إن هذا هو بوم . بوم . إنه المهرج الذي يود فرانسوا رؤيته ، والذي لا يستطيع فرانسوا أن يراه الآن وهو هكذا مريض طريح الفراش

وفي المساء عاد جاك ليجران بعد أن ابتاع دمية على هيئة مهرج مغطى (توبه بالترتر) وقد دفع فيه ثمناً كبيراً ، أجر أربعة أيام كاملة من أيام عمله . كان على استعداد أن يدفع أجر ثلاثين يوماً ، بل أجر العام كله مادام ذلك يدخل الفرح والسرور على قلب صغيره المفدى

ورنا الطفل إلى الدمية وهي تشرق على الفراش الأبيض برهة قصيرة ثم قال في حزن :

— إنه ليس بوم بوم . أود لو أرى بوم بوم آه ... ! ليتّه يستطيع أن يحمله بفراشه ويذهب به إلى الملعب فيريه المهرج يلعب تحت الأضواء الباهرة ويقول له : أنظر ... وهنا التمع في ذهنه خاطر سائح أمل من ورائه خيراً ... ذهب إلى السيرك وسأل عن عنوان المهرج ، وإذا أخبروه عنه اتخذ سبيله إليه قدماً

وكانت ركبتاه ترتعدان في عنف وهو يصعد السلم إلى شقة الفنان في حي مونمارتر . ولقد كلفه الذهاب إلى هناك شجاعة فائقة ومجهوداً كبيراً . إن المهرجين لا يأبون الذهاب إلى بيوت العظماء لإضحاكهم وتسليتهم ... ولعل المهرج ... آه ! — بأي ثمن يطلب — يقبل أن يذهب معه ويحيي فرانسوا ... لا بأس . ماذا تراه قد حدث له في بيت بوم بوم ؟

ولم يكن ثمة بوم بوم ؛ بل مسيو مورين في غرفة أنيقة ، فيها كتب قيمة وتصاوير نفيسة ، وجميع أدوات الفن

ونظر جاك إلى الرجل فعرف فيه المهرج . وأخذ ينظر يميناً وشمالاً وقبعته الرخيصة في يده . وانتظر الرجل الآخر من زائره حديثاً . فاعتذر جاك لحضوره وقال : إنه ليس له حق المجيء فيما جاء له ، وما كان له أن يأتي ألبتة — مع الأسف الشديد — ولكن مع كل هذا ... « إنه كل أمل في الحياة ياسيدي ، وهو جد لطيف جميل ، متوقد الذكاء ، أول فرقته دائماً في كل العلوم ما خلا الحساب الذي لا يسيغه ولا يفهمه ، وهو إلى كل ذلك خيالي ... أجل خيالي النزعة .. والدليل على ذلك .. أجل .. الدليل ... » وتلثم جاك وتردد ، غير أنه تمالك نفسه واستعاد جنانه وقال :

— الدليل أنه يود أن يراك ... إنه لا يفكر في شيء سواك . وإنك هناك أمامه كنجمة بيني الصعود إليه فلا يستطيع فيديم التطلع فيه وما أن انتهى الرجل حتى كان وجهه قد تجرد من الدم وأصبح شاحباً ممتعماً ، وتصيب العرق البارد

— إنه على حق ... إنه ليس بوم بوم ... ثم غادرهم وانصرف .

— آه ! سوف لا أرى بوم بوم بعد الآن ... سوف لا أرى بوم بوم ثانية !

قال الطفل ذلك ثم بدأ يحدث الملائكة : ربما كان بوم بوم هناك ، هناك حيث سيذهب فرانسوا الآن ... الآن توا !

وانفتح الباب فجأة بعد نصف ساعة من ذلك ، وظهر المهرج بثوبه الأسود الفضفاض الموشى (بالترتر) والمطرز بفراشة كبيرة على الصدر وأخرى على الظهر . تبدى وعلى رأسه قبعة المضحكة ، وعلى وجهه المصبوغ بالساحيق ابتسامة كبيرة واسعة امتدت حتى أذنيه . ظهر بوم بوم ، بوم بوم الحقيقي ، بوم بوم اللعب ، بوم بوم كل الناس ، بوم بوم فرانسوا الصغير ... بوم بوم

وتحرك الصغير في فراشه فرحاً ، مسروراً ، ضاحكاً ، صارخاً ، سعيداً ، ناجياً مما فيه من داء وسقم . صفق بيديه وصاح :

— إنه بوم بوم ... إنه بوم بوم هذه المرة ، ها هو ذا بوم بوم « هو رآه » بوم بوم ، كيف أنت يا بوم بوم ؟

وحينما أقبل الطبيب في ذلك اليوم بعينه ألقى بجوار سرير المريض الصغير مهرجاً بوجه ملطخ بالساحيق والأصباغ . ورأى الطفل يضحك جذلان مسروراً ، وينظر إلى المهرج وهو يضع في الدواء قطعة من السكر ويقول :

— أنت تعلم يا فرانسوا أنك إذا لم تشرب فسوف لا يأتي بوم بوم ثانية

من جبينه ... ولم يجسر أن ينظر إلى المهرج الذي مضى يرنو إلى العامل بعينين لا تحولان ولا تطرفان وما الذي سيقوله المهرج يا ترى ؟ هل سيطرده ، أم يعده مجنوناً ؟ ولكن بوم بوم سأله :

— أين تقيم ؟

— أوه ! على مقربة من هنا ... في شارع دى أييس ...

٢ — هلم ، هل يود صغيرك أن يرى بوم بوم ؟ حسن جداً ... سوف يرى بوم بوم .

ولما فتح الباب للمهرج ، صرخ جاك فرحاً مبتهجاً يقول لابنه :

— فرانسوا ، أيها الشقي ! إنك ذو حظ عظيم ها هو ذا ... ها هو ذا بوم بوم ...

فملت وجه الصبي ابتسامة الغبطة والفرح ... واستعان بذراع أمه على الجلوس في فراشه ، وأدار رأسه نحو القادمين ، وظل لحظات يحاول أن يعرف الرجل الذي بجوار أبيه ، والذي يبتسم له أرق ابتسام ولكنه لم يعرفه ... بوم بوم ، إنه ليس بوم بوم ... وعاد الطفل ورقد في الفراش حزيناً مبتئساً ... رقد وعيناه الزرقاوان الواسعتان تنهان النظر في الحائط تتمثلان الترت ، والفراشة التي في ثوب المهرج الذي يحبه كما يحب الوثنى صنمه ...

وقال الصبي ... لا في صوت خشن ... بل حزين :

— كلا ، إنه ليس بوم بوم ! نظر المهرج إلى الطفل السقيم في حزن صادق ، ثم استدار نحو الزوجين الجازعين وقال :

وقال جاك ليجران للسيد المهرج حينما جلس
الطفل لأول مرة
— بكم أنا مدين لك يا سيدى ؟ يجب أن تنال
أجرك على ذلك
فد المهرج يديه الغليظتين إلى كل من الرجل
وزوجه كما يفعل بطل عظيم وقال :
— كل ما أطلب هو أن تصافحاني بحرارة
ثم أضاف بعد إذ طبع قبليتين على خدي الطفل
الذين توردنا من جديد :
— ثم أن تسمححالى أن أضيف إلى بطاقتي :
« يوم يوم المهرج ، والطبيب النفسى لفرانسوا
الصغير »
(القاهرة) محمد عبد الفتاح

وأطاع الطفل
— أليس سائغاً ؟
— سائغ جداً . شكرآ يا يوم يوم . وقال المهرج :
— سيدى الطبيب ! لا تكن غيورآ . ولكنى
أعتقد أن حركاتى المضحكة كان لها نفس الأثر الذى
لدوائك ...
وبكى الزوجان ، ولكنه بكاء الفرح الكبير
وإلى أن بارح فرانسوا فراش المرض كانت هناك
سيارة من مونتارتر تقف كل يوم يباب مشوى العامل
فى شارع دى أيبس ، ويخرج منها رجل يرتدى
معطفاً واسعاً كبيراً وقد رفع بنيقته ، وتحت المعطف
يرتدى ملابس اللعب الموشاة (بالترتر) المطرزة بالفراشيتين
الصفراوين الكبيرتين

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنقولة .

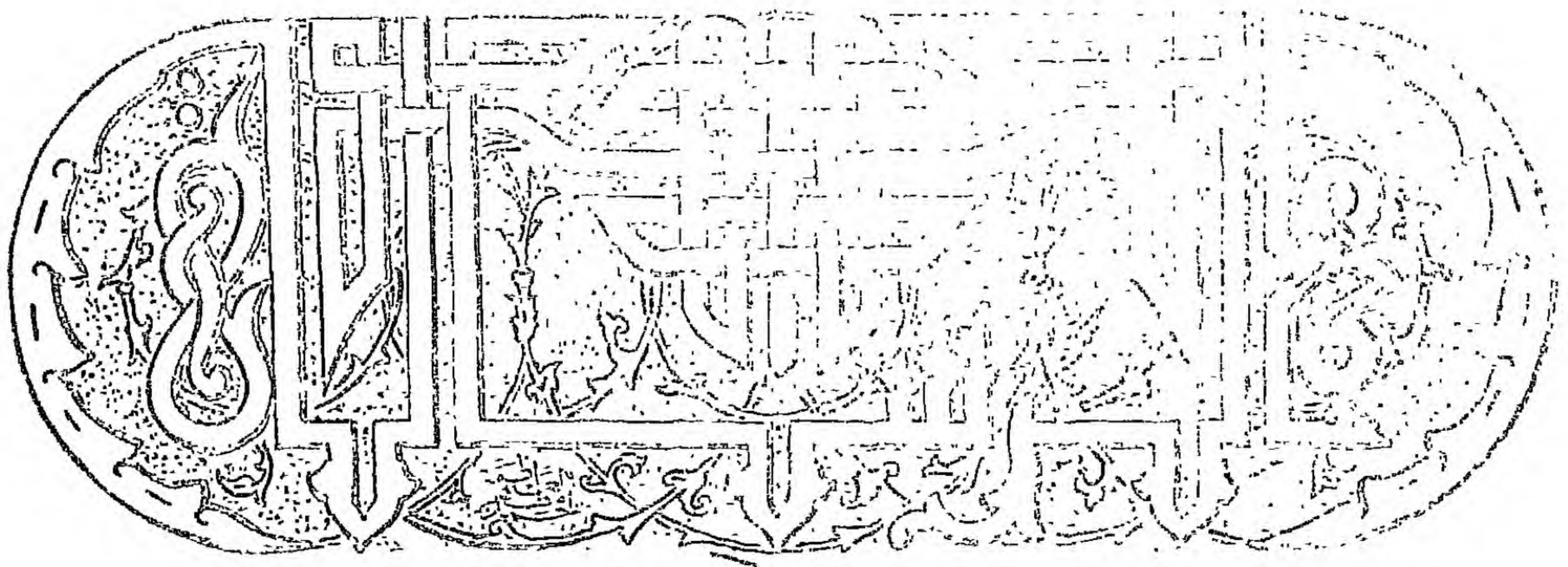
الثن ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالوثمانه الاتية

٥٠ السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة والسادسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون
قرشاً فى الخارج عن كل مجلد



مكتبة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تفصيل المأثري بالحائري وترتيب الشرق والغرب

عالمهمديني وعبير

- | | |
|---------|--|
| الرسالة | تعتبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية |
| الرسالة | تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية |
| الرسالة | تصور مظاهير العبقرية للأمم العربية |
| الرسالة | تسجل مظاهر التجديد في الآداب العربية |
| الرسالة | تجيب في النشء أساليب البلاغة العربية |
| الرسالة | ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية |

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك، وكتاب الشرق
الجديد، وسجل الآداب الحديث، ودائرة معارف عامة

لاشتران الداخلي شون قرم، والحاجي مايساري جنيها مصر، وللبند العربية بخم ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مايدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الدرية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٩ رمضان سنة ١٣٥٨ — أول نوفمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٧

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
١٠١٨	حببي القديس الفاسق ...	عن الانجليزية ...
١٠٣٦	كيف فقدتها ...	أقصصة مصرية ...
١٠٤١	انتقام حبيبة ...	عن الانجليزية ...
١٠٤٤	مجنون ...	للكاتب الفرنسي جى دى موباسان
١٠٤٨	الزوج النائب ...	عن الانجليزية ...
١٠٥١	الفاية تبرر الوسطة ...	أقصصة مصرية ...
	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...	
	بقلم الآسة جميلة الملايلى ...	
	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...	
	بقلم الأديب السيد محمد العزاوى ...	
	بقلم الأستاذ (ع. ا. ع) ...	
	بقلم الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ...	

وليس غرضي من الكتابة هو على وجه الدقة التكفير عن خطيئتي ، ولا هو تبرير حي لروجر مكفاي ، فإنه على الرغم من جميع ما عمله لا أزال أحبه ، ويهون على أن أضحي من أجله بحياتي وبما هو أغلى من حياتي وقد فعلت

نعم فإنه على الرغم من كرمي واحتقاري تلك الشخصية الخبيثة مازلت أحب الشخصية الأخرى العظيمة ذات الخلق السامي ، في نفس ذلك الطبيب المحسن الشفيق الذي لا يهمل أبداً المتألمين ولا المرضى . أحب ذلك الطبيب الرفيق الذي يحب الأطفال الصغار والذي يمد يديه السحريتين للمواساة والملاج غير منتظر أجراً ولا جزاء . تلك الشخصية لا تزال موضع حي العميق الذي تسرب إلى أعماق قلبي فلا تقوى على محوه يد شخصيته الثانية الدنيئة كنت لا أزال في المدرسة لم أتجاوز السابعة عشرة من عمري عند ما قتل أبواي وأختي الصغيرة إيلين في حادث سيارة . . . وسأخطئ ذكرى تلك الأيام المزعجة التي لا بد أن يقضيها الإنسان في الحزن على موته ، فهي أيام لا يستطيع أحد التخلص منها لم يبق لي في الوجود بعد أبوي وأختي أحد من الأقارب غير عم لم يسمع أبي عنه شيئاً منذ سنوات حتى لم نكن نعلم إذا كان هذا العم واسمه جيم قد مات أو هو لا يزال حياً

ولم أكن أملك من المال بعد الذي أنفق على الجنازة الثلاثية من قيمة التأمين الضئيل الذي كان أبي مؤمناً به على حياته غير مبلغ لا يزيد إلا قليلاً على خمسين جنياً . . قطلبت من مستر جون أوفر وصي وخير أصدقاء أبي أن يودع هذا المبلغ أحد

حبي القديس الآثم

[قصة حصلت على جائزة ١٥٠ جنياً]

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

« لقد اعتزمت أن تطالب بمحفاً كاملاً في الأمانة إلى أن ... »

أظن أنني أحببت الدكتور روجر مكفاي من اللحظة الأولى التي رأيته فيها ، فقد أقبل على وأنا راقدة ملفوفة في ضماداتي ، فكانت تحيته البشوشة كأنها شعاع من أشعة الشمس الشرقية وقد قال : « كيف حال بطلتنا الصغيرة اليوم ؟ »

ووضع على صدري وهو يحميني وردة حمراء طويلة الساق لا تمكن من استنشاق شذاها الزكي الفياح إذ لم يكن في مقدوري أن أرفع يدي أو حتى أحرك رأسي ، وكل ما كنت أستطيعه هو أن أعبر عن الشكر بالنظرات

ولما صادقت الدكتور مكفاي فيما بعد لم أملك إلا أن أجمده وأن أعبدته ، حتى وإن كنت لم ألبث أن عرفت أن لجورج مكفاي شخصيتين منفصلتين ومتفاوتتين : شخصية قديس في صورة طبيب ، وشخصية رجل مندفع صخري القلب وحشي الطباع قاس لا يرحم . . . وقد مضت سنوات قبل أن أسلم بهذه الحقيقة حتى في أحلك أوقاتي وأشدّها تماساً . وهذه الشخصية المزدوجة هي التي دفعتني إلى كتابة هذه القصة

المصارف إلى أن يأتي الوقت الذي أرجو أن أصبح فيه ممرضة تحت التجربة في أحد المستشفيات القريبة من لندن

وكان في وسع جون آدمز أن ينصح لي وأن يوليني صداقته ، ولكن لم يكن له من أسباب المادة ما يمكنه من مساعدتي .

على أنه قد حان الوقت الذي لبست فيه لباس ممرضة تحت التجربة الذي كنت أشتهيه ، فشعرت إذ ذاك بالسعادة البالغة . وماذا يهمني أن يكون العمل كثيراً أن تكون الساعات طويلة ، فسيأتي اليوم الذي أصبح فيه ممرضة أصيلة . . . ولكن ما كان أضيع أحلامي !

لقد كان عملي مرضياً ، فقد كنت - على ما قالوا - أهلاً لأن يوثق بي . ولما كان عدد الممرضات قليلاً في تلك الأيام ، فقد تصادف أن كنت قائمة وحدي بواجبات الليل عند ما شب في المستشفى حريق هائل . . . وهل في مقدوري أن أنسى هول تلك الليلة الفظيعة ! إنها لتتمثل واضحة في ذاكرتي بمأساتها الفاجعة ، ولا يزال لها في أذني دوى أشبه ما يكون بدوى القنبلة تنفجر على حين غفلة فيملاً صوت انفجارها الجو هولاً وارتياحاً ! رب ! البناء المحترق يمكن تجديده . . . أما أنا . . .

وقع الحادث المروع مفاجئاً ، فقد كان كل شيء هادئاً قبل دقيقة واحدة من وقوعه . كان كل شيء ساكناً وديعاً وداعة الطفل النائم في حضن أمه ، وكان النسيم العليل يحرك أوراق الشجر في لطف عند ما دوت في الجو صيحة « النار ! النار ! » ، وارتفعت في الجو أصوات الاستغاثة مختلطة بدقات الأجراس وصراخ الفرعين ، وبكاء الأطفال الذين

كنت ساهرة عليهم ينادونني : « ممرضتنا جودي ! ممرضتنا جودي ! » ، وكان عدد هؤلاء الأطفال ثلاثة عشر كلهم دون الثانية عشرة من أعمارهم ، فاندفعت إلى باب الغرفة ولكن اللهب والدخان صداني فأقفلته ووقفت وراءه أسنده كأمما جسمي الضئيل يستطيع مقاومة هذا الجحيم المستعر

وتتابعت الأفكار في رأسي بسرعة كالبرق، ولم يكن في هذا الجناح القديم منفذ للهرب من الحريق ، وكان يجب ترك هذا الجناح منذ زمان بعيد ولكن الحاجة الماسة للأمكنة هي التي أرغمت مجلس إدارة المستشفى على مواصلة الانتفاع به . على أن هؤلاء الأطفال يجب إنقاذهم ، ولكن كيف ؟ لقد أعاد لي صراخهم صوابي فشعرت على حين فجأة بالقوة واليقظة فصحت بصوت عال لأسمعهم « اهدأوا ، اهدأوا ، فسوف تنقذكم الممرضة جودي ، ولكن يجب أن تهدأوا وتطيعوا ما أمركم به ! »

وجريت إلى الشباك فنظرت إلى رجال المطافي وهم يرفعون أحد سلم الحريق . وكنت في الطابق الثالث فما زلت أصرخ وأبدي إشارات يدي ورأسي وأصيح أمرة بما أريد حتى تنبهوا لي وفهموا إشاراتي وفي أسرع من لمح البصر نصبوا شبكة لإجابة لإشارتي . أما أنا فكنت كمن مسه جنون أجرى إلى مراقدة الأطفال أحملهم الواحد بعد الآخر فألقي به من النافذة غير منتظرة أن أرى إن كان قد وصل إلى الشبكة سالماً . ولم أكن أبالي بما يلفحني من وهج النار إذ لا بد أن أنقذ الأطفال جميعاً . وكنت كلما ألقيت طفلاً أعد : واحد . . . اثنين الخ إلى أن عدت اثني عشر . وكانت السنة النار قد اقتربت من غرفتنا واشتدت الحرارة اللافتة ولكن لم يكن بد من أن أنقذ

واستأنفت عملي في التدريب على التمريض ولكن ظهر بعد أسبوعين أن استمرارى فيه غير ميسور فقد كان المرضى يتأفون كلما رأوني، حتى الأطفال كانوا إذا اقتربت منهم صاحوا به « إبتعدى ! إبتعدى ! » ولم يكن ذلك قسوة ولكنهم لم يكونوا يستطيعون مقاومة الرعب المصحوب بالشفقة حين ينظرون إلى وجهى ، كذلك لم يكونوا يحبسون دموعهم التى تظفر عند رؤيتى

ولم تكن إدارة المستشفى لتبالي بما فى عملها من قسوة إذا كان الأمر مما يتصل بمصلحة المرضى ، لذلك لم تدهشنى كلمات مس اسمت الرئيسة الرقيقة ، ولا تطف الدكتور بيرنس عند ما قال : « أخشى ألا تساعدك قوتك على العمل الآن. وهذا مما يؤلنى، ولكن فلنفكر فيما يمكن أن نساعدك به »

ثم دخل الحجرة الدكتور مكفاى بقوامه الطويل الرشيق وعينيه السوداوين الساحرتين ، فما رأيته حتى وثب قلبى فى صدرى ، فلقد كان الدكتور مكفاى شقيقاً جدي شقيق فى معاملتى فى أيام نقاهتى ، وفى الأسبوعين الهائلين الأخيرين ... ولكنه كان شقيقاً على كل إنسان وبذلك جرت سمعته فى كل مكان ! وما كان أجمل صوته القوى وهو يخترق الجو إذ يقول :

— ما هذا الجحود الذى أرى ! ألم تكذب مس هاتون تجود بروحها فى سبيل إنقاذ المرضى ؟ وكل جرح فى وجهها شهادة ناطقة ببطولتها التى لاعهد لهذا المستشفى بعثلها من قبل ! والآن تجرؤن على أن تقذفوا بها إلى الطريق يلا عمل ولا مأوى ولا شيء غير ساعة من الذهب تسخر من ضحيتها الهائلة ! ...

الطفل الأخير فأين هو ؟ وتكاثف الدخان وخنقنى ولكننى لم أكن لأبالي شيئاً ؛ ثم سمعت أنيناً ضعيفاً دلى على مكان الصغير دابنى

وما أشك فى أن قوة إلهية هى التى أوصلتنى إلى مكان الصغير فلففته وحملته مسرعة إلى النافذة وكانت النار قد صعدت من الطابق الثانى إلى طابقنا وكان الدخان كثيفاً فلم أر الشبكة إنما يجب انتهاز الفرصة .

ولكن لا ! لم أجرؤ أن ألقى بداينى الصغير فقد كانت رجلاه مكسورة مجبسة وكنت أخشى عليه، فشددت عليه بين ساعدى ووثبت به من النافذة لطمت ألسنة النار وجهى وساعدى وكفى وشممت رائحة شمعى يحترق عند ما وضعت قدمى على عتبة الشباك لأثب ... ثم ...

لم أشعر بعد ذلك بشيء حتى عاد إلى صوابى بعد أيام وأنا راقدة فى المستشفى ملفوفة فى ضمادات أحس آلاماً تمنيت أن يتقضى الموت منها ... ولو أنه أنقذنى لكان خيراً من الحياة التى عشتها من ذلك التاريخ

وكافأتى مجلس الإدارة بساعة من الذهب وشهادة اعتراف ببطولتى ولكن ما كان أقسى الثمن الذى دفعتة . فبدلاً من الفتاة جوديت هاتون الجميلة بكل ما فى كلمة جمال من معنى حلت فتاة ليس لها منها إلا اسمها ، مشوهة الوجه والساعدين واليدين أقبح تشويه من أثر الحريق

وخافوا ألا ينمو شمعى الذى احترق ؛ وفعلوا لم ينم فى مقدمة الرأس فألبست طاقة من الشعر الصناعى ، فلما نظرت فى المرآة كدت أصرخ لما رأيت من تناقض بعد ذلك الشعر المصفف تصفيفاً جميلاً وبين خلقتى المشوهة

فأجاب الدكتور بيرنس بقوله :

ليس هناك ما يدعو للغضب يا دكتور فلقد اعترفنا
ببطولة مس هاتون وقدرناها وقد عينا بأمرها كل
العناية . والآن نحاول أن نوفر عليها ما تشعر به من
ضيق وتآلم

فكبحت جراح دموعي وقلت :

— إنه على حق فيما يقول يا دكتور مكفاي ،
فقد كان يجب أن أترك المستشفى على أية صورة من
الصور، فإن المرضى يتأذون حين يرونني . وأشارت
إلى ما في وجهي وساعدي من أثر الحريق . فقال
الدكتور مكفاي في لهجة هي الشفقة المجسمة ، وقد
وضع كفيه على كتفي المرتجفتين :
— يالك من فتاة مسكينة !

ثم نظر إلى الدكتور بيرنس وقال :

— أرى أنني لا أزال جديداً هنا ومن الجائز
ألا يكون لي حق التدخل في شؤونكم؛ لذلك يسرنى
أن أعرض على مس هاتون وظيفة سكرتيرة لي
وهكذا بدأت أعمل سكرتيرة للدكتور مكفاي
في غرفة صغيرة بعيادته أكتب على الآلة الكاتبة ،
وأرتب مسودات كتاب كان يضعه في مرض الأطفال
وأمنيت في عملي أزداد كل يوم له حباً . وكانت
أسعد لحظات حياتي هي التي يدخل فيها إلى غرفتي
لملي شيئاً جديداً أو يراجع ما كتبت معتذراً كلما
احتد غضباً إذا وقف على شيء من الخطأ في عملي .
وكنت كل يوم أدعو الله ألا أخطئ حتى لا أغضبه
ولقد أدركت الآن أن بعض الغلطات التي كان
يلومني عليها كانت من عمله هو إذ كان يغير آراءه
في بعض فقرات الكتاب

ومضت أسابيع وحياتي هي عملي ، فلم أكن

أشعر بالحياة إلا إذا دخلت غرفتي الصغيرة وانكبت
أعمل للرجل الذي أحبته . وكنت أحضر مبكرة
وأنصرف متأخرة . وقد استأجرت غرفة لسكني
كنت أطهى فيها طعامي ، متجنباً لقاء الناس
إذ كنت لا أحب أن يرى وجهي المشوه أحد حتى
الغرباء الذين أمر بهم في الطريق ، فكنت أقضي
حاجاتي بالتليفون حتى ملابسي . وكنت إذا خرجت
إلى طريق وضمت على وجهي حجاباً كثيفاً

ولم أكد أجتمع بأصحابي بل تجنبتهم إلى أن
انقطعت كل صلة بيني وبينهم فلم يعد أحد يزورني
حتى ولا يسأل عني بالتليفون ، فأصبحت بذلك في
وحدة موحدة ، ولكنني تعزيت عنها بالعمل للرجل
الذي أحبته . وكنت إذا انتهيت من عملي وعدت
إلى غرفتي حملت بالحياة التي كان من الممكن أن
أحياها معه لو لم أصب بذلك التشوه

واعتقدت أنه حتى أحلامي في أخشن صورها
لن تزيد على أن تبقى أبداً أحلاماً لا أكثر
وفي إحدى الليالي سألتني في لطف إذا كنت
أستطيع السهر في العمل معه لأن لديه فصلين من
الكتاب يريد إنجازهما دون أن يقطع عليه أحد عمله
فكان طبيعياً أن أرحب بطلبه سعيدة به

وجدت الدكتور مكفاي في انتظاري ، فلما
حضرت حمل الآلة الكاتبة إلى الغرفة الكبيرة
توفيراً لراحة العمل وألح على أن أشرب كأساً من
الخمر معتذراً بأنه قد أضاع على ليلتي . فغمغمت
أن ما حدث هو الخير

وجلس على المكتب أمامه وقد جلس على
الصفة جلسة مزيجية وقال :

— أرجو أن تفكري لي كسلي فإني متعب
تعباً شديداً

وقضى ساعة وهو يمل على بعض تصحيحات مشيراً إلى موضعها في النسخة التي كان يقرأ منها وخفت صوته على حين فجأة ثم سكت . فرفعت نظري عن الوزق ونظرت إليه فرأيت مستغرقاً في النوم . فاطفأت بعض الأنوار في هدوء ثم مشيت على أطراف أصابعي إلى حيث علق معطفي فتناولته وغطيته به . وكان هذا المطف في نظري عند ما لبسته في تلك الليلة قديماً زرباً أما الآن فقد أصبح شيئاً مقدساً عندي

ثم أدنيت كرسى قريباً منه لأستطيع أن أمتع عيني بالتأمل في وجهه الجميل ، ولأتأمل في مجموعة أعضائه المناسبة التي تؤلف شخصاً غير عادي الوجود وشعرت بشوق إلى أن أضع برأسي على صدره وأحمو بقبلي ما على وجهه المحبوب من تجاعيد التعب . ولكنني لم أفعل فلم أكن لأقلق راحته تحت أي موثر من المؤثرات

صرت الدقائق متتابعة وتجاوزت الساعة منتصف الليل ، فخرج من بين شفثيه نهد طويل ، وتقلب قلب غير المراتح ، وأفلتت ساعده تدريجاً حتى سقطت رأسياً إلى جانب الصفة . ودون أن أشعر بما أنا فاعلة ركعت على ركبتى ورفعت تلك اليد الشفيقة التي تواسي آلام المصابين فطبعت عليها قبلة من شفثي الملهتين وقد انهمر الدموع على خدي المشوهين من آثار الحروق

وعلى حين فجأة سمعت صوته العذب يقول :

« لم هذا يابنيتي المسكينة ... أتعجبيني يا جوديت

إلى هذا الحد ؟ »

وطوقتني ساعده وضممتني إليه رويداً رويداً حتى شعرت بدقات قلبه السريعة على صدري ، فجزي

الدم حاراً في كل جسمي حتى اضطربت من شدة الفرحه بقربه ، وبلغ من شعوري بالسعادة أن تمنيت الموت بين يديه . واندفع هو يقبل شفثي في حرارة وشوق ورغبة . فلم يمر للتمتع أثر في خاطري . ولم أفكر فيما هو صواب وما هو خطأ ، فلقد كان هو كل سعادتي وحياتي ، وكل ما يتصل بكياني ووجودي ملك له

وبعد بضعة أسابيع من هذه الليلة السعيدة

قال لي :

— أريد يا جوديت أن تحضري فتسكني في بيتي فسألته :

— أتقصد بذلك أنناسيتزوج أحدنا من الآخر؟ فأجاب :

— إنك تعرفين يابنيتي العزيزة أنني لا أستطيع الآن أن أتزوج منك . فهل تشعرين بالسعادة من حبك لي ؟ ولا أظنك تريدن تحطيم مستقبلي ... ؟ وما أحسبك إلا فاهمة ما أقول ؟ !

وعلى الرغم من أنني لم أفهم دمدمت بكلمة « نعم » في لهجة متقطعة ... ولم ألبث أن انتقلت إلى بيته حيث قدمني لمديرة البيت ولسائق سيارته باسم « مس هاتون سكرتيرتي الخاصة »

وإذ تبينت لأول مرة حقيقة الخطوة التي خطوتها شعرت برجفة من الخوف تسري داخل كياني ، ولكنني لم أفكر قط في النكوص ، فلقد كنت أحب روجر حباً لا أستطيع معه أن أفلت فرصة وجودي دائماً على مقربة منه

وإني لوائقة أنه لا جين بروان مديرة البيت ، ولا هاري باركر السائق قد ساورها أي شك في وجود علاقة بين الدكتور الذائع الصيت مكفاي

أثناء مرضها . ولقد عجبت من أمر طيبي المحبوب الذي تحمله الشفقة على أن يجري لسز باركر عملية جراحية كبيرة لا يتناول عليها أجراً ، ثم يفصل زوجها من خدمته قبل أن يتم شفاؤها بل حتى قبل أن تغادر فراشها ... ولقد ذهبت جميع توصلات هارى هباء فلم يقبل الدكتور مكفاى أن يصنى إليه أو يعيده إلى خدمته أو حتى يعطيه توصية ما

على أنه لم يخطر لي حتى ولو في المنام أن روجر يستطيع أن يقسو على أو يمكن أن يفكر في مثل هذه القسوة . فقد بررت سلوكه مع هارى بقلقه على الذين أقاموا الحفلة وما سيديه لضيوفهم من مضايقة . وعلى غير علم منه أعطيت هارى عشرة جنيهات فقد كان طيبي كريماً في المال وكان ينقذنى راتبي في مواعييده بسخاء

وكان أحياناً يؤنبني في ألفاظ عنيفة ، وينظر إلى نظرات جاحظة كمن أصابه مس في حين يكاد لا يكون هناك شيء مطلقاً يدعو إلى الغضب . وكنت ألتبس له العذر في نفسى باحتمال أن يكون قد حدث في المستشفى أمر لم يعجبه ، أو أن تكون حالة أحد مرضاه الذين يحبهم ويكرس وقته للعطف عليهم والعناية بهم قد ساءت : فكنت أحاول أن أخفف متاعبه فأوليه عناية سخية بكل أسباب الترفيه ولكن كثيراً ما جاءت أوقات لم تكن فيها معاملته لي وأقواله التي تم عن الاكتئاب لتتفق مع ما أبدى له من عواطف الحب الشديد ، فكان منظرى وجرس صوتى وحتى مجرد لسى بشير في نفسه عاصفة من الغضب الزعج ، وكانت تبدو وحشيته في طلباته وكان يتهيج ابتهاجاً شيطانياً بايذاءى وتمييزى بأنى كجبر الطاحون المعلق في عنقه قائلاً

وسكرتيرة الدمية المشوهة التي تضطر لتفادى نظر الناس إليها أن تأكل دائماً في غرفتها . وكاننا يعملان أننى أشتغل طوال النهار بالكتابة على الآلة الكاتبة ، ثم أشتغل في جميع ما يحتاج إليه من البيانات من مكتبته الكبيرة ، وأتلقى ما يمليه على من العمل المتواصل إلى أن يأذن لي بالانصراف إلى غرفتي

وما كانا نلجأنا بحقيقة أمرى إذا ما أقفلت على باب غرفتي المحبوبة ، متمنية أن تكون هذه الليلة من الليالى التي أستيقظ فيها فأجد حبيبي إلى جانبي يضمنى في حرارة وشوق ... أما في غير هذه الليالى السعيدة فكان عزائى أن أحلم بالوقت الذي أصبح فيه زوجة لروجر

ولم أشك قط في حب روجر لي لأنه لو لم يحبني لما كرر لي قوله : « إن حبك هو أعذب شيء في حياتى ، فهو يتوج أياى المشحونة بالعمل - يا طفلى العزيزة - أشبه ما يكون بيلسم مريح لذيذ

وكان قد مر على إقامتى في بيت روجر الجميل ثلاثة أشهر عند ما رأيت إحدى نوبات غضبه الحفقاء ، فقد ثار في وجه السائق هارى فدفعه أمامه وهويده يقبضة يده

وكان ذنب هارى أنه أخطأ فهم تعليماته فتسبب عن ذلك تأخره عن مأدبة عشاء أقامتها إحدى الجماعات الخيرية تكريماً له ، واعتراكاً بخدماته الإنسانية . ولم يرض في غضبه أن يستمع لأعذار هارى وفصله من خدمته في الحال

تألم قلبى شفقة على هارى ، فقد كانت امرأته لا تزال في دور النقااة بعد عملية جراحية وكان يدفع أجراً لامرأة تخدمها وتخدم ألبتاه الأربعة في

أنه لا يستطيع أن يتخلص منى لأنه لا يوجد إنسان
سواه يقبلنى فإنى أشبه بالطائر الخفيف المنظر

وكان فى أغلب الأوقات يفاخر بأن هناك
كثيرات من الفتيات الجميلات اللواتى يحببنه وأنه
يستطيع أن يتزوج من أية واحدة منهن . فكان
يمثل هذه الأقوال القاسية يسحق روحى بأعنف مما
تسحقها الجروح التى فى وجهى وفى ساعدى ويدي
وكانت تعقب ذلك ساعات لا نهائية وليال من
الأرق واليأس الموجه ، فكنت أتمنى الموت الذى
كنت أجهن جداً من أن أجلبه بيدي

ولكن كان طبيبى الشفيق المحب يعود إلى دأماً
فيفضى منى ساعات هنية أشعر أننى قد صعدت فيها
إلى جنة السعادة . فكانت ذكريات هذه الساعات
تمحو ذكريات أويقات المذاب . وكما أتمنى لو أسعدتنى
الكلمات فاستطعت أن أوضح لك يا قارئ العزيز
مدى التفاوت بين الشخصيتين ، لملك ترى أننى
لم أكن مجنونة إذ أحببت ذلك الحب البالغ وسلمت
فى كل ما بقى لى فى الحياة : فى نفسى وفى كرامتى
الشخصية

ثم لم يكن بد من أن أقول لروجر : « يجب أن نعتد
زواجنا الآن ، يا عزيزى ، فإنى سأصبح أم طفل
صغير »

ولكنه نظر إلى نظرة المجنون وقال :

— لا ! إنك لن تقدرى !

وابيض وجهه وتقلصت عضلاته ، وأقبل نحوى
يهز يده المنقبضة هزات تهديدية عنيفة

يا لله ! لقد لبسته شخصيته الأخرى ! فلماذا
خبرته ؟ لم لم أهرب من بيته فأختفى بعيداً عنه ؟
لقد اقترب منى رويداً رويداً

وكدت أشعر بحرارة أنفاسه تلفح وجهى عندما
لكمنى بقبضته لكمة قاسية ... فشعرت أننى أهوى
هوىاً مستمراً لا نهاية له

فلما عاد إلى صوابى وجدتني راقدة فوق الصفة
وعلى رأسى قطعة من القماش مبللة بالماء البارد ،
ورأيت روجر يذرع أرض الغرفة بعض يديه ويهمهم
باللعنات

فلما رآنى أفقت وقفت ثم تناول كرسيّاً وجلس
إلى جانبي ، وكانت نبرات الغضب قد اختفت من
صوته إذ أخذ يتحدثني بلهجة رجل الأعمال ، كما لو كان
يتحدث إلى أحد مرضاه فقال :

« يجب أن نخرج أمر الزواج من حسابنا
— وهذا ما يجب أن تعرفيه — ولكنى سأرسلك
إلى مكان بعيد عن هنا حيث يعنى بأمرك عناية تامة
و ... »

وانطبقت شفتاه انطباقاً عصبياً ثم قال فى لهجة
أمر غاضبة :

« إذهبي إلى فراشك » .

آه ما أقسى آلام تلك الليلة التى قضيتها ساهرة
أفكر فيما كان وفيما سيكون ، وأنا لا أدري إلى أين
يريد أن يرسلنى روجر ولا ماذا يقصد أن يفعل بي
ثم ندمت على كل ما حدث !

ولو كان لى أحد من الأصدقاء أو الأقارب
أو حتى لو لم تكن تشوه وجهى هذه الحروق التى
كانت تنفر الناس منى لأمكننى أن أبتعد إلى مكان
ناء حيث أبدأ حياة جديدة مقطوعة الصلة بالحياة الماضية
ولو أمكن أن أموت !

ولكن لم يكن فى استطاعتى أن أموت . فإن
الروح الذى أحمله تحت قلبي يأتى على الموت ...

إذ يجب أن أعيش من أجله . ولقد كنت شاعرة أنه سيكون ولداً ذكراً ... وسيكون نسخة طبق الأصل من أبيه ، الرجل الذي قدسته وعبدته ، لا تلك الشخصية الأخرى الحفيرة التي لم تكن تعنى إلا بامتلاك جسمي المحبوب . ولقد أحسست في أعماق قلبي أن روجر سيحبني مرة أخرى من أجل ابنه . نعم على الرغم من كل الآلام والأحزان التي سببها لي والقسوة التي عاملني بها ، إذ رفض أن يتزوج مني وأن يعطي اسمي لطفلنا الذي لم يولد ، على الرغم من ذلك ما زلت أرجو عطف روجر وما زلت أحبه حباً تسرب إلى كل مكان في نفسي ، فكانت نظرة شفيقة منه أو كلمة أو حركة كافية لأن أغفر له كل ما أساء به إلى

ولكن جاء الصباح ولم أسمع هذه الكلمة الشفيقة ، وكل ما سمعته أمر قصير صاح به من الردهة أن أحزم ملابسى ، عندما دخلت جين تحمل لي طعام الإفطار . وبدا التجهم في وجهها المستدير الحنون وهي تسألني :

— هل غضب لاشيء كما فعل مع المسكين هاري ؟

ولم أرد أن تعرف المرأة الحقيقة الفاضحة فاكتمت بأن هزئت رأسي ، وكدت أغص عندما أبصرت ما تجلي على وجهها من أمارات الشفقة والعطف . وكم تمنيت لو ألقيت بنفسي بين ساعديها وأسندت رأسي على صدرها وبحت لها بقصتي المؤلمة ، ولكنني بقيت مبتعدة عنها شاعرة بأن لا حق لي في التمتع بمخافاتها

وهكذا أعددت ملابسى؛ وعند هبوط مساء اليوم التالي كنت قد استقررت في شقة مفروشة في بلدة

بعيدة تحت اسم مسز جوديت اسميث وكانت الشقة مؤلفة من غرفتين : غرفة للنوم وأخرى للجلوس وفيها حائز يحجب جهاز الغاز الذي كنت أعد عليه طعامي . وكانت نافذة الغرفة تشرف على صراع بعيدة وأشجار عالية وميدان اللعب في إحدى المدارس . وكانت تسليتي الوحيدة أن أنظر إلى الأطفال يلعبون وأسمي كلا منهم بالاسم الذي يروقني . والحق أن هؤلاء الأطفال هم الذين قد أنقذوني من جنون الوحدة

ومضى الشهر الأول والثاني قبل أن يحضر روجر لزيارتي

فلما حضر وجدته هو الطبيب المحبوب الذي أعبدته ، وكان عذب الحديث مبتهجاً جم الشفقة شديد العناية بمصلحتي

وأعددت ما يلزم للوضع في مصحة صغيرة على مقربة من البيت ، وكان يعرف طبيبها ومديرتها ، وقد أوصاني بالرياضة وقراءة الكتب المفيدة ومواصلة الانشراح وتناول الطعام الجيد . وعند ما هم بالانصراف وضع كنية من النقود في حافظة نقودي وقال : « قد تحتاجين لإعداد ملابس حسنة للطفل فاشترى ماشئت ؛ وإذا احتجت للمزيد فابشى إلى » ثم ضمني إلى صدره وقبلني في حنان قبله الوداع وقد سماني « الأم الصغيرة » تحسنت حالتي النفسية على أثر هذه الزيارة فعملت بوصايا روجر التي كتبها لي في ورقة احتفظت بها فداومت الرياضة وكلفت صاحبة البيت بإتياع ما يلزم من الأقمشة وشغلت نفسي بإعداد ملابس الطفل فكنت أخيط وأطرز وأنا جالسة إلى جوار النافذة أشرف على الأطفال اللاعبين ، وقد حيي الرجا في نفسي وأحسست أن روجر سيحب ابنه حباً شديداً

ولكنني لم أتمز ، فقد كنت أريد أن يعود لي
ولدي ، وطلبت أن أراه وإن كان ميتاً . نعم يجب
أن أراه وأقبل شفتيه الصغيرتين وأنامله الدقيقة مرة
أخرى ، ولكن روجر لم يقبل أن يجيب طلبى وضغط
زر الجرس فجاءت الممرضة فأمرها أن تعطيني حقنة
مسكنة ...

وبعد يومين عدت إلى بيتى وقد أصبحت حركة
أطفال المدرسة وصيحاتهم مهزلة في نظرى فلم أعد
أهتم حتى بالنظر من النافذة ، بل لقد كان صراخهم
يصدع قلبى ، فكنت أسد أذنى بأصابعى حتى لا أسمع ؛
ولكن على الرغم من ذلك وصل إلى أذنى صوت
غلام ينادى صاحبه باسم روبرت ، فذكرت ابنى
الجميل الصغير الذى لم أكد أسعد بوجوده حتى
خطفه الموت منى فرقد وحيداً فى قبر صغير لا أعرف
أين مكانه .

وتولانى جهود غفيف فلم آكن أكل إلا نادراً
وقد سدت شهيتى دون كل شيء ، وكنت أقضى
ليالى قلقة موحجة ولم يكتب روجر إلى بكلمة واحدة
ولم يزرنى

وكنت قد قطعت الأمل فى عودته حين تلقيت
منه تلغرافاً يقول فيه : « أعدى حقائبك فى الحال
فإنى قادم لأخذك » ، وفعلماً جاءنى الطبيب الشفيق
الذى أعبدته

ولم يأخذنى هذه المرة إلى بيته لأعيش تلك
الحياة المفزعة بين الحب والخوف بين شخصيتين
متناقضتين فى إنسان واحد ، ولكنه أخذنى إلى مسكن
صغير مؤلف من ثلاث غرف مؤثثة بأجل الأثاث
فكانت فى الحق أجمل من أن تسكنها امرأة مشوهة
مثلى ...

ولم أروجر من ذلك اليوم إلا بعد أن مضى
أسبوع على الوضع . وكان الطفل جميلاً قوى البنية ،
وكان صورة مصغرة من أبيه يحمل تقاسيمه ومميزاته .
وطفح قلبى المتعطش بحب طفلى الذى ملأ الجو حولى
سعادة ، وماذا يهمنى الآن إذا كان روجر لا يتزوجنى
وقد حظيت بهذا الولد المحبوب الذى سميت روبرت ؟
أليس فى وجوده ما يسد فراغ حياتى الموحشة !
ثم جاء روجر ولعله قد وصل فى المساء فقد وجدته
فى الصباح جالساً إلى جانب سريرى جامد الوجه تبدو
فى ملامحه أثر الحزن

وسرى خوف خفى إلى قلبى فسألته فى لهفة :
« ماذا هناك ؟ ما الخبر ؟ »
فقال هامساً :

— صه يا بنيتى العزيزة
ثم أشار إلى الممرضة أن تخرج من الغرفة
فلما انفردنا قال لى فى صوت منخفض : « يجب
أن تتشجعى يا جوديت فقد مات طفلك فى الليلة
الماضية ، إذ كان قلبه ضعيفاً ، وهذا ما يحدث غالباً
إذا كان حجم الطفل أكبر من المعتاد كما كان طفلك »
ومرت لحظات طويلة من السكون الرهيب
المؤلم ، لحظات لم أستطع بل لم أقبل أن أصدق
ما سمعت . ثم اندفعت فى زفرات قوية لم أستطع
حبسها وارتفع صوتى بالبكاء ، وملكنى حزن قاتل .
فقد كان الأمر فظيماً إلى أقصى حدود الفظاعة .
إن الحياة لا يمكن أن تقسو علىّ إلى هذا الحد : لقد
فقدت أسرتى وجمالى وابنى وكل شيء . وما كنت
لأستطيع أن أصدق أن الله يأخذ ابنى منى ! إن الله
لا يقسو على الناس مثل هذه القسوة . وكان روجر
فى أثناء هذه الحال يحاول أن يعزىنى بقوله إن
ما حدث كان هو الخير

ولما وصلنا إلى البيت قال لي في رقة وعطف :
 — هذا هو بيتنا يا ابنتي العزيزة . وهنا المكان
 الذي آوى إليه طلباً للراحة من متاعب الأيام المرهقة
 بالعمل . هنا أستطيع أن أنعم بالساعات السماوية التي
 لا أستطيع أن أجدها إلا بين ساعديك
 ثم تأملت وامتعضت امتعاضاً موجعاً لأنه لم يستطع
 أن يبقى معي ولم يضمني بين ساعديه
 وما كان أشد بلاهتي إذ لم أدرك إذ ذاك أنه
 لم يكن يحب غير جسمي ، وغير العاطفة المادية
 التي كنت أفرغ فيها نفسي بغير حذر . فهذا وحده
 هو الذي كان يغطي في نظره على منظر وجهي المشوه
 الخفيف . وعلى الرغم من أنني شككت في إخلاصه
 لي فقد ظننت أن علاقة الأبوة التي ربطت بيني وبينه ،
 وأن الحزن المشترك على ولدنا المفقود قد قربت ما بيني
 وبينه ، وأنه متى زالت الموانع المتصلة بعمله فسيترجمني
 ومع ذلك فقد كان أميناً صادقاً في ناحية من
 النواحي فإنه لم يكذب على قط . فقد كان يعلم مقدار
 حبي له ، وأنه كان كل شيء لي في الحياة التي خلت
 من الأهل والأصدقاء ، فكان يتركني أتخيل ما أشاء
 دون أن يقول شيئاً ، فكنت أؤمل أن سيأتي اليوم
 الذي يصحح فيه علاقتنا أمام الله وأمام الناس
 نعم لقد ظننت ذلك فكان شأني شأن الكثيرات
 من الفتيات اللواتي ضلن من قبل كما ضللت فأحببن
 في غير حذر ... فالحق أنني كنت أنتظر أن يتزوج
 روجر مني يوماً من الأيام ... نعم كنت أنتظر ذلك
 اليوم على الرغم من تذكرى تلك الليلة التي أخبرته
 فيها بأنني حامل فتأثر ثورته الفظيعة وخبرني في صراحة
 أن الزواج مسألة بعيدة عن حسابه . وبقيت أنتظر
 أن أرى الرجل الذي حملني على حبه يأتي إلى يوماً

وفي يده خاتم الزواج ، وعلى الرغم من أنني لم أر
 ما يشجع هذا الأمل في نفسي استأنفت علاقتي
 الماضية معه وأعطيته من حبي ومن نفسي كل ما طلب
 في غير تمنع أو حذر
 وحلت مرة أخرى ولكنني لم أحزن لذلك ،
 فقد كنت أشعر بفراغ قاتل في حياتي منذ أخبرني
 روجر أن ابني قد مات فكنت شديدة الشوق إلى
 ولادة طفل سواء
 فما شعرت بالحمل حتى تولتني فرحة منعشة ،
 وبدأت أحلم بالمستقبل وأصوره في أبداع الصور
 وأبهجها ، وانتظرت أن تسنح لي الفرصة المناسبة
 لإخبار والد جنيني بحالتي راجية أن يقابل حبيبي
 فرحتي بمثلها
 ولكن مرت الأيام متعاقبة طويلة ولم يعد روجر .
 ولم أكن أسمح لنفسي بالتفكير في الأسباب التي
 جعلت زيارته نادرة والفترات بينها متباعدة ولكنني
 عشت في حلم براق ، ثم ...
 قرأت في إحدى الصحف المحلية أن الدكتور
 روجر مكفأ لشدة حبه الأطفال قد تبني طفلاً يتيماً
 في العام الأول من عمره ، ونشرت الجريدة صورة
 الطبيب يحمل الطفل المتبنى
 ونظرة واحدة ، نظرة مرعبة كفتني لأن أعلم أن
 هاتين العينين السوداوين الصغيرتين اللتين تنظران
 إلى من الصورة هما عينا طفلي المحبوب روبرت ...
 نعم إنه ابني ، ابني ...
 وأحسست ألماً قارساً ينساب في أعصابي ،
 وخيل لي أن ضربات قلبي قد وقفت وأنه يتحول
 رويداً إلى قطعة من الثلج داخل صدري . وبدأت
 أتبين خطر الموقف كما بدأت أفهم تدريجياً كيف

لم يستطع الدكتور مكفاى المعروف بحبه الأطفال الرضى أن يقاوم حبه ابنه من لحمه ودمه وأنه أراد أن يضمه إلى صدره ويعطيه اسمه ولكن من طريق تزيد سمته وعطفه على الأطفال مكانة عند الناس فهو بهذا التبنى يعلن عن نفسه من طريق لا تجلب له الفضيحة والعار ...

ولكن أنا؟ إننى أنا الأخرى أحب ابنى . لقد تأملت من أجله طويلاً ! لقد تمتعت أسبوعاً واحداً بضمه إلى صدرى وتقبيله ثم أخبرونى أنه قد مات . وفى خلال هذه الأشهر الطوال التى حزننت عليه فيها وبكيته كان هو على قيد الحياة . فأين كان ؟ وأين هو الآن ؟ ... أين روبرت ابنى ؟ لا بد من أن أراه ... ولا بد من أن أضمه إلى صدرى مرة أخرى

ولكن كيف أصل إلى ابنى ؟ شرعت أذرع أرض الغرفة مفكرة ... وقد بدأت أفهم لماذا لم يحجى روجر منذ عهد طويل، ولماذا أرسل إلى النقود مع رسول بدل أن يحضرها بنفسه ، فهو من غير شك كان يشعر أن هذا الحادث لن يمر دون أن أرتاب فى أن الطفل الذى تبناه هو ابنى أنا ... ولكن لا بد من الحصول على ابنى ... لقد أعدت قراءة ما كتبته الجريدة التى وصفت الاستعدادات البديعة التى أعدها الطبيب لابنه بالتبنى ، وذكرت المربية الفنية التى أحضرها له ... وقضيت ساعات طويلة فى التفكير وتدير الخطة التى أصل بها إلى رؤية طفلى المحبوب

قضيت فترة طويلة فى المتنزه المقابل لبيت الدكتور مكفاى الجميل وكنت أعرف كل ركن وكل زاوية فى ذلك المتنزه الذى تروضت فيه تحت

ستار الظلام . ترقبت لأدرس كل حركة متصلة بذلك البيت الذى يضم ابنى المحبوب

ولكن يجب أن أحذر من أن يرانى روجر . فما من شك فى أنه سيعرف فى الحال هذه المرأة المقنعة ، والله وحده الذى يعلم ماذا يحدث لو تقمصت فيه إذ ذاك شخصيته الشريرة ... واضطربت لمجرد ذكرى إنفعالاته الفظيعة المتكررة ... ثم ذكرت الوسيلة التى لجأ إليها روجر فى تبني ابنه الحقيقى ليزيد فى الإعلان عن حبه للأطفال وعنايته بهم

ألا أدمر هذه السمعة المزيفة ! ألا أكشف أمر ذلك الرجل ذى الشخصية الشريرة فأعلم الناس جميعاً أن فى نفس هذا الطبيب الرقيق نفسية شيطانية مجرمة مجردة من الإنسانية ؟ !

وفى يوم من أيام المراقبة رأيت المربية تهبط درجات البيت تنقل عربة المهد الصغيرة من درجة إلى درجة فى حذر شديد ، فلما صارت فى الشارع تقدمت منها فوقفت فى طريقها وأواجه ابنى الصغير الجميل ، ولم تكن لتستطيع اجتيازي دون أن تبدى شيئاً من الخشونة فوقفت مكانها مغيظة فى تعاطف قلقت : « ما أجل هذا الطفل أسمحين لى أن أحمله لحظة ؟ »

ولكن الطفل ابتسم وتحرك فى عربته الجميلة فاصطدم بجانبها

وتولانى شئ من الضعف فأمسكت بحافة العربة وأمخنت عليها أمتع عيني بالنظر إلى وجه ابنى الجميل . وما كدت أتأمل فى تقاطيعه حتى زال كل شك فى أنه هو ولدى روبرت فمدت يدي المتلهفتين على حمله

وهنا تدخلت المربية وقالت :

— لا، لا تمسيه فإن الدكتور مكفاى لا يسمح

بذلك ...

فصحت :

« ولكنه ابني ... نعم هو ابني ... ابني ! »
ولم ألبث أن اختطفته وجريت به بين الأشجار
فسمعت صياح المربية ورأى تنادى رجال البوليس
ولكننى أمعت فى الجرى هاربة بابنى المحبوب بين
ساعدى

ولكن ذلك لم يفدنى طويلاً فلم ألبث أن سمعت
صفارات البوليس ورأى فاخفيت بين مجموعة من
الأشجار الكثيفة ولكن صيحات الطفل الخائف
كشفت عن مكانى فأقبل على رجال البوليس فأنزعوه
من صدرى وأعادوه إلى صريته ثم اقتادونى إلى مركز
البوليس ...

وفى أثناء المحاكمة تعرفت المربية على. وأما الدكتور
مكفاى فقد سلك سلوك الرجل الغريب الذى لا يعرفنى
فقال :

— لا شك فى أن المرأة مصابة بشيء من
الجنون وقد دفعها شيء من الهوس إلى ما فعلته ،
وإنى أوصى ...

وهنا انحنى على القاضى وتبادلا الهمسات بضع
لحظات ...

لم يكن هذا الرجل هو الطبيب المعروف بإحسانه
وشفقته ولكنه الوحش الذى يتهج بأيدائى فى قسوة
متناهية ، ولقد أردت أن أظهر لهم هذه الحقيقة
وأقيم عليها الدليل

ولكن لم أكّد ألفظ بالكلمة الأولى حتى
وضعت رئيسة السجناء يدها الغليظة على لتسكتنى ؛
وساعدها أحد رجال البوليس الواقف على مقربة منا

فى إعادتى إلى سجنى وأنا أصبح إنه ابني
ولم يصغ أحد إلى صيحاتى فلم تنجح لى فرصة
رواية قصتى لأن رأى الدكتور مكفاى كان نهائياً ؛
وكان خير مكان لى مصحة من مصحات المعتوهات
حيث يعنى بى العناية الكافية وإلى هناك أخذونى
ولقد أدركت أن المكان الذى نقلت إليه لا يمكن
أن يكون مستشفى المجاذيب الرسمى فى المقاطعة ،
لأن الغرف كانت مؤثثة بأثاث جميل ، وكانت الأرض
نظيفة معنياً بها ، وقد خصصت لى غرفة وقامت على
خدمتى إحدى الممرضات . وهذه فيما أظن حسنة
جديدة من حسنات الدكتور مكفاى

وما أجمل أن يقول الناس : « أتعلمون خبر
تلك المرأة التى حاولت خطف ابن الدكتور مكفاى
بالتبني ! لقد عني بها الطبيب الكريم فوضعها فى
مصحة خاصة وأمر بالعناية بها ودفع عنها ما تحتاج
إليه من نفقات ... أليس ذلك أمراً يدعو إلى
الإعجاب ... ! »

وكما حاولت أن أنتهز فرصة لرواية قصتى لمن
تجمعنى به المصادفة أو صدوا على الأبواب . وأخيراً
أدركت عقم محاولتى ، ثم أحسست الحياة الجديدة
تتحرك فى باطنى ، فقررت أنهم متى أخرجونى من
هذه المصحة إلى حيث أضع الطفل الجديد فسأكون
شديدة الحذر والحيلة حتى لا يأخذوه كما أخذوا
أخاه من قبل

ولكننى لم أخرج من هذه المصحة وكما حاولت
الخروج أعادونى بالقوة باكية صاخبة ... وعندئذ
أدركت أننى لن أبرحها ما حييت فتولانى اليأس القاتل
ولما حاولت أن أهرب فخصنى الأطباء وظهرت
حالة الجنون وهنا تدخل الدكتور مكفاى مرة أخرى

وطلب أن يتولى العناية بأمرى . وقال :

— يا لها من امرأة مسكينة ، فما من شك في أن حالة الحمل هي التي تحدث لها هذه الاضطرابات العصبية . وليس ذلك جنوناً فعلياً ولكنه خليط من الأعراض العصبية والضعف العقلي . فهي إذ تصيح أن الطفل ابنها إنما تصدر في ذلك عن تصورات وهمية يحدتها تطلع عقلها إلى ما سوف يكون في المستقبل حين تصبح أمّاً . ولكن هذه الحالة ستزول متى وضعت طفلها

وعلى الرغم من أنني نظرت إليه مباشرة فإنه لم يطرف طرفه واحدة ثم عن معرفته لي ، ولكن عيني ذلك الشيطان السوداءين كانتا تبعثان بنظراتهما التهديدية التي تبعث الرعب إلى أعماق نفسى

ولازمني هذا الجزع إلى أن انتهت أشهر الحمل وتقلت إلى مصحة الولادة التي لم أعرف مكانها لأنهم نقلوني مخفورة بتحفظ شديد إلى هذه المصحة النائية التي لم أكد أرى فيها غير وجه الممرضة الكملة وكان وجهاً متجهماً . ولم أرقط المولود الذي وضعت ولم أعرف إن كان ذكراً أو أنثى ولما استطعت أن أترك فراشى أرسلت إلى

الشاطي الغربي لأسكتلاندة طلباً للنقاهاة ، وهذا ولا شك عمل آخر من أعمال الدكتور مكفاى الخيرية ، ولكنه كان عملاً خفياً لم يعلن عنه . ورافقتني في الرحلة امرأة صامتة عبوس راقبتني مراقبة دقيقة فلم تكن تسمح لي بالنظر إلى ما يحيط بالطريق من معالم الطبيعة إلى أن أسكنتني في شبه فندق صغير فدفعت لصاحبه مقدماً أجر شهر لإقامتي وأعطتني خمسة جنيهات ثم مضت عائدة إلى لندن فيما أظن

وها أنا قد أصبحت بعيدة عن بلدى بضع مئات من الأميال وحيدة لا قريب ولا صديق . وهكذا انتهت ذكريات الأشهر الأخيرة من أتهام بالجنون إلى سجن في مصحة المعقوهين إلى ولادة ثم إلى النفى الأخير ، وبذلك انتهت حياتى كما انتهت حياة كل فتاة قبلى سلمت في نفسها من غير زواج . وبذلك قد تخلص منى روجر إلى الأبد وما من وسيلة لأن أعود إليه وأنا في هذا المكان البعيد . وليس في يدي غير خمسة جنيهات وقد دفع لي مقدماً أجر شهر للإقامة

سرت رعدة شديدة في كل ناحية من نواحي كيانى عند ما طرأت لي فكرة مقابلة الناس للبحث عن عمل ، وكيف أقابل الناس وهم ينفرون من منظرى إذا رفعت نقابى . هذا إلى أن نظرة الشفقة التي تبدو في أعينهم عند ما يرون جروحي تقع من نفسى موقع السوط الموجه . وهكذا كتب على أن أعيش وحيدة منقطعة عن الناس . وكان أخوف ما أخافه أن أعاد إلى مصحة المجانين . لذلك حفظت لسانى عن الإشارة إلى قصتى ، على الرغم من تلهفى على صديق أفضى إليه بأسرار نفسى تفريجاً لما يحز فيها من ألم وحسرة .

وكانت الساعة الوحيدة التي أنسى فيها همومى هي ساعة الغروب ، إذ يتلون الأفق بلون جميل ويصل صوت تحبط ماء البحر إلى أذنى كأنه نغمت الموسيقى المشجية . وكنت في هذه الساعات أشعر بقوة غريبة وأنا أمتع نظرى بما في الطبيعة من جمال بعيدة عن نظرات الإشفاق التي يرمقني بها الذين يرون جروحي . وهنا كنت أشعر أن الله قريب منى فأستشعر العزاء وبدأت أدرك تدريجاً أن الله قد غفر لي ذنوبى

كما غفر لمجدولين التائبين من قبل ، وأنه أحبني كما أحبها . فتعلمت الصلاة من جديد ولكن لم تكن صلاتي بالركوع إنما كانت صلاة من أعماق نفسي وكل عضو من أعضاء جسمي . فلم يكن في الوجود من هو أحوج مني إلى صداقة هذا الصديق الذي لا يتقلب ولا يتغير . فهو لا بد أن يصني إلي ويسمعني ويعزيني !

ثم تولتني الرغبة وملاً نفسي العزم على أن أعني بصحتي وأقوى نفسي ، فلا بد من أن أجد عملاً ، وسأقلب على شعوري حيال هذه الجروح التي أصابتني من جراء أدائي الواجب الإنساني ، ومتى وجدت عملاً فسأقتصد من أجرى وأعود إلى لندن حيث أطلب بابني وبالمولود الآخر الذي كنت واثقة من أنه لم يمت ؛ فإن الله لا يمكن أن يحرمني أولادي وامتلات نفسي أملاً بأن الله سيعينني بصورة من الصور على أن أضم ولدي إلى صدرى مرة أخرى وعلى أن أجعل من نفسي الأم التي يفخر بها أبناؤها على الرغم من الأخطاء التي وقعت فيها

ولما انتهت مدة إقامتي في ذلك الفندق الصغير شكرت لصاحبه العبوس ضيافتها وإن لم تكن قدمت لي في أثنائها غير الطعام والخدمة التي دفع لها أجرها ... وهبطت السلم إلى الطريق وأنا أتطلع إلى كل لوحة كتب عليها « مطلوب موظف » ولقد كنت أستجمع كل ما في نفسي من قوة عند ما أرفع النقاب وأطلب وظيفة صرافة أو خادمة في مطعم أو مساعدة في حانوت أو شيء كائن ما كان وكان الجواب الدائم على ظلي :

« لا . نحن لا نستطيع أن نستخدمك »

مع التشديد على كاف المخاطب

وكررت لنفسى المرة بعد المرة « إن الله ممي ، إن الله ممي » ولكن الأيام تعاقبت وهبطت الخمسة الجنهات إلى جنه واحد .. ثم إلى عشرة شلنات .. ثم إلى خمسة . وأخيراً ذهب البنس الأخير . وهنا شعرت بتخاذل موثس ، وعدت أتمنى الموت المرة بعد الأخرى ، وتولتني الرغبة الملحة في أن أضع حداً لحياتي التعسة . . . وخيل إلي أن الله نفسه قد تخلى عني فكانت تلك أظلم ساعات حياتي . . . ومع ذلك لا بد أن الله كان في ذلك الوقت أقرب إليّ منه في أي وقت مضى ، لأنني لم أستطع أن أقضي على الحياة التي وهبها لي

وقضيت ليلتين في إحدى المقننات العامة ولم أندوق طعاماً منذ ثلاثة أيام . وكان الضعف والهزال قد أخذاً مني كل مأخذ عند ما دخلت مترنحة قهوة حقيرة المنظر أستجدي قطعة من الخبز أقف بها ما أحس من ألم قارس في أمعائي . وإذا شعرت بأن ساقى تكادان تمجزان عن حملي أمسكت بالباب اتقاء السقوط وعندئذ وقعت عيني على لوحة كتب عليها « مطلوب مساعدة للمطبخ »

فدعوت الله أن يوقني للحصول على هذا المركز الحقير وألا يتركني في الطريق عرضة لمثل ما قاسيت من آلام

وحبست العبرة التي كانت تخنقني ودخلت متهاككة ترنحني رائحة الطعام ، وأمسكت بكرسي ونظرت حولي في ذهول أبحث عن أستطيع أن أستجديه العمل ، ف وقعت عيناى على أغلظ وأقبح وجه رأيت في حياتي

كان الرجل بديناً طويلاً أصلع مقدمة الرأس كثر الحواجب واسع الفم وقد ابتسم ابتسامة زائدة

اتساعاً ، وأردت أن أتكلم ولكن لسانى خافى وكل ما استطعت عمله أن أشرت بأصبعى إلى اللوحة المعلقة عن الخادم

فسألنى إن كنت أريد الخدمة عنده ولم يد عليه أى أثر للجزع عند ما رأى وجهى المشوه وقد بدت أمارات الشفقة في عينيه الزرقاوين

واحتبست الكلمات في فمى ولكن الأمل ملاً قلبى فهزرت رأسى إيجاباً، وزاغ بصرى عند ما رأيت خادماً تحمل آنية عليها طعام إلى أحد العملاء، وعندئذ سمعت هذه الكلمات المواسية :

— حسنأ ستخدمين عندى ، ولكن يجب أن تأكلى أولاً ، وسأعطيك ١٥ شلناً فى الأسبوع وكل حاجتك من الطعام ...

ثم صاح :

— هات يا نيملى ...

ثم توقف متردداً ونظر إلى متسائلاً ، فأدركت أنه يريد معرفة اسمى فقلت :

— جوديت هاتون

فأمر نيملى أن تقدم إلى حساء وقهوة ثم قال لى :

— ستناولين غذاء كاملاً بعد أن ينتهى ازدحام الظهيرة

والحق أن آندى المعجوز كان حكيماً فيما صنع فقد رأى على حافة الهلاك جوعاً ولم يرد أن يزحم معدتى بالطعام قبل أن تهدأ أعصابى. على أننى كنت جد متعبة ، ولم يكن فى مقدورى أن أطمع فوق ما أطمعت من الحساء . وبعد أن انتهى عمل المساء فى المطبخ كنت مجهودة فلم أستطع أن أتناول سوى قح من اللبن

وكم شكرت لأندى المعجوز كرمه عند ما تقدنى

أجر الأسبوع الأول سلفاً ؛ فقد مكننى بذلك أن أعود إلى البيت الرخيص الذى كنت أسكنه فأدفع لصاحبنه أجر أسبوع متأخر على وأجر أسبوع سلفاً ويسقى مئى بعد ذلك شلن أو شلنان . وما كان أمتع ذلك الفراش الخشن الذى نمت عليه بعد الليلتين اللتين قضيتهما فى المتزهر العام ، وبعد الساعات التى قضيتها فى غسيل الصحون . ونمت تلك الليلة نوماً عميقاً وأنا أشكر لله حنانه وكرمه . واستيقظت فى الساعة السادسة على دقات المنبه ، وقد حرصت على ألا أتأخر عن موعدى

وقضيت فى عملى هذا ثلاث سنوات أعمل من منتصف الساعة السادسة صباحاً إلى الساعة التاسعة مساءً ، وكان مرتبى يزيد تباعاً إلى أن بلغ جنبها فى الأسبوع عدا الطعام . وكم حرصت على الادخار انتظاراً لليوم الذى أستطيع فيه أن أواجه روجر مكفاى فأطالبه بابنى وبمكان الطفل الذى لم أره قط واحتفظت بعزى على ألا أقنع وجهى وعلى أن أقابل الناس غير خجولة ولا مستحيية . وبعد أن كان هذا السفر فى أول الأمر عذاباً لى ساحقاً أدركت أن النظرات القاسية وما إليها لم تكن إلا أوهاماً تخيلتها . وقد أحدث ذلك فى نفسى رد فعل عجيماً فأصبحت نفخورة بهذه الجروج التى لم تعد أن تكون شاهداً على أن الله قد تخيرنى لإيقاظ الأرواح الطاهرة العديدة التى أنقذتها من الهلاك

وأخيراً وجدت لدى من المال ما يكفى لرحلتى ذهاباً وعودة . وتكرم المعجوز آندى فنحنى إجازة أسبوع غير متسائل عن السبب

وهكذا عدت إلى المكان الذى قضيت فيه سنوات من السعادة والإثم والأحزان . وفى ثبات

وكان صوتها رقيقاً يخفف آلام سامعه فكان أشبه بنغمت الموسيقى الرقيقة في نغماتها الشجية دهشت عند سماع هذه الكلمات ، وعقدت الدهشة لساني ، فقد جردتني مقابلتها الرقيقة من سلاحى . فلم تسعفنى الكلمات على قول ما كنت قد اعتزمت أن أقوله وما جئت خصيصاً لأقوله . ولكننى لم أكن أتوقع أن أقابلها . . . امرأته ! لقد كنت أتوقع أن أقابل روجر نفسه . وقد حسبت الزوج الجميلة سكوتى اضطراباً فابتسمت ابتسامة خيرة وديعة واقتربت من الجدار فضغطت زر الجرس فدخلت في الحال خادم فأمرتها بإعداد الشاي وشعرت شعوراً غريباً وتحيرت فيما أصنع . . . فلو أن هذه السيدة كانت أقل رقة أو كانت صلفة متمجرفة أو حتى كانت أقل جمالاً ، إذن لكنت شفيت نفسى بإبذائها كما أوذيت أنا من قبل : ولكن قلبى حام حولها ؛ فقد كانت أجمل وألطف وأشفق من أن تعرض للأحزان والدموع . وإذا أنا قلت لها ما كنت معترمة أن أقول فإنما أحزن هاتين العينين الباسمتين ، وأخطط هاتين الوجنتين الناضرتين بالدموع وأزيل ابتسامة السرور عن ذلك المحيا الجميل ثم جاءت الفكرة الثائرة ، فإني وإن أكن أقبح منها شكلاً وكان كل ما في وجهى ينفر الناظر إليه ، فإننى أشعر فى نفسى بأننى لا أقل عنها مكانة وأننى أريد ابنى لأننى أحق به من كل إنسان . ولا بد لى أيضاً من أن أعرف مكان الوليد الآخر . أريد أن أضم ولدى وأن أشعر بسواعدها الصغيرة تحيط بعنقى وشفاههما المرطبة تقبل شفتى ، لقد كنت أشد ما أكون حاجة إليهما وإلى حبهما . . . فلم يكن لى فى الوجود شيء آخر سواهما

دقت جرس الباب الخارجى لبیت الدكتور مكفاى وسمعت دقات قلبى عنيفة وأنا أنتظر الجواب . وكان هذا القلب قد غمرته اللفة فهو يكاد يتفجر ثم فتح الباب وأدخلت إلى الغرفة التى كنت أكتب فيها مسودات كتاب روجر وقلبي يطفح حباً له وسعادة بقربه ترى ماذا يقول عند ما يرانى ؟ وهل تراه حافظاً شكله الذى أعرفه ؟ وهل ترى قد ابيض شعره الأسود ؟ وهل تخطط وجهه النحيل ؟ وهل لا تزال ابتسامته الحنون وأسلوبه الرقيق فى وضع يده بلطف على كتف الإنسان يواسيه ؟ وترى فى أى شخصية يكون حين يلقانى ؟ أتكون شخصية الطبيب الطيب الشفيق ، أم شخصية الشيطان الشرير القاسى ؟ ومرت الرعدة فى جسمى عند ما ذكرت هذه الشخصية الفظيعة وتولانى ذلك الخوف القديم ، فأنكمشت حيث جلست على الكرسي أنتظر ما قدر لى ولم تلبث أن دخلت من الباب أجمل امرأة ذهبية الشعر وقع عليها نظرى ، يخيل لى أنها تناهزنى فى عدد السنين وإن كانت تبدو أصغر منى سنًا ، ولم تبد منها أية إشارة ثم عن نفورها من منظر وجهى المشوه

فلما أقبلت على قالت :

لا بد أن تكونى إحدى مريضات الدكتور اللواتى لم أقابلهن ، ومن الجائز أن تكونى عميلة قديمة . وإنى لأسف أن أخبرك بنيايه فى هذه اللحظة ، فقد دعى لاستشارة فى مكان بعيد ، فقد أصيب طفل مسكين إصابة بالغة فى حادث سيارة . . . ولكننى أنا زوجته . ولعل هناك ما أستطيع أن أقدمه لك من الخدمات

ولكن الكلمات لم تخرج من بين شفتي ، وجاء الشاي . نعم سأقبل دعوتها وأزود نفسي بشيء من الغذاء فقد كنت أشد ما أكون حاجة للغذاء إذ لم أفطر ولم أتغذ .. ومتى تغذيت فسأجد في نفسي الشجاعة لأخبر هذه المخلوقة الجميلة المحبوبة أي نوع من الرجال هو الذي تزوجت منه ، وسأخبرها أنني بحكم جميع القوانين التي تميز بين الحق والباطل أنا امرأته لاهي ، فهذا ما يجب أن يكون في نظر الله لأنني أنا التي ولدت ابنه ، ولو أن هذه الكلمات النفيسة لم يقل بها أحد من ذوى السلطان

وكنت أشعر أن كل بلغة أتبلغ بها تكاد تفصني ، بينما كانت هذه المرأة الكريمة توالى الحديث بأسلوبها العذب الرقيق في مودة كأنما نحن صديقتان منذ زمان بعيد ، فأثنت على الطبيب وروت بعض معجزاته في العلاج ، فلا عجب إذا كانت نخورة به وإذا هي أحبته من أعماق نفسها — وكانت شديدة الإعجاب والحب لولديه روبرت وجودي ...

وهنا أمسكت أنفاسي ، وشعرت بألم يحز في قلبي ، إذن كانت الوليدة الثانية بنتاً وسماها باسمي . فما من شك في أنه يحتفظ بذكرى ... ولا بد أن يكون قد فعل ذلك حين كانت له شخصيته الرقيقة الحنون ... وعلى حين فجأة عاد إلى عقلي الذي كان شارداً

وقالت الزوجة :

— ولكنني أحب الطفلين كما لو كانا ابني ، وأعتقد أنني أحبهما أكثر مما لو كانا كذلك ، لأنهما يتيمان ليس لهما والدان غيرنا ، وأنا أعرف الآن أنني لن يكون لي أولاد سواهما ، إذ قدر لي أن أعيش عاقراً ، أتخمين أن تريهما ؟

وعلى حين فجأة ألحت علي أن أتناول قطعاً أخرى من السندويتش والحلوى
أتسألني إن كنت أحب أن أراها ؟ لقد طفرت الدموع من عيني وخرجت الألفاظ من بين شفتي على صورة ما فقلت في تردد :

نعم بالتأكيد إني ... إني أحب الأطفال وانتظرت حابسة أنفاسي أن أرى ولدي ودخل الطفلان الغرفة يد أحدهما بيد الآخر. وكان روبرت في الخامسة من عمره آية في الجمال فما كان أشد حناناً ساعدي إلى معانقته ، وكانت جودي تحفة من التحف المحبوبة ، وكانت أشبه ما تكون بصورة فوتوغرافية لي عند ما كنت في مثل عمرها . ولم تلبث الطفلة أن نزعتهما من يدي وأخيهما ووثبت علي ركبتى السيدة الجميلة ، وطوقت عنقها بساعديها الصغيرتين . أما روبرت فدخل دخول الرجل الصغير ومضي مباشرة إلى أن وقف إلى جانبها في أدب وتلف إلى ما سيكون من تقديمه إلي ، الأمر الذي كان يتوقمه علي ما يظهر

وقالت السيدة تقدمي لابني ضاحكة :
— هذه هي ... آه إني لم أسألك يا سيدتي عن اسمك ؟

وما أستطيع أن أشرح لماذا سميت نفسي :
— مسز سميت

وعندئذ مد روبرت يده الصغيرة القوية إلى يدي ونظرت عيناه السوداوان الصغيرتان مباشرة إلى عيني وهو يقول :

— إني مسرور جداً أن أراك يا مسز سميت فما كان أشد أدبه وأجمله !
أما جودي الصغيرة فقد انكبشت كما لو كانت

خائفة فلما ألحت عليها أمها أقبلت على تمد يدها وتقول
في لهجة الطفولة :

— ما الذي صير وجهك مضحكا على هذه
الصورة ؟

فقال روبرت :

— جودى ... عيب عليك أن تقولى هذا .
ألم تقل لك أمك ...
فقلت :

لا بأس يا صغيرتى ، إن الذى صير وجهى
هكذا مضحكا أنه احترق فى حريق هائلة ...

ثم فكرت أأكون أنا الذى أروى لابنتى
القصة الفاجعة ! وجأة توقفت عن الحديث ...
وصرت أمام مخيلتى ذكريات عديدة ... وطرأت لى
أفكار لم تكن من قبل قد طرأت

لقد ذكرت هذه المرأة الجميلة فى حياتها المهنية ،
وذكرت أن ولدى يعيشان فى كنفهما سعيدين ممتعين
بأسعد ما يتمتع به الأطفال

ورأيت غرفتى التى كانت عارية وقد أصبحت
تحفة من أبدع التحف فى الأثاث والرياش

قدرت ذلك وما رأيت من عطف هذه السيدة
وحبها لولدى ، وتساءلت ماذا يكون لو أننى رويت
قصتى وهل يصدقوننى ، وإذا هم صدقونى فهلا
أعيش دائماً كأنتى غريبة عنهم ؟ !

ثم سمعت حديث السيدة مع روبرت عما يتلقى
من الدروس المختلفة ومن بينها دروس الركوب ،
وسمعتها تتحدث عن الطفلين وهما يصليان ، وحينئذ
أدركت مبلغ الجناية التى أجنيها إذا أنا هدمت سعادة
هذه الأرواح البريئة الطاهرة !

ولم ألبث أن قلت وكأنتى امرأة غريبة أتحدث
من مكان بعيد :

— آسف يا سيدتى إذا كنت مضطرة لترككم
الآن فلا بد لى من اللحاق بالقطار . فلم يكن لى
من الوقت غير بضع ساعات ... وإنى لآسفة جداً
إن لم أجد الدكتور ... لا ... إننى لن أعود ...
لقد كان من حسن حظى أن لقينك ... وداعاً أيها
الرجل الصغير . وداعاً يا عزيزتى جودى

وبكى قلبى وأنا أودع طفلى الصغيرين وقلت :

— بارك الله عليكما ورعاكما

وشعرت مرة ثانية وأخيرة بهذه الأيدي
الصغيرة المحبوبة بين يدي تصافحني مصافحة الوداع
وعاد بى القطار إلى اسكتلانده حيث لا أزال
أعمل فى مطبخ آندى المعجوز الصديق الوحيد الذى
عثرت عليه فى العالم

ولكن أياى أصبحت سعيدة هنية لعلمى بمكان
ولدى العزيزين وتفكيرى فيهما ، وأحلامى الهائلة
حولهما ، وتصورى لهما ينموان عاماً بعد عام وسط
السعادة التى يعيشان فيها فأتصور مراحل حياتهما
المهنية كما لو كنت معهما ... وكان يزيد فى سعادتى
شعورى بأنهما سعيدان فى كنف أمهما الجميلة .
وإنى لأسأل الله فى كل وقت ألا تعرف هذه السيدة
الطيبة شيئاً عن طبيعة زوجها الشريرة ، وأن تبقى
دائماً سعيدة بشخصيته الرقيقة الكريمة ، وهى
الشخصية التى أحببتها أنا أيضاً من كل أعماق قلبى .
وكنت أدعو لها دعاء خالصاً بأن يديم الله عليهما
حبهما وسعادتهما ، وأن يبقى على حبهما وحنانها
على الولد والبنت اللذين أوجدتهما أنا فى هذا العالم
الدينوى

عبد الحميد محمدى

كيف فقدتها !!! ...

أقصوصة مصرية

بقلم الأنسة جميلة العلايلي

لنقله إلى عالم روحها حيث ينعم بنور
الطهر والجمال الروحي ، ومدت يدها
في رفق لتمسح الأذى عن صدره ،
وبعثت شمع روحها إلى روحه لتنير
ظلمات نفسه كما تنساب أشعة الفجر
في الأفق فتبدد ظلمات الوجود محاولة
أن تصهر روحه في بوتقة السمو ،
فتتخلص من أثقال المادية ليخلد إلى عالمه الأول منصتاً
إلى أهزيج الملائكة ، متنسماً شذى الجنان ، طروباً
بترجيع الحور المقصورات في الخيام ...

ولحت الفتاة في عينيها التماع الرضا والاطمئنان
بعد أن أسمعها نشيد التفاهم والوثام ، ففرحت وأيقنت
أنه انتشى بكأس السعادة التي يتمناها !

يا لجلال الرجل المحب الصادق في ناظري المرأة
كلاك رائع تراه !

ركعت الفتاة وهي تصلي طويلاً لتدعو الله أن
يحفظ لذاك الرجل قلبه نقياً ظاهراً وأن يعينها
على تغذية روحه بمواظفها ...

ثم نظرت الفتاة إلى السماء بعد أن انتهت من
الصلاة وتساءلت بدون كلام ... أترأه يسمع دعائي ؟
أينقل إليه الخيال صورة خشوعي ... ليصلي هو
أيضاً !!

ثم ابتسمت عندما تذكرت قوله : أخيراً عرفت
قيمة الحياة لما رأيتك ... أشعر بنور الله يشيع
في جنبات صدري كأن روحى بشماعها الصافي تملؤ
الوجود كله فأرى العالم وضاء !

لقد كنت حتى البارحة ، مقطب الجبين عابس
الوجه ، أتنجس في ظلمات لا أثر للنور فيها ... إلى

لم تكن تلك اللحظات التي مرت على ذلك
الرجل في ذاك المساء كالحظات الناس أو كالحظات
أيامه الخوالى .

ولم تكن فتاته كالفتيات اللاتي يعرفن الرجل
لينعمن بمظهر من مظاهر الحياة أو لينغمن ثمرة مادية
مرجوة .

لقد كانت تعيش بخيالها في دنيا تموج بالمعاني ،
وترخر بالأشباح الهائمة الرفرافة محلقة في دنيا الشعراء
لتلهمهم أناشيد الخلود وأغاريد الفرديس ، فينقلونها
إلى لغة الناس أحياناً معطرة بشذى البنفسج الذي
يتمخض عنه روض السماء في رقة تشبه نسبات الصباح
المشبعة بأريج الزهر ...

أنس الرجل إلى الفتاة لأنه كان في حاجة إلى
من تؤنسه ... لقد كان قلبه الحرب في حاجة إلى
من تعمده ، وصدره الصامت يحن إلى من يحركه
ليتكلم ...

كان الرجل مهموماً لما يعانيه في بيته وفي عمله
فشعر بجوارفتاته بفرحة روحية فرجت كربه وبددت
أساه ...

وتحدث إليها عن نفسه ، وفتح لها صحائف
صدره ؛ فتنبه قلبها ، وتحرك وجدانها ، وتأهبت

الأمس القريب كنت أعيش بدون غاية .. وكنت أرجو أن تمر عجالات الحياة بأقصى سرعتها ، كنت أشبه بعاشق فقد معشوقته وقد كانت كل ماله في الدنيا إذ كان يستمد منها (إكسير) الجمال والحياة أجل ! كنت كذلك إلى الأمس رغم ما يحوطني من مظاهر الحياة وأبهة الجاه وتوفر أسباب الحياة لدى ...

كان الرجل يخاطبها بلهجة أشبه برنين الحنين إلى شيء حبيب ، وقد تورد وجهه بعد شحوب ، وصقل وجهه بعد التجاعيد ، واعتدلت قامته بعد الانحناء ، وفاضت نظراته بالحياة والأمل بعد أن كانت خاوية الجاذبية مسلوبة التأثير مشلولة الإيماء !

أ كان الرجل يعيش في صحراء قاحلة لا ظل فيها ولا ماء ، فلما التقى بهذه الفتاة اطمان إليها وعرفها كما يطمئن الشارد التائه إلى عطف النبيل الشفوق ؟ لا . إنما طالت عليه أيام المحنة وأضناه الشقاء لحرمانه قلباً يعطف عليه ويهواه !

ولست الفتاة في نبراته رنين الصدق والطهر وطالعت في عينيه بريق العفة والنبيل .

فاطمت بعد أن ملئت قلوب الوثنيين الذين يعبدون الخصور والنحور ويحرقون أنفسهم الوضيعة بخوراً لهيكل الحب الملوث ؛ فإذا أشفقت عليهم بحكم عاطفتها الرقيقة ، وأسبلت عليهم ستار رحمتها وعطفها ... برزت أنيابهم وأظافرهم ، وظهرت وحشيتهم ، وتلاشت إنسانيتهم ، وتنبهت فيهم غريزة السلب والسطو وحاربوها باسم الحب ...

لذا عاشت الفتاة بين الناس غريبة تغتصب البسمة لتجاملهم ، وتنفر منهم كلما اشتمت رائحة الذئاب البشرية .

وقنعت من الحياة بخيال ارتضت به مؤنسأراجية أن تعثر على قلب نبيل تتمهده بمنايتها وتلقحه ببذور المحبة الصافية من أ كدار الأغراض والشهوات لتجنى ثمار غرسها مواساة وأنسا ، ولتفوز من ميدان الاختبار بواحد يسد الثغرة ويرأب الصدع ويشبع ميولها الروحية ويتقن لغتها ... لتشعر بالراحة بعد العناء وتستقر بعد الحيرة ، لتسعد ذاك الذي اصطفته من بين رجال العالمين وتدفعه إلى طريق المجد والسعادة المرجوة ، ليتغنى بمجده الزمن ، ويردده صوت الخلود ، وتنقش على جبين التاريخ بعداد من النور أبرز صفات الرجولة القوية ، لتحتل أبرز صفحات الأزل .

مرت هذه الأمانى بذهن الفتاة فابتسمت ورفعت وجهها إلى السماء مغفمة بدعاء لم يسمعه غير الله . وتكرر اللقاء ...

وتفتح صدر الرجل ...
فإذا به بقدر ما يحمله في قلبه من نبل ...
يخاف !

ولست فتاته ذات مظهر وضيع حتى يخاف أن تهتك كرامته أو تشوه سمعته ...

إنها فتاة نبيلة يفاخر كل عظيم بمحادثتها أو مجالستها ...

وبدأ ينسج من التقاليد ستاراً ليسبله على عواطفهما ... وراح يقدمها لأصدقائه ، ويبيع لها مجالسة هذا وذاك ... وعذره في ذلك أنه يبعد عنه سوء الظن والشك .

وكانت الفتاة تنفذ رغبته تكلفاً لتعرف ما وراء نيته المجهولة ...

بكرامة حبييته في سبيل مصلحته الشخصية ...
ولم نعرف محباً صادقاً يقدم حبييته إلى أصدقائه
ترضية لهم ...

إذن كان هو أيضاً يريد أن يتسلى فلما عرف
أنها فتاة روح غير عابثة تركها لغيره

ولكن الذى حيرها أن يثور ويغتاظ كلما لمحها
تخاطب غيره

ولو أنه منعها بالعنف في غير رحمة من مخاطبة
أى إنسان ، لمأنت قسوته وحمده له غيرته وآمنت
بمواطفه ...

لقد كان في نيتها أن تعمل على إسعاده وأن تمنحه
من قلبها كل حب جليل . وأن تعيش لتدفعه إلى
الطأنينة والهناء ...

ولكنه رجل مادي أناني لا يقيم وزناً إلا لنفسه
ولا يسمى إلا لراحته ...

وصعب عليها أن تمنحه قلباً عزاً على الرجال
امتلاكه وأن تتعلق بـرجل لا يفهم من الحياة غير
ظواهرها ...

فنكصت وابتعدت عنه وقد تلاشى كل ماتحملة له
من حب وأمل

ودعاها صديقه فلبت الدعوة على أمل أن هناك
ما يبرر تأكيده ...

ولما جاءته ... بادرها بقوله أخبرني صديق لي :
أنك ستزوجين

قالت : ربما

قال : كأنك مزمنة على الزواج حقاً

قالت : يحتمل

وظن كل واحد منهم أنه من السهل أن تكون
الفتاة له وحده صديقة أو حبيبة أو ما يشاء ، وراح
كل منهم يظهر لها الفيرة ويحرم عليها في تحفظ
مقابلة غيره ... وهى تتظاهر بالرضا لتبلغ قرار النفس
المجهولة ... تبسم طويلاً ... ولا يدرى المسكين
أنها تبسم تهكماً وسخرية منه ...

فما كانت فتاة مادة حتى تتبع أسباب المادة ،
وما كانت فتاة متعة حتى تبحث عن المتعة ...

وصرت الأيام تباعاً وهى دائبة على اختبار هذه
النفوس بكل ما أوتيت من ذكاء ودهاء وإحساس ...
واطمان الصحاب إليها أو على الأصح كل واحد
ظن أنه الفائز ...

عدا الرجل الأول ...

الرجل الذى أحبته حقاً وأولته من نفسها كل
ما يطمع أى رجل أن يناله من امرأة محبة مخلصه ...
عدا ذاك الرجل ... قلق وأظهر لها غيرته لكن
في غير حكمة ... كان في مقدوره أن يصارحها
بالواقع ويمنعها من مخالطة صحابه ...

ولكنه يحرص على نفسه ولا يهمه إن كانت
تذهب ضحية التقاليد أولاً تذهب مادام يرضى رئيسه
وزملاءه ...

إنه يسحبها من يدها ليقدمها إلى رئيسه ليشعره
بأنه يهتم به أكثر من اهتمامه بنفسه ... وكذلك
يفعل مع الزملاء ... وفكرت الفتاة أخيراً ...
أيجبني ذاك الرجل حقاً ؟ ...

وجاوبها القدر الساخر بضحكة نهت عقلها النائم .
فأدركت الحقيقة المرة

لم يقل تاريخ المحبين أن رجلاً محباً يضحي

قال : وإذا قلت لك لا تتزوجي

فابتسمت قائلة : وبأى حق تمنعني ؟ .

قال : تعرفين أنني متزوج

فأشارت برأسها أن نعم ؟

قال : ولكنني لم أوفق رغم حداثة عهدي به، لذا

أخشى أن يصيبك ما أصابني

قالت : وفقك الله

قال : هل لي أن أسألك عن ذلك الزوج ؟

قالت : أمن أجل ذلك بعثت إليّ ؟ ... ظننت

أن وراء الدعوة أمراً خطيراً ...

قال : وهل هناك أخطر من حياة إنسان توضع

بين يديك ؟

قالت : إنك تسكلم بسهولة عن حياة الإنسان

قال : أرجو أن نتفاهم في جد

قالت : لم أكن هازلة معك أبداً !

قال في خبث : ما رأيك في فلان ؟

قالت : أنبل منه ما عرفت !

قال وهو يتسم في غيظ : هو ؟

قالت بلهجة التأكيد : أجل

قال : أخشى أن تكوني وقعت ؟

قالت : مثلي لا تقع .. إنما تفهم وتحس

قال : المهم ... أني أنصحك بعدم الزواج

قالت : لم ؟

قال : لكي تظلي كما أنت سعيدة .. وإذا تزوجت

طبعاً حرمتنا منك ! ! ...

فضحكت متهمكة قائلة : آه فهمت ... تريد

أن تستبقيني لكيلا تحرم مني ... كم أنت لطيف

يا سيدي ... أنت متزوج وأنجبت أولاداً ... أعني أنك

نعمت بالزواج والذرية وتريد أن تنعم ...

فقاطعتها قائلاً : بالحب

فأردفت قائلة إذا تجاوزت الحقيقة وأسميته حباً

فهل تظن الحب الحقيقي يدفع صاحبه إلى موت

الآخرين ... أتدفعني إلى الهلاك وتقول من أجل

الحب ... ما أعجب حب هذا المصر المادي الحقير ...

فتلطف قائلاً : لم تفهمي مرماي ... أعني أنه

في نيتي أن ...

فلم تدعه يتم كلامه ووقفت لتخرج وهي تقول :

إبحث لك عن فتاة بدون قلب لتعيش بدون زواج لك

ولقيها الرجل الأول في الطريق، ففهم أنها كانت

عند صاحبه ، فبان الحنق من عينيه وقال بلهجة

الغليظة : كيف حالك يا آنسة ... طبعاً مسرورة

فتكلفت الرضا وقالت : كل السرور

فماذ يقول في غيظ : إنك تلعبين بالنار وتعاملين

الناس سواسية

فابتسمت في مرارة وقالت : ومن حسن الحظ

أن ناري بلا لهب محرق ... ! وأنت كيف حالك ؟

قال في ألم : على غير ما أرجو ... ظننت أنني

اهتديت أخيراً إلى مرفأ السعادة فإذا بي أزداد شقاوة

وتعاسة ...

قالت : أوه ... هذا مؤلم حقاً ... ومن تظن

سبب شقاوتك ؟

قال : في هذه الأيام أنت ... كنت أحسب

أنك ستقفين بجانبني ...

فنظرت إليه طويلاً، فحجل وأطرق، ثم قالت :

يا سيدي ... ليلة القدر تظهر مرة واحدة في العام

ولا تظهر إلا للسعيد ...

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

وكذلك فرصة السعادة تواتى الإنسان مرة
واحدة ... فإذا لم يغتنمها ويصنها فلن تعود إليه أبداً
لقد وائتتك الفرصة ... فلم تصنها ... إذن
فالذنب ذنبك

أنت الرجل صعب عليك أن تصون حب فتاة ،
فكيف تطمع في حب الفتاة ؟

طهر نفسك من أمراض المجتمع وارتفع عن
مصاف العامة ... لتعرف كيف تحيا هادئاً سعيداً
مطمئناً ...

بعد شهور تبلغ مرحلة المشيب وسوف تندم على
عمر قضيتك في ذمة التقاليد العاشمة

غداً يتنبه قلبك راجياً قلباً حانياً فلا تجد أمامك
غير وحشة الشيخوخة وقسوة المرأة الحمقاء

وغداً عند ما تطالبك عواطفك بحققها المشروع
لا تجد أمامك غير الجذب والحرمان ...

بقدر ما تحرم قلبك اليوم سيطلبك قلبك
في الغداة .

ولن تشعر إلا بمجاعة روحية هائلة تبعث الظلمة
الجالكة في نور حياتك ... لقد داعب المشيب رأسك
وغداً يشيب قلبك فهل أفرغت في صدرك (أكسير)
الحياة لتستعين به على الأيام المقبلة الجذباء ...

انعم بالمادة .. وتمتع بالركز .. وخذ من ظواهر
الحياة كل ما يموزك ... فلن يموق ذلك خفقة
واحدة من قلب يحبك ...

غداً تود لو تبيع ما تبقى من عمرك لقاء لحظة
واحدة تقضيها بين ذراعى امرأة تحبك ...

ولكن هيات ... هيات

مجلة العربي

انتقام حبيبة

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

ورأى أننى أقدر على معاملتك من
أى إنسان غيرى

ثم ضحكت ضحكة عالية وقالت : « ولهذا
على ما يظهر ظننت أنت أنه من السهل
الاحتيال على ، وفاتك أنها سهولة غالية »
فوثب « دك » مغضباً واقترب
نحوها مهدداً بقبضته ولكنها أخرجت

المسدس من جيبها وصاحت : « مكانك يا دك !
إننى عرفتك معرفة حققة ولهذا لم آت إلى هنا مجردة
من السلاح وقد تعلمت كيف أحى نفسى . إرفع
ذراعك وإلا أطلقت على رأسك رصاصة . إجلس
على المقعد الذى عندك وارفع يدك إلى أعلى »

أطاعها دك وجلس وهو مهتاج من الغضب
وظلت هى واقفة تنظر إليه بهدوء . فسألها بصوت
يهدج : « ما الذى تريدن ؟ »

قالت : « ليس لديك من الأسباب التى تدعو
إلى كراهية المستر رودويل مثل مالى من الأسباب
التي تدعو إلى كراهيتك . إنه لم يعطك إلا ماتستحقه
ولكننى لا أستحق ما أعطيتنيه . إنك خدعتنى
وسحقتنى كما يسحق الرء الحشرة تحت قدميه .
وقد تركت من أجلك كل شيء ، تركت منزلى
وأهلى ولن يقبلونى إذا عدت إليهم . وكان كل
ذلك فى مقابل هذه »

وكانت لا تزال متشبثة بالمسدس بيد وباليده
الأخرى أخرجت من جيبها ورقة وقالت : « إننى
سأقرؤها لك وإنى لوائقة من أنك نسيته وإن
كنت كاتبها . اسمع رسالتك إلى :

(٤)

أسندت ظهرها إلى ظهر الكرسي وجلست
جلسة غير المحتشم وقالت لمن يحدثها وهى تبسم :
« يظهر أنك لم تسر برؤيتى « يادك » مع غيبتى
طول هذه السنين »

فتحرك حركة تدل على الشراسة وقال بصوت
أجش : « ما الذى تعنين ؟ »

فقالت وهى لا تزال تبسم : « لقد كان عليك
على الأقل أن تشكرنى . لقد زرتك بعد عودتك »
قال بلهجة وحشية : « دعى هذا الموضوع »
فهزت كتفها وقالت : « إن أخلاقك لم تزل سيئة
كالمادة يا دك »

وتنفس بصعوبة وشد من ضغطه على راحته
بأصابعه ولكن السيدة لم تفزع مما بدا عليه من
هيئة مرعبة ، وتناولت لفافة تبغ من علبتها الذهبية
وأشعلتها وأخذت تدخن وهى تقول : « لقد كان
المستر رودويل أحذق منك فإنه عرف منذ خمسة
أعوام بواسطة أصدقائه فى دائرة بوليس اسكوتلانديارد
أنك اعتزمت الانتقام منه ومن زوجته وعرف
حق المعرفة حياتك قبل أن تسجن وعرف كيف
كنت تعاملنى وعرف أين يجدرنى وخطر له خاطر
موفق هو إرسال زوجته إلى الريف واتفق معى على
أن أحل محلها فى منزله أثناء غيابها حتى يتم تديرك

« إنني أعترف، وقد مضى وقت كنت فيه أخشاك يا دك . ولكنني الآن نسيت كيف يكون الخوف من أي شيء »

فقال : « إنني أعترف بأنني عاملتك معاملة سيئة ، فقد وعدتك وعوداً لم أفكر قط في إنجازها وقد فعلت مثل ذلك مع نساء كثيرات . ولكنني عرضت عليك ترضية مالية فمن الحكمة أن تقبلها وأن تتركيني وشأني »

لم تتغير العلام التي كانت مرسمة على وجهها وقالت :

« شيء واحد لو فعلته تتغير الحال . ولكنك لن تفعله لأنه لا موضع فيك للخير ولأنك شرٌ كلك بل أنت الآن شرٌ مما كنت . وإن انتقاماً كالذي دبرته ضد رودويل وزوجته لا يدبره إلا الشيطان وإلا أنت يا دك »

فقال ببرود : « هذا من شأنى »
فشعرت بالسأم والملالة كأنها رأت القوة التي تحاربها قوة لا قبل لها بها وصاحت منفعة :
« إننى أكرهك يا دك . إننى أكره نفسى لظنك أننى كنت أحبك فى وقت مضى وأكره أكثر من ذلك أن تتصور أننى سأحبك فى المستقبل »
ونظر إلى عينيها فوجد علامة التحذير . ولما عادت إلى الكلام كان صوتها شديد الانخفاض يكاد يكون خالياً من الدلالة على الحياة

وعادت إلى الكلام فقالت بصوت منخفض وبلهجة أشبه ب لهجة من يكلم نفسه ، وأخرجت الورقة من جيبها مرة أخرى : « إنه لمن الغريب

« لقد اكتفيت منك فلا تربني وجهك مرة أخرى » . د . ج

ثم قالت : « رسالة مختصرة جمعت كل مافى نفسك يا دك جلاندر وهذا كل جزاء المرأة التي تركت من أجلك كل شيء وتبعتك . ثمانى كلمات كانت كافية لسحق حياتى وقذف روحى إلى الجحيم فإذا كنت تنقم شيئاً من روديل فما الذى تنقمه منى ؟ ... »

كانت نظرة دك إليها وهى تخاطبه نظرة تهكم وسخرية كادت تصيبها بالجنون . وأعادت الورقة إلى جيبها وهى لا تزال تصوب المسدس إلى رأسه فقال :

« أظنك تريدن مالاً فكم تريدن ؟ »
فابتسمت كأنما الكلمة التى سمعتها منه كانت مزحة سارة وقالت : « شكراً لك يا عزيزى دك فلدى مال كثير وإن آخر شيء أفكر فيه هو مالك ... »

قال : « ما الذى تريدن إذن ؟ »
فنظرت إليه نظرة ثبات وقالت ببطء : « الذى أريده هو أن أعرف هل فى تكوين نفسك موضع واحد للتفكير فى شيء من خطاياك فىكون للأمل مجال فى تحسين الحال وأخشى ألا تكون فى نفسك عاطفة تبرر هذا الأمل »
قال مغضباً :

« أى شيء تريدن ؟ يجب أن تعرفى كيف تعاملين الرجال »
فهزت رأسها وقالت :

ألا تكلف نفسك كتابة عنوان وتاريخ لهذه الورقة «

فامتقع لونه لما رآها تفتحها مرة أخرى وتقرأ :
« لقد اكتفيت منك فلا ترينى وجهك مرة أخرى »

وقالت : « هذا قول له معنى كبير »

ثم سكتت فجأة وحدقت فى وجهه ودنت منه
والسدس فى يدها . فقال بصوت أرق من صوته
الأول : « لا تكونى حمقاء يا ليلي . ضعى السدس جانباً » .

فقلت : « ألا تدري ما الذى كان يجول بخاطر رودويل عند ما وجدنى ؟ إنه لم يخبرنى به ولكننى أدركته »

فكاد يحوله الخوف إلى قطعة من الثلج عند ما زادت اقتراباً منه وبدت على عينيها علامٌ شعور عنيف . وقال : « ما الذى تريدن أن تفعلينه ؟ »

فصاحت بمثل عواء الذئب : « أظننى سأقتلك يا دك . إننى إذا لم أستطع أن أفعل أى شىء من أجلك فى وسى على الأقل أن أمنعك عن الاستمرار فى الجرائم ضد نفسك »

وقام من مكانه واثباً وانطلقت رصاصة وتخطمت إحدى النوافذ . ووضعت السيدة السدس والخطاب على المنضدة ثم انحنت على الجثة الهامدة فقبلت وجه القتيل . وعادت بعد ذلك إلى منزلها

بعد أربعة أيام كان رودويل فى إدارة جريدة

فقال له المحرر : « لقد مات دك »

صاح رودويل : « مات ! » فقال : « نعم . لقد وجده المستر فارس مفتش البوليس قتيلاً فى غرفته . وأعلن أنه انتحر »

فقال رودويل :

« لم يخطر ببالى أن رجلاً مثله ينتحر »

قال المحرر : « إن المستر فارس قد دهش أيضاً ولكن الأمر لا شك فيه ، فقد وجدت مذكرة بخط ديك يعترف فيها بأنه اكتفى منها ولا يريد أن يراها . وهو بلا شك يعنى الحياة »

قال رودويل : « لقد فكرت فى الأمر من كل النواحي فوجدت أنه بانتحاره قد فعل أحسن ما يمكن أن يفعله »

ثم خرج من الباب وهو يقول : « سأسافر اليوم إلى إيفونشاير لأقابل زوجتى القيمة هناك منذ أسبوعين »

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف هورث الأولمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً

تخلي عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق . إنها البهيم الآدمي ، بل هي أخط من هذا وأقذر . إنها ردغة مستوحلة . هي آية من آيات الجمال البض الغريض سكنت دار الخزي والمار

كان اتصالنا في أول الأمر غريباً جيلاً .

وكان يقتلني - بين ذراعيها المفتوحتين أبداً - جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تففران في كأنما ألهب حلق العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بي مس من جنون ، فإني لأقسم أن كان لعينها هاته الألوان الثلاثة . فهما في أحايين الحب زرقاوان ثابقتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاهما تقلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفرجتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان وجفناها الفضيضان الناعسان تشرعهما في وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطربة وارية ، كانت تريدني جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا ما رأيت نظرتها هذه لدى العناق ، وأرجف حنقاً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذي تلحف الضرورة في بقاءه وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهي تتخطر في حجرتي ؛ وكان قلبي يثب لحفيف ثوبها إذ تأخذ في خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية مخجلة ، وكنت أحس من ربح غلاتها الملاصقة انحلالاً رخياً يسري في أعضائي وأطرافي جميعاً ...

مجنون ...

للطبيب الفرنسي جي دي موباسار

بقلم الأديب السيد محمد العزاوي

أبي مس من جنون ؟ أم أن مابي فيض من غيرة فحسب ؟ لست أدري من أمر مابي شيئاً ، ولكنني أكابد من العذاب ، وأمض الألم . لقد اجترمت يداي إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إن هذا لحق . ولكن ألا تكفي هذه الغيرة الراية المبهورة ، وذاك الحب النائر الخائن الملعون ، وهذا الألم الباهظ الممقوت - ألا يكفي كل هذا لأن تأتي إنعماً من الأمر وسخفاً دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إني لآسى وآلم ... وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حباً سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبها حقاً ؟ أعلقها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسي ، وحالت بيني وبين نفسي ... أسرت وصرعت ، فكنت في يدها - وما أزال - دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقند الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه ... وكنت ألث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر ... ولكنها هي ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحقرها وألغتها ، وكنت أبداً أمقتها وأحقرها وألغتها . فقد كانت كديرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت محط الفساد ومهبط السوء . إنها لحيوان فاسد مثير

إذ ظلنا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذيني وتسئمنى » ، وكان ذلك حقاً غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن غروفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتهما ، ومن عقلها الذى أستشعر دائماً عاره ؛ غيوراً من كل ما أنوم وأحدث وأرى وقد تلقانى ، صبح ليلة من ليالىنا المضطربة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة فحركات من رغباتها ... حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى المتحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخجلة وتفصح أسرار فؤادها المزدول .

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهاأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمم كما تفعل بعد العناق عادة ، ونظراتها توقدت واضطربت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحما ، واضطرب كيانهما أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منه روائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة .

وتفايت ، ولكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شيء .
وتريثت أسبوعاً ، فشهرآ ، ففصلاً . والآن

وشعرت بأنها ملتنى فجاءة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى ... وكنت أنتظر - وصدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً - أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيم على فأناله عبد ذليل ، ولكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتها الشاحبتان كليتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تتقد حواسى ويضطرم كيانى . فكأنما نار تلهبني فتستنزف كل غزى وقواى ، ولكنها حين طالعنى ذلك اليوم طالعنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقاً رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شيء انتهى ، كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وثانية !

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلاً تركتني إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أفلى أجلس حيناً وادعة ؟ ! »
حين ذلك غرت ، ولكن كما يغير الكلاب ..
أثارت ما أثارت من تريب وكتمان وحيلة . علمت حقاً أنها ما عرفت عنى إلا لتفسح مجالاً لآخر تذكى عواطفه وتلهب من حواسه ...

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولكنى لم أكن مجنوناً . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها

رأيت جهومتها قد زالت ، وتدفتت فيها حميا مبهمة ،
ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعمدتها قبل
وفي لحظة وامضة أدركت ! فما بي مس من
جنون ، وإني لأقسم أن ليس بي مس من جنون !
كيف أقص ذاك عليك ؟ كيف فهمت ؟
كيف أبين لك الشيء المبهم المقوت ؟ !

إليك ما نبهني إلى كل شيء : في تلك الليلة
التي حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة
جواد فسقطت عنه . وقد جلست ليلتها أمامي في مقعد
وثير متوردة الوجنتين ، نخمشة العينين ، مرضوضة
الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط .
لقد أدركت كل شيء حين رأيته . إنها تحب !
ولم أستطع أن أخادع نفسي !

حينذاك فقدت شعوري وكرهت أن أنظر إليها .
فتحولت إلى النافذة وهناك بصرت بخادم يقود
جواداً من عنانه يشبو ويثب ... أما هي فقد نظرت
الجواد الفتى الشاب ، وأتبعته بصرها حتى غاب
فاستلقت وغفت ...

وظفقت أبحث طول الليل في ذلك . وخيل
إلي أنني أوغل في غموض ما كنت أتوقعه من قبل .
ومن زعم أنه عجم عود النساء الأعوج ، وسبر
رغباتهن المتضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن
الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

كانت تخرج صباح كل يوم على صهوة الجواد
إلى الغاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة في

كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنها نوبة
من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت
غيوراً من الجواد النهدي الكريم ، واجدأ على النسيم
العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق في شوط سريع
أهوج ؛ وغدوت حاقداً على أوراق الشجر إذ تقبل
أذنيها عرضاً ، حاسداً لأشعة الشمس إذ تلم جبينها
من بين العصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلبس
نخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها وينويها ، ويطلق
أسارير محياها ويفريها ، وكان هذا كل ما يكدها
ويضنيها ، فتلقاني متعبة لاغبة إلى حد الإغماء ...
وأزمت الانتقام لنفسي . وكنت أتلطف معها
في الخطاب متلطفاً مدلاً ، وكنت أمد إليها يدي
لتعتمد عليهما حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها
الهوحاء المضنية . وكان الجواد يرمقني ، ثم يفحص
الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدله وتربت على
كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن
تمسح على رأسه وأصداع فمه المزبد . وكان ريحها
العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف
أريحه وسط الليل . وكان هذا المطر يختلط في أنفي
بريح الجواد الأصهب ...

وظفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد
كانت تسير كل صباح في أحراج من السدر توغل
في الغاب ... ففي يوم غدوت مع الفجر ، وفي يدي
حبل متين الفتل ، وفي صدري مسدسان محشوان ،
كأنني ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التي تحب ، وربطت
الحبل في جذعي شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبها
في الأحراج

وكثيراً ما خبرت الأرض بسمى . والآن
سمعت وقماً رتيلاً من بعيد . وبصرت بشيء من
بين الأغصان يسبح في الهواء سباحاً . آه ! ... لم
أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هي فقد
كانت نشوى من فرط السعادة حمرة الوجنتين .
وتبدلت نظرات عينيها فهي الآن طروب لموب ،
وتطلعت أعصابها من الهم ، واستراحت إلى تلك
القسوة المنزلة

ولما أن كبا الحصان بمقدمه تهشمت عظامه ،

وطرح بفتاتي بعيداً فلففتها بين ذراعي القويتين
حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على
الأرض في هيئة ورفق دنوت منه « هر » وقد كان
يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشني ، فأطلقت
عليه الرصاص في الأذن فخر صريعاً يتشحط في دمانه
الثرة . وقتلته ... كما يقتل الغريم !

ولكني أنا نفسي سقطت على الأرض وجهي
قد أدمته جلداً سوط كان في يدها . ولما أن تأهبت
لأن تلهبني بالثالثة أفرغت في جوفها الرصاص
الأخري ...

نخبرني بربك أكان ما بي مساً من جنون ؟ !

السيد محمد المزاري

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالج النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يعني القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً
وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط
وثنائه ١٢ قرشاً خلاف أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

ليلي المريضة في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلي بين القاهرة
وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ،
ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع
وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق .

يقع في ثلاثة أجزاء

وعن الجزء ١٢ قرشاً

ويطلب من المكتبات الشهيرة في البلاد العربية

الزوج التائب

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ ع. ا.

وسأذهب الليلة إلى المنزل ، ولكنني
سأعود في الغد »

قالت : « يا عزيزي ألكسندر ليس
بيني وبينك غد ، فإما أن نهرب الآن
وإما أن نفترق إلى الأبد »

فقال ألكسندر : « ... لكنني
أفكر في زوجتي وفي ابني »

قالت : « ولكن فكر في الحب فإنه أهم ،
ثم رمته بنظرة لا يمكن أن تقاوم ققبلها قبلة شرهة
يتجلى فيها الجوع والوحشية

ثم دفعها عنه وقال : « سأعود في الغد » .
وتجنب نظرها في هذه المرة حتى لا تؤثر عليه
وقال : « في الغد سأعود ثم لا نفترق » فقالت :
« أنت لم تحبني قط وإلا لما فارقتني الآن » فقال :
« أحبك »

ثم أفلت نحو الباب وهو يعطل نفسه بأن يرى
للمرة الأخيرة ابنه وزوجته ويتعطل بأنه في الغد سيعود
إلى محبوبته الجميلة ليقيم معها ما اتسع لها مدى العمر
لكنه لم ير وهو خارج تلك الابتسامة الغريبة التي
كانت تشيعه بها لوسيلا

ومشى ألكسندر إلى بيت زوجته ماري تلك
الزوجة التي لم تعرف قط ما معنى الحب والتي تزوج
منها لما زينت له سخافة الشباب صورتها فرآها
إذ ذاك كالزهرة في كها الأخضر قد أينعت وأوشكت
أن تتفتح . وكما يبتعث الشباب أمثال هذه السخافة
تزوج منها إذن وهي لدنة ميادة كالعود الندي . وفي
العام الأول من زواجهما رزقا مولوداً . ومضى نحو

« لقد وصل الأمر إلى النهاية ويجب أن نفترق
إلى النهاية »

بهذه الكلمات فاهت « لوسيلا » فشعر الرجل
بنغصة في حلقه وأحس إحساساً لا عهد له بمثله ،
ودارت به الدنيا وهو يحدق في جمالها النادر الذي
ظالما تخيله ويبحث عنه فلم يجده إلا فيها . ثم دار
بلحظه في أرجاء غرفتها المنظمة الأنيقة . وتبين
أن هذه اللحظة أحفل اللحظات في حياته بالخطر .
وقال بلهجة المتبالة : « نهرب الآن ! »

فدنت منه لوسيلا ، وشعر في أثناء دنوها بأن
سريان الدم يزداد سرعة في عروقه . ووضعت
لوسيلا يديها على كتفيه وقالت : « نعم فإن زوجتك
لا تحبك مثل حبي ، وأنت من بيتها تعيش في سجن
وسأكون لك فلنهرب الآن »

قالت ذلك وهي ترمقه ببصرها لتبين مبلغ
إرادته . فقال بلهجة مضطربة : « نهرب ... لماذا ؟ »
وكانت لوسيلا شديدة الشغف بكل ما يصعب
الحصول عليه . وأحست بشيء من السأم منه
فأرادت أن تختبر صعوبته ، فقالت وهي تبسم
ابتسامة ساحرة : « هل ستستمر ؟ »

فقال وقد زادت لهجته اضطراباً : « لقد فكرت

عام بعد ذلك وورده تذبل وعودها ييبس حتى أصبحت
أو كادت تكون كمود من الحطب . وكان منزلها
كالعش المهجور يزيد سوء نظامه كل يوم . وسرعان
ما فقد المنزل وربته بهجتها في عين الزوج فسان
يتناول معها طعام الإفطار على عجل ليسرع بالنزول
إلى السوق ويأتي إلى البيت في ساعة متأخرة فيرتدى
على الفراش لينام . وهو بين ليله ونهاره تواق إلى
رؤية وردته كما كانت أو إلى رؤية وردة مثلها في عهد
النضارة . حتى تعرف على لوسيلاً فرأى فيها مطلب
نفسه

وكان منذ ذلك الحين يزداد شعوراً بالتعاسة .
ويقلق راحته كل شيء يراه بالمنزل ويقاوم هوى
نفسه فلا يستطيع . وكان يقول إن المرء لا يستطيع
أن يعيش أكثر من عمر واحد فن الغبن أن يقضى
هذا العمر في السجن باختياره . وتشبثت بذهنه
فكرة هي أن يطلق ماري ويعوضها لما يشعر به نحوها
من دوافع الرحمة ثم يتزوج من لوسيلاً

وعند ما وصل إلى منزله في ذلك اليوم كانت
الساعة التاسعة مساءً وكانت ماري جالسة أمام الموقد
تعد فنجاناً من القهوة . فلما رآته قالت له : « إلى
الآن لم تأت بالخادم » ثم ناولته فنجان القهوة وكاد
بحكم العادة يتشاجر معها لتأنيبها إياه على عدم
استحضاره الخادم فقال : « إنني لا أرى ... »
وقاطعته قائلة : « كذلك الرجال لا يرون ... »

لكن الكسندر لم يرفأ من المشاجرة في ساعة
الوداع الأخيرة . فدخل غرفة النوم فزود ابنه بنظرة
ثم خرج فنظر إلى وجه زوجته ثم إلى ساعته وقال :

إن الوقت قد آن وإنه ذاهب على ألا يعود
ودار بلحظه في أرجاء المنزل فبداه غريباً كل
ما فيه وأحس بأنه على أهبة مخاطرة عنيفة . ثم نزل
مسرعاً وزوجته تنظر إليه ولا تنطق بحرف
وفي الصباح التالي ذهب إلى بيت لوسيلاً فقال
له الخادم بلهجة شديدة الدلالة على الفتور إن سيده
ليست بالمنزل فقال : « سأنتظرها » ثم هم بالدخول
فقال له الخادم إن رجلاً آخر قد جاء . وناولها خطاباً
فأدرك الكسندر أن خليلته كانت عند قولها وأنه لم
يكن بينها وبينه غد

وفض غلاف الكتاب فوجد نصه هكذا :
« يحزنني أن أعترف بأنني أخطأت يوم تخيرتك
لحي . ولكن من المصوم من الخطأ ؟ وقد جاءني
خليل قديم وسيقيم معي ، وأرى الأوفق لمصالحى
ولصالحك ألا نتقابل مرة أخرى . وأرجو ألا تأسف
فإن عندك ابنك وزوجتك وهما أولى بك . ولعل
في هذا الفراق خيراً »

قال الكسندر : « لعل ! » . ثم نزل عن السلم
وهو يسمعها تغنى داخل المنزل

واعتراه الدوار لما سار في الطريق ولم يعرف
كيف يعود إلى ماري ولا كيف يبقى مخلصاً لها
وحدها ويستغنى عن لوسيلاً . نعم إن الأخيرة
كالوردة الناضرة . ولكن الورد لا يبقى على نضارته
وقد كانت ماري وردة أيضاً قبل أن يمتريها الذبول
ولما اقترب من مشرب جلس ليستريح مما اعتراه
من الدوار ولبشرب فنجاناً من القهوة . وفي أثناء
شربه تذكر أن هذا اليوم هو عيد ميلاد ابنه الصغير
(ه)

فوقف منتفضاً وأمر ع إلى منزله وهو خجلان من
عزمه قبل ساعة على هجر ماري وابنه هجراً أبدياً
ومر في طريقه ببائع لعب للأطفال فاشترى لابنه
كثيراً منها واستأنف السير وهو يقول في نفسه :
« ما كان أحقنى عند ما عزمتم على التضحية بلذة
الأبوة وبالحياة الزوجية في سبيل عاهر إن سرتني
اللحظة فلنكن نخونني في اللحظة المقبلة
ولما وصل إلى باب منزله اشتد به الدوار فخال
أن أجراس كل الكنائس في المدينة تدق . فوقف
ليمك روعه ثم مشى مبطناً فرأى زوجته تسرع
إليه وتقول : « هل جئت ؟ »
قال : « اليوم عيد ميلاده »

فقلت بصوت متلعثم : « نعم ولكن ... كنت
تسكلم أثناء النوم وكنت أعرف كل عزم تعزمه »
قال : « نعم واليوم أعود إليك إلى الأبد فأين
الطفل ؟ » فقلت : « وهو نائم في غرفته بعد أن
قضى عدة ساعات في البكاء »
فذهب إليه وأيقظه فصاح الطفل متهللاً ساعة
رأى أباه : « هل داستك سيارة ؟ كانت تقول أرى
إنك لن تعود . هل رجعت لتعتمر عيد ميلادي ؟ »
واستمر الطفل يمزح وأبوه يقبله ويقول :
« الحمد لله ! إن من السخف أن نوازن الزوجة
بالخيلة ! هذه تراحه العمر وتلك للهو ساعة ... »
ع . ١٠

١ = ٣

في مصانع شركة مصر للغزل والنسيج بالحلة الكبرى آلة لاختبار متانة المنسوجات
تعرض تجاربها على كل زائر . وقد أثبتت هذه الآلة أن الثوب المصرى المصنوع في هذه
الشركة يعادل في متانته ثلاثة أثواب أجنبية — أى أن الثوب المصرى يبقى عليك زمناً
تبلى في خلاله ثلاثة أثواب أجنبية .

فاطلبوا من جميع المتاجر منتجات

== شركة مصر للغزل والنسيج ==

الغاية تبرر الوسطة

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

— خذ (بيجامتك) وهيا !
— قلت لك أحضره هنا !
ولما كانت زوجي تعلم صلابة رأسي،
فأثما خرجت وعادت وفي يدها فنجان
الشاي، وقالت :
— قم، وخذ الفنجان .
— لا .

— أتريد أن أقف هكذا ؟

— لا .

— أين أضع الفنجان ؟

وهنا دق الجرس الخارجي فتلفتت زوجي عن
مكان تضع فيه الفنجان قبل أن تذهب لتري من
الطارق ، فلم تجد أقرب من رجلي المرفوعتين
وهرولت نحو الباب

— تفضل . تفضل . إنه هنا في هذه الغرفة

— في هذه الغرفة ؟ ترى من يكون ؟ حاولت
أن أقوم ونظرت إلى الفنجان فرأيت البخار يتصاعد
منه فخشيت أن أتحرك لئلا يسكب علي ذلك الشاي
المغلي ؛ فاستسلمت لله وبقيت في مكاني ووضعت
أصبعي في أذني وأغمضت عيني حتى لا أسمع ضحكات
السخرية ، ولا أرى ما سيرسم على وجه الزائر المحترم
فتحت نصف عيني فرأيت أخي يقهقه فأخرجت

أصبعي من أذني وزفرت زفير الاطمئنان

— حسبتك غريباً

— مذنب ؟

— لا والله

— ماذا فعلت حتى وجب عليك هذا العقاب ؟

استيقظت من النوم منشرح الصدر ، صافي
النفس ... واتجهت نحو النافذة ، وأخذت أستنشق
نسيم الربيع العليل ... ونظرت إلى الحديقة المزدهرة
الوارفة ، وأخذت أسرح الطرف في جمال الكون ،
ثم رحت أذرع الحجرة جيئة وذهاباً ، نشطاً خفيفاً ،
وأخذت أصفر لحناً خافتاً ، ثم توجهت إلى الراديو
وأدرته ، فسمعت المذيع يردد : « شمال ... يمين ...
شمال ... يمين ... » ، فخلعت سترة (بجامتي) ،
وانتظرت التعليمات الجديدة التي سيصدرها المذيع
لأندمج معه في الباقي من تمرينات الصباح الرياضية
— شمال ... يمين ... شمال ... يمين ... هب
عال ... انتهت تمرينات هذا الصباح .

أقفلت الراديو بحنق ، وأنا أوجه إليه الكلام :

— لا بأس ، سأقوم ببعض التمرينات وحدي

استلقيت على الأرض ، ووضعت يدي تحت

رأسي ، ورفعت رجلي إلى أعلى . وهنا دخلت زوجي
الحجرة :

— ما شاء الله ... ما هذا ؟ هيا يا رجل إلى

الشرفة لتتناول الشاي !

— أحضره هنا

— ابنة جيراننا في شارع بين الجنان .
أظنك تذكرها ؟

— آه !

فالتفتت زوجي إلى علي وقالت :

— أهي جميلة ؟

— مدهشة

— ومتى ستزوج ؟

— لم أحدد الوقت بعد

ثم التفتت إلى وقالت : فيم تفكر ؟

— لا شيء . لا شيء . لقد شعرت بجوع فقط

— إذن هيا لتناول الإفطار

— هيا يا علي

انتقلنا إلى الشرفة ودار الحديث بين زوجي وأخي
عن حسنية وجمالها وكاملها وحسنها وأدبها ومشيتها
وزيها ولم أشارك في الحديث إلا بإيماء الرأس علامة
الموافقة على كل ما يقولون . كنت حاضراً معهما
بجسمي فقط . أما أفكاري فقد كانت تسبح في
ذكريات الماضي القريب يوم كانت حسنية ترح
وتلعب وتسهر وتفجر معنا أنا ومحمود . لقد هممت
أكثر من مرة بأن أصبح : « لا يا علي ، إن هذا
الزواج لن يكون . إنها لا تصلح لك » . ولكنني
خشيت أن أضطر لذكر التفاصيل . إن زوجي
المسكينة تعتقد أنني طفل كبير لا ماضي لي ، فكيف
أذكر أمامها الآن أنني كسائر الناس لي ماض ، بل
أمتاز عن سائر الناس بماض حافل زاخر بالغايرات
والفجور . إن غلطتي الكبرى هي أنني لم أذكر زوجي
بعد زفافنا أنني كسائر البشر لي ماض . ماذا كان
يحدث لو أنني ذكرت لها كل شيء ثم أعقبت ذلك
بقولي :

— لا شيء . أقوم بتمرينات لإزالة السمعة
فقط ...

— أية سمعة وأنت لا تزن أكثر من ٥٠ كيلو ؟

— والله لا أدري

وتعلمت في رقتي ، وأشرت إلى أخي ليرفع
الفنجان فقال :

— سأفعل

ثم رفع الفنجان وترك الطبق ، ورشف منه
رشقة ، ثم وضعه ثانية فوق رجلي وقال :

— عندي خبر سار أريد أن أسره إليك

— حسن . ارفع الفنجان لتحدث

— لا . هكذا أحسن

فنظرت إلى زوجي مستعظفاً فهزت لي رأسها
علامة النفي ، وانحنى أخي حتى أصبح فيه بالقرب
من أذني وأسر إلي بكلمة فصحت :

— أهنتك . ثم وجهت الكلام إلى زوجي :

— ألا تهنيئينه ؟ ما هكذا تقابل الأبناء السارة

— على م ؟

— لن أقول لك حتى ترفي هذا الفنجان اللعين

فتقدمت ومدت يدها إلى الفنجان وقالت

وهي ترفمه :

— أمري لله . قل

— إن علياً سيتزوج

— حقاً ؟

— هذا ما قاله لي

— ولكن ممن ؟

— آه ... لم تقل لي ممن يا علي !

— من حسنية

— حسنية ! حسنية من ؟

— كان هذا قبل أن أراك وقبل أن أتزوجك
أما اليوم فإني أدفن هذا الماضي للأبد

نعم لقد كانت غلطة كبرى ومضت فلا يجب
أن أبكي على اللبن بعد إراقته كما يقول المثل الإنجليزي
سأنتظر إلى أن يستأذن أخي وأخرج معه وأقص
عليه كل شيء، ولكن لا؛ إن هذا مما يزيد الطين بلة
لأن أخي أرعن لا يتردد في إفشاء قصتنا، وسوف
لا يمضي وقت طويل حتى تكون القصة قد بلغت
زوجي مبالغاً فيها منمقة حواشيها فأفقد بذلك سمعتي
الطيبة عند أخي وزوجتي. إذن لأبحث عن حل
آخر يحفظ لي سمعتي ويمنع هذا الزواج الشائن

قام أخي مستأذناً وسلم علينا وانصرف فدخلت
إلى حجرة مكثي وغصت في كرسي كبير ورحت
أفكر في حسنية والحل المنشود. وجدت نفسي
أقلب صفحات الماضي فرأيت بعين خيالي حجرة
استذكارى أيام كنت طالباً في السنة النهائية بكلية
التجارة ورأيت نفسي جالساً على كرسي بالقرب من
الشرفة وفي يدي كتاب (الإفلاس) أطالع فيه.
رفعت عيني عن الكتاب فرأيت في البيت المقابل
فتاة جالسة قبالي تطالع في كتاب، فلم أهتم بها أول
الأمس، وتكررت جلستي وتكررت جلستها؛ وكنت
إذا انتهيت من استذكارى انتهت من استذكارها،
وإذا ابتدأتُ ابتدأتُ، وإذا أضأت نور حجرتي
أضأت نور حجرتها، وإذا أطفأته أطفأته. وفي ذات
ليلة استجمعت شجاعتي وأومأت لها برأسي مسلماً
فأومأت لي برأسها، وتكرر الإيماء بالرأس والابتسام
والتطلع نحوها بين الفينة والفينة

وفي صباح يوم حار أخذت قطعة الحديد الصغيرة
التي أمرن بها عضلاتي وخرجت في الشرفة لأقوم

ببعض التمرينات فرأيت حسنية تظهر ثم تختفي
ثم تعود وفي يدها مكنسة ثم قبضت على عصاها
بيديها كما أقبض على قطعة الحديد وراحت تقلدني
فإذا رفعت قطعة الحديد إلى أعلى رفعت مكنستها
إلى أعلى، وإذا مددت ذراعي مدت ذراعها وإذا رفعت
قطعة الحديد بيد واحدة رفعت مكنستها بيد واحدة
وهكذا. وضعت قطعة الحديد على الأرض فوضعت
مكنستها على الأرض. أخذت أملاً صدرى بالهواء
وأخذت تملاً صدرها بالهواء. حككت رأسي
بأظفري فحككت رأسها بأظفرها. فقلت لنفسى:
يا لها من فتاة لعوب

تركت الشرفة ودخلت لأحضر قميصي ثم عدت
وأخذت ألبسه في الشرفة فمدت الفتاة يدها إلى
مشجب قريب وتناولت قميص أخيها وأخذت تلبسه؛
ربطت رباط رقبتى فربطت رباط رقبة أخيها. أحضرت
سروال بذلتى وخلعت سروال (بيجامتي) وأخذت
ألبسه فأحضرت سروال أخيها ولبسته فوق جلبابها.
أحضرت ستري وطربوشي فلبست سترة أخيها
وطربوشه فبدت في شكل مضحك، فضحكت
وضحكت، فأشرت لها هيا إلى النزول فهزت رأسها
علامة النفي ورسمت بأصبعها نصف دائرة من اليمين إلى
اليسار أي سأقابلك غداً فأشرت إليها «متى» فأشارت
بأربع أصابع ثم وضعت السبابتين متقاطعتين علامة
النصف ففهمت أنها ستقابلني في الرابعة والنصف،
فقبلت أناملي وبسطت كفي ونفخت فيها ليحمل
النسيم لها القبلة فأطرقت برأسها وهزلت نحو
الداخل فقلت لنفسى:

— يا لها من فتاة لعوب

تقابلنا وتكررت المقابلات وسهرنا وامتدت

بنا السهرات ولعبنا ولهونا وسكرنا بخمر القبلات
ووسوس لنا الشيطان فشربنا المحرمات

وفي يوم من أيام الصيف وقفت حسنية
في حجرتها ووقفت في الشرفة فأومأت إلى رأسها
وأومأت إليها برأسي محيياً وأشارت بأصبعها إلى
صدرها ثم راحت تحرك ذراعها الأيمن كما يحرك
القطار ذراعه وتتحرك في الغرفة جيئة وذهاباً
ففهمت أنها تريد أن تخبرني بسفرها فوضعت كفي
مقابلين أمام صدرى وحركتهما إلى أن أصبح
بطنهما إلى أعلى أى «إلى أين؟» فأخذت تقلد من
يسبح في الماء بتحريك ذراعها ومد رقبتها ففهمت
أنها ستسافر إلى الإسكندرية، فأشرت لها ثانية إشارة
أى مكان؟ فوقفت تفكر قليلاً ثم نظرت إلى اليمين
وأشارت بأصبعها إلى قبة جامع قريب من منزلنا
ثم هزت رأسها وصغرت وقفزت ورقصت علامة
البشر والسرور ثم أشارت بأصبعها إلى ثم وضعته
على صدغها أى «هل فهمت؟» فأومأت لها برأسي
«أى نعم» وعرفت من الجامع والقفز والرقص
أنها ستسافر إلى سيدى بشر

ظهرت نتيجة الامتحان فحزمت أمتعتى وسافرت
إلى الإسكندرية، وعلى وجه التحقيق إلى سيدى بشر.
نزلت بمحطة سيدى جابر في الساعة مساء ولم أفكر
في أن أبحث عن مكان أضع فيه أمتعتى بل أسرع
إلى الكورنيش، وكان يعمج بالناس عجيجاً ورحت
أتفرس في وجوه المارة لعلى أعثر على حسنية. سرت
إلى أن كنت قدماى وتعبت عيناى من كثرة
الانتقال من وجه لآخر، فتركت الكورنيش وذهبت
إلى بنسيون وضعت فيه أمتعتى واسترحت قليلاً،
وغيرت ملابسى وخرجت أستأنف البحث في الملاحى

البعثرة على الكورنيش. دخلت كازينو الشاطبي،
وبيلافتا، ولما لم أجدها توجهت إلى سيدى بشر
وملاهيته، دخلت الميزونيت والمياى وبحث وتقت
ولكنى لم أعثر عليها. سرت على الكورنيش يائساً،
وعند بقعة هادئة مظلمة لحت شاين يتعانقان فاقتربت
منهما بدافع الفضول. نظرت إلى الشاب ونظر إلى
وصاح: أهلاً. أهلاً. عدلى ومد إلى يده مصافحاً
وقال: متي جئت إلى الإسكندرية؟

— الآن فقط. كيف حالك يا محمود؟
ثم التفت إلى الفتاة، وقلت لها بصوت هادىء:
— مساء الخير يا حسنية
فردت على بإيماءة؛ فقال محمود:
— أصدقاء؟ لا لزوم لوساطتى في التعارف إذن
— أظن ذلك
وسرنا على الكورنيش نحن الثلاثة، وشهدت
الإسكندرية وملاهيها وشواطئها وقواربها ومنزلاتها
وآثارها

تعللت في كرمى بحجرة المكتب، وأخذت
أتمم: هذه هى حسنية التى يرغب أخى في الزواج
منها. إن هذا لن يكون، سأبذل كل ما فى جهدى
وسأتبع الطرق المشروعة وغير المشروعة لأمنع
هذا الزواج. سأذهب إلى محمود لعلى أجده عنده
مخرجاً!

نهضت ولبست ملابسى وتوجهت إلى محمود،
وفي الطريق خطر لى خاطر، ولكنى ترددت
في تنفيذه، وقام في نفسى صراع بين الإقدام
والإحجام، وأخيراً وطنت العزم على تنفيذه،
ورحت أطمئن نفسى بأن الغاية تبرر الوسيلة

— لا غرابة في ذلك فهو « مقطف » كما كنا
نسمى الرجال الخام

— دع عنك المجون الآن

— ماذا تريد مني أن أفعل ؟

— سأدفع لك ثمن تذكريتين لتدخل بهما
أنت وحسنية إحدى دور السينما كما سأدفع لك ثمن
تذكريتين لي ولأخي على أن تختار مقعدينا خلف
مقعديكما مباشرة

وفتح باب الحمام وخرج محمود ومد يده وقال :
« هات »

فدَدْتُ يدي في جيبى وأخرجت ثلاثين قرشاً
— خذ . اختر المقاعد في طرف الصالة واختر
يوماً من الأيام الراكدة — الأربعماء مثلاً — فاهم ؟
— كل الفهم

دخل أخي حجرتي وقال : ألم تلبس بعد ؟ هل
عدلت عن الذهاب إلى السينما ؟

— لا يا عزيزي

— الساعة السادسة والرابع

— لا بأس ... إني أحب أن أدخل السينما
متأخراً كالناس العظام

— أوه ؛ ألا زلت « قنزوحاً »

لبست ملابسى وتوجهنا إلى السينما ودخلنا
في الظلام واحتلنا أما كننا . مال محمود على حسنية
فلكزت أخى وأشرت له إليهما فهمس : « دعهما »
فهمست « يا لك من عاشق لا تحب أن تفسد على
الماشقين صفوة ساعاتهم ... »

مال محمود عليها وطبع قبلة صامتة على خدها

طرقت الباب ، فسمعت صوتاً آتياً من بعيد
يسأل عن الطارق :

— من ؟

— أنا عدلى

— أنا في الحمام الآن ، ادفع زجاج الباب ، ثم
أمدد يدك من بين القضبان الحديدية ، وافتح الباب
ففعلت ذلك ، وفتحت الباب ، ودخلت ،
وتوجهت نحو الحمام :

— محمود

— أفندم

— لى عندك حاجة ؟

— ما هى ؟ !

— سأنتظرك حتى تنتهى

— حسن

— اسمع !

— ماذا ؟ ألم تقل إنك ستنتظر

— ألا زلت تقابل حسنية ؟

— مالك ولهذا ؟ لقد تزوجت وأصبحت من

عباد الله الصالحات

— أجب ودع الهذر . ألا زلت تقابل حسنية ؟

— أهنئك الشوق ؟

— أوه . أجب !

ففتح محمود باب الحمام وأطل برأسه بعد أن رفع
يده بالتحية العسكرية وقال :

— فى كل وقت يا أفندم

— حسن !

— أى حسن فى ذلك ؟

— إن أخى يرغب فى الزواج منها

— لا ، ليست خطيبتي لقد كنت أعمى
ورن الجرس في الردهة لينبه المشاهدين إلى قرب
استئناف العرض فجذبت أخى لنخرج فقال :
— لا ، سأبقى إلى نهاية الحفلة وسأريها نفسى
حتى لا تحاول أن تلاحقنى بعد الآن ، ثم أسرع
نحو مقعدها ومصر من أمامها ونظر إليها نظرة أودعها
كل احتقاره وعاد إلى مكانه بجوارى
شعرت براحة ، وغمرنى السرور ، لأنى استطعت
أن أحافظ على سمعتى الطيبة ، وأن أقطع علاقة أخى
بها . ولما أضيئت الأنوار أسرع أخى بالخروج ،
فالتفت إلى حسنية ومحمود ، ورفعت ذراعى ، ولوحت
لها بيدي إشارة « الوداع إلى الأبد »
عبد الحميد مودة السمار

فهمست لأخى : « يا للوقاحة ! إنه يقبلها »
— لعلها خطيبته
— خطيبته ؟ يقبلها هنا . إنها وقاحة
أضيئت الأنوار في فترة الاستراحة ، فتطلع أخى
إليهما فشحب لونه ، وتغيرت هيأته ، وأخذ يشهق
ويزفر بصوت مسموع ولم يستطع أن يخفى اضطرابه
فسأله ما به ، فأجاب :
— لا شىء . . . تعال نخرج من هنا
خرجنا إلى الردهة الخارجية فكررت عليه
السؤال فهمس « إنها حسنية »
— من هى ؟
— تلك التى كان يقبلها
— حسنية خطيبتك ؟

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
العصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنقولة .

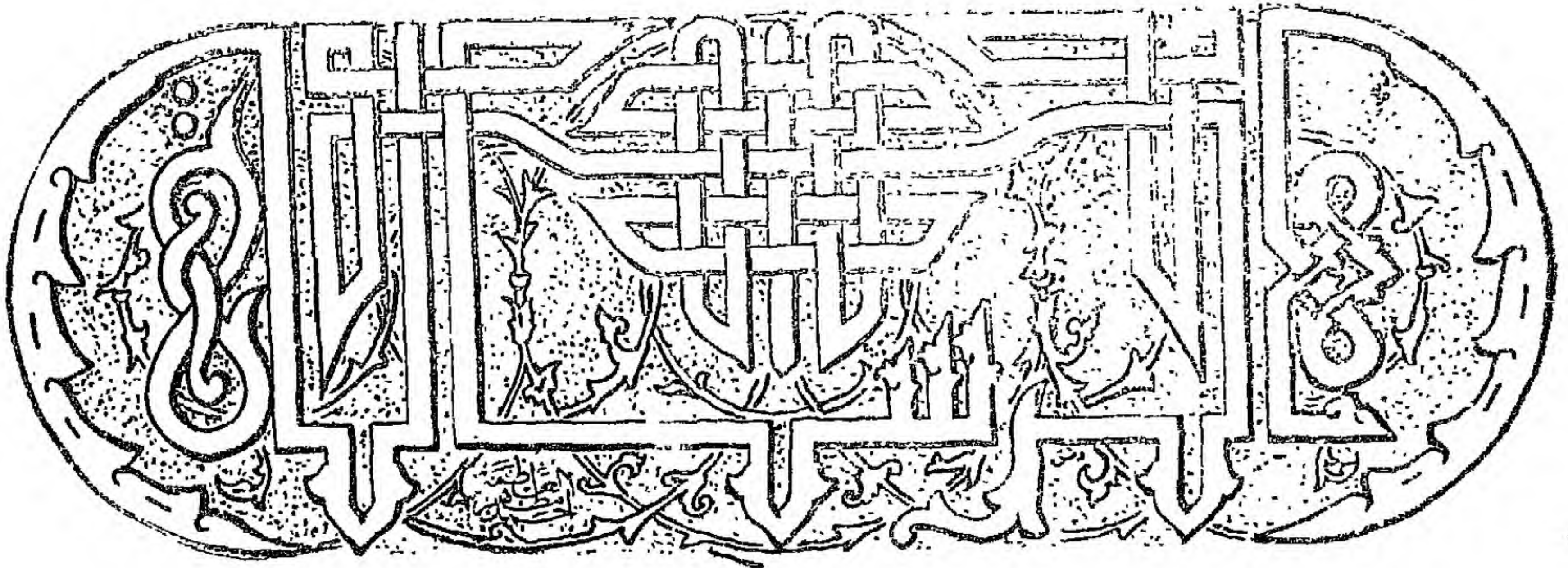
المن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالثمانية الاثنية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش
في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون
قرشاً في الخارج عن كل مجلد

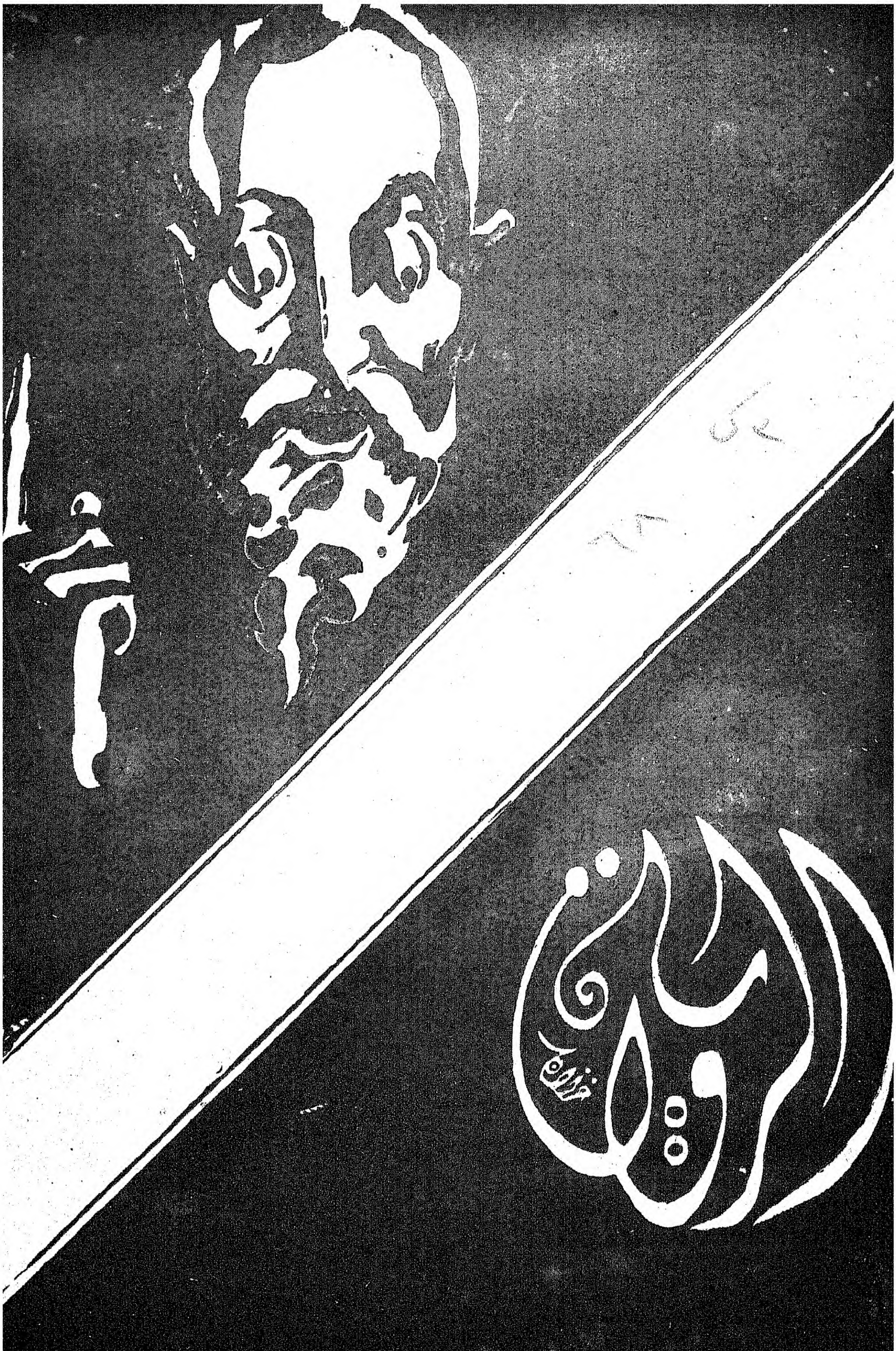


مكتبة الادب الرفيع والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على عهدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهير العبقرية للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهير التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجموعة أعداد هاديون العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

لاشتران الاغني سون قرنا ، والحاجي مايساري جنيها مصرية ، وللبند العربية بخصم ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	عن العدد الواحد

الادوية

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

مرویه

مجلة الأسبوعية للقصص والسير

نصبر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

٤ شوال سنة ١٣٥٨ - ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٨



فهرس العدی

صفحة	١٠٥٨	قلامة ظفر	أقصوصة	بقلم الأستاذ صديق شيبوب ...
١٠٦٣	إنك لا تستطيع أن تضع حداً للمحب	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
١٠٧١	البلستان المسحور	للكاتب الايطالى بوكانشو	بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ...
١٠٧٣	الخاطبة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١٠٧٦	حزمة الرسائل	للكاتب المجرى بوراس جوكاى	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ..
١٠٨٣	القصص الثلاثة	عن الفرنسية	بقلم الأستاذ (ع . ا)
١٠٨٦	العاشقة الصغيرة	أقصوصة مصريه	بقلم الأديب عبد الحليم العشيرى ...
١٠٩٢	الفاحرة القديسة	للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد	بقلم الأديب سامى أحمد الناقص ...

أخي ، إذا زرت مرة « سوق الغرب » وانتقلت منه إلى بلدة « عاليه » في الطريق الذي يعلوه الجبل من ناحية وينفسح أمامه المنظر من ناحية أخرى منحدرآ إلى « بيروت » فالبحر ، ذلك الطريق الذي يمر منبسطاً على « عين السيدة » ثم لا يلبث أن يسير ملتويًا صعداً نحو عاليه ، فإذا أخذت ترقى معه

قف عند المنعرج الثاني منه وتأمل هذا الصخر العظيم الذي يعلو الطريق كأنه بذل مرغماً جزءاً منه للسابلة ، قف هناك واذكر أن صديقك (...) قد فقد في مساء يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٥ نصف ظفر من وسطى أصابع يده اليمنى أراك تبسم وأنت تطالع هذا الكلام حتى لتحسبه لغواً ، ولعلك تتساءل ماذا يهمني الظفر المكسور وما قيمته . وقديماً قالت العرب للدلالة على تفاهة أمر من الأمور إنه لا يساوي قلامة ظفر. وكأنك تقول إنه ابتداء يهذي ، لا شك أنه يطلب أن أقيم نصباً لظفري الصريع ... أو أن أعلق لوحاً في هذا المكان كالذي يضعونه عادة تذكيراً للناس بجلال الحوادث وعظائم الأمور ، وأين قلامة ظفري من هذا ؟

عفا الله عنك يا أخي ! لم أبغ شيئاً مما تتخيله ، ولكنها ذكرى طيبة جالت في خاطري ، وحادث أفهمني كيف تجتمع اللذة والألم في نفس واحد ، فيتزاحمان ويتصارعان في قلب ضيق المسالك ضعيف القدر واسع الإحساس كبير الغايات

ولعل من الخير أن أبدأ الحديث من أوله

إلى صديق ...

قلامة ظفر ...

أقصصة

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

تطالمني رسائلك في كل أسبوع حاملة أخبار تنقلك بين قرى لبنان ووصفك لجمال الطبيعة المنشور أمامك في سطور كثيرة التمازج ، وصور مختلفة الألوان والأنواع ، وليس كالطبيعة غانية تستبدل غلائلها وترتدي في كل ساعة من ساعات النهار والليل ما يطابق جمالها . فهي في الصباح بيضاء كقلب العذراء التي لم تلم بها نظرة دنسة من نظرات الرجال ، ثم لا يلبث هذا البياض أن يشع بهجة ويتقد حرارة كوجه حسناء أصابت مرماها وبلغت غايتها من الحب ... ولكن مالي أصف لك عن بعد بعين الخيال والذكرى ما تراه قيد نظرك حقيقة واقعة ؟ فانعم بالأصيل يجرر على الجبل مطارف موشاة بوهج أحمر قان ، وبالليل يرخي سدوله كأنه جبار من مردة يضم بين ذراعيه حبيبة مثله جسماً وغموضاً وهو ينثر على صدرها العظيم لآلي نيرة بارعة

مارأيت مرة هذه الطارف التي ترفل بها الطبيعة إلا ذكرت الصورة التي رسمها لها ابن الرومي في بيت من الشعر أرويه عفو الذاكرة الضعيفة ، وامله :

لقد تبعدت في رواء وخفر

تبرج الأنثى تصدت للذكر

وصلت لبنان في أواخر شهر يوليو من تلك السنة ، وكان أحدهم قد نصح لي أن أقصد هذه الناحية من الجبل فأقضى فيها شهراً أو نحو الشهر قبل أن أرقى إلى مصايفه المرتفعة

وقد كان . وحلت في نزل هناك . وكان النزل إلى قسمين : قسم أصيل تحوط غرفه بهو واسع ، وقسم ملحق مؤلف من أربع غرف متلاصقة أمامها شرفة . فأفردت لي غرفة في الملحق رجاء أن أنعم بالراحة التي كنت أنشد لها وقتئذٍ بعيداً عن ضوضاء النزل وجلبة من فيه

وكنت في صباح كل يوم أستيقظ مبكراً فأجلس في الشرفة أتأمل شمس الصباح تداعب أشعتها اللجينية قمم الأشجار وتتكرر على صفحات البحر الممتد في الأفق البعيد ممتزجاً به حتى لتخال البحر سماء والسماء بحراً ، أو كأنهما جيبان قد ألفت بينهما لذة القبل الطويلة والهوى المتواصل

وكان أصحاب الغرف الأخرى ينضمون إلى فتعجاذب أحاديث بين الطيبة والمرة . وهنا يجب أن أحدثك عن هؤلاء الجيران الذي جمعتني بهم الصدفة . وأعني منهم شخصين كهلاً وفتاة

أما الكهل ففي نحو الخمسين من عمره مديد القامة ، ضخم الجسم في شيء من الترهل ، في ظهره حدة صغيرة ينبت منها رأس كبير . وكثيراً ما تساءلت وأنا أنظر إليه ، لأنه كان حرياً بالدراسة من الناحيتين الطبيعية والأخلاقية : أهو قبيح المنظر أم بين بين . في عينيهِ الواسعتين جحوظ غريب يزداد بروزاً كلما نظر إلى امرأة ، لأنه كان يخيل لي أنه

لا ينظر إلى أنثى إلا بعين الشهوة الجامحة ، فتتسع حدقاته ويزداد جحوظ عينيهِ ويلمعان بريق عجيب كأنه ينسى أمام السيدة التي يتحدث إليها كل شيء إلا أنه رجل يطارد أنثى ليقطنها . ولعل أجدادنا من قبل التاريخ في عصر الحجر أو غير عصر الحجر لم يكونوا غير هذا الرجل ، أو لعله واحد منهم أفلت من عهدهم العريق في القدم وانحدر إلى عصرنا المتمدن الذي يحاول اقتناص الإناث بوسائل بعيدة عن هذه البهيمية الجامحة .

وأما الفتاة ، ففي منتصف العقد الثالث ، ممتلئة الجسم كنيزة ، ليس فيها رشاقة الفصن الأملود ، أو براعة الرمح الأهيف كما كانت العرب تصف جمال القوام ورقة الجسم ، فكانها قد قدت من جذع شجرة بما في جذوع الشجر من متانة واكتناز، سمراء اللون ، دقيقة العينين ، فيهما مزيج من سواد الليل وإبراق النجوم ، سوداء الشعر فاحته .

كانت هذه الفتاة ، واسمها « جانيت » (وكنا ندعوها تمليحاً : الآنسة « نيت ») ، عاملة في أحد المخازن الكبرى بالقاهرة ، وكانت تربط أسرتهما بصاحب النزل روابط صداقة قديمة العهد فأرسلوها إليه لتقضى شهراً تستجم فيه من عناء العمل المضني الذي تقوم به فتيات المخازن عندنا إما وقوفاً طول النهار على أقدامهن ، أو سعيًا لخدمة الحرفاء في سبيل كسب زهيد .

وكانت أخلاقها كأخلاق أكثر العاملات ، تجمع بين النقيضين النعومة والخشونة ، والحياء والجرأة ، وطيبة القلب وقسوته ، والتبذل والتصون

سوف يطوف الحديث حول هذين الشخصين
لذلك أقف الوصف عندهما مخافة أن يطول الشرح
وتضييع معالم ما أقصه عليك

كنا نجتمع في صباح كل يوم في الشرفة
التي ذكرتها لك . وكان الحديث ذا شجون
كما يقولون ، وأكثره عن القاهرة ومصر . وكان
« سليم » وهو اسم صاحبنا الكهل يعرض في
أحاديثه للأخلاق في القاهرة ، ولعلمي نسيت أن أقول
لك إنه من سكان العاصمة ومن أصحاب الأملاك
الذين يعيشون بدخلهم . وكان يروي الأقاصيص
عما صادفه فيها من مهاو للفضيلة ، فلا يلبث أن
يقوم بينه وبين الفتاة خصام عنيف أحاول أن
أفضه بالتي هي أحسن

وانتهى الأمر بأن تقاطع « سليم » و « نيت »
ولكنهما ظلّا يشهدان المجلس مع كل صباح ويتحدث
الواحد إلى الآخر عن طريق إذا صح هذا التعبير ،
أي أنهما كانا يوجهان الحديث إلىّ بينما هو في الحقيقة
موجه من أحدهما للآخر

وصرت محيراً بينهما . وقلت لهما مرة إنني أخشى
أن تتشاكما عن طريق أيضاً فتنصب شتائكما على ..
ولا أكتفك أني بعد عشرة أيام من إقامتي
بالجبل ألفت « نيت » حتى صرت لا أرتاح إلا إلى
مجلسها ، وصارت ترافقني أينما انتقلت لجلس لذيذ
طيب المعشر ، وكأنها أمنت جانبي فلم تستعمل معي
غير سلاح الأنوثة ، وهو أفعل في النفس والقلب
من أي سلاح آخر

وكنت أدافع « نيت » عن نفسي متظاهراً

بأنني أقيم علاقتي معها على أساس الصداقة . ولكن
أثوتها كانت تدلها على غير ذلك وتجعلها تحس
من ضمني ما تتسلح به ضدي لتحملني على عمل ما تريد
وفي إحدى الليالي قالت لي « نيت » : هلم بنا
نمض إلى عالية مع جماعة من الأصدقاء

قلت : أنت تعرفين أنني تعب لا أقوى على تسلق
الطريق الصاعد وأخشى أن تنهزل صحتي
قالت : لست صديقاً مريحاً ، إنك لا تلي لي
طلباً مهما كان صغيراً

لا أذكر ماذا دار في خاطري وقتئذ ، ولكنني
ضعفت أمامها وقلت : لك ما تريد ، ولكن إذا
شعرت بشيء من التعب في الطريق ركبت أول
سيارة تمر وانتظرتكم في المقهى بعاليه
ورضيت « نيت » بهذا الشرط

كان القمر في نصف اكتماله تداعب أشعته
الفضية قمة الأشجار النابتة في سفح الجبل فتضفي
عليها ألواناً بين القاتمة والزاوية وتبرزها في أشكال
غريبة . وكانت أكوام الضباب تتسلق الجبل متريثة
متمهلة تنشر الظلام أينما حلت كأنها تفصل هذه
المواضع عن الفضاء الواسع الممتد أمامنا ظلوفاً وزولاً
وتحولها إلى حفر سحيقة مظلمة . فإذا وصل إلينا
شيء من الضباب صرنا كأننا في ظلام دامس
واضطربنا للسير إلى جانب الطريق

وامتد بنا السير وأخذ الطريق يتسلق الجبل
ولم ألبث أن شعرت بشيء من التعب فتوقفت عن
المشي وقلت : أنتظر السيارة كما اشترطت
ورأيت في عيني « نيت » إيماءة غضب

وقد انحسرت عن عنق فتان في سمرته ، واستدار
نهداها في بروزها من تحت الغلالة الحريرية التي
تكسوها

جلست « نيت » إلى طرف السرير تسألني عن
حالي وتعتذر عما بدر منها . وكان الكتاب الذي
كنت أطلع فيه لا يزال إلى جانبي ، فارتعت بجسمها
على السرير ، ومدت يدها لتتناوله ، فظهرت خطوط
هذا الجسم البض مثيرة ، وأردت أن أساعدها فددت
يدي لأناولها الكتاب ، فالتقت يدي بيدها فإذا هي
دافئة ناعمة ، وإذا يدها بيدي ، وإذا هي بالقرب مني ،
وإذا هي بين ذراعي تحاول أن تنسيني بقبلايتها الحارة
ما ينتابني من ألم

آه يا صديقي كيف أصف لك ليلتي تلك بين ألم
يحز في جسمي ولذة تغشي نفسي . كانت كل حركة
تقوم بها يدي لتطوق هذا الجسم الرخص الناعم الدافئ
الذي لم يكن يكسوه غير الثوب الحريري الذي
ذكرته ، كانت كل حركة مبعث ألم ممض ولذة قوية
وكانت « نيت » كلما طالمت في وجهي ما يرسمه الألم
من انقباض زادتني إقبالا ...

عند ما غادرت « نيت » الغرفة كان الليل يولي
الأدبار أمام الفجر الطالع حاملا إلى الطبيعة بشرى
قرب بزوغ الشمس ، وكان القرويون قد هبوا من
مضاجعهم ، وحمل الهواء أصوات تناديهم في غدوهم
إلى الكروم

لملك تريد أن تعرف كيف انتهت علاقتي بهذه
الفتاة . لا أدري هل عملت وقتئذ بقول أبي الطبيب
« إن متلف الشيء غارمه ... » ولكنني فهمت بعد ذلك

قال الجميع : لك ما تريد . سوف نلحق بك في
المقهى بعد لأي

ورأيت سيارة قادمة فأشرت إليها بالوقوف ،
فوقفت ، وتأدبت مع الرفاق فسألهم هل بينهم من
يريد الركوب ، ولشد ما كانت دهشتي عند ما رأيت
جميع السبعة يتسابقون إلى السيارة قبلي . قال سليم :
« سأركب بجانب السائق » . وقالت « نيت » :
« وأنا سأركب بالقرب منك » . وقال السائق :
أرضي بأن أنقلكم جميعاً إلى أول المدينة فاجلسوا
كما تريدون

كنت آخر من رقى السيارة ، وبينما أضع يدي
على العמוד الذي يفصل بين باب المقعد الذي يقرب
السائق والباب الآخر إذا « نيت » تغلق الأول
على بعض أصبعي ، فلم أشعر بألم ، ولكنني أحسست
بأن جزءاً من ظفري قد هوى إلى يدي اليسرى

لما خرجت من الصيدلية حيث ضمد جرحي
كنت حاتقاً على جميع الرفاق لأنهم ، بتهاقهم على
ركوب السيارة بعد أن أظهروا رغبتهم في السير
على أقدامهم ، كانوا سبب جرحي وشعوري بالألم
الفظيع الذي يحز في يدي . فأخذت سيارة وعدت
وحدتي إلى النزل وتركهم حيث كانوا

لم يزر الكرى عيني إلا غراراً لشدة الألم .
وكنت كلما طال بي الأرق أترت الغرفة لأطلع
في كتاب لعل اهتمامي بالقراءة يشغلني عما أنا فيه .
ولم يرعني عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل
إلا باب الغرفة يقرع قرعاً خفيفاً وصوت « نيت »
يناديني همساً بأن أفتح . ففتحت ، ودخلت . وكانت
في (بيجاما) زرقاء ذات خطوط بيض عريضة ،

لأنها كانت أول من سألني عن سبب انتقالى إلى مصيف آخر

ولم ألق هذه الفتاة بعد ذلك . وأنت تعرف أنى لم أسافر إلى القاهرة منذ سنين . ولعل أهم الأسباب التى كانت ولا تزال تمنعنى من السفر إليها خوفى من أن يقودنى « بلهى » إلى حيث تعمل « نيت »

هذه يا صديقى حكاية ظفرى الذى فقدته فى الطريق الصاعد إلى عاليه من عين السيدة ، وإذا سألتك أن تذكرنى عند مرورك بهذا الطريق فلاأنى أردت أن أدلك إلى ما يولده الألم واللذة من عنف فى نفوسنا خصوصاً إذا اقترنا بشيء من البله

صديقه شبيب

« اسكندرية »

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب فى اللغة العربية عالج النقد الأدبى بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة . بناء المؤلف على نقد كتاب (فى الأدب الجاهلى) للدكتور طه حسين ، ولكنه استطراد لدرس مسائل مهمة فى قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث حتى جاء الكتاب مرجعاً فى هذا الباب ونموذجاً فى هذا الفن . وهو فى الوقت نفسه يغنى القارئ عن كتاب (فى الأدب الجاهلى) لأنه لخصه تلخيصاً وافياً .

يقع فى ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

وثمنه ١٢ قرشاً خلافاً أجره البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

أنها قصدت مؤاساتى عما أصابنى بسببها

أما فى اليومين التاليين فقد حاولت أن اتصل بها

من جديد فكانت تعتذر بأعذار واهية

وفكرت أنه أصبح لكل واحد حقوق على رفيقه يجب أن يراها ، ولكنى كنت واهماً . ولم أفهم ذلك إلا بعد لآى

راقبت « نيت » عن كذب أياماً معدودة ، وكان الخصام لا يزال على أشده بينها وبين سليم ، وكانا على عادتهما فى توجيه الحديث أحدهما إلى الآخر عن طريقى . وجرى وقتئذ حادث عجيب حقاً لم أستطع تفسيره ولا أكنتم عنك أنى لا أزال فى حيرة من فهمه كنت قبيل ظهر أحد الأيام فى غرفتى أطالع الصحف التى كنت ترسلها إلى بين الفينة والفينة ، وكنت أسمع حركة فى الشرفة وصوت أقدام وهمس ألفاظ ، فلم يخامرني شك فى هذا

ودق جرس الغداء فخرجت من غرفتى فرأيت سليماً يغادر غرفة « نيت » ، وهو يمسح بمنديله أثر الأحمر الذى خلفته شفتا الفتاة على شفثيه . ولا أصف لك انفعالى أو الطريقة التى سألته بها عما يفعل ، لأنى كنت قد فقدت صوابى ، وقد أعادتني إلى الصواب نظرة تهكمية طالعتها فى عينيه الجاحظتين وقوله لى فى ابتسامة فظيعة « يالك من أبله ... » نعم كنت أبله ، لأنها هى الكلمة بعينها التى قالتها لى « نيت » عند ما سألتها ماذا كان يفعل سليم فى غرفتها قبل الغداء . « إنى أبله » لأنى لم أفهم شيئاً من نفسية هذه الفتاة اللعوب

وفى اليوم التالى حرمت أمتعتى وغادرت المنزل

بين استغراب الجميع وتمعجبهم ، وفى طليعتهم « نيت »

إنك لا تستطيع أن تضع حداً للحب

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

— ألا تفكر في رحلة إلى الجنوب
بسيارتك في هذا الأسبوع؟ إني مستعد
لأن أدفع ثمن البنزين. فإن أُمّى هناك
عملاً في جمع الفواكه وأود لو أستطيع
الوصول إليه، فهل عندك سيارة؟
نعم. إن عندى بقايا سيارة...
واستمر الفتى يقول إنه قد يجد لى أنا
أيضاً عملاً إذا وافقت على الذهاب معه.

فلم أهتم بكلامه أول الأمر، ولكنه لم يكذب يمضى
في الحديث حتى انتهى بى الأمر إلى القبول. ولم
لا أذهب معه؟ وليس لى من عمل فى منطقتنا بعد
أن تلف المحصول، فلا مخزون يجب العناية به وليس
عندنا غير بقرة واحدة هى التى نحلبها ونعيش عليها.
فإذا ذهبت معه استطعت أن أحصل على شيء
من المال وهيات لى فوق ذلك فرصة ناحية أخرى
من نواحي العالم، وقد يكون هذا الفرض خيراً من
الأول

فقلت له آخر الأمر وقد صاحته معاهداً:

سأوصلك بسيارتى

وأخبرنى الفتى أن اسمه «هارى برنسون»
وأجبتُه بأن اسمى «توم ريتشاردز». وانفقنا على
أن نبدأ رحلتنا فى ساعة مبكرة من صباح اليوم الثانى،
لتكون رحلتنا كلها نهراً اتقاء لحوادث الطريق
ولنصل مبكرين فستطيع اختيار عمل فى بساتين
الخوخ...

ومن هنا عرفت «لندا هوارد»، وكانت هى
أيضاً تشتغل بجمع الفاكهة. وكان هارى قد
قابلها فى السنة السابقة، وهو الذى قدمنى لها.

«لقد أحبها، ولكن هذا الحب قد أدى
إلى ذلك العذاب الأليم، فهل هو ملوم؟»

كنا فى أواخر الصيف وكنت فى الثامنة عشرة
من عمرى عند ما قابلت هارى برنسون فى أحد
المقاهى وشربنا معاً فنجانين من القهوة. وكان العام
مجدباً شديد الغبار، ضربت فيه المجاعة أطنابها فى
هذه المنطقة الزراعية من روسيا حيث كنت أعيش
مع أبى، منذ ماتت أمى فى العام السابق، على مزرعتنا
المرهونة. وكنا فى حيرة لا ندرى كيف نقضى الشتاء
إذا لم نضطر للاستجداء. ولم يكن هناك من عمل
فى المنطقة يستطيع الإنسان أن يلتحق به، وكان
الضيق مستولياً على نفسى ولعل آثاره قد بدت على
وجهى وقد لاحظها هذا الشاب عند ما دخل من باب
القهوة متيلاً. وكان أسمر الوجه نحيل الجسم تدل
ملابسه على أنها قديمة الاستعمال. ونظر الفتى إلى
بميينه الزرقاوين البراقتين نظرة الفاحص وقال:

— مرحى!

فهممت جواباً ومضيت فى شرب القهوة ناظراً
إلى الصور الملتصقة فوق المرأة، ومضى الفتى يقول
فى لهجة ودية مرحة:

وكانت واقفة فوق سلم تضع الخوخ الذهبي اللون في سلة معها ، وكانت عيناها لطيفتين باهتتي الزرقة يظللها غشاء من الحزن ، وكانت أكبر مني قليلاً في السن ولكن رأيتها أجمل شيء وقعت عليه عيني منذ وجدت في هذه الحياة

ولما طلبت منها لأول مرة أن تخرج معي ترددت ثم قالت :

— أنا ... لعلك ياتوم لا تشغل نفسك بأمرى إذا أنا أخبرتك أنني أم طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها

والحق أنني أجفلت عند سماع هذه الكلمات ، فقد كان يبدو عليها أنها صغيرة جداً ، ولكن حتى علمي بأنها كانت متزوجة من قبل لم يخفف من رغبتي في ملازمتها

وقلت لها إنها لتبدو أصغر من أن تكون زوجة قبل ثلاث سنوات ، فترغرعت عيناها بالدموع وقالت :

— لقد كنت صغيرة جداً عند ما تزوجت ، ولم يوافق أحد على زواجنا ولكننا كنا عنيدين فتزوجنا بعيداً عن أهلنا . ولم يكن لدينا مال كثير ولكننا كنا سعيدين بحبنا . ثم ولدت « نانسى » وعلى أثر ولادتها مباشرة قتل زوجي في حادث سيارة فكان كل إنسان يقول لى : « ألم نقل لك » ... فإن الحوادث من الأمور التي كانوا يتوقعونها من وراء زواجى على غير إرادتهم ، وهذا ما لم أستطع أن أفهم له معنى . لذلك أخذت نانسى وتركت القوم وكلامهم . ومن ذلك الحين وأنا أحصل على رزقنا بعملى

وكانت ليندا صغيرة الجسم تبدو عليها مظاهر الأنفة والاعتزاز بالكرامة ، وكانت مرسمة على

جبينها آثار ما لقيت في الحياة من متاعب ، وهي مع ذلك لم تطلب العطف من أحد ولم تكن لترغب في ذلك العطف

كانت الفتاة شريفة صادقة في سلوكها معي ، فقد أخبرتنى منذ اللحظة الأولى بأمر ابنتها ولقد أحببتها من أجل ذلك . أحببتها حباً لم يكن ليخطر لى على بال أن أشعر في حياتى بمثله لإنسان . ونسيت أنني لم أكن إلا مزارعاً فقيراً ، ليس لى غير مزرعة مرهونة وسيارة محطمة ، وأننى على بعد أميال عديدة من موطنى ... وقد أصبحت لا أشعر بشيء إلا أنني أحبها وأود أن أرها وأعنى بأمرها فنظرت إلى يدي الكبيرتين اللتين يخيل إلى أنهما قادرتان على أن تسحقا الصخر ، وقلت مندفعاً في غير تفكير :

« أود أن تسمحن لى ياليندا بأن أعنى بأمرك فأنا كبير الجسم قوى البنية قادر على العمل . وأنا أحبك ، فهلا تزوجت منى ؟ وأنا أعدك بأن أكون أباً لابنتك خيراً »

أجنون هذا ؟ نعم . ولكنه جنون خلو لذيذ ! ولقد حاولت الفتاة أن تحاجنى وأن تقنعنى بأننى لا أقدر المسؤولية التي أحملها نفسى . وقالت إنها تعرف أنني صغير غير مجرب ، ولكننى لم أمكنها من الاستمرار في الإدلاء بما لديها من حجج تحاول إقناعى بها باندفاعى فيما أنا مقدم عليه من غير تفكير ولم أستطع إلا أن أضربها مرة بين ساعدى وأن أقبلها . ولقد آمنت بأن ليس فى الوجود قوة تستطيع أن تززع عزمى على العناية بأمرها وحمايتها وقالت ليندا :

— لا أستطيع الآن أن أعدك بالقبول ياتوم

لأننى أريد أولاً أن ترى ابنتي نانسى .

وفى ذلك المساء أخذتني إلى الغرفة التى تعيش فيها ، وكانت صاحبة البيت تعنى بأمر الطفلة الصغيرة عندما تكون أمها متغيبية فى عملها ، وكانت ليندا تساعد فى أعمال البيت مقابل الأجر الإضافى للعناية بابنتها ، ولما وصلنا إلى الباب الخارجى رأيت طفلة صغيرة ذهبية الشعر فى ثوب أزرق تلعب فى الحديقة الأمامية ، وكانت تصنع فطائر من الطين وقد أعدت كثيراً منها وضعتها الواحدة بجانب الأخرى لتجف فلما سمعت وقع خطواتنا أسرعت إلينا جارية ، وألقت بنفسها بين ساعدى أمها ، وكانت أشبه ما تكون بها ، ولكنها عندما رفعت عينيها ناظرة إلى وجدت لونها أسود .

وشعرت كأن طعنة قد أصابت قلبى ، فقد ذكرت أنها ابنة رجل آخر ، رجل أسود العيين ، قد ضم ليندا بين ساعديه ، وقبلها ، وكشفها بحبه ، فامتسملت له . وما من شك فى أنها قد أحبته وإلا لما تزوجت منه أبداً ، فقد عرفت ليندا معرفة جيدة من هذه الناحية ... وفى هذه اللحظة القصيرة تولى بنص نانسى الصغيرة فى قلبى ، ولم يكن الأمر أن حبي لليندا قد ضعف ... ولكننى كرهت طفلها ! لقد نفست عليها القبلات التى كانت تغمرها بها ليندا حبيبتى ، وإنك لتشعر من عطف هذه المرأة الصغيرة على ابنتها أنها تتخيل أن الشمس قد أشرقت ثم تجسمت فى شخص هذه الابنة الصغيرة .

وأشارت الطفلة بأصابعها الملوثة بالطين إلى الفطائر المصففة على الأرض وقالت لأمها :

— أنظري يا أمى ، إني أعمل لك فطائر الحب طوال النهار

فضحكت ليندا وقالت :

— يا لك من بطة غالية ، ولو أننا استطعنا أن نأكل هذه الفطائر لكان لنا من عملك مؤونة وافرة ...

وتعشيت تلك الليلة مع ليندا ونانسى ، ولم تتردد نانسى فى إبداء حبها لى ، وقد أصرت على أن أطعمها بملعقتها الصغيرة . ولقد صعب على أن أثبت يدي فلا ترتجف تأثراً ، وأن أخفى ما لا بد أن يكون قد بدا على وجهى وفى صوتى من عوامل الغيرة . ولكننى بذلت جهداً جباراً فى تملك شعورى ، وقد رجوت فى نفسى أننى ربما استطعت إذا قبلت « ليندا » الزواج منى أن أحملها على أن تعهد بالطفلة إلى بعض أقاربها ، وخوفاً من أن تصبح نانسى حائلاً بيننا ألححت على ليندا فى أن تزوج منى فى التو . فقالت آخر الأمر إنها تقبل ما أطلب منها إذا رضيت أنا أن أسمح لها بالاستمرار فى عملها الذى تكسب منها رزقها وقالت لى :

— إننا بعد أن ننتهى من هنا نستطيع أن نذهب إلى بترزدورب وفى مقدورنا هناك أن نقصد وأن نبتاع بثمرن رخيص ما نحتاج إليه من فاكهة وخضر . كذلك نستطيع أن نحصل هناك على مزرعة صغيرة وأن نعيش عيشة طيبة . وبيترزدورب مكان طيب بديع للإقامة

فقلت :

— أنا يا حبيبتى لا أريد لك أن تعملى بيدك ، فإننى أستطيع أن أعمل بدلاً منك وأن أوفر الحياة الطيبة لنا جميعاً

ولكنها كانت تريد أن تشتغل بيدها فلم يكن بد من أن أسلم لها بما أرادت ، وهكذا أصبحت

أستخلصها لنفسي النهار كله ، فقد كنا نقضى اليوم في جمع الفاكهة من البستان الكبير جنباً إلى جنب نختلس القيلات من لحظة إلى أخرى ونحن متسلقان أغصان الشجر

وذهب هارى في الحال إلى بستان آخر ، وكان كثير التجول والارتحال فلم أراه قط بعد ذلك ، حتى لم أجد الفرصة التي أشكر له فيها ما هياً لى من أسباب السعادة بإحضاري إلى هذا المكان الذي وجدت فيه المرأة التي أحببت والتي رفعت على الحياة وأوشكت السنة أن تنتهى وكنا في ختام موسم جمع الفاكهة ، وكان بعضها لا يزال عالقاً في أعلى الشجر ، فبينما كانت ليندا متسلقة إحداها لقطف هذه الثمرات الأخيرة زلت قدمها وسقطت ، ولم يكن سقوطها على الحشائش اللينة التي لا خوف من السقوط عليها ، ولكن فوق جذع شجرة مقطوعة وكان الجذع بطبيعة الحال صلباً وقد نتأت منه أطراف حادة غير منتظمة تلقتها كأنها أصابع من الفولاذ ، فحملتها خفيفة عرجاء وجريت بها مسرعاً إلى العربة حيث أرقدناها في لطف على بعض الأحفلة ولكنها لم تفتح عينيها ، وأرسلنا في طلب الطبيب فجاء وفحصها وقال إنها لم تمت ولكنه يخشى أن يكون ظهرها قد كسر

وخيل إلى في الأيام القليلة التي تلت هذا الحادث أنى أعيش تحت ضغط كابوس مخيف. لقد رقدت ليندا في المستشفى ضعيفة صفراء لا تقدر على أكثر من الخمس ، ولما قبضت على يدها الصغيرة بأصابعها الملوثة بالدم وأظافرها المكسورة كانت الكلمات الأولى التي همست بها إلى وأنا أنحنى عليها قولها : « توم ... حبيبي ... أرجوك أن تعنى بنانس وأن تحوطها بطيبتك وكرمك »

وكان الطبيب اسميث الذي يعالج ليندا طبيباً عاماً غير مختص بفرع من الفروع ، وقد قال لى إنه إذا نجت امصراأتى من الموت فليس هناك غير رجل واحد في جوهانزبرج هو الذي قد يستطيع أن ينجيها بأن تعيش حياتها عرجاء عاجزة ، ولكن الإقبال على هذا الرجل شديد وهو يلح قبل أن يتولى العلاج في أن يثق مقدماً بأنه سينال أجر عمله . واسم الرجل ليونارد وقد أعطاني اسميث عنوانه

وقد اضطرت في اليوم الذي ذهبت فيه لمقابلة هذا الطبيب أن آخذ نانسى معى ، لأن صاحبة البيت كانت مشغولة . ولم يكن شعورى حيال الطفلة قد تغير في كثير أو قليل . فقد كنت لا أزال أبغضها على الرغم من أنها كانت فتاة عزيزة ظريفة ، وكنت أنفس عليها مشاركتها لى في حب ليندا ، ذلك الحب الذي كنت أريده خالصاً لنفسي من دون الناس. ولقد كانت ليندا أخبرتنى بأن أقاربها فقراء لا يستطيعون أن يؤوا نانسى حتى إذا هى رغبت في مفارقتها

وفيا أنا والطفلة جالسان في غرفة الاستقبال الكبيرة بدار الطبيب الدائع الصيت درجت نانسى إلى الشرفة وشرعت تلتقط من أصص الأزهار قطعاً من الطين تبرمها بين أصابعها . وقد نظرت إلى بعينيها السوداوين نظرة جدية وهى ترينى الفطائر الدقيقة التي صنعتها وزينتها بورق من أزهار الطبيب وقالت لى :
— فطائر الحب لأى ...

ولم يطاوعنى قلبى على إسكاتها بل لقد كنت في الواقع غير متنبه لها ، فقد كنت كالرجل القائه ، لا أدري من أين آتى بالمال الذي أدفع منه أجر عملية « ليندا »

وأخيراً حضر الخادم وأخبرنى أن الطبيب في

انتظاري ، وكان الطبيب كهلاً صغير اللحية أزرق
العينين جامد النظرات في حدة ، يدها صغيرتان
صناعان

وقال الرجل بعد أن قدمت له نفسي :
نعم أنا أعلم أن اسميث هو الذي أرسلك إلى هنا
فأنت الرجل الذي حدثني عنه . فقد كسرت
امراتك ظهرها ، وإنني لأعتقد أنه يمكن شفاؤها
من أن تعيش عرجاء ، ولكن يجب أن تفهم أنها
تحتاج إلى عملية جراحية وإلى قضاء أسابيع وأشهر
في المستشفى ، وهذا كله يتطلب المال
فقلت :

سأحصل على المال المطلوب يا دكتور بأية
وسيلة كانت حتى ولو عصرتني من الأرض الصلدا
بيدي العاريتين . وكل ما أطلبه منك هو أن تهني
لي فرصة كسب هذا المال ، وأنا مستعد لعمل كل
شيء يمكنني من غايته

وإنني لأعرف أن الرجل كاد يرفض رجائي ،
إذ كان ذلك متجلباً في عينيه ، عند ما فتح الباب
في ببطء وأطل منه وجه نانس المشرق الجميل
وانجذبت الطفلة مباشرة إلى الطبيب ومدت إليه
يدها بالهدية التي أعدتها لأمها وقالت :

انظر ! هذه فطيرة لطيفة ، فطيرة حب للذيذة
خذ ذقها !

وتظاهرت بأنها تمض الفطيرة بأسنانها الصغيرة
البيضاء ومدت بها يدها للطبيب ، فبدت الرقة في
عينيه عند ما نظر إليها
فسألني :

هذه ابنتك الصغيرة ؟

وشمرت بدافع في نفسي أغراني بأن أجيب
« بنعم »

ولعله قد خيل إلى أن الطبيب متى عرف أن
الطفلة ابنتي وأنني أحبها كان ذلك من العوامل التي
تغريني بأن أكّد في العمل لأقتصد أجر علاج أمها
فضحك الرجل وحمل نانس فأجلسها على ركبته ،
وتظاهر بأنه يقضم قطعة من الفطيرة ، فقال وقد
ضحكت نانس من قوله ضحكة قلبية رقيقة :

مم . مم . مم ... إنها للذيذة
وكان الرجل قد سحره جمال الطفلة فلم يستطع
تحويل نظره عنها ، وعبث بأصابعه في شعرها الذهبي
الجميل وقال في لطف :

إني لأود أن تكون لي ابنة صغيرة مثلك !
ثم كأنه تذكر أنه قد نسيتني ، فوقف بعد أن
رفع الطفلة ووقفها على الأرض في لطف وقال :
سأخبرك بما أنا صانع ... لقد أوصي لي بعض
الناس منذ بضع سنوات بمنجم ذهب قد انتهى العمل
فيه . فإذا أحببت أن تذهب إلى هناك وتدفن فيه ،
فقد تحصل منه في اليوم على بضع شلنات قد تكون
كثيرة وقد تكون قليلة . وسنقتسم ما نستخرجه
مناصفة ، ومقابل ذلك أتولى علاج امراتك ، وهناك
غشة قديمة ولكن يكون مقامك هنا شائقاً ويبدولي
أنك رجل لا تهاب العمل

فقلت :
أنا لا أهاب شيئاً يا دكتور ، وكل ما أطلبه
هو الفرصة

وشددت على يده بيد لعلها كانت قاسية ساحقة ،
فقد رأيت عينيه تغمران تالماً ، وسحب يده مسرعاً
وقدم لي ورقة وهو يقول :

هذه هي التعليمات التي ترشدك إلى المكان ، وهو
واقع على مسافة حوالي مائة ميل من جوهانسبرج
في بقعة موحشة من بقاع الأرض

لا تشكو أبداً من سقطة أو كدمة ولا تطلب قبلة ولا ملاطفة كما تطلب الأطفال ولا تسأل معروفاً ، ولكنني كنت أنفس عليها ما تأكل من الطعام شاعراً بأن ذخيرتنا منه ستنتهي قريباً وعندئذ نضطر إلى العودة

ثم بدأت الليالي يشتد بردها ، ولولا نانسي لأطلت إقامتي ، ولكنها لم تقو على احتمال الجو ، واقترب الوقت الذي كان لا بد أن تغادر فيه النجم وكنت قد جمعت كمية من تبر الذهب وضعتها في كيس صغير أخفيته في صندوق الطعام داخل العشة ، لأن جيوبى كانت من القدم بحيث لا تحمل ثقله إذا أنا حملته فيها ، ولعل هذه الكمية تقدر بعشرين جنياً أو لعلها تبلغ مائة من الجنيهات ، فلم أكن لأعلم شيئاً عن سعر الذهب ، على أن هذا المحصول كان عملاً ابتدائياً على كل حال ، وقد اعترمت أن أقضى يوماً آخر في البحث ثم نعود

وفي هذا اليوم الأخير لم أكد أعر على شيء فلما بدأ الظلام يهبط اتخذت الطريق القصيرة الموصلة إلى العشة ، حتى إذا بلغت نهايتها ودرت وراء الأغصان الملتوية سمعت صوتاً خشناً يقول :

— أين أبوك أيتها الطفلة الصغيرة ...

ثم سمعت صوت نانسي تجيب :

— لقد ذهب إلى النجم ...

فقال الرجل :

— مم ... مم ... ذهب يحفر عن الذهب ...

حسن فسننتظره ، وهل لديك شيء يؤكل ؟

ف قالت الطفلة :

— فطير لذيذ .

ورأيت نانسي من وراء الأغصان تمد يدها

بفطائر الطين إلى أبشع رجلين رأيتهما في حياتي ،

وهكذا أصبحت أنا ونانسي من المعدنين في مناجم الذهب ، فلم يكن بد من أن أستصحبها معي إذ لم يكن في وسمي أن أدفع أجر امرأة تقوم على العناية بها ، وقد طلبت مني ليندا أن آخذها معي إذ قالت في صوتها الضعيف الرقيق :

إنها تحبك يا توم ولن تتعبك في شيء فأحسن معاملتها .

ولقد بكيت وأنا أقبل ليندا مودعاً ، كذلك قبلتها نانسي ووعدتها بأن تصنع لها كثيراً من فطائر الحب ، وخرجت معي واثبة في ملابسها القصيرة وخذائها المريح

وحملنا السيارة القديمة مؤونتنا ووضعت كرسي

نانسي العالي — بعد أن نزعنا أرجله — فوق السيارة ونانسي جالسة فيه مربوطة ، وتركنا الدار في ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام الأخيرة من فصل الصيف ، وكانت نانسي تغنى وقد ملأ قلبي بالآمال الكبار في شفاء جيبتي ليندا ، جلت مشيئة الله

لقد جهدت في العمل أستخلص ذرات الذهب اللامعة من الصخور الصلدة القاسية ، ولم أحصل في بضعة أيام على غير حبات قليلة لا يحس الإنسان حملها في يده ، وبعد بضعة أيام آخر أصبح ما لدى

كافياً لأن أشمر بثقلها في كفي ، وكان يحدوني الأمل دائماً في أن يصيب معولي جيياً من الأرض

لم يفتح بعد أو عرقاً غاب عن أنظار المعدنين ، وكانت نانسي تقضى يومها لعبة مريحة تصنع فطائر الحب من

الطين وتزينها بقطع دقيقة من الأحجار أو التوت الجاف أو ورق الشجر وكانت في الليل تصفف فوق

المائدة القائمة وسط عشتنا الصغيرة ما أنجزت عمله في أثناء النهار ، وبدأ شعورى نحو الطفلة يتغير

إلى نوع من الحسد فقد كانت طفلة جريئة شجاعة

واختلطت الفطيرة من يدها وألفيتها بعيداً
خارج العشة وسط الأغصان
ولا بد أن أكون قد نمت بعد ذلك نوماً عميقاً ،
لأننى عند ما استيقظت كانت الشمس قد أشرقت
وكنت أشعر بصداع شديد ، ولم يكن الجرح عميقاً
ولكن شدة الصدمة هى التى أوقعتنى
على أننى لم أجد لنانى أثراً فى أى مكان
وذكرت الكلمات الخشنة التى خاطبتها بها فى المساء
فصحت :

— نانسى ... أين أنت ؟

ولكننى لم أسمع وقع خطواتها الصغيرة ولم أسمع
صوتها الرقيق يقول « ها أنا ذى »
ماذا تكون الحال لو أن حادثاً قد أصاب نانسى
وماذا تظن بى ليندا إذ ذاك ؟ وكيف أعمل إذا كانت
كلماتي الخشنة هى التى دفعتها إلى الهرب من وجهى
فصت فى الظلام بعيداً عن العشة ونهت ؟

خرجت من العشة جارية وسط الشمس المشرقة
أصيح وأنادى مفتشاً بين النصوص المشبكة ، وعلى
حين فجأة شعرت بأن الثلج الذى تجمد حول قلبى
قد ذاب وأدركت أننى أحب ابنة امرأتى ، فلم أحتمل
فكرة أن يكون قد أصابها أى مكروه

لقد كان كل ما حدث نتيجة خطأى ، لقد
كانت الطفلة تحاول أن ترضينى وترفه عني بكل
ما لديها من وسيلة

كانت الأغصان المحيطة بالعشة كثيفة ، وقد
فتشتها تفتيشاً دقيقاً ، وأنا أفكر فى الأفاعى وفى صقيع
الليلة الماضية ، وفى الأفاقين اللذين هاجماني واللذين
يحتمل أن يكونا قد ابتعدا جداً كما يحتمل أن يكونا
قد عادا باحثين عن شىء آخر وتكون الطفلة قد
وقعت فى أيديهما

فقد كانت أمارات الشر والإجرام تطفح من وجهيهما
وفى هذه اللحظة رآنى أحدهما فانتزع مسندساً
من بين طيات قميصه وصوبه نحوى وهو يقول :
— تقدم أيها المعدن وأرنى محصول يومك
فوقفت خاضعاً فى حين فتشاً جميع جيوبى وكل
طية من طيات ملابسى ولكنهما لم يجدا شيئاً
فدمدم الرجل :

— نتيجة سيئة . وماذا علينا إذا فتشنا العشة ؟
وعلى حين فجأة رأيت كل شىء يحمر فى نظرى
فضربت به بقبضتى ، ثم شعرت بصدمة رصاصية فى
جبهتى ، وأحسست بأيد كبيرة قوية تخنقنى من
خلف ، ثم فقدت شعورى . فلما عاد إلى صوابى
وجدت نانسى جالسة إلى جانبي تربت على شعري
بيديها الصغيرتين
وقالت :

— لقد ضربك هؤلاء الأشرار يا أبى ...
استيقظ يا أبى فقد ذهب هؤلاء الأشرار
فجلست مخبولاً ولكنى ما كدت أذكر ما حدث
حتى اندفعت إلى داخل العشة . لقد فتشوها فقد كان
صندوق الطعام مقلوباً وكان الكيس ملقى فى أحد
الأركان فارغاً . لقد ضاع الذهب ، سرق ! وذهب
شقائى كله سدى ! فأنا مضطر أن أعود خالى اليدين
ولن يجرى الطبيب العملية لليندا وستبقى طوال
حياتها عرجاء . فلعلت الحياة وسيت الوجود
والمحطت نفسى آخر الأمر ، فاندفعت فى البكاء
وقد انطرحت فوق الأرض ... حيث أقبلت نانسى
على ودیمة تقدم لى ما صنعت فى يومها من فطائر
لا تزال لينة غير جافة فصحت بها :

— ابعدى هذه الأشياء من هنا ... إنها قدرة
لا تساوى شيئاً ... اطرحها بعيداً ...

أدركت أن هذه القصة ستكون برهاناً صادقاً على ما عملت

تستطيع ليندا حبيبتي الآن أن تمشي بمساعدتي، وكان الذهب الذي حصلت عليه مائة جنيه حملتها نانسي العزيزة إلى الدكتور في فطيرتها المكسورة... وكان الطبيب قد عمل العملية لليندا وهي الآن في دور النقاهة...

وقال لي الطبيب مبتسماً :

— لقد كنت واثقاً أنك لن تحل بكلمتك لي وقد برقت عيناه وبللتهما الدموع بعد أن سمع قصتي وقال :

— إن أي إنسان لينذل حياته من أجل زوجة وطفلة مثل هاتين

لقد أصبحت نانسي الآن شابة تخطط سن صنع فطائر الطين ، ولكنها تفكر دائماً في أشياء تعملها لأمها ولي . وعندنا الآن مزرعتنا الصغيرة في بيترزدورب ونحن جميعاً سعداء ، وكلما نظرت إلى نانسي ووجهها الجميل ولطفها عجبت كيف لم أحبها دائماً مثل ما أحبها الآن . إنني لأحبها كما أحب ابنتي الحقيقية .. فهي عندي أغلى من كل شيء .. أغلى من الذهب ... ولما كنت اعترفت لليندا في استحياء والدموع في عيني أنني كنت في وقت من الأوقات لأحب نانسي كانت تطوقني بساعديها وتقول :

— لقد عرفت ذلك وكنت أشعر به . ولعل ذلك الألم الذي شعرت به يا عزيزي والذي أحسسته أنت طوال الصيف الماضي هو الذي دفعك الآن إلى أن تحبها هذا الحب وإلى أن تدرك كم هي عزيزة عجيبة نعم ربما كانت هذه هي الحقيقة . ولعل لنا في الحياة خطة رسمتها يد واحد أعقل وأقدر منا جميعاً

عبد الحميد حمدي

ثم سمعت ما خيل إلى أنه صوت ملاك هابط من السماء، سمعت صوت نانسي موسيقياً حياً، قادماً من وراء صخرة قائمة أمام العشة وهي تقول :
— ها أنا ذى يا أبي... لقد وجدت الفطيرة... ولكنها مكسرة قطعاً !

ورأيت نانسي جالسة على الصخرة وإلى جانبها فطيرتها المكسورة وقد كشف مكان الكسر عن ذرات من الذهب البراق ... ذهبي الذي ظننت أنه قد سرق ... فسألتها :

— ما هذا الذي في فطيرتك يا نانسي ومن أين أحضرته ؟

فقال الطفلة :

— من صندوق الطعام ... فإن دقيق القمح يصلح فطيرة لذيذة لأي ...

قلت :

— دقيق القمح ... ولو أنك لم تأخذه من الكيس لأخذه هؤلاء اللصوص ! يالك من طفلة عزيزة يا نانسي !

وحملت الطفلة فطيرتها في وجهها وفي يدها وفي كل ما وصلت إليه شفتاي ... ولم ألبث أن شعرت في نفسي بإحساس غريب فاندفعت في البكاء

فقال الطفلة :

— لا تبك يا أبي ... فستصنع نانسي فطيرة أخرى ...

وقد ظنت الطفلة العزيزة أنني أبكي على الفطيرة المكسورة فقلت وأنا أبكي وأقبل الفتاة في لفة شديدة :
— إنك لن تصنعي أبداً يا عزيزتي فطيرة مثل هذه ... فهي فطيرة لم يصنع قط أحد مثلها . ومن المحتمل ألا يصنع أحد مثلها أبداً »

ولمت الفطيرة المكسورة على حالها لتعطيها نانسي بيدها للطبيب عند ما نصل إلى جوهانسبرج ، وقد

البستان المسحور

للطبيب الإيطالي بولانتو

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

في مضايقتي فاني أطلع زوجي وأهلي على
كل ما أخفيته عنهم إلى الآن وبذلك
أخلص منه بأحسن الطرق
وقد رأي فارسنا أن مثل هذا الطلب
صعب التنفيذ وعلم أنه اقترح بمثابة وسيلة
شريفة للتخلص منه . وقد فكر في
الوعد الساحر الذي تعهدت به في حالة
التنفيذ وتطلعت نفسه لمعرفة ما ينتج

من ذلك ، فصمم أن يبحث ويعالج كل الطرق
لإرضائها مهما كلفته . طفق يبحث في جميع أنحاء
العالم عن فرد يساعده أو يرشده ، إلى أن عثر أخيراً
على رجل تعهد له أن ينفذ ما يطلب بواسطة السحر
واتفق معه على مبلغ ضخيم من المال ، فظل ينتظر
شهر يناير بفارغ الصبر

وفي نهاية الأمر وانتهاء أيام عيد الميلاد بينما
كانت الأرض في الخلوات مكسوة بالثلج قام الساحر
بأعماله وأنشأ بستاناً ساحراً في مرج قريب من
المدينة يندر أن يشاهد مثاله ، جمع بين نضرة الربيع
وفاكهة الخريف وأجل الأزهار . وما كاد يلمح
إنسالة هذه المعجائب حتى كاد يذهب عقله من الفرح
والسرور وهرول إلى الحديقة ليقتطف أشهى
الفاكهة وأجل الأزهار ليرسلها إلى حبيبته ، ودعاها
لمشاهدة البستان الذي طلبته لتفتن بحبه الذي أضنى
قؤاده ، ويذكرها بوعدا الذي أكده يقسم

وحينما رأت الحسناء الأزهار والفاكهة التي
أرسلها حبيبها وما سمعته من عجائب هذا البستان
ندمت على ما فرط منها من ذاك الوعد ، ثم تغلب
حب التطلع على الندم واشتاق لرؤية تلك الحديقة
فاصطحبت بعض صاحباتها من الجيران وذهبن لرؤية
تلك المعجائب فأعجبت به أيما إعجاب ثم عادت إلى
دارها محومة حزينة مفكرة فيما يلزمها به هذا البستان.

ولو أن فريبول تعد بلباً بارداً ولكنه محبوب
لجباله الجميلة التي تزينها الأنهار الشائقة التي تجري
فيها والينابيع التي ترويه

وكان فيما مضى بأودين ، وهي إحدى مدن هذه
المقاطعة ، حسناء من النبلاء تدعى مدام ديانور وقد
بنى بها رجل يدعى جليبر من كبار الأغنياء يعد
قدوة للمؤدبين المحبوبين . فتنت محاسن وفضائل هذه
العقيلة فتى من الأسر الشهيرة يسمى أنسالة
جرنديس عرف بين قومه بالشهامة والحرية ؛ وقد
عالج من أمد طويل كل الطرق التي يبذلها الحب الواله
ولكنه لم يفلح . حتى أن الحسناء نفسها سئمت منه
وتضايقت ورأت أن تقترح عليه اقتراحاً غريباً
لا يمكن تنفيذه لتتخلص من إلحاحه ومضايقته ، فقالت
للمرأة الوسيطة : « إنك كثيراً ما أكدت لي حب
أنسالة وقدمت إلي عدة هدايا رفضتها حتى لا يؤمل
منى شيئاً فإن كان يحبني حقاً فليقدم لي البرهان الذي
أطلبه فأكون له دون شك »

— ماذا تريد يا سيدتي وماذا تبغين أن يعمل ؟

— يجب أن ينشئ لي حديقة غناء خارج

المدينة وعلى مقربة منا ، في شهر يناير تكون نضرة
مخضرة كاسية بأزهارها مثقلة بفاكهتها كأنها في
شهر مايو ، وإن لم ينفذ رغبتى فلا يتعب نفسه
ولا يرسلك أو يرسل غيرك ، فإن لم يرعو واستمر

الذي تأثر من كبير عنايتك وما سببه لك من التعب والألم حبك الأثيم وشرفه وشرفي ، فلذلك أمرني أن أقابلك، فها أنا ذى بين يديك بأمر زوجي ومستعدة لأن أعمل كل ما يسرك

وإن كانت زيارة ديانور قد أدهشت أنسالد فإن حديثها قد زاده دهشاً وتمجباً ، ولقد تأثر من كرم زوجها ، فتبدل حبه عجباً ، فقال لها : « لا قدر الله ياسيدي أن أكون عديم الوفاء قليل المروءة حتى أدنس شرف زوج رثى لآلامي وإنك تستطيعين إن أردت أن تمكثي كما تشائين واثقة بأنك ستكونين موضع احترامى كأختي ، وتخرجين وقما تريدين على شريطة أن تبلى زوجك اعترافى بحسن صنيعه الذى ترك أعظم الأثر فى سويداء قلبى وأن تؤكدى له بأنى سأكون له مدى حياتي أخاً وخادماً »

وعند سماع هذه الكلمات تهلل فؤاد ديانور بشراً وفرحاً ثم قالت : « إننى كنت أظن والألم يساورنى أنك تستهتر بالمروءة والأدب فتستغل موقعى الحرج المخدول ولكنى أرى والفرح ملء فؤادى أننى لم أحسن كرمك ومودتك . إننى لا أحدثك بحسن صنيعك فإنه يوازى توضيحتك وإنى لا أشك فى أن زوجى يقاسمك التضحية » وبعد انتهاء الحديث استأذنت وانصرفت مهرولة إلى زوجها وسردت له كل ما حصل

أراد أن ينقد الساحر أجره فرفض متأثراً من المثل الأعلى الذى شاهده بعينه فقال : « واه لك ! لقد رأيت الزوج يضحى بشرفه وشاهدتك تضحى بحبك العنيف أفلا أستطيع أن أضحي بقليل من المال ؟ فرجاه أن يأخذ جانباً من المبلغ ويترك الباقي ولكنه أصر على الرفض ثم هدم حديثه السحرية فى ثلاثة أيام واستأذن ثم سافر . أما أنسالد فقد استطاع أن يخمد جذوة حبه الأثيم الذى ظالماً أحرق فؤاده بلهبه

ولما كان اضطرابها شديداً لم تستطع أن تكتمه . ولاحظ عليها زوجها هذا التأثير الشديد فسألها عن السبب ولكن الخجل ألجم فاهها ، ولما لم تجد مفرأ من الاعتراف سردت له قصتها من أولها إلى آخرها فاستشاط الزوج غضباً عند سماعه هذه الوقائع ، ثم فكر قليلاً فرأى أن السبب الشريف الغاية هو الذى ورط عقيلته فاطمأن وسكن اضطرابه ثم قال لزوجته : « لا يليق بسيدة عاقلة شريفة أن تصنى إلى أحاديث العشاق لأن الإنسان يصل إلى القلب عن طريق الأذن والحب لا تقف دونه صعوبات ولا عقبات . ولقد اقتربت إذن جرمين الأول الإصغاء لحديث عاشق ، والثانى تمهدك له ، ورغبة فى الاطمئنان أريد أن تقوى بوعدك بأن تمنحني ما يرفضه غيرك فإن أخشى إن لم ترضى أنسالد أن يكلف ساحره أن يعمل لنا شيئاً عظيماً . فاذهي إذن لتنجي عشيقك واعلمي كل جهدك لا تقاذ شرفك ووعدك فإن استحبال عليك ذلك فليسلم الجسم ولتثبت الإرادة القوية » . فبكت زوجته وقالت إنها لا تريد هذا التصريح ، ولكن بعلمها قال لها لا بد من الطاعة

ولما طلع النهار ارتدت ديانور ثوباً عادياً من ثياب البيت ، واصطحبت خادمين وخادمة وذهبت إلى بيت أنسالد . دهش الرجل حينما أنبأ بهذه الزيارة ، فهب وقال للساحر: تعال أنظر من أى كنز مكنتنى فنك ، ثم سار أمام الحسنة ثم حياها بجميع مظاهر البشر والفرح ، ثم أدخلها فى غرفة فاخرة هى وحاشيتها ، ثم قال لها بعد فترة : « إذا كان الحب الذى حمله لك والذى سأحتفظ به مدى حياتى يستحق بعض الجزاء فطمأنى فؤادى بكلمة ، إنها فرصة سعيدة دعتك إلى فى هذه الساعة ومع هذه الحاشية ؟

فأجابته والمبرات تنحدر من مآقيها :

— ليس الحب الذى يقودنى إليك ولا وعدى الذى أقسمت أن أبر به . وما أتيت إلا طوعاً لأمر زوجى

الخطابة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

« ألا تريدن فنجانا آخر ؟ »

قالت ذلك مادلين وهي تقدم فنجانا من الفضة مملوءاً بالشاي إلى السيدة مسز مونكاستر الجالسة إلى يسارها والمقنعة بالفرو والحريز . فأجابتها : « شكراً ، ولقد كان بودي ولكني لا أستطيع »

فأعادت مادلين فنجان الشاي إلى مكانه على المائدة وهي تنظر إلى صاحبها نظرة رياء تريد أن تدل بها على العتاب . وظهر من رفض مونكاستر أن لحظة انصرافها قد آتت . وكانت صاحبة المنزل تأمل أن تستمر الزيارة إلى الساعة الخامسة حيث يأتي باسيلي . لكن هذا الأمل تجدد في اللحظة التالية للرفض حيث ارتكنت الزائرة إلى ظهر المقعد وأسندت رأسها إليه وقالت : « إنني لن أشعر بالسعادة يا عزيزتي حتى أراك متزوجة »

قالت مادلين وقد تلقت هذه الجملة بدهشة : « أتزوج ! ولماذا ؟ » فقالت مونكاستر : « ولماذا لا تزوجين ؟ إن فيك كل الصفات التي يجب أن تتوافر في الزوجة . وأنت جميلة أيضاً والزمن يتقضي بسرعة فكم عمرك الآن ؟ هل هو ثلاثة وثلاثون أم أربعة وثلاثون ؟ »

لكن مادلين أصرت على موقفها الأول وقالت : « لكن لماذا يتزوج الإنسان إذا لم تدفعه رغبته ؟ »

إنني مثلاً لا أرغب في الزواج »
قالت ذلك وهي تقول في نفسها إنها كاذبة .

وقالت مونكاستر : « لكنك سترغبين على كل حال في الزواج فإن كل امرأة ترغب فيه لأنه من الطبيعي أن تشعر بالحاجة إلى استقرار أمرها وتكوين منزل وإيجاد زوج »
ابتسمت مادلين ولم تجب . وشعرت بفقدان الصبر لأنه خيل لها أن فتح هذا الموضوع نكبة خصوصاً عند محبي باسيلي فهو سيعتقد بلا ريب أن مونكاستر لا تتكلم إلا بناء على إيعاز من صاحبها مادلين . ورأت أن خير وسيلة لإنهاء هذه المحادثة وحمل صاحبها على الذهاب هي ألا تصني إليها . فاتجهت بوجهها إلى الموقد وتركت الزائرة دون أن تصني إليها

وكانت تقول في نفسها بين لحظة ولحظة : « لقد طال حديثك المملول أيتها السيدة فقوى واذهي »

لكن المرأة لم تذهب ولم تزل تلقى محاضرتها الطويلة في فائدة الزواج فكانت مادلين تنظر إلى الساعة بين فترة وفترة . ورأت أنه لم يبق على موعد باسيلي غير ربع ساعة . وهو لا بد آت في مواعده لأنه لم يتعود إخلاف المواعيد

فأخذت تدبر وسيلة لتتبع تأثير كلامها في نفسها ورأت أن خير طريق يؤدي إلى ذلك أن تعتمد على السخرية والاستهزاء بأحاديثها إذا ما همت بفتح هذا الموضوع أمام باسيلي

وكانت السيدة في هذه الأثناء لا تزال تتكلم
(٣)

فتنهت مادلين إلى قولها : « إننى أبذل الآن كل ما فى وسعى فى سبيل خدمتك »

قالت مادلين : « فى سبيل خدمتى ؟ »

فجالت : « نعم لأحصل لك على زوج »

فأحست مادلين فجأة بالخوف وسألت نفسها : « أليس من الممكن أن تكون هذه المرأة الفضولية قد فآحت بعض الرجال فى أمر زواجى ؟ » وقالت فى نفسها : « إنها إذا كانت فعلت ذلك فإنها تحطم مستقبلى بهذا الفضول لأنه ليس هناك من يعتقد أنها تتكلم دون استشارتى »

وقالت مونكاستر : « وقد اخترت لك الرجل أيضاً » فشعرت مادلين برعشة تهز أوصالها وقالت : « وهل لى أن أسألك من هو ؟ »

فهزت مونكاستر رأسها وسبابة اليد اليمنى وقالت : « هذا ليس من شأنك فهو من شأنى وحدى ، وستعرفين عند ما ينتهى الاتفاق على كل شىء ».

وكانت مادلين تخفى تحت ابتسامتها المتكلفة غضباً شديداً وتود لو تجد المرأة الكافية لتحمل هذه المعجوز فتلقى بها من النافذة

ولم يبق غير دقائق على مجئ باسيلي وستكون نتيجة سماعه لهذا الحديث أن يحتقر مادلين لاشترائها على حسب اعتقاده فى مؤامرة مع هذه المعجوز لتزويج نفسها من أى إنسان

لكن الأمر جاء على أحسن مما تظن فقبل موعد باسيلي بدقيقتين وقفت مونكاستر واستأذنت للذهاب فحمدت مادلين حظها ولم تشأ أن تفسد ذلك الحظ بإطالة لحظة السلام جرياً على عادة النساء

بل شيعتها فى صمت إلى الباب وهى تتمنى ألا تعود وقبل مجئ باسيلي أخذت مادلين تفكر فى علاقتها به . وبدأ لها أنه فى العهد الأخير قد تغير شيئاً ما ، وسألت نفسها هل هذه الملاحظة مجرد وهم وخيال منها أم لها نصيب من الواقع ، وإذا كانت صحيحة فما هى علتها ؟

وجاء باسيلي فلما رآها قال : « لقد كانت عندك مسز مونكاستر وأحمد الله على انصرافها قبل مجئى إننى تركت زميرتها ، ولم أعد أقابل جاك ولا أحداً من أصحابه »

فدهشت مادلين من هذه المفاجأة وقالت : « هل رأيتها وهى ذاهبة من هنا ؟ » فابتسم وقال : « كلا ولكننى أعرف كل مكان كانت فيه بما تتركه فى جوه من الرائحة العطرية التى احتكرتها لنفسها . خبرينى يا مادلين هل هى تستعمل هذا العطر لاعتقادها أنه لطيف أم لاعتقادها أن أصحابها يظنون له لطيفاً »

فجالت مادلين : « أظن الأمر لا هذا ولا ذاك ولكنه مجرد عادة كما اعتادت اللون السنجابى لمعاطفها وهى لا تريد تغييره »

قال باسيلي : « لو أننى كنت ملكاً من ملوك بورجيا لأمرت بإعدام هذه المرأة وبتنفيذ الحكم فى الحال »

فجالت مادلين : « لكنك لو فعلت لآسفت على ذلك فى اليوم التالى »

قال : « نعم لقد كنت آسف عليه فى اليوم التالى ولكن إلى أمد وجيز . وتكون النتيجة الأخيرة . هى السرور لتخليص الناس من هذه

فشعرت مادلين باليأس ، وأدركت أنها إن تركته الآن يذهب فلن يعود مرة أخرى

ووضعت يدها في يده لتصافحه ثم زالت مسحة فجأة عن ثغرها الواضح وقالت : « لقد كنت أخشى في لحظة مجيئك أن تفاجئني في أمر الزواج لتأثير مونتكاستر عليك »

فابتسم وقال : « وما يدريك أنها كلمتني ؟ »
قالت : « لأنها ألقت الآن على محاضرة في ساعتين وقد فكرت في قتلها قبل أن تفكر أنت »
فقال وقد زالت سحابة الريبة من نفسه :
« ربما أفاد كلام الفضوليين بالرغم مما يبعثه في النفس من المضايقة »

قالت : « أصبح أنه أفاد .. ؟ إذن فتى .. ؟ »
فقال : « يوم الأربعاء القادم »

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف موتة الوطني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشا

النكبة . ولولا أنت يا مادلين لسافرت من هذه المدينة من زمن طويل حتى لا أرى أحداً من هذه الزمرة »
رأت مادلين أن حدثه في التكلم عن هذه السيدة حدة غير عادية وإنه لا بد أن يكون لها سبب غير مجرد استئصالها

ثم قدمت له الشاي وسألته : هل هناك سبب خاص جعله ينفّر منها هذا النفور ؟ فأجاب : كلا ، ولكنها تظهر لي ضرباً من الحنان والشفقة لو أنني أشعر بأنني أستحقهما من الناس لاحتقرت نفسي .
قالت مادلين بلهجة تدل على عدم التروى : وهل قالت لك شيئاً يتعلق بي أو بنفسك ؟ فتغير وجهه بأسيلي فجأة وأطرق كأنه فوجيء بأمر ذي بال يستدعي التفكير . وقال بلهجة تدل على التكلف : لا ... إنها لم تقل شيئاً

وأدركت مادلين أنها بهذا السؤال قد وجهت نحو نفسها اتهام بأسيلي بما كانت تخشى أن يتهمها به لو أنه سمع حديث السيدة ، لأن سؤالها يفهم منه أنها هي التي أوغرت لها بالكلام معه وأن كلامها معه كان اقتراحاً بالزواج منها .

وجلس بأسيلي بحالة تدل على اضطراب الأعصاب وجلست مادلين كذلك . ودار الحديث على موضوعات أخرى ، وكلاهما يتكلف الحديث وهي تراقب وجهه فيؤلمها أن ترى فيه علامة الاحتقار . وحاولت عبثاً أن ترجع إلى موضوع الحديث الأول لأنه كان يتهرب منه

وكانت تسائل نفسها كيف تمحله على تصديقها وفي هذه الأثناء وقف بأسيلي مستأذناً للذهاب

من روائع الأدب المغربي

حزمة الرسائل

للطبيب المغربي بوراس موطى

بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

على حمله ، دعاه إلى الجلوس
— إنني تعب مكدود ، لم تكتحل
عيناي بالنوم منذ أسبوع . هناك شيء
في يدي اليمنى لست أدري أهو بثرة
أم خراج . كان الألم خفيفاً بادياً الأمر ،
أما الآن فهو ألم شديد في التهابه ، مستمر
في عذابه ، ينمو ويقسو يوماً عن يوم
حتى لقد بلغ غايته . لم أعد أطيقه . لذا

جئتكم أضرع إليكم أن تستأصل مكان الألم فقد
يقودني إلى الجنون لو تقضت ساعة أخرى

وحاول الدكتور أن يسرني عن المريض بقوله
إنه قد يستطيع إزالة الألم بالعلاج والأدوية دون
اللجوء إلى استعمال المبضع ؛ بيد أن الرجل قال صائحاً :
— لا ... لا يا سيدي الطبيب ، إن الأدوية
لا تستطيع شفاي . يجب استعمال المبضع ، لقد
جئتكم لاستئصال ذلك الجزء الذي يسبب لي كل
هذا الألم الكبير

فطلب إليه الطبيب أن يكشف عن موضع الألم .
فضغط المريض بأسنانه متوجعاً من شدة الألم ، وبكل
حذر وعناية راح يححر يده من الأربطة التي حولها
— أتوسل إليك يا سيدي الطبيب أن تصارحنى
بحقيقة ما قد ترى . إن حالتي ولا ريب غريبة ،
ولكن أرجو ألا تهتم لذلك كثيراً

فأخذ الدكتور (ك) يسرى عن الرجل الغريب
خوفه واضطرابه ، ولم يكن الطبيب ليكثرث لانفعال
مريضه وهو الذي خبر مثل هاته الحالات كثيراً ،
بيد أنه ذهل ذهولاً كبيراً حينما تحررت اليد من
أربطتها . لم يكن فيها شيء غريب . لم يكن بها جرح

اضطر الدكتور ... — من أشهر جراحي
بست — في ساعة مبكرة من ذات صباح أن
يستقبل زائراً عجولاً . إذ قال الرجل للمرض وهو
يتعمل في غرفة الانتظار إن في التأخير عليه خطراً
أى خطر ، وإنه يجب أن يقابل الطبيب توجاً

فارتدى الطبيب في عجلة ثوباً منزلياً ، ثم أذن
للمريض أن يدخل عليه . ألقى (ك) نفسه في حضرة
رجل غريب ، يبدو من مظهره الأنيق أنه ينتمي
إلى الطبقة الراقية ، وتتجلى في وجهه الشاحب علام
آلام جسمية عنيفة ، وكان يحمل ذراعه اليمنى في
رباط معلق بعنقه ، ومضت تنفست من فم زفرات
حرار بالرغم من احتياله على ضبط نفسه وكبت
انفعاله . وسأل في صوت ضعيف واهن :

— الدكتور ... ؟

— إنه اسمي يا سيدي

— لم أشرف بعد بمعرفتك إذ أقيم بالريف ،
ولكني سمعت بك ، ولست أزعج أني سعيد بعقد
أواصر المعرفة بيني وبينك ، فزيارتك لك الآن غير
لائقة ...

ولما رأى الطبيب أن ساق المريض لا تقويان

فنظر الطبيب إلى وجه الزائر . لقد بدأ يعتقد
أن بالرجل خبلاً

— لك أن تقيم هنا إن شئت ، وستبرأ بعد
أيام قلائل

— لا أستطيع البقاء... لا تحسب أنني مجنون

ثم إنك لن تشفيني بتلك الوسيلة ، إن الدائرة التي
رسمت بقلمي هي موضع الألم المبرح ، وقد جئتكم
لتقطعها ليس غير

— مستحيل

— وله ؟

— لأن يدك لا تحمل مرضاً ، لا أرى في
الموضع الذي أبنت أكثر مما أرى في يدي أنا

— أراك تحسب أنني رجل مخبول ، أو أنني
جئتكم أسخر منكم

ثم أخرج من مفكرته ورقة من فئة الألف
فلورين وضعها على المكتب واستطرد يقول :

— والآن يا سيدي ، أحسبك لا تظن أنني

أمرح . إن ما أطلب إليك القيام به ضروري لازم
ابتغاء شفاي . أرجوك أن تستأصل ذلك الجزء
من يدي

— أكرر لك القول يا سيدي أنك لا تستطيع

— وإن عرضت على كل كنوز الأرض — أن
تحملي على تشويه عضو من الجسم سليم ، أو على
الأقل تحملي على قطعه بمبضى

— ولم لا ؟

— لأن مثل ذلك العمل يجلب الشك في مقدرتي

كطبيب ويحط من سمعتي . سيقول كل امرئ إنك
كنت رجلاً مضطرب العقل ، وإن لم أكن أميناً
باستغلال حالتك ؛ أو شقّ على — لجهلى —

تشخيص الداء ووصف الدواء

ولا كدم ، كانت يداً كسائر الأيدي . فتركها
الطبيب — لفرط ذهوله — تسقط من يده دون عمد
منه ، فانفلقت من الغريب صرخة ألم شديدة ، ثم
رفع الطرف المصاب بيده اليسرى مبيناً للطبيب
أنه ما أتى بقصد المزاح وأنه حقا يعاني ألماً شديداً

— أين الجزء الموضع ؟

— هنا يا سيدي

قال الغريب ذلك مشيراً إلى نقطة في ظهر يده
حيث يتقاطع عرقان كبيران ، وارتعد جميع بدنه
حينما لمسها الطبيب بطرف أصبعه لمسة خفيفة

— أتخس هنا الألم اللاهب ؟

— نعم في قسوة وعنف

— أتشعر بألم حين أمسه بأصبعي ؟

لم يجب الرجل ، وإنما امتلأت عيناه بالدمع . إلى
هذا الحد كان يتألم

— عجباً ! لا أستطيع أن أرى في ذلك الموضع
شيئاً غريباً

— وأنا أيضاً . بيد أن ما أحسه من الألم جد
فظيع ، حتى أنه يكاد يسوقني أحياناً إلى ضرب
رأسي في الجدران والحوائط

ففحص الطبيب مكان الداء بالمجهر ثم هز رأسه :

— إن الجلد المليء بالحياة ، وإن الدم ليجرى من
تحتته في دورة منتظمة ، وليس ثمة التهاب ولا خراج .

إن هذا الجزء سليم كأي جزء آخر

— ولكنني أظن أنه أشد حمرة

— أين ؟

فأخذ الرجل الغريب من جيبيه مفكرة أخرج
منها قلماً من الرصاص ورسم فوق يده دائرة في اتساع
قطعة من فئة الستة بنسات وقال :

— هنا

ينصب من الجرح انصباباً . فاضطر الطبيب أن يلج عليه في ربط الجرح إلحاحاً قاسياً

وفي أثناء ربط الجرح تغيرت ملامح وجهه . لم تعد تحمل علام الحزن والألم . بل ارتسمت عليه علام الراحة والاطمئنان . واختفت أمارات اليأس والاضطراب . ونمت أساريره عن الحياة ، وعاد إلى خديه لونهما ، وتحول الرجل السليم تحولاً كبيراً . وعند ما علق يده بمنقه أمسك بيده الأخرى يد الدكتور وهزها في حرارة وقال :

— آه ! شكراً يا سيدي الطبيب شكراً ! حقاً لقد شفيتني من داء عضال ، وإن الهدية الزهيدة التي أقدم لك لن تناسب بحال مع ما قمت لي من صنيع جليل . سأظل طوال حياتي أبحث عن طريق أستطيع معها أن أفى الدين الذي حملتني

ولم يكن الطبيب ليصني إلى قوله ؛ وأبى أن يستحل ألف الفلورين المستقرة فوق المكتب ، كذلك رفض الرجل الغريب أن يستعيدها ، فرجاه (عند ما لاحظ أنه مس كبرياء الطبيب) أن يكتب بها لإحدى المصحات . ثم غادره ومضى

وبقي الرجل عدة أيام آخر في منزله بالمدينة حتى يلتئم الجرح الذي في يده . وفي تلك الأثناء استطاع الطبيب أن يلتمس لنفسه المعاذير لتصرفه إزاء رجل مثل مريضه واسع الاطلاع خيالي النزعة ، له في سائر أسباب الحياة رأى صائب ... إزاء رجل كان إلى جانب ثرائه يشغل منصباً حكومياً كبيراً . وما بدا على الرجل أي داء آخر منذ أن بارحه داؤه الخفي . وعند ما اكتمل العلاج ، عاد الرجل من حيث أتى ، إلى مثواه بالريف

وفي ذات صباح بعد ثلاثة أسابيع ، وفي ساعة غير لائقة كلمرة الأولى ، أعلن الخادم ثانية قدوم المريض الغريب

— حسن جداً . إذن سأطلب إليك صديقاً ضئيلاً في وسمي أن أجرى العملية لنفسى ، سأجريها بيدي اليسرى ، ولكن ذلك لا يهم ، فقط أرجو أن تفضل وتعني بالجرح عقب العملية

ذهل الطبيب حين رأى عزم الرجل من إصراره وحين ألقاه ينزع عنه معطفه ويحسر كفى قميصه ، ويستقل بيسراه مبضعاً

وبعد ثانية واحدة كان السلاح قد أحدث في الجلد ثغرة . فصرخ الطبيب :

— قف !

خشى أن يقطع المريض — أثناء ارتبائه — عرقاً هاماً

— ما دمت مُصرّاً على إجراء العملية ، فدعني أقم بها . وأخذ الموضع وأمسك اليد المريضة بيسراه ورجا الرجل أن يدير عن المشهد رأسه خشية أن يؤثر فيه منظر الدم وهو ينهمل

— لا ضرورة ألبتة لذلك . على العكس . عليّ أنا أن أرشدك إلى حيث تقطع . ظل الرجل يرقب العملية في برود شديد وجود ، مشيراً إلى حدود الموضع ، حتى أن اليد المفتوحة لم ترتجف وهي مستقرة في يد الطبيب يعمل فيها الموضع في سرعة عنيفة . ولما أن أزيل الجزء الدائري ، نهّد الرجل في عمق كأنما أحس راحة عظيمة

— أما من شيء يؤلمك الآن ؟ فقال الغريب مبتسماً :

— لقد انتهى كله . زال الألم تماماً كما لو كان فارقني مع الجزء المقطوع . وإذا قورن التعب الذي أحسه الآن من نزيف الدم بالألم الأول لكان كالنسيم الرطيب عقب لفحة من ريح جهنم . دعه ينزف ، إن نزيفه يجعلني سعيداً جداً سعيد

وجعل الرجل الغريب يرقب الدم في لذة وهو

رؤيته الدم ينزف من الجرح . ولما أن التفت اليد في الأربطة زابت صفرة الموت الوجه وعاد اللون إلى الخدين . ولكن المريض لم يتسم . في هذه المرة شكر الطبيب في حزن ومهارة

— أشكرك يا دكتور . لقد فارقت الألم مرة أخرى ، وفي بضعة أيام سيندمل الجرح ومع ذلك فلا تدهش إذا عدت إليك قبل شهر واحد

— أوه يا سيدى المحترم ! إنزع من نفسك

هذا الوم

ووصف الطبيب هذه الحال الغريبة إلى كثير من زملائه . ففى كل يدلى فيها برأى دون أن يهتدى إلى تعليل صائب لطبيعة المرض

وتدانت غاية الشهر . فترقب ك . . في قلق عودة هذه الشخصية الواهمة ولكن الشهر تقضى ولم يأت الرجل

وتصرمت بضعة أسابيع آخر ، وفي النهاية تسلم الطبيب كتاباً من عليه ، وكانت الكتابة دقيقة مضطربة ، وعند ما نظر إلى التوقيع في ذيل الخطاب أدرك أن المريض هو الذى حرره بيده وتلك محتويات الكتاب :

— سيدى الطبيب . إننى لا أستطيع أن أدعك وعلم الطب في مهاوى الشك نحو المرض الغريب الذى سيقودني وشيكاً إلى القبر

وسأكشف لك هنا عن مصدر هذا الداء الخفيف . لقد عاودنى للمرة الثالثة في الأسبوع الفائت بيد أنى لن أصارعه أبداً بعد ذلك ، وإنى الآن أكتب إليك بمعونة « حراقة » وضعتها على مكان الألم من يدي ، وفي أثناء التهاب الحراقة لا أحس الألم الآخر . إنها تسبب ألماً طفيفاً إذا قورن بألم المرض اللاهب المستعر

كنت ما أزال رجلاً سعيداً منذ ستة شهور

دخل الرجل على الدكتور بذراعه معلقة بعتقه فكاد الطبيب ألا يعرفه لما أغم وجهه من نوازع الألم المبرح الشديد . ولم ينتظر دعوته إلى الجلوس بل ترمى على أحد المقاعد غير قادر على ربط جأشه وضبط نفسه ، وطفق يئن ويتأوه وهو يعد ذراعه الموجهة إلى الطبيب . فسأله ك . . في ذهول :

— ماذا جرى ؟

فأجاب في صوت خافت بنبرات حزينة :

— لم نقطع إلى العمق الكافى . إنه يؤلمنى أشد من ذى قبل . أكاد أتمزق من هول الألم ، إن ذراعى متصلة من شدته . ولم أريد أن أزججك كرة أخرى فتحملت الألم في صبر آملاً أن يصعد الألم الخفى رويداً رويداً إلى رأسى أو يهبط شيئاً فشيئاً إلى قلبى فيضع بذلك حداً لحياتى التعمسة البائسة . بيد أن أملى قد خاب . لم يبرح الألم مكانه ولكن بوقع هائل مخيف . انظر إلى وجهى تر مقدار ما أعانى من وطأته حقاً كانت بشرة الرجل في لون الشمع والعرق البارد ينضح جبينه . فحل الطبيب رباط اليد . كان مكان العملية حسن الالتئام . وقد تبدى جلد جديد ولم يكن يرى فيها شئ غريب وكان نبض المريض سريعاً دون ارتفاع في درجة الحرارة ، وكل جزء في بدنه يرتجف ارتجافاً . قال الطبيب في دهشة :

— يا للمعجب ! لم أر في حياتى مثل هذه الحالة !

— إنه فظيع . . . فظيع جداً يا دكتور . لا تحاول أن تجد لهذه الحال تعليلاً . إنما نجنى من هذا الألم المر الشديد . خذ سلاحك واقطع إلى مدى أعمق وأوسع . هذا فقط ما ينقذنى

واضطرب الطبيب إزاء توسلات مريضه أن يجرى العملية من جديد ، فراح يقطع في اللحم بمبضعه إلى مدى أعمق من ذى قبل . وللمرة الثانية رأى على ملامح مريضه علامات الراحة العجيبة لدى

وكان لزوجي مكتب حرصت على أن تغلق درجه
بعناية تامة ، ولقد لاحظت ذلك كثيراً . لم تنس
المفتاح مرة ، ولم تترك الدرج مفتوحاً مرة

وسنح في ذهني خاطر مُقْبِضٌ ، أنشب مخالب
الشك في صدري ، وبعث الاضطراب والجنون
في نفسي . ماذا تخفي ثمة ؟ لقد انقلبت وبى جنة
وخبل . لم أعد أثق بطهاره وجهها ولا بصفاء نظراتها .
لم أعد أومن بعواطفها الجياشة ولا بقبلاها الحارة
الثائرة . ماذا لو كان كل هذا رياء في رياء ؟

وفي ذات صباح أقبلت الكونتس تدعو زوجي
لقضاء شطر من اليوم في بيتها . تمنعت وترددت
ولكني أفلحت بعد إلحاح في حملها على قضاء اليوم
معه . وكان يفصل البيتين بضعة مراحل . وقد
وعدت أن ألحق بها بعد ساعات قلائل

وما أن ابتعدت العربة قليلاً حتى جمعت كل
مفاتيح البيت وشرعت أجريها على القفل وأفلحت
بأحدها في فتح الدرج . أحسست كمن يرتكب
جريمته الأولى . كنت كالسارق في محاولتي الكشف
عن أسرار زوجي ، وارتعدت يداي وأنا أجدب
الدرج إلى في عناية وحرص . وقلت محتوياته
شيئاً فشيئاً حتى لا يتم تغيير نظامها عن عبث يد
غريبة . وانقبض صدري وأحسست كأن كابوساً
يجم على أنفاسي فيخنقني خنقاً : وفجأة عثرت يدي
بجزمة من رسائل كانت كأنها سيال من الكهرباء
سرى من رأسي إلى قلبي فاشتد وجيبه وترادفت
خفقاته . أوه ! كانت نوعاً من الرسائل يعرفها المرء
بنظرة ... رسائل غرام . وكانت الجزمة يضمها

شريط من الحرير الأحمر بجانبين فضيين

وعند ما لمست الشريط كرت على ذهني الخواطر:
أهل هذا معقول ؟ أيليق هذا برجل شريف

أعيش بدخلي عيشة رحية ناعمة ، على صلة حسنة
بكل إنسان ، أمتع نفسي بكل أسباب الحياة كما
يفعل كل رجل في الخامسة والثلاثين من عمره ،
وقد تزوجت — عن حب كبير — منذ سنة بسيدة
صغيرة جميلة ، ذات عقل ناضج ، وقلب طيب إلى
أقصى حدود الطيبة ، وقد كانت تعمل كوصيفة خاصة
للكونتيس التي تقيم بجوارى . وما كانت ذات مال
وقد سلمتني قلبها ، ليس اعترافاً بالجميل فحسب ،
بل عن حب ساذج بريء ، وتصرفت ستة شهور ،
كان كل يوم فيها أشهى وأجمل من أخيه الغائت ،
وإذا اضطرتني الظروف القواهر أن أترك مسقط
رأسي وأبرح إلى بست ليوم واحد ، لم تكن زوجي
في أثناءه تذوق طعم الراحة بل قد تقطع من الطريق
فرسخين ابتغاء استقبالى ، وإذا حدث أن تأخرت
تراها تقضى في انتظار أوبتي ليلة طويلة حشوها
التفكير والسهر ، وإذا أفلحت في حملها على زيارة
سيدتها السابقة — التي لم ينقص حبها لها شيئاً منذ
زواجى بها — فلم يكن ثمة قوة تحملها على البقاء
لديها أكثر من نصف يوم فحسب . بل قد تفسد
على الآخرين مرحهم وبهجتهم بانقباضها لغيابى .
بل بلغ من رقتها معي أنها كانت ترفض الرقص كيلا
تسلم يدها رجلاً غريباً ، وما من شيء كان يسوءها
أكثر من إشادتي بإخلاصها وترديدى لوفائها . على
الجملة كانت زوجي كفتاة غضة الإهاب طاهرة ،
لا تفكر إلا في ، وتعترف لى بأحلامها الخالية من
طيفي كأنها سيئات اكتسبتها

ولست أدري أى شيطان مضى يهمس في أذنى:

وما يدريك لعل كل هذا نفاق ... آه يا سيدي !
إن الرجال مولعون بالتنقيب عن العذاب والألم إبان
أقصى سعادتهم

لما يعمل في نفسى من نوازع بالظهور على وجهى .
وتجاذبنا الحديث ، وتناولنا العشاء معاً ، ثم ذهبنا
إلى فراشنا بغية النوم . لم يغمض لى جفن تلك الليلة .
ظلت سهران يقظان ، ورحت أترقب الساعات
وأحصى الدقائق . ولما دقت الساعة ربع الساعة
الأول بعد منتصف الليل ، نهضت ودخلت مخدعها .
كان رأسها الصغير الجميل غارقاً فى الوسادة البيضاء
كصورة ملاك نورانى بين السحب الناصعة البيضاء .
يا للطبيعة الكاذبة ! أى شئ يطمئن تحت ستار
تلك الطهارة الجملة ! كان لى عزم رجل مجنون أصر
على شئ ، ترين على فكرة رهيبية ، كان السم قد نخر
روحى ، عزمتم على قتلها وهى فى نومها !

ولأدع تفاصيل جرى الشنيع . ماتت دون أن
تبدى أية مقاومة فى هدوء كما يستسلم امرؤ للنوم .
ما كانت تقاومنى أبداً فى شئ ، حتى حين قتلها .
نقطة واحدة من الدم سقطت على ظهر يدى (وأنت
تعرف أين) ، ولم أزلها حتى اليوم التالى ، كانت
قد تجمدت

وواريناها مشواها الأخير دون أن يرتاب أحد
فى الأمر ، وقد كنت أعيش فى عزلة كاملة . ومن
كان فى وسعه أن يكتشف أمرى ؟ لم يكن لها أبوان
ولا ذوو قربى فيسألونى عن شئ ، وقد تعمدت أن
أبتاط فى إرسال بطاقات النى حتى يفوت الموعد
الأصدقاء والمعارف .

ولدى عودتى من المقبرة لم أشعر فى ضميرى بأى
وخز ولا تقريع . كنت قاسياً حقاً ولكنها كانت
أهلاً لكل قسوة . وما كنت سأمقتها ، بل كنت
سأنساها ، إذ كان نادراً ما أذكرها . لم يحدث أن
ارتكب امرؤ جريمة قتل بمثل هذا الضمير الخالى
من الوخز والتبكي .

أن يختلس أسرار زوجة ؟ أسرار قد ترجع إلى يوم
أن كانت فتاة صغيرة ؟ وهل يحق لى أن أحاسبها
على تصرفات أتها ولما تكن لى زوجة ؟ أيجب لى
أن أغار من سلوكها فى وقت كنت فيه مجهولاً لديها ؟
من يستطيع أن يأخذ عليها هفوة أو لحماً ؟ من ؟
حقاً لقد أجمعت أن ظننت بها الظنون . . . فعاد
الشيطان إلى سمى بهمسه . ولكن ماذا لو كانت
الرسائل فى عهد لك فيه الحق كله فى الوقوف على كل
تصرفاتها وأفكارها ، فى عهد قد تغار فيه من
أحلامها ، فى عهد هى فيه ملك لك أنت وحدك .
وحملت الشريط ، لم يرنب أحد ، لم يكن هناك حتى
مرآة أرى فيها حمرة الخجل تصبغ وجهى . فتحت
رسالة ثم أخرى ، ثم قرأتها جماء حرفاً حرفاً
أوه ! كانت على ساعة رهيبية

ماذا كان فى تلك الرسائل ؟ أدناً خيانة رأيت
رجلاً يذهب ضحيتها . وكان كاتب الرسائل واحداً
من أصدقائى . . . من أصدقائى الأعزّة ، والأسلوب
الذى به كتبت ! أى عاطفة ! أى غرام ! وكم
تحدث عن « كتمان السر » وكانت الرسائل جميعها
فى عهد كنت فيه زوجها ، بل فى أرفع درجات
السعادة الزوجية . من أين لى أن أصف لك شعورى
آنذاك ؟ تصور أنت الأثر الذى يتركه سم زعاف
فناك . قرأت كل الكتب واحداً إثر واحد ثم حزمته
ثانية ولففت الشريط حولها ، ثم وضعتها مكانها
وأغلقت الدرج

كنت أعرف أنها ستعود من لدن الكونتيس
فى المساء إن لم ترنب ظهرها وقد فعلت . هبطت من
الركبة فى سرعة وهرولت نحوى وأنا أنتظرها على
الدرج ، وقبلتنى فى رقة وفى حنان ، وبدت جد
فرحة سعيدة لعودتها إلى جوارى ثانية ، ولم أسمع

— أجل ... أجل لإنها هي ... أنظر ! لإنها
نفس العقدة التي عقدت . لم تمسسها يد أبداً
لم أجسر أن أرفع عيني في عينيها . خفت أن
تقرأ فيهما أني حلت رباط الحزمة بل وأكثر من هذا
غادرتها توا ... فهرولت إلى مركزبتها ثم ابتعدت
بها بعد قليل

وقد اختفت نقطة الدم ، ولم يكن ثمة دليل على
وجود الألم ، ولكن أثر نقطة الدم كان يلسع كلسع
سم زعاف قاتل . وكان هذا الألم يستفحل ويشدد
ساعة بعد ساعة . وقد كنت أغفو أحياناً . بيد أن
الألم لم يفارقني لحظة . ولم أبت أحداً شكوتي . وأى
امرى يصدق قصتي ؟ لقد لست بنفسك مقدار
ما عانيت من عذاب ، ورأيت بعينيك كيف استرحت
عقب إجراء كل من العمليتين ، ولكن سرعان
ما كان الألم يعود عقب اندمال الجرح ... والآن
ها هو ذا يفترسني للمرة الثالثة ، ولم يمد بي على
احتماله طاقة ولا قوة ... سأكون ميتاً بعد ساعة
من كتابة هذه السطور . شيء واحد يعزيني ، هو
أنها انتقمت لنفسها هنا في الدنيا . وقد تصفح عني
في السماء . إنى لشاكر لك ما صنعت من أجلى ، عسى
أن يثيبك الله عني خير الجزاء »

بعد ذلك ببضعة أيام كان المرء يرى في الصحف
أن س ... أحد سراء المدينة البرزين قد حطم رأسه
برصاصة . وأشاع البعض أنه انتحر حزناً على زوجه ،
واقترب البعض من الحقيقة بإشاعتهم أنه كان به
داء أعني نطس الأطباء فانتحر تخلصاً منه . أما الذين
يعرفونه فقد قالوا إنه كان مصاباً بنوع من الجنون
monomania وإن جرحه المؤيس لم يكن له وجود
إلا في مخيلته محمد عبد الفتاح محمد

وبلغ الكونتيس النى ، وقد دبرت كل شيء
تديراً حتى أنها هي أيضاً وصلت متأخرة ، وبدا
عليها الحزن الصادق حين رأتني ، وقد كانت كلماتها
تقطر — لست أدري — رعباً أو إشفاقاً أو حزناً ،
حتى أنني لم أدرك تماماً ماذا كانت تقول في عزائي !
هل كنت مصغياً إليها ؟ وهل كنت في حاجة
إلى عزاء ؟ لم أكن حزينا ولا أسفاً ! وأخيراً ،
أخذتني من ذراعى بجرأة وقالت كأنما صوتها يتساقط
من بين شفطتها : لإنها مضطرة أن تفضى إلى بسر ،
وإنها تعتمد على شرفي كرجل نبيل في كتمان هذا
السـر . قالت : لإنها أعطت زوجتي حزمة من الرسائل
لتحفظها لديها ، إذ أنها لم تستطع أن تخفيها
في بيتها . وشعرت عدة مرات إبان حديثها بهزة
تسرى في كل كياني ، وسألتها وأنا أصطنع البرود
عما تحوى هذه الرسائل ، فجفلت السيدة لهذا السؤال
وقالت غاضبة :

— سيدى ! لقد كانت زوجك أكرم منك .
حينما تعهدت بحفظ رسائل لم تسألني قط عما تحتوى
بل لقد وعدتني صداقة ألا تلقى عليها نظرة واحدة .
ولم ، لعل يقين أنها لم تقرأ منها سطوراً واحداً . كان
لها قلب نبيل ، كانت ولا ريب ستخجل من الحث
بعودها التي قطعت ... فأجبتها :
— حسن جداً . ولكن كيف أعرف هذه
الحزمة ؟

— يضمها شريط أحمر بجانبين فضيين .
— سأذهب أبحث عنها .

ثم أخذت مفاتيح زوجي وأنا أعلم يقيناً أين أجد
الرسائل ، ولكنى اصطنعت العثور عليها بعد جهد
وسألتها وأنا أمد بها يدي إليها :
— أهذه هي ؟

الصوص الثلاثة

عن الفرنسية

بقلم الأستاذ ع. ا.

هو البيض لم تكسر منه واحدة »
قال بارات : « ليس في الدنيا يد أخف
من يدك ولكن إذا استطعت إعادة البيض
إلى مكانه كنت أحذق اللصوص »
فقال : « سيعود البيض إلى مكانه
في العش دون أن تكسر منه بيضة »
ثم تسلق الدوحة غير ملتفت إلى زميله

لأنه كان ينظر إلى أعلى الشجرة دون أسفلها
وما كاد يصل إلى منتصف الدوحة حتى صعد
بارات على أثره بمثل هذه الخفة فنزع سرواله ونزل
دون أن يشعر به أخوه الذي استمر يصعد حتى أعاد
البيض ثم نزل أيضاً، فلما رأى ترافرس خفة اللصين
حزن على نفسه إذ عرف أنه لا يستطيع أن يعمل
مثل هذا

وقال هايمت : « هل رأيتم يا صديق خفة يدي ؟
إنه ليس في الدنيا لص مثلي » فقال بارات : « نعم
إن يدك خفيفة ولكن أين سروالك ؟ » فلما وجد
أن أخاه سرقه قال : « لقد كنت أحسبني أبرع
لص، ولكن من يسرق اللص أبرع من الذي يسرق
المصفور »

وقال ترافرس : « ليس في الدنيا لص مثل
بارات . ولكنني تبينت مما رأيته منكما أنني لست
لصاً وأنا لا أصلح لهذه الحرفة وإن عالجتها سنوات،
ولذلك أعلن الآن توبتي عنها وسأعود إلى مدينتي
وأستسمح زوجتي فقد كنت أحق حين تركتها
لأكون لصاً »

ثم ودع ترافرس زميله وعاد إلى قريته فوجد
زوجته غير حاقدة عليه لطول غيبته بل رحبت به
وتلقته بالسرور . وكذلك فرح به أصحابه وأعادوه

هذه قصة لصوص ثلاثة اشتركوا معاً مدة
طويلة وسرقوا أناساً كثيرين، وكان اسم أحدهم
« ترافرس » ومع طول عشرته للصوص فقد كان
أقل حذقاً لصناعاته من زميله . أما هذان الزميلان
فهما أخوان تلقيا فن السرقة بالوراثة عن أبيهما الذي
شبق من أجل أعماله السيئة، وقد نبغا في السرقة
كل النبوغ . وكان اسم أحدهما « هايمت » واسم
الآخر « بارات » وليس في الإمكانيات المقارنة بين
هذين الأخوين لأن كلاهما كان أكثر حذقاً
من الآخر

ومر اللصوص الثلاثة بغابة، فلمح هايمت عش
طائر بين فروع دوحة، فوقف في ظل الدوحة ورمى
العش بنظره الحاد فرأى فيه بيضاً رقد الطائر فوقه .
فأراه لزميله وقال : « يا زميلي، ليس باللص البارع
من لم يستطع سرقة هذا البيض من تحت الطائر
دون أن يشعر الطائر به »

فقال بارات : « ليس في الدنيا من يستطيع ذلك »
قال هايمت : « ستري إذا نظرت إلى أن في الدنيا
من يستطيع ذلك »

ثم تسلق الدوحة بخفة عجيبة فلم يسمع له صوت
ورفع القش بيد خفيفة وجر البيض من تحته دون
أن يشعر الطائر به . ثم نزل فقال لزميله : « هذا

إلى مكانه الأولى وارثق رزقا ميسرا من عمل شريف

وقبيل العيد ذبح خنزيرا وعلقه بسقف المطبخ حتى يجف فيقدهه لبيعه ثم خرج من المنزل لعمل آخر . وفي أثناء غيبته دخل المنزل هايمت وبارات فوجدا زوجته ماريا وسألاها عنه فقالت إنه ذهب إلى السوق

ولكن اللصين بدلا من أن يخرجوا دارا يبصرها في أنحاء المنزل فلم يتركا مكانا إلا نظرا إليه . وعرف بارات مكان الخنزير المعلق فنبه إليه أخاه وقال : « إن ترافرس يخبأ اللحم هنا حتى لا نقاسمه إياه . ولكننا لن نتركه مهما اشتد حرصه عليه »

ثم استأذنا الزوجة وخرجا . ولما عاد ترافرس إلى المنزل قالت له ماريا : « لقد جاء اليوم إلى المنزل زائران خفت منهما خوفا شديدا فقد رفضا إخباري باسميهما وبسبب مجيئهما ونظرا إلى كل شيء في المنزل . فقال : « لقد عرفتهما وهما لصان وسيسرقان الخنزير فلا يكن عندك شك في ذلك ؛ وليتني بعته في يوم السبت الماضي »

قالت : « لا تخش يا زوجي العزيز ، ولنغير الخنزير حتى لا يعرفاه إذا عادا » ثم ناولته السكين فقطع الجبل الذي كان الخنزير معلقا به إلى السقف ووضع تحت آنية كبيرة في موضع آخر من المنزل . ثم ذهبا إلى غرفة النوم ليستريجا

ولما مضت ساعات من الليل تسلق اللسان الخفيفا الحركة سطح المنزل ونقبا فيه فتحة بحجم الرحي بالقرب من الموضع الذي رأى الخنزير معلقا به . ولكن بارات لما لمس الجبل عرف أن الخنزير قد نقل وقال : « من الجهل أن يظن ترافرس أنه يخفيه عنا مدة طويلة

واستيقظ ترافرس من النوم فقال لزوجته :

« إخال أني أسمع حركة ، فانتظري حتى أقتش المنزل وسأعود سريعا » فقالت : « لا تتركني وحدي » ولكنه أبي ودار في غرف المنزل غرفة فغرفة ثم خرج إلى الإسطبل ليرى هل سرقا البقرة كل ذلك واللصان يراقبانه فلما رأياه يترك المنزل نزل بارات وقلد صوته وذهب إلى غرفة النوم فقال « أين يا زوجتي وضعنا الخنزير فإني نسيت في فترة النوم »

قالت : « كيف تنسى يا زوجي العزيز ؟ هو عندك تحت الإناء بجانب الموقد »

نخرج بارات وحمل الخنزير وذهب مع هايمت إلى الغابة ثم عاد ترافرس فقالت زوجته : « هل كنت لا تزال نائما لما سألتني عن مكان الخنزير ؟ » قال : « كان الله في عوننا متى سألتك ؟ » فقالت : « الآن يا زوجي »

قال : « لقد ضاع الخنزير ولن نجده إلا إذا تمكنت من سرقة منهما لكنهما أحذق اللصوص » وخرج ترافرس إلى الغابة فوجد « هايمت » يمشي غير حامل شيئا وعرف أن بارات قد سبقه لأنه يحمل الخنزير ويريد أن يقضي دوره في حمله مسرعا ، فأسرع وحاكى صوت هايمت وقال : « هات أحمل عنك يا أخي ريثما تستريح »

فظن بارات أن الذي يكلمه هو أخوه وأعطاه الخنزير ، وبعد أن مشى ترافرس مسافة عاد إلى منزله ثم التقى هايمت وبارات فعرفا أن ترافرس خدعهما وسرق الخنزير ، فأسرع هايمت في العودة إلى منزل ترافرس متكررا في زى امرأة مقلدا صوت ماريا . ولما رأى ترافرس عائدا بالخنزير قال : « هل جئت به يا زوجي العزيز ؟ هاته واذهب أنت إلى غرفة النوم »

السطح . وجاء بارات يعود طويل من أعواد الشجر عقف آخره وحدده فجعله كالسنارة « الشص » ، وأعدده لاستعماله في الوقت المناسب .

وقبيل الصباح تعبت ماريا فنامت بجانب الموقد وأنزل بارات عود الشجرة فجر به الخنزير من الوعاء ، واستيقظ ترافرس على هذه الحركة فقام ووجد زوجته نائمة . وسمع صوتاً فوق السطح فأيقظها وصعد فوجد صاحبيه يأكلان . فصافحهما واحتكم معهما إلى زوجته فقسمت اللحم ثلاثة أثلاث له ثلث ولصاحبيه الثلثان وقال ترافرس إنه تاب منذ زمن ولكن ماضى عشرته للصوص قد أضره بعد طول العهد .

وكذلك معاشرة الأشرار تضر إن لم تكن عاجلاً فآجلاً . ع ١٠

فظن ترافرس أن زوجته هي التي تكلمه ، وأعطاهما الخنزير ، ولكنه لما دخل غرفة النوم وجد زوجته ، فتبع اللصين .

وكان هايمت قد عاد إلى الغابة ، فلما رآه تسلق شجرة قريبة وسمعهما يتناقشان فأنصت إليهما ، ثم وجدهما يوقدان النار لطبخ الخنزير ، فانتظر حتى ابتعدا ليجمعما الحطب ، فنزل وسرق الخنزير وعاده به إلى منزله . فاستقبلته زوجته وقالت : « إنه لم تبق وسيلة إلا طبخ الخنزير وأكله حتى لا يعود اللصوص إلى السرقة . فوافقها على ذلك وطلبت إليه أن ينزل لينام ، وأوقدت النار لطبخ الخنزير .

وفي هذا الوقت كان الأخوان اللصان في طريقهما إلى المنزل فتسلقا الجدران وجلسا فوق

شركة مصر للملاحة البحرية

بيواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله الى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية

القاهرة : عمارة بنك مصر تليفون ٤٠٧٤٢ القاهرة ١٥١ شارع عماد الدين تليفون ٥٧٠١٦

الإسكندرية : شركة الملاحة ١٤ شارع فؤاد الأول تليفون ٢١٥٤٦ ، ٢١٥٤٧

بور سعيد : شركة مصر للسياحة شارع السلطان حسين تليفون ٤٧٧

السويس : شركة مصر للملاحة البحرية شارع سعد زغلول تليفون ١٢

ومن شركة مصر للسياحة بالقاهرة

شارع ابراهيم باشا تليفون ٤٥٩٦٠ - ٤٦٣٠٣

العاشقة الصغيرة

أفصوصة مصرية

بقلم الأديب عبد الحليم العشيري

راقصة بارعة . ها هي ذى تسقيه الماء
من كوب فى يدها وعلى شفيتها بسمه
سعيدة . ها هي ذى تباغته وترش الماء
الثلج على وجهه فيجربى أمامها صائحاً
مذعوراً . ها هي ذى ... ها هي ذى ..
وينقضى وقت مديد، والطفلة لا تزال
تعيش فى ماضيها السعيد . ثم استفاقت

بغتة لتلفظ بهذه الكلمات فى صوت خفيض
كئيب شاك :

— لماذا لم تبق بجوارى يا حامد لأظل سعيدة ؟
والتمت فى عينيها دمعتان أخريان !
ما أقسى الشقاء الذى تشعر به هذا المساء !
وراح قلبها يدق بقوة وشدة ، وراحت تستمع
إلى دقاته وقد وضعت خدها على كفها الصغيرة الناعمة
ولم تكن تتذكر شيئاً فى هذه اللحظة ، فلقد
نسيت كل شيء

وأخذ الليل يقترب ، ولكنها لم تحس باقترابه
إلا عند ما سمعت خادماتها المجوز « كعب الخير »
تصيح قائلة :

— أين أنت يا تهانى ؟ هيا فقد أقبل الليل
ومسحت دموعها بسرعة ، وقامت تمشى على
مهل يتبعها كلبها

— مالك يا ست تهانى ؟
قالت الخادم حينما رأت حزن سيدتها الصغيرة
ووجومها . فلم تجبها تهانى
— هل ضربك أحد ؟

— ...
— هل ضاع منك شيء ؟
— ...

كانت الشمس تودع الدنيا فى صمت حزين ،
حينما كانت « تهانى » الطفلة التى لم تتجاوز بعد
التاسعة من عمرها ، تسير على رود فى حديقة المنزل
الكبيرة يتبعها كلبها الصغير

ووصلت الطفلة بعد قليل إلى مقعد ناء مختلف
بين الأشجار ، فجلست عليه وعندئذ التمت فى عينيها
الدعجاوين دمعتان لم تلبثا أن سقطتا على خديها
ونظرت إلى كلبها الصغير الجالس عند قدميها
فى هدوء ، وهى تبسم بسمه فيها حزن الجدول جف
ماؤه ، وأسى الزهرة ذبلت أوراقها ... ومرت لحظة
ثم شرد بصرها ، وعلا السهوم وجهها الجميل الذى
يبدو عليه شحوب عليل ، وشقاء ذليل

وظهرت فى رأسها تلك اللحظة صورة شاب
وسيم سافر منذ وقت غير طويل إلى أسيوط حاملاً
معه قلبها الصغير

وانثالت على ذهنها ذكريات وذكريات
ها هي ذى جالسة مع ذلك الشاب على أريكة
تحدته ويحادثها

ها هي ذى تمشى معه فى ممشى الحديقة ويدها
فى يده

ها هي ذى تؤاكله والسرور باد عليها . ها هي ذى
ترقص أمامه قائلة له : « أنظر ... إننى سأكون

وأصبح حامد الأمل الذي يرف في حياة تهاى ،
والنور الذي ينير دنياها ، والفردوس الذي تهرع
إليه كلما اشتاقت إلى الفرديس . وإنها لتشتاق إلى
الفرديس دائماً ... دائماً ...

ومرت الأيام بسرعة . لا تعرف اللغوب ولا الونى
وتخرج حامد فى كليته فأنشأ يبحث عن وظيفة
يشغلها إلى أن عثر على وظيفة فى أسبوط
وراح حامد يتأهب للذهاب إلى أسبوط . وكان
سعيداً فأنسته سعادته « تهاى » التى كادت تبجن
حينما علمت أنه سينأى عنها

وعرف الحزن طريقه إلى نفس العاشقة الصغيرة
وأرمرض الأسى فؤادها غير أنها تماسكت وصبرت ...
ومضى يومان ، وفى اليوم الثالث أتاها حامد ليخبرها
بعزمه على الرحيل إلى أسبوط بعد قليل
- وستركنى هنا وحدى يا حامد ؟

- وحدك ؟ وهل نسيت عممتك وخادمتك
« كعب الخير »

- ؟ ؟

- فلتكونى قوية يا عزيزتى

- لا أستطيع

- من أجلى . ومن أجل مستقبل

- ولكن ... ولكن ...

وخنفها البكاء فلم تستطع أن تقول ما تريد أن
تقول ، واقترب حامد منها وهو يقول :

- لا تبكى : وإلا أغضبتنى

فغضبت عبراتها بصعوبة . ولاذت بالصمت
ووضع حامده على كتفها وقال لها للمرة الثانية

- فلتكونى قوية يا عزيزتى

فرقت تهاى بصرها إليه بعد هنيهة . وتشددت
ومى تتمم :

- لماذا لا تجيبين يا سيدتى ؟

فالتفت إليها تهاى وقالت فى غضب :

- اصمتى ... لا تتكلمى ...

فصمتت الخادم وقد بدا الدهش على وجهها

عجيب أمر هذه الطفلة . لقد كانت تحب ...
تحب شاباً فى الثالثة والعشرين . فلنرجع إلى الوراء قليلاً
منذ عام ونصف عام مات والدها « تهاى »
وخلفاها تعيش مع عمه لها بالقاهرة . وفى منزل
تلك العمه - وهو المنزل الذى تقيم فيه تهاى الآن -
عرفت هذه الطفلة حامداً قريبها الطالب بإحدى
كليات الجامعة . وكان يقيم مع أمه فى أحد طوابقه
وأخذوا يلتقيان . كانت تنطلق إليه كل مساء
فتجلس معه تحادثه . وكان حامد يحبها حب الأخ
الكبير للأخت الصغيرة . ولذلك لم يكن يكره
أحاديثها ولا يعلمها

وعن أى شىء كانت تحدثه ؟

كانت تحدثه عن الدجاج والبط الذى تربيته
عمتها فوق سطح المنزل . وعن « بوبى » كلبها
المحبوب . وعن الدروس التى تتلقاها فى مدرستها .
وعن « أبله » خديجة مدرسة الحساب التى يسمونها
« بالغولة » وعن أشياء أخرى كثيرة من هذا الضرب
وازداد حب حامد لتهاى فبدأ يحضر لها الحلوى
والشكولاته . وفى كثير من الأحيان كان يؤاكلها
ويسير معها فى حديقة المنزل . وفى كثير من
الأحيان أيضاً كان يمازحها ويلاعبها
وابتدأت تهاى تحب حامداً حباً لا تعرفه
الطفلة ... حب امرأة لرجل أعجبها وراقها . ولم تعد
حينئذ تستطيع الابتعاد عنه

— حسن، سأكون قوية. هات خدك لأقبلك

قبلة الوداع

وقبلته قبلة الوداع وهي تشعر بشيء يبكي في أعماقها ويئن... ومرت دقائق ثم... ثم رحل حبيبها!

... في صباح اليوم التالي استيقظت تهاني من نومها على عتلة بلبل... وجلست على وساد سريرها وقد عاودتها أشجانها وآلامها.

وانقضى وقت قصير، ثم دخلت عليها عمتها، وهي امرأة نصف ليست بالجميلة ولكنها ليست بالدميمة.

— هل استيقظت يا تهاني؟

— أجل يا عمتي.

— حسن، قومي يا ابنتي لتستعدي للذهاب إلى المدرسة.

وخرجت العمة من غير أن ترى ما يبدو على تهاني من حزن وكآبة.

وانطلقت تهاني ذلك الصباح إلى مدرستها وهي تشعر بالوحدة والوحشة. وحينما انقلبت إلى منزلها في المساء كان شعورها بالوحدة والوحشة يزداد ويزداد وعزفت عن الطعام، واجتوت الحياة، ولزمت الحيرة نظراتها، وغشى الذهول بسماتها.

ودرجت الأيام، وتهاني حزينة كثيفة أسوانة وفي ذات يوم سألتها عمتها:

— مالك يا تهاني... إنك قد تغيرت كثيراً؟

فبكت تهاني وأخبرت عمتها بأمرها، أخبرتها به في صراحة طفلة ساذجة. فاحتضنتها العمة ووضعت رأسها على كتفها، ثم ربت على ظهرها في حنان وحذب.

— ولم لم تخبريني بذلك من قبل؟

— لم أكن أقدر!

— يالك من مسكينة.. ولكن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك الآن؟ إن حامداً في أسبوط، ونحن في القاهرة.

فلجت تهاني في البكاء ولم تجب!

ومضى يوم مديد ثقيل. وفي اليوم الثاني مرضت العاشقة الصغيرة، فلزمت سريرها تهني بكلام لا يفهم منه إلا أنها تشتاق إلى الحبيب النازح النائي... وخافت عمتها عليها، فكتبت إلى حامد تصف له حالها وتطلب إليه أن يحضر...

وحضر حامد من غير إبطاء، وما إن رآته تهاني حتى وثبت من سريرها وهرعت إليه فرحة لاهثة. وحملها حامد على ذراعيه، فتعلقت بعنقه وأخذت تقبله وتقبله... ثم تمتمت:

— حامد... هل أنت حقاً الذي أرى أم... ولفرط فرحها لم تستطع أن تتم كلامها! وأعادها حامد إلى سريرها وجلس بجوارها يحادثها. ونسيت تهاني آلامها ومرضها وهي تستمع إليه. وبدأ السرور يشيع في وجهها... ثم... ثم بكت فجأة. بكت من شدة السعادة والتصفقت بحبيبها وهي تنظر إليه من خلال دموعها نظرة كلها غبطة، وعلى شفيتها بسمة تفيض بالهناء.

— وستبقى بجواري يا حامداً أم سترحل ثانية؟ فقال حامد وهو يربت على خدها بيده، ناظراً إلى أهداب عينيها المخضلة بالدمع:

— لا يمكن أن أبقى هنا يا عزيزتي، وإلا أضمت وظيفتي

فاكتأبت وغازت بسمتها، وهمت أن تتكلم، غير أن حامداً سألها:

— هل يسرك أن أكون متعطلاً؟

— كلا . وكيف يسرنى أن تكون متعطلاً؟

— إذن دعيني أعد إلى وظيفتي وعليك بالصبر

فأطرقت رأسها في صمت !

ورفعت رأسها فجأة بعد قليل . ثم طلبت منه

أن يدنى أذنه من فمها . فلما فعل همست فيها بصوت

مرتبك لا يكاد يسمع ، وحمرة الخجل تصبغ وجهها

— هل تنوى أن تتزوج قريباً؟

وفهم شيئاً فقال لها وهو يضحك :

— كلا . لن أتزوج قريباً لأننى أريد أن

تكونى أنت زوجتى

وساد الصمت ... وبعد دقائق قالت تهانى

لحامد وهى تنظر إلى حجرها :

— يمكنك الآن أن تعود إلى أسيوط

وعاد حامد إلى أسيوط . وعادت تهانى تقاسى

آلام فراقه . غير أنها استطاعت أن تصبر على تلك

الآلام هذه المرة

وبدأت العاشقة الصغيرة تحلم بمستقبل سعيد

ها هى ذى قد أصبحت زوجة لحامد ، ها هى

ذى تعيش معه ، ها هى ذى تقبله فى الصباح حينما

يهم بالخروج من المنزل ، وفى المساء عند ما يرجع

إليه ، ها هى ذى تطبخ له طعام « السبانخ » الذى

يحبه ... ها هى ذى ... ها هى ذى ...

وأخذت تهانى تدعو الله أن يحقق حلمها .

وكانت فى كثير من الأحيان تضع كلبها الصغير على

صدرها وتهمس فى أذنه : « سوف ترانى غداً أيها

الكلب وقد أصبحت زوجة لحامد »

ولم تعد الطفلة تهتم بشيء كما تهتم بفننها

وبما سيكون فيه من سمادات ولذات وأفراح .

ولذلك امتلأت حياتها بالآمال والأحلام

وذاقت تهانى ظم السهاد مرات كثيرة ...

ولكن أى سهاد هو هذا الذى ذاقت طعمه ؟ ! إنه

السهاد الطويل القاسى الثقيل ... سهاد العاشقين .

وأدبرت أسابيع وأسابيع ... والطفلة صابرة

لا تشكو ، قوية لا تضعف ... وفى يوم من الأيام

شمرت برغبة شديدة ملحقة فى البكاء . فلجأت إلى

ركن قصى بعيد من أركان حديقة المنزل ، وجلست

تبكى بحرقة

ولكنها انقطعت عن البكاء بغتة وراحت تسأل

نفسها : « لماذا تبكى ؟ » وذكرها هذا السؤال بشيء

فعادت تبكى

وبلات الدموع خديها فمسحتها بكم ثوبها .

وجاء إليها كلبها فى تلك اللحظة ، فأمسكت به ،

ووضعت على حجرها ، ثم مالت عليه تكلمه :

— إننى شقية يا بوبى ، شقية جداً ، وقلبي

يوشك أن يخنق أو يحنق . كم أحن إلى الراحة !

كم أحن إلى الراحة !

وصمتت لحظة ثم أردفت :

— لقد صبرت على شقائى طويلاً يا بوبى ...

ويخيل إلى الآن أننى لن أستطيع أن أصبر أكثر

من ذلك . إنى لأود أن أجد حامداً بجوارى هذه

اللحظة لأشكو إليه حالى

ولكن هيهات أن تجد حامداً بجوارى . فحامد

فى أسيوط : وهى فى القاهرة ، يالها من طفلة شقية

يالها من عاشقة معذبة !

شيء واحد أسعد « تهانى » فى تلك الأيام

البائسة الأليمة ، ووضع فى قلبها الشجى الأسوان

(٥)

تعلم أنى بدأت أحب الحياة ، وأستمعذب آلام
الحب ؟ ! »

وتولت ثلاثة أشهر والحبيب لا يبرح غائباً .
وفي ذات يوم عادت تهانى من مدرستها . فلما رأتها
خادمتها « كعب الخير » دنت منها وقالت لها وهى
تبتسم :

— عندى لك يا سيدتى خبر سار

— ما هو ؟

— سيدى حامد قريبك سيقدم غداً إلى هنا ...
فألقت تهانى بكتبها وكراستها على الأرض .
وأخذت ترقص وتغنى وتصفق فى سرور وجبور .
غير أنها كفت عن الرقص والغناء والتصفيق بغنة
حينما سمعت خادمتها تم كلامها قائلة :

— وسيقضى هنا ثلاثة أيام يعقد قرانه فى
خلالها على قرية له تقيم بالزمالك

يعقد قرانه على قرية له تقيم بالزمالك ! ...
وحملت تهانى فى وجه كعب الخير وقد ظهرت عليها
الدهشة . ثم هتفت فى صوت خافت متهافت :

— أحق ما تقولين ؟

— وهل تظنين أننى أكذب عليك ؟

قالت الخادمة وهى تعجب من الدهش الذى
يبدو على سيدتها الصغيرة ... فتولت تهانى من غير
أن تنبس !

أفى مثل ومضة البرق يتحطم الأمل الذى كانت
تميش به !

أفى مثل طرفة العين يهدم المستقبل الذى كانت
لا تزال تبنيه !

يا لشقاء جدها ...

قليلاً من الطمأنينة والهدوء . وهو هذه الرسالة
القصيرة التى أرسلها حامد مع كتاب بعث به
إلى عمته

« زوجتى العزيزة تهانى هانم ...

أقبلك ألف قبلة . وبعد فلتعلمى أنى لا أنساك ،
وأنى مشتاق جداً إلى رؤيتك ... أملى أن تكونى
سعيدة ، وتقبلى تحياتى الحارة

زوجك : حامد »

لقد كادت تبجن من فرط الفرح حينما قرأت
تلك الرسالة ، « فلتعلمى أنى لا أنساك وأنى مشتاق
جداً إلى رؤيتك » . ما أجمل أن يقول لها حامد
هذه الكلمات !

ووضعت تهانى رسالة حامد تحت وسادة سريرها
بعد أن أشبعتهما لثماً وتقبيلاً ، ثم أحضرت ورقة
وقلماً وكتبت هذا الخطاب :

زوجى العزيز حامد أفندى

أقبلك مليون قبلة ، لا ألف قبلة فقط ... وبعد
فقد وصلتني رسالتك الرقيقة ، وسررت بها كثيراً
وأحب الآن أن تعرف أن صورتك المحبوبة لا تفارق
نخيلتى ، وإنى لأتمنى أن تعود إلى قريباً ، لأجالسك
وأحادثك ، وأؤاكلك ، ولأرشف الماء على وجهك .

زوجتك المشتاقة إليك جداً « تهانى »

وعزمت على أن ترسل هذا الخطاب إلى حامد ،
من غير أن تعلم عمته بذلك ... وقد فعلت ...

وفى اليوم الذى أرسلت فيه ذلك الخطاب ،
جلست مع كلبها فى ركن حديقة المنزل البعيد
ولأول مرة منذ مدة طويلة تكلمت فى سعادة :

« إنى سعيدة اليوم يا بوبى ، سعيدة جداً ، فقد

بعث حامد إلى برسالة ، وبعثت إليه برسالة . هل

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغالي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

ودخلت غرفة نومها . وجلست على السرير
وصدرها يعلو ويهبط بشدة وعنف وبصرها ذاهل
حائر شارد . ثم سألت نفسها :

أهي تحلم ؟

وبسمت بسمة حزينة مرة : كلا إنها لا تحلم
فقد عادت من مدرستها منذ قليل

وأحست أن الدنيا تظلم ، وأن الجو يمتلئ
بضباب أسود قابض . وخيل إليها أن روحها
قد سلبت منها ، وأنها لم تعد تحيا
وتقضت برهة ...

ها هي ذى تهض عن سريرها وتخطو في الغرفة
بضع خطوات . أواه .. إنها لتكاد تقع على الأرض
من شدة الإعياء الذي سببته لها الآلام التي هجمت عليها
ها هي ذى تقف ... آه ... إن أنة مذبوحة
باكية تنساب من بين شفثيها المرتعشتين
ها هي ذى تفكر ... أوه ... لقد تألفت
في عينها دمة

وتقضت برهة أخرى

لقد رجعت المسكينة إلى سريرها ... فألفت
بنفسها عليه . وراحت يجهمش بالبكاء .

يا لها من طفلة شقية . يا لها من عاشقة معذبة !

... في اليوم التالي قدم حامد . وحينما علمت
تهاني بقدومه أسرعت بمبارحة المنزل من غير
أن تراه أو يراها

لم بارحت المنزل ؟ ... وإلى أين ... ؟ ... لا يعلم
أحد ... ومضى النهار دون أن تعود الطفلة إلى بيت
عمتها . وفي ساعة متأخرة من الليل رآها بعض
رجال الشرطة جالسة على إفريز شارع من شوارع
القاهرة وهي تبكي وتنتحب III .

عبد العظيم العشيري

مسرحية

الفاجرة القديسة

للطبيب الانجليزى أسكار وايلد

بقلم الأديب سامى أحمد الناقص

الرجل الثانى — أظنها لإحدى الرباب
أتت من النوبة

الرجل الأول — بل أنا واثق من أنها
ابنة الامبراطور ، فأظافرها ملونة بالحناء
وكأنها أوراق ورد أحمر ، وقد أتت إلى هنا
لتبكي أودنيس

الرجل الثانى — إنها واحدة من الرباب،
ولكننى لأدرى السبب الذى تركت من
أجله معيها ، لأن الأرباب لا يتركون

معابدهم ، إذا ما خاطبتنا لا نجيبها
فتركنا وتسير فى طريقها

الرجل الأول — لن تخاطبنا
لأنها ابنة الإمبراطور

ميرهينا — ألا يسكن هنا
ذلك الناسك الجميل الشاب الذى
لم ينظر إلى وجه امرأة ؟

الرجل الأول — حقاً إن
الناسك يقيم هنا

ميرهينا — لماذا لن ينظر
إلى وجه امرأة ؟

الرجل الثانى — لا علم لنا
بذلك ...

ميرهينا — لماذا لا تنظران
أنما نفسا كما إلى ؟

الرجل الأول — لأنك

تتحلين بكثير من الأحجار اللامعة التى تغشى أبصارنا
الرجل الثانى — إن ذلك الذى ينظر إلى الشمس
يصبح أعمى ، وأنت تتحلين بأشياء كثيرة البريق ،
وليس من العقل أن ننظر إلى أشياء كثيرة اللعنان ،
فكثير من كهان المبدعى يسرون على هدى عبيدهم

تعريف بالقصة

« أسكار وايلد من أكبر
الكتاب الانجليز ، وله أربع
مسرحيات صغيرة كتلك التى نترجمها
له وبعض هذه القطع الصغيرة كتبه
شعراً كتلك التى سماها « مأساة
فلورنسية » والتى سنترجمها لقراء
الرواية إن شاء الله . وقد كتب
أوسكار قطعة مسرحية باللغة الفرنسية
هى سالوما كتبها فى باريس بعد أن
طرد من انجلترا لجريرة خلقية
ولأسكار وايلد غير المسرحيات
عدة قصص قصيرة وأخرى كبيرة
وبعض الأشعار والرسائل . والقطعة
التي نترجمها له مثل سالوما فيها روح
كتابات أناطول فرانس فى تاييس ،
وبيير لويس فى أفروديت ، وما هى
فى حد ذاتها إلا ملخص بسيط لرواية
تاييس ، ففيها الراهب الذى ضل بعد
أن هدى الراقصة الضالة ، وفيها
نفس الجو الذى يحيط بتاييس »

المنظر : ركن فى أحد وديان
طيبة ، إلى اليمين غار وضع أمامه صليب
كبير ، وإلى اليسار كثبان رملية ،
السماء لونها أزرق بينما الكثبان مكونة
من رمل أحمر ، وقد انتثرت هنا
وهناك على الكثبان أدغال من الشوك

الرجل الأول — من هى
فإنها تخيفنى ؟ إنها تلبس ثوباً
بنفسجياً وشعرها كالخيوط
الذهبية ، أظنها ابنة الامبراطور
فقد سمعت الملاحين يقولون : إن
للإمبراطور ابنة تلبس ثوباً
بنفسجياً

الرجل الثانى — على صندلها
أجنحة طيور وثوبها فى لون الذرة
الأخضر . إنها عندما تقف دون
حرك تشبه عود الذرة فى الربيع

وعندما تتحرك تشبه عوداً صغيراً من الذرة تطير.
فوقه الصقور فيضطرب تحت خيالها ، وعلى ثوبها
جواهر تشبه عدداً من الأقمار

الرجل الأول — بل تشبه الأقمار التى يراها
الرأى فى الماء عند ما تهب الرياح فوق التلول

ميرهينا — وأين يسكن ذلك الناسك الجميل الشاب الذى لن ينظر إلى وجه امرأة؟ أيسكن منزلاً من القصب أم منزلاً من الحجر الأحمر؟ أويرقد فى سفح التلّول أم ينام على فراش من البردى؟

الرجل الأول — إنه يسكن هذا الغار

ميرهينا — ما أعجبه مكاناً يصلح للسكنى!

الرجل الأول — فى غابر الأزمان كان يسكن فى الغار جواد له رأس إنسان، فلما جاء الناسك صرخ الجواد وأخذ يبكي وينوح ثم خر بعيداً

الرجل الثانى — كلا، بل كان يسكنه وحيد القرن الأبيض الذى عند ما رأى الناسك سجد له وعبدته، وقد رآه الكثيرون وهو يعبدته

الرجل الأول — قد حدثت قوماً رأوه

الرجل الثانى — يقول البعض إنه كان خطاباً يعمل بأجر ولكن ربما كان ذلك خبراً كاذباً

ميرهينا — مَنْ تعبدان إذن من الآلهة؟ أو لعلكم لا تعبدان إلهاً؟ فهناك كثيرون ممن لا يعبدون أى إله كالفلاسفة ذوى اللحي والثياب الرمادية الذين لا يعبدون أحداً، ولكنهم يتناقشون ويتجادلون فى الأروقة

الرجل الأول — إننا نعبد سبعة من الآلهة لن نذكر أسماءهم لأنه من الخطر الشديد أن نذكر أسماء آلهتنا التى نعبدتها، ولا يوجد فى العالم من يذكر أسماء آلهته، حتى ولا الرهبان الذين يصلون للآلهة طول اليوم ويأكلون معهم من طعامهم يستطيعون أن ينادوهم بأسمائهم الحقيقية

ميرهينا — وأين هى تلك الآلهة التى تعبدونها؟ الرجل الأول — إننا نخفيهم بين طيات ثيابنا ولا نريهم لأحد لأننا لو فعلنا ذلك وأظهرناهم للناس يتركوننا.

ميرهينا: وأين وجدتموهم؟ الرجل الأول: أعطانا إياهم رجل من الذين يحنطون الموتى، وجدهم فى قبر من القبور، ولذلك نخدمه نحن منذ سبع سنين.

ميرهينا: إن الميت مخيف والموت يزعجنى كثيراً الرجل الأول: ليس الموت إلهاً، وما هو إلا خادم للآلهة.

ميرهينا: إنه الإله الوحيد الذى أخافه، هل رأيتما كثيراً من الآلهة؟

الرجل الأول: نعم رأينا كثيراً منهم فالإنسان يراهم على الخصوص ليلاً حيث يمرون أمامه فى سرعة كبيرة، وقد رأينا مرة بعض الآلهة عند انبثاق الفجر يسرون عبر أحد السهول.

ميرهينا: لقد سمعت مرة وأنا أسير خلال السوق سوفسطائياً يقول بأنه لا يوجد إلا إله واحد، وقد قال ذلك أمام جمع كبير.

الرجل الأول: هذا ما لا يمكن أن يكون. فنحن قد رأينا الكثيرين من الآلهة بالرغم من أننا من العامة ولا خطر لنا، وعندما أراهم أختفى فى دغل من الأدغال فلا يؤذوننى.

ميرهينا: خبرانى أيضاً عن ذلك الناسك الجميل الشاب. حدثانى عن الناسك الجميل الشاب الذى لن ينظر إلى وجه امرأة، ما هى قصة حياته؟ وأى نوع من الحياة يحياها؟

الرجل الأول: إننا لا نفهمك.

ميرهينا: ما الذى يفعله ذلك الناسك الجميل الشاب؟ أيزرع حديقة أم يصيد السمك بالشباك؟ هل ينسج الصوف على النول؟ أم هل يضع يده على المحراث الخشبي ويسير وراء الثيران؟

الرجل الثاني : إنه لا يفعل شيئاً لأنه رجل مقدس ، أما نحن فمن العامة ولا خطر لنا ولهذا نعمل طول اليوم تحت لهيب الشمس ، وكثيراً ما تكون الأرض في منتهى الصلابة .

ميرهينا — أتعلمه الطيور أم تقاسمه بنات آوى غنائها ؟

الرجل الأول — إننا نحن الذين نحضر له الطعام كل مساء ، ولا نظن أن الطيور تطعمه

ميرهينا — ولماذا تطعمونه ؟ وأي فائدة تعود عليكم من هذا العمل ؟

الرجل الثاني — إنه رجل مقدس . وقد غاظ أحد الآلهة فجعل منه مجنوناً . وأظن أن الإله المغيظ هو القمر

ميرهينا — إذهبوا وأخبروا أن هناك من أتت من الإسكندرية رغبة في التحدث إليه

الرجل الأول : لا جرأة لنا على ذلك ، فإنه في هذه الساعة يصلي لإلهه . فزجو أن تسامحنا إذ لم نأتمر بأمره

ميرهينا — أتخشيانه ؟

الرجل الأول — نعم نخشاه

ميرهينا — ولماذا ؟

الرجل الأول — لا نعلم لذلك سبباً

ميرهينا — وما اسمه ؟

الرجل الأول — إن الصوت الذي يخاطبه ليلاً في الغار يناديه باسم هونوريوس ، وبهذا الاسم أيضاً ناداه البرص الثلاثة الذين مروا في وقت ما من هذا المكان ، ولذلك نظن أن اسمه هونوريوس

ميرهينا — ولماذا ناداه الثلاثة الرجال البرص ؟

الرجل الأول — طمعاً في أن يشفيهم

ميرهينا — وهل شفاهم ؟

الرجل الثاني — كلا ، لأنهم لم يصبحوا برصاً إلا لأنهم ارتكبوا إثمًا ، وقد صارت وجوههم وأيديهم كالملح ، وكان أحدهم يلبس قناعاً من الصوف لأنه ابن ملك

ميرهينا — وما هو هذا الصوت الذي يخاطبه من كهفه أثناء الليل ؟

الرجل الأول — لا نعرف صوت من هذا ، ولكننا نحسبه صوت إلهه لأننا لا نرى أحداً يدخل الغار ولا يخرج منه

ميرهينا — هونوريوس

هونوريوس — (من الداخل) من ينادي هونوريوس ؟

ميرهينا — أخرج إلى يا هونوريوس إن حجرتي مسقوفة بخشب الأرز ومعطرة بالزهر وعمد سريري من الأرز وأستاره ذات لون أرجواني وقد غطى بالأغطية الأرجوانية ، وله درجات من الفضة وهذه الأستار الأرجوانية مشدودة برمانات من الفضة بينما تترعى الدرجات الفضية الزعفران والمر إن أحبائي يضمون أكاليل الورود حول أعمدة بيتي ويأتون إليّ في الليل ومعهم عازفات الناي والقيثار ويتوددون إليّ بالتفاح ويكتبون أسماءهم على عتبة بابي بالخمر

من أبعد الأمكنة يأتي إليّ العشاق والملوك حاملين هداياهم

وعند ما علم امبراطور بزنطة بوجودي ترك حجرتي ذات اللونين الأبيض والبنفسجي وأبحر في الحال إليّ دون أن يحمل عبيده المشاعل حتى لا يعلم أحد بحضوره . وعند ما سمع ملك قبرص بي أرسل إليّ السفراء ، وقد أرسل إليّ ملكاً ليبيّا الأخوان هدايا من العنبر

وقد أعجب بي قيصر وأصبح عشيقى وجاءنى
ليلاً فى محفته وقد بهت لونه ، وكان جسده كالعسل
وقتل أحد الأشراف نفسه فى سبيلى ، بينما جلد
حاكم سليسيا نفسه أمام جوادى وعبيدى ليسلبنى
ووضع ملك هيرابوليس الكاهن اللص السجاد
فى طريقى لأسير عليه

وفى بعض الأحيان أذهب إلى الملعب فيتصارع
المصارعون تحت مقصورتى . وقد حدث مرة أن
هزم أحد عشاقى فأشرت إليه أن يموت فصفق
كل من فى المسرح . وفى مرات أخرى أمر خلال
الملعب فأرى الشباب يتصارعون أو يتسابقون
وقد لمت أجسامهم من الزيت المدهونة به وعلت
جياهم ضغائر من الصفصاف المندى والآس ،
وهم إذ يتصارعون يثبتون أقدامهم فى الأرض
الرملىة بينما يتبعهم الرمل إذا ما تسابقوا وكأنه
سحاب خفيف ، فذلك الذى أبتسم له من بينهم
يترك رفاقه ويسير خلفى حتى منزلى . وفى أوقات
أخرى أذهب إلى المرفأ لألاحظ التجار وهم يفرغون
سفنهم بين ثيرانى يبيع العباءات الحريرية والأقراط
الزمردية ، ومسيلي يبيع العباءات المصنوعة من
الصوف الرقيق والأقراط النحاسية ، فعند ما يروننى
يقفون فى مقدمات سفنهم وينادوننى ، ولكننى
لا أجيب لهم نداء بل أذهب إلى الحانات الصغيرة
حيث الملاحون يشربون الخمر السوداء ويلعبون
بالزهر فأجلس بينهم

وقد جعلت مرة من الأمير عبداً لى ومن عبده
الثيرانى سيداً لمدة شهر قمرى كامل
ووضعت فى إصبعه خاتماً مصوراً وجلبته إلى
بيتى الذى يحوى عدة أشياء رائمة

إن رمال الصحراء تغطي شمرى والأشواك

تمزق قدميك والشمس تشقق بشرتك ، فتعال مئى
يا هونوريوس وأنا أدرك بثياب حريرية وأمسخ
جسدك بالر وأسكب على شمرى الناردى ، تعال
وسأدرك بزهور الهيا كينث وأضع فى فمك شهداً :
الحب

هونوريوس - لا حب إلا حب الله
ميرهينا - من هو ذلك الذى يبلغ حبه مبلغ
حب الرجال الفانين ؟

هونوريوس - إن ذلك الذى تربنه على الصليب
يا ميرهينا قد ولدته عذراء وأحضر له ثلاثة من الملوك
الحكماء الهدايا وأيقظ الرعاة النائمى على التلول
ضوء هائل عظيم

كانت العرافات يعرفن بقدومه ، والغابات
تحدث عنه ، وقد ذكره داود وغيره من الأنبياء .
لا حب يشبه حب الله ولا يدانيه ، بل لا يمكن
أن يقارن به

إن الجسد دنس يا ميرهينا فليمنحك الله جسداً
لا يعرف الدنس . وستسكنين فى ملكوت السموات
حيث ترين الله بشمره الذى يشبه الصوف الناعم
وأقدامه النحاسية

ميرهينا - الجمال ...
هونوريوس - إن جمال الروح يتزايد حين
يرى الله . لذلك يجب أن تكفرى يا ميرهينا عن
خطاياك ، فقد أدخل اللص الذى صلب إلى جانبه
الجنة (يخرج)

ميرهينا - ما أعجب هذا الكلام الذى قاله لى !
وما أكبر الاحتقار الذى نظر إلى به ! لست أدرى
لماذا حدثنى بهذه الطريقة المعجبية

هونوريوس - لقد زالت الفشاوة عن عيني
يا ميرهينا واستطعت أن أرى ما لم أكن أراه من

قبل ، خذيني إلى الإسكندرية ودعيني أذوق الخطايا
السبع

ميرهينا : لا تسخر مني يا هونوريوس ولا توجه
إلى هذه الألفاظ المرة ، فقد ندمت على خطاياي ،
وسأبحث عن غار في هذه الصحاري لأعيش فيه أنا
أيضاً حتى تتطهر روحي وتصبح حقيقة برؤية الله
هونوريوس : الشمس تغرب يا ميرهينا فهيا معي
إلى الأسكندرية .

ميرهينا : لن أذهب إلى الأسكندرية !

هونوريوس : الوداع يا ميرهينا .

ميرهينا : الوداع يا هونوريوس ... لا ، لا ، لا
لا تذهب !

... إنى ألعن جمالى لما فعل ، وألعن جسدى

الشهى لأنه جلب الشر إليك ...

يا رب ، لقد جلبنى هذا الرجل إلى قدميك ،
وأخبرنى عن قدوم المسيح إلى الأرض وعن مولده
العجيب وعن موته أيضاً ، وبسببه يا رب تكشفت لى
هونوريوس : إنك يا ميرهينا تتكلمين كالأطفال
الذين لا علم لهم ، أطلق يدك ، لماذا أتيت إلى هذا
الوادي في هذا الجمال ؟

ميرهينا : إن الرب الذى تعبد هو الذى قادنى
إلى هنا لا كفر عن سيئاتى وأعرفه .

هونوريوس : لماذا غررتنى بكلماتك ؟

ميرهينا : حتى ترى الخطيئة في قناعها الملون ،
وتلقى نظرة على الموت في ثوب العار .

سامى أحمد النافى

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوع
ومنفولة .

المن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالثمانية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

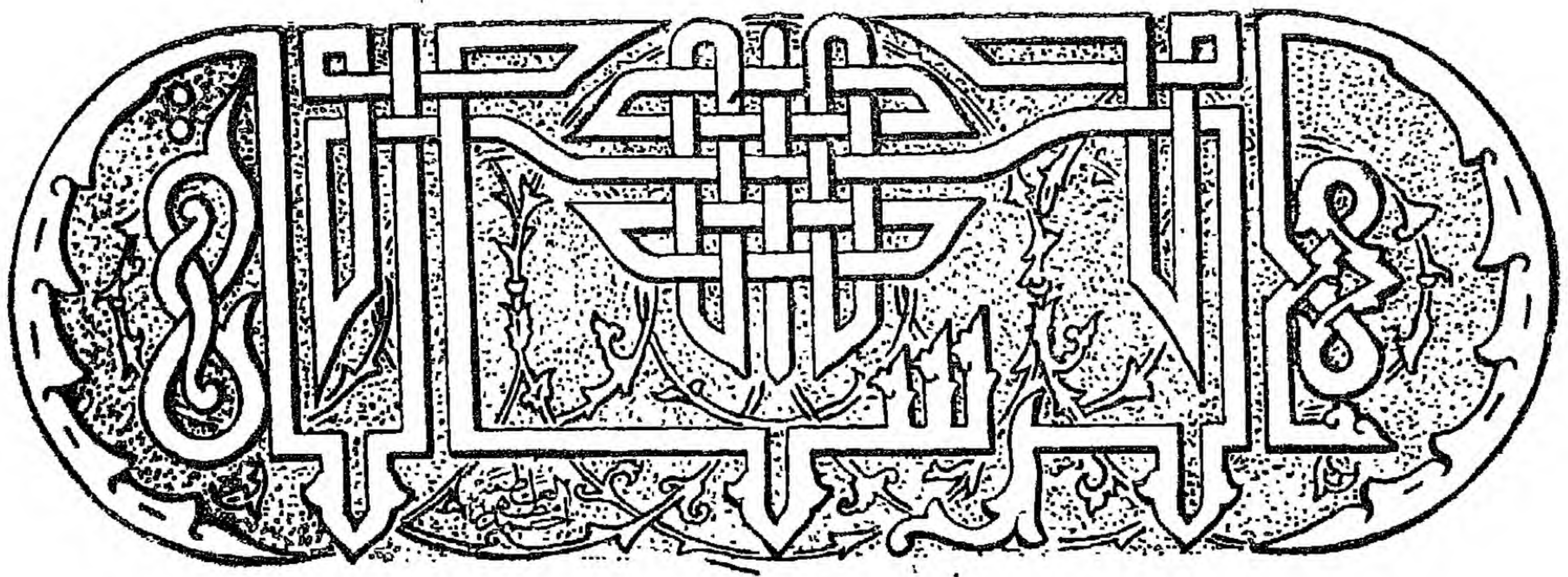
٧٠ عن كل سنة من السنوات الثانية والثالثة

والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصُدُ ظَوَاهِرَ التَّطَوُّرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفَ عَامَّةِ

الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْأَخْصِيَّةِ قَرِيبًا ، وَالْخَارِجِيَّ مَا بَيْنَ مِصْرَ ، وَلِلْبُحْدُودِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَخْصَمِ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٠ شوال سنة ١٣٥٨ — أول ديسمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٩

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	عن	بقلم
١٠٩٨	لقد كنت أباً مستبدأ ...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
١١٠٩	السكرتيرة المؤقتة ...	بقلم الأستاذ «ع. ا. ع» ...
١١١٣	إتقاذ العلم ...	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
١١١٥	تسليية حزمارة ...	بقلم الأديب شفيق ذهني ...
١١١٨	العش الخالى ...	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١١٢٢	نبل الحب ...	بقلم الأستاذ مراد الكردانى ...
١١٢٥	ليلة الذكرى ...	بقلم الأديب محمد محمود اللبني ...
١١٣٠	زوجة غرام ...	بقلم الأديب كمال الحريري ...
١١٣٢	سرالمعلم كورنى ...	بقلم الأديب عبد الفنى العطرى ...
	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ «ع. ا. ع» ...
	للكاتب الفرنسى أوكتاف فوييه ...	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
	للكاتب جورج ميرديث ...	بقلم الأديب شفيق ذهني ...
	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
	أقصوصة شرقية ...	بقلم الأستاذ مراد الكردانى ...
	أقصوصة مصرية ...	بقلم الأديب محمد محمود اللبني ...
	للقصصى الدانمركى أندرسن ...	بقلم الأديب كمال الحريري ...
	للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه ...	بقلم الأديب عبد الفنى العطرى ...

لقد كنت أباً مستبداً

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

من حقوق . فتنهم بالحب والمطف
من الرجل الذي اصطفته نفسها ...
الرجل الذي لعلاقته بها معنى لا يمكن
أن يكون لعلاقة أيها بها على
الإطلاق .

لقد كنت رجلاً صلب الإرادة
كونت نفسي بنفسى وكنت أعيش

في « دريشير » على مقربة من بلدة اسمها « دايك »
وكان أبى مزارعاً ولكننى لم أحب قط الكدح
المستمر في حياة الزراعة ، ولم أكن لأحتمل أن أرى
التغير المفاجئ في الجو من صقيع قارس إلى شمس
محركة أو مطر غزير يتلف عمل السنة كلها

ذهبت إلى « دايك » في السنة التي تركت فيها
المدرسة وحصلت على عمل كتابي عند تاجر من تجار
الغلال والحبوب . فلم تمض خمس سنوات حتى
امتلكت ذلك المتجر ، وأصبحت قياساً على مستوى
الحياة في « دايك » رجلاً غنياً ، وكنت رجلاً
متكبراً شديد الإرادة ، تمودت أن أسلك الطريق
التي تروقني وأن أذهب إلى أبعد المدى للحصول
على ما أرغب في الحصول عليه

وكنت شديد الغرور بنفسى حتى حسبتني قد
عملت عملاً مدهشاً عند ما تزوجت من فتاة من
إحدى المزارع المجاورة ولم أتزوج من إحدى فتيات
البلدة التي أعيش فيها ، ولقد كانت « وني نورفل »
فتاة حلوة محبوبة ، لها عينان زرقاوان لطيفتان
وشعر ذهبي جعد . وكانت وديعة رقيقة حتى لقد
رضخت لي في كل شيء . وليس من شك في أن ذلك
لم يكن بالأمر الصالح لي فقد زادني استبداداً وتحكما
وبعد زواجنا بأربعة أعوام رزقنا بابنتنا الصغيرة

« أكان تصرفه نتيجة حبه ابنته
أم نتيجة غيرة من الرجل الذي أحبه ؟ »

الغيرة لغنة هائلة . وسل عن هذه الحقيقة
أى إنسان ابتلى بما يبعث إلى النفس غول الغيرة
« الأخضر العين » من الفصص والشكوك والعذاب ،
والغيرة على الشخص الذي نجه رجلاً كان أو امرأة
شيء غير مستحسن إلى حد ما . ولكن الشيء
المقطوع بأنه لا مبرر له على الإطلاق هو الغيرة
على ابن الإنسان من لحمه ودمه

وأنا عالم بهذه الحقيقة لأننى كنت أباً يغار على
ابنته ، لقد كنت أحبها حباً جنونياً ، ولم أكن
لأحتمل أن أرى رجلاً آخر ينظر إليها نظرة تم
عن الحب والرغبة ، بل حتى قبل هذا كنت أكره
أن تبتمد عني لتلهو بلعبها . وكان الألم يحز في قلبي
إذا رأيتها وهي طفلة تتسرب إلى ساعدى أحد
الجيران الذين يحبونها وقد فتحهما مرحباً بها

ألا يرى القارىء أن هذا شيء كرهه وغير
طبيعى ؟ ولو كنت خيراً مما كنت بالفعل لحاربت
هذا النقص في نفسى وتغلبت عليه . فالأب الذى
يحب ابنته حباً صادقاً يجب أكثر من كل شيء
آخر أن تتمتع ابنته بكل ما خولتها طبيعة المرأة

«ميرا» وكانت ولادتها عسرة تأملت منها «ونى» أشد الألم ، وحذرني الدكتور جريفن من أن أرزق بأطفال جدد . ولكننى لم أتعود أن أعمل بما يقدم لى من نصيح . وكان من جراء ذلك أنه عند ما وضعت امرأتى بعد سنتين ولداً ثانياً ماتت هى والولد جميعاً

وأحضرت أختى «نانسى» لتسكن معى وتدير شئون بيتى . وكانت عزباء رفيعة الوجه ذات كفاية ومقدرة . وكان لها مال تستثمره فى العقار فكانت من الناحية المالية فى حال مرضيه، ولكن كان يسرها أن يكون لها بيت، لذلك رغبت عن رضا فى إدارة شئون بيتى

ولم تحسن العلاقة قط بين أختى وبين «ميرا» فقد كانت «ميرا» مستقلة عنيدة ، وكانت ظريفة إلى أقصى حدود الظرف ، عيناها براقتان يضرب لونهما إلى الزرقة الداكنة ، وكان شعرها مجموعة من التجاعيد المصقولة

ولقد قلت إننى لم أكده أحب أن «ميرا» تنظر إلى أى إنسان آخر حتى عند ما كانت طفلة ، على أن الحق بدأ يقتل نفسى عند ما وصلت ابنتى إلى السن التى تجذب إليها أنظار الفتيان الذين أخذوا يلتفون حولها

وفى الحق كان الشبان يتقاطرون أسراباً ليدوروا حول ميرا كما يدور الفراش حول الضوء الساطع . فكنت إذا جئت البيت وجدتهم يفتنون فى غرفة الجلوس أو جالسين فى الحديقة أو مشغولين بصنع الحلويات فى المطبخ

لم يكن فى ذلك شيء أكثر من أنه تسلية بريئة سعيدة ، وكان من الواجب أن أشجعها وأرحب بها

بدلاً مما كنت أبدى من جفاف، إذ كنت أظهر ، وإن لم أصرح ، عدم ارتياحى إلى هذه الاجتماعات . على أننى كنت دائماً ألبى جميع طلبات ميرا ، فلم يكن هناك ما يبرر حرمانها أن تتمتع بصحبة رفاقها من الشبان ، وما أشك فى أنها لم تسيء قط الظن فى شعورى حيال سلوكها

ووقعت «ميرا» آخر الأمر فى شرك الحب — وكان حباً جدياً عميقاً — وكان حبيبها ابن أحد المزارعين واسمه كريستوفر هاريسون ، وقد عرف أحدهما الآخر منذ أيام المدرسة . ولم أنكر فى نفسى وشعور الحسد يكتنفنى أنه فتى جميل واضح القسمات يدل تركيبه على القوة والحزم وله عينان براقتان يقططان ...

وقد رأيته مرة فى البلدة فأقبل على فى هدوء وسألنى إن كنت تسمح له أن يوصل «ميرا» إلى البيت فى سيارته فلم يسمنى إلا أن أوافق على طلبه . وكانت الليلة مقمرة لطيفة ، ولم تكن المسافة بين البلدة والبيت بعيدة ، فراقبتهما وهما يستقلان سيارته القديمة المكسورة ، وعلى حين فجأة لحظت فى عيني «ميرا» نظرة وقعت من نفسى موقع الوخز بالحديد الملتهب ، نظرة امرأة يتجلى قلبها فى عينيها بادياً لرفيقها فاستقللت سيارتى وتبعتهما عن قرب حتى لا يفينا عن عيني ، كأنما كنت أخشى أن يهربا إلى مكان بعيد ، ولكنهما قصدا إلى البيت مباشرة ودخلا إلى غرفة الجلوس يضحكان مبتهجين ، وأدارا الفونوغراف يستمعان إلى نغماته بينما كنت أتمشى فى الحديقة الخلفية أمام نوافذ الغرفة

ولم تلبث نانسى أن دعتنى للدخول إلى المطبخ حيث كانت جالسة وقالت لى فى لهجة عنيفة :

— أرجو ألا تكون معترفاً أن تسمح بزواج
ميرا من هذا الفتى ابن الزارع ، إنها إن فعلت ذلك
فلن أعطيها فلساً واحداً من ثروتي
فأجبتها في شيء من الاعتراض وكأما وجدت
في قولها ما ينم عن آمال قلبي :

— إن مجرد زيارة فتاة زيارة عادية لا يعنى الرغبة
في الزواج
فقلت أختي :

— إنه يتردد على زيارتها منذ وقت طويل ،
وفي نظرات أحدهما إلى الآخر معان بعيدة ما في
ذلك من شك . وإنى لأود أن أرسلها إلى الكلية
حيث تتوافر لها فرص التعرف بشبان أغنياء من أبناء
الأسر الكبيرة

ووافقت نانسي على ما قالته فيما يتصل بكريستوفر ،
ولكننى لم أكن راغباً حتى في أن تقابل « ميرا »
أحداً من أبناء الأسر الكبيرة ، بل لم أكن ، في
الواقع ، أحب أن ترى أى إنسان على الإطلاق
لم أندم إذن عند ما جاءنى « كريس » بعد
بضع ليال خياني بتحية لطيفة على الطراز القديم
وخطب إلى « ميرا » زوجاً له

فما سمعت قوله حتى أحسست أن الألم يحز في
قلبي حز السكين ، وشعرت كأن الغضب يتحرك في
نفسى . ولكننى حتى في لحظة ألمي الجارح علمت
أن الغضب لن يودى إلى نتيجة ما . فقلت في هدوء :
— إنى لأحترمك يا بنى لمحيثك إلى كما يفعل
الرجال تخطب إلى ابنتى فهل لي أن أسألك إن كنت
تحبها ؟

فقال في صوت هادى مضطرب تبدو فيه نغمة
الجد والشجاعة :

— من كل قلبي يا سيدى

فقلت :

— إذن إن كنت تحبها حقاً فيجب أن تفكر
في مصلحتها ورفائها ، وأظنك ترى أن حياة زوج
الزارع ليست بالحياة اللينة المريحة و ...

وقطع الفتى على الحديث في تحمس وقال :

— سأعد كل ما تتطلبه راحتها ورفاهتها فقد
أعطانى أبى حقلاً من الشعير ، ووفقاً لثمن الشعير
الحالى سأحصل منه على مائة من الجنيهات صافية في
الخريف المقبل ، وقد وعدنى أبى بأن يعطينى ثلاثين
فداناً من أرضه متى تزوجت . وإنى لأستطيع بمائة
الجنيه أن أبني داراً صغيرة جميلة وإنك لتعلم أننى
نجار ماهر

واخفت غنة البهجة من صوت الفتى وتلاشت
نظرة السعادة من عينيه لما رأى من سكوت المتجهم
وقلت آخر الأمر في لهجة رقيقة :

— إن هناك فارقاً يا « كريس » بين الحب
وبين الحياة . فلقد كنت أنا نفسى أعيش في مزرعة -
وكذلك كانت تعيش ممي فيها أم « ميرا » ولكننى
أقول لك في صراحة إننى كنت أرجو لابنتى حياة
خيراً من هذه

فعلا الاصفرار وجهه عند ذلك وصاح صيحة
اليأس :

— أعدك بأننى سأحرص الحرص كله على
أن لا يكون هناك أى تقصير في إعداد ما تحتاج إليه
ميرا أو تطلبه

وكانت كلماته كأنها القسم العظيم

ومضيت أقول في شيء من القسوة :

— نريد كلانا أن ننظر فيما يحقق سعادتها ، فإذا

كانت سعادتها الحقيقية منطوية في زواجها منك
فلن أمانع في ذلك . وأود أن تكون على يقين من
ذلك . لهذا يحسن أن تنتظر عامين

وقلت في نفسي إن أمراً قد يحدث في أثناء
العامين - فقد تنسأه «ميرا» وقلت في نفسي أيضاً
إنني حقيقة لا أحب لها أن تكون زوج مزارع ،
ولكنني كنت أعلم من نفسي أنني لا أحب أن تصبح
زوج أي إنسان على الإطلاق

وتكلمت في اليوم التالي مع «ميرا» بمثل
الأسلوب الذي تكلمت به مع كريستوفر ، فقلت
إنه ليس من مصلحة الفتى أن يشغل عاتقه وهو لا يزال
مبتدئاً بتبعات الزواج والبيت الجديد ... ودهشت
أن وجدت «ميرا» على غير عاداتها هادئة مفكرة ،
وقالت لي آخر الأمر :

— إنك لتعلم يا أبي أنك كنت لي دائماً مدلاً
لا ترفض لي طلباً ، وإني لأعلم أنك تفكر في خيري
عند ما ترى أن حياة المزارعين قاسية على
وهنا اهتز صوتها بغنة سعادة لم أسمعها منها
من قبل وقالت :

— ولكنك ترى أنني قد كبرت منذ أحببت
«كريس» فأنا أود أن أعمل من أجله وأن أشاطره
حياته ومتاعبه . فما أريد أن ألعب بعد الآن ، ولكنني
أريد أن أعيش مع الرجل الذي أحب ، أقيم بيته
وأحيطه بمنائتي وأرزق بأطفاله

فشعرت فجأة بأن جهتي قد بردت وتصببت
عرقاً ، وأدركت منزجاً أنني أواجه أمراً أكبر
مما قدرت بكثير ، فلم يكن هذا الحب حب تعجل
وطيش ، ولكنه حب عميق صادق قوى . وبقيت
لحظة أسائل نفسي وعوامل الغيرة تتنازعني : بأي

حق أعارض إرادة الله ! وكدت في لحظة أخرى أن
أسلم بالهزيمة . فوا أسفاً ... لو أنني تملك نفسي
قبل أن أرتكب ذلك الخطأ القاسي الشنيع !
فبدلاً من أن أسلك طريق الحكمة محترماً
إرادة الله قلت متحايلاً :

— إذا كان هذا هو شعورك يا عزيزتي «ميرا»
إذن يجب أن تزوجي منه
وكان السعادة كائن حي فاضت به عيناها عند ما
سمعت هذه الكلمات ... ثم مضيت أقول :

— ولكنك ترين أن عميتك «نانسي» معارضة
في هذا الأمر معارضة شديدة ، وهي تريد أن ترسلك
إلى الكلية ، وتقول إنها لن تترك لك فلساً واحداً
من ثروتها إذا أنت تزوجت من «كريس»
فضحكت «ميرا» ضحكة قصيرة وقالت :

— تستطيع أن تقول لعمتي «نانسي» أن
توصي بجميع ثروتها لأول خنزير صغير تصادفه
في الطريق فما كان أمر هذه الثروة ليهمني في شيء
على الإطلاق ... وما أظنك تحسبني أترك المال يحول
بيني وبين كريس ، ألسنت من رأيي في هذا ؟

وعندئذ لعبت بورقتي الرابعة فقلت :
— سأقول لك يا «ميرا» شيئاً أكره أن
أقوله ، فقد اقترضت خمسمائة جنيه من نانسي في
الخريف الماضي عندما أتممت بناء الجناح الجديد
في البيت وهي تهددني بأن تأخذها عن آخر بنس ،
وأنا الآن في أزمة مالية فإذا هي نفذت وعيدها
خربتني ، وهي تقصد إلى التنفيذ وأنت تعرفين أنها
قصيرة التفكير غير حكيمة التصرف . فإذا أنت صبرت
سنتين فقط وذهبت إلى الكلية كما تريدك على أن
تفعل لدى العامين لا أكثر ، فإني أعدك بأنك

— أتخلصين لى دائماً ؟

فهزت رأسها إيجاباً ولم تنبس بكلمة واحدة ،
فأبحني عليها وقبل الثغر الجميل المرتجف ، وضمها إلى
إلى صدره فى شدة كأنما يريد ألا تفلت من بين يديه
وابتمدت عن هذا المنظر ، وقد اهتزت يداى ،

لأهدىء موجة الغضب التى طغت على نفسى ، فقد
خيل إلى أن أقتل « كريس » بيدي العاريتين

وكانت « ميرا » تكتب إلى كل أسبوع خطاباً
تقصنع فيه الانشراح تصنعاً ، وكنت أدرك من
خلال سطورها أنها تشعر بالوحدة ومرض القلب .
وكنت أرى « كريس » من حين إلى حين ، وقد
رأيتُه أحد أيام الآحاد فى الكنيسة تصحبه فتاة رائعة
الجمال ، فقالت لى « نانسى » :

— يظهر أن حالة « كريس » على ما يرام فهل
لا ترى ذلك ؟

ولقد علمت فيما بعد أن هذه الفتاة كانت ابنة عمه
وما أشك فى أن « نانسى » قد كتبت إلى
ميرا تخبرها بأمر هذه الفتاة . فقد لاحظت على أثر
تلك المقابلة أن نعمة جديدة قد تسربت إلى خطابات
ابنتى . فقد أصبحت كثيرة الكلام وأشد احتمالاً
للظروف المحيطة بها . وقالت إنها قابلت طبيباً شاباً ،
وذكرت فى أحد خطاباتها أنها ذهبت معه إلى أحد
المشارب العمومية وشرباً معاً

ولقد فزعت لهذه الأخبار ، ولكنها لما استقرت
تكتب عن ذلك الطبيب بالأسلوب العادى اعتقدت
أن ما أردته قد حدث . فالظاهر أنها قد نسيت
« كريس » .

ولم ألق بالآ إلى ما كان عليه « كريس » من
جد فى العمل وإخلاص وصبر جميل ، ولقد بدأ الفتى

إذا كنت بعد هذه المدة لا تزالين تحبين « كريس »
فسيكون لك ما تريد . وإنه ليروح قلبى أن أسألك
هذه التضحية يا « ميرا » ولكن فى ذلك خدمة كبيرة
لى فى مقدورى أن أسدد دين نانسى فى أثناء هذه
الفترة

فبقيت ميرا صامتة لحظة طويلة ثم قالت آخر
الأمس :

— سأفعل ذلك من أجلك يا أبى

وجرت الدموع من عينيها ولم تستطع أن تملك
نفسها دون البكاء وتعلقت بى وكأما قلبها يكاد
ينفجر وقالت :

— إن سنتين تبدوان كأنهما الأبد

وشمرت مرة أخرى بوجوب الترفق مع ابنتى
فقد كان حقاً أننى مدين لنانسى ببعض المال ،
ولكن كان فى مقدورى أن أحصل عليه من طريق
أخرى . ولكننى لم أكّد أستطيع احتمال فكرة
هذا الزواج وكنت راغباً الرغبة كلها فى أن أحول
دونه بأية وسيلة من الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك
إلى أن أبعد عنى ابنتى التى أعبدتها

وجاء « كريس » إلى بيتنا ليودع « ميرا »
فى اليوم الذى حدد موعداً لسفرها ، فلما مررت
بغرفة الجلوس سمعته يقول :

— جئت لأودعك يا حبيبتي فهل تسمحين لى ؟

ووقفت أرقبهما فى هدوء ، وكانت ميرا متعلقة به ،
وقد أسند وجهه الأبيض ، وقد ارتسمت عليه
أمارات الألم ، إلى رأسها الجميل اللامع ، فلم يلبث
أن أدار وجهها فى رفق ، وقد اضطربت شفثاها
حتى وهى تحاول أن تبسم له ... وسألها فى صوت
أجش :

بالفعل ينشئ بيته الجديد على أجل والطف ذوق
لا يكون إلا لمحبة صادق الحب

وحوالى نهاية السنة تلقيت رسالة برقية من
الكلية تنبئني بأن «ميرا» مريضة، أوهى على
الأصح نثرة الأعصاب وأنها أعطيت أجازة للمودة
إلى بيتها

وفي الوقت الذى تسلمنا فيه هذه الرسالة كانت
ميرا قد استقلت القطار بالفعل. ولما استقبلتها أنا
ونانسى على المحطة، كادت ضربات قلبي تقف لما شهدت
من منظر ابنتي، لقد كان لوجهها بياض الموت،
وقد أحيطت عينها بهالتين تنبئان عن الإعياء،
وقد وقفت مترنحة تكاد تفقد إحساسها

إذن كان هذا الذى أرى هو نتيجة قسوتى
الماضية، لقد انتزعتهما من بين ساعدى الرجل الذى
أحبته، فعادت إلينا صفراء مريضة. لقد أخذناها
إلى البيت مباشرة وأرقدناها فى فراشها. وأردت
أن أرسل فى طلب الدكتور جريفن، ولكن ميرا
عارضت فى ذلك والدموع منهمة من عينيها وكادت
تفترسها نوبة عصبية، وقالت:

— لا أريده ... أنا. أنا لا أريد أن أراه ...
ليس بى من شىء غير تعب قليل فى القلب ... وكل
ما أحتاج إليه هو أن أكون فى بيتى وأن ألتجأ
إلى الراحة والهدوء ... وبعد ذلك أشقى تماماً ...

ورأيت آخر الأمر أن أهدئها فوافقت على عدم
استدعاء الطبيب، وتحسنت حال ميرا بضعة أيام.
ثم حدث ذات مساء أن خرجنا بها فى السيارة
للترويض فررنا بالبيت الصغير الذى يبنيه «كريس»
ولا أظن أن الفتى كان يعلم حتى بعودة ميرا، أما هى
فلم تذكره مرة واحدة ... فلما رأت البيت سألت
عن غير قصد:

— بيت من هذا؟

فسلكت حلقى وقلت:

— هذا ... هذا بيت كريس

ثم أتممت الجملة متقطعة:

— وأظن أنه لا يزال يبنيه لك

فبدت فى عيني ميرا نظرة يأس مفاجئة وقالت:

— لى أنا؟

ثم قالت فى صيحة كأنها خارجة من قلب مكلوم:

— ولكننى ظننت أن كريس قد تزوج

فسألته فى لهجة غير المصدق:

— ماذا؟

فاختنق صوتها وارتجفت يداها وهى تخرج من
حافظة أوراقها قصاصة من إحدى الصحف وتقول:

— نعم، نعم، انظر ... انظر ... إن خبر

زواجه مكتوب هنا فى الجريدة المحلية، وقد أرسل

لى بعضهم هذه القصاصة

وبالفعل كان فى نهر الأخبار من الصحيفة المحلية

قطعة جاء فيها أن كريس هاريسون قد تزوج من

الفتاة أميل ماسون فى اليوم الثلاثين من شهر

أبريل فى كنيسة سنت دافيد الخ ...

فضحكت ضحكة قصيرة وقلت:

— أوه ... إن الذى تزوج هو كريستوفر

هاريمان. فكل إنسان هنا يسميه كريس أيضاً ...

ولقد أخطأت الجريدة فى ذكر اسمه الثانى

وبقيت ميرا لحظة تنظر أمامها وفى نظرتها أقسى

معانى الأسى التى رأيتها فى حياتى. فلما نظرت إلى

كانت عينها كأنها قد نظرنا إلى السماء نظرة أخيرة

ثم أحدثنا فى الظلام ... وهممت باسم كريس

فى صوت يهيم عن اللفة الموحمة واليأس. ثم فقدت

وعيا ...

أزعجني إلى مدى أبعد مما حاولت التظاهر به ...
وعلى كل حال لم يعد باديًا عليها أنها لا تزال تحب
كريس ... ولم يكن لي بد من أن أتخير بين صحتها
وبين حبها ...

فقلت في صوت مخشوشن :

— فليكن ما تريدن

فأشرق وجهها الجميل بنور باطني ، وهمست

وهي تضمني في شدة إلى قلبها :

— آه ... يا أبي ... إذا حدث لي أي شيء

فاذكر أنني أحببتك دائماً أكثر من كل إنسان
إلا كريس ... وإنني أفضل ألف مرة أن أموت
على أن أدنس اسمك

لم أستطع أن أدرك ما كانت تعنيه بقولها ...
ولكنني أظن أن ضميري لا بد أن يكون قد تألم في
تلك اللحظة ... فقد شعرت بالخلج من حبها
الشديد لي وثقتها الكبيرة بي ... وكدت أفرح
فعلاً في تلك الليلة بدعوتي كريس لمقابلتها

ولما عرضت عليه رغبتى في زيارته بدا كأنه
قد تبدل شخصاً آخر ، فقد أضاعت عيناه الوفتان
بنور العظمة الراسخة ، وكأن نحول الضنى الذي كان
ملماً به قد زال عنه في الحال . وكانت ميرا جالسة يحيط
شعرها الذهبي الجميل رأسها بهالة تزيد في روعة
جمالها ... فلما دخل كريس إلى الغرفة ... رأيت فيها
برق وتضطرب شفتاها عند ما ضمها إليه وقبلها في
رقة بالغة

أقفلت الباب ورأى في هدوء ... وقضيت بقية
الليلة أسمع همهمة صوتيهما الخافتين وهما يتحدثان
في ثبات ... وفي الساعة الثانية عشرة فتح الباب
على حين فجأة وانصرف « كريس »

ولا بد أن يكون كريس قد سمع بعودة « ميرا »
فإنه جاء إلى بيتنا في اليوم التالي ليزورها ... ولكنها
لم ترد مقابلته ... وعلى الرغم من أنه كان يزورنا
في كل يوم فإنها بقيت مصرة على عدم مقابلته
وما زالت مريضة صفراء اللون ضعيفة ...
ولكنها لم تقبل أن يعود لها الطبيب . وكما أشرت
إلى رغبتى في استدعائه أصابتها نوبة عصبية ...
واضطرت أن أخضع لإرادتها وألا أهتم بأمر صحتها .
وكننت أشعر في أعماق نفسي بالارتياح والسرور
لما ظهر من نجاح خطتي في التفريق بين ميرا وكريس
وحاولت عبثاً أن أعرف شيئاً من أمر علاقتها
بالطبيب الذي خرجت معه عند ما كانت في الكلية
ملاحظاً أنه لم يكتب لها قط

وأخيراً جاءها خطاب ، يحتوي على خبر زواج
ذلك الطبيب بإحدى فتيات المجتمع في اليوم الخامس
من شهر يونية بعد ثلاثة أسابيع فقط من عودة
ميرا إلينا

فما قرأت هذا الخبر حتى استحال لون وجهها
إلى شحوب الموت وهمت جالسة في سريرها وقالت
لاهثة :

— لقد وعدنى ... لقد وعدنى

ثم جرت خارجة من الغرفة صارخة
فلما أبدت رغبتى بعد ظهر ذلك اليوم في دعوة
الدكتور جريفن قالت في صوت خافت مجهود :

— لا بأس ... غداً ! وإنى لأعدك بأن أراه

إذا وعدتني بشيء واحد ... هو أن تدعو كريس
لمقابلتي على انفراد في هذه الليلة ... وليس ما يدعو
لأن تعلم عمى نانى شيء من أمر هذه المقابلة
ولقد أردت أن أرفض ولكن اصفرار وجهها

وفي اليوم الثاني حضر الدكتور جريفن وكانت
ميرا كأنها شبح الموت نفسه، وكأن عينيهما حفرتان
تفيضان بماء الهول والجزع، وقضى الطبيب في
غرفتها وقتاً طويلاً

فلما خرج تبعته إلى سيارته ... وكان وجهه
متجهماً عند ما قال لي في تأن :

— لم أكن أحب يا جون أن أقول لك ماسأقول
فتولاني الجزع وصحت :

— ماذا بها ... أهو قلبها المريض ؟

فقال الرجل وهو يحول نظره عن مواجهتي :
— نعم ليس من شك في أن قلبها ليس سليماً
إلى الحد الكافي ... ولكن ... ولكن ... ليس
هذا هو ما تشكو منه ... فإن « ميرا » ستصبح
أما بعد وقت ما

فوقفت مكاني وكأنما قد شلت من هول الصدمة
التي أصابتنى . ولما بدأت الدنيا التي كانت تدور بي
تستقر أمام عيني كان الدكتور جريفن قد ذهب ...
فالتفت وصعدت الطريق الموصل إلى باب البيت ...
وكنت أمشي كالشيخ المهدم المتقاص

وما أحب أن ألقى مسؤولية ما حدث بعد ذلك
على عاتق أحد غير نفسي . وإني لأظن أنه لولا نانسى
لتبينت مبلغ البشاعة التي انطوى عليها خطاى الماضى
فلم أرد في أعماق قلبي أن أعود لمخالفة مشيئة الله ...
فقد أردت أن أدافع عن ابنتي وأحميها وأعني بأمرها
ولكن نانسى لم تكذب تسمع الخبر حتى أصبحت
كن أصابه مس . لقد كانت نانسى شيخة لا تدري
شيئاً من أمر الحب والضعف الجسماني . فلو أن أمر
الحكم على « ميرا » راجع كله إليها إذن لكان لها
فيه رأى أى رأى ...

ولقد قالت وصوتها يزداد ارتفاعاً كلمة بعد كلمة :
— أو بعد العناية التي أحطناها بها في نشأتها
يحدث هذا ؟ إذن كان خيراً لو تزوجت من ابن ذلك
المزارع الذي لا يصلح لشيء !

ثم قالت وكأن صوتها تكثفه ألواح من الجليد :
— لم يبق هناك غير شيء واحد هو أن نجد
وسيلة للتخلص من أثر هذا العار
فقلت :

— ولكن فيما تريدن يا نانسى خطراً على ميرا .
فماذا تكون الحال إذا أصابها شيء ؟ ...
فأجابت أختي عابسة في لهجة حازمة :
— لن يحدث شيء ... فالشيطان يعنى دائماً
بأمر نفسه ...

ولكن كل حاسة كريمة في نفسى — ولا بد
من أن يكون هناك أثر للشعور بالكرامة حتى في
نفس أسوأ الناس — حارب الفكرة كلها حرب
يأس واستقتال ، وبدأت المعارضة بقولى :
— ولكن أين نذهب ... ومن أين آتى بالمال ؟
فقاطعتنى نانسى بقولها :

— خير لك أن تفكر في الفضيحة ، إذ يرى
الناس « ميرا » وبين يديها طفل لا أب له ! ...
اذهب إلى « رولنجز » وقابل مسز كوك فهي تعرف
هناك رجالاً اختصاصياً في هذا الأمر ، وستعطيك
عنوانه . وسأدفع أنا الأجر

وهكذا صحبت ميرا في سيارتي إلى « رولنجز »
بعد ظهر ذلك اليوم . وفي الحق أننى لم أبادل مع
ابنتي أية كلمة بعد أن دخلت إلى غرفتها وقلت
في لهجة جافة :

— لقد جرى حديث بيني وبين الدكتور

آثار العار واليأس والفزع مجتمعة ... فأجفلت
متراجعة وصاحت في صوت موجه:

— لا ... لا ...

ولكن الطبيب أمسك بساعدها في قوة حتى
إذا وصلت إلى الباب تلفتت إلى ، ولن أنسى في
حياتي نظرة الفزع والتوسل التي ارتسمت على وجهها
الجميل الحزين عندما مسحها الطبيب في لطف إلى
داخل الغرفة وأغلق الباب وراءها

وبعد بضع دقائق خرج الطبيب وحده . وقال :
إنه تحدث تليفونيا مع الممرضة التي تساعد في مثل
هذه الحالات ... وطلب مني أن أذهب لقضاء الليلة
في أحد الفنادق وأعود إليه في الصباح ، ثم أبدى
رغبته في أن أدفع له أجر العمل الذي هو مقدم عليه
وبعد أن تركت ابنتي العزيزة ، بين يدي ذلك
الرجل القاسيتين ، لتواجه وحدها أكبر مأساة
تواجهها المرأة في حياتها ، لم أذهب إلى الفندق
وبدلاً من ذلك مضيت أتجول في الشوارع
مكسور القلب حزينا . وبدأت السماء تمطر ولكن
قطرات الماء كانت تتساقط على كتفي المنحنيين
فلا أشعر بها ... لقد أرى نفسي في ذلك الوقت على
حقيقتي — رجلاً قاسي القلب ، متحكماً عنيداً ...
أنانياً شريراً الأنانية لأنه كان يخفيها وراء ستار من
الشفقة المصطنعة

ولو لم يكن الطبيب قد بدأ عمله الآثم لكنت
وقفته في الحال . وقلت في نفسي إن هذا الدرس
أقسى وقماً على منه على «ميرا» ... على أنني
سأحوله إلى صالحها على كل حال ، وسأمكنها من
التمتع بحبها وبالحياة التي تريدها مهما كلفني هذا
الأمر من ثمن

جريفن ، فأعدى حقيبتك يا ميرا لأننا ذاهبان
من هنا .

فقلت ميرا في لهجة يمازجها الألم الصارخ :

— ولكن لم نذهب يا أبي ؟

فقلت :

— أظنك تعرفين السبب

ثم تركتها وانصرفت ...

ولما صرنا في طريقنا بالبيت الذي كان كريس
مشتغلاً بينائه شعرت بأنها قد تقلصت إلى جانبي على
حين فجأة ، كأنما قد أصابها ألم أعظم من أن تقوى
على احتماله . وأحدثت في البيت وقد تبدى قلبها
في عينيها كمن ينظر إلى حبيب ميت

ولأنه لما يغريني الآن بمض الشيء أن أذكر
ما كان من ترددي وتفكيري في إلغاء رحلتنا
إلى رولنجز لما شهدت من كآبة اليأس التي بدت
على وجه ميرا . وخطر لي لحظة أن أقف إلى جانبها
في محنتها ... كما أنا واثق أن أمها كانت تفعل
لو كانت على قيد الحياة ...

ولكن الكبرياء تسربت إلى نفسي فسرت
قلبي ، وحال بيني وبين تنفيذ ما فكرت فيه
ما ذكرت من غضب نانسي وآرائها القاسية . ولم
أفكر فيما يكون من حياة حفيدي الذي لم يولد بعد
وقصدنا إلى بيت مسز كوك ... ثم قصدنا بعده
ونحن ساكتان إلى الطبيب الذي أخذنا عنوانه منها .
فقابلنا الطبيب غير مبتسم ولو أنني لحظت أثر الإعجاب
المفاجيء الذي بدا على وجهه عند ما رأى جمال «ميرا»
الباهت الضعيف

ولما فتح الرجل باب الغرفة الداخلية تنبّهت جميع
جواس ميرا على حين فجأة ... وبدت على وجهها

ولما انتهى بي المطاف إلى الفندق كان أول ما عملته، ولو أن الليل كان قد انتصف، أن اتصل بالطبيب تليفونيا

وكانت الممرضة هي التي ردت علي، وكان صوتها مضطرباً لاهثاً وهي تقول :

— يا لله لقد كنا نحاول البحث عنك اويحسن أن تحضر في الحال ... لماذا لم تقل لنا إن قلبها ضعيف ؟

لم أنتظر لأسمع أكثر من ذلك ، فقد استولى عليّ خبل الخوف فجريت إلى الشارع عارى الرأس لا أرتدى معطفي ، وكان الطبيب والممرضة يعالجان ابنتي المتجمدة في عنف . والله وحده هو الذي يعلم مبلغ ما استولى علي قلبي من الفزع عند ما رأيت ذلك الوجه الساكن الجميل

وتحرك جفناها على حين فجأة وانفتحا ، فابتسمت لي ابتسامة حلوة وقالت :

« مرحى يا أبي إني لسعيدة بحضورك ... لقد أردت أن أقول لك كل شيء ... لقد خبرت كريس في تلك الليلة بكل ما حدث ، وقد فهم ... وأريد منك أن تسامحني أيضاً ... »

أهي التي تسألني العفو ! بينما أنا الذي يجب أن أركع أمامها خجولاً ذليلاً ! أتسألني العفو وأنا الذي حطمت حياتها بل وقتلتها ؟

ومضت تقول في صوتها العذب الخافت :

« لقد حدث هذا بعد أن قرأت خبر زواج كريس فقد بدا لي أن لم يعد في الوجود ما يهمني ، وصحبنى الطبيب الذي كتبت لك عنه ، عدة مرات في سيارته . وفي إحدى الليالي ... وكنت شبه المجنونة من أثر التماسه وانكسار القلب ... خرجنا في جولة ، وكان

يواسيني بما في وسعه من لطف ، وأفرغت له كل ما في نفسي وأطلعته على قصتي كلها . فوقف السيارة ناحية في الطريق الخلوي ومضى في مواساتي وملاطفتي بروح الأخوة الصادقة ، وكان داخل السيارة المقفلة دافئاً ، فسألني أن أسند رأسي إلى صدره ، وأحاول النوم تهدأ أعصابي . ونمت فعلاً لحظة قصيرة ، وعلى حين فجأة استيقظت ... و... و... »

واضطربت « ميرا » متشنجة وأمسكت يدي بشدة وقالت :

« آه ، يا أبي ... لقد جاهدت في دفعه عني ، ولكنه كان مجنوناً في شهوته ، وكنت في ضيعتي حياله كالغفارة حيال القط . فبكيت وتوسلت إليه ... ولكن علي غير طائل ... وبعد برهة أوصلني إلى الكلية ... وبدأ عليه عندئذ أنه قد ندم على ما فعل وقال : إنه إذا حدث أي شيء فسيتزوج مني . ولكنني لما عدت إلى البيت وكتبت له ... كان ... ما عرفته أنت ... لقد تزوج من الفتاة الأخرى »

وتقطع صوتها ... وبدأ في عينيها الوديعتين وميض غير دنيوي ... ومدت يدها آخر الأمر لتسحب رأسي فتقبلني قبلة الوداع الأخيرة ، وكانت قبلة المأساة الهائلة ... وكانت تلبس في أصبعها خاتماً بفص ميلادها ، فلما مدت يدها صدم تنوء الخاتم جبتي فجرحها ، ولكنني لم أشعر بشيء وهمست لي في رقة : « قل لكريست إني أحبيته حتى اللحظة الأخيرة »

وزفرت زفرة خفيفة رقيقة كانت هي نفسها الأخير ...

وبعد لحظة أبعدوني عن فراشها . وبدأ علي الطبيب والممرضة أنهما أصيبا بضربة مفزعة ، ولكنني

التي أحبها . ولم يتم قط بناء البيت الذي كان يعده لها . فاتم منه يقوم هناك مذكراً بالأحلام السعيدة التي لم تتحقق ، وبالأمل والإخلاص والحب وتلك العواطف التي وطئت تحت الأقدام لإرضاء للغيرة الوثقة التي تملكك نفس أب أناني متعجرف .

وإني لأحمل في جبهتي آثار جرح أتحسسه من حين إلى حين ... فيذكركني بحنان تلك الطفلة التي مدت يدها لتمامني في لحظتها الأخيرة وهي لا تدري بأنني المسؤول الأول عما أصابها !

على أن في قلبي جرحاً أكبر من جرح جبهتي خلفته السعادة الضائعة إلى الأبد ، والثقة التي قوبلت بالخيانة ، وما استولى على نفسي من يأس لا أمل وراءه ...

وقد يلتئم جرح جبهتي على مر السنين ... ولكن الموت وحده هو الذي يشفي جرح قلبي !
عبد الحميد محمدى

لم أشعر بنحوهما بشيء عن الشفقة ، لأننى أدركت أنه لو لم يكن هناك أناس من أمثالهم يعملون مثل عملهم للحصول على المال ، لبقيت ابنتى المحبوبة على قيد الحياة ... ولا يحسبن أحد أننى لم أدرك أننى كنت المولوم قبل أى إنسان آخر ... ولكن كان فى القدر أنى أنفذ فكرت الجنونية ... وعرفت على حين فجأة ما يجب على أن أفعل لأنقذ على الأقل حياة طائفة من الفتيات الأخريات من أن يصيبهن مثل ما أصاب ميرا ...

لقد أسرع فى طريقى إلى مركز البوليس ، وهناك اعترفت بكل ما حدث .

وما أحب أن أصف ما بدا فى المحاكمة من فزع ومن حزن . ولقد حكم على الطبيب بالسجن خمس سنوات ، وكذلك سجنتم الممرضة ، ولم أبال بما حدث لى ، فلقد كنت أعلم أن السجن خير جداً مما أستحق .

والآن أتمنى الموت ... ومع ذلك أخشاه ... لأننى لا أدري بماذا أجيب خالقى إذا سألنى عن جريمة القتل التى اقترقتها ، نعم ، إن يدي ملطختان بدم ابنتى ، كما لو كنت أنا الذى قتلتها بنفسى . لقد قتلها بكبريائى وغيبرى وتحكى ... وأنا الآن شيخ متهدم ... أعيش أنا ونانسى فى وحشة كثيفة تعمسة . وحاولت ننسى مرة أن تتكلم عن « الجزء العدل » ، ولكننى وقفها بنظرة جمعت كل معانى الغضب والحقد ، فعقد لسانها فى الحال ولم تنبس ... وإننا لنعيش صامتين لا نتحدث بشيء من ذلك الذى يفيض به قلوبنا ...

وكريس ؟ إنه لا يخرج أبداً مع أية فتاة ... فقد مات قلبه هو أيضاً مع آخر نفس لفظته الفتاة

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جونى الاولمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا

السكرتيرة المؤقتة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ ع . ا .

تسير على مهل وعليها ثوب وقبعة على آخر طراز في الزى وعلى أحسن ما يكون من الأناقة ، فاسترعت نظره بجهاها وحسن هندامها ، وكان يهش لها ولكنه سرعان ما عاد إلى التقطيب وقال في نفسه : « إنها ليست إلا واحدة من هؤلاء اللواتي لا يهمهن غير حضور الحفلات الراقصة ومعاورة الخمر »

وقالت الفتاة وهي تنظر إلى بطاقة في يدها :

« سعدت صباحاً . أأنت المستر بلاك ؟ »
فقال : « بلى ، وأظن شركة سناردل أرسلتك »
ثم أشار لها بالجلوس فقالت الفتاة وهي تجلس على المقعد الذي أشار إليه : « إنني آسفة لتأخري فقد قضيت مدة طويلة في البحث عن هذا المكان لأن العنوان الذي أعطى لي كان خطأ »
ثم ابتسمت ابتسامة تدل على اضطراب الأعصاب وقالت : « الأولى أن أبدأ في العمل حالاً لمجيئي متأخرة »

فوقف المستر بلاك وقادها إلى غرفته فزعت القبعة والمطف . وأخذ يملأ عليها الخطابات وهي تكتبها على الآلة الكاتبة

وكانت الآنسة بريندا فارلي تختلس النظرات إلى مخدومها الجديد . وقد كانت الصورة التي تتخيلها له قبل مجيئها أنه رجل أشيب الرأس على أنه منظار سميكة الزجاج ينظر إليها بعينيه الضعيفتين غير نظرة الاستحسان . وكانت مغتبطة في أثناء استراقها النظرات بأنه ليس كما كانت تتخيله . فهو أنيق تبدو عليه علامم الظرف والرقعة

وقال بعد أن فرغت من كتابة الخطاب الأول :

— ١ —

كانت علامم القلق بادية على وجه المستر جوفري بلاك لأن تجاربيته القليلة في استعمال الآلة الكاتبة « التايررايتز » لم تمكنه من القيام بأعمال سكرتيرته الغائبة لمرضها . وكانت الخطابات التي يريد إرسالها اليوم هامة ومستعجلة فحاول مرات أن يكتبها بنفسه ولكن النتيجة كانت واحدة في كل مرة ، وهي أن يخرج الورقة من الآلة الكاتبة ويمزقها ويلقي بها على الأرض . وأخيراً تناول التلفون وطلب رقمًا ثم قال : « شركة سناردل ! أرجو أن تبعثوا إلي بسكرتيرة مؤقتة قادرة على استعمال الآلة الكاتبة مدة غياب سكرتيرتي »

ثم وضع السماعة وجلس منتظراً قدوم الكاتبة وكانت الآنسة مورتون سكرتيرة هذا الرجل المالى منذ سنوات عديدة، قد أرسلت إليه في الصباح أنها ستقطع لمرض أصابها عدة أيام ؛ فدهش جوفري وتضايق لأنه لم يلاحظ أى شيء بالأمس على صحتها . ولم يكن ليهمه شيء من أمرها سوى أدائها عمله . وكانت من هذه الوجوه موجبة لرضاء واقتناعه

وبعد مدة طويلة من الانتظار سمع طرقاتاً على باب مكتبه فأذن للطارق ففتح الباب ودخلت فتاة

الآخيرة من كل أسبوع فيذهب إلى الريف حيث
يقوم مع أمه .

— ٢ —

كان الأسبوع الثاني من المدة التي قضتها
بريندا عند المستر بلاك أسبوعاً ميموناً لزيادة إirاده
فيه وزيادة الإقبال على عمله . وكان يعلم أنه مدين
بجزء كبير من هذه الزيادة لسكربتيرته الجديدة لحسن
طلمتها ولنشاطها . وقد أدهشته سرعة تمكنها من
العمل

وفي هذا الأسبوع وصل إليه خطاب من
الآنسة مورتون تخبره فيه بأن طليبتها أمرها بعدم
مزاولة العمل أسبوعين آخرين وأنها تأسف لما قد
يترتب على غيابها من تأثر عمله . فرد عليها مؤكداً
أن أعماله سائرة كما يزيد بمساعدة سكربتيرته المؤقتة
وأنه يرخص لها بكل أجازة تطلبها إلى أن يتم شفاؤها
ثم خطر له بعد إرساله هذا الرد خاطر فجأى
فأضمره . ولما قابل سكربتيرته المؤقتة بعد ظهر هذا اليوم
قال لها وهي تقدم إليه فنجاناً من الشاى : « إن
سكربتيرتى أرسلت إلى اليوم بأنها مضطرة إلى الغياب
أسبوعين آخرين فأرجو أن توافق على البقاء بدلاً
منها هذه المدة »

وكان بريندا إلى هذا الحين لا تعلم أن للمستربلاك
سكربتيرة أخرى ولا أنها جاءت لتستعمل عنده بصفة
مؤقتة ، فاختضب وجهها احمراراً وقالت : « إننى
مسرورة كل السرور من وجودى هنا ولكن ... »
قال : « ولكن ماذا ؟ » فأجابت : « ولكن
إذا كنت تستطيع استخدام غيرى فإنى أفضل ذلك »
ثم بدت عليها علامت التفكير ، وبدت في الوقت
نفسه على بلاك علامت الارتباك وقال : « لماذا ؟

« هل لك معرفة بأعمال السمسرة ؟ »
فقلت : « كلا ولكنى أستطيع أن أفهم
النقاط الأساسية من أعمالهم بعد أيام قليلة »
« قال : إذا تعذر عليك فهم أى شىء في
الخطابات المقبلة فإنى مستعد لإخبارك به »

ثم أخذ يملأ عليها خطاباً ثانياً
وبعد أن فرغت من كتابة الخطابات أعطاها
بياناً بالمعونات وطلب إليها أن تكتب الظروف
وفي أثناء قيامها بهذا العمل كان يراجع الخطابات
ويوقع عليها . وعلى حين فجأة طلبت إليه سكيناً
لتصلح به الآلة السكاتبة لأن في جزء منها قطعاً من
فضلات الورق تمنعها عن الحركة

قال بلاك وهو يقدم إليها السكين : « إن هذه
الآلة ضيقت أخلاقى قبل مجيئك ، وقد منرت عدة
أوراق في أثناء محاولتى كتابة خطاب واحد »
فقلت : « إن عيها بسيط أظننى أصلحته »

ثم قام المستر بلاك إلى مكتبه تاركاً للفتاة أعمالاً
أخرى ، وأشعل غليونيه وجلس مغتبطاً بأن أعمال
مكتبه تسير الآن على خير نظام

لكن غياب سكربتيرته فجأة قد شغل خاطره
لأنها اشتغلت عنده منذ ابتداء عمله ، وهى ملفة
بكل ضروب العمل مثل إمامه به . ولكن السكربتيرة
الجديدة ستشغل جزءاً كبيراً من وقته في تعليمها
وتدريبها

وكان جوفرى بلاك في الخامسة والثلاثين من
عمره ولكن علمه بالنساء في هذا العمر لم يزد على
علمه بهن وهو في الخامسة والعشرين

ولم يكن يهتم بهن كثيراً وإن كان لا يستطيع
الاستغناء عنهن بتماماً . وكان ينام بمكتبه إلا في الأيام

وسأملى عليها ما أريد كتابته من الخطابات فأديرها يوم السبت «

وفي صباح السبت جاءت بريندا إلى المكتب فوجدت آلة الديكتاتفون وبها أسطوانة فعرفت أن بلاك جاء وأملى عليها رسالة وأدارت الآلة وجلست لتسمع وتكتب . وقد بدأ الخطاب إلى محل تجاري ، ولكن في وسطه انقطع الصوت العادي ونطقت الآلة بصوت خافت كصوت الذاهل الذى يناجى نفسه « إننى لم أر أجمل من شعرها عندما تنعكس عليه أشعة الشمس ، ولكننى إلى الآن أتهيب من النظر إلى وجهها ولا أعرف لون عينيها الأزرق هو أم عسلى ؟ »

ثم عادت الآلة بعد ذلك إلى إتمام الخطاب التجارى فحككت بريندا وخفق قلبها خفوقاً غريباً من تحلل هذه الجملة للخطاب ووثقت من أن المستر بلاك كان شارد الذهن فنطق بهذه الجملة وهو لا يدرك أن الآلة ستسجلها عليه وقالت وهى تضحك : « إنها بلا ريب آلة شيطانية كما سماها »

وبعد أن أتمت العمل الذى كلفت به ذهبت وفي صباح الإثنين جاء بلاك وسألها هل أرسلت الخطاب الذى أملاه على الديكتاتفون فقالت : « نعم ولكننى أشك فى بضع كلمات منه . ولذلك أريد أن أستوثق منها »

ثم طلبت إليه أن يسمع صوت نفسه فى الآلة الكاتبة فاستغرب منها هذا الطلب ولكنه أجابها إليه وجلس فأدارت الآلة وهو يضحك من إصرارها على ما تطلبه وهى تنظر إلى وجهه لترى ماذا يظهر عليه من التأثيرات ، فرأته يمتنع فجأة عن الضحك وتعلو وجهه حمرة الخجل فتركت الغرفة فى سكون

ما الذى حملك على الظن بأنى أريد اختيار سواك ؟ » قالت وقد سرها أن تراه مرتبكاً بهذه المناسبة : « لا أعرف ، ولكن الشاى يكاد يبرد »

ثم تركته وذهبت إلى غرفتها فعلت ثغرها وعينيها ابتسامة سرور لأن اللجة التى كان يتكلم بها بلاك عند ما عرضت عليه ترك خدمته كانت لهجة تشف عن الحب الذى ترجوه ؟

وكانت تسائل نفسها هل كفايتها وحدها هى السبب فى إعجابها بها

وتسرع فتجيب نفسها بأن لديها ميزات أخرى أكبر من ميزة الكفاية وقالت فى نفسها : « إذن فاللدة التى أقضيها عنده هى شهر واحد . إننى أشعر الآن بأنه عزيز »

ثم استأنفت عملها ، وفى هذا الوقت كان المستر بلاك ينظر إلى فنجان الشاى ، ويود ألا يشربه لأن شهيته كانت منصرفة عنه ولكنه كان يقول فى نفسه : لا بد من شرب الشاى حتى لا تظن أننى لم أستطع صنعه ثم تجرع منه جرعة على استكراه

وهنا دق جرس التلفون ، وقال بلاك بعد سماع ما ألقى إليه : « يوم الإثنين ! حسن جداً ! سأرتب أعمالى على ذلك » ثم ألقى السماعة وذهب إلى غرفة سكرتيره فقال : « إننى سأسافر وأعود يوم الإثنين فمعدك أجازة اليوم وغداً ، ولكن فى صباح السبت تحضرين ، وإذا طرأ عمل فإنى سأملى خطاباً على آلة « الديكتاتفون » هل تحسنين استعمال هذه الآلة الشيطانية ؟ »

قالت : « نعم وقد استعملتها كثيراً قبل الآن وإنى أشكرك على هذه الأجازة »

فقال بلاك : « إنك تستحقينها . أما هذه الآلة فطريقة استعمالها كطريقة استعمال الفونوغراف

فأسكت الآلة وتبع بريندا فوجدتها واقفة وظهرها إليه فنادها باسمها وقال : « إننى أريد أن أشرح لك الأمر »

لكن لسانه تلعثم فلم يعرف ماذا يقول بعد ذلك ونظرت إليه فقالت : « إن فى الأمر غلطة وإننى لم أقصد أن تسجل الآلة هذه الجملة »

قالت الفتاة بصوت رقيق : « لكن هذا ليس هو البيان الذى أريده . ولكن من هى »

فقال وقد زاد ارتباكاً : لا أريد أن تعرفى قالت الفتاة وصوتها يتهدج : أظننى قد عرفت وكان جوابها مزيجاً من الابتسام والبكاء . وعادت إلى الكلام فقالت :

— ولكن لم لم تطلب يد هذه الفتاة ؟

فأجابها بصوت خافت : لم أجرؤ على ذلك إلى الآن ...

فقالت بصوت غريب : ولماذا لا تحاول يا مستر بلاك ، فإنها قد لا تبدى أى اعتراض .

ثم رفعت وجهها وحدثت فيه فقال وهو يبتسم : — إنهما زرقاوان . أتقبلين أن تكونى زوجتى أيتها العزيزة ؟

فقالت وهى تبتسم ابتسامة ثم على السعادة : — نعم ، ولكن هل هذه الآلة شيطانية ؟

وسواء كان بلاك يرى أن الآلة شيطانية أو يراها غير ذلك ، فإن للشرح والتفسير أوقاتاً ، ولغيرها أوقات أخرى . وقد رأى بلاك أن هذه اللحظة من النوع الأخير .

ع . ١

شركة مصر للملاحة البحرية

بيواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله الى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية

القاهرة : عمارة بنك مصر تليفون ٤٠٧٤٢ القاهرة ١٥١ شارع عماد الدين تليفون ٥٧٠١٦

الإسكندرية : شركة الملاحة ١٤ شارع فؤاد الأول تليفون ٢١٥٤٦ ، ٢١٥٤٧

بور سعيد : شركة مصر للسياحة شارع السلطان حسين تليفون ٤٧٧

السويس : شركة مصر للملاحة البحرية شارع سعد زغلول تليفون ١٢

ومن شركة مصر للسياحة بالقاهرة

شارع إبراهيم باشا تليفون ٤٥٩٦٠ — ٤٦٣٠٣

الى صمامة النيل

إنقاذ العلم

للطبيب الفرنسي « أوكتاف فورييه »
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

فتوقف عن المشى فجأة وقال :
— هل أوتيت ملكة قراءة الأفكار؟
— بل لاني لا أكاد ألس الحقائق
إلا بجهد وصعوبة . ولكن لم هذا السؤال
يا سيدي ؟

— لأنني كنت إبان سؤالك أحلق
في جو من ذكريات موقف صعب عند ما
كنت في الجيش . كانت ليلة كهذه الليلة
في صمتها وهدوئها لا في جمالها وروعها .

— أئمة ما يمنعك أن تقص على ما حدث ؟
فتردد قليلاً ثم تنفس بعنف وقال :
— أوه ! يا لله ! ... أجل ... كنت آنذاك
على مقربة من « متر » . في تلك الليلة ، ليلة
السابع والعشرين من أكتوبر ، أوفدني القائد
العام أن أقف إحدى فرقنا — لا يحضرني رقمها
الآن — وأبلغها بمض الأوامر الحربية . وكان
على بعد إذ أبلغت الأوامر أن أكر عائداً من حيث
أتيت ، بيد أنني اضطررت أن أترث قليلاً ريثما
يستعيد جوادي بعض ما فقدته بتأثير الجهد والتعب ،
وكنا حينذاك نعيش في سهل منبسط فسيح على
كثب من قرية « كولبي » كما أذكر . وسكنت
المواصف الهوج — التي كانت تهب في تلك الأيام
العصيبة — لبضع ساعات قلائل . وكان القمر
يرسل أشعته الشاحبة على البرك والمستنقعات الملبشة
في تلك الأرض . وهنا يتفق خيالي وخيالك :
هذه الجنة الفيحاء التي نسير فيها الآن تذكرني
من ناحية واحدة بالمستنقعات والبرك ، من ناحية
القمر الزاهر بأشعته الساكرة الناعمة ، أما البجع
الذي ترى فيذكرني بفرقتي وهي ساكنة لا تتحرك
(٣)

عند ما انتهى العشاء في الليلة الفائتة تفرق جمعنا
في حديقة القصر ، نستروح نسيم الليل اللطيف
السجسج ، العبق بأريج الزهور الفواحة ورائحة
أصناف اللقافات الفاخرة . وأخذ جميع الضيوف
يتسامرون في همس كأنما هم يحرسون ألا يمحروا
هدوء الليل المطمئن الرائع ... وكان الجو صاحياً
جيلاً . وقد أترع القمر الساجي أرض الحديقة الزهراء
بفيض من نوره الشعري الساحر . وكان للبحيرة
الصغيرة نصيب من نوره الفضي فانعكس عليها
وتكسر ، فأمسى كحبات من الماس تتألق على صدر
كعب مرمرى يترجرج ؛ وفي وسط البحيرة راحت
بجمتان تسبحان في هدوء جميل بثوبيهما الأبيضين
الناصعين . وكان زميلي في تلك الليلة الفائتة هو
القومندان (ديبلي) وقد أخذنا نطرق شتى الموضوعات
ونخوض مختلف الأحاديث ونحن نسير الهوينى بين
البحيرة اللألاء والأشجار الشم في الطريق التي يحتم
عليها خيال القصر العتيق . وبعد فترة صمت قصيرة
قلت للسيد ديبلي :

— إن هذه الليلة الرائعة الجميلة لتذكرك ولأرب
يا سيدي للقومندان ببعض أحداث الحرب .

بأثوابها البيض النواصع ...

أقول توقفت الفرقة عن الهجوم شاهرين السلاح في انتظار أوامر جديدة ، وقد أوقدوا ناراً أحاط بها بعض الضباط يتجاذبون أطراف الحديث في همس وهم يثقلون هنا وهناك حذر العدو . وسرت الشوائع منذ الليلة المنصرمة ، أن الجيش على وشك الهزيمة والتسليم ، وكان قائد الفرقة وهو كهل ذو شارب كث كبير ، يتفقد المكان بنفسه جيئةً وذهوباً وهو ممسك بالأوامر التي بَلَّغَتْهُ . وأقبل على بِنْتِة ثم أمسكني بعنف من ذراعي وقال بلمهجة المستفز : — كابتن ! إن لي حديثاً معك . لقد قدمت من لدن القيادة العامة ، ولا مزية أنك تعلم أكثر مما نعلم . هل ما يدور عن هزيمتنا صحيح ؟

— هذا ما تلوكة الألسنة يا سيدي . وهذا ما أعتقد أنا أيضاً

— أنت تعتقد ذلك ! كيف تصدق يا رجل مثل هذا الخبر الغريب ؟

ثم أطلق ذراعي في عنف أيضاً ، وأنشأ يروح ويفدو في عصبية واضطراب . ثم توقف ومضى يتفرس في عيني وقال :

— وهل سنؤخذ أسرى في يد العدو ؟

— يؤلنى أن أقول ذلك يا سيدي الكولونيل وساد الصمت ثانية ، وبدأ كأنما استغرق في تفكير عميق . ثم رفع رأسه وقال بصوت غريب : — وما هو مصير الأعلام ؟

— وما يدريني يا سيدي الكولونيل ؟

فتركني مرة أخرى وراح يذهب ويجيء بضعة دقائق ، ثم أتجه نحو الجنود وصرخ قائلاً :

— العلم !

فتقدم نحوه حامل العلم فس الكولونيل العلم بيد

وأشار بالأخرى إلى قارع الطبل أن يجمع الجنود . فدوى صوت الطبل

ورفع الكولونيل العلم في الهواء وسار قدماً نحو النار حتى انتهى إليها . خفض العلم ومس به الأرض ثم نظر إلى دائرة الضباط ونزع قبعته ، فحذا الجميع حذوه وظلوا صامتين كأن على رؤوسهم الطير

وتردد الكولونيل قليلاً . وقد رأيت شفتيه ترتعدان ارتعاداً ، وكانت عيناه تتوهجان كجمرتين صغيرتين من شدة الألم والعذاب ، وهو ينظر إلى قطعة القماش المقدسة رمز الوطن وعنوان الفخر بيد أنه عقد العزم أخيراً على ما نوى

وجثا على ركبتيه ، ووضع العلم في النار ، فخرج لسان من اللب من سرارة النيران فأبدى وجوه الضباط الشاحبة ودموع بعضهم المنبجسة الغزار ، وصاح الكولونيل :

— تفرقوا !

ولمرة الثانية دوى صوت الطبل المبلل بماء المطر ، ثم وضع الكولونيل قبعته على رأسه وأقبل يسير نحوى متثاقلاً كمن يروح تحت عبء السنين ثم قال بصوت أجش :

— كابتن ! إذا عدت إلى هناك ، وإنك لمأند ، فخذهم بما رأيت . هيه ! أستودعك الله

فسمعتني أقول له :

— أسمح لي يا سيدي الكولونيل أن أعانقك ، فحذبنى إلى صدره بقوة ومضى يربت على ظهرى بيده ثم قال :

— آه يا بني المسكين ! ... يا بني المسكين !

وأدار السيد ديبلي عنى وجهه حيناً فرغ من قصته ، فسمعت نشيجاً ، فأمسكت بذراعه فقال :

— آه إنك ولا ريب تدرك ما يكابد المرء من آلام

في مثل تلك اللحظات . محمد عبد الفتاح محمد

تسليية خرمار

للطاب جورج ميرديث

بقلم الأديب شفيق ذهني

بارتجاف ظل الصنوبر القرمزي الدافئ
العبق ومهاد الطحالب الخفية والسرخس
الزغبى

ويهبط ذيل السنجاب الرمادى حيناً
ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يقفز، وينطلق
طير الغابة منبعثاً من أغوارها فى صمت،
وتتحرك الأشياء من سكون إلى سكون

وتبهج ومضات البهاء والرواء المنبعثين من عل
ومن حول القلوب الرقيقة الحساسة، فالقرب
المتهب، والمرتفعات القرمزية تهيم بروعتها على
الأشجار اللتفة

كل ذلك آية من آيات البهاء يبعثه الجمال العميق
المقيم، والنشوة العلوية التى لا تدين بالطاعة للمجد
الناشر ذوائبه هناك، فمن هذه النشوة يقفز الحل
الصغير وقد استخفه الطرب، وتنتشى أرواح الرجال
اهبطى أيتها الشماعات العظيمة، وضى الخليفة
بين ذراعيك بنيرانك للفياضة ثم اذكرينا، فانت
وأضواء الرذيلة المترفة الغارقة فى بحر لحي من النعيم
التي تتقدم نحوك، والفتان السماوية، ما أنتن جميعاً
إلا سادة وعبيد للقناعة التي تعتلج فى قراراتنا،
وتحور فى أعماقنا

لأن هذا مشوى السحر ومهبط وحيه، فهنا
يتقابل أمير الجزيرة وأميرتها بعبدى عن الشيطان
المدوية الصاخبة، وهنا يجلسان كالببلين العاشقين،
وفى العيون والأذان والأيدى يسكنان من روحيهما
كنوزاً زاخرة لا تنفد

دورى! أى عجلات الدنيا الطاحنة، إن مواخر
الجوارى وهى تنزل على صفحات اليم فى هدوء،
والأنات التى خلقها النظم وصاغتها للبشر ختمت

لنترك جانباً نظم الحياة وأوضاعها الفاسدة .
دعنا ننشق عبير الجزيرة المسحورة، فثمة ترقد
الروج الذهبية، وثمة تجرى الجداول كالنضار،
وثمة يتراءى الذهب الوهاج على سوق أشجار الصنوبر
والشمس تنحدر صوب الأرض مجتازة الحقول
والأمواه

الشمس تنحدر صوب الأرض فتستقبلها الحقول
والأمواه بصيحات كأنها رنين الذهب السبيك،
وإذ تبرغ من خدرها تسبقها بشائرها فتلمس أوراق
البوط والدلب وشجر الزان الزاهى الأخضر،
وسوق البوط القانية تاركة آثاراً متلاثلة على الشيطان
المشوشبة حيث تميل كؤوس شجر الديجيتال
وتتجول عساليج العوسج بين الحشائش الكثيفة
المخضلة

ويستقر نفخ الأشجار، ومن ورائه تنبسط
الأرض بظلالها الوارفة المديدة عبر أشجار الخلدنج،
وعلى ذرى التلال، حتى تضع الشمس أناملها الرقيقة
الوردية، وترقد حيال أبعد حدود السحابة الشرقية
الصاعدة

ألا ما أعذب الخلوة البريئة فى الأحراج حين
ينساب إليها الشماع فى خفة ورشاقة، فتتحرف
الطفافات عن الدروب والمسالك وهى تهتز وتتلون

النشوة فيهما بمزمارة ، أو أثار كوامن فؤاديهما
بيوقه ، أو لربما أدار لهما فرقة موسيقية كاملة طربا
لها ، وهو لا يزال بعد الساحر الماكر

وتملكتهما نشوة ما بعدها نشوة ، فعبا من
سلاف السعادة عبا ، مع أنها نغمات موسيقية أرضية
مدوية ...

ثم غابا عن الشعور ، وتاهوا في عالم مسجور ،
فلم يدريا شيئا عن كنه المباهج الأولى الفائقة الحد
التي تنبجس من الحواس المزهفة عندما ترتفع النفس
وتخلق الأرواح السامية في وجد وشفف لتطوف
متجردة غير منظورة ، حساسة لا حد لإحساسها
لقد وضع بين أيديهما غذاء سماويا فأكل منه
وتزودا ، وطفقا يعبان من رحيق كبير الآلهة حتى
ارتويا ... وهكذا جلسا إلى مائدة يزرى خبز الحب
البسيط وماؤه عليها بأشهى المآذب وأحفلها بأطياب
الآكال والأشربة

اسكب الحب ألحانا من مزمارة أيها الراعي
الصغير ، وأنت أيتها الملائكة النورانية انشروا
أجنتك وارفعي بالغناء أصواتك

لقد فاضت نفسهما بما يسمو على الفلسفة ، وبلغت
فطرتها ما أماداً لا يدركها العلم ، إذ صيغا لجنت
الخلد صوغاً

— إنها لنعمة سماوية ادخرها الله لي

هذا ما هتف به هاتف كل منهما وهما يتعانقان ،
فلقد تعلقت خواطرهما بأهداب نسيج واحد من
القآلف والتوائم ، ولكم أضواء ما تصرم من ستين ،
وصبغا مستقبل حياتهما برائع الألوان

— أنت لي كما أنا لك

على قلوبهم فجعلتهم لا يفتنون لساعات الجذل
الحقيقية ، فترفع الحناجر مرردة شكاياتها للعالم ،
ولكنك وأسفاه لا تسمعين هنا

إنه يناديها باسمها لوسى ، وهى وقد تملكها الخفر
رغم شجاعتها تناديه باسمه ريتشارد ، وهذان الاسمان
هما مفتاحا الأنغام العجيبة التي تترنم بها الملائكة
في السماء

لوسى ! حبيبتى !

ريتشارد !

وهناك خارج نطاق الدنيا وعلى حدود الأحراج
ينفخ الراعى الصغير لحواء الساهمة الحاملة في مزمارة
البسيط .

إن آلة الحب الموسيقية جد قديمة وضعيفة ،
وليس لها إلا أن تترنم بنغمة أو نغمتين ثم يحتويها
الفناء ، ولكنك ترى الساحر الماكر يحرك أوتارها
ويهزها أكثر مما تحمل

لم يطرقا حديثا آخر إلا لاما ، إذ كان الفضاء
الذى يحتويهما والضوء الذى يترامى عليهما ، أشبه
بنور يتراقص فوق زبد الأمواج المصطفقة وهى
تلمس إحساسها المتبادل ، ثم لا يلبث حتى ينشر
ذوائبه ويتسع آنة أن ترتفع النغمات الجائحة ،
فتجواب نفسهما ، ويصاغ من أناتهما الحانية الرقيقة
نغم واحد يرددانه

لربما أجاد الحب إيقاع أنغامه ، لأنه أشجى
نفسيهما وأثارها ، فأمسيا متشوقين للقاء المدخرة
في روحيهما كزاد طبيعى

لقد رتق مشاعر الرجال والنساء وصقلها ثم
فتنهما بآلته الموسيقية ، فكأنما أسكرهما وأشاع

— لقد خلق أحداً للآخر

وما لبثا أن دار في خلدهما أن ملائكة السماء
منهمكة في إعداد عشمهما ، وأنها باذلة قصارى
جهدها للتقريب بينهما

يا للنصر ! ويا للمعجب ! ها هي ذى الملائكة
الأبدية تنجح أخيراً في ذلك بعد ما كابده من نصب
وآلام ، وبعد العقبات التي كانت تزايد حياها

— ها نحن ذان اللذان كتبنا في السماء كفرد
واحد نجلس هنا

اعترف بنفحاتك أيها الحب السعيد . . . اعترف
واستمر في عزفك لهذين المزيزين البريثين ، فلقد
انحسر مد الألوان وجزرها عن السماء ، وتراجعت
شمس النيران الغاربة من الغرب ، وقفزت الأنجم
إلى الأمام وجلة وهي تنسحب أمام القمر الزاحف الذي
يزيح عن كتفيه السحب الفضية المتتابعة بقدميه على
ذرى الصنوبر وهو يرقب السماء

— لوسى ! ألم تحلى بلقائي أبداً ؟

— أواه يا ريتشارد ! لقد كنت رفيق هاتفي
ونجوى خيالاتي

— وإني كذلك .

وبدا القمر صغيراً كما لو كان يطل على الحبيبين
في الفردوس مستمراً في رحلته السماوية الخالدة ؛ فما
كان يحتويهما ليل ، إنما نهار منتقب مقنع ، إذ غص
نصف السماء طرفه حياء ، فلا هو إلى الظلام أدنى ،
ولا إلى النور أقرب ، ولكنه عرش سماوى جمع
بين الاثنين .

— يا من أنت لى ، يا من أنت لى إلى الأبد

رهينة ، همسى في أذنى ...

فسرعان ما يأتيه جوابها بصوت ملائكي ساحر :
— وأنت لى وحدى ؟

وتنتقل أشعة رقيقة شفيفة إلى غبى السرخس
تحت حرج الصنوبر حيث يجلسان ، ويبحث عن
الجواب في عينيها وهي تلفت صوبه هنيهة ، فترجف
عيناها ، ويختلج جفناها في خفر ، وتطرق استحياء
لأن روحها تبدو سافرة أمامه من خلال عينيها ...
لوسى ! زوجتى ! حياتى !

وينسج الليل خيوط ظلامه في اتساق على غصون
الصنوبر ، وتنتقل الأنواء الخفيفة وهي تطوف بهما
مصفية إلى وجيبيهما ، فتصمت شفتاهما ولا ينبسان
توقف لحظة عن العزف أيها الحب ! ألا لتعزف
كيفما يحلو لك فإنك لن تستطيع التعبير عن قبليهما
الأولى ، فلا شيء يعدل عذوبتها ، ولا شيء يعدل
قداستها ...

أيها الملائكة التي في السماء ! أمام منامير الجنة
الفضية تضعين أصابعك على جميع النفحات التي
لا يكون الحب إلا واحدة من نفحاتها ، منها تسمينه
فيطرق أذنيك ...

وهكذا بصمت الحب !

وهناك في خارج نطاق الدنيا ، وعلى حدود الغابة
يلقى الراعى الصغير الراضى عن نفسه نظرة على منماره
البسيط ، وينحرف كالطيف ، ثم يسير في صمت
وسكون ليتناول عشاءه !

الغابة صامتة ساكنة ، لا يسمع فيها صوت
ولا نامة ، اللهم إلا خشخشة أفرع الصنوبر وهي
تهتز في دوائر ودوائر تحت ضوء القمر ...

تنبؤ زهني

(حدائق الغابة)

العش الخالى

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

من كل شيء يحول بينه وبين زوجته
وقد ظل كذلك إلى هذا اليوم. ففي العام
السالف تزوجت بنتاه (كاتلين) و (كلير)
وفي بداية هذا العام تزوجت جيرالد
واليوم تزوجت الأخيرة وهي فرانسيس،
وقد كان يحبهن جميعاً ولكنهن كن عقبة
في سبيله

واليوم لن تحدث بالمنزل الضجة التي كان يثيرها
البنات وصواحبهن، وكانت الأم تصرف كل وقتها
في خدمتهن ومراضاتهن، وزوجها لا يثق بأنهن
السبب في ابتعادها عنه بل كان يخطر له في أكثر
الأحيان أنها تجعلهن ستاراً لتخفى وراءه منه،
وكانت تفقته بجمالها ويزيده شغفاً بها اشتغالها عنه،
وقد تزوج منها ولكنه لم يأنس بزواجها فقد كانت
دائماً في حالة تشبه العزلة، وكانت تهرب منه فلما
رزق منها بيناته الأربع زاد ابتعادها عنه واستمرت
حياتها الزوجية خمسة وعشرين عاماً وهو ينتظر، وكان
ينظر إلى المرأة ويبتسم ابتسامة مرة حينما يذكر أنه
تزوج منذ ربع قرن. وهو مع ذلك لا يتقدم إلى
زوجته إلا كما يتقدم الشاب إلى فتاة صغيرة

وكان جميلاً قوى البنية، وكانت زوجته لا تزيد
مع مرور الأيام إلا جمالاً. وكانت شجاعته تزيد
مع هذا الجمال

نظرت إليه الآن وقالت وهي تشير إلى زجاجات
الخمر والأطباق التي على المائدة: « ما هذه الفوضى
التي تركت لنا يا برانينو »

وكان هذا الاسم هو الذي ينادى به في الطفولة
فنظر إليها وقال بهدوء: « إن اسمي هو جون »
فابتسمت أمام هذا التقرير الهادي. وتناولت

انتهى يوم العرس وسافرت آخر بنت كانت
في الأسرة مع عريسها الجديد، وذهب آخر فريق
من المدعوين وهم يضحكون ويمرحون فرحاً بالمرس،
وأصبح المنزل هادئاً هدوءاً فوق العادة كأنه خال.
فالأب والأم وحدهما في منزلها الكبير، وكان كل منهما
يتجنب النظر إلى وجه الآخر وينظر إلى الموائد التي
عليها بقايا الوليمة فمن زجاجات الشمبانيا إلى أطباق
الفاكهة فأنواع الحلوى المختلفة

وقال الزوج لزوجته: « أليس بالمنزل غرفة
لم يدخلها هؤلاء الضيوف؟ » فقالت: « غرفة
مكتبك »

قال: « تعالى نذهب إليها » ثم نظر إلى الساعة
وقال: « جاء وقت العشاء فلنبدل ثيابنا للمائدة »
ثم أبدل وإياها ثيابهما، وتذكر وهو خجلان
أنه منذ سنوات كان ينتظر هذا اليوم يوم تزوج
بناته ويتركن له المنزل وأمن معه

وقد كان يفار من بناته فقد كن يشغلنها عنه
بمطالبهن الكثيرة، ولم يجروا على الاعتراف حتى أمام
نفسه بغيرته منهن، وإنما كان يشعر بذلك ويخجل من
شعوره، ولكي يكفر عن هذا الشعور كان يقوم
بواجباته نحو أبنائه خير قيام فلم يهمل قط واحداً من
هذه الواجبات ولكنه كان دائماً يشعر بتلك الغيرة

كبير تستطيع أن تأتي شهراً في الخريف ... مسكينة
فرانسين ! إنني أرجو لها السعادة »

عاد إليه شعوره بالغيرة من بناته ولكنه كتمه
كمادته وسكت، فقالت : « لقد سمعت من بنت عمي
دوليس في الأسبوع الماضي - ولم أستطع إخبارك
إلا بعد انتهاء المرض - سمعت أنها تدير الآن نادياً
للفتيات في جنوب لوندرا »

تحقق قلب جون وقال : « ثم ماذا ؟ »
قالت : « وقد اقترحت علي أن أنضم إليها فهي
في أشد الحاجة للمساعدة . وقالت إنني سأكون
منفردة هنا مستوحشة بسبب غيبة البنات وهي ترى
أن أقيم معها وآتي إلى هنا يوماً في الأسبوع .
وأنت تغيب عن المنزل طول النهار وفي إمكانك
قضاء بقية الأسبوع في غيبتى وحدك »

دارت الدنيا أمام عينيه وشعر بالذل . ولكن
عزته المجروحة أبت إظهار ذله فقال : « افعل ما تريته »
قالت : « وإذا كنت تريدني فإني مستعدة
لأداء واجبي »

فقال : « الواجب لا دخل له هنا »
قالت : « إننا سنقرر الرأي في هذا الموضوع
فيما بعد » . فرأى الزوج أن أي قرار خير من الشك
وأن عليه أن يواجه الليلة ما لا بد من مواجهته
فيما بعد . وهو يريد لها ولكن على غير هذا الشرط
فقال : « إنني أرى أن تقرري الرأي الآن »

فالتفت ونظرت إليه في صمت . ولكنه لم يطق
أن ينظر إليها . وارتكن إلى ظهر الكرسي وكانت
أمامه رزمة من الخطابات فأخذ يقلبها بصورة آلية
ويقرأ العناوين فأجابته : « سأذهب إلا إذا كنت
في حاجة إلي »

معه طعام المشاء ؛ فقال وهو يتهد تهد الرضى :
« منذ كم سنة لم تتعش وحدنا ؟ » فقالت : « منذ
سنوات طويلة . مسكينة فرانسين ! لقد كان التعب
الشديد بادياً عليها »

قال : « ولكن من أجل المصادفات أنها تزوجت
في هذا التاريخ »
فقالت : « لماذا ؟ »

ونظرت إليه بعينها الجليتين الزرقاوين فأجاب :
« ألا تذكرين أن هذا هو تاريخ زواجنا ؟ »
قالت : « آه ! لقد تذكرت . إنني كنت ناسية »
فمض شفته وبدأ عليه الغضب لنسيانها ذلك
اليوم . ثم ملك روعه . وشعر بخيبة الأمل في السعادة
التي كان يرجوها لأن زوجته لا تشعر بمثل شعوره
هذا . وذهب إلى غرفة المكتب بعد المشاء وكانا يسمعان
من الغرفة حركة الخدم وهم ينقلون ما على الموائد
من الأطباق ، وكانت الزوجة واقفة بجانب النافذة
تنظر في الظلام إلى أعلى الأشجار وما عليها من
أعشاش المصافير ، وإلى المرات المظلمة في الحديقة
الجميلة التنسيق . وكان الزوج جالساً أمام مكتبه ،
وقد أسند ذقنه بأصابعه

وكانت الزوجة تقذ كرخلو المنزل من الموسيقى
والغناء والضحك واللعب والحديث فقالت : « ألا يبدو
المنزل كأنه غير مأهول ؟ »

فهز رأسه وعادت هي إلى الكلام فقالت :
« أظن جيرالد ستأتي في العام المقبل »

كانت دائماً تفكر في بناتها ، ولم يستطع حملها
على التفكير فيه فشعر الآن بخيبة أمله ، لأنه حتى
في هذا الوقت لم يستطع الوصول إلى قلبها . ولكنه
سكت فلم يجيبها وعادت إلى الكلام فقالت : « وأظن

فكان رده المختصر : « لست في حاجة إليك »
فتركت الغرفة في الحال وتركته بين أنقاض
أحلامه

وبعد أسبوع كان الزوج جالساً وحده .
وكانت الزوجة قد ذهبت في اليوم التالي للمرس
إلى بنت عمها . وكانت نفس الزوج لا تزال متألماً
من جرح غزرتها . وشعر بالتماسة لاعتقاده أنه كان
من الحماقة أن يتركها تذهب دون أن يقاوم ، فهو
يشعر بأن الحياة بدونها لا تطاق

وقف أمام النافذة التي وقفت أمامها منذ أسبوع
وفكر فيها وفيما تعمله الآن . وكانت صورتها المكبرة
على الحائط فقال في نفسه : « ترى كيف حالتها
الآن ؟ لعلها في خطر ! »

ولمّا أتى بهذه الكلمة إلى ذهنه أن أعصابه
شديدة الاضطراب . ولم يكن يطيق النظر إلى صورتها
وكانت الغرفة مملوءة بصور أخرى لبناته فنظر
إلى تلك الصور وهو يتسم ابتسامة مرة وقال : إنها
انتصرت على طول الخط ، وإنني هزمت على طول
الخط كذلك .

ونظر إلى الساعة ، وكان الليل قد انتصف
وتشبثت بذهنه فكرة الخطر ، وفكر في مقدار المسافة
التي يقطعها إذا أراد زيارتها ، ولكنه شعر بأن ذهابه
في مثل هذه الساعة ليسأل عن صحتها لا يمكن أن
يكون إلا حماقة . واختصم في ذهنه العقل مع الغريزة
فكانت الأخيرة هي الغالبة .

وكان الكل قد ناموا ، ولكن فتحه مشوى
السيارة (الجراج) لا يستغرق إلا دقائق ، ثم يخرج
السيارة ويوقظ السائق ، فيخبره بأنه ذاهب إلى
جنوب لوندرا ، وأنه ليس في حاجة إليه .

وفعل ذلك ، واخترقت سيارته الطرق ، وهو
يزيد في السرعة قبل فوات الوقت . ولم يكن قد زار
من قبل ذلك النادي الذي تقيم فيه زوجته ولكنه
كان يعرف عنوانه ، وكانت الغريزة وحدها هي التي
تقوده الآن . ثم تلاشى حكمها ، وتحكم العقل فأسند
ظهره إلى الكرسي ، وأخذ يضحك من حماقته ،
وهو يخترق الشوارع الخالية ... إلى أين يذهب ؟
لا إلى شيء !

وأخذ يرق الجرس ... فلو رآه أحد في الطرق
الخالية لخاله سكران !

ووصل إلى النادي ، فنزل من السيارة ونظر
إلى النوافذ ، فلم ير إلا دخاناً يتصاعد . وأصغى فسمع
أصواتاً تدل على وجود حريق في النادي ، فوضع
يده في فمه ، وصفر ليدعو الجنود ، وأخذ يحاول
كسر النافذة بالآلات التي يصلح بها السيارة . وفي
الوقت الذي كان يصيح فيه باستدعاء المطافئ
استطاع الدخول من الفتحة التي أوجدها في النافذة
فجرح رأسه ويداه ، وكاد الدخان يخنقه فتراجع حتى
تمكن من وضع منديل في فمه ، ثم دخل مقتحماً وأخذ
يصيح « يا هيلين ! يا هيلين ! » فخرجت إليه سيدة
قال لها : « إن المكان يحترق ! أين زوجتي ؟ »

قالت : « إنها نائمة في الطابق الأعلى »
ثم صعدت معه وصاح باسمها فخرجت ودهشت
وقالت : « لماذا جئت يا جون ؟ »

فقال : « اسرعي بقليل من الماء »
فأسرعت وعند عودتها تذكر أنه لم يشرح لها
سبب مجيئه فقال : « النار في البناء ! لا ينبغي أن
نضيع الوقت » ثم وضع منديلاً مبلولاً آخر حول
فمها وبلّ المنديل الذي حول فمه ونزل معها في وسط

الدخان المتصاعد، فلما رآها يكاد يغمر عليها حملها بين يديه ، وكانت الحرارة شديدة حتى كاد يغمر عليه أيضاً ، وخرج بها من النافذة

كانت الساعة الثالثة صباحاً عند ما عاد الزوجان إلى منزلها ولم يتبادلا إلا كلمات قليلة وكانت الزوجة شديدة الشحوب وقالت : « لقد جئت إلى هنا يوم العطلة السالفة . ولكنك لم تجيء فيه »

قال : « نعم هذا هو الواجب على في هذه الظروف »

قالت : « أي ظروف ؟ » فلم يجب . وقالت : « ما الذي جعلك تأتي في هذه الساعة وكيف علمت ؟ »

قال : « لا أعلم ولكن كان مستولياً على شعور غريب بأنك في خطر فأريت وأنا أعرف أن إطاعة هذا الشعور حماقة ، ولكنني لم أستطع منع نفسي . وما كنت أصدق القصص التي من هذا القبيل وكنت أسمع صوتاً يقول لي إن زوجتك المحبوبة في خطر »

فسكتت مدة طويلة ثم قالت : « لم أكن أعلم أنك تجبني إلى هذا الحد »

قال : « إنني رجل محتجز يا عزيزتي وقد كنت أعتقد أنك تدركين حبي لك . ولكنني لم أكن أستطيع الوصول إليك لأنك تهربين مني »

فقالت : « نعم لأنني خائفة »

قال : « خائفة !! من أي شيء ؟ »

فقالت : « خائفة من إظهار محبة أكبر من المنزلة التي وضعتني فيها . إن لي عزة نفس ولذلك كنت أجعل بناتي سائراً حتى لا تراني »

قال : « وكيف عرفت المنزلة التي أضمتك فيها »
فقالت : « عرفت من ذهابك بعد العشاء مباشرة إلى مكتبك كأنك لا تريد أن تكون معنا »
قال : « إنني كنت أفعل لأنني لا أريد أن أرى صواحب بناتي ولا تلك الضجة التي تحول بيني وبينك »

فقالت : « وكيف لا تسرعند ما أكلتك عن بناتنا؟ »
قال : « كيف عرفت ذلك ؟ »

فقالت : « إنك خير من يقوم بواجبات الأب . ولكنني عرفت ذلك من ملاحظتي ما يبدو على وجهك أثناء الحديث عنهن . وفي يوم الأربعاء الماضي أردت أن أمتحن شعورك وكان خطاب بنت عمي قد وصل إلي . ولكنني لم أعمره عناية . وقد جربتك بالتكلم عنه وقلت في نفسي إنك إذا سمحت بذهابي فإن ذلك سيسحق قلبي . وأنا لم أكن أريد الذهاب إلى بنت عمي »

فقطب حاجبيه وقال : « إنك تذكرت عزة نفسك ولم تتذكر عزة نفسي وقولك دلتني على أنك تريد الذهاب . وقد كنت في غيابك تمسأ للغاية » ثم وقف فجأة وقال : « لقد كنا مغفلين » وتناول كفها بين كفيه وقال : « أظنني وجدت نفسك بعد هذه السنوات ولن أتركك تغفلين بعد الآن »
فقالت هامسة : « إنني أحبك كما لم أحب أحداً في الوجود »

ثم وضع ثفره فوق شعرها الناعم اللامع وقال : « لك أن تتكلمي عن بناتنا الآن فطالما كنت تتخذنيهن سائراً بيني وبينك ، فإني لا أغار منهن » فابتسمت وقالت : « لقد أدركت نفسك أيها

الطفل الكبير »
عبر الطيف النشار
(٤)

لمن بنى عليه — إنه ليتخلّج في مشيه
كأن له شهراً يمشى (ثم قال لغلّامه)
يا غلام !

الغلّام : لبيك أمير المؤمنين !
معاوية — لا تحجب دوني الساعة
أحدًا .

الرجل : (وقد بلغ منه الاعياء
والتعب والحر) — النصفه يا معاوية ،

أنصفني ، وخذ لي من عاملك وابن عمك مروان ،
ظلمي ، وغصبني أهلي ، وصيّرتني سخرية بني عذرة !
معاوية : (وقد أخرجه الحر من حمله) — لحي
الله ابن الحكم . يسنى ، وفي المدينة^(١) ! والله لئن كان
لأمثلن به مُثْلَةً تذهب في العرب . هات أمرك
يا تميمي .

الرجل : (وقد هدأ واستراح) نصر الله أمير
المؤمنين ومكن لأمره . . . كانت ظلي وسكني
وكنت بها قرير العين ، مطمئن الروح قائماً ، أمضي
إلى شأني ، ونورها يحدوني . وإنها لتملأ قلبي وعيني
وأفقي . فليس لدّي في الدنيا سواها . ثم جاءت
— يا أمير المؤمنين — أيام عجاف أذهبت الطارف
والتليد حتى هنتُ ، وذلت نفسي ، وأنكرني
الصحب والخلصاء ؛ ثم نفقت ناقة كانت آخر ما عندي
فبقيتُ لا أملك شيئاً ، وضائق سبيلي ، وأطبق
على البلاء وتضاعف حين أتى أبوها — وهو
عمي — فحبذا مني ، وحرمني إياها ، وأنا أحوج
ما أكون إلى برها وحنانها

كانت — يا أمير المؤمنين — إشرافاً إلهياً

(١) والمدينة يومئذ مركز على وحزبه .

قصة سعد وسعد

نبيل الحب (*)

أقصصة شرفية

بقلم الأستاذ مراد الكردي

المنظر الأول

« معاوية أمير المؤمنين في مجلس له في رواق
مكشوف يتشرف على الطريق ، واليوم قيظ ،
والريح راكدة ، والأرض تغلي من الوهج . . .
يبدو شيخ يدلف من بعيد نحو القصر . . . »

معاوية : (لجلسائه) — أما والله إن هذا القيسح
جهنم ، كأن قد فتحت أبوابها . . . هل خلق الله أشقى
ممن يضطر إلى الحركة في مثل هذا الوقت !
أنظروا . . . هذا رجل يحجل من حر التراب ، كأنما
يخطو على نار !

أحدهم — لعله لاجئ يقصد ساحة أمير المؤمنين
أو يبنى نصره .

معاوية — والله لئن كان نفر إلينا في كساة
لقضيناها ، وإن أخش الظلم للذي يؤزر صاحبه أن
يخرج في مثل هذا اليوم ألحمت المصيب — ويل

(*) لهج الناس بعظمة التضحية التي ضحّاها الملك لإدوارد ،
وإدوارد ملك وابن ملك ، شب ونما في عز الملك ، وأبهة
العرش . فلم تفقده تضحيته سوى تاجه . وهو بعد أمير ثرى
محبوب ! فما بالهم وهذه فتاة عربية فقيرة لا تمتلئ كفها .
حق من قوت يومها ، يعرض لها الملك والتاج ، فتأبأها لإبقاء
على سلام قلبها ، وصفاء روحها ، تعدلها بجلال الخلافة ،
وأبهة الملك !

الغلام — أمر أمير المؤمنين

(ينصرف الغلام لينفذ أمر الخليفة)

معاوية : (لكانه) — أما بعد ، فإن الله
بين الحلال وبين الحرام وفرقهما وحدّهما ؛ فويل
لن بدل وغير وطمس ... وإن النحلة بالرغم غصب
مقنّع . فهما مترادفان تفسرهما كلمة من صميم القلب
لا من طرف اللسان . فأتق الله في حق عبده ، واربا
بنفسك أن تكون مُثلة سيئة فتحمل وزرك ووزر
من شايعك إلى يوم القيامة يوم الحق الصريح ...
والسلام

(ينطلق نصر والكميت إلى المدينة برسالة معاوية
ثم يعودان)

المنظر الثاني

« معاوية في مجلسه وحوله خاصته »

معاوية (لنصر والكميت) — جئتما ؟

الكميت — أصلح الله الأمير وأقام ملكه .

لقد رجع ابن عمك وفاء ، فسرّحها وأشهدنا

نصر — ولقد أقر على نفسه في هذا الكتاب

معاوية : (يبتسم) — إن مروان لكالحية

الزرقاء تموت وشبابها تلدغ . لقد ذكر جمال سعاد .

فبالغ وأشاد ، كأنه يستعذني عليها ، ويريدها لي ،

وبغربي بها فلا يبلغها صاحبها على أي حال . ويل

له ما أهون كيده !

(يأمر بسعاد أن تحضر . فيبهر لحسنها ، ويتمناها ،

ثم يجاذبها الحديث فتقع من قلبه . ويقمل فيه جالها وعقلها

وكلامها)

معاوية : (للأمرأى متلفاً) — يا أخى كيف

عهدك بصاحبك . أو ما تزال ذا كرها ؟

الرجل (وقد تنبأ) — بلى والله يا أمير المؤمنين

ماسلاها القلب . ولا عنها شغل (ثم قال في صوت مرتعش)

يجلو عن ذهني ظلمة اليأس والفقر والحاجة . جاء
هذا الشيطان فحجب شعاعه عني . كنتُ معها
في محنة واحدة مخففة بقربها ، فبتُ بعدها في محنتين
تقيلتين من بُعدها : محنة فقرى وجوعى ، ومحنة
السبيل التي مُعَمِّيت على والتوت ، بعد أن
ذهب عني ضياؤها

ولما جئت مروان أشكو أباه وسمعتُ أمر أن
تحضر مجلس الخصومة . فلما أشرقت ألقى الشيطان
في أمنيته فجار وخلط ، وبدلنا — ثلاثنا —
الجزاء . فأثرني أنا بالسجن بدل أبيها . وبذل له المال
وهو الملىء الموسع ، وكنت به أحق وأحوج . ثم
جمعها بقربه وفجعتني بيدها ... !

ولقد خرجت من مجلس قضائه إلى السجن فلبثت
فيه حتى سوّى الأمر لنفسه وفق ما يهوى . ثم جرى
بى إليه فقال : طلق سعاد . قلت : لا . فأعاد فقلت :
لا . فسامنى غلمانة سوء العذاب حتى شارفت . ثم
ثم زادنى . ثم زادنى . فلم أر خلاصاً إلا أن أفعل .
فأرسلتها كلمة من أسلة لسانى على كرهى لأنجو
بجسدى . ونجوت . ولكن إلى السجن ثانياً حتى تمتد
فتنبت أسبابها منى . ثم جئتكم — يا أمير المؤمنين —
راجياً وبك مستجيراً

معاوية — لقد والله جئتني يا أخا العرب بحديث
عجب . ولقد أثم ابن الحكم واجترأ وظلم . ويل للدين
من سدنته . تتلوى الحيل في أدمغتهم فيتفقهون بها ،
ولكن على رأى بطونهم وشهواتهم . ثم يستعدون
باسم الدين على حرم الدين ، ويبنغون على حقوق
المسلمين . (ثم قال لغلامه) — ... إدع كاتبى يا غلام .
فإذا حضر فأرسل أنت في طلب نصر والكميت
ومرهما أن يتجهزا ... أسمع ؟

ومن نزوات الزمان ؟ ألا والله إن المال عارية ،
ومال كفه من الدنيا كالثأب من الماء ، ولقد كانت
لي معه صحبة جميلة ، وأيام عذاب ، وإن الحب متاع
الروح . وإنى لصاحبتة ما سلوته ولا غدرته . وإنى
— وأمرى فى يدي — لواهبتة نفسى وروحي ،
فما أملك لها بعد اليوم رجماً

معاوية (فى عجب وطرب ونشوة) — مرحى .

مرحى . تلك دنيا — يا سعاد — لا نعرفها . سموت
بنا إليها . أخذنى صاحبك ، وأخذنى لكما عشرين
ألف درهم . وانتردت نحن على دنيانا ، دنيا الصراع
والكفاح ، وتنازع الشهوات والأهواء .
مراد الكردانى

— واشوقا يا سعاد إلى الفم الحلو الرشوف بات
يروينى رحيقه (ثم يبكى) سعاد . إلى يا سعاد .
فو الله إنى لواهب بشيرى بك نصف عمرى . و...
معاوية (وقد شاع فيه اليأس) — أقصر . أقصر .
بل إنى لواهبك أنا ثلاثاً نهداً أبكاراً ، كل واحدة
منهن رعبوبة غانية فى يمينها ألف دينار . ثم أنا بعد
ذلك مقربك منى ومجربك عليك رزقاً ، ومالاً وفيراً
على أن تدعها

الرجل : (فى رقة وذلة) استعجرت بعدلك من
جور مروان . فبمن أستجير من جورك ؟ (ثم قال فى رجاء
وحزم) والله يا أمير المؤمنين لو بدلتنى منها الخلافة
فى جلالها وعزها ، بل وملك الدنيا ، ما رغبت
فيها . ولا عدلت سواها .

أبى القلب لإلحاب سعدى وبغضت

إلى نسائه ما بهن عيوب
وما هو إلا أن أراها فجاءة

فأبته حتى لا أكاد أجيب^(١)
معاوية : إن مروان طلقها . وأنت قبل طلقها
ولمها لسيدة أمرها . ولما تخيروها . فهل أمنت رأيها ؟
الرجل : (فى يقين) افعل !

معاوية : (يحضر سعاد ويخاطبها فى رقة) يا سعاد .
أينا أحب إليك ، وآثر عندك ؟ : أمير المؤمنين
فى عزه وجاهه ، وجلال ملكه ، وهذه الدنيا
العريضة التى شهدت وعينت ، أم مروان فى ظلمه
وجوره ، أم هذا الأعراى فى جوعه وفقره

سعاد — أدام الله عز أمير المؤمنين وثبت ملكه
أترانى أمنت فى جوارك وعزك من حادثات الدنيا

(١) الشعر للمجنون وابلى بدل سعدى . ويروى
« ما لهن ذنوب » .

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة فى جزئين
خلاف أجرة البريد

ليلة الذكرى

أفصوصة مصرية

بقلم الأديب محمد محمود الليثي

والخذاء الأنيق الملطخ بوحل الطريق

— أعندك غرفة خالية ؟

— نعم ياسيدى ... عشرون قرشاً

الليلة ... هل لك فى ملء تلك البيانات

من فضلك ؟ ... إنها أوامر البوليس

كما تعلم ...

فجرت يد الرجل فى عصبية تملأ

فراغ الدفتر الضخم ... إبراهيم كامل ...

اثنان وثلاثون سنة ... جراح ... ثم ألقى بالنقود

على الخوان وتبع اليونانى صاعداً السلم الضيق إلى

غرفة بالدور الأول ، كان كل أثاثها عبارة عن سرير

خشبي تغطيه ملاءة قذرة ، وكرسى ، وجمالة يملوها

طست صغير ووعاء ماء بجانب نافذة بدون ستائر

لم ير الرجل شيئاً من هذا كله ، بل ألقى بنفسه

على الفراش بكامل ملابسه فى حالة يرثى لها من التعب

والقنوط ، ثم أغلق عينيه وتذكر مديحة ... مديحة

المعبودة ...

كانت تلك ليلة الذكرى الثانية ، فى مثلها ،

منذ سنتين ، كان ذاهباً إلى عيادته ، وأطلت زوجته

ورقيقة صباه مديحة من النافذة لتودعه ، كما أدتها

فى كل صباح ؛ ففقدت توازنها ، وتلقفها الفضاء ...

وتمثل له المنظر الرهيب عندما احتضن جثتها المهشمة

فى يأس وجنون ، كما ظل يتمثل له فى كل ليلة من

الليالى التى تلت ذلك اليوم المشئوم !

كانت ليالى ساهدة ، عبارة عن عذاب مقيم ،

تمر عليه الساعة تلو الساعة ، وهو يتقلب فى فراشه

من ركن إلى ركن ، ولكن عبثاً كان يحاول النوم

حتى لجأ أخيراً إلى المخدرات علماً تعطيه من آن لآخر

هدنة قصيرة يغيب فيها عن كل ما حوله ، ولم يلبث

توقف برهة عند مدخل الميدان ، ثم نظر حوله

محاولاً أن يعرف أين وصل ... كان قد ضرب على

غير هدى لساعات طويلة ، حتى قادته قدماء إلى ذلك

الحى النابى ... ولعله قد وصل إلى إحدى الضواحي

دون أن يدري ...

وفى جوف الليل البهيم ، انبعث صوت المؤذن

من جامع قريب يدعو إلى صلاة الفجر فغمغم لنفسه

فى ذهول :

— ما قد قارب الليل الانتهاء ...

ثم أخرج ساعته من جيبه بحركة آلية ، ولكنه

نسى أن ينظر إليها ... ماذا يفعل الآن ... أين يذهب ؟

كانت السماء تمطر منذ ساعة رذاذاً قارساً تدفعه

الريح بشدة إلى وجه ذلك الشارد . فشعر بجسمه

يرتجف برداً ، ورفع بذيقه معطفه ، ثم استأنف سيره

المضطرب المتعثر ، إذ أنه كان قد سار طول الليل ،

فكانت ساقاه المتعبتان تختذلانه

وفى نهاية الشارع لح لوحه ... « بنسيون

دى روز » ... فدفع الباب ، ودخل يترنح

فخص صاحب (البنسيون) اليونانى بركن عينيه

ذلك النازل المريب ولم تفته ملاحظة التقاطيع الشابة

القوية رغم الشيب الذى علا عارضيه ، والملابس

السوداء المتقنة التفصيل برغم المطر الذى بللها ،

الإسكندرية يتأمل مياه البحر اللانهائية ، وشرب من ينابيع جبل لبنان الثلجية ، وانزاق فوق ثلوج سويسرا ، واندماج في حياة باريس ولندن الصاخبة ، ولكن السأم والذكريات الممضة لم تبرح ذاكرته المعبدة ، ومنظر الجثة الدامية بين ذراعيه يتراءى له في كل لحظة فيمحو ما عداها من المناظر ...

وأخيراً ، لجأ إلى الوحدة ، وقبع في عقر داره ، رافضاً أن يزور أو يزار ، مستلقياً على أحد المقاعد ، يفكر في صمت ، ويدخن بدون انقطاع ... وكان بمبو هو الوحيد المسموح له بزيارته ، فكان يحاول عبثاً أن يرفه عن نفسه أو أن يبعث في روحه المضناة شيئاً من العزاء ، كما كان يحدث له أحياناً أن يخرج إلى الطريق ، عند هبوط الليل فيذرع الأرصفة على غير هدى ، نهبة لأفكاره السوداء ...

لم يعد يقاوم ... ولم يعد يحاول أن يجد حلاً لمشكلة حياته المحطمة ... بل أخذت فكرة الانتحار تتسلط على تفكيره رويداً رويداً ، حتى كانت الليلة التي نحن بصدددها ، ليلة الذكري ، إذ حزم أمره على وضع حد لذلك الجحيم المستعر ، فخرج ، وترك قدميه تقودانه إلى تلك الغرفة ، في ذلك (البنسيون) النائي ، على ذلك الفراش اللين ، حيث اعتزم أن يرقد ... الرقدة الأخيرة ...

مد يده إلى جيبه ، وأخرج أنبوبة دواء منوم ، وتأمل الأقراص البيضاء برهة في ضوء الفجر الباهت الذي كان ينساب من النافذة ... لم يكن عليه سوى أن يسقطها الواحد تلو الآخر في قدح من الماء ، ويشرب ، فينتهي كل شيء ، بسرعة وبساطة ... قام وتوجه إلى إناء الماء ، فلم يمالك ، رغم تشتت ذهنه ، أن تراجع اشتزازاً ، إذ وجد الماء آسناً ،

أن أدمن عليها وأخذت هي تحطم أعصابه شيئاً فشيئاً وبالرغم من ذلك ، فقد تمكن من إدارة عيادته الناجحة لبضعة شهور ، حيث انغمس في عمله بحمية أقلقت مساعده وصديقه أمين أو « بمبو » كما كان يدعوهم إعزازاً ، فكان هذا الأخير ينصحه برفق قائلاً — لن تستطيع المداومة على هذا المجهود الجنوني

يا ابراهيم ... رفقاً بنفسك !

فكان يجيبه متنهداً :

— وماذا أفعل إذا كنت لا أكف عن التفكير

في ... في نفسي ... إلا عندما أنهمك في عمليات ! وصدق حدس بمبو ، إذ لم يلبث ابراهيم أن لاحظ أن يده بدأت تفقد شيئاً من خفتها ، وأصبح يشعر بشيء من الرهبة أمام العمليات الصعبة ... بل باغ به الحال أن كان يشعر أحياناً برعشة تملك جسده ، فكان مساعده المخلص عندئذ يتناول المبضع من يده في رفق ليستأنف العملية ...

وحدث ذات يوم أن اعتراه دوار شديد ، فحمله مساعده إلى خارج الغرفة ، وعندها فهم أن كل شيء قد انتهى بالنسبة إليه ، ولم يفتأ يكرر :

— لقد انتهى كل شيء .. إنني رجل مفروغ منه ! ...

لبث بعدها يأتي كل يوم إلى العيادة كمادته ويرتدى معطفه الأبيض ، ثم يتجه إلى غرفة العمليات ولكنه لا يلبث أن ينكص على عقبه دون أن يجرؤ على الدخول .

ولما استحال عليه مزاوله مهنته ، حاول أن يجد بعض السلوى في السفر والتجوال . فوقف في الأقصر يتأمل عظمة آثارها ، وجلس إلى صخور شاطئ

يعلوه ريم قدر ، فتلفت حوله ، وبدأ له ما لم يكن قد لاحظته من قبل ، من قذارة الغرفة وحقاتها ، فاندفع هابطاً الدرج ، وخرج مسرعاً لا يلبس على شيء ، حتى صادف موقفاً لسيارات التاكسي ، استقل إحداها إلى منزله

كان قد عدل عن فكرة الأقراص النومة ، وأخذ يفكر في سيارته الخاصة ، سيارة ممتازة سريعة كان قد اشتراها أثناء إحدى محاولاته اليائسة في سبيل النسيان ولم يلبث أن تركها جانباً ...

حياء البواب عند وصوله إلى المنزل

— صباح الخير يا سيدي ... لقد استيقظت سعادتك مبكراً اليوم

— نعم يا عثمان ... إذ جاءني نداء مستعجل وبعد لحظات انطلق بالسيارة القوية بدتسم للفكرة الجديدة التي تفتق عنها ذهنه ... منحني حاد في طريق زراعي ، انحراف في القيادة ، ثم ارتطام بشجرة ... ولن يشك أحد في الأمر ، ولن يلحق باسمه أي عار ...

اجتازت السيارة حدود القاهرة ، وانسابت في طريق زراعي يمتد بين الحقول المنبسطة تحت ضباب الفجر الخفيف ، تدوي آلتها في طنين مخيف ، وقد جلس هو إلى عجلة القيادة شارد النظرات ، ولكنه كان كلما واجهه المنحنى المنشود ، قامت يدها وقدماه تحت تأثير الغريزة بالحركات اللازمة لتفادي الكارثة .

كان يريد أن يتمتع نفسه بلذة القيادة السريعة بعض الوقت قبل أن يمجل بالنهاية

مر بوضع قري ، ثم بمدينة ، لملها بنها ، لم يكن يدرى ، ما زالت جميعها نائمة وهو في سرعته الجنونية والوادي منبسط أمامه ، متشابه المناظر ، عندما لمح

— ماذا تريد ؟ ...

— أرجو المذرة يا سيدي البك ، ولكني سمعت صوت المحرك من بعيد ، فلوحت لك ، آملاً أن تسمح سعادتك بنقلي إلى المدينة المجاورة كي أستدعي الطبيب .

إن طفلي يا سعادة البك في أشد حالات المرض ... على وشك الاختناق ... وقد قالت سيدي ابنة صاحب العزبة التي سارعت إلى نجدتنا حفظها الله ، إن حالته خطيرة جداً ...

ظل ابراهيم صامتاً برهة ، يتمتع حواسه بذلك السكون الشامل ، الذي كان له أطيب التأثير في أعصابه المتوترة بعد ضجيج السيارة المزعج ، وشعر بنسيم الصباح الهادي ، يرطب حرارة جبينه المحموم ، فلا رثيئه بلذة ، ثم التفت إلى محدثه

— لقد سمعتك تقول إن طفلك على وشك الاختناق ، هل تعني بهذا أنه يتنفس بصعوبة ؟ ...

— نعم يا سيدي ... إن زحيره يسمع من خارج المنزل ...

— هل يعلو وجهه شيء من الزرقة ؟

— نعم يا سيدي ... كانت خفيفة في مبدأ الأمر ، ثم أخذت تشدد قتامة بمرور الوقت

فصمت ابراهيم برهة أخرى مفكراً ، بينما انبثق نور الفجر على الحقول من الشرق ، فحياء صياح بعض الديكة

— وأين منزلك هذا ؟

على أعصابه الشائنة ووقف ارتجاف يديه ، ثم قال :
— هل لي أن أسأل ماذا كنت تفعلين
يا آنسة في تلك الملابس ؟ ...

— أوه ... كنت أحاول أن أضغط الأغشية
المتورمة بالحلق بعيداً بعضها عن بعض حتى تأتي
النجدة ، لأن الطفل كان على وشك الموت (ثم ابتسمت
عند ما رآته يفرح فاه ، واستطردت ببساطة) إنني
طالبة طب ، وقد أتيت هنا لأقضي الشطر الأخير
من إجازة العيد في العزبة ... هل هناك أمل
يا دكتور ؟ ...

— لن ينقذ المسكين سوى عملية جراحية
سريعة ...

ثم كرر لنفسه في يأس ... نعم ... عملية
جراحية سريعة .. وتأمل يديه المهترئين بقلق ،
ثم جال يبصره بين الأب الصامت المتجلد ، والأم
الواهة ، وتوقف برهة أمام النداء المنبث من عينيها
المتوسلتين ، ثم تأمل الفتاة الباسمة أمامه ، واستقرت
عيناه أخيراً على الوجه المحتقن الداكن ، وشعر
بالحجل من نفسه ، وذهب عنه كل تردد ، فأسرع
يمدو إلى السيارة ، حيث وجد حقيبة الأدوات التي
تعود أن يتركها فيها دائماً ، وعند ما عاد وجد الفتاة
وقد بسطت فوطها فوق منضدة الغرفة ، مدت
عليها المريض الصغير ، ثم ساد الغرفة صمت رهيب
كانت تأمل إبراهيم تعمل أثناءه بمهارة في حلق
الطفل ، ففتحت وسط الأغشية المتورمة التي كانت
تسده منفذاً أدخل فيه أنبوبة المطاط ، فنغذ الهواء
إلى الرئتين

ولما حملا الطفل أخيراً إلى فراشه ، ومالا فوقه

— هناك ياسيدى البك ، وراء تلك الأشجار
في عزبة توفيق بك رضا ، إذ أننى شيخ خفرائه
— إننى طبيب ، فقدنى إليه ...

فعبدا الطريق مسرعين ، والفلاح يتهل في سره
حتى وصلا إلى المنزل ، حيث وجد الدكتور إبراهيم
امرأة جالسة وعلى ذراعيها طفل صغير تغطيه ملاءة
بيضاء ، فاتجه نحوها مباشرة ، وانحنى يفحص
الوجه المحتقن ، ثم هن رأسه يأس ... كان الطفل
قد بدأ يحسرج

— دقتريا يا دكتور ... أليس كذلك ؟ ...

— بلى ... وفي المرحلة الأخيرة أيضاً ...

— لقد تبينت ذلك لأول وهلة ولذا أرسلت
الرجل لاستدعاء الطبيب ... وكم أحسنت صنعاً
بالإسراع في المجيء يا دكتور ...

وعندهما فقط انتبه إبراهيم إلى ذلك الصوت
الملائكي الذى كان يخاطبه ، لقد ذكره بصوت
آخر ... صوت عزيز لديه ... ألفه منذ صباه ...
فرفع رأسه بحدة ونظر إلى مصدره ... يا لله ...
لقد ظن نفسه في حلم ...

رأى في ضوء مصباح البترول الخافت شابة :
ابنة توفيق بك التي تحدث عنها القروى بدون شك
واقفة بجانب الأم ، كلاك الرحمة ، وقد شمردت عن
ذراعيها حتى المرفقين ، تردى ثوباً بسيطاً تغطيه
فوطه بيضاء ، ولكن وجهها ... ذلك الوجه
الصباح ... وتلك العينين الحالمتين ... وذلك
السمو الروحي ... كان التشابه مدهشاً حقاً ...

وعادت الدكري الرهيبة تعصف بنفس إبراهيم
فضم قبضتيه في عنف ، حتى يتمكن من السيطرة

— كم أنا سعيدة يا دكتور ... سعيدة لأنك
أنقذت حياة ذلك الطفل المسكين ... ولأن الصباح
مشرق باسم ... تأمل تلك الخضرة كم هي فتانة !!
إن الطبيعة يا دكتور إبراهيم تنفر من الموت ومن
الظلام ...

فابتسم إبراهيم مؤمناً ، ثم استأنفا السير جنباً
إلى جنب حتى وصلا إلى الفيلا ، وفيما كانت تدفع
الباب قالت :

— كم أتعشق مهنة الطب ... ويا لها من
سعادة عند ما يتمكن المرء من إنقاذ حياة آخر
كما فعلت أنت فجر اليوم ...

فتأملها إبراهيم للمرة الثانية مبتسماً ، ثم فتح
فاه ليتكلم ولكن التعب كان قد أخذ منه كل مأخذ ،
ففر لونه وترنح لإعياء ، وكاد يسقط لو لم تتداركه
ناهد التي تمكنت بمساعدة أحد الخدم من إسناده
وإدخاله غرفة الضيوف حيث استلقى على الفراش ،
وبينما كانت ناهد تبسط الغطاء فوقه تناول يدها
الرقيقة في يده ورفع إليها عينييه وتمتم بصوت خافت
— ناهد ... ابقى بجانبى ... دائماً أبداً ...

واسهرى على ...

لم تكن ناهد تعرف عن هذا الغريب سوى
أنه تعس شقى ... وأنه بحاجة إليها ... وأنها ...
تهواه ، ولكن بحسبها ذلك ، فلم تسحب يدها ،
بل تفرقت دمة في عينيها الصافيتين ، وصرت بيدها
الأخرى على جبينه الملهب بينما راح هو لأول مرة
منذ أمد طويل في سبات عميق لم تتخلله الرؤيا المزعجة

محمد محمود الببتي
(٥)

ينصتان ، سَمَا تنفسه ينتظم ، وسرعان ما استغرق
في نوم هادئ عميق ، فتقابلت عيناها في صمت

غسل إبراهيم يديه بالمطهر ، ثم أخذ يصفف
أدواته في الحقيبة متأهباً للرحيل ، بينما كان يفكر
في تصارييف القدر المعجبية ... خرج لينهى حياته
فتقوده قدماءه إلى حيث ينتزع حياة من برائن الموت
— مستحيل أن أدعك ترحل هكذا يا دكتور

— إبراهيم ... إبراهيم كامل ...

— تشرفنا ... إسمي ناهد ... ناهد رضا ...
كنت أقول إنه من المحال أن أدعك ترحل هكذا
يا دكتور إبراهيم ... إن الفيلا لا تبعد عن هنا سوى
مسيرة خمس دقائق فيجب أن تأتى مئى لتصيب قسطاً
من الراحة إذ أنك تبدو متعباً للغاية ...

نعم ... كان متعباً للغاية لدرجة أنه لم يتمكن
حتى من الاعتراض ، فسارت أمامه باسمه لترشده
إلى الطريق ، وفيما كان يتبعها جعل يتأمل مشيتها
الرشيقة وقوامها المستقيم وشعرها الفاحم الجميل ،
وينصت إلى الأنشودة التي كانت تترنم بها في صوت
خافت ، واختلجه شعور غريب لذيذ ، شعور بأن
شمس ذلك اليوم قد حملت إليه مع أشعتها الدافئة
الحل المنشود ، وأن مشكلة حياته قد انحلت عقدها
وأنه استيقظ من كابوس طويل مزعج ، فساد
روحه هدوء غريب لم يشمر به منذ أربعة وعشرين
شهراً ...

توقفت ناهد عند أحد المنحنيات فوسع إبراهيم
من خطواته حتى لحق بها ، فقالت :

« الكابلي » الأحمر البديع ، وأن مبدعى
إن هو إلا عمدة المدينة بنفسه ، وهو
في ساعات لهوه وفراغه يتسلى بتدوير لعب
عديدة ذات حركات ورقصات مختلفة ولكن
أنا وحدي الأثيرة لديه

قالت الكرة وقد قلت من كبريائها :
— أحقا ما تقولينه ؟ أجابت الدوامة :
— لأحرم من استقبال أدنى ضربة
من ضربات السوط ولأتمر عن أي خيط
يلف حول جسمي للدوران والقتل ، إن كنت
كاذبة أو مدعية . قالت الكرة :
— إنك لحاذقة في تشمين نفسك ورفع شأنك
ولكن الخطبة التي تعرضينها على مستحيلة : ذلك
مخطوبة لطير « السنونو » وفي كل مرة أحلق
فيها في الهواء ببرزلي « السنونو » رأسه الجميل
خارج عشه ، ويظهر لي كثيرا من الشوق والميل .
وأنا منذ ذلك الحين عقدت النية على أن أمنحه يدي .
وعلى هذا فنحن الآن نصفنا خطيبين ، ولذلك
لا أستطيع الإصغاء إلى حديث خطبتك لي ، ولكني
برغم هذا أراي متأثرة بنبل عاطفتك وأعدك أنني
لن أنسى أبدا ما أبديته نحوي من ميل ومحبة .
فتهدت الدوامة حزينه وقالت :

— هذا بعض شيء من الكرم واللفظ
ولاشك ، ولكنه ويا للأسف لن يكفي لهدئة هيامي
أولتمزية آلامى . وكان هذا الحوار بين الكرة
والدوامة آخر حوار تبادلناه

وفي الغد تناول الصبي الكرة وأطلقها في الهواء
فطارت مثل عصفور رشيق ، وغابت عن نظر الدوامة
لحظة ثم رجعت إلى الأرض كي تملو في الهواء ثانية
وفي كل مرة تمس فيها الأرض كانت تتراقص تراقصا
رشيقا يدينها من عش السنونو ، وفي القفزة التاسعة
اختفت الكرة عن عين الصبي فلم ير لها أثرا

من القصص الرمزية

زوجا غرام...

للقصصى الدانمركى « أندرسن »

بقلم الأديب كمال الحريرى

كانتا جارتين أليفتين فى علبة من علب لعب
الأطفال : دوامة وكرة . فقالت الدوامة لصاحبتها
الكرة ذات يوم :

— لم لا نكون خطيبين محبين مادام علينا أن
نمضى حياتنا فى مكان واحد ؟

ولكن الكرة التى خلعوا عليها ثوبا رائعا قشيبا
من الحرير المتموج الخالص ، لم تكلف نفسها عناء
إجابة صاحبتها الدوامة

وفى الغد ارتأى الطفل الذى تخصه هذه اللعب
أن يصبغ الدوامة بلونين من حمرة وصفرة ، فما كانت
الدوامة تدور على بلاط الدار إلا تموجت ألوانها أبدع
تموج وآخذة للبصر . حينئذ قالت لجارتها الكرة :
— انظرى إلى الآن ما عساك قائلة فى ؟

ألا نغمد خطبتنا ونزوج ؟ أنت تقفرين وتنطين وأنا
أرقص وأدو . ومن يستطيع لعمري أن يسعد
أكثر منا ؟ قالت الكرة فى صلف :

— يا للحمقاء أنظنين ذلك ؟ إذا فانت تجهلين
يا صاحبتى المسكينة أن والدى كانا سليلي نعمة ولا بسى
دمقس وحرير ؟ وأنى لست من الأكر العادية المبتدولة
ولمّا أصلى ينحدر من بلاد أسبانيا . قالت الدوامة :
— هذا حسن ولكن لا تنسى أنى أنا أيضا
أمريكية الأصل لأنى مخروطة من فاخر شجر

قش الصبي ومحت في كل محل وموضع ولكن لا أثر لها ولا عين. لقد توارت عن العيون. وأرسلت الدوامة تهدة حارة واجدة فقالت :

— إنى لأعرف أين هي الآن هي في عش السنونو عشيقها الأثير ، إنها خطيبان عاشقان وكانت الدوامة تشعر نحو الكرة بحب عنيف وشوق هزاز بعد اختفائها وتواربها عنها

أن تكون الكرة الحبيبة خطيبة هائلة وزوجة سعيدة لطير السنونو — ذلك ما كان يرمض حشاها ويضاعف أساها ، ومع هذا فقد استأنفت الدوامة بعد هذا الفراق والبعد حياة الرقص والدوران ولكن كانت دأمة التفكير والتذكر للكرة الراحلة التي كانت تحتل من مملكة خيالها شيئاً فشيئاً مركزاً قدسياً ممتازاً من السحر والجمال ثم تحول هذا الحنين إلى الكرة مع الزمن إلى وجد دفين وهوى مبرح لم تكن الدوامة في ميعه صباها؛ غير أنهم في ذات يوم لونوها بنقوش بديمة وزخارف مذهبة وفضية وحمراء وصفراء وخضراء وزرقاء، فبدت في حلة مواجهة الألوان لم ترتدها في عمرها : تتمتع العين بالبريق الألق وتطرب الأذن بالخرخرة الموسيقية ولكن آه ... لو استطاعت عين الكرة النازحة أن تتعلّى الآن من بريقها وزخرفها. إذن لتيمةا حبها وفنتها محاسنها وذات يوم بينا الدوامة في دورة من دوراتها الراقصة ، عثرت بحصاة في رقصها أقفرتها إلى بعيد فأغى عليها هناك وانطرحت دون أن تراها عين أو يواسيها أحد. قتشوا عنها في كل موطن ونقبوا في كل مكان، حتى يئسوا من وجودها ولم يعثروا عليها، وإذا فأين هي ؟ ... هي مع الأسف في علبة القمامة بين أكداس التراب القذر والأوساخ المفعنة

قالت الدوامة في حسرة : والمفتاه على ألواني الزاهية وأصباغى اللّساعة ، أو قدّر على أن أقضى العمر سجيناً في هذه القمامة الوبيثة الملتنة ؟

ونظرت الدوامة فيما حولها فأبصرت بالقرب منها فضلات من خضار « السلاطة » ثم شاهدت شيئاً مدوراً صغيراً حسبته تفاحة فاسدة . ولقد كان مارأته كرة هرمة أمضت سنواتها الأولى في رطوبة البالوعة القذر ومائها النتن ثم انتقلت منها إلى علبة القمامة. فكان مجرد لمسها يقزز النفس ويلوث اليدين بالوباء والقذر . قالت هذه الكرة الهرمة الكريهة وقد أبصرت الدوامة المذهبة بقربها :

— حمداً لك يا ربى فقد مننت علىّ بأخت من جنسى وطرأى أستطيع معها أن أستطيع الحديث الحلو منذ الآن . ثم التفتت إلى الدوامة فقالت :

— لا تنظري الآن إلى رثانة حالى وكراهة منظرى . فقد كنت كرة رائمة الحسن ، انحدرت من سلالة الأكر الإسبانية الممتازة بالرشاقة والأناقة ودلّ الرقص الحار ؛ ولكن صبيّاً طائشاً هو الذى لوث أديمى حين ألقانى من يده الرعناء فى البالوعة . ولقد كنت سابقاً على وشك أن أتزوج فرحاً جميلاً من فراخ السنونو حين ألقنى يده فى هذا المكان الذى لبثت فيه ، وفى البالوعة قبله خمس سنين . فوالهفتاه على جمالى الدايب ورشاقتى الضائعة . لشد ما نفخت جسمى البديع النحيف رطوبة البالوعة فشوهت جسمى الجميل وصيرتنى صورة للدمامة والقذارة ! لم تقل الدوامة كلمة لأن ذكرى غرامها القديم كانت تتمثل أمام ذهنها . يا للمعجب ! هل كانت تتوقع أن يكون هذا المصير المخجل الكريه مصير تلك الكرة الفخورة المتكبرة التي كانت تجن لها بين ضلوعها أحر الهيام وأصدق الوجد فى عهود شبابها الغرير المرح ! وأقبلت الخادم فتناولت صندوق القمامة وألقت محتوياته فى الشارع . وحين أبصرت الدوامة بين القذر حملتها إلى الأطفال كي يلعبوا بها من جديد . أما الكرة الهرمة الكريهة فقد ظلت فى كفن من قذر ووسخ الشارع ... كمال الحبرى

سر المعلم كورنى

للطبيب الفرنسى ألفونس دوديه

بقلم الأديب عبد الغنى العطرى

وحينما تلفت المرء يمناً أو يسرة لم يكن
ليرى إلا أجنحة تدور باتجاه الريح الشمالية
مغطية أشجار الصنوبر، وجوعاً كثيرة
من صغار الحمر محملة بأكياس الحنطة
تصعد بها تارة وتهبط أخرى . وهكذا
دواليك طيلة الطريق ، وكان من المتع
سماع صوت السياط من عل مدى

الأسبوع ، وطققة النسيج ،
وأصوات مساعدي أصحاب
المطاحن وهم يحثون حيواناتهم على
الإسراع . وفى أيام الآحاد كنا
نذهب إلى المطاحن وحداناً
وجاعات، وهناك فى تلك المرتفعات
كان الطحانون يرشفون الحمر
المعطرة . أما أزواج أصحاب
المطاحن فقد كن جيالات فانتات
كألو كن أزواجاً ملوك، ترينهن
مناديل أعناقهن المصنوعة من
الخرم^(١) وصلبانهن الذهبية .
أما أنا فقد كنت آتى بمزمارى
ويظنون هم يرقصون الفرندول^(٢)

حتى يقبل الليل بحلكته . وهذه الطواحين أتراها ؟
لقد كانت مصدر غنى وسعادة بلدنا

ولكن أسس — لسوء الطالع — بعض
فرنسي باریس مطحنة تدور بواسطة البخار على
طريق (تاراسكون)

(١) الدنيل

(٢) رقصة « بروفنسية » وبها يمكس الراقصون بعضهم
بأيدي بعض ويرقصون على خط مستقيم

تعريف بالقصة

يمكننا أن نقول دون غلو أو مبالغة
إن كتاب رسائل من طاحونى لدوديه
هو أحسن ما أنتجته على الإطلاق .
واشبع ما قاله شارلى سارولا فى مقدمة
هذا الكتاب

« إن فن القصة فن فرنسى ، وليس
ثمة منطقة فى فرانسه أنتجت قصاصين
مجيدين كما أنتجته بلدة التروبادورين ،
وليس بين القصاصين البروفانسيين
شبيه لألفونس دوديه ؛ وليس بين
أفاسيين دوديه ما يفوق رسائل من
طاحونى »

وأنا أقول إنه ليس بين أفاسيين
رسائل من طاحونى أحسن ولا أروع
من : « معزة السيد سوغان »
و « العجوزان » و « نائب الوالى
فى القرية » و « سر المعلم كورنى » ...

فرانسيت مامال نافخ فى المزمارة
عجوز ، كان يأتى لقضاء السهرة
عندى من آن لآخر . وبينما كان
ذات مساء يحتسى أكواب الخمر
المعتقة قص على مأساة قروية
قصيرة ، حدثت منذ عشرين عاماً
وكانت طاحونى من اللواتى
شهدنها

وقصة الرجل الساذج هذا
أثرت فى تأثيراً بليغاً وسأحاول
ما استطعت أن أقصها عليكم
كما سمعتها

تصوروا يا قرأى الأعزاء
أنكم جالسون قبالة إبريق من الخمر
المعطر ، وأن الذى يحدثكم هو هذا المعجوز النافخ
فى زمزماره :

إن بلدنا يا سيدى لم تكن مجدية أبداً كما هى
اليوم . لقد كانت تقوم فيما مضى بتجارة واسعة
فى الطحانة ؛ ومن مسافة عشرة فراسخ كانت
سواقو الحمر يأتوننا بمنطتهم لنطحنها لهم . وكانت
الهضاب المحيطة بالقرية مغطاة بمطاحن الهواء ،

لأنهم يريدون أن يسموا الناس بطحين مطاحن البخار
وكان يقول :

— حذار أن تذهبوا إليهم، إن أولئك اللصوص
يريدون أن يصنعوا الخبز فيستعينوا على ذلك بالبخار
الذي هو من عمل الشيطان ! بينما أنا أستمع بالرياح
— والرياح الشمالية فحسب — التي هي من أنفاس
الخالق عز وجل .

ولقد سمع إذ ذاك كثيراً من الكلام في مديح
مطاحن الريج وإطرائها ؛ ولكن إلى جانب ذلك
لم يعمل أحد بنصحه .

ثم تواري كورني عن الأنظار بقوة إرادته ،
غاضباً ، حائقاً ، وظل وحده في طاحوته كحيوان
متوحش ؛ ولم يشأ أن يكون قربه أحد ، حتى
ولا حفيده « فيفيت » البالغة من العمر خمسة عشر
ربيعاً ، والتي منذ فقدت والديها لم يبق لها من قريب
سوى هذا الجد .

ولقد اضطرت هذه الصغيرة المسكينة إلى كسب
القوت بكد اليدين ، وعرق الجبين ، فكانت تكتري
تارة لتسوق الحمير المحملة ، ولتقودها في الطريق ؛
وتارة للعمل في أيام الحصاد أو لغيرها من الأعمال .

ولقد كان جدها مولماً بها كل الولع عجباً لها
كل الحب ؛ وعند ما يلج به الشوق إليها والحنين ،
كان يقطع المسافات البعيدة ، في حر الظهيرة ، مشياً
على الأقدام ، باحثاً عنها خلف الأحمال ، حيث تشتغل .

وعند ما يكون إلى جانبها ، كان يخلق فيها أبدأ
— وقد يقضى الساعات الطويلة كذلك — وهو
يذرف الدموع

وكان سكان البلدة يحسبون أن هذا المعجوز
لم يدفع بحفيده إلى تيار العمل ، ومترك الحياة ،
إلا بخلا منه وتقيراً

والناس راغبون في الجديد ، ميالون إليه لأنهم
يجدون فيه لذة ، وفي نفوسهم إليه رغبة ، وهكذا
اعتاد الناس منذ ذاك الحين إرسال بُرّهم إلى مطاحن
البخار

أما مطاحن الهواء المسكينة فقد ظلت بلا عمل ،
ولقد حاولت بمدئذ المقاومة فناضلت وصمدت ؛
ولكن الغلبة كانت للبخار . ثم أفلست واضطرت
كلها إلى إغلاق أبوابها الواحدة بعد الأخرى ؛
فلم يكن يرى بعد ذاك تلك الحمير الصغيرة تأتي وتروح ،
وأزواج أصحاب مطاحن الهواء الجميلات بمن صلبانهن
الذهبية ... فلا نخر عنب ممطرة ، ولا رقصات
الفرندول الجميلة . أما ريج الشمال فقد هبت كثيراً
ولكن ... أجنحة تلك المطاحن ظلت جامدة
لا تتحرك ولا تدور ...

ثم جاء يوم أزالته به مديرية البلدة كل هاتيك
الخرائب من أصلها ، وزرعت مكانها الكروم
وأشجار الزيتون

إلا أنه بالرغم من كل ما حدث ظلت واحدة
في وسط تلك الخرائب الزائلة ، صمدت لأحداث
الزمان ، وتقلبات الدهر ، ظلت أجنحتها تدور بهمة
ونشاط على ربوتها ؛ وذاك رغم أنف أصحاب مطاحن
البخار . كانت هذه مطحنة المعلم كورني ، وهي نفسها
التي تقضى بها سهرتنا الآن

كان المعلم كورني طحاناً معجوزاً قضى ستين عاماً
من حياته بين الطحين . ولقد صيره إنشاء مطاحن
البخار مجنوناً أو كالمجنون . ولقد شوهد مدة ثمانية
أيام يركض في القرية داعياً الناس إليه ، صائحاً بهم
بكل ما أوتي من قوة حنجرة ، وارتفاع صوت :

أما أن يطاء المرء عتبة طاحوته فهذا أمر غير معقول ولا يجب التفكير فيه أبداً ، حتى أن حفيدته فيفيت نفسها لم تطأها قدماها قط .

وكنفت إذا ما صررت بها وجدت بابها مغلقاً وأجنحتها الغليظة تدور ، دون ما توقف أو تمهل ، وحماراً كبيراً يعلف شيئاً من العشب ، وسنوراً كبيراً ، ولكنه هزيل ونحيل ، راح يعرض جسمه لأشعة الشمس ، وهو جالس على حاشية النافذة ، ويرسل من ناظره نظرات خبيثة ماكرة .

كل هذا مما يشمرك بالغموض في حياة المعلم كورنى ويستثير في الناس الفضول ، وحب الاستطلاع ؛ وكل امرئ كان يتكهن ويعمل فكره لإظهار هذا السر واكتشافه ، وكان الشائع بين الجميع أن في هذه المطحنة أكياساً من الدنانير ، أكثر مما فيها من أكياس الطحين .

ولقد كشف كره الغداة وصر العشي ، اللثام عن كل ما خفي من هذا السر ، وما كم كيف كان ذلك : بينما كنت ذات يوم أسلى نفسي بالنفخ في مزماري ، شعرت بأن ابني البكر و « فيفيت » الفتاة قد تمحبا وصارا عشيقين . والحق يقال أنني لم أغضب لهذا الحادث ؛ لأن اسم كورنى كان لا يزال شريفاً ومحترماً عندنا ، ومن ثم هذه « المصفورة ! » الجميلة « فيفيت » كان يلذ لي أن أتصورها وهي تنهادى بطلعتها البهية في داري

وبما أن الفرصة كانت تسنح لماشقينا بالاختلاء أحياناً فقد خشيت أن يحدث بينهما ما لا تحمد مغيبته ، لذا آليت على نفسي أن أنهى الأمر حالاً . فذهبت إلى الطاحون كي أحدث إلى الرجل المعجوز في هذا الأمر

وما كان هذا الظن ليشرفه ، كما لم يكن يشرفه القذف بحفيدته من مزرعة إلى أخرى ؛ معرضة خلال ذلك إلى فظاظة البعض ، وإلى شقاء الطفولة وبؤسها وكان من العار كله على من كانت له شهرة المعلم كورنى وصيته ، والذي ظل حتى ذاك الوقت محترم الجانب موفور الكرامة ؛ أن يقطع الطرقات الطويلة حافي القدمين ممزق القلنسوة والثياب كنورى أصيل وعند ما كنا نراء في أيام الأحاد يحضر القديس في حالته الرثة تلك كان الخجل يساورنا منه نحن الكهول ، ولقد كان المسكين يحس ذلك جيداً ، إذ لم يكن يجرؤ على الجلوس على المقاعد المصنوعة ، بل كان دوماً يظل في أقصى الكنيسة بالقرب من الجرن المقدس مع الفقراء والمساكين

ولقد كان في حياة كورنى أشياء غير مجلوة ، منها أن أحداً لم يعد يرسل إليه بُره ليطحنه ، وبالرغم من ذلك فقد ظلت أجنحة طاحونه تدور أبداً كما كانت قبلاً . وفي المساء كان القرويون يلقونه في الطريق ، وهو يدفع أمامه حماره المحمل بأكياس الطحين الكبيرة ، فيلقون عليه تحية المساء ويسألونه عن طاحونه :

— كيف حال المطحنة ، أما تزال بنخير ؟

فيجيبهم المعجوز بمجد وحزم :

— بنخير دائماً يا أولادى ! حمداً لله وشكراً

على أن العمل لا ينقصنا .

فإذا ما سُئل عن يأتية بقمحه ، زوى ما بين حاجبيه ووضع سبابته بشكل عمودى أمام شفثيه اللتين استدارتا وأجاب بثبات وعزم :

— صه ! ... إني أعمل للتصدير إلى الخارج

ولم يكن في استطاع استدراجه للتصريح بأكثر من هذا .

حتى ولا حبة واحدة ، ولا أثر لغبار الطحين على
الجدران ، ولا على نسيج العنكبوت الكثيف .
وعدا ذلك لم يكن المرء يشعر برائحة البرّ الزكية
الحارة التي تنتشر منه عقب طحنه والتي تنبعث عادة
في كافة المطاحن . وكان محور الرحي مغطى بطبقة
من الغبار الكثيف ، والسنور الكبير الهزيل يرقد
في الأعلى

أما القسم الأسفل فقد كانت تبدو عليه أيضاً
أمارات البؤس والهجر : سرير أكل الدهر عليه
وشرب ، وبضع خرق ومزق ، وكسرة خبز موضوعة
على إحدى درجات السلم ؛ وأخيراً في أحد الأركان
ثلاثة أو أربعة أكياس مثقوبة من جوانبها يتساقط
منها المضم (١) وثنى من قطع الجبس

هذا هو سر كورنى الكتيب ، الذى حرص
على إخفائه ، وكانت هذه الفضلات من جبس الجدران
الخربة هي التي « ينزهها » صباح مساء في أكياس
ضخمة ليصون بها سمعة طاحوته من التلوث وشرفها
من الدنس والعار فيوم الناس بذلك أن رحاه تعمل
وتشتغل .

يا للرحى المسكينة ! يا لسكورنى البائس المسكين
إن أصحاب مطاحن البخار قد نزعوا من نفسك منذ
زمن بعيد آخر أمل لكما في العمل . إن أجنحة رحاه
تدور دائماً ، ولكن الرحي كانت تدور على ... على
نفسها !

ولقد عاد إلى الماشقان والدموع تترقرق في
مآقيهما ، فقصا على ما رأياه ، ولقد شعرت إذ ذاك
أن قلبي يكاد ينفطر أسى ولوعة لمصاب هذا المعجوز
وفي الحال أسرع إلى الجيران فقصصت عليهم

(١) تراب يشبه الجبس

ياله من معجوز ساحر ! ترى بأية صورة استقبلني ؟
إنه من غير الممكن أن يكره على فتح باب طاحوته
لأحد ... ! لقد أخبرته من شق القفل بالدافع الهام
الذى حدا بى لمقابلته والحضور إليه . وبينما أنا أفعل
ذلك وألح عليه بمقابلتي كان السنور الخبيث الهزيل
يموء فوق رأسى كشيطن رجم

ولم يمكّننى المعجوز من إتمام كلامي بل صاح
في وجهي بصورة تخلو من الأدب والدوق ، وأمرني
أن أعود إلى مزماري ، قال إنى إذا كنت عجلان إلى
هذا الحد في تزويج ابني فما على سوى أن أبحث
له عن فتاة من بنات أصحاب مطاحن البخار

ثقوا أن الدم قد فار في عروقي لسامع كلمات
شائنة كهذه ، ولكنى كتمت غيظي وثورة غضبي
ورزقت ساعتئذ عقلاً واسماً وحلماً كثيراً ، وتركت
هذا المعجوز المتوه في طاحوته وعدت أدراجي
لأروى للماشقين الصغيرين خيبة أملى ومسماعى .
أما هذان الحملان الوديعان فلم يصدقاني وطلبنا إلى
بلطف وظرف أن أسمح لهما بالذهاب معاً إلى الطاحون
ليتحدثا إلى الجد المعجوز في هذا الشأن . فلم أقو على
الرفض ولم أجد له سبيلاً

ها إن الماشقين الصغيرين قد ذهبا ، وبينما كان
يسلكان سبيلهما السوى إلى الطاحون كان المعلم
كورنى يفادرها لأمر

لقد وجدا الباب محكم الإغلاق والقفل ، غير
أن المعجوز المسكين عند خروجه نسي السلم خارج
الطاحون . وخطر للماشقين إذ ذاك اغتنام الفرصة
النادرة السنوح بأن يدخلوا من النافذة ويكحلا
عيونهما بالنظر إلى هذه الطاحون الدائمة الصيت
شيء لا ند له ولا مثيل ... ! غرفة الرحي كانت
فارغة ... من كل شيء ، وليس فيها أكياس قمح ،

يا إلهي ! ... إنه قمح حقاً ! قمح جيد ! دعوني
بربكم أمتع ناظري برؤيته جيداً
ثم مال إلينا بوجهه وقال :
— لقد كنت واثقاً من أنكم ستمودون إليّ ،
إن أصحاب مطاحن البخار لصوص بأجهمهم
وأردنا أن نحمله على الذهاب معنا إلى القرية
للاحتفال به ، ولكنه أبي ذلك وقال :

— كلا يا أولادى لا أريد ... يجب على أن
« أطمع » مطحنتي قبل كل شيء ، أذكروا أنه مر
عليها أمد طويل لم تضع خلاله شيئاً تحت « ضرسها »
وأخذت الدموع تترقق في مآقينا جميعاً لمراى
هذا العجوز المسكين الذى كان يميل يمنة ويسرة
وهو يفرغ أكياس الحنطة مما فيها ويراقب الرحي
وهى تدور كل ذلك بينما كان الحب ينسحق ، وغبار
الطحين الناعم يتطاير فيملاً جو المطحنة ويصل إلى
سقفها .

ولعل من الإنصاف لأنفسنا أن أقول : إنه
منذ ذاك اليوم لم ندع الشغل ينقص هذا العجوز أبداً
ثم ... مات المعلم كورنى ذات صباح وأمسكت
أجنحة آخر مطحنة للريح عن الدوران ، ولكن ...
إلى الأبد ... إلى النهاية ... فى هذه المرة . لقد مات
كورنى ولم يخلفه أحد . وماذا تريد يا سيدي ؟
إن لكل شيء نهاية ، وإن كل حال مصيره إلى الزوال
ولا مفر ، ولكن يجب أن تعتقد أن زمن مطاحن
الهواء قد انقضى كما انقضت أيام العربات الكبيرة ،
وأيام المجالس النيابية ، وأيام السترات ذات الأزهار
الكبيرة (١)

عبد الفتى العطرى

(دمشق)

الخبر بإيجاز ، وعزمنا عزمًا أكيداً على إرسال كل
ما فى بيوتنا من حنطة إلى طاحون المعلم كورنى
بأسرع وقت . ولقد عزمنا ونفذنا عزمنا لساعته ،
فقامت القرية بأسرها تسمى إلى رابية المعلم كورنى
وهى تسوق أمامها الحمير المحملة بالحنطة ... الحنطة
الحقيقية !

وهناك كان باب المطحنة مفتوحاً على مصراعيه
وأمام الباب كان كورنى جالساً على كيس جبس ،
وهو ينتحب ويذرف الدمع السخين ، ورأسه بين يديه .
لقد شعر المسكين بأن أحداً دخل مطحنته خلال
غيبته واكتشف سره الحزين . وكان يقول :

— يالى من شقى تاعس ! لم يبق أمامى الآن
سوى أن أموت ، لقد فُضح سرى ، واكتشف
أمرى ، وتلوث شرف مطحنتى

ثم شفق شهقة كادت نفسه تنصدع لهولها ،
وأخذ ينادى طاحونه بأعذب الأسماء وأرقها ويناجيها
كأنها إنسان ينطق

وفى هذه الآونة وصلت الحمير التى كانت تتقدمنا
إليه . وأخذنا جميعاً نصيح به ونناديه بكل ما أوتينا
من قوة حنجرة وارتفاع صوت ، كما كنا نفعل
فى أيام مطاحن الهواء :

— أى صاحب الطاحون ! أى معلم كورنى !
وها هى ذى الأكياس الضخمة تكسد ،
بعضها فوق بعض أمام باب المطحنة ، والقمح
الأصهب الجيد يتناثر على الأرض من كل ناحية
وصوب .

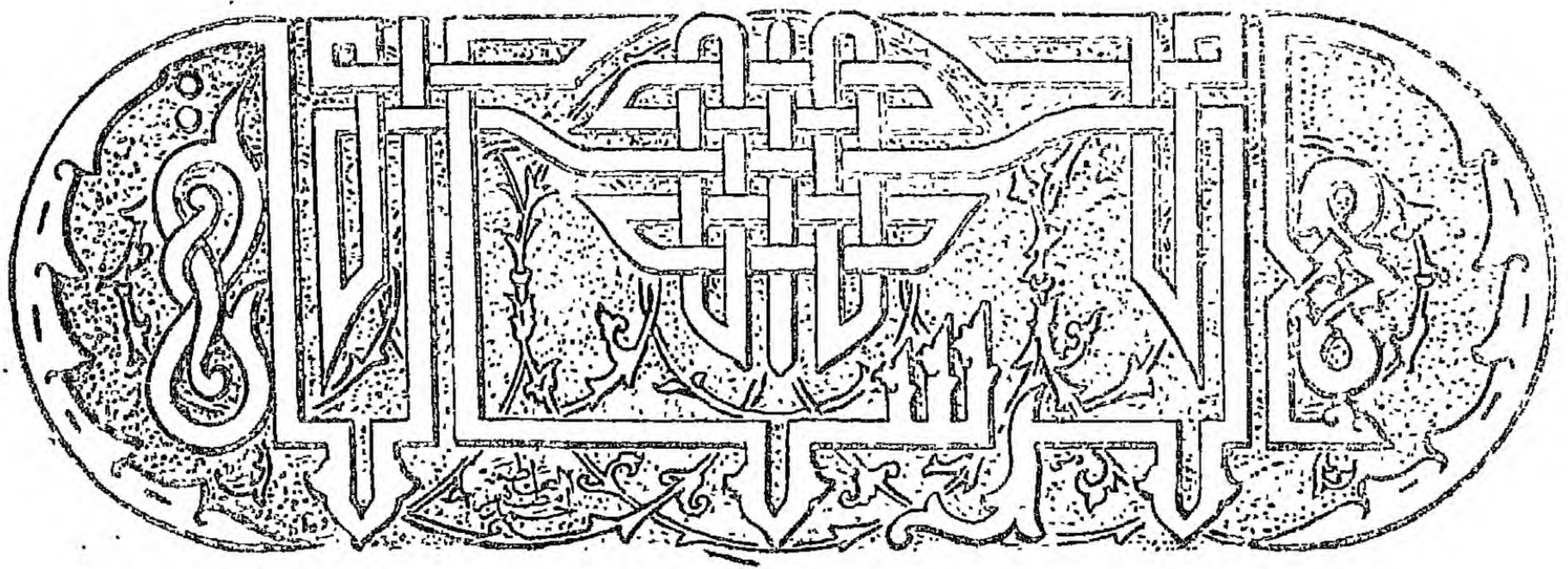
وفتح المعلم كورنى إذ ذاك عينيه الكبيرتين
وتناول فى راحة يده العارية الأشاجع (١) شيئاً
من القمح وقال وقد امتزج ضحكه بدموعه :

(١) أصول الأصابع

(١) Jaquette à grande fleur ضرب من الثياب

كان الرجال يرتدونها فى فراسة فى الزمن الغابر

(طبعت بمطبعة الرسالة إشارع المبرور — عابره)

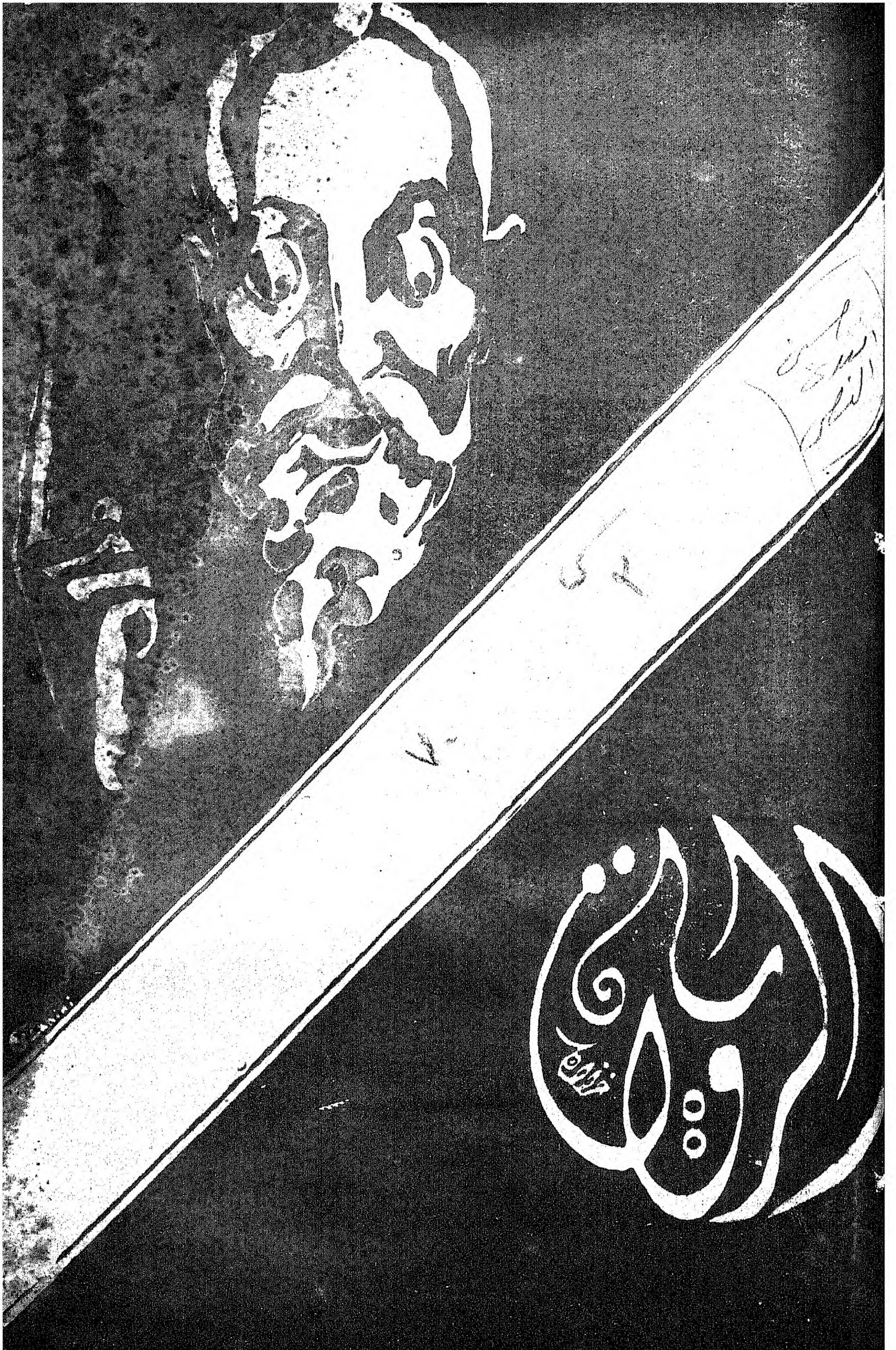


مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْمَغْرِبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِيرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجَلُ مَظَاهِيرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ اسْكَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصُدُ ظَوَاهِرَ الْمُنْطَوْرِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

، وَشَرَاهُ الْإِخْلَاصُ قَرِيبًا ، وَالْحَافِظُ مَا يَسَادِي جَنِينًا مِصْرِيًّا ، وَلِلْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ بِخَصْمٍ ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

مدل الاشتراك عن سنة
ض
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الوزارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

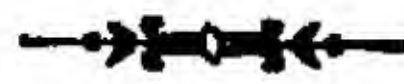
٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٧٠

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة			
١١٣٨	ثورة العاجز ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
١١٥٠	بائعة البنفسج ...	للكاتب الفرنسي هنري بوردو	بقلم الأستاذ صلاح الدين كامل ...
١١٥٣	هفوة ...	للقصصى الروسى تشيكوف ...	بقلم الأستاذ فيصل عبدالله ...
١١٥٦	هكذا الحب ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عزيز منصور ...
١١٦٥	ثلاثة على منضدة ...	عن الانجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١١٦٨	أسند + نمر = ١٩	أقصوصة أمريكية ...	بقلم الأديب محمد عصمة ...
١١٧١	الراقصة ...	أقصوصة مصرية ...	بقلم الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ...
١١٧٤	فهرس السنة الثالثة

ثورة العاجز

[قصة حصلت علي جائزة ٢٠٠ جنيهه]

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

تجتازها مسرعة لا تقف، وقد أشار
سائقها في كلمات مبهمه إلى قطعة
أرض أخرى، واستمر في طريقه
حتى بلغا مزرعة ميزور القديمة التي
تبعد حوالي أربعة أميال من البلدة
على طريق قليلة الاستعمال
وهناك وقف الرجل الغريب
السيارة وأمر مستر فوربس أن

ينزل منها ثم انهال عليه بالضرب العنيف، ثم استقل
المعتدى سيارته منصرفاً تاركاً وراءه الرجل فاقد
الوعي دامياً

وفي ساعة متأخرة من المساء تلقى الدكتور
موتروز، وهو الطبيب الوحيد في البلدة، رسالة
تليفونية من سيدة لم تذكر اسمها، أبلغته فيها أن
حادثاً قد وقع في « مزرعة ميزور » وطلبت منه
أن يذهب في الحال لإسعاف المصاب

وقد ارتاب الطبيب في الخبر ولكنه لم يجرؤ على
إغفال الطلب، فاستقل سيارته إلى مكان الحادث
وهناك دهش إذ رأى صديقه الرجل الطبيب فوربس
ماثي على الأرض أقرب إلى الموت منه إلى الحياة

وأسرع الطبيب في نقل صديقه المصاب إلى
مستشفى قريب إذ لم يكن لينقذ حياته غير أمر
الجراحين، ولما غادر المستشفى بعد حوالي ثلاثة أشهر
كان يحمل إلى يمينه ساعداً تكاد تكون مشلولة.

وفي أسرع وقت ممكن سأل البوليس مستر فوربس
عن معلوماته في هذه الجريمة فأصر على القول بأنه
لا يعرف ضاربه وأنه لم يره قط من قبل، وأنه
لا يعرف سيباً يدعو إلى هذا الاعتداء. ولم يستطع
أن يصف المعتدى إلا وصفاً غامضاً لأن الساعة كانت

« ماذا كنت تعمل لو أنك كنت أبا أو أما
لهذه الفتاة التي وقعت فريسة لوحش أجنبي ؟ »

لو أنك ممن كانوا، قبل اثنتي عشرة سنة،
يقرأون الصحف التي تصدر في بلدتنا الاسكتلاندية،
لما كان لك بد من أن تقرأ قصة « ألك فوربس »،
فقد كان « ألك » رجلاً ذائع الصيت في المنطقة،
وقد اكتنف الغموض قصته التي استرعت أنظار
الناس إليها

ولكنك قرأت أن « ألك فوربس » الذي يملك
في البلدة حانوتاً لبيع الحديد، ويملك في المقاطعة
كثيراً من المقار قد استدرجه رجل مجهول إلى
مزرعة مهجورة معروفة باسم « مزرعة ميزور »
وضربه ضرباً مبرحاً تركه بين الحياة والموت

وتلخص هذه القصة في أن مستر فوربس لم يكد
يغلق باب حانوته في المساء حتى أقبل عليه رجل
لا يعرفه وقال له إنه راغب في ابتياع قطعة أرض
من أملاكه واقعة في طرف البلدة وسأله
أيستطيع أن يرافقه لما ينتها، فأجاب فوربس طلبه
واستقل معه سيارته فانطلقت بهما حتى إذا بلغا قطعة
الأرض المقصودة دهش فوربس إذ رأى السيارة

منتصف الساعة عند ما أغلق حانوته وكان النسق قد هبط فعلاً

والظاهر أن إنساناً ما لم ير « فوربس » في السيارة مع المعتدى عليه ، لأن بلدنا صغيرة ومنتصف الساعة الساعة السابعة هو الوقت الذي تجلس فيه أغلب العائلات عادة على مائدة العشاء الأول . ولم يستطع البوليس أن يهتدى إلى معرفة الجاني لفقدان كل أثر يدل عليه ، ووجد نفسه حيال قضية غامضة

ولو أنك تابعت قراءة الصحف لعلمت أنه لم يمض على شفاء مستر فوربس بضعة أسابيع حتى باع ممتلكاته في المقاطعة كما باع حانوته وسافر هو وزوجه إلى جنوب إنجلترا . وقد تحدثت الصحف كثيراً في أمر رحيله وعلقت في لهجة المطف على ما أصبح في حكم الواقع من أنه لن يسترد صحته كاملة من جراء الضرب العنيف الذي أصيب به

وفي الحق أن الإنسان كان يجد في بعض نواحي هذه التعليقات من حين إلى حين ما يشير إلى الحقيقة المعروفة من أن مستر فوربس كان رجلاً عالي السمعة محترماً في منطقته ، مقدماً في كنيسته ، وكان أمين صندوق جمعية التجار ورئيس نادى الروتارى ، وكان من أكبر أعضاء نادى الصيد ومعضديه ومن أشد التحمسين الرياضيين

وكانت الإشاعات والتكهنات حول ما حدث لمستر فوربس ، وقليل من الناس من ذهب في تكهنه إلى افتراضات خالكة ، ولكن أهل البلدة على الإجمال كانوا في حيرة من الأمر ، وإلى هذا اليوم لا يزال بعضهم يعيد ذكرى هذا الحادث مقرونة بالدهشة ...

وليس في العالم - عدا مستر فوربس نفسه - غير ثلاثة يعلمون حقيقة هذا الحادث ، وأنا واحد من هؤلاء الثلاثة ، وسأروى هنا القسم الذي لم يتمكن به أحد ولم يذكره إنسان قط ولقد ظننت أول الأمر أن شفتي ستبقيان أبداً مطبقتين فلا تنفرجان عن كلمة في هذا الحادث . ولكن حدث من عهد قريب أن قرأت امرأتى قصة حادثة مروعة في ليفربول فأغرتنى بالكلام ، لأن خيراً كبيراً قد يتحقق من رواية قصة « إلك فوربس » على حقيقتها

فأنا أروى هذه القصة لأن كثيراً من أمثالها يحدث في هذه الأيام ، وإني لأعتقد أن كثيرات من البنات يوسمن بوصمة العار طوال حياتهن أو يصببن بجروح فظيمة في نفوسهن لا يستطعن أبداً طمس آثارها ...

لهذا سأروى الحادث الفظيع الذي نكبت به أسرتنا ، وسأقص كيف كان لسلامة عقل امرأتى الكاملة وحكمتها الفضل في أن تستطيع فتاة صغيرة استئناف الذهاب إلى مدرستها غير متعرضة للنظرات المتطفلة ولا للأسئلة والتعليقات المخرجة ، بل وقد استطاعت فيما بعد أن تزوج وتذهب إلى زوجها ، وليس في عينيها ما ينم عن العار . ومع ذلك فقد عوقب المجرم الفاسق أقسى العقاب على جريمته

نشأت أنا وامرأتى « فلورنس بيكر » في هذه الناحية التي استقرت فيها حياتنا فيما بعد ، وبدأنا معيشتنا الزوجية في مزرعة أبي على مسافة ثلاثة أميال من المدينة على التقريب . ويشق المزرعة نهير عرف بما يصطاد فيه من سمك اللوت . ومزرعتى - التي آلت إلى بعد موت أبي - واقعة على رأس

جميع أمسيات أيام الصيف سابحتين غاطستين لاعتبتين
في الماء ما تشاءان أو مستلقيتين على الشاطئ غافيتين
أو مراقبتين سمك اللوت

وفي الصيف الذي وقع فيه الحادث الذي أرويه
هنا كانت امراأتى قد أصيبت في ركبتها ولم تكن
تستطيع السير إلا متوكأة على عكازين . لذلك لم تكن
تستطيع أن تصحب جينى إلى البركة فكانت جينى
تذهب وحيدة ، وكانت ترى كل يوم على التقريب
وهى تسير بعد الظهر متجهة إلى الحوض حاملة رداء
السباحة الأحمر القصير على ساعدها

وكانت تلعب ملابسها على الشاطئ بجوار الحوض
وتلبس ثوب السباحة وتغطى جدائلها بطاقيّة من
المطاط ثم تقفز إلى الماء

وفي مساء يوم من الأيام الأخيرة في شهر أغسطس
كنت جالسا في الحديقة الخلفية عندما وقفت سيارة
خارج باب هذه الحديقة ، فلما نظرت رأيت سائقها
هو مستر « الك فوربس » بائع الحديد ، ولم تكن
علاقتي به تتجاوز علاقة البائع بالمشتري العادى ،
ولكننا تكلمنا فترة في المحصول وفي شؤون البلاد
على وجه العموم كما يتحدث الرجال عادة . ثم سألتنى
ألدى مانع من أن أسمح له بالصيد في منطقة
النهر الواقعة في أرضى داخل السور . فدهشت
قليلا لأنه كان معروفا للناس جميعا أننى لا أسمح
لأحد بالصيد في هذه المنطقة . فقلت فى أدب :

— إنى لأسف يا مستر فوربس لأن هذه المنطقة
هى الوحيدة التى نصطاد فيها ، وجميع أفراد الأسرة
يحبون الصيد ، لذلك أحفظ بها لنا خاصة

فقال الرجل فى لهجة المؤمن على كلامى المقتنع
بجوابى :

النهر بما يشبه الغور . وعلى الرغم من أن الناس
كان يصطادون على مقربة من أرضنا فإنه كان من
النادر أن يصل أحدهم إلى المزرعة ، إذ علموا أننى
لم أكّد أبيح الصيد فيها . كذلك كان القسم الذى
يجرى من النهر فى مزرعتنا قصيرا جدا

وكان قد مضى علينا فى حياتنا الزوجية خمس
سنوات اعتقدنا فى نهايتها أن العناية الإلهية قد
حرمتنا نعمة الأولاد عندما رزقنا بابنتنا الأولى

وكادت امراأتى تموت عند الوضع ، وقال لها
الطبيب إنه يجب ألا ترزق بأطفال أبدا . لهذا كان
شعورنا نحو جين أو جينى كما سميت فيما بعد شعورا
غريبا على نوع ما

وإنى لأظن وإن كنت أباهما الذى يتحيز لابنته
أنها كانت حقا طفلة بديعة . وعلى الرغم من أنها
كانت طفلة قوية البنية فإنها لم تمل قط إلى السمن
بل كانت دائما رشيقة الجسم رقيقة ، مستطيلة الوجه
قليلًا زرقاء العينين ضاحكتها . ولما كانت طفلة كان
شعرها شديد الميل إلى البياض ، وتحول لونه تدريجيا
حتى إذا بلغت الحادية عشرة كان قد أصبح أصفر
قائما يتدلى فى حلقات على كتفها

ولعله غير خليك بى أن أبعد عن موضوعى
لأسترسل فى هذا الوصف الذى لا علاقة له بالقصة
الأصلية . على أن جينى كانت فتاة مملوءة حياة ولطفًا
فكانت شمس حياتى وحياة أمها

وكانت امراأتى فلورنس سباحة ماهرة ولم تكن
ابنتها غير طفلة عند ما علمتها السباحة . وبعد فترة
من الزمن بنيت لها حوضًا للسباحة على النهر بعيدا
قليلا عن الطريق العام تحميه فروع الشجر الكثيفة
فكانت عادتاهما التى لا يحيدان عنها أن يقضيا هناك

— فهمت . . . على أنني كنت ماراً من هنا
وظننت أن لا ضرر في السؤال

ورأيت عينيه تحدقان في الحقل فلما تبعت
نظراته رأيت جيني تحمل لباس سباحتها عارية الرأس
وضاءة في الشمس تسير متخطرة تقصد إلى حمامها
اليومي . فسألني الرجل :

— أهذه ابنتك الصغيرة ؟

فأجبتة :

— نعم هذه هي جيني ، فهي تذهب للسباحة
هناك ، وهذا سبب آخر من الأسباب التي تحملني
على عدم السماح للصيادين بالذهاب إلى هذه المنطقة .
وامرأتي وجيني تحبان السباحة ولا يمكنهما أن
يذهبا ويعودا في حرية مطلقة إذا كان الصيادون
يفشون المكان ويمكرون عليهما صفوها
فقال :

— لا شك في أنك على حق ، والآن فلأذهب
فقد كان خطر لي أنني أستطيع أن أصطاد في هذه
المنطقة لعل أظفر بشيء من السمك

وأسرع الرجل إلى سيارته فاستقلها ومضى ،
ولم يلبث أن غاب عن نظري وراء منعطف الطريق .
وفي تلك الليلة رويت ما حدث ونحن جالسون على
مائدة العشاء فنظرت إلى جيني في دهشة وقالت في
لهجة ساخطة :

— ولكني واثقة يا أبي من أنه كان يصطاد ،
لأنني عندما عدت إلى البيت عدت من الطريق العام
وكانت سيارته واقفة على مقربة من النهر ، ولكني
لم أراه في أي مكان

وكان من الطبيعي أن يضايقني ما سمعت بعض
الشيء لذلك صممت على أنني في أول مرة أذهب إلى

البلد أقصد إلى حانوت مستر فوربس لأفهمه أنني
أعد عمله تحايلاً غير لائق

ولست أذكر بأي شيء كنت مشغلاً في اليوم
التالي ولعلني كنت أتسكع من مكان إلى مكان غير
قادر على عمل أي شيء لأن اليوم كان شديد الحرارة .
فلما عدت إلى البيت في منتصف الساعة الخامسة
لأشرب قليلاً من ماء الشعير البارد الذي كانت فلورنس
تعدّه غالباً في الأيام الحارة . وكانت فلورنس جالسة
في الشرفة مسندة ساقها الممصوبة إلى كرسي صغير
واضعة عكازها إلى جانبها مشغلة بنوع من الحياكة
فجلست على السلم وشربت قليلاً من الشعير وبدأنا
نتحدث

وبعد برهة سألتني في أية ساعة نحن فلما نظرت
إلى ساعتى وجدتها قد بلغت الخامسة فأجفقت امرأتي
وقالت :

— الساعة الخامسة يا الله . . . ترى ما الذي
أخر جيني عن العودة حتى الساعة ، فقد ذهبت إلى
البركة منذ الساعة الثانية
فقلت في بساطة :

— لعلها منهمكة في جمع بعض الأزهار البرية
ولم يدع على أحدنا شيء من القلق أو الاضطراب
فقد كنا نعلم أن فتاتنا تحب الخلاء وأنها تستطيع
دائماً أن تجد وسيلة لتسليه نفسها

وتحدثنا فترة أخرى قصيرة ثم إذا امرأتى تصيح
جافلة مرتاعة :

— ما هذا؟ ها هي ذى جيني فانظر إليها وما من
شك في أنها قد أصيبت بأذى ما . آه يا ماك ماذا
أصابها ؟

فوثبت واقفاً على قدمي ونظرت إلى حيث كانت

امراتي تنظر، وهناك رأيت ابنتي الصغيرة تجر نفسها في بطاء وسط المرعى . ولم أستطع أن أتبين الحقيقة ، ولكنني حتى مع بعد المسافة قد توكدت أن ضراً قد أصابها ، فجريت صوبها . وقبل أن أصل إليها بمسافة بعيدة تبين لي أنها عارية عن جميع ملابسها . وقد سقطت عدة مرات قبل أن أدنو منها، ولا أظن أنها حتى قد رأته فقد كان رأسها مائلاً على صدرها ولست أدري ما الذي تخيلته وأما أجرى في المرعى الذي بدا لي على حين فجأة أنه قد اتسع أميالاً عديدة ، وكل ما أذكره أنني عند ما ضممتها بين ساعدي سمعتها تلفظ بعبارات متقطعة ثم عن القهر والأسى ووجدت جسمها دامياً يحمل آثار العنف ولم يظهر أنها قد شعرت بوجودي قبل أن أحملها وعندئذ قالت في صوت خافت : « آه يا أبي ! » ثم فقدت شعورها فقداناً تاماً

واتكأت امرأتى على عكازها وأقبلت علينا . وكادت هي أيضاً تفقد صوابها ويغمى عليها عند ما وقع نظرها على الطفلة المنكوبة ، ولكنها تماسكت في الحال ودرجت وراءنا بأسرع ما تستطيع وأنا حامل الفتاة بين ساعدي عائد بها إلى البيت . واشتركنا في غسل جسم جيني الصغير ثم استعنت بالمعاقير على إفاقها . وخلال هذا الوقت كانت أعيننا الهالمة تنبئنا عن حقيقة ما حدث . فقد وقعت ابنتنا العزيزة التي لا تكاد تتجاوز سن الطفولة فريسة بين يدي وحش آدمي

ولست أدري ماذا قلنا ولكنني أذكر أن وجهينا كانا متجهمين ونحن نعالج ابنتنا المسكينة . وأعلم أن شهوة القتل قد تملك قلبى ، ولن أنسى ذلك المعنى الذى تجلى في عينيها عند ما عاد إليها صوابها .

فقد نظرت إلينا نظرة فيها من أمارات الرعب ما يعجز اللسان عن وصفه . فاللهم لا تحكم على بأن أرى هذه النظرة في عين أى مخلوق بعد الآن . لقد كانت نظرة هول ويأس قاتل . ثم وقع نظرها على وجه أمها فاندفعت في البكاء .

وحاولت أن تنهض من فراشها وتضر بنا بيديها الصغيرتين وهي تصيح مرعدة هذه الكلمات :
— بالله لا تفعل ... أرجوك ألا تفعل ...
آه يا أبي أين أنت ؟

فشرعنا نلاطفها في كلمات رقيقة حتى استطعنا أن نهدي من روعها ، ولكنها لم تلبث أن هبت جالسة في سريرها وعادت الصياح والبكاء . ولم نسألها عن شيء ولم نحاول أن نستخلص منها شيئاً . فقد كانت الفكرة الغالبة علينا هي أن نحملها على النوم ، لعلها بعد أن تستيقظ يكون أثر الرعب قد زال من عينيها . حتى إذا توكدنا آخر الأمر أنها قد استقرت في النوم تسللنا من الغرفة في هدوء وقلت لامراتي متجهماً :

— والآن سأذهب لأخطر البوليس وأدعو الطبيب .

فوضعت فلورنس يدها على ساعدي وقالت :
— انتظر

فنظرت إليها مندهشاً من تفكيرها في الانتظار حتى ولو لحظة واحدة . ولكنها مضت تقول :
— انتظر يا « ماك » إذ يجب أن نبحث هذا الأمر بيننا

فقلت في خشونة :

— ليس هناك ما نبحثه أو نتحدث فيه . فأبلغ البوليس والجيران ثم نبحث في كل مكان حتى نجد

المجرم الأثيم فإذا ما وضعت يدي عليه قتلته
فقلت فلورنس مرة أخرى في صوت خافت
حتى لا توظف جيني :

— انتظريا « ماك » ! وقل لي ألا ترى أنك
لا تستطيع أن تفعل ذلك ؟ فكر فيما يصيب جيني
من جراء ما تريد أن تفعل . فهي لن تستطيع تحمل
عواقبه ، وأول واجب علينا أن نفكر في مستقبلها
فصحت وقد تلمصت من قبضتها :

— أتريدن أن أترك هذه الجريمة تمر دون أن
يعاقب المجرم ؟

فصاحت وقد تمثلت عواطفها الثائرة في صيحتها:
— أنا لا أبالي بالعقاب ، ولا أبالي بأى شيء
غير جيني . إنك لن تفعل ذلك فتؤذيها به . فهي
لن تنسى هذا الحادث الفظيع إذا عرف الناس به ،
فسيشير إليها كل إنسان باعتبارها ضحية اعتداء شرير ،
وستنشر الصحف كلها الخبر ، وسيلازمها العار
طوال حياتها ... ألا فلتصدقني يا « ماك » ، فإني
أعرف ما أقول ! فقد كنت أذهب إلى المدرسة في
وقت من الأوقات مع فتاة أصيبت بمثل هذا الحادث .
وثق يا « ماك » أن تلك الفتاة قد عاشت عيشة
فظيمة مروعة أعواماً عديدة بعد وقوع الحادث !
لا يا « ماك » إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك . فمن
أجل جيني يجب أن نعالج هذا الأمر في هدوء وريث
فصحت صيحة عنيفة ناسياً طفلي النائمة :

— وأنا أقول إن هذا الأمر لن يمر في هدوء !
فإني لن أستطيع أن أنام بعد الآن وهذا الوحش
مطلق السراح يتنقل من مكان إلى مكان

فصاحت امرأتى غاضبة :

— ومن ذايهمه إن كنت تنام أو لا تنام ؟

ومن ذايهمه ما تفكر فيه أو تفعله أو تقوله ؟ ومن ذا
يهمه أمر هذا الوحش الذي اعتدى على ابنتك إن كان
يجوم حول هذا المكان أو ذاك ؟ إنى أطلب منك
ذلك من أجل ابنتي ... إنى لن أسمح بتدمير حياتها
لأنه لا ينبغي أن تروى قصة عارها للعالم ، فتصبح
وكل إنسان يتهامس عليها وينظر إليها نظرة التطفل
وقفت أنا وامرأتى شاحبي اللون تأثرين بتحدى
أحدنا الآخر للمرة الوحيدة في حياتنا الزوجية . ثم
أعادت لنا هدوءنا أنه خارجة من غرفة النوم . فقد
كانت جيني تبكي وتحدث نفسها في نومها . وأظن
أن الكلمات القليلة التي سمعتها منها إذ ذاك قد حملتني
على أن أتبين لأول مرة أن فيما تقوله امرأتى شيئاً
من الصواب

وكانت جيني تقول وهي نائمة في أنين موجع :
— أبى ... أبى ... لا تترك أحداً يؤذي
وبينا أنا جالس أربت على يدها الصغيرة تبين لي
مبلغ الأذى الذي يلزمها طوال حياتها إذا عرف
الناس قصتها ، وظهرت لي فظاعة ذلك لو حدث .
فلن يهم الناس أنها كانت فريسة بريئة . فالأمر هو
ما قالت فلورنس ، ستلازمها القصة طوال حياتها
وسيتهامس الناس عليها ، ويتفكمون بحديثها .
وقد يؤدي عملي إلى سحق حياتها إلى الأبد ، ويحتمل
ألا يقبل أى رجل الزواج منها ، إذا نشرت الصحف
قصتها ، وهو ما لا بد من حدوثه إذا عرفت القصة
وتحدث بها الناس

ولما تسللنا أنا وفلورنس من الغرفة مرة ثانية
طوقها بساعدي وقلت في تلفظ :

— إنك على حق فأنا لا أستطيع أن أسبب
لجيني مثل هذا الأمر

وكاد يغمى على فلورنس من فرط ارتياحها، فلما حملتها إلى غرفة نومنا راعني ما رأيت من شحوب لونها وأمارات المرض التي بدت عليها وإذا كنا قد عددنا تلك الليلة فظيمة فقد كان الأسبوع الذي تلاها أفظع منها ألف مرة . فقد بقيت جيئى فاقدة الرشيد مرتفعة الحرارة فترة من ذلك الأسبوع . وفي إحدى الليالي رجوت فلورنس في أن تسمح لي بدعوة الدكتور موتروز ، مصرأ على القول بأن الأطباء لا يفشون أسرار مرضاهم ، فثارت غلى ثورة اللبوة تدافع عن أشبالها ، وقالت : — قد لا يفشى بعض الأطباء أسرار مرضاهم ولكن هل تضمن لحظة واحدة أن الدكتور موتروز يمكن أن يحتفظ بهذا السر لنفسه ؟ إنه سيجرى إلى بيته فيخبر به امرأته ، ومن المحتمل أن تنشره في هذا الخبر في كل مكان . فأرجو يا « ماك » ألا تدعوه وانتظر حتى صباح الغد ، فإذا لم تتحسن حالة جيئى فسأطلب منك دعوة أحد الأطباء .

وكانت امرأتى تقول هذا الكلام في لهجة الرجاء وقد بدا عليها أثر التعب والألم . وفي صباح اليوم التالى بدأ التحسن في صحة جيئى ، واطرد التحسن يوماً بعد يوم ، ولكنها لازمت فراشها شهراً كاملاً قبل أن نستطيع حتى حملها لنجلسها على كرسى في الشرفة ونسندها بالوسائد وكنا في الوقت نفسه نجيب الجيران والأصدقاء ، القليلين الذين زارونا في تلك الفترة التي كنا نعيش فيها في شبه عزلة ، بأن جيئى قد أصيبت بالتهاب في الغدد ، وأن الإصابة كانت شديدة لذلك طال الوقت قبل تماثلها للشفاء .

ولم نكن في أثناء هذه الفترة قد سألنا الطفلة

عما حدث لها ولكننا استطعنا أن نفهم مما كانت تهذى بها في نومها وفي أثناء النوبات التي كانت تصيبها أن ما تصورنا أنه أصابها كان هو الحقيقة الكاملة . والظاهر أنها كانت قد انتهت من حمامها وبدأت ترتدى ملابسها عندما هاجمها المجرم واقترسها وقد قضيت أنا وامرأتى ساعات طويلة مرعبة تتلظى بنار الألم من جراء هذا الحادث الذي بقى حياً في أحلام ابنتنا . ولكننا لم نستطع في أثناء ذلك الوقت كله أن نقف على أى أثر يدل على الفاعل ولم نستطع كذلك أن نقرر إذا كان واحداً ممن تعرفهم الفتاة . . ولم نكن نتركها وحدها عند ما تكون مستيقظة بل كنا نلزمها على الدوام ، حتى إذا أصبحت قادرة على الإصغاء شرعنا نقرأ لها قطعاً من الأدب والشر الذي كانت تحبه ، وكنا نتحدث معها في أمور طفيفة لا تشغل بالها ، وهكذا كنا نشغل فكرها بنوع ما من التفكير طوال ساعات يقظتها .

واستردت الفتاة حالها الطبيعية تدريجاً وبدأت تستيقظ هادئة وقد زال أثر الرعب من نظراتها ، وعند ما رنت ضحكها اللطيفة ذات يوم عند سماعها قطعة فكاهية كنت أقرأها ، دعوت فلورنس لتجلس معها وخرجت مسرعاً من الغرفة لأجفف دموعي .

ثم خرجت جيئى ممي بعد ظهر أحد الأيام لنجتمع البيض من المحزن ، وكان ذلك بعد الحادث بشهرين على التقريب ، وقد شعرت بشيء من السعادة عند ما رأيت لون الحياة يعود تدريجاً إلى وجنتى ابنتى النحيلتين .

ولما اقتربنا من بيت الدجاج مررنا بمجرعة جديدة للدريس كنت قد اشتريتها في أثناء مرض جيئى .

فصاحت الفتاة بصوت مبتهج :

— ها قد اشتريت مجرفة جديدة ! الحق أنها لطيفة فمن أين اشتريتها ؟

فقلت في غير اكتراث :

— من فوربس

فلم تكذ تسمع جوابي حتى ضغطت يدها يدي متشنجة، فلما نظرت إليها في قلق مفاجئ أزعمني أن أرى وجهها وقد علاه شحوب الموت ، وقد ترنحت حتى ليخيل إلى أنها ستسقط على الأرض ، فركعت في الحال على ركبتى بجوارها وطوقتها بساعدي وقلت في ترفق ولطف :

— ماذا أصابك يا بنيتي ؟ أتستطيعين أن تخبري أباك ما هنالك ؟

فالت لحظة مستندة إلى كتفي ثم رفعت رأسها ونظرت إلى، واطمأنتت عند ما رأيت عينيها تستردان حيويتهما ... وقد قالت في هدوء :

— نعم أريد أن أقول لك يا أبي ، فلقد كان هو مستر فوربس

واضطربت قليلاً عند ما ذكرت اسم الرجل ، وأطبقت عينيها في شدة كما لو كانت تريد أن تتقى رؤية حلم مخيف

ولما كان الأمر غريباً كما يبدو فإنني لم أستطع أن أفكر فيما عساها قصدت بقولها . فلم يكن مما يصدق العقل أن يرتكب « ألك فوربس » مثل هذه الجريمة الوحشية ... نعم كان ذلك مستحيلاً في نظري . فسألتها في هدوء :

— أو أنت واثقة يا جيني ؟

فأجبت وهي لا تزال منمضنة عينيها :

— نعم يا أبي

فسألها في لطف :

— أتجيبين أن تخبريني بما حدث ؟ خبريني مرة واحدة يا جيني وأنا أعدك ألا نتحدث عنها بعد ذلك أبداً

ونظرت إلى نظرة أجرت الدمع من عيني وقالت :
— لقد كنت أسبح ثم خلت لباس السباحة ووضعت في الشمس ليجف وجلست محتضنة ركبتى أنظر إلى السمك ... وفي هذه اللحظة حضر الرجل وكان يحجب وجهه بقناع أسود فلم أعرفه وكان صوتها ثابتاً ولكنني استطعت أن أحكم من الحال المحزنة التي ضغطت بها يدي على مبلغ ما كانت تكلفها هذه الكلمات من العذاب ومضت تقول :

— وبعد لحظة انزاح القناع عن وجهه ، وكان قد بدأ يبتعد عني ، فعرفته ولكنني لا أظن أنه عرف أنني رأيت ... ولقد صحت أناديك يا أبي ولكنه ضربني فجهدت في تملك شعوري وفي الاحتفاظ بصوتي ثابتاً غير مرتجف وقلت :

— حسن يا بنيتي . وكفى فما أريد أن تحدثيني بشيء بعد ذلك

ولقد أردت أن أصبح وأثور لأنفس على صورة ما عن الشمور المكتوم في نفسي ... ثم وجهت الحديث وجهة أخرى فقلت :

— هل علمت أن بروكي قد اشترى مجلاً صغيراً ؟ ألا فلنذهب إليه ونتفق على تسميته

وفي تلك الليلة انتظرت حتى نامت جيني وأخبرت فلورنس بما علمت

فقال امرأتى مندهشة :

— فوربس .. ما أظنك تقصد ألك فوربس ؟

فقلت في هدوء :

هذا هو الذى قالته جيبنى، وإنى لأعلم أنها قالت الحقيقة

ثم قصصت على امرأتى جميع ما سمعت من الفتاة فبكت الأم المحزونة على ابنها

وجلست أنا وامراتى نتصور ما يمكن أن يكون قد حدث . فاعتقدنا أن فوربس قد وقف في اليوم الذى تحدث إلى فيه ورآها وهى ذاهبة إلى بركة السباحة ، ثم تسلل بين الغصون وراقبها ؛ ولعله فكر في الاعتداء عليها في تلك الليلة نفسها . ثم جاء في اليوم التالى عن عمد وسبق إصرار ، وإلا فلماذا أحضر معه القناع الأسود ؟ وعند ما جلست جيبنى هناك على الشاطئ محتضنة ركبتيها في براءة وطهر ناظرة إلى سمك اللوت في البركة ، افترسها ذلك الافتراس الوحشى

وطال حديثى أنا وزوجتى في تلك الليلة مجتهدين أن نقرر ما يجب علينا عمله ، فقد كنا متفقين على أنه لا بد من عمل شيء ما . إذ يجب ألا يترك فوربس طليقاً إذ من المحتمل أن يمتدى على فتيات أخريات بريئات . كذلك يجب أن يغادر هذه النواحي كلها . فقد علمنا أن جيبنى لن تعود إلى حالتها الطبيعية مادام هذا الرجل يحوم في أرجاء المقاطعة . ومع ذلك لم يخطر لنا يبال أن نخبر إنساناً ما بما حدث ، بل كنا متفقين على أن ما يعمل يجب أن يعمل بطريقة خاصة وبأسلوب لا يحمل أحداً على أن يدرك أن لنا علاقة به . وذلك حرصاً على مصلحة جيبنى فاقترحت أن أحمل البندقية وأذهب إليه في بيته فأقتله كما يقتل الكلب فإنه هو لم يكن غير كلب حقير ولكن فلورنس هزت رأسها وقالت في صراحة :

— وإذن تصبح قاتلاً ، فلا تكون خيراً منه .

ولن يكون أب جيبنى قاتلاً

وهكذا اتفقنا آخر الأمر على معاقبته بالضرب . ولقد كنت أكبره في السن بعدة سنوات ، ولعللى لم أكن في مثل قوته الجسمية ، ولكن لم يخطر لنا قط أن هذا قد يكون داعياً إلى فشلى فيما اعتزمت وألحت فلورنس على فى أمر واحد إذ قالت :

— احمله على الاعتراف يا ماك قبل أن تنتهيا من المعركة ، فأنا واثقة من أن جيبنى تعرف ما تقول ولكن يجب أن نعرف نحن

ولقد كان تصرفى بالفعل خيراً حتى مما اتفقنا عليه ، فلقد كان الغسق قد هبط عند ما وصلت إلى حانوت فوربس فى مساء أحد الأيام ، وكان هو يفتق الحانوت ولم يكن فى الطرقات إنسان .

ففتحت باب سيارتى وقلت له :

— أليك بضع دقائق تصحبنى فيها إلى أرض كروكر ، فإنى أفكر فى ابتياع قطعة أرض هنا فى البلدة وأريد أن أعين تلك الأرض

ولا أظن أنه تردد مطلقاً ، وما من شك فى أنه كان واثقاً من زمن طويل بأن جيبنى لم تعرفه يوم اعتدى عليها ، فقد ذهبنا إلى حانوته عدة مرات بعد ذلك الحادث

فأجابنى مرحباً :

— نعم بلا شك ، فإنه ليسرنى أن أصحبك إلى هناك ، وهل تفكر فى نقل مسكنك إلى البلدة ؟

فاجتهدت فى ضبط عواطفى وجاوبته جواباً طبيعياً ومضيئاً بالسيارة ، وفى أثناء اتجاها إلى أرض كروكر تظاهرت على حين فجأة بأننى أفكر فى أرض « ميزور » فسألته أوافق على الذهاب إليها

أولاً وبعد ذلك نستطيع أن نقارن بين القطعتين فيما يتصل بمساحتهما . فوافق على رأي موافقة تامة ، ولقد استطعت أن أحبس عواطفى حتى أننا كنا نتحدث حديثاً عادياً . على أننى لم ألبث أن تبينت أننى لا أكاد أفهم ما يقول ، ولم أعد أعرف ما يقول فقد كان رأسى نائراً وكنت أسرع بالسيارة أكثر مما قصدت

وإنى لأظن الآن أنه قبل أن نصل إلى أرض « ميزور » بمسافة طويلة قد أدرك أن هناك شيئاً غير عادى لأنه هو أيضاً قد لزم الصمت . وعند ما وقفنا آخر الأمر أمام الأرض لاحظت أنه تلمس الباب قليلاً قبل أن يستطيع فتحه ، فدرت حول العربية وجئت إليه ، وإذا لم يكن قد أدرك شيئاً من قبل فقد أدرك الآن مما كان بادياً على وجهى ، فإنه وإن يكن الظلام قد بدأ يهبط سريعاً فقد رأيت أن لون وجهه قد استحال إلى لون وجوه الأموات ، وقد تراجع داخل السيارة واجفاً قبل أن يغادرها . وقال فى لهجة مضطربة :

— ماذا تريد ؟

فقلت وقد دهشت لما بدا من ثبات كلماتى فى حين كان قلبى يدق دقاً عنيفاً وكان رأسى كأنه يلهب ناراً :

— لا أريد إلا أن تعلم أننى أعرف من هو الكاب القدر الذى اعتدى على ابنتى الصغيرة ، لذلك سأضربك شر ضرب أصيب به إنسان من قبل . وإنى لأقصد أن أتركك عاجزاً عن الاعتداء على أية فتاة أخرى ، وأن أحملك على مغادرة هذا القسم من البلاد

فصاح قائلاً إننى مجنون ، وحمل على حملة وحشية ،

فاستولى على فرح جنونى إذ لم تعد بى من حاجة لأن أنتظر ثانية واحدة ، وإن لم يبق هناك ما يمكن أن يصدنى عنه ، فإنى أستطيع أن أضربه وألكمه وأثب عليه وأن أنفس عن النبض الذى ملأ نفسى ولقد تفوقت عليه منذ اللحظة الأولى وإن يكن قاتل بحماسة الذى يدافع دفاع المجنون . ولكنه كان آخر الأمر يدافع عن حياته ، ولكنى كنت أدافع عن جينى وعن كل فتاة مثلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها . وبعد لحظة سقط على الأرض رافعاً يده يحمى بها رأسه وهو يعوى كبعض الحيوان ، فقلت :

— أريد أن تقول إن ما قلته لك هو الحقيقة ؟ ولعله ظن أنه إذا قرر الحقيقة فسأتركه فقد بدأ يتكلم فى لهجة متقطعة مضطربة تتزاحم كلماته وهو يحاول إخراجها من بين شفقيه فقال :

— نعم هذه هى الحقيقة ! ولست أدري لماذا فعلت ما فعلت ، لقد كنت فى غير صوابى . فأتركنى وشأنى يا مستر ماك ، وسأغادر المنطقة ، وأبتعد عنها فى الحال . فأرجو أن تتركنى فسألته :

— أتذكر كيف توسلت إليك ابنتى الصغيرة طالبة الرحمة

ثم أنهلت عليه من جديد بالضرب القاسى ، وأخيراً توقفت عن الضرب ، وقد رقد الرجل كتلة جامدة وقد التوت إحدى ساعديه فى عنف تحت جسمه ، وكان الدم يسيل منه . ووقفت لحظة مترنحاً أتتففس فى صموبة ، ثم انحنت فوقه وتوكدت أن قلبه لا يزال ينبض

وكانت إحدى عيني قد ورمت وانطبق الجفنان انطباقاً تاماً ، وقد أصيب وجهى وشفتاى بجروح

وفي وقت قصير ، بدأت الفتاة تنعم بمهاماتها كما كانت من قبل ، ولكن فلورنس أخبرتني أنها لم تكن تخلع ملابسها على الشاطئ كما كانت تفعل قبل الحادث ، فقد كانت تتسلل داخل الأغصان ، وتغير ملابسها بأسرع ما تستطيع .

وبقيت مدة طويلة لا تدخل الحانوت الذي كان فوربس يملكه في الماضي ، بل كانت تنتظر في السيارة إذا أرادت منه شيئاً ، وكان الذي يتولى أمر ذلك الحانوت فتى أنيساً أحمر الشعر محباً للأطفال ، وكان إذا حضرت خرج إليها وتحدث معها ، وبعد فترة من الزمن أنست الدخول إلى الحانوت واللعب مع الفتى مريحة مبهجة ، بل وكانت تبقى هناك أحياناً بينما كنت أنا وأمها نذهب إلى مكان آخر . وهذا الفتى نفسه الذي كنا نسميه « ساندى » قد أصبح فيما بعد زوجها !

ولاحظنا أن هناك بعض الذكريات التي لم تستطع جينى أن تنساها مدى أعوام طويلة ، ولكننا لم نكن لنشير إليها ولو بطريق غير مباشرة ، وبدأ على الفتاة أنها تعيش مبهجة سعيدة .

وكما قلت من قبل قد ترك فوربس البلدة عندما استطاع أن يتحرك ويسافر ، يحمل ساعداً مشلولاً عن كل حركة ، وقد تحطمت صحته حتى أن الدكتور موتروز قال لي مرة إنه يخشى ألا يعود فوربس أبداً رجلاً سليم الجسم قادراً على العمل . ومضى الطبيب يقول :

— أتدرى يا ماك أننى أظن أن هناك شيئاً أكثر مما رواه لي فوربس فيما يتصل بالحادث الذي وقع له . فإني أشك في أنه يعرف سبب ذلك الحادث فقد حدث في أحد الأيام بينما كان في المستشفى وكانت

أخذ الدم يسيل منها . فعدت إلى البيت بأسرع ما استطعت وهناك وجدت فلورنس في انتظارى ، فلما رأته صاحت :

— حمداً لله إذ عدت سالماً

ولما دخلت جينى غرفتي في صباح اليوم التالي اصفر وجهها لما شهدت من حالى ، فأجلستها فلورنس على السرير بجوارى وروت لها ما حدث ، فبدأ على وجهها الجمود والثبات .

وقد قالت لها أمها في لطف :

— لم يكن بد من أن يفعل أبوك ذلك يا جينى لا لأن الرجل يجب أن يعاقب فقط ، ولكن لكي تفهمي أيضاً أنه وحشى وأنه لا يجب حتى أن يعيش في هذا العالم حيث يعيش الرجال الأطهار المحترمون أمثال أليك . فإذا أنت ذكرت هذا الحادث فاذكري أن ليس في الوجود كثيرون من أمثال مستر فوربس وأن الرجال الذين يستعزفونهم والذين قد يتزوج أحدهم منك آخر الأمر هم من الأطهار مثل أليك

وذهبت جينى إلى المدرسة نصف السنة الباقى وكانت سعيدة بين صاحباتها السعادة كلها .

وجهدنا في أن ننسها ما حدث ، وأن نعيدنا إلى حالتها الطبيعية ، ولم يكن الحادث قد انتهى بحال من الأحوال ... ففي السنة التالية كانت فلورنس تذهب وحدها إلى البركة كل يوم مدى ثلاثة أسابيع بينما كانت جينى تلازم البيت ، وقد بدأ على وجهها جمود غريب ... وكانت فلورنس كلما عادت بعد الاستحمام وصفت منظر البركة في صورة بديعة ... وأخيراً عندما كانت تقاها للذهاب في أحد الأيام كماداتها قالت جينى في استحياء :

— أظن أنه يحسن أن أذهب معك اليوم .

ثم مضت تقول :

— أليس غريباً أنني استطعت أن أنسى هذا الأمر نسياناً تاماً على هذه الصورة؟ وأظن أن السبب في ذلك هو أن إنساناً ما غيرنا لم يسمع بالخبر . فليس هناك ما أخشاه من أى إنسان أجنبي ، وأنت وأمي لم نتحدثا به قط . وهل تدري أنني إذا قرأت الآن في الصحف عن أمر كهذا وجدت أن الأمر جد فظيع ، وأنتي لم أكن لأحتمل الحياة لو أن الناس عرفوا بما حدث

فقلت في صوت أجش :

— يمكنك أن تشكري لأملك فضلها في الطريق التي عولج بها الأمر كله ، فلو أن الأمر ترك لي لما وفقت في علاجه بمثل هذه الحكمة . وأظن أنك أنت وأنا مدينان لها بكل ما يمكن أن نتمتع به من سعادة
عبد الحميد حمدي

حالته سيئة أن أخذ يصبح : « لا تضربني ! فانا لا أدري لماذا فعلت ذلك . وإنني لن أمسها مرة أخرى » ، والحق أنني لأود أن أعرف ماذا فعل . وفي الليلة التي سبقت زواج جيني خرجت معها في رياضة على الأقدام ثم جلسنا على كتلة من الخشب نتبادل الحديث . فقالت على حين فجأة :

— أظن يا أبي أنه يحسن بي أن أخبر ساندی بقصة مستر فوربس ؟

فسألها :

— ألم تخبريه ؟

فقالت :

— لا ... وقد يصعب عليك أن تصدق ذلك يا أبي ولكنني لم أفكر في الأمر عند ما خطبني . وبقيت فترة طويلة لا أفكر في ذلك . ولكنني فكرت فيه أخيراً وظننت ...

وهنا تقطع حديثها وبكت فأحيت رأسي وبكيت أنا أيضاً . فهل يمكنك أيها القاري أن تتصور شعوري عند ما أخبرتني أنها لم تفكر من قبل في الأمر زماناً طويلاً ؟

وقد قلت لها في حذر :

— أظن أنه من الخير ألا تخبريه . فسيحزنه الأمر ويجرحه إلى حد بعيد ، ولن يزيدك ذلك سعادة . وما أستطيع أبداً أن أرى أية فائدة في قول أشياء لا تؤدي إلا إلى جرح بعض الناس

فتنهدت الفتاة تنهداً طويلاً . وصاحت :

— آه ... إنني لمسرورة إذ ترى هذا الرأي . فإني لم أرغب في أن أخبره ، ولكنني ظننت أنني قد أكون عندئذ جبانة

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف هوثو الألماني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونمناها ١٥ قرشا

بائعة البنفسج

للطبيب الفرنسي هنري بوردو

بقلم الأستاذ صلاح الدين كامل

هناك عقبة تعترض تنفيذ تلك الرغبة الشريفة . كان علينا أن نفتح معاطفنا وسترنا ، وهى حركة مضجرة ثقيلة على النفس . ولقد كان الخياطون فيما مضى يساعدون على الإحسان بأن يعملوا للمعاطف جيوباً صغيرة من الخارج توضع فيها العملة القليلة القيمة من الفضة والبرنز ، فكان يسهل على الإنسان

إخراج هذه النقود دون مشقة . أما الآن فبكل أسف لم يعد هذا الجيب الصغير يتفق مع « المودة » فحذف ؛ وليست رغبة الإحسان قوية في النفوس بحيث تدفع الإنسان لكي يفك أزرار ملابسه باحثاً عن كيس نقوده فيفتحه وبعد ذلك يقفله ويعيده إلى مكانه ثم يزرر ملابسه ثانية .

— بخمسين سنتياً فقط باقة البنفسج الجميلة لم تكن تلك الفتاة المسكينة لتفهم أن المسألة ليست مسألة نقود وإنما يحتاج الأمر إلى حركة أو سلسلة حركات مقلقة ، فاستمرت في عرضها مخفضة الثمن :

— بعشرين سنتياً ! ... بعشرة سنتيات ! ولقد كان المنظر الذى رأيته بعد ذلك مما أدهشنى أنا أعرف بيير لجنيير من زمن وأعرف فيه منتهى الكسل . فهو فيما عدا عمله وهو جالس إلى مكتبه لا يطبق شيئاً يكفاه أقل مشقة أو عناء . ولذا كان عجيباً حقاً أن يقف على الطوار فيخلع قفازه ويفك أزرار معطفه وسترته ثم يخرج كيس نقوده فيأخذ منه جنيهاً يضعه في يد تلك البائعة الصغيرة ! قالت الفتاة فى مسكنة : « ولكن ليس مى لأعطيك الباقي يا سيدى ! »

— الجو صحو اليوم . هيا بنا نعود سيراً على الأقدام ، فى ذلك نوع من الرياضة وقلما نقوم الآن بشيء منها

اقترح ذلك صديق الرواى الكبير بيير لجنيير ثم نادى سائق سيارته فأمره بالانصراف . وقد كان هذا عقب تناول العشاء فى أحد المطاعم حيث اجتمع فريق من الأدباء المعروفين يتندرون بذكر العقبات التى صادفتهم فى خطواتهم الأولى

ولدى خروجنا من المطعم أنا وصديق بيير ، وكنا قد تأخرنا عن زملائنا ، اعترضتنا فتاة صغيرة تباع البنفسج ، مقدمة لنا باقاتها الناضرة ، ملحة أشد الإلحاح فى أن نشترى من بضاعتها ... كانت فتاة هزيلة شاحبة محمرة الأنف والعينين ، ترتدى ملابس خفيفة لا تكفى لحمايتها من البرد . ولقد ذكرت حين رؤيتها قول فرنسوا كوبيه فى إحدى قصائده الرائعة ، يصف هذا الفريق من الفتيات التمسعات : « أولئك اللاتى يمتن من الشتاء وهن يقدمن الربيع للناس ! »

وقد استثارت تلك الفتاة شفقتنا . أحسنا بميل شديد إلى التصديق عليها ، وخاصة فى وقت قد امتلأت فيه بطوننا بعد عشاء فاخر . إلا أنه كانت

— لا أريد منك باقياً

فنظرت إليه مشدوهة ثم قالت بعد أن بلمت ريقها :

— وهل تريد السلة كلها يا سيدي ؟

— كلا ، كلا ، باقة واحدة

— اختر يا سيدي الباقة التي تروقك

وما بعدنا بضع خطوات حتى تذكرت الفتاة أن الدهش قد أذهلها فلم تشكر لمن أحسن إليها ، فلحقت بنا وألقت بقية البنفسج تحت أقدامنا وهي تهمهم : « شكرآ يا سيدي ، شكرآ يا سيدي ، سأذهب الآن لتناول الطعام ! » ثم أطلقت لساقها الريح . لقد فرغت من عملها اليوم وفرغت منه على أحسن حال

والتفت إلى صديق بيير يفسر لي سر تلك النزوة ، فقال :

— لا تدهش لهذا السخاء ، إنه دين كان على أن أؤديه

— دين ؟ !

— نعم . فيما مضى ، كان لبائعة زهور صغيرة مثل هذه تماماً الفضل كل الفضل في إنقاذى من فتور الهمة واليأس . ألا يساوى ذلك أكثر من عشرين فرنكا ؟ لقد تذكرت ذلك منذ لحظة ونحن في المطعم نتحدث عما صادفنا في خطواتنا الأولى من عقبات . وكان من حظ هذه الفتاة أن انتفعت من وراء تلك الذكرى

وبطبيعة الحال سألتها الإيضاح فلم يتأخر ، قال :

— كان ذلك منذ سنوات لست أذكر عددها بالضبط . كنت قد انتهيت من كتابة أول مؤلفاتى .

لا تسأل عن اسم هذا الكتاب فإنه لحسن الحظ

لم يظهر قط ، ولو أنى كنت أعتقد في حينها أنه كتاب نموذجي ! وقد اعتنيت بكتابة نسخة منه بنفسى بخط واضح ، إذ في ذلك الوقت طبعاً لم يكن عندى من النقود ما يسمح باستئجار نسخ . نسيت أن أقول لك إن أسرتى كانت قد نحات عني لسخطها على اشتغالى بصناعة الأدب ، وإن الجميع كانوا يأملون أن أعود صاعراً حين ترغمنى الحاجة . ولقد صرفت خلال العمل في إتمام كتابي هذا كل ما كان مدخراً لدى تقريباً ؛ ولكنى كنت مطمئناً إلى أن تلك الصحائف التي تعبت في تحريرها سوف تفتح أمامى أبواب الشهرة والثروة على مصراعها ! حملت الكتاب ونفسى مفعمة بالثقة إلى أكبر ناشر كان معروفاً في ذلك الوقت . . . إلا أنه - وبلاخية المرة - رده إلى بعد قليل مع سيل من الانتقادات القاسية . في تلك اللحظة تمنيت لو أتيح لى أن أخنق هذا الناشر خنقاً ، إذ لم أفهم في حينها قيمة ما أبداه من ثاقب الآراء كما لم أقدر عطفه وتشجيعه الذى دفعه لقراءة روايتى قراءة سريعة وإعطائى درساً في التأليف القصصى ! . . . سألتى بصوته الخشن : « كم عمرك ؟ » أجبت : « ثلاث وعشرون سنة » فملق على ذلك بقوله : « إن الإنسان لا يكتب روايات قيّمة قبل سنّ الثلاثين . وعند بلوغك هذه السن سوف تكتب شيئاً يقرأ » وقد استمر في حديثه موجهاً إلى كثير من النصائح الثمينة التى اكتسبها من تجاربه ، بينما كنت يلى وبين نفسى أسخط عليه وألغته . . . لقد كنت آخذ كلامه على اعتباره هجواً لا نصحاً ! إن الإنسان في سن الثالثة والعشرين يعتبر ابن الثلاثين رجلاً عجوزاً أو نصف عجوز ، يتصور أنه في مثل هذه

السنّ المتقدمة سوف يكون شهيراً قد ذاع اسمه بما أخرج من كتب رائجة ! وبطبيعة الحال سحبت روايتي وقدمتها إلى ناشر آخر . ولقد أبقاها هذا الناشر عنده ستة أشهر ثم ردها معتذراً في كلمات رقيقة : « أنت شخص ذو مواهب ، مواهب من الطبقة الأولى ، ولكن هناك أسباباً خاصة تمنع طبع روايتك في الوقت الحاضر . ونخشى أن يطول انتظارك قبل أن تسمح الظروف بطبعها » قلت أحدث نفسي : « هاهم أولاء أناس ذوو أدب ورقة وذوق فني ، أي خسارة أن تقف الظروف دون قيامهم بطبع كتابي ؟ » وعند ما عدت إلى غرفتي أقلب أوراق مؤلفي الثمين ، تبين لي بجلاء أن هؤلاء القوم الظرفاء المقدرين لمواهي لم يفتحوا الكتاب ! وقصدت إلى دار نشر ثالثة أقل مرتبة من الدارين الأوليين ، فكان نصيبي الفشل أيضاً . وبعد ذلك بدأت الطواف بالناشرين واحداً بعد واحد ! وفي خلال ذلك الوقت كنت أعطى دروساً في قواعد اللغة والتاريخ حتى أقوم بأود حياتي ، ولو أنني كنت محتفظاً للآداب بكل قلبي باذلاً في سبيلها جلّ وقتي وجهدي . ولقد صادفت فشلاً إثر فشل ، ولكني تحملت ذلك بصبر وجلد .. إلى أن كانت آخر مرة إذ صدمت صدمة مخجلة مررية بعثت إلى نفسي الكلال واليأس ! كنت قد ذهبت بكتابي إلى أحد ناشري الدرجة الثالثة فصرّح لي بعد تصفحه بأنه يرفض إخراجه حتى ولو تكفلت أنا بمصاريف الطبع ، وقد خرجت من هذه الزيارة وكنت أعتبرها ملاذى الأخير مطمئناً في كبريائي وثقتي بنفسى ، وهو ما لا غنى عنه لأديب يريد أن ينتج ويخاق . أحسست بنفسى خائر المهمة أفكر في الهرب من الميدان والآنزواء في أحد

بلاد الريف حيث أشتغل في عمل عادي يضمن لي العيش في هدوء ، وبينما أنا أسير في الطريق على غير هدى ، قادتنى قدمائى إلى هذا المكان أمام المطعم الذى تمسينا فيه الليلة ، وإذا بيائعة بنفسج صغيرة مثل تلك الفتاة التى صادفناها الآن تضع تحت أنفى باقة من باقاتها ، فأنهرها رافضاً الشراء . إلا أنى بحركة آلية لا أدري علتها قد تتبعتها بنظري ، فإذا بها تعرض بضاعتها على آخر ثم آخر دون جدوى ، وإذا بي أجد تسليّة في مراقبتها ! كم مرة يجب أن تعرض بنفسجها في سبيل عشرة السنتيمات التى سوف تحصل عليها ؟ ! تتقدم لهذا ثم لذلك ولا أحد يقف أو يسمع لها ... الكل يسرون مسرعين ، إذ الكل ذاهبون لتناول العشاء ... بينا هى قد تكون جائعة أحوج ما تكون إلى الطعام ، ومع ذلك فهى مثابرة على عرض زهورها دون ماملل أو كلال وفوق هذا فلكيلاً تنفّر منها المشتري ، تجدها تبسم محاولة أن تكسب وجهها المكتئب الحزين تعبير رقة ودعة ، وانتهيت إلى أنى أخذت أعد المرات التى يقابل عرضها فيها بالرفض ، أتعرف إلى أى عدد وصلت ؟

— ثلاثين أم أربعين !

— كلا ، بل مائتين وخمسين ! وعند ما أقول مائتين وخمسين فإنى أعنى أن الواحد والخمسين بعد المائتين كان إيائى ، إذ عدت إلى الفتاة فأخذت منها باقة وأعطيها خمسين سنتياً ، وثق بأن هذا المبلغ كان أكثر بالنسبة لى وقتئذ من الجنيه الذى دفعته الآن . كان مبلغاً جسيماً ، ولكنها كانت تستحقه . لقد محت ما كان قد خيم على نفسى من اليأس ، وغنها تلقيت درساً في المثابرة كان له في حياتى أثر بعيد

صومع الدبى لامل

هفوة

للطبيب الروسي الكبير أنطون تشيكوف
بقلم الأستاذ فيصل عبد الله

من المرات ... لكم هي فتاة إذ يتوج
الشاح الأبيض قممها ، وتحيط بسفوحها
أشجار الصنوبر التي تحاول أن تنافس
الجبال طولاً وامتداداً في الفضاء ...
كما أن الأحجار البراقة المصقولة والحصى
الناعمة الدقيقة مبعثرة على سفوحها ...
منشورة حوالها ... آه ... لكم أود

لو أشبع رغبة نفسي التي تلجّ بي دائماً إلى تذكر
تلك المشاهد الشعرية الغاتنة ، والتفكير فيها
فيقول لها زوجها : وهؤلاء القتر ... إنك
لم تحدثيني عنهم شيئاً ... إن لهم في حياتهم لفضائح
وفظائع مزرقات ، أجل ، فلقد قرأت هكذا عنهم
في الصحف عند غيابك ... فهلا يا (ناتالي) شهدت
منها شيئاً ؟ ...

فيشحب وجهها ... وتعلو سحابة نفور
واشمئزاز ... ثم تهز كتفها في سخرية وهي تقول :
— إنهم ليسوا إلا تترأ بسطاء ، ليس فيهم مما
يجلب البصر ويسترعى الاهتمام ، أجل ، إنني أعرف
عنهم هذا ، وإن لم أدن منهم يوماً ... إنك لتعلم أيها
العزيز أنني لم أنس كرهى بعد هؤلاء التتر والشركس
واليونان .

لقد لوح لي بعض هؤلاء من الأدلاء ، ولكنني
لم أعر تلويحهم لي بعض التفات ، ولم أحفل بهم .
— ولكن المشاع أن كلا منهم زير نساء ،
أو (دون جوان) .

— قد يكون هذا ... إنما لا تنس يا عزيزي
أن هنالك من لا أخلاق لمن . وكأنما كرت بها
الذكرى إلى أمر مخز أو حادث مزر ... فشحب
(٣)

كانت « ناتالي » الشابة الحسنة تحدث زوجها
بحماس بعيد عودتها من (يالطة) عما شاهدته من
المباهج والطرف في زيارتها شبه جزيرة القرم ،
وما يتناولان الغداء سوية ... وكان زوجها ينصت
لما ترويه مغتبطاً مسروراً ، إلا أنه كان يقطع صمته
بين حين وآخر ، سائلاً زوجه سؤالاً سخيلاً عن
« دنيا التتر » وعن المعيشة فيها ، وما يقال عن غلاء
أسبابها ، فكانت تجيبه أن هذا القول لا يخلو من
الغلو والخيال أحياناً ، إذ أنها وزميلتها (يوليا بتروفنا)
كانتا تشغلان غرفتين مترقتين مريحتين لقاء بضعة
روبلات قد تبلغ العشرين في اليوم ، إلا أن كل هذا
يثوقف على تصرف الإنسان في قضاء رغباته ، فمثلاً
إن اصطحاب الإنسان جواداً ودليلاً عند صعوده
الجبال ، لما يكلف من المال الكثير ، وعلى
ذكر الجبال تسرف « ناتالي » في وصفها وإطراء
مفاتها ، ثم تحاول أن تصوّر لزوجها تلك الروعة
التي تملك لب الإنسان وهو يسرح الطرف في تلك
الجبال ...

— لكم هي شاهدة خلافة ... تصوّر أيها
العزيز جيلاً شاهقات تكاد أن تنطح السماء
إنها لأعلى كثيراً من أبراج الكنائس بآلاف

وجهما بغتة وصمت فجأة، ثم عادت بعد صمت تقول :
 — فاسيشكا، إن العالم لا يخلو ممن فقدن الحياء
 والكرامة، ووطن الشرف بأقدام الطيش والرعونة
 يا لله، ما أشنع فضائحهم وأزرى مخازيهم... إنما
 العجب أيها العزيز أنهم سيدات يُنسبن إلى أرقى
 الطبقات وأرفع الأسر، سيدات تعرفن المجتمعات
 خير معرفة، وفيهن لآلى تضيء، وكواكب
 تبرق وتتوهج... يا له من أمر فظيع ! لم أكن
 لأتصوره من قبل... خذ يا عزيزي مثلاً لمن،
 تصور سيدة تتناسى من هي ومن تكون، وتتعالى
 عن شرفها وكرامتها... آه يا فاسيشكا، لكم
 أرغب عن التحدث عن أمثال هذه الفطائع، ولكن
 مع هذا... تصور يا عزيزي سيدة رفيعة الحسب،
 سامية المنزلة، كزيميلتي في سفرتي « يوليا بتروفنا »
 إن لها — كما تعلم — لبملاً كريماً يمتن الطب
 وطفلين جميلين، سيدة تعرفها المجتمعات الراقية والمحافل
 الرفيعة، وتعلم أنها ظالماً أبدت نفسها كقديسة
 طاهرة... فإذا بها فجأة... ماذا؟... أي يمكن
 أن يصدق هذا؟ آه. يا عزيزي... إن ما أخبرك به
 لهو سر غير قيم بك أن تذيبه أو تبوح به لأحد.
 أنقسم لي على هذا؟...

— طبعاً... طبعاً... ولكن ما الذي جرى؟
 — إنني لا أملك في هذا غير الثقة بك، ثم
 طرحت شوكتها جانباً من الصحف، وقالت هامسة :
 « لقد كان يوماً مشرقاً دافئاً، امتطت فيه
 « يوليا بتروفنا » ودليل لها جواداً يقصدان الجبال،
 أما أنا فقد كنت على مقربة منهما فإذا بها فجأة،
 تضع يدها على صدرها، ويبدو عليها الإغماء
 والإعياء... إنه أمر فظيع، لقد أحاط دليلها
 خصرها بذراعيه، ولولا ذلك لصرعت أرضاً،
 فأسرعت إليها ودليلي وسألها في جزع وفزع

شديدين عما حل بها... فقالت...
 — أكاد أخفق... إنني أحتضر... فمرضت
 عليها العودة من حيث جئنا، فأبت ذلك محتجة
 بعدم قدرتها على العودة وبمجزها عن السير، وبأنها
 قد تفقد الحياة إن خطت خطوة واحدة... ثم رجتنا
 وألحت علينا — أنا ودليلي سليمان — أن نمود
 إلى المدينة لنحضر لها ما اعتادت تناوله من الأدوية»
 فقاطعهما زوجها :

— مهلاً... إنك لنهرفين... لقد قلت منذ
 لحظات إنك لم تريهم إلا عن بعد، ولكنك
 الآن تذكرين أحدهم، ذلك الذي تدعيه سليمان...
 دليلك...

— ألا تترك سوء ظنك جانباً؟ إنك لا تعلم
 سيباً للوم... إنني لا أطيق هذا... إنه أمر فظيع
 لا يصدر إلا عن أحمق غيور

— لست بسوء الظن بك فأبحث عما يمهّد لي
 لومك وعذلك، ولكنك تكذبنني فيما تقولين،
 فإذا كنت قد اصطحبت أحد هؤلاء التريوما في
 ارتيادك الجبال، فلم تنكرين هذا أولاً ثم تعترفين به
 أخيراً؟

— حقاً إنه لأمر فظيع... أو تغار من سليمان؟
 أم حسبت أنه من المستطاع أن أرتاد الجبال دون
 ما دليل يدلني على أقوم السبل وأبهج المسالك...
 لكم أود لو أراك تقصد الجبال وحدك دون ما دليل
 أو قائد، إذا كنت يا عزيزي تجهل أموراً فلا ترجم
 بالغيث فتتحدث عنها كأن عندك الخبر اليقين...
 إن الإنسان هناك... ليس بإمكانه أن يجول قليلاً
 أو طويلاً... دون ما دليل يشير إليه بالمسالك السهلة
 المأمونة...

— يبدو لي ذلك !

— أرجو ألا تفرط في سخريتك وتهكمك .
احتفظ بهما لنفسك ... إنني لست (يوليا) ... إنني
وإن لم أسايرها في مسلكها وأخذ حذوها من قبل
فأزعم أنني قديسة طاهرة الذيل ... مصونة ... فلن
أجاريها أخيراً ولم أجارها من قبل ... إذ أنسى
أو أتناسى نفسي وكرامتي ... إنني لم أسمح قط
لسليمان أن يتعدى ما وضعت له ورسمت ... لقد كان
« محمد قول » يجالس (يوليا) في غرفتها النهار كله .
أما أنا فقد كنت أصرخ بسليمان إذا ما أزفت الساعة
الحادية عشر مساء :

— هيه سليمان ... هيا أيها الأحق اعزب
عن وجهي سريعاً ... فكان يذهب مطيعاً ما أقول .
وإذا ما تذر من قلة الأجر - مثلاً - كنت أصرخ
به أن يسكت فيسكت ، ثم ينظر إلى بعينه السوداوين
ومحياء التترى الوسيم الوديع مستعطفاً ذليلاً ... لقد
كان بسيطاً ساذجاً ... ياله من تترى ظريف !

فيتتم زوجها قائلاً : أستطيع أن أتصور هذا !
— ما هذا يا فاشيسكا ... إنها لفظاعة منك .
إنني أفهم ما يدور بخلدك ويطوف بذهنك ، إنما أنت
مخطئ في ظنونك ... إنني أؤكد لك أنني لم أسمح له
 يوماً بأن يجتاز حدوده الموضوعة ، فمثلاً إذا ما قصدنا
الجبال ذات يوم أو إذا ما عن لنا أن نمتع النفس
برؤية شلال (أوشالنسو) كنت أصرخ به :

— سليمان ، هيا ... هيا امتطى جوادي خلني
أسمع أنت ما أقول ... فكان المسكين يجيبني إلى
ذلك بخفة ورشاقة ... لقد كنت أقول له حتى
في أقرب المواقف التي كانت تمر بنا إلى ما نقرأ في
القصص والروايات : لا تنس يا سليمان أنك لست
إلا تريباً بسيطاً أما أنا فزوج مشير ... ها . ها .
وضحكت ساخرة ، ثم قالت : إنني لا أعرف
خيراً من المزاح البسيط يقتل الملل الذي يتخلل الحياة

الزوجية ، أما أن يفهم المرء ذلك على أنه أمر جدي
فذلك ما لا أفهمه وإنها لفظاعة ... ولنعد ليوليا ،
لقد استبدت بها الغيرة يوماً وسبتها ... آه لكم
هو أمر مخز ذلك الذي أقدمت عليه . أقول لقد
سبتها الغيرة يوماً كانت فيه غائبة عن البيت ، فجاء
دليلها (محمد قول) فدعوته إلى غرفتي لكي ينتظر
(يوليا) فيها حتى تحبىء ، فتحدثنا في أمور شتى
وتناولنا من الحديث ما يلذ ويطيب ، وإنهم كما
لا أظنك تجهله لقوم ظرفاء ، فأنساني ظرفه أشباح
المساء المدبرة ، حتى عادت (يوليا) فرأت دليلها
عندي في غرفتي فلما الغيظ وشاع فيها الحقد
الذميم فأنهالت علينا - أنا ودليلها محمد قول -
بالسباب المقنع والشم الفظيع ... وأى شتم هو ..
ثم تبادت في غيها وغيظها فاستعانت بالسك والصنع
تهال بها علينا حتى شفت غليلها وابتدت من حى
غيرتها أو كادت .. إنه لأمر فظيع أيمكن أن تتصور
هذا يا فاشيسكا ؟

أما فاشيسكا فقد قطب جبينه وشمل محياه
العبوس ... ثم أخذ يقطع الغرفة جيئة ورواحاً
يفكر ويفكر ... ثم قال وقد اتضحت على ثغره
بسمة سخرية واحتقار :

— ياله من سفرة سعيدة وأيام ناعمة هنيئة
قضيتها هناك ...

— إنه لأمر فظيع ... إنها لحماقة منك
لا تغتفر .. إنني لأدرك ما تذهب إليه .. فما كنت
 يوماً بخالٍ من هواجسك وظنونك ، إن أفكارك
السخيفة الآثمة لم تزل بعد تستبد بلبك وتعلأ
ذهنك ...

كلا ... لست بمحدثتك عن شيء بعد اليوم
(بغداد)
فيصل عبد الله

هكذا الحب ! ...

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عزيز منصور

أن تكونى سعيدة !

أعان مارى (بوب) على الصمود
إلى السيارة ، ووقفنا لحظة نرقب السيارة
— حتى ابتلعها منعطفات الطريق —
بأعين حالة ! ...

— هيا بنا يا عزيزتى ! نطق بيت
بهذه الكلمات بهدوء ، ولكن الانفعال
الكامن فيها لم يخف على ... نفس الانفعال الذى
طنى على مشاعرى !

أقبلنا على سيارة بيت القديعة ، ذات المقعدين ؛
ولما استوينا داخلها نظر إلى بيت — وهو يسوق —
محاولاً أن يضحك قائلاً :

— أنا حزين جداً ، إذ لا أجد لى أباً غنياً
يمضدنى بماله !

فأجبتة بقلة اكتراث :

— آه ... إن هذا ليس من الإنصاف والعدالة.
إن قلبى ليزوب غماً حين أتطلع إلى «مارى وبوب» ،
فأرى النعيم محتويهما ، ثم أنظر إلينا فأجدنى وإياك
فى فقر مدقع ! ... هما تزوجا ، أما نحن ؟ ... ربما
مرت شهور ، بل سنوات قبل أن تقدر حتى على
التفكير فى الزواج ، وإذا ، فإننا لى أقصى درجات
القنوط فى حبنا هذا !

كان بيت يتما ولو كان قادراً على مجرد الحصول
على نفقات الجامعة لدخلها ! ثم إننى لم أكن قادرة
على مساعدته ، فإن ما أرسله لى « داد » يكاد بالجهد
الجهيد يبنى بحاجاتى الضرورية ، ولذلك لم يكن لى
تحقيق أمله من سبيل ، وكان خير ما نتعمل به هو

انصرم فصل الصيف بطوله المل ، وتبعه فصل
الخريف ، ولما نزل نحن الأربعة : « مارى وبوب »
ثم « بيت وأنا » دائبين على الخروج سوية . أما اليوم
وقد مضى على تعطيل (الجامعة) يومان ، فإننى وبيت
واقفان عند مسجل المقود ، نشرف على الاحتفال
الذى به سيصبح « بوب ومارى » زوجين . وإننا
لنشعر بأن قلبينا على وشك الانفجار ، لأن الحظ
لم يجعلنا مثلهما :

من فوق شعر مارى الفاجم تلاقت نظرتى بمعنى
بيت لحظة ، ثم تحولت واستقرت على وجه مسجل
المقود ، ذى الوجه المجوز الذى مشى عليه يد
السنين بتجمعات وخطوط عميقة .

— لقد أصبحنا زوجين !

هذا ما افترت عنه شفتنا مسجل المقود
المضطربتان ، وعقب ذلك هدوء دام لحظة ، ثم
التفت ذراع (بوب) حول خصر (مارى) وأطبقت
على شفتيها القرمزيتين شفتاه ... وانتهى كل شئ !
خرجنا إلى الشارع ... إلى حيث سيارة بوب
الفارحة فى الانتظار ، وعلى الرغم مما كان يخالجنى
من الإحساسات ، فقد ملت إلى مارى وضممتها إلى
صدري قائلة : وداعاً (مسز كولنس) ... إحرسى

ابتهالنا أن تتمخض لنا الأيام عن معجزة حاملة
السعادة في طياتها !

في الليلة التالية كان أروع لقاء عرفنا. فهناك
على بعد ميلين من المدينة بمحاذاة النهر وقف بيتر
سيارته الصغيرة على حافة الماء ، وجلسنا ننظر إلى
الأفق البعيد !

كانت ليلة ساكنة تجلت الروعة فيها بأبهى
المعاني ! فقد كانت أسلاك القمر اللجينية المنسكبة
تتخلل الأشجار الملتفة ؛ أما النسيم فكان عليلًا ،
معمًا في مداعبة تلك الأغصان المجردة عن أوراقها !
قال بيتر : أتذكرين ليلة تلاقينا للمرة الأولى
يا كارول ؟ ... فحوظته بيدي وأجبت :

— نعم يا بوب لازالت ذكراها عالقة بفكرى .
لقد كانت أروع ليلة في حياتي ! ... نعم لقد كان
الوقت ربيعًا وكنت أخاصر « تيد هولواي » في
رقصة « اعذرني » في إحدى الحفلات حين أتيت
وأخذتني منه ... ثم لم يعد مجرى حياتي كما كان قبلاً !
صاح بيتر وقد ضمني إلى صدره :

— كارول ... أيتها الغالية ... هكذا أحبك ،
وانهال على شعري لثماً وتقبيلاً ! وهو يقول :
عزيزتي ، عزيزتي ! يجب أن نبقى هكذا ، أليس كذلك ؟
— نعم يا بيتر فإنك منيتي الفريدة ... وأنت
حاجتي الماسة ! ... وازدادت يدها ضغطاً على جسمي
وشفتاه شدة في لثمي ...

— كارول ! ما أطول هذه السنة ، أنواصل
تدمير زهرة شباننا ، ترين متى نذوق السعادة ! ؟
لم أجب فماد يقول : كارول لا تنفسي ، أتجيبيني ؟
— نعم يا بيتر ... أحبك أكثر من أي شيء
آخر ... !

— إذن تعالى معي يا كارول ليلة الغد ... تعالى
لنرحل إلى مكان سحيق ولن نعدم مكاناً صغيراً ياؤينا ،
وإني لمقسم لك أنك سوف لا تنفدين قط !
فأجبتته كمن فقد صوابه :
— آه يا بيتر ... دعني أفكر ... أمهلني قليلاً ...
آه ... نعم يا بيتر أنا أعدك ، سأذهب معك ؟

أيقظني أول خيط من النور نفذ إلى غرفتي
في صباح اليوم التالي ، فلبثت جالسة أسترجع ما مر
بي من حوادث اليوم السابق ...
ما شعور فتاة تفكر في يوم عرسها القريب !؟
حرارة واللهب ممزوجان ببعض الخوف ، واهتزاز
في كل عضو من أعضاء الجسم ؛ وهذا نفس
ما حل بي ولو أنني كنت معتقدة بأن حفلة زواجنا
لن تقام !

لقد وضعت اليوم حياتي ومستقبلي في قبضة
بيتر ، وكنت إذا خطر ذلك على بالي اشتدت ضربات
قلبي ، وتلاحق تنفسي ، مع أن قلبي لم تكن فيه
ذرة واحدة من الخوف من جانب بيتر

كان حبي لبيتر جارفاً ، وكان يبادلني نفس
الحب فلماذا لا تكون مراسيم زواجنا رائعة كجنا ؟ !
هذا ما ظلت أفكر فيه

نهضت من فراشي وقصدت النافذة ، وما ألقيت
على السماء نظرة حتى أحسست بقشعريرة تسري في
بدني ! لقد كان اللون الرمادي لون السماء في ذلك
اليوم ، وكانت الغيوم الشبيهة بالثلج متكدسة على
أبعاد مختلفة في الجو ، أما الشمس ، فلم يكن يبدو
من أشعتها أثر !

انثنيت لارتداء ملابسي ، فأخذت أتقي الملابس

وهي تبعد عنا قرابة مائة وخمسين ميلاً ، وإننى
لأتنبأ بأنك ستتعلمين بها متى رأيتها !
امتطينا السيارة الصغيرة ، وأخذت الأميال
تنطوى وذهبت أفكارى تسبح فى أودية الخيال وتدور
حول ما أنا مقدمة عليه من مغامرة مجهولة المواقب ،
فكنت أقبض تارة لمحاقتى وأبسم أخرى معللة نفسى
بأن لا حياة بلا مغامرات !

كان الإعياء قد ذهب بشهيتنا فواصلنا السير
دون توقف ، وحين جاوزت الساعة الثانية بعد الظهر
أثر فنا على فندق صغير جذاب مطل على الطريق
شعرنا بشدة انخفاض الحرارة عند نزولنا من
السيارة ، إذ أخذ الهواء القارس يقرسنا بشدة ،
ولكن سرعان ما دبت الحرارة فى عروقنا عند دخولنا
الفندق الدافئ . انهمكنا فى الأكل بتوان ...
وبعد انتهائنا ألفينا الساعة مشرفة على الثالثة
والنصف فهرعنا إلى السيارة وواصلنا السير

ازداد الظلام حلوكة ، وغدت السماء كالقار فى
السواد ، وكان الرعد المتواصل مما يدخل الرهبة
فى القلوب !

قال بيتر بصوت لطيف تهدئة روعى :

ربما نزل بعض البرد ...

ثم أردف :

ولكن بلوغنا الهدف سيكون قبل أن يتراكم
بلغت الساعة السادسة ولما نزل أمامنا أميال عدة
دون غائتنا وأخذ الصقيع ينزل بشدة والسماء شديدة
العتمة ... والطرق التى أخذنا نسير فيها ذلك الوقت
ضيقة ملتوية مما جعل مواصلة السير من الصعوبة
بمكان ! ولكن على الرغم من كل ذلك تشبثنا بأهداب
الجرأة فواصلنا سفرنا حتى صاح بيتر بعد لحظة :

الخضراء الملائمة لطوق الفرو الذى يعشقه بيتر . ثم
أقبلت أخطر أمام المرأة وأصلح هيئتي ، وأنا أعجب
لأننى قد اكتسبت هيئة من على أهبة الزواج !
خرجتُ لأستقل القطار إلى « نيوبرى »
حيث بيتر فى انتظارى ، ومن حسن حظى أن أدركت
القطار قبل سفره بدقائق وجيزة فكان على أن أنتظر
بضع دقائق فى المحطة ، وكنتُ أشعر أن هذه السفرة
إلى « نيوبرى » ستكون أطول مرحلة أقطعها
فى حياتي !

وأخيراً ... هدأت حركة القطار ووقفت عرباته
فزلت أسير بهدوء ، وما كدت أقطع بضع خطوات
حتى لاح لى بيتر مقبلاً نحوى بخطى واسعة والبشر
باد على محياه ، أما أنا فكان ما صرفته من جهد
فى مجيئى وما بذلته لمقاومة الأفكار المتباينة المتوالية
على فكرى قد جعلنى شبه مريضة واهية القوى !
قال بيتر :

— لقد تخيلتُ أن هذا القطار اللعين سوف
لا يصل إلى هنا أبداً ... قال هذا وهو يلتقط
حقيبة ملابسى بإحدى يديه ويلف الأخرى حول
ذراعى ، وبعد قليل أردف : لقد بدا لى أننى منتظر
سنين قبل مجيئك يا عزيزتى

وجأه زال صداعى فهدأ قلبى وزال منه ما كان
يلاحقه من شك ، فافترى عن ابتسامة طرب لها
بيتر ، وقال وهو يأخذ ييدى إلى سيارة صغيرة مغلقة
واقفة بجانب الرصيف :

— هذه سيارة « دكس » ، لقد استعرتها منه
لنقضى بها حاجتنا . فسألته :

— أين نحن ذاهبان ؟

— إلى قرية فى « دارتمور » لى معرفة بها ،

— أنقف هنا يا عزيزتى ؟ إنها آخر مدينة تفصلنا عن القرية التى نقصدها . فأجبت بـثبات : لنواصل السير فأنا لست خائفة !

دب البرد بين مفاصلى واعترى التشنج جسمى ، وتحدرت جميع أعضائى لطول الرحلة ، ولكنى لم أفه بكلمة واحدة تفضح ما أنا فيه من سوء ، فقد كنت أرى بيتر جاداً فى السير بغية وصول دارتمور ولم أكن أريد أن أخذه

عدا التعب والتأخير فى السفر ماذا يمكن أن أخافه ؟؟ قطعنا عشرة أميال أخرى قبل أن أعرف الجواب على سؤالى هذا ! فقد أخذت أرمق بقلق تلك القطع الثلجية المهمرة خلال الزوبعة الرهيبة ، وبدأت أشعر بأن هنالك شيئاً يخشى منه ! وبملاصقتى لبيتر شعرت بأنه يحس نفس ما أحسه ، وذلك من جراء تصلب أعضائه وتجهم وجهه

لم تكن عاصفة اعتيادية تلك التى داهمتنا فى سفرنا ففى خلال خمس الدقائق التالية تحولت إلى زوبعة عنيفة وأضحى صفير الرياح يعلو دوى آلات السيارة وكانت القطع الثلجية تصيب زجاج السيارة بشدة حتى لقد غدت جميع نوافذها قطعة من ثلج ! ولم تستطع آلة التنظيف الأمامية إزالة الثلج إلا عن مسافة جد قليلة مقابل محلة القيادة فقط

أنحيت قليلاً مصوبة نظرى إلى الطريق فى خلال تلك المسافة المزال منها الثلج ، فأبصرت بالطريق قد اندرست معالمة لما تراكم عليه من ناصع الثلج ، ولم تكن عين الناظر قادرة على اختراق الظلام الدامس أكثر من خمس أقدام ، فانشيت إلى بيتر قائلة :

— بيتر ! من الخير لنا أن نقف !
فأجاب بتعطيل :

— أتقولين الآن هذا ؟ لو كانت هذه رغبتك لفعلنا قبل الآن ... أما ونحن فى هذا المركز الحرج لا يسمنا إلا أن نواصل السير لعلنا نعتز على بيت أو « جراج »

لم ترحف السيارة بنا سوى أقدام قليلة حتى بدأ الخوف الكامن فى قلبى يتضخم ويوحى إلى بنزول كارثة عظيمة ! أخذت بعين الخيال أبصر بسيارتنا مارقة كالأعمى ، وعلى حين غرة تركد فى أحد الأخاديد وحينئذ ماذا سيحل بأجسادنا ؟؟ ستقذف ولا شك بقوة هائلة إلى جب من الجليد المتراكم وتسد السيارة علينا سبل النجاة حتى تجمد منا الدماء وتخمد الروح !

ولما انتهت إلى نفسى وجدت الدم يتفجر من شفتى وكان ذلك من جراء إطباق أسناني عليهما لأكم ضرخة هائلة كادت أن تفلت لما أوحته لى تخيلاتى !

وأخيراً ... أوقف بيتر السيارة وضغط على المصوت طويلاً ثم قال :

— إنما فعلت ذلك لكىما يفزع من يسمعه لنجدتنا ، ثم دفع باب السيارة بقوة وألقى بنفسه إلى الخارج على صفحة الجليد اللامع ... وبعد قليل هب واقفاً واندفع يردد هاتين الكلمتين : هالو ، هالو ... وكان صدى صوته يتردد سمى وكأنه آت من مكان سحيق !

كان الهواء يندفع بقوة نحوى ، وقطع البرد المتناثرة تلسع وجهى لسعات السوط فصرخت بهلع : بيتر ... هيا إلى الداخل يا عزيزى . فسمت صوته بعد لحظة قائلاً : كارول حبيبتى هأنذا آتياً ... ولما

منها أجسامنا إلى الخارج جراً . ومن خلال الباب المفتوح الذي وقف الرجل ، ذو المصباح ، بجانبه ، نفذنا إلى الداخل

أحسست برئتي سليميتين حادتين ، فتهاكت على الكرسي الكبير غارقة في خواطري ، وإذا بيتر ينحنى على قائلاً : أحالتك رديئة ؟ فأجابته محاولة الابتسام : كلا يا عزيزي إنني بخير .

كان الرجل واقفاً بقربنا وقد أوى الباب ظهره ، وكان المصباح لا يزال يتدلى من إحدى يديه ، أما عيناه فكانتا تتطلعان نحونا بفزع ورعب ، صاح بنا بصوت أجش :

— من أين قدمتا أيها الغريبان ؟ أمسكت بيد بيتر بقوة وطفقت أفكر في أن هنالك بلا شك بعض الالتباس ، ذكر بيتر للرجل اسم آخر مدينة مررنا بها ، فقال الرجل :

— هل رمت عيناك شخصاً قادماً إلينا ؟ فأجاب بيتر باستغراب :

— هل من شيء خطأ أيها الرجل ؟ لست بقادر على إفادتك بالجواب !

— حسبتك الطبيب ... لقد بقيت في انتظاره حتى ساعة متأخرة ...

— الطبيب ؟ قالها بيتر بدهشة ، فأومأ الرجل بعينيه وهو ينقلهما إلى الباب خلفنا قائلاً : هي زوجتي ، إنها ... إنها حامل ونحن بأمس الحاجة إلى طبيب !

لم يكن الرجل أكبر من بيتر سنًا ، ولقد كان للتفضعات البادية في وجهه ، ومظاهر الآلام التجلية عليها ، أعظم الأثر في قلبي وأشد الحزن ، سألت الرجل :

وصلني طوقى بذراعيه وهو يقول : ما أشد كآبتي على هذه الورطة التي زججتك بها أيتها العزيزة ... ليتنا لم نأت !

أحسست بوجهه وهو يلثمني كأنه قطعة من ثلج ولكن شفتيه كانتا تشعان حرارة ... ومرت لحظة ونحن متشبثان بمضنا ببعض في يأس قاتل !

تهددت من أعماق نفسي قائلة : ييتر أيها العزيز سنتضامن حتى النهاية وسنناق الخطوب بشعر باسم . وأخذت أحلم بأن حيبي لبيتر يفوق أي شيء في العالم ! قطع بيتر تلك النشوة السحرية التي غمرتنا بقوله : يجب علينا الآن مواصلة السير ...

ما سارت السيارة قليلاً حتى حدثت المعجزة ! هنالك ... خلال الضباب الأبيض الذي كان يلوح أمامنا ، بدأ نور ضئيل متأرجح ، وبكل صموية قدرنا على سماع صوت خافت يقول : من ... من هناك ؟ ثم لم يلبث أن تعالى ، وفي الوقت الذي وقف بيتر السيارة تبلج الظلام عن شبح رجل حامل مصباحاً ...

وقف الرجل يرمقنا لحظة ، ثم استدار وأومأ لنا بمصباحه أن تتبع !

فقال بيتر وهو يكاد يرقص فرحاً : كارول ... لقد نجونا ، فله الشكر !

— نعم ، شكرآ لك يا رب ... ربما لم نكن نستحق هذا المطف ولكنك أشفقت علينا وأنقذتنا فشكرآ لك !

أخرجت هذه الكلمات من قلب مفعم بالإيمان ونفسي منمورة بنشوة النجاة

كان ملجؤنا بيتاً صغيراً مطلقاً على الشارع ، قادنا إليه المنفذ ، وإذا وصلنا وقفنا السيارة وأخذنا نجر

— هل هي وحيدة ؟

— كلا ، ليست وحيدة فإن أمها لا تفارقها لحظة ، ولكننا في حاجة إلى حضور الطبيب مسرعاً فإنها على وشك الوضع

— آه . إن ذلك لمحزن حقاً ! قلت ذلك بصوت شبيه بالصراخ . فنظر الرجل إلى وكأنه يرانى للمرة الأولى ! ثم التفت إلى بيتر قائلاً :

— هل تملك في سيارتك من البنزين كمية كافية ؟

— نعم .

— إذاً ، دع زوجتك تذهب هناك — مشيراً إلى ما وراء الباب — لكي تدفأ بالنار . أما أنت فإنك ستقضى إلى المدينة !

— إلى المدينة ؟ ! انفجر بيتر غاضباً ... عمّ تقلم يا رجل ؟

فأجاب الرجل بصرامة وإصرار :

— يجب على أن أخطر الطبيب .

فأجابه بيتر وهو يهتز :

هل جنت ؟ ... إن المدينة على مدى عشرة أميال من هنا ، وليس بإمكاننا الوصول إليها في هذه العاصفة مطلقاً !

— ولكن ذلك ليس مستحيلاً ! ... سنصلها بسلام ، فإن معرفتي بكل شبر من الطريق لكفيلة بذلك ! ...

أعقب هذا الكلام فترة صمت كان تنفسي خلالها محبوساً ، وإذا بيتر يواجهني بنظرة دلت على الحيرة والالتباس ، فحملت في وجهه ، وقلت بصوت كان إلى الخمس أقرب منه إلى الكلام :

— يجب أن تذهب !

— وأنت ؟

— أنا ؟ ... أنا سأكون في أتم صحة !

فأمسكني وضممني إلى صدره وهو يقول :

— لا تقلقي إذا ما تأخرت قليلاً فإن الأقدار التي أسعفتنا في محنتنا تلك ستسعفنا ثانية في هذه المرحلة ! ثم التفت إلى الرجل قائلاً :

— سنذهب إلى المدينة ... أنا أعدك بذلك !

وكان الرجل كان يتوقع هذه النتيجة إذ سرعان ما قال :

— أسرع أيها الشاب فالوقت أثمن من أن

نقضيه في الكلام !

ولبت ممسكة رأسي بيدي وأنا ناظرة إليهما حتى ابتلعهما ظلام الطريق !

وبعدئذ ... أحسستُ بجفاف في شفتي منمعي عن الكلام ، أما قلبي فكانت ضرباته العنيفة شاهدة على ما كان يخالجنى من الهلع والشك !

وبينا أنا في تلك الحال إذا بباب يفتح بجاني ، وإذا بامرأة طويلة الجسم كثيبة الظهر تبدو منه ... وكان منظرها مما جلب لي الاطمئنان فأخذت أتففس عميقاً وأحسست يبعث الارتياح . قالت المرأة :

— أظنه الطبيب ذلك الذي كان هنا ؟

— كلا ... لم يكن الطبيب ... أنا ... أنا مسز اندروود ، ولقد صاحب ابنك زوجي لدعوة الطبيب ونصحنا لي بالبقاء هنا في الانتظار

— حسن ، خير لك أن تأتي إلى الغرفة الأخرى فهي أدفأ

تبعتها بهدوء إلى الغرفة الأخرى وكانت غرفة جلوس صغيرة الحجم قدرة ذات أثاث مبهر ولكنها ساخنة لكثرة ما كان يشتعل من أخشاب ضخمة في إحدى زواياها

الساعة الثامنة والرابع ... الثامنة والدقيقة
الخامسة والأربعون ... التاسعة
خيل إلى أن جلستى ستطول إلى الأبد لا أرى
سوى تلك الساعة المجنونة مواصلة ضرباتها ...
لا أشعر بغير ذلك الفزع والألم ... ولا أسمع سوى
تلك التهنيدات الموجهة وذلك الأنين المتقطع الخفيف
الصادر من الغرفة الثانية !

ذهبت بأفكارى إلى حيث يتر وذلك الزوج
الصغير القانط وهما يقودان السيارة فى هذا الليل
الحالك وهذه الزوبعة الجارفة ؟ ألا يزالان فى
السيارة إلى الآن ؟ ألا يمكن أن يكونا قد ترديا
فى إحدى الحفر فأطبقت السيارة عليهما واستحال
عليهما الخروج ؟ !

ومئات من هذه الأفكار أخذت تهافت إلى
إلى فكاد يصيبني منها الخبال . ولكنى أخيراً غرمت
على إبعادها عنى فاندفعت نحو الغرفة ، وكان همى
أن أجد ما أفعله الآن ... شيئاً يمكننى أن أمد يدي
بالمساعدة فيه ولو قليلاً ! وكان ما ينبعث من الغرفة
المجاورة أصواتاً قليلة جداً ... وقد طرق سمى مرة
أنة محزنة خافتة تذت لها عيناى بالدموع !

جاوزت الساعة العاشرة بقليل عند ما رجعت
المرأة إلى غرفة الجلوس ثانية بوجه شاحب وجسم
متقوس دل على ما كانت تعانيه من النصب والكآبة .
أقبلت على قائلة :

— هل لك أن تسخنى نرراً من الماء ... ؟
ولكن لا ... املأى كل آنية يمكنك العثور عليها !
— آه ... نعم ! وهرعت إلى الغرفة السفلى

قلتُ للمرأة بلهجة صادقة :

— حقاً ، لقد أمضى مرضى ابنتكم فهل من
شئ أقوم به ؟

فأجبت وهى تمرر أصابعها خلال شعرها :

— كلا ... نحن فى حاجة إلى الطبيب ! إن لى
بشئون التمريض والولادة إلماً لا بأس به ، ولكن
هذه الحال ما أشد اختلافها عما تعلمته !

وفجأة قطع علينا الكلام أنينٌ خافت متقطع ..

أنين جمد الدم فى عروقى !

والتفتت المرأة إلى على عجل وقالت :

— معذرة ! ... وولجت باباً على يمينها

ألقيت نظرة خاطفة على غرفة النوم ، تلك الغرفة
التي دخلتها المرأة الآن ، وجبست تنفسى بقوة حتى
انطبق الباب ثانية فحجب الداخل عن نظرى

وجه نحيل ناصع البياض شبيه بوجه المحتضر ،
وكمية من الشعر الفاحم تكدست هناك فوق الوسادة
بنت لا تكبرنى سنّاً كانت هناك فى حالة من الألم لم
أرها فى حياتى قط . فوجدتني أهمس قائلة :

— آه يارب ! ساعدها .. وساعد يتر كذلك

كانت ساعة المنضدة تشير إلى الثامنة والدقيقة
الخامسة عشرة . ألا ما أطول ما سيستغرقونه فى
البحث عن الطبيب ، وما أطول ما سينتظر نحن على
هذه الحال !

تهالكت على الكرسي وأنا أتجالد على محنتي ..
وكانت الساعة تواصل ضرباتها الخافتة ، وبالتدرج شرد
فكرى ثانية إلى تينك اليدين العاريتين الناحلتين !

منقبطة بهذا العمل الذي كنت أتوق إليه !

— يمكنك أن تمدّي قليلاً من القهوة أيضاً .
قالت المرأة هذا وقد تبعني إلى الباب ، ثم أردفت :
سيكون الرجال في حاجة ماسة إليها عند رجوعهم !
أجبتها بجرأة : عند رجوعهم ؟ أو تعتقدين حقاً
أنهم سيمودون ؟

فأجابت ببساطة :

— لا شيء يحول دون رجوع توم !

أحسست بشجاعتى الواهية تنتمش للجهة
التوكيدية التي بدت في كلامها ، وأنهزم بعض ما كان
حائماً حولى من أفكار سود ! ولكن هذه الشجاعة
المنتعشة أشرفت على التضعف والزوال مراراً قبل
أن يبلغ انتظارنا نهايته !

امتد عقربا الساعة يشيران إلى انقضاء عشرين
دقيقة بعد الثانية عشرة ، وفي هذه اللحظة دار
مصراع الباب بمنف واندفع إلى الداخل ثلاثة رجال
كان كل منهم أشبه بقل جليدى صغير ! وكان
الإعياء بادياً عليهم بأجلى مظاهره لما قطعوه من بعد
المسافة !

اندفعوا إلى الداخل بترنح . ولما تمالك صوابى
أخذت أصرخ :

— بيتر ! ... آه يا بيتر ! وفي لحظة غدوت
بين ذراعيه !

جلست وبيتر حول النار ، أما الطبيب وتوم فقد
ذهبا إلى الغرفة المخلقة ... سألتى بيتر بصوت خافت :

— هل هي في خير ؟

— لا أعلم ... هي هادئة جداً وأخشى أن

تكون ... فقاطعتى بيتر بمنف :

— كلا ، لا يمكن أن تكون ... إن شيئاً من
ذلك لا يمكن أن يحدث لتلك الصغيرة ! ورأيت
يديه تتصلبان ، وكان في نظراته تعبيرات شتى لم أر
مثلاً قبلاً ! وعاد يقول بهمس : هكذا الحب ! ...
إنه حب خليق بالتبجيل ... كارول ! أنت تعلمين
ما يمكنه لك قلبى من حب وإخلاص ، ولكن ...
ولكننى هذه الليلة اطلعت على حب لم أر له في حياتى
مثلاً !

صرخت بقوة :

— بيتر ! ماذا تعنى ... ؟

ولكنه واصل كلامه قائلاً :

— آه يا كارول ... تمنيت لو كنت معى
لترى « توم » وما قام به . لقد قطعت القسم الأكبر
من الطريق الموصل إلى المدينة تحت إرشاداته ...
وانتعل الأرض الجليدية بقية الطريق لكي ينظف
بيديه زجاج السيارة الأمامى ، وكان من جراء ذلك
أن أصيبت إحدى يديه بالبرد الشديد ، ولكنه لم
يضع أى وقت لإسعافها ! ذلك ما قام به توم ! وإنه
ليدل على عظم حبه لزوجته وتغانيه لها حتى لقد كاد
يضحي بنفسه في سبيلها . ألا ما أروع هذا الحب !
وما انتهى بيتر إلى هذا الحد من كلامه حتى
طوقته بذراعى هامسة :

— آه يا بيتر ... يا عزيزى !

وكان النصب الشديد قد أخذ منه كل مأخذ
فألقي برأسه على صدرى ولبثت ممسكة به كالطفل ،
وفي هذه اللحظة أدركت حقيقة الحب وقدره !

رفع بيتر رأسه ونظر إلى لحظة ثم قال :
 — كارول ! سرجع إلى البيت غداً ! لقد
 ركبنا متن الشطط بسفرنا هذا فعلينا أن نتلافاه ...
 علينا أن نعود إلى مدينتنا ... ويجب أن نعمل ...
 وننتظر ، ثم بعد أيام سنكون زوجين وسط احتفال
 كبير يليق بك ، فإنك بهذا أحق مما كنا ننوي
 فعله ! ...

لقد ربحنا ... والشاهد على ذلك طفلي الصغير !

وفي نشوة تلك اللحظة تطلعت عيناى إلى المستقبل

القريب ... إلى اليوم الذى يدوى فيه صوت بيتر

بمثل هذه الجملة ، وفي عينيه بريق شبيه بالبريق

المنبعث من عيني توم ! تاحصر عزيز منصور

— بيتر ... حبيبي بيتر !

قلت ذلك بنعومة متناهية ، وكان قلبي يرقص

من فرط السرور ، وعندما رجع إلى أذنى صدى

كلماتى كانت شفتاه قد أطبقتا على شفتى ، ويداه

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الانيقة

تسير بكم على بركة الله الى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

نخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها

القاهرة : عمارة بنك مصر القاهرة ١٥١ شارع عماد الدين تليفون ٤٠٧٤٢ — ٥٧٠١٦

الاسكندرية : شركة الملاحة ١٤ شارع فؤاد الأول تليفون ٢١٥٤٦ — ٢١٥٤٧

بور سعيد : شركة مصر للسياحة شارع السلطان حسين تليفون ٤٧٧

السويس : شركة مصر للملاحة البحرية شارع سعد زغلول تليفون ١٢

ومن شركة مصر للسياحة بالقاهرة

شارع ابراهيم باشا تليفون ٤٥٩٦٠ — ٤٦٣٠٣

ثلاثة على منضدة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

رحلتها إلى الصين . وكان أهلى غير موجودين في المدينة فذهبت إلى قرية قريبة لأكون في ضيافة عمى . ولكنى وجدت عمى قد سافر أيضاً إلى فرنسا وسيمود بعد يومين فزمت على أن أقيم - حتى يعود - في فندق صغير بالقرية « واتفقنى يومان، الأول على مايرام، ولكنى في الليل أحسست بالسأم من

الوحدة لأنه لم يكن في الفندق ضيف غيرى فقررت أن أقضى اليوم التالى سائراً في الخلوات طلباً للرياضة وتجديد المناظر . وكان الجو بارداً في اليوم التالى ولكن السماء صافية . فشيت بين الحقول ومررت في طريقى بعدد من القرى شكلها مبهج فلما جاء وقت الغداء تناولت قطعة من الخبز والجبن واستأنفت السير فلما أردت العودة بعد ذلك وجدت نفسى قد ضللت الطريق ووجدت أمامى طرقاً متعددة فسلكتها واحداً بعد واحد . ولكنى كنت أجدها دائماً مفضية إلى البرك والمستنقعات . وفي أثناء سيرى بدأ الضباب يشكاف ثم زاد فجأة فاستمصى على السير على نظام ، ولكنى ظلت أمشى حتى الساعة الرابعة على أمل أن ألتقى ببعض الرعيان أو الفلاحين . ولكنى في النهاية رأيت كوخاً يضىء في نافذته مصباح فمررتى زعشة لا أعرف سببها . ومشيت نحو الكوخ

وفي طريقى إليه قابلنى رجل فسألته عن اسم السكان فأجابنى . وسألته عن المسافة بينه وبين قريتى فقال إنها خمسة عشر ميلاً فانزعجت ثم شكرته وبعثت نحو الكوخ فتنادانى ونصح لى بالآأ أذهب إليه قلت : « لماذا ؟ »

كان الحديث في قاعة التدخين دائراً حول العفاريت والجن . وقد اختلفت الآراء فمن مصدق بهذا الموضوع مثل تصديق الأطفال ومن مستنكر لذلك . وكان في المتحدثين من يقول إن التكذيب كفر، ويستشهد بما جاء في الكتب المقدسة عن الجن والعفاريت . وقال : « وفضلاً عن ذلك فإن البحارة قد رأوا العفاريت بأنفسهم أثناء رحلاتهم في البحار وليس بينكم من لم يسمع رواية أحدهم عما شاهده من هذا القبيل »

وكان أحد السامعين ملازماً للصمت منذ ابتداء الحديث فلما وصل القول إلى هذه النقطة قال : « أنصح لكم ألا تصدقوا ما يقوله البحارة فإنهم بعد أسفارهم الطويلة يجدون أنفسهم مضطرين إلى التحدث بأى شيء ، وإن أصحابهم يستاءون إذا وجدوهم ملازمين للصمت

قال غير المصدق لأحاديث الجن : « هل رأيت أنت شيئاً من ذلك ؟ » : فأجابه : « لقد قضيت في البحر ثلاثين عاماً فلم أشاهد غير حادثة واحدة من هذه الحوادث غير السارة . ولم تكن هذه الحادثة في البحر ولكنها في قرية انكليزية

قال : « وما هى ؟ » فأجاب وهو يشمل غليونه : « لقد كنت شاباً صغيراً عند عودتى من أول رحلة

فقال لأن به مخلوقاً أشبه بالمجانين منه بالمقلد
ويكاد الإنسان لا يعرف هل هو إنسان أو حيوان
لشدة ما به من التشويه «

ولكنني كنت أشعر ببرد شديد وبقعب أشد فلم
يسمعي إلا مخالفة نصيحته وذهبت نحو الكوخ ،
وقرعت الباب فانطفأ المصباح الذي في النافذة ، ثم
خرجت امرأة كأنها هيكل عظمي وكان في صوتها
وفي مشيتها ما يدل على أنها في حالة عصبية وسألتني
من أنا وماذا أريد «

قلت : إنني ضللت الطريق ، وإنني من قرية
(أشفيل) ... وسألتها : هل أستطيع أن أستريح
بذلك الكوخ ؟

فكادت تغلق الباب في وجهي لولا أن ظهر
عند ذلك رجل مسن طويل القامة عريض الكتفين
وأجاب ببطء : « إن قرية أشفيل تبعد عن هنا خمسة
عشر ميلاً »

قلت : « إنني أكون شاكرًا لك لو دلتني على
الطريق إلى أقرب قرية »

فلم يجبني ولكنه تبادل النظرات مع المرأة
فأشارت بإشارة تدل على الموافقة فقال : « إن أقرب
قرية تبعد عن هنا ثلاثة أميال فإذا سمحت لي بمرافقتك
إليها فإني مستعد »

فترددت وقد كان شكل هذا الرجل وامرأته
غريباً وقلت : « شكرًا لك ولكن ... » . فقال :
« أدخل إذن ! أغلق الباب يا حنة »

وللحال وجدت نفسي داخل المنزل ووجدت
الباب مغلقاً وقام بروعي أنني وقعت في المصيدة

وقالت المرأة لزوجها : « إن العشاء قد أعد »
فاستأذني الرجل في مغادرة الغرفة فأحسيت
رأسي . وبعد لحظة وجدت نفسي منفرداً في غرفة
مظلمة ، وسمعت في الغرفة المجاورة أصوات ثلاثة
يتكلمون وهم الرجل وامرأته وثالث

وعاد الرجل بعد قليل فنظر إلى نظرتة الغريبة
وقال : « سيكون على مائدة العشاء ثلاثة غيرك أنا
وزوجتي وابني . وأظنك لا تهتم بأن يكون عشاؤنا
في الظلام لأن ابني مصاب بعينيه »

قلت : « لا بأس »

ولكن شعرت بازدياد الخوف . وفي هذه الأثناء
دخلت المرأة ونظرت إلى نظرة التلصص ووضعت
طبقاً كان في يدها على المائدة ثم ذهبت وعادت
بطاثرين مشوينين . وقال لي الرجل : « قلما حضر
طعامنا غريب . وقلما اتفق لنا وجود إنسان لدينا
فنحن مسرورون بك »

ثم خرج وعاد معه مخلوق مشوه فأجلسه على
المنضدة وبدأنا نأكل وقد كان الليل بارداً وشهيتي
قابلة للطعام فأكلت رغم صعوبة تناول الطعام في الظلام
وسألني المشوه بصوت عجيب : « هل أنت غريب
في هذه الجهة ؟ »

فقلت : نعم . وتجملت بكلمة عن حسن الحظ
الذي قادني إلى هذا التعارف فقال : « لقد نسيت
الخر يا أبي »

قام الرجل ونظرت في أثناء غيابه فرأيت أمامي
عينين تسطمان في الظلام كأعين القطط هما عيننا ذلك
المخلوق الذي يقولون إنه مصاب بعينيه، وغاب صاحب

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغالي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

المنزل واشتد اضطراب أعصابي من النظر إلى وجه
هذا المخلوق فوقفت واضعاً يدي وراء ظهري وزاد
من رهبتى أنه كان في طرف الغرفة موقد تندلع منه
السنة نار زرقاء وتحدث ريحاً كريهة

— ٢ —

ومضت دقائق في صمت ثم فتح الباب ودخل
الرجل فمشى كالآلة نحو المنضدة فوضع عليها زجاجتين
وقال : « يكفي هذا الظلام » ثم أشعل عدداً من
الثقاب فوجدت وجه المخلوق الذي كان يؤا كلني
وجه ذئب لا يختلف عن الذئب شيئاً وفوق جلده
وبر كوبر الكلاب والذئاب ، وعينييه شديديتي
السطوع . فبدت لي الحقيقة لأول مرة وعرفت أنني
في بيت من بيوت الجن . وقال لي الرجل : « هذا هو
ابني واليوم عيد ميلاده . وقد أردنا أن نجعلك صديقاً
بهذه المناسبة فلم نمسك بسوء »

فأحسست أن الدم ينضب من جسمي وشعرت
ببرد مضاعف . وقدم لي الجنى كأساً من الخمر فشربت
وشرب . وقام الولد الدثني والمرأة . وما زلت أشرب
مع صاحب المنزل ، وكان كلما شرب كأساً زاد طول
قامته وزاد خوفي منه^(١) . وكان الليل مسرعاً ، ونحن
نتحدث في شؤون شتى حتى دقت الساعة الثانية
عشرة ، وكان طول الرجل قد بلغ السقف وهو
جالس وقال : « لقد آن وقت النوم »

ثم ترك لي الغرفة وأشار إلى فراشي بجانبه
فخدمت حسن حظي لفارقتة إياي . ولما صرت
وحدى أسرعرت إلى الباب . ولم أزل أنهب الأرض
جرياً حتى عدت إلى قريتي في الصباح .

(١) ذكرنا هذا بقول الأخطل :

وكأس مثل عين الديك صرف تنبى الشارين لها العقولا
إذا شرب الفتي منها ثلاثاً بغير الماء حاول أنت يطولا

أسد + خر = ؟ !

قصة أمريكية

بقلم الأستاذ محمد عصمة

دوحة عظيمة ... ولم أجزع أيضاً
وكثيراً ما وقفت أمام الموت وجهاً
لوجه دون أن يخطر الخوف لي على بال .
أجل يا سادتي ! هذا هو الواقع وجميع
معارفي وأصحابي يعلمون ما أنا عليه من
البسالة ومتانة القلب في مواقع الصيد
ومعارك القنص ، ولا يمكنني إحصاء

مواقفي التي أبدت فيها من ضروب الشجاعة ما يعجز
عنه غيري من الزملاء . ولكن هذا لا يمنعني من
سرد حادثة وقعت لي إبان الشباب وكادت تقضي
على حياتي أو تذهب بعقلي - على الأقل - من
شدة الرعب

وصمت الرجل فجأة وغاص في لجج من الأفكار
وكان ينظر حينئذ إلى مكان قصي كأنه يريد سبر غور
السنين البعيدة الخالية بعينيه الزرقاوين ثم شرع
يدخن وينفث الدخان إلى فوق ، وكانت الحانة غاصة
بالشاربين ، وكنت تسمع بين الفينة والفينة رنين
الكؤوس وضجيج السكاري وتضاحيك الفواني إلا أن
السكون شمل المكان وأنصت الجميع كأن على
رؤوسهم الطير واشترأت الأعناق لسماع حديث
السائح ، وبدأ القوم ينتظرون القصة بشغف وشوق
وسم أحد الحاضرين هذا الصمت الطويل
ولم يمالك نفسه فجعل يستحث المحدث قائلاً :

- أتكرم يا مستر (لاندون) وتقص علينا
ما جرى لك ؟

رفع السائح رأسه وتفرس في الوجوه من جديد
كمن كان ينتظر هذا السؤال ، ثم بدأ حديثه ببطء
وبصوت هادي :

- كنت إذ ذاك ضمن حدود (نوادا) وكنت

أشعل الجواب الشهور والصيد البارع (هاري
لاندون) لفافته الضخمة وقال :
- إن مفاصراتي كثيرة جداً ...

ثم تنحنج وتفرس في وجوه الحاضرين ليري
مبلغ انتباههم لحديثه . ثم استطرد :
- ومن حسن حظي أنني نجوت من كل
ما أحاطني من الأخطار الجسيمة ، ولعلكم تتساءلون
أيها السادة : هل كنت جباناً رعديداً أم شجاعاً
صنديداً ... أليس كذلك ؟

لقد حدث ذات يوم أن اعتقلني الهنود الحمر ،
وأنتم تعلمون كراهيتهم ومقتهم للجنس الأبيض .
تصوروا أنني قضيت ليلة سجيناً في أحد أكواعهم
بينما كانوا يرقصون مهللين حول النار استعداداً
لإعدائي في الغد الباكر ، وفي الصباح ساقوني إلى
الغابة باحتفال مهيب حضره كل أفراد القبيلة وهموا
بتمزيقي شر ممزق ، ولولا إصرار أصدقائي لنجذتي
بينادقهم بعد أن بحثوا عني طيلة الليل ، لأصبحت
أرأ بعد عين ... ولكن الآن في عداد الأموات .
وربما تمجبون إذا قلت لكم إن كل ذلك حدث دون
أن أضيع رباطة جأشي

وفي مرة أخرى بينما كنت أخترق غابة كثيفة
مستبكة الأغصان ، وإذا بأفعى هائلة تسقط على من

الملعب مات بصورة فجائية ، وأبدع الألعاب التي يطرب لها الجمهور صراع ذلك النمر مع أسد كبير. وعرض على المدير أن ألبس جلد النمر المسلوخ وأقابل الأسد في قفصه أمام المتفرجين، وذلك مقابل دولار واحد عن كل حفلة . ودولار واحد حينئذ كان مبلغاً لا يستهان به وخصوصاً بالنسبة لما أنا عليه من الفقر والاحتياج ... ولكن ... كيف أخفى بحياتي في سبيل دولار ؟

وأظن أن المدير شعر بما يجول في خاطري فجعل يطمئنني :

— لا تخف يا صاح ... إن أسدنا مسنّ وبليد الحركة وضعيف البصر وليس بإمكانه أن يحول رأسه نحوك . وأنا على يقين بنجاتك منه ونجاحك في التمثيل ... لا تخش شيئاً يا بني ... وعدا ذلك سنطعمه أكثر مما يجب ... إياك والخوف فليس عليك من بأس ، وإلا أفسدت الحفلة ... هيا بنا للعمل !

وبمثل هذه الكلمات أغراني ونزع الخوف من قلبي انتزاعاً ، فذب الأمل في نفسي ورضيت بهذا العمل الشاق . فاقفادني المدير فوراً إلى إحدى غرف الملعب ، وهناك تسلمني فئة من الرجال وكنت ساعتئذٍ فاقد الإرادة تماماً أسير كالخراف المدة للذبح فأدخلوني في جلد نمر وشرعوا يخيطنون جوانبه بمهارة فائقة تدعو للمجب ، وكأنهم اعتادوا هذا العمل . وخلال دقائق معدودة تحولت من بشر إلى حيوان مفترس شديد البطش . وبعد ذلك قادوني إلى قفص حديدي كبير رأيت في إحدى (٥)

أشتغل في معمل ورق عظيم الشأن . وفي أحد الأيام صدر مني تقصير تافه جداً أدى إلى طردى وحرمانى من العمل . وكنت لا أملك شروى نقيير وظللت أجوس الشوارع والأزقة متسولاً حيناً ، أو باحثاً عن عمل مهما ضؤل شأنه . وكنت حينئذ في شرح الصبا متين البنية مقتول الساعد . بيد أنني يتيم الأم والأب ، عديم الأقارب والأصدقاء ؛ ولم يكن لي من معين سوى نفسى فكأننى خلقت لأتحمل مصائب الحياة وأرزاء القدر والتمست العمل أياماً وليالي عديدة فذهب تعبي هباء وسعبي سدى

جبت بلاداً حمة في طلب الرزق ولكن وأأسفاه دون جدوى

وأخيراً ساقنى القدر إلى بلدة صغيرة تدعى (فرجينيا) وهناك قابلت رجلاً يدير ملعباً عظيماً للحيوانات . وعرضت عليه أمرى فلم يأبه لي ولم يمن بمصيرى في اليوم الأول

وكانت حفلات هذا الملعب المتنقل مدهشة للغاية وتدر على صاحبها الأموال الطائلة . ويحوى الملعب أندر الحيوانات وأعجب المخلوقات وأجمل الألعاب وفي اليوم التالى ؛ قصدت المدير في غرفة عمله وكان على غير ما عهدته بالأمس فهو شاحب اللون مشوش اللب ، يفكر ... ويفكر ...

سألته ما به ، فأبى الكلام . ثم ألححت عليه بالسؤال فنطق بالحقيقة

وكان همه الوحيد لإيجاد رجل شجاع متين الأعصاب ليعهد إليه بلعبة خطيرة . وزعم أن نمر

أننى سأذهب ضحية من ضحايا الفقر والبؤس !
أخذ الحيوان يتمرغ على الأرض ، ويزأربصوت
عال مزعج ، وكان يضرب خشب القفص بمخالبه
ويسمى للوصول إلى شيئاً فشيئاً كأنه يريد إرهابي
وتعذيبى وقتلى قبل العراك بمشيئته الوثيدة ...
أقمتُ منكس الرأس أبتهل إلى الله أن يقينى شر
هذا الحيوان المفترس ... إلا أن الجمهور بدأ يصرخ
بأعلى صوته ، ويتلهف لرؤية الحركة الحاسمة ! وفى
النهاية ظهر الغزم فى عيني الأسد ...

ها هو ذا قد دنا منى ، وأصبح على قيد خطوة
وأنا ... وأنا ... لا أجرؤ أن أحرك ساكناً ...
لقد مس رأسى بأنفه ... يكاد أن يذيقنى بحرارة
أنفاسه — الآن — سيقضى على حياتى بضربة
واحدة ، أجل بضربة واحدة ... وأنا ...

وفى هذه اللحظة سمعت صوتاً إنسانياً صادراً
من الأسد :

— مه يا أحمق ... هل أعطاك ذاك المدير اللعين
كما أعطانى دولاراً أم أكثر ؟

محمد عصمة

« دمشق »

زواياه أسداً هائلاً يغط فى نوم عميق
وكان الملب يمعج بالآلوف من أهالى (فرجينيا)
وقد خدعوا بمظهرى المزيف إذ لم أكد أظهر أمامهم
حتى علا صييحهم وهتافهم . وقد بلغ الهياج والتصفيق
منتهاه ، واسكن قلبى كان طافحاً بالرعب والفرع ،
وجسمى يضطرب كالريشة فى مهب الرياح . فجعلت
أنظر من خلال ثقبى العينين إلى الأسد الهادئ
الرزين ، فرأيت لم يبال بحضورى ، فسررت فى نفسى
غاية السرور ... إلا أن الأمر ويا للأسف لم يدم
طويلاً ، فقد شعر سلطان الوحوش بوجود خصم له
فرفع رأسه وحرك جسمه الكبير بثقل ، ثم تشاءب
أما أنا ... فقد أسندت رأسى إلى قضبان القفص
الحديدى خشية الوقوع على الأرض فاقد الرشده .
ونظرت حولى كمن يطلب المساعدة والنجدة . وأيقنت
أنى هالك لا محالة ، وقد حيل بينى وبين الفرار ،
وكان الخوف قد بلغ منى أشده ... يلهول الموقف !
وعلى حين غرة ، نهض الأسد الجبار بسكون
وحدق فى بعينيه الملوئتين شراسة ووحشية ...
ياله من مخلوق جليل ! ...

لقد بدأ يقترب منى خطوة خطوة ... أردت
أن أصرخ وأستنجد ، وأنى لى الصراخ وقد بُح
صوتى ، واقشعر بدنى ، واغتسل جسمى بالعرق
البارد ... عرق الموت ... وبدأت صور الماضى
وذكرياته تمر أمامى بسرعة هائلة ... فمجبت لربع
قرن تمضى فى بضعة ثوان لا يتجاوز عددها الأصابع
وأخيراً ، استسلمت للقضاء والقدر ، وتركت
نفسى لقمة سائفة لهذا الوحش الكاسر ، وأدركت

أحب مؤلفات
الاستاذ الدكتور
الاستاذ الدكتور
مكتبة الرشد ، شارع الملك فيصل
دمشق ، مكتبة السيدة أسماء

الراقصة

أفصوصة مصرية

للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

مرت وحملت صاحبتى إلى جانبي ثم عدت
أسألهما

قالت وهي لا تدري : إنها شهوات
النفس وشهوات البطن قد دفعتني إلى
أن أتعلم الرقص خفية وأرقص خفية لأن
أهلي لا يرضون وديني لا يبيح، والشبان

يهيئون لي مراقص مختبئة أراقصهم فيها فأشبع شهواتهم
وأشبع شهوتي ولا أنسى أجرى؛ ولكنني الليلة محزنة
فإنني لم أحظ بأجر وفير، لأن الدين راقصوني الليلة
ليس فيهم راقص جديد. قلت لها : ولكنك تشغلين
النهار في عمل شريف ! قالت : ولكنه ذو أجر زهيد
وأنا أحتاج إلى ملابس وطعام وحياة تتناسب وما أنا
عليه من جمال. فقلت في نفسي : « ويل لمن سلط
الله عليه شهوته » وقلت لها : وإلى متى ترتمين بين
أيدي هؤلاء العابثين؟ وماذا يكون من أمرك لو عرف
أبوك؟ ولم أشأ أن أسألهما عن علاقتها بالله لأنها
قطعتها. وقلت لها وقد غمرني الحنان والمطف
عليها : ولم لا تبحثين عن زوج شريف يغنيك عن
عمل النهار وشقوة الليل وأنت لا تزالين في جمال
يغري الطالبين. فتهدت وقالت : ومن لي به؟
فقلت لها وقد غلبت علي عاطفة الرحمة : الله لك.
قالت : وهل يستجيب؟ قلت : نعم وقبل أن تسأله
فهل ترضينني زوجاً؟ فأفاقت من سكرتها
وابتسمت أساريرها وقالت : أحق ما تقول؟
قلت : نعم، فصدقيني ولا ترتابي. وكان لها العذر
في أن ترتاب وألا تصدق، لأنها تعودت أن تسمع

حدثني أحد الأصدقاء قال :

رأيتها صغيرة ساذجة يعلو وجهها اصفرار
لا يححو من جمالها شيئاً، إذ كان الصغر وكانت
الساذجة تغمران قلب من يراها بمطرب وحب عجيبين،
وسمعت حديثها في صوت له رنين كبير، ولكنه
يغتفر لها لأن كلماتها تخرج من بين ثنايا فتاة صغيرة
ساذجة تقبسم، فكلماتك ملح كلامها لأنه يمر
من هذه الثنايا المذاب

هذا أثر النظرة الأولى وأثر اللقاء الأول،
ولكنني لم أدر مما أصابني حين ذاك إلا أن عاطفة
مست قلبي ولم تحوم حوله إلا قليلاً، ثم مضت
في سبيلها وغابت وقتاً طويلاً، ولم أدر أن القدر
يخبأ لي وراء هذه النظرة المأطويلاً

التقينا ذات مرة في سواد الليل الأخير
على غير موعد تنتظر عربية تمر بنا إلى الحى الذى
نسكنه، فدنوت منها ودنت مني، فسألتها : ماذا
تأخر بك عن البيت إلى هذا الوقت؟ فسمعت إجابتها
في صوت سكرى مجهودة. فعرفت بعض أمرها
وأحببت أن أرى بقيته؛ ولكنني ناديت سائق عربية

في مراقصها الأكاذيب . ثم وصلنا إلى الحى الذى
نسكنه فأخذت بيدها إلى بيتها وانفلت أنا إلى بيتي
ونحن على موعد لتحقيق الآمال !

قالت لى ذات مرة وأنا خطيبها : أمن حق
الزوج أن يحرم امرأته لبس جلباب قصير ؟ وهل
من حقه أن يمنعها من أن تطل من الشبايبك ؟
وهل من حقه أن يصهرها بنيران المطبخ كل يوم ؟
وهل من حقه أن يمنعها عن زيارات صاحباتها
إلا إذا صحبها ... وقالت وقالت .. فقلت لها: الزواج
أجل من ذلك وأعلى . إن الزواج سعادة روحية، إنه
سكون ومحبة دائمة مستقرة وأولاد إذا جاد الله بهم
نسى الزوجان بهم نفسيهما . فقلت : أف من
السكون ومن وجهين مترائيين ليس هناك غيرها
عشرين عاماً أو خمسين ، ومن اصخب الأولاد وضيجهم
فقلت فى نفسى إنها لا تزال راقصة تنفر من
الشرف وتأوى إلى زوايا التلف التى يضحك لها
فيها الشيطان

أما أنا فدست قلبى حين رأيته يمطف فى غير
موضع عطف ، وأما هى فظلت مضطربة تزن الأمور
بمين جائرة وكف ظالمة حتى اطمأنت إلى الحياة التى
تحياها ، فهى تشبع شهوتها وبطنها وكفها وتلهى
أهلها عنها بأكثر أجرها الذى تتقاضاه فى النهار ،
وهم بما لها فى فرح وبما يصلهم من أخبار استقامتها
فى رضا ، وظلت هى تتقلب كل ليلة فى يد عابث جديد

كأنتقلب السلعة المكشوفة فى أيدي المشتري فتذهب
بهجتها وينطفئ لمعانها ، ولم تزل تنحدر شيئاً فشيئاً
حتى فقدت قلبها وانطفأت عينها وبلغت حافة الهوة
التي تردت فيها سالقاتها ففقدت عملها الشريف
بالنهار وخلصت حين ضاقت بها الدنيا للرقص العلنى
فى الليل ، وهكذا كان

رقصت فى العلن بعد السر ، ورقصت وحدها
لأن الشبان يأنفون أن يراقصوا فتاة قد اشتهرت
باحتراف الرقص ، وتلقفها أيدي طبقة من البتدلين
أدنى من طبقة أصحابها السابقين ، ومضت مع الزمن
بلا عقل ولا قلب لا تدري فرقاً بين رجل ورجل ،
وشرف وخسة ، وكما مر بها الزمن أنهدت قواها
وثقلت خفتها وغازى جمالها . فلما نفذت محاسنها عفت
عنها المراقص العلنية أيضاً فطردها الليل كما طردها
النهار وتلمست جوانب الرحمة فى جوانب الناس
فلم تجد فبكت وشعرت بأنها نسيت شيئاً كان كفيلاً
بإسعادها إلى الأبد هو القناعة والإيمان

أما أنت قلبها فأماها الناس من ذكراهم وبرىء
أهلها ولم يمد لها من أقاربها قريب ولا من أصحابها
حبيب ، ودارت هائمة على وجهها فى الطرقات حتى
عثرت بى فى حديقة ذات مرة وحولى صبيان يلعبون
فعرفتنى وما عرفتها ، فقلت حين وقفت بى :
أهؤلاء أولادك يا سيدى ؟ قلت : نعم . قالت : وأين
أمهم ؟ قلت : تمد لهم الطعام فى البيت . قالت :

ألا تصحبهم خارج البيت ؟ قلت : لا ... ثم سألت وألحفت ؛ فحدقت النظر في هذه الملحة فمرقتها ... ولكنها كانت في جلاب رث ... وكما طويل ، وليس لها زوج ولا أولاد ولا بيت ولا مفتاح باب ، وليس لها أهل ولا أصحاب ولا مال ، وليس لها شرف تمضي به في الناس ولا قوة تمنحها حتى تتبع خطوات الشيطان ... وحين شعرت بأني عرفتها بكنت ولكنه بكاء لا يستدر عطفاً ولا يخلق أملاً

قلت لصاحبي : أو تألم أنت لها ؟ قال : لا ، إنها

لا تستحق الرحمة . قلت له : إنها إن لم تكن تستحق الرحمة حين بطرت فإنها تستحقها حين بكنت فصمت صاحبي ودمعت عيناه فعلمت من صمته وبكائه ما لم يقصه علي في قصتها ، فقد أخفى عني حديثاً لعله حديث الحب ، بل هو الحب أشملته هي في قلبه ولم تطفئه ، فرضيت حيناً ثم شقيت ، وشقي هو حيناً ثم رضيت ، فلم أشأ أن أثير ذكرياته فقلت له : لقد لقي كل منكما جزاءه فلا تغضب عليها واسأل لها عفو الله .

عبد العزيز سبيل الأهل

(الاسكندرية)

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالج النقد الأدبي بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة . بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث حتى جاء الكتاب مرجعاً في هذا الباب ونموذجاً في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يعني القارئ عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً وافياً .

يقع في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

ومنه ١٢ قرشاً خلاف أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

ليلي المريضة في العراق

كتاب يفصل وقائع ليلي بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ، ويشرح جوانب كثيرة من أسرار المجتمع وسرائر القلوب في مصر والشام والعراق .

يقع في ثلاثة أجزاء

وعن الجزء ١٢ قرشاً

ويطلب من المكتبات الشهيرة في البلاد العربية

فهرس السنة الثالثة من الرواية



الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم	(العدد ٤٨)
١	جيلة	محمود الخفيف	عبد الفتاح محمد	٢٣٩
١١	عروس الماء	دريى خشبة	عبد الفتاح محمد	٢٤٩
٢٠	كيدهن	نجيب محفوظ	عبد الفتاح محمد	٢٦٦
٢٧	إنتقام	دوديه	عبد الفتاح محمد	(العدد ٥٣)
٣١	الاعتراف	موباسان	عبد شكري هباد	٢٨٢
٣٦	زفرة العربي	عبد الله العمودي	عبد الفتاح محمد	٢٩١
٤١	حاجى بابا أصفهانى جيمز موير	عبد الفتاح محمد	عبد اللطيف النشار	٣٠٩
٥٨	صوفية جديدة	دريى خشبة	عبد الفتاح محمد	٣٢٠
٦٩	النافذة المفتوحة	عبد الفتاح محمد	عبد اللطيف النشار	٣٢٦
٧٢	الأراجوز المحزن	نجيب محفوظ	عبد الفتاح محمد	(العدد ٥٤)
٧٩	غزوة الجزائر } البريطانية	كوتان دويل	عبد الفتاح محمد	٣٣٨
٨٥	الأب الثاكل	عبد الفتاح محمد	عبد الفتاح محمد	٣٤٩
٩٢	مذمب من صمائه	عبد طه الحاجرى	عبد الفتاح محمد	٣٥٦
٩٧	حاجى بابا أصفهانى جيمز موير	عبد الفتاح محمد	عبد اللطيف النشار	٣٥٩
١١٤	صلاة الفجر	على الطنطاوى	عبد الفتاح محمد	٣٧٠
١١٩	بين الحقل والمدرسة	دريى خشبة	عبد الفتاح محمد	٣٧٦
١٣١	شجاعة امرأة	ل. غارمان	عبد الفتاح محمد	(العدد ٥٥)
١٣٧	الابن	بورجيه	عبد الفتاح محمد	٣٩٤
١٤٣	مجنون زاهد	جيلة العلايلى	عبد الفتاح محمد	٤٠٣
١٤٩	يونس	عبد الحلیم العشيري	عبد الفتاح محمد	٤١٥
١٥٥	حاجى بابا أصفهانى جيمز موير	عبد الفتاح محمد	عبد اللطيف النشار	٤٢٢
١٧٠	الكرة	نجيب محفوظ	عبد الفتاح محمد	٤٣٣
١٧٩	كابتن شانون	كوتان دويل	عبد الفتاح محمد	(العدد ٥٦)
١٨٧	إنتحار	جورج مورفير	عبد الفتاح محمد	٥٤٠
١٩٠	الرجل الحفى	تشسترتن	عبد الفتاح محمد	٤٦٥
٢٠٣	ذكرى امرأة	عبد الحلیم العشيري	عبد الفتاح محمد	٤٧٢
٢٠٩	حاجى بابا أصفهانى جيمز موير	عبد الفتاح محمد	عبد اللطيف النشار	٤٧٧
٢٢٦	وحدانية الحب	دريى خشبة	عبد الفتاح محمد	٤٨٨

الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم	الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم
٥٢١	مغامرات فنانة	دريتي خشبة	عبد الحميد حمدي	٧٩٧	مال بلا عمل		عبد الحميد حمدي
٥٤٠	الباب المفتوح	« الساقى »	عبد الحميد حمدي	٨٠٣	حادث والترشلاف	موباسان	ناجي الطنطاوى
٥٤٤	ما ذنبها	جميلة العلايلي		٨٠٨	« أما وفيينايا كا »	طافور	غفرى شهاب السعيدى
٥٥١	فقدان الذاكرة	عبد اللطيف النشار		٨١٠	خشية الاتهام		عبد اللطيف النشار
٥٥٧	الشیطان	موباسان	عادل الجمال	٨١٣	الغريب الثلاثة	توماس هاردى	كامل محمود حبيب
		(العدد ٥٨)		٨٢١	آخر ليالى غرناطة	محمد سعيد عاصر	
٥٦٢	إختبار زوجة	عبد الحميد حمدي		٨٢٨	صديق جديد		عماويل بطرس ابراهيم
٥٧٩	دموع قديمة	دريتي خشبة		٨٣٢	كل لنفسه	دوماس الأب	عبد النعم مراد
٥٩١	زوجة	جميلة العلايلي		٨٣٦	الجندي الصغير	موباسان	السيد محمد العزاوى
٥٩٩	الأعمال والآمال	عبد اللطيف النشار			(العدد ٦٣)		
٦٠٥	الورقة الثالثة عشر	أوبنهم	عزت السيد ابراهيم	٨٤٢	الرهان	تشيكوف	سعد حسين سعد
٦١١	نصيحة	ناصر عزيز		٨٤٧	الورقة المهلكة	نجيب محفوظ	
		(العدد ٥٩)		٨٥٣	تزوجت جاسوسا		عبد الحميد حمدي
٦١٨	حياة الغير	نجيب محفوظ		٨٦٥	موت الدوفين	دوديه	محمد عبد الفتاح محمد
٦٢٣	وهبتها حياة ثانية	عبد الحميد حمدي		٨٦٧	قصص	السيد محمد العزاوى	
٦٤٢	الأب	ولم شيبثون	على حسين	٨٧٤	فى طريق الغرام	السيد قاسم محمد	
٦٥٢	إغراء الشيطان لآدم وحواء	محمود الرصنى		٨٨٨	العزيرة	تشيكوف	حنى محمود جمعة
		(العدد ٦٠)		٨٩٨	المفارقات فى الحب	كاتيل مندى	صالح الهاك
٦٥٧	عابد الشمس	جميلة العلايلي		٩٠١	الكذبة	رومانوف	غفرى شهاب السعيدى
٦٦٦	الطائر الأزرق	روين داريو	شكرى محمد عياد	٩٠٥	ثم جديد	فيصل عبد الله	
٦٦٩	جندي قبل الاعداء	مصطفى صبحى		٩١٠	اعترافات سجين	موباسان	ناجي الطنطاوى
		(العدد ٦٠)		٩٢٠	المنى	تولستوى	مصطفى مشعل
٦٧٤	« إذا رأى فاسيل ؟ »	مارى ملكة رومانيا	سعد حسين سعد	٩٢٥	فقرة جديدة - حب	هاردنج	أبو بكر على
٦٨٢	الذكرى الخالدة	م . عبد القادر المازنى		٩٣٠	الحلم والحقيقة		عبد اللطيف النشار
٦٩٢	السفينة السوداء	عبد اللطيف النشار			(العدد ٦٥)		
٦٩٦	حيلة ممثل	مصطفى صبحى		٩٣٨	لأنها حملتني على الانتظار		عبد الحميد حمدي
٦٩٩	حاجة فى نفس يعقوب	عز العرب على		٩٥٠	العودة	موباسان	ناجي الطنطاوى
٧٠٣	هندي	جميلة العلايلي		٩٥٥	الزوجة الجديدة		عبد اللطيف النشار
٧١٠	الرجوع إلى القرية	نسيمة المغربى		٩٥٨	أقصوصة واقعية	دزرائيلى	محمد عبد الفتاح محمد
٧١٣	عروس البحر	« أندرسن »	كمال الحريرى	٩٦٠	دجلة والفرات		محمد نذير الحسامى
		(العدد ٦١)		٩٦٥	الرداء الأبيض	أومونيه	محمود الرصنى
٧٣٠	آدم آخر	رضوان شهاب			(العدد ٦٦)		
٧٣٩	التل الكبير	نجيب محفوظ		٩٨٧	المر المعبود	نجيب محفوظ	
٧٤٥	الفينة	تشيكوف	غفرى شهاب السعيدى	٩٨٢	انتقام المريض		عبد الحميد حمدي
٧٥٠	وكنيت أريد قتلها	عبد الحميد حمدي		٩٨٤	وقاء زوجة		ناجي الطنطاوى
٧٦٢	أعرب من الجبال	ناصر عزيز منصور		٩٨٨	ورقة من السماء	أندرسن	عبد اللطيف النشار
٧٦٨	سوء تقام	موروا	محمود الرصنى	٩٩١	جناية مشروعة	جميلة العلايلي	كمال الحريرى
٧٧٨	مستحيل	عبد اللطيف النشار		٩٩٦	مستر بالارد وشبيهه		طلح ندا
		(العدد ٦٢)		٩٩٩	ناهد	محمد فتحى أبو الفضل	
٧٨٦	القبلة عند الفدير	يوسف جوهى					

الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم
١٠٠٨	ذبول الحادث	سليم أ. عبده	
١٠١٢	يوم ... يوم	كلارينيه	محمد عبد الفتاح محمد
		(العدد ٦٧)	
١٠١٨	حببي القديس	عبد الحميد حمدي	
١٠٣٦	كيف فقدتها	جميلة الملايلي	
١٠٤١	إنتقام حبيبة	عبد اللطيف النشار	
١٠٤٤	مجنون	موباسان	السيد محمد المزاولي
١٠٤٨	الزوج الثابت	(ع)	
١٠٥١	الفاية تبرر الوساطة	عبد الحميد جودة السحار	
		(العدد ٦٨)	
١٠٥٨	قلامة ظفر	صديق شيبوب	
١٠٦٣	إنك لا تستطيع أن تضع حداً للحب	عبد الحميد حمدي	
١٠٧١	البستان المسحور	بوكاتشو	محمد كامل حجاج
١٠٧٣	الحاطبة	عبد اللطيف النشار	
١٠٧٦	حزمة الرسائل	بوراس جوكاي	محمد عبد الفتاح محمد
١٠٨٣	المصوص الثلاثة	(ع)	
١٠٨٦	الماشقة الصغيرة	عبد الحليم العشيري	
الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم
١٠٩٢	الفاجرة القديسة	أوسكار وايلد	سامي أحمد الناقص
		(العدد ٦٩)	
١٠٩٨	لقد كنت أبا مستبداً	عبد الحميد حمدي	
١١٠٩	السكرتيرة المؤقتة	(ع)	
١١١٣	إتقاذ العلم	أوكثاف فوييه	محمد عبد الفتاح محمد
١١١٥	تسليمة مزمارة	جورج ميرديث	شفيق ذهني
١١١٨	العش الخالي	عبد اللطيف النشار	
١١٢٢	نبل الحب	مراد الكرداني	
١١٢٥	ليلة الذكرى	محمد محمود الليثي	
١١٣٠	زوجا غرام	أندرسن	كمال الحريري
١١٣٢	سر المعلم كورني	دوديه	عبد الغني العطري
		(العدد ٧٠)	
١١٣٨	ثورة العاجز	عن الانجليزية	عبد الحميد حمدي
١١٥٠	بائعة البنفسج	هنري بوردو	صلاح الدين كامل
١١٥٣	هفوة	تشيكوف	فيصل عبد الله
١١٥٦	هكذا الحب	عزيز منصور	
١١٦٥	ثلاثة على منضدة	عن الانجليزية	عبد اللطيف النشار
١١٦٨	أسد + نمر = ١٢	أقصوصة أمريكية	محمد عصمة
١١٧٨	الراقصة	عبد العزيز الأهل	

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
العصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه
ومنقولة.

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالانعام الوتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

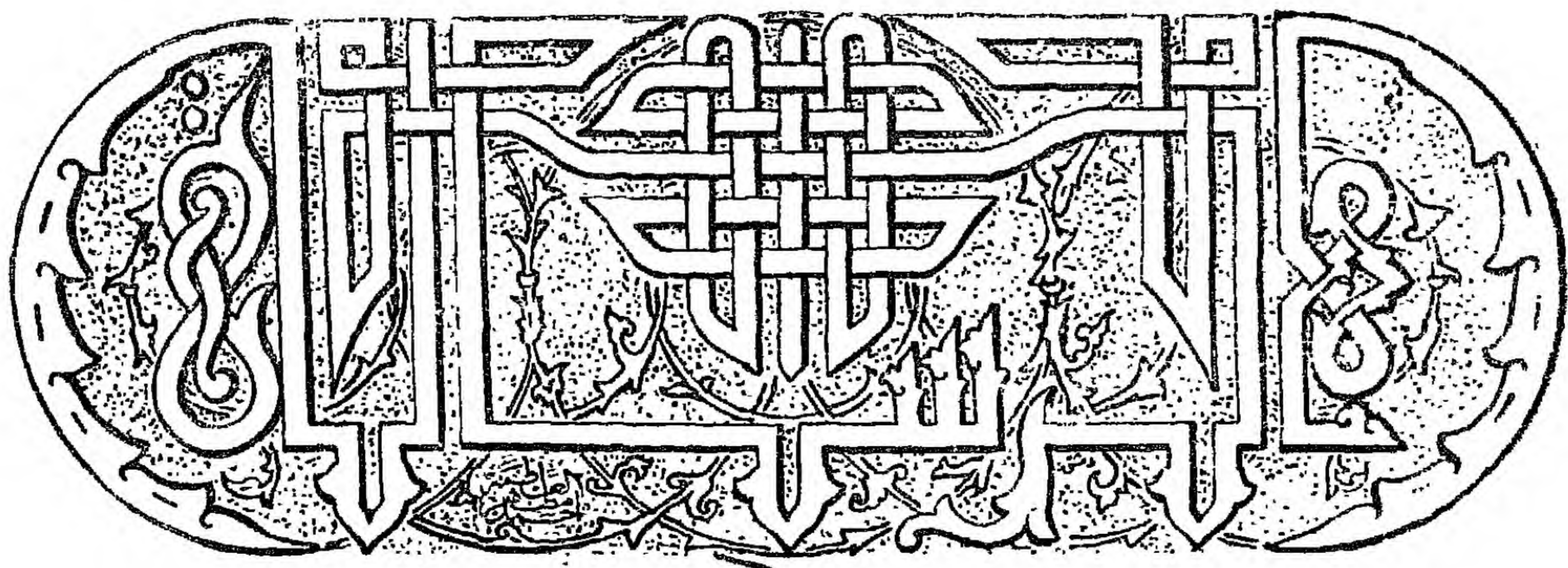
٧٠ عن كل سنة من السنوات الثانية والثالثة

والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



مكتبة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهير العبقرية للأمم العربية
الرسالة تسجل مظاهير التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الحديث ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

رعى مايساري جنيها مصرية ، وللبودا العربية بمصر